الجامع في
أخبار القرامطة
في
الأحساء - الشام - العراق - اليمن



الأستاذ الدكتور
سهيل زكار



الأستاذ الدكتور سهيل زكار

الجامع في أخبار القرامطة

في

الأحساء - الشام - العراق - اليمن



الجامع في أخبار القرامطة

في

الأحساء - الشام - العراق - اليمن

الجامع في أخبار القرامطة

في

الأحساء - الشام - العراق - اليمن

الأستاذ الدكتور سهيل زكار



للتأليف والترجمة والنشر

دمشق - حلبوني

تلفاكس 0112236468 جوال 0944330989

ص . ب ، 11418

taakwen@yahoo.com

الإهداء

إلى ولدي مصطفى

هذه أخبار سلف ثاروا فأخفقوا

لأنهم رفضوا التراث فكراً ثورياً تراثياً

سهيل

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

لاقى تاريخ القرامطة في العصر الحديث ـ وما زال يلاقي عناية كبيرة من قبل عدد كبير من الباحثين،كثر عدد العرب بينهم في الآونة الأخيرة،وتفاوتت ـ وماتزال ـ دوافع الباحثين فبعض المستشرقين قد بحث تفتيشا عن التناقضات في تاريخ العرب والاسلام ، وبعض آخر استهدف التعرف الى حقائق تاريخية وقعت ، أما بالنسبة للعرب فبعضهم بحث انطلاقا من قاعدة الأوائل في الملل والنحل ، ولم يخرج عن نطاق الكفر والايمان والحلال والحرام إلا قليلا ، وبعضهم الآخر آمن بالاشتراكية فأخذ يبحث في التراث عن السوابق •

وشدة الاهتمام هذه تبعث على الارتياح ، لكنها تثير شيئا من القلق والارتياب خشية الانحراف والابتعاد عن الحقائق الموضوعية ، فقد أراد بعض الكتاب العرب « عصرنة حركة القرامطة » بجعلها تشبه بعض ما شهده عصرنا من حركات ، يضاف الى هذا أن جل الباحثين ركز جهوده على قرامطة العراق والاحساء ، وأهمل قرامطة الشام وقرامطة اليمن ، واكتفى بالاعتماد أثناء البحث على المشهور المتيسر من المواد الإخبارية •

لا شك أن في هذا تقصير ، حيث ينبغي على الباحث في مثل هـذا الموضوع طرقه بشكل شامل، والالتزام بالتعليل التاريخي حسب معطيات عصر الحادثة، وليس حسب متطلبات العصر الحاضر ، فصرخة احتجاج ونداء بالمساواة في عصر كان الانسان يباع فيه ويشرى تعدل،إن لم تفق ، كل أصوات ثوار الحركات الاجتماعية في أيامنا هذه، أضف الى هذا: إن قواعد البحث التاريخي توجب على الباحث التقصي في عمله والتفتيش عن مصادر جديدة ، مع محاولة تقديم رؤى تحليلية محدثة للنصوص المتوفرة ، ومن المفيد أن تتذكر أن خزائن الكتب العربية الخاصة والعامة عبر العالم ما تزال تحوي عددا غير معروف من كتب التاريخ ومصادر الماضي ، فيها ما يزيل الحجاب عن كثير من القضايا المبهمة والمعلقة ، ويساعد على رسم صورة للماضي العربي أكثر وضوحا وشمولية واشراقا ، ولا شك أن معرفة الماضي بشكل أصح وأشمل ، تساعد كثيرا على فهم الحاضر ، ومن ثم التخطيط للمستقبل •

والبحث في تاريخ العرب والاسلام بشكل عام ليس بالامر السهل ، يعرّض

الباحث لكثير من المشاكل والمزالق ، يهمني أن أشير هنا الى واحـدة منها ، لشدة وضوحها أثناء البحث في تاريخ القرامطة :

قام الفكر الاسلامي والعقيدة على المزج بين المفاهيم الدينية والدنيويـة ، وهكذا يجد الباحث في أية قضية من قضايا الماضي الاسلامي نفسه وسط لجة من المسائل الدينية ، حتى ولو أنه كان يبحث في صناعة من الصناعات أو ما يشبه ذلك ، ومهما حاول الباحث تجنب الخوض في المسائل الدينية يجد ذلك متعذرا ، وهكذا يجد عمله له صفة دنيوية وسمة دينية شاء ذلك أم أبى .

وتلقي هذه المسألة بكلكلها وبكل ثقلها وذاتها على الباحث في تاريخ القرامطة، آخذين بعين الاعتبار أن هذه الحركة نشأت وترعرعت وانتهت وسط حركات كانت من أكثر حركات التاريخ انشغالا بالقضايا الدينية والتأويلات اللاهوتية والفلسفية المعقدة للغاية .

إن ما يهم الباحث والمؤرخ أيامنا هذه من أخبار القرامطة هو السمات الثورية والحلول الاقتصادية والاجتماعية لديهم، لكن أنى له أن يتفرغ لهذا وينفرد، ويكتب وهو متحرر من كابوس الحلال والحرام والكفر والايمان ، ذلك أن الفرق شاسع بين الباحث في التاريخ وبين رجل الدين وعلم الكلام ، فالاول يبحث عما وقع في التاريخ والثاني يفتش عما يتماشى مع قانونه وعقيدته أولا يتماشى .

قديما واجه الامام الغزالي مسائل الخلافات بين المذاهب والفرق مع مسألـة الكفر والايمان فتصدى لها في كتبه وكان من أوضح ما كتبه قد جاء في كتابـه « فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة » حيث قال : [ص ١٩٥ ـ ١٩٦] .

« اعلم أن شرح مايكفر به ولايكفر به يستدعي تفصيلا طويلا يفتقر الى ذكر كل المقالات والمذاهب ، وذكر شبهة كل واحد ودليله ، ووجه بعده عن الظاهر ووجه تأويله ، وذلك لايحويه مجلدات ، ولاتتسع لشرح ذلك أوقاتي ، فاقنع الآن بوصية وقانون .

اما الوصية فـأن تكف لسانك عن أهـل القبلة ما أمكنك ما داموا قائلـين لا إله إلا الله محمد رسول الله غير مناقضين لها ، والمناقضة تجويزهم الكذب علـى رسول الله ﷺ بعذر أو غير عذر ، فإن التكفير فيه خطر ، والسكوت لاخطر فيه .

اما القانون فهو أن تعلم أن النظريات قسمان : قسم يتعلق بأصول العقائد ، وقسم يتعلق بالفروع ، وأصول الايمان ثلاثة : الايمان بالله، وبرسوله، واليوم الاخر، وما عداه فروع ، واعلم أنه لا تكفير في الفروع أصلا ، إلا في مسألة واحدة ، وهي أن ينكر أصلا دينيا علم من الرسول صلى الله عليه وسلم بالتواتر ، ولكن في بعضها

تخطئة كما في الفقهيات،وفي بعضها تبديع كالخطأ المتعلق بالامامة وأحوال الصحابة،

واعلم أن الخطأ في أصل الإمامة وتعيينها وشروطها ، وما يتعلق به ، لا يوجب شيء منه تكفيرا ، فقد أنكر ابن كيسان أصل وجوب الامامة ، ولا يلزم تكفيره ، ولا يلتفت الى قوم يعظمون أمر الامامة ، ويجعلون الايمان بالامام مقرونا بالايمان بالله وبرسوله ، ولا الى خصومهم المكفرين لهم بمجرد مذهبهم في الإمامة ، فكل ذلك اسراف،إذ ليس في واحد من القولين تكذيب للرسول ﷺ أصلا » •

في ظل هذه المنطلقات الغزالية حاولت أن أعمل أثناء دراستي وتحقيقي لمواد كتابي « الجامع في أخبار القرامطة » وغالبا ما كنت خلال ذلك كله أردد مع أبي العلاء المعري قوله :

إذا رجع الحليم الى حجاه   تهاون بالمذاهب وازدراها

وقوله :

في كل أمرك تقليد تدين به   حتى مقالك ربي واحد أحد

وقوله :

في كل جيل أباطيل يدان بها   فهل تفرد يوما بالهدى جيل

لقد ألححت في الدراسة على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية وسعيت الى تحليل جذور القضايا من هذا المنطق وعلى أساسه ، فعلت ذلك وأنا لا أومن بآحادية السبب والعلة في التاريخ ، وانما ايقانا بأهمية العامل الاقتصادي والاجتماعي وخطورته، وادراكا لما يعيشه المسلمون الآن، ولما أظلهم من خلافات وحروب طائفية، فنحن نحتاج الآن الى ما يجمع لا الى ما يفرق ، تجمعنا الاصول فما بالنا تتعلق بالفروع ، وأي فروع هذه ؟! إنها فروع مضى على نشوئها قرون وقرون حتى بليت وما عاد لها من مكان الا في الاوهام ، ولا مكان للاوهام في عصر سيطرت فيه مقاييس العلوم البحتة والرياضيات •

لقد أعدت العمل بكتابي أخبار القرامطة ، لأن ضرورات البحث اقتضت ذلك، ويشكل عملي فيه اليوم مرحلة ثالثة ، كانت أولاها عندما أخرجت أولا كتاب تاريخ أخبار القرامطة ، وثانيها عندما خرج كتاب أخبار القرامطة ، وحاولت في هذه المرحلة الثالثة أن لا أطيل الدراسة إلا بقدر مايكفي لمساعدة القارىء ولتوجيهه بعض التوجيه، وقد عدت الى سلسلة عريضة من المصادر والمراجع ، سأضع ثبتا لها في آخر الكتاب •

كما وأضفت في هذه المرحلة عددا كبيرا جديدا من النصوص التي لم يسبق نشرها أو الاستفادة منها •

ويحوي كتابي هذا مع الدراسة جل ما كتبه العرب حول تاريخ القرامطة ، ولم يحدث قط أن حوى كتاب آخر ما حواه ، حتى بات أشبه بالموسوعة ، ولهذا اقتضى الحال ادخال تعديل على عنوانه حيث أصبح « الجامع في أخبار القرامطة » ، على أنه بانصاف ينبغي القول : انه ما زال هناك العديد من الكتب فيها مواد خطيرة حول تاريخ القرامطة بعضها ما زال محجوبا عني لم أستطع الوصول اليه وبعضها قد طبع من بينها تاريخ الطبري والحدائق والعيون لمؤلف مجهول، وتجارب الامم لمسكويه، والكامل لابن الاثير ، وتاريخ سني ملوك الارض والانبياء عليهم السلام لحمزة الاصفهاني وبعض كتب الملل والنحل والفرق .

لقد أفدت في الدراسة مما ورد في هذه الكتب ، ولم أجد ضرورة لادخال موادها في كتابي ، لتيسر هذه المواد للقارىء ولعدم امتلاكي نسخاً خطية عنها تسوغ اعادة التحقيق ، ومهما يكن من أمر إن نصوص كتابنا هذا تقدم صورة متكاملة شاملة لتاريخ القرامطة ، تزدادا تدعيما بما أوردته المصادر المشار اليها ، انما دون زيادة تفاصيل هامة تبدل الصورة أو حتى تعدلها، مع التأكيد ــ على ما سيأتي ذكره ــ أنه لم يسبق من قبل طرح موضوع تاريخ قرامطة اليمن والشام في كتاب قبل كتابنا هذا .

ولقد رتبت نصوص هذا الكتاب حسب سابقة المؤلف بالوفاة ، وليس حسب الموضوع الاول فيها، لأن هذا أمر لم يلتزم به أي واحد من المصنفين وبذلت في تحقيق هذا الكتاب غاية الجهد ، وأفرغت فيه محصلة أعمال بحث استمرت أكثر من خمس عشرة سنة ، لكن على الرغم من كل هذا فان جهدي هو جهد انسان طاقاته لها حدود ، بعيد عن العصمة قريب من مواقع الخطل والوهم ، وكما حدث معي في كتابي هذا حين قمت أثناء التحقيق بتقويم بعض أغاليط جيل مضى من الباحثين . أتوقع أن يأتي من يقوّم لي أغاليطي واجتهاداتي ، إن وجدت .

هذه دعوة الى القارىء والباحث للنقد البناء المفيد بالمراسلة الخاصة أو عبر المجلات والصحف والابحاث ، راجيا ممن يقوم بذلك اخباري أو ارسال نسخة من نقده ، ولا شك أنني سأكون عظيم الحظ اذا ما أغنيت تجربتي بتجارب غيري .

والله تعالى من وراء القصد وله الحمد والمنة ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وامام المرسلين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

سهيل زكار

البـــاب الاول

مدخـــل الى تاريـــخ القرامطـــة

الفصل الاول

الدعوة الاسماعيلية وقيام الخلافة الفاطمية

نشوء الحزبيــة في الاسلام :

واجهت الامة الاسلامية الناشئة أولى أزماتها السياسية الصعبة داخليا يـوم مرض النبي ﷺ مرضه الاخير ، وساعة وفاته ، ونشأت أصول الازمة حول مسألـة زعامة المسلمين بعد النبي ، فالنبي لم يترك ــ كما ترى غالبية الجماعة الاسلامية ــ وصية خاصة محددة يوضح بها شكل الحكم من بعده ، ففي أثناء مرضه ﷺ الاخير ، الذي جعله يلزم الفراش ، شعر غالبية المسلمين بالقلق الشديد ، ودنو المخاطر ، وبدأ الناس يتساءلون عن المستقبل ، ويطرحون الاستيضاحات حـول مشكلة الحكـم والزعامة بعد غياب النبي ﷺ ويبدو أن صدى هذه التساؤلات قد وصل الى النبي حيث روي عن ابن عباس قوله : « لما احتضر رسول الله ﷺ ، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال النبي ﷺ : هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ، فقال عمر : إن رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجـع[1] ، وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله ، فاختلف أهل البيت واختصموا ، فمنهم من يقول : قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتابا لا تضلوا بعده ، ومنهم من يقول ما قال عمر فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله ﷺ قال : قوموا ... فكان ابن عباس يقول : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب ، مـن اختلافهم ولغطهم »[2] .

لقد ورد هذا الحديث في كتب الصحاح وسبب إرباكا عظيما لكل من تعرض له من الفقهاء بشكل مباشر أو غير مباشر ، وقد عرض الحافظ ابن حجر في كتابـه فتح الباري[3] صورة ملخصة لمختلف الآراء جـاء فيها : « والهجر ــ بالضم ثـم

---

(١) في رواية البخاري ــ فتح الباري : ٨/١٣٢ « فقالوا : ما شانه اهجر » اي هذي.

(٢) مغازي الزهري : ١٣٦ . فتح الباري : ٨/١٣٢ . طبقات ابن سعد : ٢/٢٤٢ ــ ٢٤٥ .

(٣) فتح الباري : ٨/١٣٣ .

السكون ـ الهذيان ، والمراد هنا ما يقع من كلام المريض الذي لا ينتظم ولا يعتدّ به لعدم فائدته، ووقوع ذلك من النبي ﷺ مستحيل، لأنه معصوم في صحته ومرضه، لقوله تعالى : « وما ينطق عن الهوى » ولقوله ﷺ: « إني لا أقول في الغضب والرضا إلا حقا » ، واذا عرف ذلك فانما قاله من قاله منكرا على من توقف في امتثال أمره باحضار الكتف والدواة ، فكأنه قال : كيف تتوقف ، أتظن أنه كغيره يقول الهذيان في مرضه ؟ امتثل أمره ، وأحضر ما طلب ، فانه لا يقول إلا الحق .

قال : هذا أحسن الاجوبة ، قال : ويحتمل أن بعضهم قال ذلك عن شك عرض له ، ولكن يبعده أن لا ينكره الباقون عليه مع كونهم من كبار الصحابة ، ولو أنكروه عليه لنقل ، ويحتمل أن يكون قائل ذلك أراد أنه اشتد وجعه ، فأطلق اللازم وأراد الملزوم ، لأن الهذيان الذي يقع للمريض ينشأ عن وجعه . وقيل قال ذلك لإرادة سكوت الذين لغطوا ورفعوا أصواتهم عنده ، فكأنه قال : إن ذلك يؤذيه ويفضي في العادة الى ماذكر ... قال المازري : إنما جاز للصحابة الاختلاف في هذا الكتاب مع صريح أمره لهم بذلك ، لأن الاوامر قد يقارنها ما ينقلها من الوجوب ، فكأنه ظهرت منه قرينة دلت على أن الامر ليس على التحتم بل على الاختيار ، فاختلف اجتهادهم ، وصمم عمر على الامتناع لما قام عنده من القرائن بأنه ﷺ قال ذلك عن غير قصد جازم ، وعزمه كان اما بالوحي واما بالاجتهاد ، وكذلك تركه ، ان كان بالوحي فبالوحي ، والا فبالاجتهاد أيضا ... وقال النووي : « اتفق قول العلماء على أن قول عمر : (حسبنا كتاب الله) من قوة فقهه ودقيق نظره ، لأنه خشي أن يكتب أمورا ربما عجزوا عنها ، فاستحقوا العقوبة لكونها منصوصة ... ويحتمل أن يكون قصد التخفيف عن رسول الله ﷺ لما رأى فيه من شدة الكرب ... »

ولدى السؤال : ماذا أراد النبي ﷺ أن يكتب ؟ نجد ابن حجر وغيره يجيب « تعيين الخليفة بعده » ونزيد على هذا بيانا أن الشيعة قالت : حيل بين النبي وبين الكتابة أمر هو أن عمر كان يعرف مسبقا بأنه ﷺ سيعين علي بن أبي طالب صراحة بعدما عينه يوم غدير خم اشارة وتلميحا ، وقد ذكر هذا القاضي النعمان ، قاضي قضاة المعز لدين الله الفاطمي ، وداعي دعاته في الارجوزة المختارة بقوله :

وأنه قال على الاجماع ... للناس بعد حجة الوداع
وقد دعاهم بغدير خم ... فاجتمعوا اليه كي يسمي

لهم ولي أمرهم من بعده فحمد الله بحق حمده
وقال اني أزمع الذهابا فليبلغ الشاهد من غابا
أن عليا حل مني فافهموا محل هارون على ما يعلم
من صاحب التوراة موسى فاسمعوا ما قلته وما أقوله وعوا
ثم دعاه بينهم اليه وقال وهو رافع يديه
يا رب وال اليوم من والاه وعاد يا ذا العرش من عاداه[١]

هكذا تمت عملية تأويل ما حدث في غدير خم ، لكن من المرجح أن علي بن أبي طالب ، صاحب القضية لم يفهم ما جرى بهذه الصورة . جاء في كتب الصحاح : « خرج العباس وعلي من عند رسول الله ﷺ في مرضه ، فلقيهما رجل ، فقال : كيف أصبح رسول الله ﷺ يا أبا الحسن ؟ فقال : أصبح رسول الله ﷺ بارئا ، فقال العباس لعلي بن أبي طالب : أنت بعد ثلاث لعبد العصا[٢]، ثم خلا به ، فقال : انه يخيل الي ، اني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت ، واني خائف ألا يقوم رسول الله ﷺ من وجعه هذا ، فاذهب بنا اليه فنسله ، فان يك هذا الامر الينا علمنا ذلك ، وان لا يك الينا ، أمرناه أن يستوصي بنا خيرا ، فقال له علي : أرأيت اذا جئناه فلم يعطناها أترى أن الناس يعطوها ، والله لا أسأله اياها أبدا »[٣] .

هذا ومن المرجح أن ما روي حول قضية الكتابة لم يحدث حسب الشكل المروي ويثبت هذا اثارة المسائل التالية وتبيانها :

انه مع تحقيق الاسلام لنجاحاته الكبرى بعد فتح مكة ، ومع اتساع رقعة الدولة الاسلامية الناشئة ، ازداد تقدم النبي ﷺ بالسن ، وأخذت آثار المرض مع ما عاناه خلال حياته تظهر عليه بشكل جلي ، وهنا لابد أن عددا من المسلمين أخذ يفكر ويتساءل عن مستقبل الامة والعقيدة ، والى من ستؤول مقاليد الزعامة بعد

---

(١) الارجوزة المختارة : ٣٤ ــ ١١٨ .
(٢) كناية عمن يصير تابعا لغيره ، أي أن النبي سيموت بعد حين ، وتصير انت ماموررا عليك .
(٣) مغازي الزهري : ١٣٣ ــ ١٣٤ . طبقات ابن سعد : ٢/٢٤٥ ــ ٢٤٧ . فتح الباري : ٨/١٤٢ .

النبي ، ومع مرض النبي الاخير أصبحت هذه المسألة بالنسبة لبعض الصحابة هاجسا جثم على صدورهم ، ولا بد أن المسلمين أثاروا هذه المسألة في نواديهم ومجالسهم ، وأن أصداء ذلك وصلت الى مسامع النبي ، ومن هنا جاء أصل الروايات حول طرح القضية على النبي صراحة وحول محاولة وضع حل مكتوب .

هذا ويرى بعض الباحثين في التاريخ الاسلامي أن النبي بعدما وضع قاعدة الشورى العريضة ما كان بامكانه أن يوصي بالحكم من بعده لشخص محدود ، أو حتى أن يبين شكل الحكومة المقبلة بصورة مفصلة ، لأن مرضه وظروف العرب السياسية ــ سيما في شمال شبه الجزيرة ــ ومفاهيمهم مع تركيبهم الاجتماعي ماكان ليسهل تنفيذ أية وصية سياسية ، ذلك « أن مكة حي لقاح لا تدين للملك »[١] .

ان في الوصية تحديدا تأباه الايام ، وتقييدا يعارضه تطور العصور ، كما أن في تسمية ولي للعهد اسباغ للشرعية والقدسية الأبدية واقامة لاسرة مالكة ذات حق إلهي ، وهذا يتنافى بصورة قاطعة مع مبادىء الاسلام وعقائد النبي ، كما يرفضه تطور التاريخ ، والمستعرض لتاريخ العرب والاسلام يرى المدى الذي استغلت فيه بعض الاشارات العرضية ، مثل : استخلاف النبي لأبي بكر على الصلاة ، وحادثة غدير خم .

لقد بعث الله تعالى نبيه محمدا لهداية البشر ولسعادتهم في الدارين العاجلة والآجلة ، ولم يبعثه ليملكه على العرب أو سواهم ، والنبي حين نظم نواة أمته الجديدة جعل من العقيدة رابطا يجمع جميع أفراد الامة ويساوي بينهم ، فالمسلمون ارتبطوا بالاسلام وتعلقوا به ، فهم كانوا مسلمين ولم يكونوا محمديين ، والنبي نفسه كان مسلما ولم ينتم لغير الاسلام كما لم يسمح للمؤمنين برسالته بالانتماء لغير الاسلام ، وهذا أمر فريد متميز في تاريخ الديانات والعقائد قديمها وحديثها ، ذلك أن الموسويه هي نسبة الى موسى عليه السلام ، والمسيحية نسبة الى المسيح عليه السلام ، والبوذية الى بوذا ، والزرادشتيه الى زرادشت ، والمانوية الى ماني ، والماركسية الى ماركس وهكذا ...

في تاريخ الشرق القديم قامت المدن الاولى حول المعبد أو قصر الملك لتأمين

---

(١) انظر سيرة ابن هشام : ٢٢٤/١ (خبر عثمان بن الحويرث وتوليته من قبل بيزنطة على مكة) .

الخدمات للمعبد أو القصر ، وعلى هذا كان سكان كل مدينة رعية وخدما ، وجودهم مسوغ برفاه الملك وتلبية حاجاته ورغباته والملك يملك كل شيء من أرض وماء ونبات ومعدن[1] ...

عندما جاء الاسلام ألغى هذا بشكل حاسم، لكن عندما قامت حركات المعارضة في العصر الاموي ، تأثرت هذه الحركات بشكل أو آخر بالعقائد التي تجعل الناس يرتبطون بشخص أو أسرة ، وأن عليهم الثورة لايصال هذا الشخص أو الاسرة الى السلطة ، لا الثورة لتصحيح ما اعوج والغاء الظلم والحيف بشكل مباشر ، بل من خلال فرد أطلقت عليه لقب الامام أو المهدي المنتظر ، وشكل هذا انتكاسة خطيرة ، لنا عودة اليها ثانية .

لقد اختار الله تعالى محمد بن عبد الله رسولا له ، وظل النبي محمد طوال حياته هكذا ، يبلغ أوامر ربه [فذكر إنما أنت مذكّر لست عليهم بمسيطر] ويرعى تنفيذها ، ويشرف عليه ، وهو لذلك كان « لا ينطق عن الهوى » .

لكن كيف فهم صحابة النبي ﷺ مسألة عدم النطق عن الهوى ؟ روى ابن اسحق أن النبي ﷺ اتخذ موقعا له ولاصحابه يوم بدر قبل نشوب القتال ، فجاءه الحباب بن المنذر بن الجموح فقال : « يا رسول الله ، أرأيت هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ، ولا نتأخر عنه ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأي والحرب والمكيدة ، فقال : يا رسول الله ، فان هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم ، فننزله ، ثم نغور ما وراءه من القلب ، ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون ، فقال رسول الله ﷺ : لقد أشرت بالرأي ، فنهض رسول الله ﷺ ومن معه من الناس ، فسار حتى اذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه ... »[2]

وروى الامام الزهري في مغازيه أن النبي ﷺ أرسل يوم الخندق أثناء حصار المشركين للمدينة « الى عيينة بن حصن بن بدر الفزاري ، وهو يومئذ رأس المشركين

---

(1) انظر كتاب الغرب والعالم تأليف كافين رايلي ــ ترجمة عربية ــ سلسلة عالم المعرفة : ٧١ ــ ٩٥ .
(2) سيرة ابن هشام : ٦٢٠/١ .

من غطفان ، وهو مع أبي سفيان : أرأيت إن جعلت لك ثلث ثمر الانصار ، أترجع بمن معك من غطفان وتخذّل بين الاحزاب ؟ فأرسل اليه عيينة ان جعلت لي الشطر فعلت ، فأرسل الى سعد بن معاذ ، وهو سيد الاوس ، والى سعد بن عبادة ، وهو سيد الخزرج، فقال لهما : ان عيينة بن حصن قد سألني نصف ثمركما على أن ينصرف بمن معه من غطفان ويخذل بين الاحزاب ، واني قد أعطيته الثلث ، فأبى الا الشطر ، فماذا تريان ؟ قالا : يا رسول الله ان كنت أمرت بشيء لم أستأمركما ، ولكن هذا رأي أعرضه عليكما ، قالا : فانا لا نرى أن نعطيه الا السيف ، قال : فنعم اذا [1]» .

العقيدة في الاسلام مصدرها الله تعالى وحده ، والنبي محمد ﷺ كان رسول الله ومبلغ كلماته ، وصحيح أن النبي كان ـ خاصة بعد الهجرة الى المدينة ـ زعيم الامة الجديدة وقائدها وحاكمها ، ولكن في ذات الله لا في ذاته البشرية ، وهو وان كان لا ينطق عن الهوى كان يميز دائما بين آرائه البشرية الخاصة ، وبين ما يأتيه عن طريق الوحي، ومن هنا كان يقدم على التشاور مع أصحابه ويأخذ بآرائهم، وأصحاب النبي آمنوا به رسولا لله ، لكنهم كانوا يرونه أنه كان وظل بشرا ، ولهـذا أعلن الصديق ساعة وفاته ﷺ : « من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان منكم يعبد الله فان الله حي لا يموت »، ثم تلا الآية : (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل)[2] [آل عمران : ١٤٤] .

والله تعالى اختار محمدا لنبوته ، وحمله مسؤوليات ابلاغ رسالته ارادة منه تعالى ، وليس بعد أخذ مشورة أحد ، أو حتى رأي صاحب العلاقة ، وعليه فالنبي لم يرث النبوة ميراثا ، ثم انه بالنظر للمزج بين المفاهيم الدينية والدنيوية في الاسلام لم يكن من صلاحيات النبي توريث بعض مناصبه أو جزء منها ، فالنبوة كل لايتجزأ، والانبياء لا يورثون .

لهذا رفض علي بن أبي طالب سؤال النبي ، على الرغم من طلب عمه العباس ، لانه كان أعرف بالاسلام من عمه وأكثر فقها ، فالقرآن والسنة قد حويا كل ماتحتاجه البشرية من نواظم في مجالات العقيدة والاخلاق وشؤون الحياة العملية التطبيقية المادية ، وذلك مع مراعاة تامة لتمتع الانسان بحريته وبحوافزه الخاصة .

---

(١) مغازي الزهري : ٧٩ .

(٢) مغازي الزهري : ١٣٤ ـ ١٣٥ .

ويوم مرض النبي ﷺ مرضه الاخير، اجتهدت كل فئة من فئات المسلمين في سبيل ايجاد حل لقضية الزعامة والادارة ، فكان هناك آراء أنصارية برزت في سقيفة بني ساعدة ، وآراء قرشية انتصر منها رأي الصديق والفاروق والامين ــ أمين أمــة محمد ــ ونتج عن هذا الاجتهاد ولادة مؤسسة الخلافة التاريخية ، وبعد سقيفة بني ساعدة لم يتوقف الاجتهاد حيث وجدت امرة المؤمنين دائما بسلام كما حدث يوم السقيفة ، بل نجم عن كل اجتهاد اجتهاد مضاد وهكذا تطورت الامور الى معارضة خفية فمعارضة علنية(١) .

ولنقف قليلا مع ما حدث يوم توفي النبي ﷺ ، ونستعرض مختلف الروايات حول الموضوع :

عندما أعلن عن وفاة النبي تسارع أقربوه وآله الى بيته ، وفيما هم كذلك بلغ الخبر الى أبي بكر الصديق باجتماع الانصار في سقيفة بني ساعدة خارج المدينة ، ويحدثنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بما حدث اثر ذلك بقوله : «واجتمع المهاجرون الى أبي بكر رحمه الله ، فقلت يا أبا بكر انطلق بنا الى اخواننا من الانصار ، فانطلقنا نؤمهم ، فلقينا رجلين صالحين من الانصار قــد شهــدا بدرا ، فقالا : أين تريدون يا معشر المهاجرين ؟ قلنا نريد اخواننا هؤلاء من الانصار ، قالا : فارجعوا فاقضوا أمركم بينكم ، قال : قلت : فامضوا لنأتيهم ، فأتيناهم فاذا هم مجتمعون في سقيفة بني ساعدة بين أظهرهم رجل مزمل ، فقلت من هذا ؟ فقالوا : هذا سعد بن عبادة ، قلت : وما شأنه ؟ قالوا : هو وجع .

قال : فقام خطيب الانصار ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قــال : أما بعد فنحن الانصار ، وكتيبة الاسلام ، وأنتم يا معشر قريش رهط منا ، وقد دفت(٢) الينا دافة(٣) منكم ، فاذا يريدون أن يختزلونا من أصلنا ، ويحصونا من الامر .

وكنت قد رويت في نفسي خطبة ، وكنت أريد أن أقوم بها بين يدي أبي بكر ، وكنت أداري من أبي بكر بعض الحد ، وكان هو أوقر مني وأجــل ، فلما أردت

---

(١) مغازي الزهري : ١٣٨ ــ ١٤٤ . سيرة ابن هشام : ٤٦٧/٢ حتى نهاية الكتاب. ابن سعد : ٢٢٥/١ ــ ٥٠٣ . تاريخ خليفة : ١٢/١ ــ ٧٦ . الطبري : ٣٩٥/٢ ــ ٦٥٧ ، ٨/٣ ــ ٢٢٣ .

(٢) جاءت .

(٣) جماعــة قليلة .

الكلام ، قال : على رسلك ، فكرهت أن أعصيه ، فحمد الله أبو بكر رضي الله عنه ، وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : ••• أما بعد ، فما ذكرتم فيكم من خير يا معشر الانصار ، فأنتم له أهل ، ولن تعرف العرب هذا الأمر الا لهذا الحي من قريش ، فهم أوسط العرب دارا ونسبا » •

وأثارت خطبة أبو بكر ردة فعل بين المجتمعين ، وقام أحد الانصار فتهدد المهاجرين بقبول ما يقرره الانصار طوعا أو كرها ، فرد عليه عمر رداً عنيفا ، وفي ذروة الجدل تخلى بعض أقرباء سعد بن عبادة عنه لأمور في نفوسهم ، وكان سعد بن عبادة زعيما لقبيلة الخزرج ، لهذا تهامس زعماء قبيلة الاوس ، قبيلة الانصار الثانية ، بين بعضهم بعضا فقالوا : « والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيبا أبدا » ، وهنا قام أبو بكر فقال : « هذا عمر ، وهذا أبو عبيدة فأيهما شئتم فبايعوا » •

وفي هذا اللحظة « كثر اللغط ، وارتفعت الاصوات » وفقد النظام فانهار مؤتمر الانصار ، وأخفقت خططهم ، وعندما حصل هذا ، وقبل أن يتفرق المجتمعون وقف عمر بقامته المديدة وصرخ بالقوم ، ثم تقدم من أبي بكر قائلا « ابسط يدك يا أبا بكر فبسط يده » فبايعه قائدا جديدا للامة ، وتقدم بعض الحضور فقلدوا عمر بما فعله ، وانسحب سعد بن عبادة ، وارفض الاجتماع وتفرق الناس ، ولربما لم يأخذ معظمهم ما حدث من بيعة لأبي بكر مأخذ الجد ، لكن تلاحق الاحداث حقق النجاح ، مع أن ما حدث كاد أن يكون فلتة كفلتات الجاهلية[1] •

بعد ارفضاض اجتماع السقيفة عاد أبو بكر وصحبه الى مسجد النبي حيث تم الاعلان عما حدث وحيث بايع بقية الناس ، ونحن وان كنا لسنا بحاجة للحديث عما شهدته أيام حكم أبي بكر من أحداث مثل حروب الردة وحروب الفتح ، نرى من الضروري الاشارة الى أن اختيار أبي بكر لم يواجه أية معارضة معلنة من قبل المهاجرين من أهل المدينة ، وأنه حمل لقب خليفة رسول الله ، وتبعا لهذا عرفت المؤسسة التي قامت اثر ذلك بمؤسسة الخلافة •

ولا بد من سؤال : من أين جاءت هذه التسمية ؟ انها لم تذكر أثناء مناقشات السقيفة ، حيث أن الالفاظ التي استخدمت كانت لفظتا : أمير ووزير ، هذا ولم تحدد أثناء الانتخاب صلاحيات الخليفة ومكانته •

---

(١) مصادر الحاشية (١) في الصفحة السابقة •

كانت الحكومة التي أسسها النبي ﷺ في المدينة هي الاولى من نوعها في تاريخ شبه جزيرة العرب ، فقد ملك النبي وحده جميع فروع السلطة ، من تشريع وقضاء وادارة وجباية وأعمال حربية ، وذلك بالاضافة الى صفته الاساسية وهي النبوة ، وهكذا امتزجت مفاهيم السلطات الزمنية بمفاهيم السلطات الدينية في الاسلام ، وصار كل أمر في الدولة العربية الناشئة مزدوج الصفات زمنيا ودينيا(*) ، ولم تعرف دولة النبي التوظيف والموظفين الدائمين ، بل كان النبي ينتدب أحيانا بعض أصحابه، فيكلفهم ببعض الوظائف حين يبتعد عن المدينة ، أو يرسلهم لتنفيذ بعض المهام مثل جباية الصدقات أو تفقيه الناس بالاسلام وامامتهم بالصلوات أو تنفيذ مهمات عسكرية ، وكان الذي ينوب عن النبي في امامة الصلوات في المدينة يدعى خليفة النبي ، وكان قائد الحملة العسكرية يسمى أميرا ، ولما كانت القوات التي يقودها هذا الاخير قواتا مؤمنة تقوم بتنفيذ مهمة ضد غير المؤمنين ، فقد كان القادة من العسكريين المسلمين يميزون عن قادة الاعداء بلفظة أمير المؤمنين[1] ، فهذا ما حمله أسامة بن زيد قائد آخر بعوث النبي ﷺ حتى وفاته .

(*) تفرد تاريخ الاسلام بجذوره العربية والشرقية القديمة بمسيرة خاصة في المزج بين المفاهيم الدينية والسياسية ، ففي الشرق القديم تحول الكاهن الى ملك ومشرع ، وفي تاريخ مكة القريب من ظهور الاسلام بدأ قصي بن كلاب حياته في مكة سادنا للكعبة أولا ، ثم ما لبث أن أصبح سيد مكة ، حيث طرد خزاعة منها وجلب قريش اليها وأسكنها فيها وفق نظام ابتدعه ، وبعد هذا نظم حياة المدينة من جميع الجوانب بما عرف باسم الحجابة والرفادة والسقاية ودار الندوة وغير ذلك ، وهذا ما نشهده في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، فهو بدأ حياته في مكة نبيا يدعو الى دين جديد ، وبعد هجرته الى المدينة أسس نواة الدولة الاسلامية الاولى فكسب صفة رجل الدولة ، وأخذ بعد هذا يضع نظم دولته ويشرع لها دنيويا ، وعلى هذا مرت حياته صلى الله عليه وسلم بثلاث مراحل أولها الدينية ثم تلاها السياسية وكانت المرحلة الثالثة هي التشريعية ؛ وطبعا لم توقف أي من المرحلتان الجديدتان ما سبقها ، بل كان هنالك استمرار ، وبما ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن ينطق عن الهوى ، فان الدين الاسلامي تبنى دمج المفاهيم ، وبات لكل عمل دنيوي لونه الديني والتشريعي في الوقت نفسه ، وظل هذا الحال قائما طوال التاريخ الاسلامي ، وهو يعني ان المنصب الديني يقود الى المنصب السياسي ثم الى الوضع التشريعي وليس العكس كما في الحضارات الاخرى مثل روما، ففي تاريخ روما نجد انه بعدما كان الحظ يحالف أحد الساسة أو العسكريين في الوصول الى عرش الامبراطورية كان هذا الامبراطور يتم اضفاء صفة الالوهية عليه ، وكان وهو على عرش الامبراطورية قد يحدث بعض الاصلاحات او التنظيمات الادارية ، ويعني ذلك ان طريق السياسة يقود الى الدين ومن ثم الى التشريع .

(١) التراتيب الادارية : ١/٢ — ٨ . (٢) كتابي المدقمية عند العرب : ٣٠١ — ٣٣٠ .

وكان الخليفة على الصلوات يؤدي الصلاة كما يؤديها النبي تماما دونما زيادة أو نقصان ، ذلك أن الخليفة هو النائب عن الاصيل الملتزم كليا بما عهد اليه من أوامر وتعاليم ، وكانت صلاحيات أمير الجيش أوسع من صلاحيات الخليفة ، ذلك أن قيادة العساكر تستوجب الطاعة المبرمة ، وتعطي الامير فرص التصرف وابداع الحلول واصدار ما يراه ضروريا من أوامر وتعليمات ، انما ضمن اطار المهمة المكلف بهـا ، وعليه فانه في الوقت الذي حرم فيه الخليفة من أي نوع من صلاحيات التشريع منح ذلك للامير وتمتع به •

كان أبو بكر آخر من تولى خلافة النبي على الصلوات في مسجد المدينـة ، وعليه كان لقبه يوم لزم النبي الفراش ، بسبب مرضه ﷺ « خليفة رسول الله علـى الصلوات » ، أو اختصارا « خليفة رسول الله » لانه كان الخليفة الوحيد ، وكان عندما توفي النبي ، وبعد ما تسلم البيعة يوم السقيفة يحمل هذا اللقب ، ويعرف به ؛ واذا صح هذا ففيه تبيان لاصل لقب الخلافة ، وجواب للتساؤل •

هـذا ويلاحظ في الوقت نفسه أن الله تعالى ذكر الخلافـة في القرآن الكريم لخمسة نفر ، من الانبياء : لآدم ، ولداود ، ولهارون ، وللصحابة وللمؤمنين :

قال الله تعالى بشأن آدم : «واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة» [سورة البقرة ــ الاية : ٣] •

وقال مخاطبا داود : « يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق » [سورة ص ــ الاية : ٢٦] •

وقال تعالى بصدد هارون : « اخلفني في قومي واصلح » [سورة الاعراف ــ الاية : ١٤٢] •

وقال بصدد الصحابة : « وعـد الله الذين آمنوا منكـم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض » [سورة النور ــ الاية : ٥٥] •

وقال تعالى في المؤمنـين «ويجعلكم خلفاء الارض» [سورة النمل ــ الاية:٦٢]•

ويستفاد من مجمل هذه الايات أن الاستخلاف هنا هو اسناد الحكم أو السلطة، والخليفة من يخلف غيره ويقوم مقامه ، ولا يستبعد أن يكون أبو بكر قد أطلق على

نفسه اثر بيعته لقب خليفة رسول الله ، فقد روى ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب أن أبا بكر كان يقول : « أنا خليفة رسول الله ﷺ » ، وروى أيضا أن رجلا قال لابي بكر : « يا خليفة الله ، قال : لست بخليفة الله ، ولكنني خليفة رسول الله وأنا راض بذلك »[1] .

ومهما يكن الامر ، انه بتسلم أبي بكر لمقاليد الحكم أصبح منصب الخلافة منذ ذلك الحين رسميا وأساسيا في الحياة السياسية للامة الاسلامية ، بينما لم تكن له في البداية أي هوية واضحة المعالم والاسس .

وحاول أبو بكر في أول خطبة له بعد بيعته تحديد معالم منصبه الجديد ، منطلقا من مفهوم « الخلافة » اللغوي ، ومن قاعدة الاستخلاف على الصلاة ، أي أن الخليفة نائب ملتزم كل الالتزام بأوامر المنيب وأفعاله وشكل تصرفاته ، وظهر هذا في قوله : « انما أنا متبع ولست بمبتدع ، فان استقمت فتابعوني ، وان زغت فقوموني »[2] وظل أبو بكر يعرف طيلة حكمه بخليفة رسول الله ، لم يشعر بأدنى فارق بينه وبين أي واحد من المسلمين : أعطيته أعطية عادية ، ليس له قصر ولا حرس ولا مراسم ولا زي خاص ، يحكم من خلال قاعدة للشورى عريضة ، ومات أبو بكر والحالة على ما هي عليه من حيث الجوهر ، مع أن رقعة الدولة اتسعت اتساعا كبيرا فشملت أراضي كبيرة خارج شبه الجزيرة ، وتجمع للمسلمين جيوش جرارة على عدة جبهات ، وقام أبو بكر قبيل وفاته باستخلاف عمر بن الخطاب ، بعدما استشار معظم الصحابة ، وقبل الناس اثر وفاة أبي بكر بولاية عمر .

وكان عمر قد غدا منذ يوم اسلامه ثالث ثلاثة في سلم الزعامة لدى المسلمين وقد جاء في الاثر أن النبي ﷺ قال له : « أنت معي في الجنة ثالث ثلاثة من هذه الامة[3] » ، وقام الفاروق بأعباء الخلافة خير قيام ، وفي عصره تمت انجازات رائعة في جميع المجالات ، وكانت علاقته بجميع الصحابة سيما بعلي بن أبي طالب ممتازة،

---

(١) الاستيعاب : ٢/٢٤٦ . المسند الصحيح الحسن لابن مرزوق : ٩٤ ــ ٩٦ .
(٢) تخريج الدلالات السمعية للخزاعي : ٢٨ . الطبري : ٢/٢٢٤ .
(٣) الكامل في الضعفاء لابن عدي ــ مخطوطة الظاهرية : ص ٢٩٤ .

لعل أفضل شاهد عليها زواجه من أم كلثوم الكبرى ، احدى بنات علي من فاطمة الزهراء[١] .

لقد واجه عمر عددا من القضايا الجديدة والخطيرة في الوقت نفسه ، مما اضطره الى معالجتها في ضوء المصالح المرسلة للمسلمين وعلى أساس لا ضرر ولا ضرار وطبعا ضمن اطار الشريعة الاسلامية وبناء على استشارة الصحابة ، ومعالجته لهذه القضايا مثل : مسألة سواد العراق ، ونصارى تغلب[٢] ، والمؤلفة قلوبهم ، يعني ممارسته لشيء من الصلاحيات التشريعية ، فهو على هذا تصرف تصرف أمير الجيش ، هذا ويلاحظ أن الامة الاسلامية كانت أيام عمر مستنفرة بشكل كامل[٣]

ولعله لهذا تخلى عمر عن لقب خليفة واتخذ بدلا عنه لقب « أمير المؤمنين » وفي هذا التغيير مؤشرات تدل على تبدل جوهري في المفاهيم السياسية للدولة الاسلامية ، سيما وأن العرب المسلمين كانوا قد اختلطوا بشعوب كانت خاضعة لفارس وبيزنطة قبل خضوعها للعرب ، وتأثروا بها ، مع الاخذ بعين الاعتبار أن مركز الثقل السياسي والعسكري بدأ منذ أيام عمر بالتحول الى الامصار الجديدة خارج شبه الجزيرة،وأن هذه الامصار هيالتيستتولى القيادة الاسلاميةان عاجلا أو آجلا.

ومع امتداد الايام واتساع رقعة الدولة وبروز مشاكل جديدة أصبح الناس أكثر تقبلا لاعطاء الخليفة صلاحيات أوسع في التشريع ، ولا ريب أن أمير المؤمنين عمر كان متنبها لذلك سلبا وايجابا ، لذلك بحث عن قواعد تنظيمية جديدة للدولة[٤] وعن حل له صفة الديمومة لمسألة الخلافة .

لقد رأى عمر أن الخلافة حق محصور في قريش ولا يجوز لغير قريش ، ويبدو أنه أيضا رأى ـ حسب قاعدة قديمة ـ أن عشرة بيوت من قريش[٥] هي التي يجوز

---

(١) انساب الاشراف : ٢/١٨٩ ـ ١٩١ .
(٢) انظر خراج ابي يوسف : ٢٨ ـ ٤٧ .
(٣) انظر تاريخ الدولة العربية لفلهوزن : ٢٤ ـ ٢٦ .
(٤) انظر تاريخ المدينة لابن شبه : ٣/٨٠٥ ـ ٨٤١ .
(٥) انظر العقد الفريد لابن عبد ربه (كتاب اليتيمة في النسب وفضائل العرب) : ٢/٢٨٢ ـ ٢٠٤ .

اختيار الخلفاء منها ، ومثّل هذه البيوت أبرز الصحابة الذي عرفوا بالعشرة المبشرين بالجنة ، ثم انه رأى أن الخلافة لا يجوز تناوبها في البيت القرشي الواحد ، فاذا مات الخليفة لا يجوز أن يكون الخليفة الجديد من أهله وبيته ، حتى وان كان المرشح هو الافضل[1] ، وهنا يقتضي الحال اختيار المفضول مع وجود الافضل •

ويمكن أن نرى ملامح هذه الخطة وأسسها العامة في وصيته يوم طعن وفي قيام ما يعرف باسم « شورى الستة » فبعد ما توفي عمر اجتمع الباقون من الصحابة المبشرين بالجنة ، وكان أبرز المرشحين بينهم كل من : علي بن أبي طالب ، وعثمان ابن عفان ، وبعد جدل طويل تم اختيار عثمان بن عفان لمنصب الخلافة ، وأبعد علي عن زعامة الامة مع أنه كما وصفه عمر كان أحرى الصحابة « ان وليها أن يحملهم على كتاب الله وسنة نبيهم[2] » والامر المثير للانتباه هنا أن جل قوى المهاجرين والانصار من أهل المدينة أيدت اختيار عثمان ، وذلك على الرغم من أن عمر بن الخطاب قال : « والله لئن كان الامر اليه ليحملن بني أبي معيط على رقاب الناس ، والله لئن فعل لينهضن اليه فليقتلنه ، والله لئن فعل ليفعلن ، والله لئن فعل ليفعلن[3] » •

ولوحظ يوم انتخاب عثمان أن عددا من الرجال ، تجمعوا منذ أيام النبي ﷺ حول علي ، مما يوحي أن هذا التجمع شرع منذ ذلك الحين بالتحول الى شكل حزب للمعارضة ، وازداد أيام عثمان عدد أفراد هذا الحزب ، وعظم دورهم المعارض •

وتسلم عثمان الخلافة ، وكان آنئذ شيخا تقدمت به السن ، فيه طيبة نفس وكرم ، وثبات الى حد التشبث ، وحب واثره لآله من بني أمية ، ويمكن أن نقسم عهده الى قسمين : الاول كان حكمه فيه استمرارا طبيعيا لعصر عمر بن الخطاب ، والثاني هو عصره هو ، وكان هذا العصر من حيث الواقع نهاية للعصر الراشدي ، وبداية لعودة بني أمية مع الارستقراطية المكية الى زعامة العرب والدولة الجديدة ، كل ذلك على الرغم من الهزيمة التي حلت بهذه الارستقراطية يوم فتح مكة ، وشكلت عودة الارستقراطية الاموية بعد هزيمتها نكسة كبرى ، وضربة عظمى وطعنة نجلاء لثورة الاسلام ، ومن المثير للانتباه أن الامويين عندما فقدوا ــ في

---

(١) تاريخ المدينة : ٣/٨٧٩ ــ ٨٧، ٨•
(٢) تاريخ المدينة : ٣/٨٨٣ •
(٣) تاريخ المدبنة : ٣/٨٨١ ــ ٨٨٣ •

مستقبل الايام ــ الحكم ، فقدوه لصالح الاسرة العباسية ، الذين كان جدهم ينتمي الى الارستقراطية المكية ورجال المال والتجارة ، فقد أسلم العباس مع أبي سفيان في يوم واحد ومناسبة واحدة .

بدأ القسم الثاني من عصر عثمان حين واجهت الدولة بعض المشاكل الجديدة ؛ فأقدم عثمان على عزل ولاة عمر وعماله ، وعين بدلا عنهم جماعة من أقربائه من بني أمية على أمل التمكن من خلالهم من مواجهة القضايا الجديدة ومن ثم حلها بنجاعة. لكن الذي حدث هو أن الامويين تسلطوا بشكل صريح على مقاليد الامور في الدولة الجديدة المترامية الاطراف ، وقاموا تبعا لذلك بتجاوزات كبيرة ، لكن ــ والحق يقال ــ التجاوزات لم تقتصر عليهم ، فقد انطلق الصحابة كبارا وصغارا نحو البلاد المفتوحة، وبدأت الفتوحات تعطي ثمارها، وتكونت الثروات عن طريق الاستثمارات التجارية والزراعية والعقارية وغير ذلك[1] .

وقبل الحديث عن ردات الفعل لما وقع ، وقاد نحو أحداث ما يعرف باسم الفتنة الكبرى لا بد من الاشارة الى أن ما حدث لم يكن وليد عصر عثمان وهو لم يكن مسؤولا عن تفجيره ، بل والحق يقال : إنه حاول منع الانفجار وايجاد الحلول، لكن ذلك لم يكن ممكنا ، ويقتضي منا تبيان الحال العودة الى تاريخ مكة فيما قبل الاسلام ومسايرة الأحداث حتى خلافة عثمان :

حين تسرد مصادرنا أخبار مكة قديما ، تعتبر حادثة استيلاء قصي بن كلاب عليها ، واسكانه قبيلته من قريش فيها نقطة تحول عظمى في تاريخها وتاريخ العرب ، ويبدو أن قصي قد استولى عليها في النصف الثاني من القرن الخامس للميلاد[2] ، ونظم قصي شؤون مكة فأوجد فيها نوعا من الجمهوريات التي تحكم من قبل التجار، ومنذ أيام قصي أخذ القرشيون يمارسون التجارة بشكل نشط جدا،وكانت تجارتهم محلية وعالمية ، فقد كانت الاسواق تعقد منذ أول شوال من كل عام وتنتهي مع أول أيام الحج ، ورغبت هذه الاسواق الناس بزيارة مكة ، واستغلت عمليات الحج بشكل تجاري ، وكانت الاسواق مواسم للبيع والشراء والتبشير والدعاية وحل الخصومات واقامة التحالفات ، وانشاد القصائد ، ومكنت الاسواق مكة وسكانها

(١) ينصح القارىء بالعودة الى تاريخ المدينة لابن شبة ، وتاريخ صنعاء للرازي .
(٢) الروض الانف : ١/١٣٦ ــ ١٤٢ .

من قريش من السيطرة الاقتصادية على شمال شبه الجزيرة العربية ، وعقد رجال المال من قريش تحالفات مع زعماء قبائل ومناطق شبه الجزيرة ، وهو ما عرف باسم «الايلاف» وكان للمكيين رحلتان رئيستان كل عام واحدة من مكة الى اليمن والاخرى من مكة الى الشام ، وكانت القوافل المكية ضخمة جدا ، وغالبا ما مثلت المكيين جميعا ، وكان يقودها أكثر المكيين ثروة وبضاعة ، وبالتالي مكانة[1] ، ذلك أن من ملك المال ملك السلطة .

ويحكى بأن قصي بن كلاب أسكن عشائر قريش وسواهم في مكة بشكل كان يتماشى مع الثروة ، فقد اعتبر الكعبة قلب (بطحاء) المدينة ، وهنا أسكن آله ، ثم أسكن خلفهم بقية عشائر قريش ، وسكن في أطراف المدينة الاجراء والفقراء الذين تجمعوا من كل مكان وعرفوا بالأحابيش ، وعلى هذا فان مكة وان لم تعرف الطبقات الاجتماعية ، قد عرفت الطوائف الاجتماعية والعشائر التي ارتبطت مكانه كل منها بثروتها ، وعدد رجالها .

ويستخلص من كتب الاخبار أن ثلاثة من الذكور من أولاد قصي قد عاشوا وهم : عبد الدار ، وعبد مناف ، وعبد العزى ، وكان عبد الدار أسنهم ، وعبد مناف أبرزهم وأكثرهم ثروة ، وقام قصي بتوريث وظائفه في مكة لولده عبد الدار ، وبعد وفاة قصي بفترة نازع آل عبد مناف آل عبد الدار السيادة على مكة ، وانشقت قريش الى قسمين واحد أيد آل عبد مناف ودعي باسم حلف المطيبين ، وقسم ثان أيد آل عبد الدار وعرف باسم حلف لعقة الدم أو حلف الاحلاف ، وكادت الحرب تقع بين الحلفين لولا توسط بعض الزعامات بينهما ، وتمت تسوية تقاسم بها زعماء الحلفين وظائف السيادة في مكة وهي : السقاية والرفادة ، والحجابة واللواء .

لكن هذه التسوية لم تنه الصراع الداخلي في مكة ، فلقد ازدادت مع الايام ثروة آل عبد شمس بن عبد مناف وازداد شرههم وطغيانهم مما سبب انشقاقا في حلف المطيبين حيث طرد منه آل عبد شمس وأصحاب الاموال من قريش ، وصنع حلف جديد دعي باسم حلف الفضول قوامه : بنو هاشم بن عبد مناف وعشيرة تيم بزعامة عبد الله بن جدعان ، وكان النبي ﷺ ممن شهد عقد هذا الحلف ، وكان لمناقشاته

---

(١) الاصنام : ٢٨ ــ ٣٠ . المحبر : ١٦٢ ، ١٦٤ ، ٢٦٣ ــ ٢٦٨ ، ٣١٥ ــ ٣١٨ . الازرقي : ١/١١٢ ــ ١١٣ . ابن هشام : ١/٧٦ ــ ٨٨ .

أن يعز الاسلام بأحد العمرين : عمر بن الخطاب العدوي ، وعمر بن هشام المخزومي، لقيام ثورة الاسلام الاصلاحية ، وقال النبي محمد يذكر هذا الحلف : « لقد شهدت وقراراته أبعد الاثر على نفسه ، ويعتبر قيام هذا الحلف احدى المقدمات المباشرة لقيام ثورة الاسلام الاصلاحية، وقال النبي محمد ﷺ يذكر هذا الحلف :« لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي بـه حمر النعم ، ولو ادعى بـه في الاسلام لأجبت » وهكذا استمر هذا الحلف سببا ونتيجة مؤثرا اني أبعد الحدود في صنع التاريخ الاسلامي ، وقد رد آل عبد شمس على هذا الحلف بانشاء حلف ضمهم مع بني مخزوم وبني عدي[1] .

وعندما قام الاسلام كان أول المؤمنين به أبو بكر الصديق ، وكان من تيم ، وهكذا تمتع بالمكانة الثانية في سلم الزعامة الاسلامية ، وكان دائما « ثاني اثنين » وفي أثناء الدعوة الى الاسلام في مكة ركز النبي جهوده على تدمير حلف بني أمية ، ودعا ربه أن يعز الاسلام بأحد العمرين : عمر بن الخطاب العدوي،وعمرو بن هشام المخزومي، وأعزه الله بعمر بن الخطاب ، الذي عُد اسلامه فتحا من الفتوح ، وغدا عمر منذ ساعة ايمانه ثالث ثلاثة في سلم الزعامة الاسلامية ، لهذا كان من المنطقي أن يلي الصديق زعامة الامة بعد النبي ثم أن يخلفه عمر بن الخطاب ، وأن تعود الامور سيرتها الاولى بعد ابن الخطاب .

وتتابع عرضنا للاوضاع في مكة والدعوة الاسلامية فيها فنلاحظ أنه عندمـا كانت الدعوة في البداية دينية محضة لم تلاق معارضة منظمة من قريش ، لعدم وجود كهنة ورجال دين في مجتمع مكة ، لكن عندما شرع النبي ﷺ ينادي باصلاحاتـه الاجتماعية ، وهاجم أصحاب المال والمرابين ، ثارت ثائرة زعامة قريش ، وأخـذت تضطهده وتعذب كل من آمن به ، وبقدر المعارضة وشدتهـا كانت حملات النبي وردات فعله ، فهذا عمه أبو لهب المرابي الكبير الذي أوقف نفسه وزوجته على تأليب الناس عليه ، وافساد عمله ، نزلت اللعنة الربانية عليهما بقوله تعالى : « تبت يـدا أبي لهب وتب • ما أغنى عنه ماله وما كسب • سيصلى نارا ذات لهب • وامرأتـه حمالة الحطب • في جيدها حبل من مسد » [المسد : ١ ــ ٥] وعندما تعرض للنبي زعيم آخـر من الاثرياء هو الوليد بن المغيرة المخزومي واتهمه بالسحر نزل بـه : « ذرني ومن خلقت وحيدا • وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا

---

(١) المحبر : ١٦٦ ــ ١٦٧ . ابن هشام : ١/٦٥ ــ ٦٨ .

ثم يطمع أن أزيد • كلا انه كان لآياتنا عنيدا • سأرهقه صعودا • انه فكر وقدر • فقتل كيف قدر • ثم قتل كيف قدر • ثم نظر • ثم عبس وبسر • سأصليه سقر • وما أدراك ما سقر • لا تبقي ولا تذر • لواحة للبشر » [المدثر : ١١ ـ ٢٩] ، ونزل به :« ويل لكل همزة لمزة الذي جمع مالا وعدده • يحسب أن ماله أخلده • كلا لينبذن في الحطمة • وما أدراك ما الحطمة • نار الله الموقدة » [الهمزة : ١ ـ ٦]، وأعلن النبي ﷺ حربا لا هوادة فيها على الذين ألهاهم التكاثر ، فتهافتوا على حطام الدنيا ، وتكالبوا على جمع المال بمختلف الوسائل ، فقال مخاطبا اياهم : « كلا بل لا تكرمون اليتيم • ولا تحضون على طعام المسكين • وتأكلون التراث أكلا لمـا • وتحبون المال حبا جما » وتوعد طبقة التجار والمرابين نارا محرقة ووعدهم بعذاب دائم لانهم كانوا : « اذا اكتالوا على الناس يستوفون • واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون » [المطففون : ٢ ـ ٣] •••

واتصل النبي ﷺ بقبائل شبه الجزيرة وعرض عليها دينه، وتابع نضاله حتى تمكن من الهجرة الى المدينة ، وبهجرته بدأت مرحلة جديدة(*) هامة في تاريخ العرب والاسلام •

لقد طويت بالهجرة صفحة الصراعات الداخلية على الزعامة في مكة بين بني هاشم وبني أمية بن عبد شمس ، وخلصت الزعامة فيها لابي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، وترسخت هذه الزعامة وتأصلت بين قبائل شبه جزيرة العرب أثناء الحروب ضد المدينة ، فصار أبو سفيان سيد أهل الجاهلية بلا منازع ، وازداد تعداد الامويين وعظمت ثرواتهم وخبراتهم السياسية والادارية والحربية ، وصحيح أن الحرب ضد المدينة قد انتهت بهزيمة أبي سفيان والارستقراطية المكية والعربية يوم فتح مكة ، لكن الهزيمة شيء والسحق والدمار شيء آخر ، فالذي حدث أن الارستقراطية قد تخلت عن الوثنية ودخلت الى الاسلام حيث وجدت فوائد أعظم ، وتواءم هذا مع اتساع رقعة دولة المدينة وحاجتها الى ذوي الكفاءة لاستخدامهم

* لم يتوقف الصراع الاجتماعي والاقتصادي بعد الهجرة بل استمر ، وتجلى بالصراع ضد يهود المدينة الذين كانوا يملكون معظم الاراضي وبيدهم الحرف والتجارات ، وبمحاولة تحطيم مكة اقتصاديا عن طريق ايقاف حركة القوافل منها واليها ، وتحويل هذه الحركة الى المدينة ، ومع الايام أمكن اجلاء اليهود من المدينة فصارت اراضيهم للمسلمين من مهاجرين وأنصار ، ونشطت التجارة في أسواق المدينة حتى كادت هذه الاسواق ان تحل محل أسواق مكة واطرافها .

عمالا وقادة ، وهكذا تولى رجالات بني أمية والارستقراطية أكبر المناصب وأهمها اداريا وسياسيا وعسكريا ، وكانوا يدركون أن مآل الامور اليهم لا محالة ، فقد قال أبو سفيان يوما لابنه معاوية حينما كان يلي الشام لعمر بن الخطاب : « ان هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقوا وتأخرنا ، فرفعهم سبقهم ، وقصّر بنا تخلفنا ، وصاروا قادة وصرنا أتباعا ، وقد ولوكم جسيما من أمرهم فلا تخالفوهم ، وانك تجري الى أمد لم تبلغه وستبلغه »[1] :

في يوم السقيفة طرح اقتراح لايجاد صيغة للتعاون بين الانصار والمهاجرين لادارة الدولة الناشئة ، لكن لم يلق الاستجابة ، وانتصرت مقولة فيها « الائمة من قريش » فمع بيعة السقيفة أقر مبدأ : « الحكم في الاسلام وقف على قريش ومحصورا بها » ، وفي أيام عمر تطور هذا المبدأ من قريش عامة الى أسر المبشرين بالجنة ، وكانوا عشرة ، لكن عندما توفي عمر كانوا قد أصبحوا ستة ، وخلال مناقشات شورى الستة تطور المبدأ ، أو بالحري عادت الامور سيرتها الاولى ، فانحصر الحكم بآل عبد مناف بن قصي ، وقام صراع بين أسرتين من آل عبد مناف على السلطة ، هما : بنو أمية ، وبنو هاشم ، ولم يتبدل هذا الحال طوال تاريخ الاسلام المديد، وحين اختير عثمان للخلافة جرت نقلة نوعية بالنسبة لاحتكار السلطة، حيث رست الامور بأيدي بني أمية ، ووقف بنو هاشم على رأس المعارضة ، وأسفر الصراع المرير ، بعد الفتنة الكبرى ومعارك الحروب الاهلية عن انتصار معاوية بن أبي سفيان ، وتأسيس حكم الاسرة الاموية ، ولقد حاولت بعض الاسر القرشية دخول حلبة الصراع ، فخرجت منه مهزومة بشكل قاطع ، كما حدث لعائشة وطلحة والزبير في معركة الجمل ولابن الزبير فيما بعد .

ان هذا الايجاز يحتاج الى بعض التفصيل ، وسنحاول ذلك ، انما مع التركيز والالحاح على العوامل الاقتصادية والاجتماعية ، ذلك أن الحدث السياسي هو غالبا محصلة لاسباب اقتصادية واجتماعية ، والسبب أهم من المحصلة لانه صانع لها :

روى ابن الاعثم الكوفي في فتوحاته : « أنه لما صار الامر الى عثمان بن عفان ، واجتمع اليه الناس ، وأرسل الى عمال عمر بن الخطاب ، فأقرهم على أعمالهم التي هم

(١) انساب الاشراف : ٢/١/٨ ـ ١٠ .

عليها مدة يسيرة من ولايته ، ثم انه بعث اليهم فعزلهم عن الاعمال ، وجعل يقدم أهل بيته وبني عمه من بني أمية فولاهم الولايات ••• ودرت عليه الاموال ••• ثم كثر المال عليه ، فكان كلما اجتمع عنده شيء من ذلك يفرقه في الناس ، ويزيدهم في العطاء ، حتى كان يأمر للرجل الواحد بمائة ألف درهم ، ثم قدم عليه عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص من أمية فوصله بثلاثمائة ألف درهم ، ثم بعث الى الحكم بن أبي العاص فرده الى المدينة ، وهو طريد رسول الله ﷺ ، ثم وصله بمائة ألف درهم من بيت مال المسلمين ، وجعل له خمس إفريقية ، وجعل ابنه الحارث بن الحكم على سوق المدينة ووصل ابنه مروان بمال جليل ، قال : فكبر ذلك على أصحاب النبي ﷺ ، وكرهوا ذلك من فعله »، وأثيرت هذه المسائل مع الخليفة عثمان، فقام بعد مداولات طويلة خطيبا في المسلمين ، وكان مما قاله : « وقد بلغني أن قوما منكم يقولون : لو أن أمير المؤمنين فرق هذا المال في المقاتلة والذرية الذين في الامصار لكان ذلك أعود عليه وعلينا ، وأقرب له الى الله عز وجل ، وقد قبلت ذلك منكم ، وأنا باعث الى كل مصر أن تقسم أمواله بين أهله بالسوية ان شاء الله تعالى، فان فضل لنا شيء صرفناه في نوائبنا التي تنزل بنا ، ونجعله في ضعفاء العرب ومساكينهم وأيتامهم وأراملهم » •

ولم تطل حياة هذا الاجراء ، وعادت التجاوزات من جديد ، وتحرك الصحابة في المدينة ، وتحرك أبو ذر في الشام وحدثت تحركات في العراق ومصر ، مما دفع عثمان الى استدعاء ولاة الامصار الى مؤتمر عقد برئاسته ، وفي المؤتمر « أقبل [عثمان] عليهم فقال » : « يا بني أمية أنتم باطنتي دون ظاهرتي » انه قد كثرت شكايات الناس منكم ، فأما القريب فقد بادهني ، وأما البعيد فما يألوا جهدا فماذا عندكم من الرأي ؟•

قال : فتكلم عبد الله بن عامر بن كريز [والي البصرة] وقال : يا أمير المؤمنين انه ليس يرضي الناس عنك الا ما أسخطهم عليك ، فان الناس انما نقموا عليك لاجل هذا المال ، فأعطهم اياه حتى يرضوا به عنك ، ولا يشكوك أحد بعد ذلك •

قال : ثم تكلم عبد الله بن سعد بن أبي سرح [والي مصر] فقال : يا أمير المؤمنين ان لك على الناس حقا في كتاب الله ، ولهم عليك مثل ذلك ، فادفع اليهم حقوقهم ، واستوف منهم حقك ، فانه قد ولي أمر هذه الامة من قبلك رجلان

فاضلان : أبو بكر وعمر ، فسارا بسيرة فسر بسيرتهما ، واستن بسنتهما واعمل بعملهما يرض الناس عنك ، ولا يشكوك أحد .

قال : ثم تكلم سعيد بن العاص [والي الكوفة] فقال : لا والله يا أمير المؤمنين ما دعا الناس أن تقسوا عليك الا الحمام والفراغ من الحروب ، وذلك أن العرب اليوم جلست في المحافل ، وتحدثت بالاحاديث ، فاشغل العرب بالغزو ، وقاتل بهم العدو ، حتى لا يرجع أحدهم ، اذا رجع ، الى منزله وقد أهمته نفسه ، ولا يتفرغ لعيب الامراء .

قال : ثم تكلم معاوية ، فقال : يا أمير المؤمنين انك قد جمعتنا ، وذكرت أنه قد كثرت الشكايات منا ، وأنت قد ملكتنا رقاب الناس ، وجعلتنا أوتادا في الارض ، فخذ كل واحد منا بما يليه من عمله حتى يكفيك ما قبله ، ولا يكون ها هنا شكاية أحد ، ولا ينقم أحد عليك .

قال : فعلم عثمان أن الرأي ما قال معاوية ، فعزم أن يرد عماله الى بلادهم وأعمالهم »[1] ، وعليه أخفق المؤتمر في التوصل الى حل مناسب لاسباب الشكوى ، ولذلك لم يلبث أن تفجر الوضع في كل مكان في الشام والكوفة ومصر :

ظهرت المعارضة في الشام مع أبي ذر ، وكان عثمان قد بعثه الى الشام ، فلما قدم الى دمشق « قدم رجل حديث العهد برسول الله ﷺ ، فأخذ بقلوب الناس ، فأبكى عيونهم ، وأوغر صدورهم ، وكان فيما يقول : لا يبقين في بيت أحد منكم دينار ولا درهم ولا تبر ولا فضة الا شيء ينفقه في سبيل الله أو يعده لغريم ، فأنكر معاوية الناس ، فبعث اليه معاوية في جنح الليل بألف دينار،أراد أن يخالف فعله قوله، وسريرته علانيته،فلما جاء الرسول قسم الالف فلم يصبح عنده منها دينار ولا درهم» فعلم معاوية أن فعله يصدق قوله ، وسريرته تصدق علانيته » .

ونشط أبو ذر ، وكان يأتي المسجد فيتحلق حوله الناس ويسألونه أن يحدثهم عن رسول الله ، فكان يبدأ حديثه بقوله تعالى : « ألهاكم التكاثر » ثم يستطرد فيقول : « سمعت النبي ﷺ يقول : في الابل صدقتها والبقر صدقتها ، والغنم

(١) تاريخ المدينة لابن شبة : ١٠٩٥ ـ ١٠٩٦ . فتوح ابن الاعثم [مخطوطة استانبول]: ١/١ ـ ١٠ .

صدقتها ، وفي البر صدقته ، ومن جمع دنانير أو دراهم أو تبر ذهب ، أو تبر فضة لا ينفقه في سبل الله ولا يعده لغريم فهو كنز يكوى به يوم القيامة » ثم يتبع ذلك بتلاوة قوله تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله » [التوبة : ٣٤] •

وحاول معاوية اسكاته فأخفق ، فكتب الى عثمان يقول : « ان كان لك بالشام حاجة فأخرج أبا ذر منه ، فانه قد [أفسد] الناس عندي » فاستدعاه عثمان الى المدينة ، وبعد مواجهة حامية بينه وبين عثمان نفاه الى الربذة حيث توفي هناك(١) •

واستطاع معاوية أن يضبط الامور بالشام لان معظم القبائل التي اعتمد عليها، ــ وكانت تقطن في جنوب الشام ــ كانت من أصل يماني ، وكانت موجودة في الشام منذ ما قبل الاسلام ؛ لكن الوضع لم يمكن ضبطه في الكوفة وهناك حدث انفجار قاد نحو وقائع الفتنة الكبرى ومقتل عثمان •

ولكن لماذا حدث الانفجار في الكوفة ، ومن ثم ارتبط تاريخ هذه المدينة بأهم حركات المعارضة ، خاصة الشيعة منها ؟

الكوفة مدينة أنشئت أيام عمر أثناء فتوحات العراق ، وسكنها في البداية الفاتحون الاوائل ، ثم ما لبث أن لحق بهم مهاجرون جدد من شبه الجزيرة وقدم اليها الكثيرون من أهل الردة ، لذلك لم يعرف مجتمعها الاستقرار ، وكانت هنالك دائما أسباب للشكوى والثورة •

قد يكون هذا من الاسباب الهامة لكن علينا أن نضيف اليه عوامل أخرى ارتبطت بموارد أهل الكوفة المحلية في العراق،وغير المحلية فيالجزيرة وجبهة الكوفة•

كانت أرض الجزيرة عبر التاريخ مسرحا للصراع بين الدول والامبراطوريات التي قامت في شرقي الفرات ، وبين دول الشام أو الامبراطوريات التي تحكمت بهذه البلاد، فقد شهدت أرض الجزيرة حروب الاسكندر المقدوني ضد الفرس ،والحروب الفارسية الرومانية ، والايام بين الغساسنة والمناذرة ، والمعارك الساسانية البيزنطية التي كان آخرها معركة نينوى سنة ٦٢٧ م التي ربحها الامبراطور هرقل •

---

(١) تاريخ المدينة : ١٠٣٤ ــ ١٠٣٨ . وانظر مادة أبي ذر في كتابي مائة أوائل من تراثنا.

وكان العرب الفاتحون للشام والعراق ، قد عسكروا اثر كل من معركتي اليرموك والقادسية في كل من الجابية [في أحواز بلدة نوى في حوران ـ سورية] وفي البصرة المؤسسة حديثا في العراق ، واثر مؤتمر الجابية الذي حضره عمر بن الخطاب سنة ١٧ هـ/٦٣٨ م قام هذا الخليفة العبقري بادخال تعديلات أساسية على استراتيجية الفتوح والادارة عند العرب ، فألغى جيش شرحبيل بن حسنة الشامي ، وأذن بتأسيس معسكر جديد في العراق هو الكوفة ، وأوجد اقليم الجزيرة ليكون واصلا فاصلا بين اقليمي الشام والعراق المتنازعين أبدا ، وألحق هذا الاقليم بالكوفة وذلك عندما عهد الى جنده بخراج وموارد وفتح الاقاليم الواقعة خلف أراضي الجزيرة بدءا من أرمينية الصغرى (أو الدنيا) ، مثلما عهد الى جند البصرة بشؤون فتح خراسان والمشرق ، والى جند الجابية ببلاد الامبراطور البيزنطية في الشمال ، وعهد بالوقت نفسه الى جيش عمرو بن العاص ، بعد انجاز فتح القدس ، بالتوجه الى مصر ، حيث سيقوم بتأسيس معسكر الفسطاط بعد فتحه لارض الكنانة[1] .

وحدث في خلافة عثمان أنه أقدم أولا على افراد ولاية الشام لمعاوية بن أبي سفيان ، ثم ألحق به ولاية الجزيرة ، وعارض أهل الكوفة هذا الاجراء ، ووجدت لديهم أسباب أخرى للشكوى تجمعت فظهرت أولا على شكل نقد لادارة عثمان ، ثم ما لبث أن ارتدت دثار العنف ، فقد اجتمع عدد من زعماء قبائل الكوفة وتدارسوا الاوضاع وأسباب الشكوى وقرروا اثر ذلك كتابة كتاب الى عثمان جاء فيه : « أما بعد : فاننا كتبنا اليك هذا الكتاب نصيحة لك واعتذارا وشفقة على هذه الامة من الفرقة ، وقد خشينا أن تكون خلقت لها فتنة ، وأن لك ناصرا ظالما وناقما عليك مظلوما ، فمتى نقم عليك الناقم ونصرك الظالم ، اختلفت الكلمتان ، وتباين الفريقان ، وحدثت أمور متفاقمة أنت جنيتها بأحداثك يا عثمان ، فاتق الله والزم سنة الصالحين من قبلك ، وانزع عن ضرب قرابتنا ونفي صلحائنا وقسم فيئنا بين أشرارنا ، والاستبدال عنا ، واتخاذك بطانة من الطلقاء وأبناء الطلقاء دوننا ، فأنت أميرنا ما أطعت الله واتبعت ما في كتابه ، وأنبت اليه ، وأحييت أهله ، وجانبت الشر وأهله ، وكنت للضعفاء ، ورددت من نفيت منا ، وكان القريب والبعيد عندك في الحق سواء ،

---

(١) تاريخ المدينة : ٨٢١ ـ ٨٣٧ . كتابي تاريخ العرب والاسلام : ٧٢ ـ ٨٨ .

فقد قضينا ما علينا من النصيحة لك ، وقد بقي ما عليك من الحق ، فان تبت من هذه الافاعيل نكون لك على الحق أنصارا وأعوانا ، والا فلا تلم الا نفسك فانا لن نصالحك على البدعة ، وتترك السنة ، ولن نجد عند الله عذرا ان تركنا أمره لطاعتك ، ولن نعصي الله فيما يرضيك ، هو أعز في أنفسنا وأجل من ذلك ، نشهد الله على ذلك ، وكفى بالله شهيدا ، ونستعينه وكفى بالله ظهيرا ، راجع الله بك طاعته يعصمك بتقواه من معصيته[1] .

وكتب أحد الكوفيين الى عثمان يقول أيضا : « أما بعد : فاني نذير لك من الفتنة متخوف عليك فراق هذه الامة ، وذلك أنك قد نفيت خيارهم ووليت أشرارهم وقسمت فيئهم في عدوهم واستأثرت بفضلهم ، ومزقت كتابهم وحميت قطر السماء ونبت الارض ، وحملت بني أبيك على رقاب الناس حتى قد أوغرت صدورهم واخترت عداوتهم ، ولعمري لئن فعلت ذلك بنا ، فانك تعلم أنك اذ فعلت ذلك وتكرمت فانما تفعله من فيئنا وبلادنا والله حسيبك يحكم بيننا وبينك[2] » .

ووصلت الرسائل الى عثمان ، فكان رده عليها غاضبا حيث جرد الرسل من ثيابهم وأمر بضربهم بشكل موجع ، وأغضبت هذه التصرفات الصحابة من أهل المدينة ، فاجتمع نفر منهم تدارسوا الوضع « ثم انهم كتبوا كتابا ذكروا فيه كل حدث أحدثه عثمان منذ يوم ولي الخلافة الى ذلك اليوم ، ثم انهم خوفوه في الكتاب، وأعلموه ان لم ينزع عما هو عليه خلعوه واستبدلوا بـه غيره » وحمل الكتاب ، عمار بن ياسر وانطلق به ليبلغه الى عثمان ، ودفع عمار الكتاب الى عثمان « فنظر فيه حتى قرأ سطرا منه ، ثم غضب ورمى به من يده ، فقال له عمار لا ترم بالكتاب ، وانظر فيه حسنا ، فانه كتاب أصحاب رسول الله ﷺ ، وأنا والله ناصح لك ، فقال له عثمان : كذبت يا بن سمية ، فقال عمار : أنا والله ابن سمية وابن ياسر ، قال : فأمر عثمان غلمانه فضربوه ضربا شديدا حتى وقع لجنبه ، ثم تقدم اليه عثمان فوطىء بطنه ومذاكيره حتى غشي عليه وأصابه الفتق ، فسقط لما بـه ، لا يعقل من أمره شيئا[3] .

---

(١) فتوح ابن الاعثم الكوفي : ١/١٠ ـ ظ .
(٢) فتوح ابن الاعثم الكوفي : ١/١١ ـ و .
(٣) الفتوح : ١/٣ ـ و .

وعم الغضب أرجاء المدينة ، وأعانه الجميع وشارك في نقد عثمان والتحريض عليه حتى أن السيدة عائشة كانت تخرج على الناس وبيدها قميص رسول الله ﷺ وتخاطبهم : « هذا قميص رسول الله لم يبل بعد ، وقد بليت سنته على يد عثمان ، اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا[1] » .

وجرت بعض المحاولات لتدارك الامور ، والحيلولة دون الانفجار العام لكن بدون فائدة ، وثارت الكوفة وتمردت على واليها المعين واستبدلته بوال جديد ، ويروي لنا ابن الاعثم الكوفي قصة البدايات بقوله : « بينا سعيد بن العاص ذات يوم في مسجد الكوفة وقت صلاة العصر وعنده أهل الكوفة ، اذ تكلم حسان بن مجروح الذهلي فقال : والله ان سهلنا لخير من جبلنا ، فقال عدي بن حاتم : أجل السهل أكثر براً وخصبا وخيرا ، فقال الاشتر : وغير هذا أيضا ، السهل أنهاره مطردة ونخله باسقات ، وما من فاكهة ينبتها الجبل الا والسهل ينبتها ، والجبل خون وعر ، يحفي الحافر ، وصخره يعمي البصر ، ويحبس عن السفر ، وبلدتنا هذه لا نرى فيها ثلجا ولا قراً شديداً .

قال : فقال عبد الرحمن بن خنيس — صاحب شرطة سعيد بن العاص — : هو لعمري كما تذكرون ولوددت أنه كان للامير ، ولكم أفضل منه ،فقال له الاشتر : يا هذا يجب عليك أن تتمنى للامير أفضل منه ، ولا تتمنى له أموالنا ، فما أقدرك أن تتقرب اليه بغير هذا؟! فقال عبد الرحمن بن خنيس: وما يضرك من ذلك يا أشتر، فوالله ان شاء الامير لكان هذا كله له ، فقال له الاشتر : كذبت والله يا بن خنيس ، والله لو رام ذلك لما قدر عليه ، ولو رمته أنت لفزعت دونه فزعا يذل ويخشع .

قال : فغضب سعيد بن العاص من ذلك ، ثم قال : لا تغضب يا أشتر ، فانما السواد كله لقريش ، فما نشاء منه أخذنا ، وما نشاء تركنا ، ولو أن رجلا قدم فيه رجلا لم ترجع اليه ، أو قدم فيه يداً لقطعتها ، فقال له الاشتر : أنت تقول هذا أم غيرك ؟ فقال سعيد بن العاص : لا بل أنا أقوله ، فقال الاشتر : أتريد أن تجعل مراكز رماحنا وما أفاء الله علينا بأسيافنا بستانا لك ولقومك ، والله ما يصيبك من العراق الا كل ما يصيب رجل من المسلمين » .

---

(١) تاريخ العرب والاسلام : ٩٥ — ١١ .

وقاد هذا الحادث الى الشجار ، وتحول الشجار الى بدايات ثورة تتوجت بحصار عثمان في داره في المدينة ثم بقتله على يد الثوار[1] .

لقد كان كل من الأشتر وسعيد بن العاص منسجما مع نفسه غير متناقض ، فالاشتر كان زعيما قبليا ، وكان العرب قبل الاسلام مشكلين من مجموعة من القبائل، كل منها كانت تشكل وحدة سكانية متميزة اجتماعيا واقتصاديا ودينيا وسياسيا ، وكانت القبيلة في الحقيقة أشبه بالامة ، لها شخصيتها وهويتها وأعرافها وسياستها الخاصة والعامة ، تأخذ بمبدأ المسؤولية الجماعية ، ومشاعية الملكية ، حق المواطنة فيها محددة أسسه ، تقبل بين صفوفها مواطنين من سواها يعيشون في وضع خاص ، وتحرم من حق المواطنة فيها من خرج على قواعدها ، تقيم الاحلاف مع من تتواءم مصالحها ومصالحه ، وتحارب من يعتدي عليها ويهدد مصالحها ، تختار لزعامتها من يدافع عنها ويقاتل في سبيلها ، وتكلف شاعرها أن يكون « صوت الإعلام » فيها .

وعندما جاء الاسلام سعى نحو انشاء أمة واحدة من مجموعات القبائل ، وأراد أن يجعل رباط العقيدة أداة توحيد تحل محل صيغة الاحلاف القائمة على المصالح ، لقد أراد الاسلام أن يربط بين جميع القبائل أفقيا عن طريق العقيدة ، وهكذا جعل المؤمنين اخوانا بالعقيدة ، وبما أن العقيدة الاسلامية لم تميز بين العمل الدنيوي والديني فان أخوة العقيدة شملت جميع مصالح الحياة وغطتها .

وعندما قامت حركة الفتوحات الكبرى أراد رجالات القبائل توزيع الاراضي المفتوحة عليها ، لكن عمر بن الخطاب آثر لاسباب كثيرة مسوغة عدم توزيع الاراضي — وهو ما عرف باسم مسألة سواد العراق — وابقائها وقفا على مصالح الامة وملكا لها ، انما الذي حدث هو أن الامة كانت قد قبلت بزعامة قريش ، وغدت مع الايام قريش تمتلك — كما أوضحنا من قبل — كل شيء وتحتكره ، وتواءم هذا الاحتكار وتداخل منذ أيام عثمان مع المفهوم الشرقي القديم في امتلاك الدولة لكل شيء ، ولذلك اعتبر سعيد بن العاص السواد بستان قريش .

---

(1) فتوح ابن الاعثم : ١/٧ — ٨ . تاريخ خليفة : ١/١٨١ — ١٩٣ . تاريخ المدينة : ١٠٣٨ — ١١٩٥ . الطبري : ٤/٣٣٠ — ٤٢٦ . الاخبار الطوال : ١٣٩ — ١٤٠ . اليعقوبي : ٢/١٧٢ — ١٧٧ .

ولم يكن مثل هذا التحول الخطير ليمر بسلام أبدا ، فقـد قامت الثورة في الامصار ، سيما في الكوفة ، وكانت ثورة ذات أهداف ومبادىء ، ولكنها مع ذلك وقعت في شرك الزعامة ، فكان هنا مقتلها .

ليس بودي عرض ما حدث في المدينة حتى مقتل عثمان ، ويكفي القول أن الثورة فتشت عن زعامـة قرشية لقيادتها ، فوجدت ضالتها في علي بن أبي طالب ، وهكذا وجد علي نفسه متورطا بالوقائع الى حد الاتهام بالتحريض على عثمان ، وبعد مقتل عثمان جرى اختيار علي خليفة جديدا .

لم يكن علي حين ولي الخلافة فقيرا ، يعاني من أية ضائقة اقتصادية ، كما كان لا يشعر بالحرمان واغتصاب حقوقه وممتلكاته ، وكانت التركة التي ورثها اثر توليه الخلافة ثقيلة جدا ، فقد وجد نفسه أمام عدد لا يحصى من المشاكل ، وعلى رأس جماعة من الثوار ، جاؤوا من بلد لم يزره قط من قبل ، وقادوا ثورة لم يخطط لها أبدا ، ولم يكن لا هو ولا واحد من الذين تحلقوا حوله في المدينة من المشاركين في تفجيرها ووضع مبادئها بشكل مباشر[1] .

وحين جاء اختيار علي للخلافة ، لاحظ أن غالبية أهل المدينة مع أكثر أهـل الحجاز ليسوا معه ، بل هواهم مع عائشة أم المؤمنين والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله ، وعندما توجهت نحو البصرة ، ترك هو الحجاز وذهب الى الكوفة .

عندما حدث هذا ، كانت شبه الجزيرة قد فقدت مكانتها المؤثرة في الاحداث ، وتجمعت قوى العرب العسكريـة في ثلاثة معسكرات رئيسة هـي : الكوفـة ، والبصرة والجابية ، وكان كل معسكر من هذه المعسكرات لديه مطامع للاستيلاء على مقاليد السلطة في العالم الاسلامي ، أو على الاقل الانفراد بالاراضي التابعة ـ كل ـ لمصره على حدة .

كـان معسكر الشام في الجابية أكثر المعسكرات تماسكا وأقلهـا تناقضات ومشاكل ، وكان على رأسه معاوية بن أبي سفيان منذ سنين طويلة ، لذا ليس من المغالاة القول ان معاوية بن أبي سفيان هو المؤسس الفعلي لمعسكر الشام ، وسيده، وكان معاوية ابن سيد أهل الجاهلية يطمح أن يغدو سيد أهل الاسلام .

---

(١) مصادر الحاشية السابقة .

وكان معسكر الكوفة أقل المعسكرات الثلاثة تماسكا، فقد كان في طور النشوء وبناء القواعد، لقد كان بالكوفة طوائف من مختلف القبائل العربية من الذين هاجروا قديما ، مع مهاجرين جدد ، والى جانب العرب كانت هنالك فئات وطوائف من سكان العراق المحليين ، مع أعداد كبيرة من أهل الاقاليم المفتوحة من ايران وخراسان ، وعليه يمكن تشبيه مجتمع الكوفة ببركان عنيف ، دائم الجيشان يقذف بحممه في كل اتجاه .

وكان معسكر البصرة يشبه معسكر الكوفة الى حد ما ، لكن استقراره الاجتماعي وتماسكه كان أفضل،وكان حجمه أدنى،وبالتالي كانت مشاكله أقل حدة.

وبعد ما وصل علي الى الكوفة جرت محاولات للحوار بين معسكره ومعسكر عائشة ، باءت كلها بالاحباط ، وآلت الامور الى الصدام المسلح في معركة الجمل ، حيث انتصر علي وأسرت عائشة ، وقتل كل من الزبير وطلحة .

لقد دخل معسكر الكوفة معركة الجمل ــ أول معارك المسلمين الاهلية ــ شبه موحد الاهداف ، وعندما خرج منها منتصرا صار سيدا للسياسة في غالبية بقاع دار الاسلام ، وهنا كانت بداية مشاكله ، فقد كان سهلا على هذا المعسكر أن يتدخل في السياسة ، لكن هذا هيأ السبل للسياسة أن تدخل اليه ، وكان لديه امكانات التمزق، لذلك بدأت السياسة تفتت قواه وتشلها عن الحركة المؤثرة .

وكما هو معلوم ، قام الاسلام على فكرة المزج بين المفاهيم الدينية والدنيوية وحدث في يوم الجمل أن أوجد علي بن أبي طالب شرعة قتال أهل القبلة ، حظر بموجبها على أتباعه أخذ الاسرى والغنائم ، واعتبار المهزومين كفارا أو مرتدين ، وبعد العودة من الجمل احتج بعض الجند على أوامره هذه قائلين : كيف أبحت لنا الدماء ، وحظرت علينا الاموال ؟

وهكذا تفجر بين أهل الكوفة صراع فكري مخيف ، أخذ يطرح مشاكل الكفر والايمان[1] ، ونما مع الايام هذا الصراع نموا خطيرا جدا ، وأسهمت فيه عناصر

---

(1) الفتوح : ٢٨/١ و ــ ٤٤ و . مصنف عبد الرزاق : ٤٥٧/٥ . تاريخ خليفة : ١٩٩/١ ــ ٢٠٧ . الطبري : ٤٢٧/٤ ــ ٥٤٣ . اليعقوبي : ١٧٨/٢ ــ ١٨٤ . الاخبار الطوال : ١٤٤ ــ ١٥٤ . وينصح القارىء بالعودة الى كتابي : عائشة والسياسة لسعيد الافغاني ، وعائشة لزاهية قدورة .

كثيرة غير عربية ، وما لبث أن تحول عن مسبباته الاولى ، فامتزج مع الصراع الذي كان يخوضه الاسلام ضد العقائد والطقوس القديمة والديانات التي هزمت أثناء الفتوحات ، وأقبل المتصارعون على استيراد الافكار المساعدة على اثارة الجدل والنقاش ، وكان هذا كله بداية الانقسامات الخطيرة التي ألمت بجماعة المسلمين سيما وأنه ترافق مع نشوء عقيدة الامامة وتطورها .

ودون الوقوف طويلا عند التفاصيل والدخول في متاهات النقاش الدينية ، نختصر القول بأن علي بن أبي طالب تمكن بعد لاي من قيادة أعوانه نحو الشام ، انما بكل صعوبة ، ولم يتوجه نحو دمشق مباشرة ، بل نحو الجزيرة ، لارتباطها بمصالح الكوفيين المباشرة ، وبعدما عسكر في صفين على الفرات ، أقبل أعوانه على القتال بنفوس مدبرة ، لذلك انتهى أمر يوم صفين دون نتيجة عسكرية حاسمة ، وعاد علي أدراجه نحو العراق ، بعدما فقد مكانته ، عاد وآثار الانقسامات الخطيرة واضحة بين صفوف جيشه ، وقد تجلى ذلك بقيام حركة الخوارج[(١)] .

وحاول علي تدارك الامور ، لكن الوقت لم يسعفه وعاجلته منيته حيث تم اغتياله وأخفق ابنه الحسن بالاحتفاظ بالسلطة بالعراق،فتنازل لمعاوية بن أبي سفيان، الذي صار الان سيد العالم الاسلامي ، ومؤسس أول أسرة ملكية وراثية في تاريخ الاسلام وكان لهذا ردات فعل عنيفة جدا ، ومن يقرأ تاريخ العصر الاموي ، يشاهد أن الحكم الاموي لاقى صنوفا من المعارضة الكبيرة الدائمة[(٢)] .

فقد كان العراق المتضرر الاكبر من استيلاء الامويين على السلطة ، ولهذا تجمعت فيه غالبية عناصر المعارضة ، وكان معظم هذه الغالبية من أهل الكوفة عاصمة علي بن أبي طالب ، ومنذ البداية اختار أهل الكوفة لزعامتهم الحسن بن علي بن أبي طالب ، ومع الايام انتظمت أمور المعارضة ، وعبر عدد من الحوادث والازمات أخذت تتحول من حركات سياسية ترى أحقية أسرة محددة في السلطة الى حركات دينية سياسية .

---

(١) مصنف عبد الرزاق : ٥/٤٦٣ ـ ٤٦٦ . انساب الاشراف : ٢/٢٩٢ ـ ٣٦٧ . تاريخ خليفة : ١/٢١٦ . الطبري : ٤/٥٥٢ ـ ٥٧٦ ، ٥/٥ ـ ٧١ . صفين لنصر بن مزاحم . الاخبار الطوال : ١٥٢ ـ ٢٠١ . اليعقوبي : ٢/١٨٤ ـ ١٩٣ . الفتوح : ١/٥١ و ـ ١٣٥ و . مروج الذهب : ٢/٣٨٤ ـ ٤١٤ .

(٢) انظر كتابي تاريخ العرب والاسلام : ١٣٧ ـ ١٦٤ .

لقد كان لعناصر المعارضة هذه عدة جولات مع السلطان الاموي ، كان أهمها فاجعة كربلاء ، التي قدمت حصادا لم ينقطع ، وكان أبرز ثمرات هذا الحصاد حصر الزعامة السياسية لمعارضة الكوفة في آل علي بن أبي طالب ، وأخذ هذه المعارضة اسم الشيعة ، ففي العربية شيعة فلان : أصحابه ومؤيدوه ، وشيعة علي : حزب علي ، وهي عبارة صارت فيما بعد مقتصرة على لفظة « شيعة » فقط ، وكان من ثمرات هذا الحصاد أيضا ثورة التوابين التي نشهد فيها بداية التحول في حزب الشيعة من حزب سياسي محض الى حركة دينية ، وبعد التوابين خطا المختار بن أبي عبيد الثقفي في هذا المجال خطوات واسعة للغاية ، كما أن حركته سجلت بداية الانشقاقات في صفوف الشيعة ، وتحول حزبهم الى مجموعة من الفرق ، ليست ممزقة الصفوف فقط ، بل متصارعة أيضا .

كما كان من حصاد كربلاء أيضا أن زعامة غالبية الشيعة أخذت تنحصر في أبناء السبط الثاني للنبي ﷺ الحسين بن علي بن أبي طالب[1] .

وكان معاوية بن أبي سفيان عندما استولى على السلطة في الدولة الاسلامية ، استولى معها على لقب أمير المؤمنين ، وحيث أنه حاز السلطة بقوة السلاح ، فقد قامت السياسة الاموية على قاعدة شرعية السلاح ، والقول ان هذا ما كان ليتم الا بقضاء الله وقدره ، وهو ما سيعرف فيما بعد باسم الجبرية الاموية .

وحدثت تجاوزات كبيرة في العصر الاموي ، واغتصبت حقوق ، واعتمد الامويون على قطعة مختارة من الجند العربي ـ الجند الشامي ـ فانعدمت بذلك المساواة بينه وبين صفوف الجند العربي في الامصار كما انعدمت بين جماعات المسلمين من عرب وسواهم ، وأخذت عناصر المعارضة تنادي بالعدل ناقضة لافكار الجبرية الاموية،وسيعرف هؤلاء فيما بعد باسم القدرية،أو أهل العدل ، وسنراهم مع آثارهم بشكل واضح في فرق الشيعة والمعتزلة .

وقالت فرق المعارضة بأن حق آل علي بالسلطنة قائم على وصية النبي ﷺ لأبيهم وعلى شرعة الميراث ، وأن الخلفاء من بني أمية حين استولوا على السلطة استولوا على الجانب الدنيوي منها فقط ، ولم يستطيعوا انتزاع الجانب الديني من الميراث النبوي ، ودعي هذا الجزء من الميراث باسم الامامة :

(١) مصادر الحاشية السابقة .

يقول الله تعالى في القرآن : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » أي كنتم خير أصحاب دين أخرج للناس ، لان الامة هم أصحاب دين ، ولهذا أخذ الشيعة يطلقون على زعيمهم لقب الامام ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية حين تتحدث الاخبار عن سيرة علي بن أبي طالب ، تجعل من صفاته الاساسية ومزاياه التي تميز بها الشجاعة والعلم ، فهو ربيب بيت النبوة نشأ مسلما ، ونهل من علم النبوة ما لم ينهله سواه ، حتى قيل بأن النبي قد باح له بعلوم لم يطلع عليها سواه .

ومع الايام غدت الامامة ذات العلم الموروث محور العمل الشيعي ، وأغنيت فكرتها ، وزودت بكثير من المعاني والصفات بفضل التطور الثقافي والحضاري والسياسي الذي ألم بالمجتمع الاسلامي ، واستعير لها الكثير من المعاني والصفات والتجارب من تراث الديانات السماوية وغير السماوية ، ومن الافلاطونية المحدثة والغنطوسية وحكمة الشرق الاقصى .

والمعروف أن حركة التشيع بدأت حركة عربية اسلامية محضة ، لكن ما لبث أن دخل اليها غير العرب ، خاصة من سكان أراضي الامبراطورية الساسانية المنهارة، وجاء هذا الدخول في كثير من المناسبات نوعا من أنواع المعارضة الاعجمية للعروبة والاسلام ، وعانت فئات في حركة التشيع في الوقت ذاته من تسرب الكثير من الافكار والعقائد الغريبة اليها ، مما أدى بها الى التمزق والانقسام ، وأدى هذا الى معاناة هذه الفئات من التنكيل الاموي والقمع الدموي ، كما أدى الى مزيد من الانقسامات داخل الحزب الشيعي ، وظهور فرق جديدة ، وتورطت بعض الفرق الجديدة هذه في ثورات آلت الى الاخفاق والدمار ، وسبب هذا استيراد المزيد من الافكار المتطرفة والغريبة ، ولعل أهم هذه الثورات كانت ثورة الامام زيد بن علي [سنة ١٢٢ هـ] في عصر هشام بن عبد الملك(١) .

---

(١) الفتوح : ٢/٢٠٦ و ـ ٢١٢ و . الطبري : ٧/١٦٠ ـ ١٩١ . تاريخ خليفة : ٢/٥٣٦ . اليعقوبي : ٢/٣٢٥ ـ ٣٢٦ . مقاتل الطالبيين : ١٢٧ ـ ١٥١ . تاريخ الخلفاء : ٤١٥ ـ ٤٢٢ . مروج الذهب : ٣/٢١٧ ـ ٢٢٠ . المقالات والفرق للقمي : ٤ ـ ٢٨ . فرق الشيعة : ٢ ـ ٥١ . الارجوزة المختارة : ٩٨ ـ ١٨٠ . تاج العقائد ومعدن الفوائد : ٦٥ ـ ٨١ .

وللإنصاف العلمي اننا نلاحظ أن أعمال الملاحقة والتنكيل الاموية لم توجه ضد البيت الهاشمي بالاساس ، بل ضد حركات متطرفة أظهرت عداءا واضحا أو باطنيا للعروبة والاسلام ، صحيح أن الحكم الاموي قام بالاصل على القاعدة العربية والتعصب لها ، الا أنه من الملاحظ أن الامويين ، وضعوا منذ العصر المرواني الخطط لتعريب أمم دولتهم ، وشرعوا في تنفيذها ، ففي أيام عبد الملك بن مروان تمت أعمال تعريب الادارة والاقتصاد ، وأخذت علامات الاندماج بين العرب الفاتحين وسكان خراسان تظهر ، وأقبل الخراسانيون على الدخول في الاسلام ، كما أقبل عليه سواهم في مناطق أخرى من أراضي الدولة الشاسعة •

كانت بلاد الامبراطورية الساسانية تتألف من مجموعة من الاقطاعيات لها نظام اجتماعي قائم على تعدد الطبقات ، وقد حظر هذا النظام الانتقال من طبقة الى أخرى، ودون الدخول بتفاصيل أسماء الطبقات، لقد كان هنالك أولا وفي الاعلى الامبراطور والاسرة الامبراطورية ، وطبقة رجال الدين الزرادشت ، والامر الاقطاعية المالكة ، وقابل هذا في الدرك الاسفل طبقات أقنان الارض والحرفيين والصناع أو العامة بشكل مطلق ، ووجد بين هاتين المجموعتين طبقة وسيطة شغلت دور صلة الوصل بينهما ، وعملت لصالح الطبقات العليا في الادارة والجباية ، وعرفت باسم طائفة الدهاقين •

ولدى نجاح الفتوحات العربية الكبرى جرى تدمير الطبقات العليا ، وحل محلها قادة العرب الفاتحين ، واعتمد العرب على طبقات الدهاقين التي اتسع الان نفوذها كثيرا ، حتى طمح بعض أفرادها للحلول محل الطبقات العليا الزائلة ، وعاش العرب في خارج المدن الخراسانية على شكل حاميات عسكرية ، مهامها ضبط الامن، وتسلم الخراج والجزية ، والقيام بأعمال الجهاد في المواسم المناسبة ، وأسلم بعض الدهاقين في سبيل توطيد صلاتهم بالحكم الجديد ، وفي البداية كانت غالبية سكان البلاد من غير المسلمين ، انما مع الربع الاخير من القرن الاول للهجرة بدأنا نسمع بأخبار دخول كثير من سكان خراسان بالاسلام ، وبعمليات أولية للاندماج بين العرب وسكان مدن خراسان ، فقد أخذ بعض العرب يقطنون هذه المدن ، وعمدت في هذه الاونة السلطات الاموية الى تعريب الادارة والاقتصاد في الدولة ، وقد جعل نجاح أعمال التعريب مع عمليات الاندماج في خراسان الدهاقين يشعرون

بالمخاطر الشديدة والتهديد بزوال طائفتهم من الوجود ، وازداد هذا الشعور بالخطر مع قيام حكم عمر بن عبد العزيز وتفرغه لتنفيذ خطط ايجاد أمة اسلامية جديدة ، لسانها عربي ، وعقيدتها حنيفية ، وعلى الرغم من أن فترة حكم عمر بن عبد العزيز كانت قصيرة ، وبالرغم من ردات فعل الاسرة الاموية عليها ، وعملها ضدها ، نلاحظ أن جميع الثورات التي تفجرت بعد عصر عمر الثاني نادت بشعاراته بالمساواة وبدمج أفراد الامة في كيان واحد[1] .

ويرى بعض الباحثين أن هذا كله قد بعث الذعر في نفوس جماعات من الدهاقين فعملوا على محاربة هذا الاتجاه عن طريق التآمر لاسقاط الحكم الاموي ، وهكذا قام تنظيم الدهاقين الذي اختار لواجهته الاسرة العباسية ، ومن هنا نفهم أسباب وجود قوى معادية للاسلام بين صفوف الدعوة العباسية مثل خداش وسواه، ونفهم مغزى تعاليم ابراهيم الامام التي قيل بأنه بعث بها الى أبي مسلم الخراساني بعدم الابقاء على أحد من العرب في خراسان .

وأعود مؤكدا أنه يلاحظ في هذا المقام ، أنه بخلاف جميع الثورات التي سبقت الدعوة العباسية ، قام صلب تنظيم هذه الدعوة بين طائفة الدهاقين ، وأن هذه الطائفة هي التي تولت حشد الطوائف الدنيا وقيادتها ، وارتبطت هذه الطوائف والجماعات من خلال الدهاقين بامام منتظر هو « الرضا من آل البيت » .

وحين جرى تفجير الثورة العباسية لم تواجه هذه الثورة مشكلة التناقض

---

(١) انظر محتويات كتاب تنسر مع كتاب عهد أردشير ٧ وجهار مقالـه للعروضي . وترجمة ابي مسلم في تاريخ ابن عساكر حيث هناك مادة خطيرة لم تستثمر بعد . الفتوح : ١٦٦/٢ظ ـ ١٧٢ظ ٨ تاريخ خليفة : ٤٦١/١ ـ ٤٧١ . فتوح البلدان: ١٥٩ . الطبري : ٥٥٠/٦ ـ ٥٧٣ . خراج ابي يوسف : ١١٩ . سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم . اخبار ابي حفص عمر للاجري . الاخبار الطوال : ٣٣١ . تاريخ الخلفاء : ٥٢ ٣ـ ٣٨٨ . مروج الذهب : ١٩٢/٣ ـ ٢٠٥ . تاريخ اليعقوبي : ٣٠١/٢ ـ ٣٠٩ . العيون والحدائق: ٣٧/٣ ـ ٦٤ . معجم بني امية: ١٣٢ ـ ١٣٣ . الفخري : ١٠٣ . السيوطي : ٢٢٨ ـ ٢٤٦ . فلهوزن : ٢٥٦ ـ ٣٠١ . ملامح الانقلاب الاسلامي : ٨١ ـ ١٧٧ . تعريب النقود والدواوين لحسان حلاق : ٦١ ـ ٧٩ .
هذا وقد اوقف عبد الحي شعبان كتابه « الثورة العباسية » بالانكليزية على دراسة اوضاع خراسان في العصر الاموي . ط. كمبردج ١٩٧٠ .

بين القاعدة الثورية والزعامة القرشية ، فهذه الزعامة لم تتول قيادة الثورة ولا حتى توجيهها ، بل الذي تولى ذلك الدهاتين (الدعاة) ونجحت الثورة ، واحتلت العراق بعد خراسان ، وأخذت تعد العدة للدخول في معركة حاسمة ضد الخلافة الاموية ، وأعلن داعي الدعاة عن نفسه وزيرا لآل محمد ، ومع ذلك وجدت الثورة نفسها بحاجة الى اعلان الزعامة القرشية ، وبعد شيء من التردد والمراوغة من قبل الوزير جرى الاعلان عن أبي العباس السفاح خليفة واماما مهديا جديدا،له السلطة الاسمية، أما الحكم والادارة فبيد وزير آل محمد،أي حامل أوزار المسؤولية الدنيوية عنهم[1].

لقد أوقف نجاح الثورة العباسية عمليات الاندماج ، وأبقى على شعوب وطوائف الدولة الاجتماعية ، وربط هذه الشعوب والطوائف بروابط شاقولية بشخصية الامام العباسي ، عن طريق مؤسسة الوزارة ، التي تولت أمور الادارة والحكم ، ولم يعد الامام العباسي خليفة لرسول الله ﷺ ، بل ابن عم رسول الله ، وخليفة الله ، وظل الله في الارض[2] .

وليس من المغالاة أبدا القول بأن الثورة العباسية قد حولت الدولة الاسلامية من دونة تنشد البنيان العقائدي الى امبراطورية تشبه الامبراطورية الساسانية التي أزالها العرب الفاتحون من الوجود ، اذ تعطلت عمليات الاندماج العقائدي ، أو أصيبت — على الاقل — بما يشبه الشلل ، وغدت الدولة العباسية امبراطورية تحوي

---

(1) انظر : اخبار العباس : ١٦٠ — ٣٧٦. الفتوح : ٢١٨/٢ و — ٢٢٨ و. الطبري : ٤٩/٧ — ٥١ ، ٣٥٣ — ٤٥٧ . تاريخ الموصل : ١٠٦ — ١٠٧ . تاريخ خليفة : ٥٦٤ — ٦٠٨ . الاخبار الطوال : ٣٦٠ — ٣٧٠ . اليعقوبي : ٣٣٨ — ٣٤٩ . مروج الذهب : ٢٥٢/٣ — ٢٦٦ . مسائل الامامة للناشيء الاكبر : ٢٦ — ٣٦ . تاريخ الخلفاء : ٤٧٥ — ٥٩٧ . العيون والحدائق : ١٥٧/٣ — ٢١٣ . الكامل : ٢٠٠/٤ — ٣٣٠ . العواصم : ٨٣ — ٨٤ ، ٩٨ . الفخري : ١١٣ — ١٢٠ . ابن كثير : ٢٥/١٠ — ٥٥ . السيوطي : ٢٥٤ — ٢٥٩ . الذهب المسبوك : ٤٨ — ٥٩. ابن العبري : ١١٧ — ١٢٠ . ابن خلدون : ٢٥١/٣ — ٢٧٩ . فلهوزن : ٤٥٥ — ٥٣٨ . العرب في التاريخ : ١١٣ . دولة بني العباس : ٩١/١ — ١٨٩ . اطروحة دكتوراه فاروق عمر بالانكليزية (الخلافة العباسية) وقد قام فاروق باخراج محتويات هذا الكتاب بثلاثة كتب عربية هي طبيعة الدعوة العباسية. العباسيون الاوائل ١ + ٢ .

(2) انظر مقال « من القاب الخلفاء العباسيين — خليفة الله وظل الله » للدكتور فاروق عمر . مجلة الجامعة المستنصرية — العدد الثاني بغداد ١٩٧١ .

المديد من الشعوب والطوائف الاجتماعية ارتبطت جميعا بشكل شاقولي بالخليفة وتعلقت به،وقد وجد بين هذه الطوائف والخليفة الامام طبقة وسيطة ؛ فقد قام مع الدولة العباسية دور الطبقة الوسيطة ولم يجر الغاؤه أبدا ، ولا شك أن من اسباب نجاح الثورة العباسية اعتمادها على مثل هذه الطبقة ، أو بالحري الطائفة من الوسطاء .

بعـدما نجحت الثورة العباسية ، أراد قادتها الخراسانيون تحقيق أهدافهم ، فتصدى لهم الخلفاء الاوائل من بني العباس ، خاصة المنصور ، حيث دبر قتل أبي سلمة الخلال ، وبطش بأبي مسلم الخراساني ، وفصل الدعوة العباسية عن الحركة الكيسانية الشيعية ، وأعلن الحرب على الزندقة والشعوبية ، ووضع سياسة دينية متوازنة ، وعلى الرغم من ذلك فقد نجم عن انتصار العباسـيين فيما نجم ، اخفـاق مشاريع انشاء الامة الواحدة ، وظهر الى الوجود معالم انشطار العالم الاسلامي الى وطنين : واحد عربي ، وآخر أعجمي ، وظهرت حركة الزندقة وحركات لا اسلامية أخرى : كما نشطت حركة الشعوبية وسواها .

ولاحق العباسيون هذه الحركات بلا هوادة ، وسعوا للقضاء عليها ، صحيح أن حركة الدهاقين حققت بعض النجاح ، انما كان نصيبها في الاخفاق أعظم ، فقد تعمقت جذور الاسلام في ايران وخراسان ، وازدادت عقيدة الاسلام قوة ومنعة ، لذلك تابعوا تآمرهم وأرادوا توريط قوى اسلامية كثيرة في مشاريعهم ..

ومارس العباسيون سياسة دينية محكمة ربطت رجال الدين والفكر عامة بهم ، وخدمت هـذه السياسة في توطيـد فكرة أن الامام العباسي هو « محور الحيـاة الدنيا وقطبها » الذي تتعلق به جميع الكائنات ، وبذلك تعلقت شعوب الدولـة الاسلامية المترامية الاطراف بشخصية الامام ، ولم ترتبط [كما أريد أصلا] بعضها ببعض أفقيا على أساس الشريعة ، وفي سبيل انشاء الامة الاسلامية الواحدة .

ولا شك أن هذا كان فيه انتكاسة كبرى لما أراده الاسلام ، ولا ريب أنه كان للنزعات الاستقلالية لدى شعوب الدولة الاسلامية دورها في هذا المجال خاصة عن طريق الحزبية الدينية ، والمهم قوله انه لم تتكون لدى الدولة الاسلامية المتراميـة الاطراف قاعدة اجتماعية بلا سدود وحواجز ، ومن هنا يلاحظ أنـه عندما ضعف الخلفاء في بغداد انفصمت عرى الدولة العباسية ، وغدت مجموعة متزايدة العدد من الدول .

وحتى على صعيد العرب أنفسهم يلاحظ الشيء ذاته في قوالب قبلية قديمة أو مستحدثة ، وفي قوالب اقليمية وحزبية ودينية وسواها ، وكان أيضا أنه عندما ضعف سلطان الخلفاء في بغداد ضعف معهم شأن الدهاقين فزالت قوة مؤسسة الوزارة من الوجود ، وحكم على الخلفاء من قبل الجند ، لكنهم احتفظوا بمكانتهم الدينية السامية ، والسؤال الذي لا بد منه هنا هو : متى بدأت التحولات لدى العرب نحو تقبل الزعامة الفردية ، الطريق الذي قاد نحو تطوير عقيدة الامامة مع فكرة المهدي وجعل صاحبها يأخذ دور المخلص ؟

المتتبع لتاريخ الاسلام يلاحظ أن العرب تعلقوا أيام النبي ﷺ بالشريعة ذلك أنهم تعلموا من خلال سيرته ﷺ أن طريق التغيير هو تبديل القاعدة والنظام وليس السلطة أو رأسها ــ فالفارق كبير جدا بين الثورة والانقلاب[١] ــ لكن هؤلاء العرب شرعوا منذ أواخر أيام عثمان يرون أن تبديل رأس السلطة برأس جديد سيمكن من حل المشاكل ، ولعل مرد هذا الى ما تأثر بـه العرب في البلدان المفتوحة في الشام والعراق ومصر ، فهذه البلدان عرفت عقيدة « المُخَلِّص » وكانت تجارب الحكم الماضية فيها قائمة على سيرة الفرد الحاكم وليس على قاعدة النظام المقرر ، ففي روما كان الامبراطور يؤله بعد اعتلائه العرش ، وبعدما تبنت روما المسيحية كانت أهواء الحكام ومطامحهم وراء تطور هذه الديانة وابتعادها عن كثير من أصولها ، وبالتالي السبب في قيام كنائس جديدة .

وعقيدة المخلص عقيدة بابلية ايرانية قديمة نبعت عن عبادة مردوخ والعقيدة الزروانية وتفاعلت مع الغنطوسية وبقية عقائد بلاد الرافدين ، وقد تأثر بها اليهود في أثناء السبي البابلي وظهرت لديهم مع النبي اليعازر، ثم تطورت مع ظهور المسيحية وبعد ذلك أثناء محاولات الاستقلال عن اليهودية خاصة ما حدث في شمالي بلاد الشام في مناطق الرها وحران وطرسوس وأنطاكية[٢] .

---

(١) في السيرة النبوية روايات عدة فيها ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اشاروا عليه في مكة ، بالعمل للاستيلاء على مقاليد الامور فيها بغتة فرفض . انظر سيرة ابن هشام : ٤٤٨/١ .

(٢) انظر كتابي ماني والمانوية : ٨٢ ــ ٩٣ . تاريخ المعتقدات والافكار الدينية لميرسيا إلياد . ترجمة عربية ــ ط . دمشق ١٩٨٧ : ٨٣/١ ــ ٩٨ .

ولم يعرف عرب ما قبل الاسلام فكرة المُخَلِّص ، والنبي محمد ﷺ أرسله الله « بالحق بشيراً ونذيراً » [البقرة : ١١٩] وهو لم يقم بعمل فداء ولم يبشر بمثل ذلك ، بل بذل جهوده كلها في سبيل هداية قومه والناس أجمعين الى الوحدانية الخالصة ، وليس لفكرة الفداء حسبما استقرت في المسيحية وجود في القرآن ، وهذه الفكرة دخلت الى عقول العرب والمسلمين عن طريق شعوب الامبراطورية الساسانية، وذلك في وقت مبكر حينما جرى تطوير واقعة كربلاء الى ملحمة قائمة على عقيدة الفداء ؛ هذا ويلاحظ أن التاريخ الاسلامي المبكر شهد عمليات اغتيال كبيرة ، لكن لم تطلق عبارة « فداوي أو فدائي » على القائم بالاغتيال بين العرب ، فقد ظهرت هذه العبارة فيما بعد مع اقامة حسن الصباح لتنظيم الدعوة الاسماعيلية الجديدة واعتماده القتل الطقوسي، ومعروف أن حسن أسس دعوته في الاراضي الايرانية[١]، حيث تراث الزروانية وسواها .

لقد قلت : ان النبي ﷺ بذل جهوده لهداية قومه ، فهل كان ﷺ مهديا ؟

النبي ﷺ كان رسول الله ومبلغ كلماته دعا الى الاسلام ولم يدع الى نفسه ، وعبارة المهدي وان وردت في الآثار لم ترد مطلقا في القرآن الكريم ، وليس في القرآن ما يشابهها أبدا ، هذا ويلاحظ أن عبارة مهدي عندما استخدمت في الفترة المبكرة من تاريخ الاسلام عنت بشكل مجرد ومطلق عملية الهداية فقط ، وذلك انطلاقا من المعنى اللغوي البحت ، ففي العربية « المهدي : هو الذي قد هداه الله الى الحق »[٢] وفي هذا الاطار ظهرت العبارة في شعر صدر الاسلام ، يقول حسان بن ثابت من قصيدة رثى بها النبي ﷺ :

جزعا على المهدي أصبح ثاويا ... يا خير من وطىء الحصى لا تبعد

بأبي وأمي من شهدت وفاته ... يوم الاثنين النبيُّ المهتدي

ومدح شاعر سليمان بن عبد الملك فقال :

على طاعة المهدي لم يبق غيرها ... فأبنا وأمر المسلمين جميع

---

(١) ينصح القارىء الكريم بالعودة الى محتويات كتاب الدعوة الاسماعيلية الجديدة الذي سبق لي ترجمته الى العربية .
(٢) النهاية لابن الاثير مادة « هدا » .

وفيــه قــال الفرزدق :

وألقيت من كفيك حبـل جماعـة ... وطاعـة مهـدي شديـد النقائـم

ومدحــه جرير فقــال :

سليمــان المبــارك قــد علمتــم ... هــو المهــدي قــد وضح السبيل

ومدح جرير من بعده هشام بن عبد الملك فقال :

فقلت لهــا الخليفــة غـير شــك ... هو المهــدي والحكــم الرشيد[1]

وفي عودة الى كتب الحديث نجد أقدمها كتاب المصنف للامام عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، وقد أفرد عبد الرزاق بابا من كتابه بعنوان « باب المهدي » أورد فيه عدة روايات وحديثين فقط ، الروايات منقولة أو معزوة الى بعض الصحابـة والتابعين ، وأحد الحديثين مرفوع الى النبي والآخر فيه « ذكر رسول الله...[2]» .

وقد عظم حجم المادة المتعلقة بعقيدة المهدي في القرن الثاني للهجرة ، اثر نجاح الثورة العباسية ، وكان من أقدم من جمع المواد حول هذا الموضوع في كتاب مفرد الامام نعيم بن حماد المروزي الخزاعي [ت : ٢٢٨ هـ] في كتاب الملاحم والفتن . وكان لأئمة رجال الحديث موقفهم الواضح من هذا الكتاب وأمثاله ، فقد قال الامام أحمد بن حنبل : « ثلاثة كتب ليس فيها أصول : المغازي ، والملاحم ، والتفسير»[3] .

وتعطي عملية تفحص هذه المواد مع ما حوته المصادر التاريخية من أخبار ، أنه وان حافظ المسلمون في صدر الاسلام بشكل عام على المعنى النابع عن اللغة لكلمة مهدي فانه منذ خلافة علي وأثناء وجوده في الكوفة بدأت فكرة الامامة بالتبلور ومعها أخذت عبارة مهدي تكسب معاني جديدة ، ويدعى ما ظهر في الكوفة ببداية الغلو ، فقد روي عن القاضي الشعبي أنه قال: « إن علي عليه السلام أتاه قوم ، فقالوا: أنت هو ، قال : ومن أنا ؟ قالوا : أنت ربنا ، فأمر بنار فأججت ، فألقوا فيها ، وفيهم قال علي عليه السلام :

لمــا رأيت الامــر أمــراً منكــرا ... أججت نــاري ودعــوت قنبــرا

---

(١) انظر كتاب المهدية في الاسلام : ٤٥ ـ ٤٧ .
(٢) المصنف : ٢٦/١١ ـ ٢٩ . وانصح القارىء بالعودة الى مواد كتاب الامام المهدي عند أهل السنة تأليف مهدي الفقيه ايماني ـ ط . بيروت : ١٤٠٢ هـ .
(٣) الكامل لابن عدي ط . بيروت : ١١٨/١ .

فحرقهم علي بن أبي طالب ، وتفاهم في البلاد » .

وفي رواية أخرى عن شريك العامري قال :« أُتي علي بن أبي طالب ، فقيل له : ان ها هنا قوما على باب المسجد يزعمون أنك ربهم ، فدعاهم ، فقال لهم ، ويلكم ما تقولون ؟ قالوا : أنت ربنا وخالقنا ورازقنا ، فقال : ويلكم أنا عبد مثلكم آكل الطعام كما تأكلون ، وأشرب كما تشربون ، ان أطعته أثابني ان شاء الله ، وان عصيته خشيت أن يعذبني ، فاتقوا الله وارجعوا ، فأبوا فطردهم ، فلما كان الغد غدو عليه ، فجاء قنبر فقال : والله قد رجعوا يقولون ذلك الكلام ، فقال أدخلهم علي فقالوا له مثل ما قالوا ، وقال لهم مثل ما قال : انكم ضالون مفتونون ، فأبوا ، فلما كان اليوم الثالث ، أتوا فقالوا له مثل ذلك القول ، فقال لهم : والله لئن قلتم لأقتلنكم أخبث القتلة ، فأبوا الا أن يتموا على قولهم ، فدعا قنبر ، فقال : ائتني بفعلة معهم مرورهم وزبلهم ، فلما جاء بهم خدّ لهم أخدودا بين باب المسجد والقصر ، وقال : احفروا فحفروا فأبعدوا في الارض ، فلما حفروا وأبعدوا جاؤوا بالحطب ، فطرحه وبالنار فطرحها في الاخدود ، وقال : اني طارحكم فيها فارجعوا ، فأبوا أن يرجعوا ، فقذف بهم فيها حتى احترقوا ، قال :

اني اذ رأيت أمراً منكرا   أوقدت ناري ودعوت قنبرا(١)

وبعدما قامت الخلافة الاموية وكثرت التجاوزات واشتد عود المعارضة ، لجأت هذه المعارضة الى تنمية فكرة المهدي ومزجها مع العقائد المتعلقة بشخصية المخلص ، وعمت الفكرة وآمن بها معظم الناس ، لان الظلم نزل بالاكثرية ، حتى أننا لنجد الفكرة لدى بني أمية ، في الحديث عن الاشج منهم وعن السفياني المنتظر .

وعلى الرغم من هذا كله نلاحظ أن كبار الفقهاء لم يؤمنوا بهذه العقيدة فقد سأل أحدهم الامام سفيان الثوري فقال : « قد أكثروا في المهدي ، فما تقول فيه ؟ قال : ان مرّ على بابك فلا تكن منه في شيء حتى يجتمع الناس عليه،واعلم علمك الله أن هذه الطائفة طمع بسخافة عقلها وكثرة جهلها وادعائها المنكرات من الاقوال والافعال كل أحد ممن يريد الكيد للاسلام ، وتشويش قواعد الدين والامامة ،

---

(١) الحرز والمنعة في بيان أمر المهدي والمتعة لابي منصور عبد الله بن محمد نسخة مصورة في مكتبي : ١/٥ ـ و .

وخرق إجماع أهل العقد و الإسلام حتى ترتسم لهذا الأمر و ترشح له من هو له أهل ومن ليس أهل ، وما كان سبب ذلك إلا ادعاء هذه الطائفة خروج هذا الخارج الذي يدعـون أنه صاحب الوقت والزمان ، تعالى مدبر الزمان ومالكه عما يقولون علوا كبيرا »[1].

وتطورت فكرة الامامة وامتزجت بفكرة المهدي وبالعقائد التي تعلقت بشخصية المُخَلِّص والفداء ، وتبدلت الصور والادوار ، ففي عملية الفداء المسيحية قـام المسيح بما قام في سبيل الناس تضحية منه ، وفي ملحمة كربلاء أقدم الحسين على سلوك طريق الشهادة ، وهو سبط آخر نبي ، ليضرب مثلا أعلى في الشجاعة والفداء للذين رضوا بطغيان بني أمية وجورهم ، والمدهش بعد كربلاء أنه طلب من جماهير الناس التي عانت من الظلم والحرمان أن تقوم هي بدور الفداء فتثور وتسفك الدماء لا في سبيل العدالة والمساواة ورفع الحيف بل في سبيل ايصال أسرة أو فرد الـى السلطة ، وباتت العدالة يتم الوصول اليها لا من خلال الشريعة وتطبيق الاحكام بل من خلال الزعيم الفرد ، ويشكل هذا المفهوم بعدا واضحا عن مفاهيم الاسلام في أن التغيير يجب أن يحدث من خلال الشريعة لا من خلال الافراد ، فعلى الشريعة تقاس أعمال الافراد ويحكم عليها ، وهذا ما بدا واضحا في سيرة النبي ﷺ وفي خطبة أبي بكر الاولى بعد اختياره خليفة وفي موقفه من المرتدين وغير ذلك من الامثلة كثير .

لقد تسلم السلطة في تاريخ الاسلام أكثر من مهدي ، لكن الذي حدث ليس زوال المظالم والمشاكل بل وقوع المزيد منها ومن الاكثر تعقيدا ، فالافراد لا يحققون العدالة من قبل أنفسهم ذلك لأن النفس أمارة بالسوء ، لكن الطريق الى العدالـة هو طريق العقيدة التي يسعى الى تطبيقها المؤمنون بها .

ومما يثير الدهشة أن تاريخ العرب والاسلام شهد في العصرين الاموي والعباسي عددا هائلا من الثورات ، جلها ــ إن لم نقل جميعها ــ التزم بقاعدة أن الزعامـة ينبغي أن تكون لواحد من قريش ، وذلك على الرغم من أن أسر قريش ورجالاتها الكبار ظلوا مرتبطين بالارستقراطية والارستقراطيين الواسعي الثروات والاموال ! علما بأن الثورات وجهت بالاساس ضد التحكم الارستقراطي ، لهذا وقعت الثورات جميعا بالتناقض ونالت الاخفاق ، فقد كان التناقض طبقيا من جانب وتنظيما مـن

---

(1) الحرز والمنعة : ٢٦/٢ و ظ .

جانب آخر ، فغالبا ما دعي الزعيم القرشي الى تولي قيادة ثورة لم يعدّ لها ، ولم يكن يعرف أسبابها الاصلية ، ولا شك أن هذا يوضح سببا هاما من أسباب اخفاق ثورة الحسين بن علي ثم ثورة حفيده زيد بن علي ، ففي كلتا الثورتين سمعنا أثناء الدعوة تزعمهما لعشرات الالوف من الاعوان ان لم نقل لمئات الالوف ، وعند تفجر الاحداث سمعنا بأخبار أفراد فقط ، ومن ثم بنهاية مأساوية للزعيمين .

ويثير الدهشة أيضا أن جميع التنظيمات التي بشرت بالمهدي المنتظر جمع دعاتها ممن اتبعهم خمس مداخيلهم بغية ارسالها الى بيت الامامة ، لا للتخفيف عن المظلومين بل لرفاه ونفقات الامام ، وسنلاحظ في المستقبل أن حركة واحدة قد تمردت بعض أطرافها على هذه القاعدة وقاعدة الزعامة الارستقراطية هي حركة القرامطة وذلك مع أبي سعيد الجنابي .

الدعـوة الاسماعيليـة :

بعد ما استقر النبي ﷺ في المدينة ، وقطع أشواطا بعيدة في انشاء الامة الجديدة مع دولتها المركزية ، بدأ يظهر الى الوجود رسوم خاصة تحدد طرق التعامل مع النبي ﷺ ، فهو لم يعد ﷺ مجرد داعية الى دين جديد يتحدى به النظام القائم ، كما كان الحال في مكة ، ولم يعد يعرض نفسه على الناس ، بل صار الان سيد أمة في جميع مجالات حياتها ، ورئيس دولة مركزية الاولى من نوعها في تاريخ العرب ، لذلك اقتضى الحال احداث رسوم خاصة للتعامل معه ، ويلاحظ أن ظهور هذه الرسوم قد ترافق مع تمييز أسرة النبي ﷺ عـن غيرها من الاسر ، والزام أفراد هـذه الاسرة بالتزامات أشد من التزامات بقية الاسر الاسلامية ، فالصدقة مثلا كانت تحل لكل مسلم محتاج الا آل النبي ﷺ ، والحجاب فرض على أزواج النبي ﷺ ، اللواتي ميزن عن سواهن بنيل لقب أمهات المؤمنين ، وهكذا •••

وفي أواخر أيام النبي ﷺ كان الاحياء من آله قلة أبرزهم ابن عمه علي ثم عمه العباس رضي الله عنهما ، وكان علي أقدم سابقة وجهادا في الاسلام من العباس ، كما كان أوثق صلة بالنبي ﷺ ، فهو ربيبه ، وزوج ابنته فاطمة ، ووالد سبطيه ﷺ •

وظل علي بعد وفاة النبي أبرز آل البيت ، بيت محمد ﷺ ، وقد رأى فيه عدد كبير من المسلمين الاهلية والجدارة والاحقية لخلافة النبي ﷺ ، ومع الايام تكوّن حوله نواة حزب خاص ، ضم عددا من الرجالات الذين أعجبوا به وبسلوكه وعلمه وشجاعته ، وظهر هذا الحزب للمرة الاولى أيام البيعة لعثمان •

ومعروف أنه بعد مصرع عثمان آلت الخلافة الى علي ، وكـان عصره زاخرا بالحروب الاهلية ، وقد انتهى هذا العصر باغتياله ثم باخفاق ابنه الحسن في البقـاء بالخلافة حيث تنازل لمعاوية بن أبي سفيان •

وبعد ما احتكر الحكم معاوية وآله من بني أمية تصدى لمعارضته قوى كثيرة تطورت الى أحزاب ، وقد كان الحزب العلوي أبرز هذه الاحزاب ، وقد تكون هذا الحزب بشكل عملي في الكوفة من عناصر تعاونت مع علي أثناء خلافته ولم يكن بين هؤلاء لجماعة المدينة دور كبير ، وكان من أبرزهم حجر بن عدي الكندي الذي قتله معاوية ثم سليمان بن صرد وأصحابه قادة حركة التوابين •

وكان الحسن بن علي بعدما تنازل عن الخلافة لمعاوية قد انسحب الى المدينة حيث دس له السم من قبل زوجته بتحريض من معاوية ، وبوفاته آلت زعامة الحزب العلوي الناشيء الى أخيه الحسين ، وقد استشهد الحسين في كربلاء ، وكان لفاجعة كربلاء وحصادها أبعد الآثار على تطور الحزب الشيعي وتاريخه حتى يومنا هذا .

ومنذ حركة التوابين يلاحظ المرء بداية تحول الحزب الشيعي من حزب سياسي الى فرقة دينية ، وقد وضح هذا التحول مع المختار بن أبي عبيد الثقفي وقيام فرقة الكيسانية ، ولقد عانت الحركة الشيعية ــ بعدما تحولت الى فرقة ــ من التمزق ، كما عانت من القمع والملاحقة والتنكيل ، وتورطت بعض الفرق الجديدة في ثورات آلت الى الاخفاق والدمار ، كان أهمها ثورة الامام زيد بن علي في عصر هشام بن عبد الملك[1] .

ويلاحظ أنه في الوقت الذي تورطت فيه بعض فرق الشيعة أيام الامويين وبعدهم بعدد من الثورات المسلحة ، واستوردت الجديد من العقائد الغريبة،حافظت بعض الجماعات على الهدوء ، ولم تتورط ــ بعد كربلاء ــ في أي حركة سياسية حربية ، وبذلك حمت أنفسها وعقيدتها ، وحالت دون تسرب أية عقائد غريبة جديدة اليها ، وظلت هكذا صافية الاسلام ، محمدية المنهج ، علوية النسب ، مثالية السلوك وعرف خط هذه الجماعات باسم الخط الامامي ، وقد قاده سلسلة من الائمة الكبار من أبناء الحسين بن علي بن أبي طالب ، وظل هذا الخط محافظا على اعتداله ووحدته حتى أواخر حياة الامام السادس منه ، حيث حدث انشقاق بين صفوفه شطره الى قسمين : قسم تابع خطه حتى الامام الثاني عشر ، وعرف باسم الاثنا عشرية أو الامامية ، وعرف الخط الثاني باسم السبعية أو الاسماعيلية ، وادعى كل طرف من هذين الطرفين بأن فقهه وعقائده وعلومه استقاها من الامام السادس .

---

(1) انساب الاشراف : ٤/١/١٠٢ ــ ١٠٣ ، ٢/١ ــ ١٦ ــ ٥/٢١٤ ــ ٢٧٣ . تاريخ خليفة : ١/٢٧٨ ــ ٣٣٢ . الفتوح : ١/٢٥٥ و ــ ٢٦٤ فل . الاخبار الطوال : ٢٢٧ ــ ٣٠٦ . الطبري : ٥/٤٠٠ ــ ٥٨٢ . اليعقوبي : ٢/٢٤٣ ــ ٢٦٤ . تاريخ الخلفاء : ١٦١ ــ ٢٥٣ . مروج الذهب : ٣/٧٥ ــ ١١٧ . مقاتل الطالبيين : ٧٨ ــ ١٢٢ . الفخري : ٩٣ ــ ٩٥ . السيوطي : ٢٠٥ ــ ٢١٠ . البداية والنهاية : ٨/١٥٠ .

والامام السادس هو جعفر بن محمد ، الذي عرف بالصادق ، والائمة قبله هم : علي بن أبي طالب ، ثم الحسن بن علي ، ثم الحسين بن علي ، ثم علي بن الحسين ــ زين العابدين ــ ثم محمد بن علي الذي عرف بالباقر .

وولد الامام جعفر الصادق في حوالي سنة ثمانين للهجرة (٦٩٩ م) ونشأ في المدينة حيث آثار جده المصطفى ، وحيث كبار علماء الاسلام ، مع تراث آل البيت ، لذلك نال حظا كبيرا من العلوم الاسلامية ، وحظي بمكانة اجتماعية سامية ، وقيمة سياسية عالية ، وعندما بلغ مبلغ الرجال صار أبرز رجالات عصره ، وبعد وفاة أبيه اعتبرته الشيعة الامامية امامها ، وكان رجالاتها ودعاتها يرجعون اليه بقضاياهم وبشؤونهم الخاصة والعامة كافة ، كما أن الغلاة منهم أخذوا يلهجون باسمه ، رافعين اياه الى درجات علياء لذلك تصدى الامام الصادق لدعوات الغلو ، وحارب أفكارها ، وقام بتعرية رجالها والبراءة منهم ، لكن جهوده كلها لم تحل دون انشطار صف الشيعة الامامية الى شطرين ، ولقنت الثورة العباسية جميع الاحزاب الاسلامية درسا بليغا ، مفاده أن التحرك ينبغي أن يعتمد على الخطط الطويلة الامد ، والواضحة الاهداف ، وأن النشاط الدعوي ينبغي أن يكثف في المناطق النائية عن مركز السلطة الرسمي ، لتبعد الشبهات عن رجالها ، ولتكون أكثر قدرة على التخطيط .

وتوفي الامام الصادق سنة ١٤٨ هـ/٧٦٥ م وبوفاته خسر المسلمون عالما جليلا أجمعت أطراف الامة على امامته[1] ، ولدى الوقوف عند مشكلة انشطار الخط الامامي الى قسمين : محافظ وراديكالي ، لن أدخل في تفاصيل متاهات مقالات كتب الملل والنحل ، وتوزيع الادوار على عدد من الرجالات ، فقد كفانا مؤونة ذلك كتّاب الفرق ، مع عدد من الباحثين في أيامنا هذه ، ويكفي هنا القول بأن الجماعة الجديدة قد قالت ان الامام بعد الصادق هو ابنه البكر اسماعيل ، واعتقد غالبية هذه الجماعة بأن اسماعيل قد توفي في حياة أبيه ، وقال أقليتها : لم يمت اسماعيل بل تغيب ليظهر بعد حين في البصرة حيث أقام مقعدا وجاء تغيبه خوفا من أبي جعفر المنصور ، وأصرت

---

(١) عيون الاخبار : ٤/٢٥٣ . الارجوزة المختارة : ١٨٩ . أعلام الاسماعيلية : ١٨٤ . الكافي : ١/٣٠٦ ، ٤٧٢ ــ ٣٧٥ . وجمع أسد حيدر أخبار الصادق وعلاقته بالمذاهب الاربعة في ثلاث مجلدات ، انظره ط . بيروت ١٩٨٣ .

الاغلبية على صحة خبر وفاته ، وقالت : ان الامامة انتقلت حكما ونصا الى محمد بن اسماعيل ، كل ذلك على الرغم من الاعتراف بأن الصادق قد عهد بالامامة من بعده الى ابنه موسى الكاظم .

لقد قالت ان تعيين الكاظم جاء تمويها وغطاء فهو قد عين بمثابة امام استيداع ؛ لان امام الاستقرار كان محمد بن اسماعيل وذلك بموافقة من جعفر الصادق ، ذلك أن الامامة لا يجوز أن تنتقل من أخ الى أخ بعد الحسن والحسين ، وهي لا تكون الا في الاعقاب ، وعرف محمد بن اسماعيل باسم المكتوم ؛ ذلك أن دعوة الفرع الذي قال بامامته دخلت في دور الكتمان الشديد ، وقد اتسم هذا الفرع بالتطرف ، والعلمية والدقة في التنظيم ، وباتت فرقتــه تعرف باسم الاسماعيلية أو السبعية أو التعليمية ، أو الباطنية أو القرامطة ، الى غير ذلك من الاسماء ، وقيل عرفت بالسبعية لان اسماعيل كان سابع الائمة ، والارجح من هذا هو التأثر بتقديس رقم سبعة ، فقد عرف العالم القديم من قدس الرقم / اثنا عشر / سيما في بلاد بابل ، ومن قدس الرقم / عشرة / واعتمده ، ومن قدس الرقم / سبعة / واعتمده سيما في العالــم الكلاسيكي ومصر حيث ظهرت الفيثاغورثية ، ومن قدس الرقم / خمسة / واعتمده وهذا واضح في الديانة المانوية .

وتأثر المسلمون بهذه الانظمة ، وظهر ذلك في عقائد وأفكار الفرق ، وحين اعتمدت الاسماعيلية الرقم سبعة قالت : « ان السموات سبع ، والكواكب السيارة سبع ، والارضين سبع ، وأعضاء الانسان سبعة والنقب في الرأس سبعة والانبياء ذوي العزم أيضا سبعة »[1] .

وعرفوا بالتعليمية لان مذهبهم قام على « ابطال النظر والاستدلال ، والدعوة الى الامام المعصوم ، ويقولون : ان الحق اما أن يعرف بالرأي ، أو بالتعليم ، وباطل أن يعرف بالرأي لتعارض الاراء واختلاف العقلاء ، فلم يبق الا أن نعرف بالتعليم » .

وشهروا بالباطنية لانهم قالوا لكل ظاهر باطن ، والعلم علمان : علم الظاهر وعلم الباطن ، أو علم أهل الحقيقة وعلم أهل الطريقة ، ولقــد اعتمد الاسماعيلية

---

(١) النوبختي : ٥٧ ــ ٥٨ . عيون الاخبار : ٣٤٩/٤ ــ ٣٥٠ . الملل والنحل : ١/ ٣٣١ ــ ٣٣٢ .

طـرائق تأويل النصوص المقـدسة ، وهذا عمـل بدأ مع فيلون المؤرخ اليهودي والفيلسوف ووصل الذروة مع أفلوطين في مدرسة الاسكندرية للافلاطونية المحدثة .

وقالت الفئة الكبرى من أتباع الامام الصادق : انه بوفاة اسماعيل ولغير ذلك من الاسـباب ، عين الصادق ابنه موسى الكاظم اماما سابعا ، وليس في هذا التعيين تمويه أو استيداع ، وتابع خط موسى هذا سلسلة أئمته حتى الامام الثاني عشر : محمد بن الحسن العسكري ، الذي ذهب في غيبة وسيظهر عندما يحين الوقت لانه المهدي المنتظر ، وبناء عليه عرف هذا الخط باسم الامامية أو الاثنا عشرية .

وتذهب المصادر الامامية الى أن موسى الكاظم قد مات مقتولا من قبل الخليفة العباسي هارون الرشيد وأن محمد بن اسماعيل هو الذي وشـى بعمه الى الرشـيد حيث دخل عليه في بغـداد « فسلم عليه بالخلافة ، وقـال : ما ظننت أن في الارض خليفتين حتى رأيت عمي موسى بن جعفر يسلم عليه بالخلافة »[1] .

وشكل القوم الذين تبعوا اسماعيل ، بعـد عمل سري طويل ، فرقـة عرفت باعدادها المحكم ، وتنظيمها الدقيق المتقن في مجالات الجذب العقلاني والفلسفي والثقافي العالي ، مع الاثارة العاطفية ، والانفعال ، وفاقت في ذلك كل الفرق التي سبقتها أو نافستها ، ففي مكان العمل المشوش للفرق السابقة ، والايمان البدائي ، والاعتماد على الفورات العاطفية ، أحكم عدد من العلماء ، ذوي القدرات الخارقة ، والعقول الجبارة ، نظاما جديدا للعقيدة الاسماعيلية ، على مستوى فلسفي في غاية الرقي ، وأنتجوا أدبا رفيعا ، بدأ الان رجال عصرنا بالاعتراف بقيمته وأثره .

لقـد قدم الاسماعيليون للورعـين احتراما كبـيرا ظاهريا للقرآن والحديث والشريعة ، ومسايرة للعقيدة الشعبية الدارجة ، وقدموا للمثقفين شرحا باطنيا فلسفيا للكون اعتمد على مصادر الثقافات الشرقية القديمة والكلاسيكية ، وخاصة الفكر التأويلي والاشراقي من الافلاطونية المحدثة .

---

(١) الكافي للكليني : ١/٤٨٥ ـ ٤٨٧ . عيون اخبار الرضا : ٧٠ ـ ٨٩ . النوبختي : ٥٧ ـ ٥٨ . سرائر واسرار النطقاء : ٢٦٢ ـ ٢٦٣ . عيون الاخبار : ٤/٣٤٩ ـ ٣٥٠ . بحار الانوار: ٩/١٧٥ . الملل والنحل : ١/٣٣١. الفرق بين الفرق : ٣٩. بيان مذهب الباطنية : ٢١ ـ ٢٥ . اصول الاسماعيلية : ٨٢ ـ ٨٣ . تاريخ الفلسفة العربية : ١١ ـ ١٤ .

وقدم رجال الاسماعيلية للصوفية والروحانيين ، مادة فيها الدفء العاطفي والعرفان مع الحب السامي المؤدي الى التحام الكائنات ووحدة الوجود ، ودعم هذا كله بأمثلة وشواهد مما عاناه الائمة ومن تضحياتهم في سبيل أتباعهم ، وتم عرض هذا بمجمله وتقديمه في صيغ معارضة للنظام القائم ، وهادمة له ، فكان في ذلك سحر الثورة ، وحرارة العمل المعارض[1] .

وفي عودة نحو تاريخ الدولة العباسية نلاحظ أن العباسيين وصلوا الى السلطة، عن طريق شرعية الثورة مع حق الميراث ، وذلك بعد عمل دعوي منظم ، فقد قالوا بأنه عندما توفي النبي ﷺ كان واحدا من أعمامه حيا وهو العباس ، وحيث أنه لم يكن للنبي ولد ذكر يرثه ، ولما كان العم بمنزلة الاب ، فالعباس كان الوريث الشرعي للنبي ، ومنذ أيام المنصور مارس العباسيون سياسة دينية خاصة ، أحلت عبد الله بن العباس في العلم محل علي بن أبي طالب ، وصار يعرف الآن بحبر الامة ، وقرب العباسيون اليهم رجال الدين وعلماء الاسلام بشتى السبل من ترغيب وترهيب ، ولنذكر هنا على سبيل المثال أن الامام مالك بن أنس صنف « الموطأ » بناء على طلب المنصور وارشاده ، وابن اسحق صنف « السير والمغازي » أيضا بطلب من المنصور، ونحن عندما نقرأ كتب الادب والتاريخ والتراجم نراها تتحدث لنا مليا عن العلماء وعلاقتهم بالخلفاء ونشاطاتهم في مجالس الخلفاء ، والجوائز التي كانوا يحصلونها ، حتى ليكاد المرء يقول بأن رجال الدين صاروا أدوات الخلافة العباسية في الحكم ، وأن الفكر الاسلامي تمت صياغته عباسيا .

ونحن حين ندرس تاريخ الخلافة العباسية خاصة في القرن التاسع للميلاد ، نرى مدى التطورات التي ألمت بالمجتمع العباسي،فقد حدثت تحولات اجتماعية كبيرة مع انقلابات اقتصادية وصناعية ، وتجمعت الثروات في أيد قليلة ، وصار للبيوتات التجارية مكانتها على صعيد السلطة وغير ذلك ، كما أن الاقطاع الزراعي عظم ، وبات رجال السلطة يملكون العديد من القرى ، ويطلبون المزيد ، ويحصلون عليه بشتى السبل من شراء أو اغتصاب ، وفي تاريخ الخلافة العباسية نقرأ عن « ديوان للمظالم »

---

(١) عن طريق عقيدة القيامة التي سنعرض لها، وينصح القارىء بالعودة الى محتويات رسائل اخوان الصفا .

كان يجلس فيه الخلفاء ، ويحدثنا الكتّاب عن عدالة بعض الخلفاء ، حيث تجد مثلا في المتخاصمين الى الخليفة شخصا اغتصبت ضيعته ، والمغتصب ابن الخليفة أو قريبه، أو أحد الوزراء أو الكتّاب أو القادة .

واستخدم الاقطاعيون أعدادا عظيمة من العمال في مزارعهم ، وجلبوا كميات هائلة من الرقيق ، خاصة الاسود منه ؛ للعمل الزراعي المرهق .

ومع منتصف القرن الثالث بدأ الضعف يلم بالكيان العباسي ، وأخذت المشاكل تتفجر،وترافق هذا مع استيلاء ضباط القصر الاتراك على السلطة وتحكمهم بالخلفاء؛ وبعد ما فعل الجند الاتراك هذا ، انعدم الاستقرار السياسي ، وكثرت الصراعات على منصب الخلافة وتعددت الانقلابات الدموية الشرسة، وهكذا ازداد تدهور الاوضاع من جميع الجوانب ، واستمر أثناء ذلك ارتباط رجال الدين ــ السنة ــ بالسلطة وقصر الخلافة، وتورط بعضهم بالنزاعات السياسية، وصاروا يسدلون ثوب الشرعية على كثير من الاعمال غير الشرعية ، ويقدمون المسوغ لما لا يقبل التسويغ ، يضاف الى هذا أنه منذ [أيام المتوكل] سيطر الحنابلة على شارع بغداد ، فشغلوا أنفسهم بمشاغل فكرية لاهوتية لا تسمن ولا تغني من جوع ، غافلين ــ أو متغافلين ــ عن المشاكل التي باتت تهدد كيان الامة بالخطر .

ولا غلو اذا قلنا بأن الفكر السني أفلس ــ أو كاد ــ في العطاء الاجتماعي ، وأن الناس فقدوا ثقتهم بعلماء السنة نظرا لتورط هؤلاء مع رجال السلطة ، ولشغل أنفسهم بقضايا التجسيم ومسائل علم الكلام الاخرى[1] .

وأمام هذا الحال بدأ الناس يفتشون عن البديل ، وأخذوا يسعون في البحث عن الحل ، وعن طريق الانقاذ والنجاة ، وقد فر بعضهم ــ لاسباب نفسية عديدة ــ الى الخيال ، فأغنى صورة المهدي المنتظر ، وجعله في أنواع من الشخصيات ، وهذا ما نشهده في كتاب « الملاحم والفتن » لنعيم بن حماد الذي جاءنا من هذا العصر .

وقامت الدعوة الاسماعيلية بتقديم البديل ، وهكذا ما أن حلت نهاية القرن

---

(١) انظر كتابي تاريخ العرب والاسلام : ٢٨١ ــ ٣١٠ . وينصح القارىء بالعودة الى كتاب «الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية» تاليف الدكتور فاروق عمر ــ ط . بغداد ١٩٧٧ .

التاسع للميلاد،حتى كان قد تم للاسماعيلية السيطرة على مسارات التفكير الاسلامي، وعلى عقول الفلاسفة ، وتغلغل تأثيرهم الموجه الى جوف نظم وأفكار الثورات وحركات العدالة والمساواة في بلاد الاسلام ، كما حصل لدى العامة شعور بدنو النصر ، وقرب ساعة التحرير ، وروجوا لهذا عن طريق فكرة الامام المهدي المنتظر ، الذي سيخرج عندما يحين الوقت فيمهد لاعلان القيامة وقيام القائم ، والقيامة عند الاسماعيلية ليست نهاية الحياة ، بل نهاية كلية أو جزئية للشرائع السائدة والنظم القائمة،وتحرير الانسان من كافة الاغلال وجميع القيود القانونية والتعبدية وسواها .

وكان لهذا ردات فعل عنيفة للغاية ، نرى أثرها في كتب الفرق على اختلاف ألوانها وأزمانها ، فكلها يعزو الى الاسماعيلية القول بالاباحية ، وحتى ممارسة ذلك وعدم الالتزام بالقيام بالفروض الدينية الكاملة ، واذا صح هذا فانه مورس فقط في مناسبات اعلان القيامة بصورة استثنائية ، ولم يأخذ صفة الاستمرار ، وشكل الممارسة الدائمة .

وعلى الرغم من توفر بعض المعطيات الممتازة ، لم تورط الحركة الاسماعيلية نفسها في عمل ثوري مباشر تتحمل أعباء نشاطه بشكل علني ، بل سعت نحو استغلال القوى غير الموالية لها تماما ، لكن المتأثرة بها ، الى أبعد الحدود ، في سبيل زيادة اضعاف النظام السني العباسي ، واضعاف هذه الحركات في الوقت ذاته .

وهنا لا بد من وقفة أمام سؤال فيه : أين كان مركز القيادة الاسماعيلية خلال هذا كله ؟ ثم ما هو موقف السلطات العباسية من النشاط الاسماعيلي ؟ والى أي مدى كان تأثير القيادة الاسماعيلية في كل ما حصل ؟

من الصعب اعطاء جواب مقنع موثق لهذا السؤال ، فنحن حين نتحدث عن دعوة اسماعلية ، الاجدر بنا أن نستبدل عبارة « دعوة » بـ « دعوات » ، ذلك أنه كما حصل في تاريخ التشيع حين انضوى العديد من الحركات المناوئة والمعارضة تحت لواء التشيع عن ايمان أو للتمويه ، حصل الشيء ذاته في الاسماعيلية .

قلنا ان دور الستر قد بدأ مع محمد بن اسماعيل ، حيث قيل بأن هذا الامام قد أودع لدى ميمون القداح، وذلك من قبل الصادق نفسه، أو من قبل اسماعيل[1]، واذا كان هناك اتفاق حول محمد بن اسماعيل فالخلاف شديد لدى المصادر حول

---

(1) سرائر وأسرار النطقاء : ٢٦٢ ـ ٢٦٤ . عيون الاخبار : ٣٣٢/٤ ـ ٣٣٥ . أصول الاسماعلية : ٨٦ .

أسماء أئمة فترة الستر وتعدادهم،والمقصود بفترة الستر هنا،الفترة التي قامت بين اسماعيل واعلان قيام الخلافة الفاطمية :

ويذكر صاحب كتاب التراتيب أن الامامة قد تولاها بعد محمد المكتوم ابنه أحمد الرضي الذي « كان حجابه الذي احتجب به وستره الذي ستره ، والذي نصبه وأقامه ميمون القداح » واثر وفاة أحمد آلت الامامة الى ابنه محمد ، وقد اتخذ الامام الجديد عبد الله بن ميمون القداح وكلفه أن « يأخذ العهد لنفسه » ويعني هذا أن ميمون القداح وولده من بعده قاما بوظيفة امام استيداع .

وإثر وفاة محمد آلت الامامة الى ابنه أحمد ،وقام الامام الجديد بتكليف أخيه ـ ولعله حمل اسم سعيد ـ بأن يكون امام استيداعه، مما يفيد بانتهاء دور الاسرة القداحية،وجاءت وفاةأحمد مبكرةفأوصى لأخيهأن يستمر بوظيفته،مستودعا لابنه محمد الذي حمل لقب المهدي ، وحاول العم اغتصاب الامامة من ابن أخيه فأخفق ، واحتفظ محمد المهدي بمنصبه ، وقد كلف أخاه عبد الله بامامة الاستيداع اثر وفاة عمه ، ولدى وفاة المهدي آلت الامامة الى ولده القائم ، وظل أخوه عبد الله محتفظا بامامة الاستيداع ، وعبد الله هذا هو أول الخلفاء الفاطميين ، الذي شهر بلقب المهدي[1] .

أما صاحب كتاب استتار الامام فيرى أن أول أئمة الستر فاسمه عبد الله ، وأنه قدم من المشرق واستقر أخيرا في السلمية ، واثر وفاته آلت الامامة الى ابنه أحمد ، وبعده الى ابنه حسين ، وحسين بن أحمد هذا هو والد عبد الله المهدي أول خلفاء الدولة الفاطمية ، وكان حسين عندما حضرته الوفاة قد أوصى بامامة الاستيداع الى أخيه سعيد الخير ، وحاول سعيد اغتصاب الامامة من ابن أخيه فأخفق[2] .

وذكر الداعي المطلق ادريس القرشي أن أول أئمة الستر هو عبد الله بن محمد المكتوم وقد حمل لقب الرضي ، وهو الذي بعث الدعاة الى المغرب ، وخلف عبد الله ابنه أحمد التقي ، وهو الذي انتقل الى السلمية ، وخلف أحمد التقي ولده الحسين الزكي ثم ابنه عبد الله المهدي ، ويذكر الداعي ادريس قصة سعيد الخير ومحاولته اغتصاب الامامة[3] .

---

(١) كتاب التراتيب في أخبار القرامطة : ١٣٧ ـ ١٣٩ .
(٢) اخبار القرامطة : ١١٣ ـ ١١٧ .
(٣) عيون الاخبار : ٣٥١/٤ ـ ٤٠٠ .

التناقض واضح بين هذه الروايات الاسماعيلية الثلاث ، لذلك لا غرابة أن نجد التناقض أشد في الروايات غير الاسماعيلية، وهكذا روى المقريزي أن أول أئمة الستر جعفر بن محمد المكتوم وقد حمل لقب المصدق ، وقد خلفه ابنه محمد الحبيب وهو والد عبد الله المهدي[١] ، ومعروف أن المقريزي قد عاصر ابن خلدون وتأثر به كثيرا لذلك جاءت الرواية لدى ابن خلدون أصلا مطابقا لما ذكره المقريزي[٢] .

لقد استغلت الدعاية العباسية فيما بعد هذا التناقض فطعنت في نسب الفاطميين[٣] ، وقد أدرك الداعي ادريس القرشي خطورة الموضوع فعلل الامر بقوله : « وكان الدعاة أيام الأئمة المستورين منذ استتار الامام محمد بن اسماعيل يسمونهم بغير أسمائهم ، ويختلفون في الاسماء اخفاء لامر الله ، وسترا لاوليائه لتغلب الاضداد ، وقوة أهل العناد ، ولذلك وقع الاختلاف في الائمة المستورين ، وكثر خوض الخائضين ، وقول القائلين »[٤] .

قد يكون هذا صحيحا ، لكن من الواضح من جميع الروايات أن بيت الامامة الاسماعيلي قد عانى في فترة الستر العديد من المشاكل ، وأن ذلك أدى الى انشقاقه على نفسه ، وعمليات الانشقاق هذه توضح لنا قضية انتساب زعيمي قرامطة الشام الى اسماعيل بن جعفر الصادق .

من المرجح أنه وجد عدد لا بأس به من الحركات المطالبة بالعدالة ، وذات الفكر الراديكالي القريب من الفكر الاسماعيلي ، ولشهرة الاسماعيلية صنف الناس والكتاب هذه الحركات بين الاسماعيلية ، فنحن عندما نقرأ ، كتب الملل والنحل نرى أصحابها يعزون انتماء بعض الشخصيات والحركات الى أكثر من فرقة ، ويطلقون العديد من الاسماء ويحلونها بكمية من الصفات والنعوت .

هذا وعلينا أيضا أن نأخذ بعين الاعتبار مسألة تغير الائمة بالوفاة أو غير ذلك ، وبالتالي التعديل بالسياسة ، وفوق هذا مشكلة المواصلات ، فكل داعية من الدعاة في منطقة [جزيرة] من المناطق كان سيد عمله ، ينشط حسب معطياته ، ويعلل الامور كما يراها من منظاره الخاص ، ومنظار بيئته وخلفياته ، ومع الايام قد تكتشف

---

(١) اتعاظ الحنفا : ١٦/١ . انظر أيضا المصابيح في اثبات الامامة للكرماني : ١٣٩ .
(٢) العبر : ٤٤٩/٣ .
(٣) انظر أصول الاسماعلية : ١١٧ ـ ١٦٣ .
(٤) عيون الاخبار : ٣٩٣/٤ ـ ٣٩٤ .

حمزة بن علي الزوزني وأحمد الكرماني ، وكانا متعاصرين ، فوجد فيها مؤثرات القيادة ذلك فلا ترضاه ، وقد يؤدي هذا الى طرده ، ومن ثم الى انشقاق في داخل الحركة ، والمطالع لما نشر من الكتب والرسائل الاسماعيلية يرى بشكل واضح أن هذا الفكر قد انتمى الى عدة مدارس ، تأثر كل منها بخلفيات محددة ، ولأضرب مثلا على ذلك أنني قرأت أثناء عملي في كتابي ماني والمانوية بعض رسائل وكتب كل من حمزة بن علي الزوزني وأحمد الكرماني ، وكانا متعاصرين ، فوجدت فيها مؤثرات مانوية واضحة ، ولا غرابة في ذلك ، فهما وان نشطا في مصر ، قد قدما بالاصل من بيئة سيطرت عليها المانوية فيما مضى .

ولعل من الاصوب ـ والامر كما أوضحت ـ أن نستخدم عبارة حركات بدلا من حركة ، ولدى العودة الى المصادر الاسماعيلية لتتبع تحركات بيت الامامة نجد أن بيت الامامة انتقل أولا من الحجاز الى العراق ، ربما الى البصرة ، ومن العراق الى خراسان ، الى منطقة جبال الديلم ، فهناك استقر فترة من الزمن مع التردد على الكوفة أحيانا ، ثم انتقل فجأة ـ اثر انشقاق كبير ـ الى بلاد الشام ، وكان هذا في حوالي منتصف القرن الثالث للهجرة ، واستقر بيت الامامة متخفيا في منطقة جبل السماق [الاربعين حاليا في محافظة ادلب السورية] ثم تحول بعد تجديد الاتصال به من قبل بعض الدعاة وأركان الدعوة الى منطقة مصياف ، ثم من مصياف الى السلمية على طرف البادية حيث استقر هناك ، وكانت السلمية مأهولة من قبل عدد من الهاشميين ، ومن الممكن الاتصال منها بسهولة بقبائل بادية الشام ، حيث المادة البشرية متوفرة للعمل السياسي والعسكري لاصحاب المطامح ، كما يمكن الوصول اليها من العراق وغير العراق من بلاد الاسلام ، وبالتالي السفر بكل يسر في جميع الاتجاهات .

في مرحلة السلمية انتهت مهمة آل القداح واتخذ الأئمة حجابهم من آلهم ، هذا ما تذكره بعض المصادر الاسماعيلية كما رأينا ، لكن مصادر أخرى غير اسماعيلية تحكي العكس فتذكر استمرار آل القداح ، واستيلائهم على منصب الامامة عن طريق الولادة الروحانية والحلول النوراني ، وعلى الرغم من شيوع هذه الرواية ورواجها نتيجة اعتمادها من قبل الدعاية العباسية المضادة ، فان من المرجح صحة الرواية الاولى[1] .

---

(1) اخبار القرامطة : ١٣٧ . عيون الاخبار : ٣٥٤/٤ ـ ٣٩٦ . اتعاظ الحنفا : ١٦/١ . أصول الاسماعيلية : ١١٧ ـ ١٥٦ .

ويذكر أن الدعوة الاسماعيلية كانت ذات أهداف عالمية ومقاصد أممية ، لذلك أقدمت على تقسيم العالم الى عدة قطاعات دعوية دُعي كل منها باسم « جزيرة » وأرسل الى كل جزيرة أحد الدعاة الكبار ، وارتبط دعاة الجزر جميعا بداع للدعاة اتصل بالامام مباشرة ، وقسمت كل جزيرة بدورها الى عدة مراكز دعوية تولى شؤون الدعوة في كل منها واحد من الدعاة ، كان ارتباطه المباشر بداعي الجزيرة ، الذي كان بمثابة داع للدعاة في جزيرته ، ولتجنب التناقضات وسواها وحرصا على وحدة الدعوة ونموها وجد دائما مع بيت الدعوة أو بالحري بيت الامامة أو تحت اشرافه مباشرة دار لتدريب الدعاة وتخريجهم ، فقد كانت الدعوة ترسل خيرة رجالاتها من كافة المراكز والجزر للتدرب والتخرج ، وكان بيت الدعوة يقوم بعد تخريج الدعاة بتكليف كل منهم بمهمة من المهام في الاراضي التي جاء منها أصلا أو في أراض جديدة .

وفي أثناء مرحلة السلمية عاود بيت الامامة صلاته مع جزر الدعوة ، وأشرف مجددا على نشاط الدعوة والدعاة في كل مكان ، وحدث قبل الانتقال الى الشام ، أن ركزت الدعوة جهودها على اليمن ، ذلك أن اليمن كانت تعد منطقة نائية ، وهي ذات طبيعة جبلية مساعدة ، وقبلية موائمة للعمل ضد السلطة المركزية ، ثم ان اليمن شهرت منذ القديم بولائها الشيعي ، ولهذا توجهت أنظار الدعوة الاسماعيلية اليها ، وتركزت عليها ، وكانت اليمن أيضا مسرحا لنشاط بعض الحركات الشيعية الاخرى، ونخص بالذكر هنا الاسرة الرسية ، وهي أسرة حسنية ، تمركزت على مقربة من المدينة المنورة ، ونجح أفراد من الاسرة الرسية في النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة في تأسيس كيان سياسي ومذهبي في وسط اليمن وشماليها ، استمر هنالك طويلا ، وكانت له جولات مع رجالات الدعوة الاسماعيلية في اليمن ، الذين ركزوا جهودهم على الجنوب[١] .

الى اليمن أرسل عدد من الدعاة الاسماعيلية ، تصدرهم مع بدايات الفترة الشامية ، اثنان هما : ابن حوشب ، وهو عراقي الاصل ، تمركز في الجنوب على مقربة من عدن ، وشهر فيما بعد باسم « منصور اليمن » ، وعلي بن الفضل ، وهو

---

(١) أفضل المصادر حول هذا الموضوع « سيرة الهادي الى الحق » وقد سبق لي نشر هذه السيرة ، وهنالك نصوص منها ضمن كتابنا أخبار القرامطة .

من أصل يماني تمركز في داخل اليمن الى الشمال من عـدن وقـد حققا في اليمن نجاحات واسعة لذلك أعلنت قيادة السـلمية عن اليمن « دار هجرة » وحرضت الدعاة من جميع الجزر على التوجه الى اليمن ، وتحت اشراف « منصور اليمن » أقيم في اليمن دار تدريب للدعاة وتخريجهم ، وهذا موضوع لنا وقفات مستقبلية عنده .

قيـام الخـلافـة الفاطميـة ـ الطور الافريقـي

« لا بد لاهل المغرب من دولة دولة كفر ... اذا قرىء على منبر مصر : من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين لم يلبث يسيرا حتى يقرأ : من عبد الله عبد الرحمن وهو صاحب المغرب وهو شر من ملك ... اذا دخل أهل المغرب أرض مصر ، فأقاموا فيها كذا وكذا تقتل وتسبي أهلها ، يومئذ تقوم النائحات ، فباكية على استحلال فروجها، وباكية تبكي على ذلها بعد عزها ، وباكية تبكي على قتل أولادها ، وباكية تبكي على قتل رجالها ، وباكية شوقا الى قبورها » .

وردت هذه الاقوال على شكل أحاديث على طريقة الاثر ؛ في أحـد فصول كتاب الملاحم والفتن [مخطوطة لندن : ٧٠ ظ ـ ٧١ ظ] لنعيم بن حماد المرزوي الخزاعي [قتل في فتنة خلق القرآن سنة٢٢٨هـ/٨٤٢م] وعنوان هذا الفصل « أول علامة تكون من علامات البربر وأهل المغرب في خروجهم » ، وموضوع كتاب نعيم ابن حماد هذا هو الحديث عما كان من « ملاحم وفتن » وما سيكون ، وقد كتبت مواد هذا الكتاب قبل ما لا يقل عن قرن من الزمن سبق قيام الخلافـة الفاطمية في افريقية [تونس] أي في قـرن الدعوة والتحضير لتأسيس الامامة الاسماعيلية ، والنماذج المقدمة أعلاه هي أكثر مواد الفصل تهذيبا ، وأقلها اقذاعا بالشتائم ، ومع هذا فهي كما هو واضح تنم عن روح مفرطة بالعداء ، ذلك أن المعني بها الدولة التي ستعرف باسم الخلافة الفاطمية ، وهي ذات فائدة كبيرة ، اذ يمكن أن تفترض من خلالها تاريخا تقريبيا لبداية النشاط الدعوي الشيعي المتطرف في الشمال الافريقي ، والمهم الان هو أنه اذا كانت روح البغضاء والعداء « للخلافة الفاطمية » بلغت هذه الدرجة في التنبؤ ، فكيف آل اليه الامر في الواقع ؟.

كان من بين المناطق التي اهتمت بها الدعوة الاسماعيلية كثيرا بلدان المغرب العربي الكبير ، فهذه البلاد النائية عن بغداد ، والتي لم يصل السلطان العباسي الى

بعض بقاعها ، كانت مناسبة للنشاط بين قبائلها البربرية ، وعندما نستعرض تاريخ الشمال الافريقي الاسلامي ، نرى شراسة المقاومة التي أبدتها القبائل البربرية للفتح العربي ، وكثرة الثورات التي واجهت الخلافة الاموية ، وأن هذه الثورات ارتدت اما الطابع الرافض للعروبة والاسلام ، أو الطابع الخارجي ، لكن مع انقضاء القرن الهجري الاول ، كان الاسلام قد انتشر بين قبائل البربر ، وقامت حركة سفر واتصال مع المشرق ، خاصة مع الحجاز للحج ولغايات أخرى ، وكان لهذه الاتصالات أبعد الاثار ، منذ القرن الثاني ، حيث انتشر مذهب أهل السنة ، حسب مدرسة فقه أهل المدينة ، في كثير من المناطق ، وأفاد هذا التشيع العام ، سيما مع استمرار العداء للتيار الاموي . وفي بداية العصر العباسي فر بعض رجال بني أمية الى الشمال الافريقي ، وسعوا للنجاح سياسيا ، فلم ينالوا التوفيق ، وخير شاهد على هذا الجهود التي بذلها عبدالرحمن بن معاوية قبل دخوله الى الاندلس، انما بعد عبدالرحمن بفترة قصيرة وصل المولى ادريس الاول الى الشمال الافريقي ، واستقر بين قبائل أوربة في منطقة زرهون من المغرب الاقصى فنال نجاحا متميزا ، علما بأن قبائل أوربة كانت على رأس القبائل الخارجية في العصر الاموي .

ولنجاح الادارسة في المغرب الاقصى ، وأبناء سليمان [أخو ادريس] بن عبد الله في منطقة تلمسان ، ولوجود كل من دولتي الاغالبة في القيروان والرستمية في تيهرت[1] ، وقوى بر غواطة على ساحل الاطلسي ، ودولة بني مدرار على طرف الصحراء ، فقد ركزت الدعوة الاسماعيلية أنظارها على ديار قبائل كتامة في المغرب الاوسط [في عمق الاراضي الجزائرية المصاقبة للحدود مع تونس] والى هذه الديار بعثت الدعوة الاسماعيلية بعدد من الدعاة شهر منهم اثنان عرفا باسم : « أبو سفيان والحلواني» وأمرا «أن يبسطا ظاهر علم الائمة من آل محمد ــ صلوات الله عليهم ــ وينشرا فضلهم » وأمرا « أن يتجاوزا افريقية الى حدود البربر ، ثم يفترقان ، فينزل كل واحد منهما ناحية » .

ومع أن القاضي النعمان يعزو ارسال هذين الداعيين الى الامام جعفر الصادق ، فان من المرجح أن ذلك كان قبيل بدايات الفترة الشامية من تاريخ الدعوة الاسماعيلية وينقل المقريزي بأنهما أمرا بالبعد « عن المدن والمنابر ... وقيل لهما : اذهبا فالمغرب

---

(١) انظر كتابي : تاريخ العرب والاسلام : ١١ ٤ـ ٤٢٣ ، ٤٥١ ــ ٤٦٠ ، ٤٨٥ ــ ٤٨٨

أرض بكر فاحرثاها ، واكرباها حتى يجيء صاحب البذر » ، « فيجدها مذللة فيبذر حبه فيها » .

ويفيدنا القاضي النعمان بأنهما لاقيا النجاح في عملهما الدعوي ، لكنه لايخبرنا عن الافكار التي دعوا اليها ، ولا عن واسطتهما اللغوية ، التي من المرجح أنها كانت العربية ، لاستعراب كتامة المبكر ، ويذكر القاضي النعمان أن الداعي أبا سفيان قد نزل بلدة تالا التونسية [على بعد ١٧ كم من حدود الجزائر] فابتنى مسجدا هناك وكان بعض رجال القبائل « يأتونه ويسمعون منه ويأخذون عنه » وأن بعضهم تشيع على يديه ، ونزل الحلواني منطقة سوف الجمار في ديار كتامة « فبنى مسجدا وتزوج امرأة ... وكان في العبادة والفضل والعلم علما في موضعه ، فاشتهر به ذكره ، وضرب الناس من القبائل اليه وتشيع كثير منهم على يديه من كتامة ونفره وسماته ».

ومن المرجح قياسيا أن هذين الداعيين دعيا الى الامام الرضا من آل محمد ، وبشرا بقرب ظهوره ، ونعتاه بأنه المهدي المنتظر ، وصورة المهدي صورة غنية فيها العدل المنتظر والخصب والرحمة والمساواة وفيها الحروب والانتصارات المثيرة ، فيها برنامج سياسي وعقائدي واجتماعي كامل ، ولا شك أن نشاط هذين الداعيين قد مهد السبيل أمام من جاء بعدهما ليقطف الثمار[١] .

وفي فترة السلمية توفي أبو سفيان والحلواني ، ويرجح أن الخبر حمل الى السلمية على يد وفد من رجالات البربر ، وأمام المعلومات التي حملها هذا الوفد ، وضعت الخطط لمتابعة العمل ، فصدرت الاوامر الى مركز الدعوة في اليمن لاختيار عدد من الدعاة للسفر الى المغرب ، ويرجح أن الوفد البربري تم توجيهه الى الحجاز ليلتقي هناك بالبعثة الدعوية القادمة من اليمن،وفق ترتيبات كاملة،وأمام هذه الحالة من الصعب الاعتماد على رواية القاضي النعمان في كتابه رسالة افتتاح الدعوة ، وهي رواية تفول بعامل الصدفة والنجاح الاعجازي بالمنح الربانية .

---

(١) افتتاح الدعوة : ٥٤ ـ ٥٨ . المقفى (مخطوطة باريس) ٢١٤ و . عيون الاخبار : ٣٢٤/٤ ـ ٣٩٥ . نهاية الارب : ٢٤/٢٣ . التراتيب : ١٣٨ . استتار الامام : ٩٥ الكامل لابن الاثير : ١٣٠/٥ ـ ١٣١ . اتعاظ الحنفا : ١/١ ٥. ابن خلدون : ٤٥٠/٣ . دور كتامه : ٤٥ ـ ٣٢٩ .

حين يتحدث القاضي النعمان ــ وعنه أخذت بقية المصادر ــ عن ابن حوشب نجده يذكر عن « أهل العلم والثقة من أصحابه ، أنه كان من أهل الكوفة من أهل بيت علم وتشيع ، ••• وكان ممن يذهب الى مذهب الامامية الاثني عشرية » وأنه ترك مذهب الامامية وجرى تجنيده لحساب الاسماعيلية من قبل امام وقته ، وبعد التحاقه بفترة وجيزة تم تكليفه بالذهاب الى اليمن بصحبة علي بن الفضل[1] حيث نشطا هناك وحققا نجاحات كبيرة ، الامر الذي سأتعرض له فيما بعد بتفصيل أكبر •

ومواطن الريبة في هذه الرواية تنبع من التساؤل : كيف يمكن أن تعهد الدعوة الاسماعلية لرجل التحق بها جديدا بالدعوة باليمن والاشراف على الدعوة والدعاة بشكل عام بعدما أعلنت عن اليمن دار هجرة ، ثم لم طلبت من مركز اليمن بالذات توجيه دعاة أو داعية الى المغرب ؟

من بين كتب الاسماعلية التي جرى نشرها كتاب « البيان لمباحث الاخوان » ، لقد جرى تأليف هذا الكتاب في فترة الستر ، في مرحلة السلمية ، من قبل « أبي منصور اليمن » الذي شهر بلقب الشاذلي ، والمراد بأبي منصور اليماني والد الداعية « أبو القاسم الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفي » ومعنى هذا أن اسمه كان « فرج بن حوشب » ، واذا صح هذا ، فهو ينفي حداثة تجنيد منصور اليمن ، وأصله الامامي ، يضاف الى هذا أنه عرف بلقب الشاذلي أو التادلي نسبته الى بلدة في افريقية نشط بها كداعية اسماعيلي حتى استدعي الى سلمية، ومما يؤكد هذا كله هو أننا عندما نقرأ كتاب الكشف من تأليف جعفر بن منصور اليمن ونقارن محتوياته بمحتويات كتاب « البيان لمباحث الاخوان » نجدهما معا ينتميان الى مدرسة اسماعلية ولحدة ، وأن الافكار المعروضة في كتاب المباحث قد جرى تطويرها في كتاب الكشف[2] •

ان صورة الاحداث التي يمكن رسمها الان منطقية وفيها تفسير ليس للاسباب التي دفعت الاسماعيلية الى الايعاز الى منصور اليمن لارسال داعية من لدنه الى المغرب فحسب ، بل لاسباب النجاحات الهائلة والسريعة التي حققها أبو عبد الله الداعي في المغرب •

---

(١) افتتاح الدعوة : ٣٢ ــ ٥٤ .

(٢) نشر كتاب الكشف في اكسفورد عام ١٩٥٢ ، ثم اعيد نشره في بيروت ١٩٨٤ ، ونشر كتاب المباحث في عام ١٩٥٦ من قبل مصطفى غالب .

تألفت البعثة المرسلة من اليمن من اخوة ـ ربما اثنان ـ من أسرة يمانية بارزة في الدعوة الاسماعيلية ، اسمها « آل أبي الملاحف » مع أبي عبد الله الحسين بن أحمد ابن محمد بن زكريا ، وهو الذي سيشهر باسم « أبي عبد الله الداعي » ، وقبل انطلاق البعثة تخلف واحد من آل أبي الملاحف ، وأثناء الرحلة قبل الوصول الى مكة تخلف الثاني من آل أبي الملاحف ، وهكذا انفرد أبو عبد الله بالبعثة ، وكان أبو عبد الله هذا من أهل العراق ممن هاجر الى اليمن والتحق بدار الدعوة الاسماعيلية فيها ، وعرف بالمغرب بعدة أسماء كان منها « الصنعاني » لقدومه من اليمن .

ويبدو أنه كان في مكة جماعة كبيرة من الحجاج من كتامة والبربر ، لم يكونوا جميعا من الاسماعيلية ، أو بالحري « من الشيعة » لهذا تظاهر أبو عبد الله أنه معلم أطفال ، يود السفر الى مصر ، وبالتنسيق مع الاسماعيلية من كتامة متن من مكانته بين ركب الحجاج البربر حتى وافق الجميع على مرافقته الى الشمال الافريقي .

ويصف القاضي النعمان أبا عبد الله بقوله : « وكان ذا علم وعقل ودين وورع وأمانة ونزاهة ، وكان أكثر علمه الباطن ، ونظر في علم الظاهر نظرا لم يبالغ فيه » وكانت لديه تعليمات كاملة وواضحة حول مهمته في الشمال الافريقي ، ففي ديار كتامة نشط أبو عبد الله نشاطا أوصله في سنين قليلة الى استمالة العديد من القبائل البربرية ، وقام بتنظيم قوي بين صفوف هذه القبائل ، وقادها نحو النصر في عديد من المعارك مكنته من أن يصبح سيدا للمغرب الاوسط ، وقادرا على ازالة دولة الاغالبة من الوجود ، واحتلال أراضي كل من دولتي تيهرت وسجلماسة ، ويبدو أنه ظل طيلة الفترة من نشاطه مرتبطا باليمن ، التي كانت بدورها تبلغ السلمية[1] .

ويبدو أن أبا عبد الله قد جاهر أثناء عمله بأن الامام الذي يدعو اليه هو المهدي من أبناء اسماعيل بن جعفر الصادق ، أو بكلمة أخرى : نقل الدعوة من التشيع العام الى التشيع الاسماعيلي الخاص .

---

(1) افتتاح الدعوة : ٥٩ ـ ١٢٢ . مروج الذهب : ٣٧١/١ . ابن خلدون : ٣٢/٣ . نهاية الارب : ٢٤/٢٣ . طبقات المشايخ للدرجيني : ٩٢/١ . أبو الفداء : ٨١/٢ . الكامل لابن الاثير : ٣٣/٨ . اتعاظ الحنفا : ٥١/١ . ابن عذاري : ١٦٧/١ . المقفى . برتوباشا : ٣٩١ و . دور كتامه : ١٩٣ ـ ٣٣١ .

يبدو أن أول ما قام به أبو عبد الله كان الاستفادة من جهود الدعـاة الذين سبقوه ولعله قام باعادة تنظيم جهاز الدعوة ، وأعد الدعاة الجدد ، وكان اعداده لهم عقائديا وعسكريا ، ونظرا لانه مارس مهنة التعليم في أيامه الاولى في المغرب ، فمن خلال التعليم ــ الذي لعله اقتصر على أبناء شيوخ القبائل ــ أوجد الدعاة وبنى صداقات مع زعماء القبائل ، ولا شك أن الافكار التي طرحت كانت بسيطة تعلقت بحق آل البيت بالامامة ، ثم بفكرة المهدي ، وقرب ظهوره وشروط طاعته المطلقة ، والايمان به وتقديسه .

ولقد أحسن أبو عبد الله استغلال ما كان لدى قبائل البربر من عقائد وعادات ، فالبربر تعلموا من العرب الانساب ، وقال أكثريتهم بأنهم انحدروا من قوم من قبائل حمير ، كانوا يسكنون فلسطين ، وكان زعيمهم اسمه « جالوت » وقتل النبي «داود» جالوت ، وطرد قبائله من فلسطين حيث وصلوا الى المغرب ، واستغل أبو عبد الله هذه الفكرة ، وروج لها ، وأعلن أن المهدي قادر على نقض قرار النبي داود ، ورغب البربر بالعمل من أجل الزحف نحو فلسطين ، ووعدهم بالنصر المحقق ، لان المهدي هو الذي سيقودهم .

ونقرأ في كتاب الكشف من تصنيف الداعي جعفر بن منصور اليمن أن المهدي هو الذي « يهدي الى الامر الخفي ، وهو القائم بالحق ، عند حلول الوقت بعـد انقضاء عهد غيبة الأئمة ، بعد استبداد أهل الظلم والعسف والجور ، بمقاليد الامور ، وهو حين يخرج ، يخرج مغضبا ، تؤيده ملائكة الرحمن ، وتسير أمامه ، وتواكبه أينما تحرك ، على رأسها جبرائيل على فرس أبلق بسرج من نور ، وعليه سرج من ذهب ، وعلى جبرائيل تجافيف من نور ، ومغفر من حديد ، وبيده حربة من نور ، وهو واقف على العقبة في سنان الحربة النصر ، وفي وسطها الرعب ، وفي زجها الظفر » ، لذلك « لا تتوالى للمهدي راية الى بلد الا قدمه الرعب بين يديه مسيرة شهر ، ولا يهدي بالدلالة أهل بلد الا وهداهم الله ، ومن أبى ذلك رماهم الله بحجارة الكبريت حتى يردهم أجمعين الى هداه يستسلمون بأجمعهم اليه ويكسر الصليب ، ويهدم البيع ، ويقتل الخنزير ، وتنقضي دعوة الشرك ، وتظهر دعوة الفرج ، وتقوم الدعوة بالدين لله خالصا ، وآنئذ يشرب الثور والسبع من حوض واحد ، ويخلف الراعي الذئب على غنمه[1] » .

---

(١) الكشف : ٤٨ ــ ٤٩ .

ومسألة ترغيب البربر بالهجرة الى فلسطين يمكن أن نفهمها في اطار أهـداف الدعوة الاسماعيلية ، فهدف هذه الدعوة لم يكن الاقتصار بالاستيلاء على رقعة من الارض من أجل اقامة دولة فحسب ، بل كان الهدف الاساسي ازالة الخلافة العباسية من الوجود ، واحلال الخلافة الاسماعيلية محلها ، ولا شك أن فلسطين كانت احدى بلدان الخلافة العباسية ، وكان الوصول من المغرب الى العراق سيتم عبرها حتما ، وفي تاريخ الخلافة الفاطمية ، توجهت الجيوش البربرية بعد احتلالها لمصر مباشرة بقيادة بربرية ، لاحتلال فلسطين ، لكنهم أخفقوا في تجاوز حدود الشام والزحف على العراق •

وبعد ما مضينا بعيدا مع أبي عبد الله الداعي ونشاطاته في الشمال الافريقي ، نعود نحو السلمية ، حيث نجد بيت الدعوة الاسماعيلي يشهد انشقاقا خطيرا ، تجلى بقيام ما يعرف بحركة قرامطة الشام بزعامة « صاحب الجمل » أولا ثـم « صاحب الخال » ، فقد ادعيا النسـب الاسماعيلي ، وتسمى كل واحد منهما بلقب امام ، وقام صاحب الشامة بمهاجمة السلمية حيث دمرها وأباد كل من وجده فيها ، وأثناء زحف القرامطة على السلمية ، وصلت رسالة الى الزعيم الاسماعيلي فيها انهم « قد عزموا على قتالك وقتل أهلك،فان كنت قاعدا فقم » ، وكان هذا الزعيم الذي سيعرف باسم المهدي الفاطمي ، وسيكون أول خلفاء الدولة الفاطمية ، وبادر المهدي لدى وصول الخبر اليه بالرحيل ، وأخذ معه أبا القاسم الذي سيكون الخليفة الفاطمي الثانـي وسيعرف باسم القائم ، وأخذ معه « جعفر الحاجب وابن بركة الحاضن لا غير » ، وترك القصر « كما هو بفرشه وستوره وأمواله وعبيده وبني عمه وبني أخيه الذكور والاناث••• وخرج وقت صلاة العصر ولم يعرف به أحد»وبعد خروجه من السلمية اتصل بواحد من كبار بداة المنطقة واسمه غيلان الرياحي فأتاه « ومعه ثلاثون فارسا ، فمشى معه الليل كله حتى وصل الى حمص صلاة الغداة ، ورجع عنه غيلان ، وتمادى هو يومه ذلك حتى وصل طرابلس الشام ، فأقام بها يوما واحـدا ، ثم توجـه الى فلسطين الرملة » وأقام بالرملة ما يزيد على السنة يرقب الحوادث بالشام ، ويجدد الاتصالات ببعض الدعاة لتدارس الموقف والتخطيط لخطوات مقبلة ، وأثناء الاقامة بالرملة جرت بعض الاتصالات مع القرامطة ، ولعل هذا كان في حوالي سنة ٢٩٠ هـ لكنها لم توصل الى نتيجة مجدية ، لهذا تقرر مغادرة الرملة نحو مصر ، وكانت قد

بلغته الاخبار بدمار السلمية وبقتل جميع من كان بها ، وكان آنذاك « داعي الدعاة ، وأجل الناس عند الامام وأعظمهم منزلة ، والدعاة كلهم أولاده ومن تحت يده ، وهو باب الابواب الى الائمة » اسمه فيروز وكان المسؤول عن الدعوة في مصر اسمه أبو علي « وكان مقيما يدعو بها ، وأكثر دعاة الامام من قباه ، وكان فيروز الذي دعاه ورباه وزوجه ابنته أم أبي الحسين ولده » .

وأقام « المهدي » في مصر متخفيا فترة من الزمن ، وهو على نية التوجه من هناك الى اليمن ، لكنه ما لبث أن غير نيته وقرر التوجه الى الشمال الأفريقي يريد سجلماسة على طرف الصحراء ، ويحدثنا الحاجب جعفر وكان بصحبة المهدي عما حدث في مصر والاعمال التي قام بها المهدي هناك ، فيذكر وصول تقارير الى والي مصر حول نشاط اسماعيلي فيها ، ويبدو أن هذه التقارير لم تكن واضحة ، ولذلك اعتقل الحاجب جعفر وأجري معه التحقيق ثم أطلق سراحه ، يقول جعفر : « وكنت ذلك الرجل المقبوض عليه وضربت أسواطا يسيرة ضربا خفيفا لم يكن علي منه بأس، وكان المهدي — ع٠م — قد تقدم الي قبل القبض وقال لا توجعك نفسك اذا دفعتك الى العامل دون أصحابك ، فاني أريد أن أردك الى سلمية لتستخرج القمقمين اللذين أمرتك بدفنهما ، فليس معي من الغلمان من يعلم بهما سواك ، واذا وقفت للتقرير ، فقل : أنا رجل حر ، خدمت هذا الرجل بأجرة معلومة فعلى ما تقرروني ، ولم أخدمه الا من قريب ، وأنا أرد عليه باقي أجرته وأرجع عنه الى بلدي ؟ .

قال : ففعلت ما أمرني به ، وخلى العامل سبيلي، فدخلت على المهدي —ع٠م — بالليل ، فقال لي : بكّر في الغداة ، ولا تلو على شيء حتى تصل سلمية ، وتستخرج المال ، وتشتري منه أحمال قطن ، وتجعله في بعضها وتسرع جهدك ، واحذر أن تظهر لاحد بسلمية ... وأنا أنتظرك بأطرابلس المغرب ، ولا أبرح منها حتى أراك ان شاء الله »[1] .

وكان قرار التوجه مفاجئا بالنسبة لاتباع المهدي ، يقول الحاجب جعفر : «ولم نشك أنا نريد اليمن ، فلم يظهر سيره الى المغرب الا تلك الليلة ، قال جعفر : فاشتد ذلك على كل من كان معه ، وشق علينا ذكر المغرب » . والاسباب التي دفعت المهدي الى اتخاذ هذا القرار نبع من أخبار اليمن غير المشجعة ، ولخلافه مع داعي دعاته

(1) سيرة الحاجب جعفر : ١٠٩ — ١١٢ .

فيروز ، ففي داخل اليمن حقق الهادي الى الحق يحيى بن الحسين ، وهو امام زيدي منذ سنة ٢٨٤ هـ/٨٩٧ م وبعد عمل دعوي وحربي طويل ، نجاحات كبيرة ، وخاض أكثر من معركة ناجحة ضد اسماعيلية اليمن •

وعن فيروز يقول الحاجب جعفر : « وخالفه [المهدي] فيروز قبل خروجه من مصر ، ومضى الى اليمن ••• ووصل فيروز الى داعي اليمن ، وهو رجل من الكوفة، وكان السبب في اتصاله بالامام فيروز ، وهو ••• المعروف بمنصور اليمن ، من بيت تشيع ، فلما وصل فيروز اليه لقيه بالتبجيل والتعظيم لما كان يعلم من محاله »[١] •

ويبدو أن الخلاف مع فيروز عجل بقرار المهدي بالسفر نحو الشمال الافريقي ، فانطلق من الاسكندرية يريد مدينة طرابلس ، لكن لم تسر الامور بيسر ، حيث وصلت تقارير وافية الى السلطات المصرية حوله، تبين صفاته وملامحه وتذكر مكانته، ويرجح هنا أن المنشقين هم الذين رفعوا هذه التقارير ، ومهما يكن الحال ، فقد تمكن المهدي ومن برفقته من الوصول الى طرابلس عن طريق الرشوة والتنكر ، وركوب المسالك غير المطروقة ، حتى أن ركبه تعرض للنهب من قبل بعض البربر •

ومن طرابلس توجه المهدي ، وهو على غاية الحذر يريد سجلماسة [اقليم الراشدية في المملكة المغربية] على طرف الصحراء ، وكانت سجلماسة مركزا تجاريا نشطا بشكل كبير ، وكانت أشبه المدن بحال مكة ودورها لما قبل الاسلام ، وكانت هذه المدينة تدار من قبل أسرة خارجية تعرف ببني مدرار[٢] ، واختيار سجلماسة يشبه من حيث المنطلقات اختيار الدعوة الاسماعيلية للسلمية من قبل في بلاد الشام •

وقد يتساءل المرء عن السبب الذي جعل المهدي يأخذ الطريق الى سجلماسة وليس الى ديار كتامة حيث أبو عبد الله الداعي كان يحقق النجاحات الكبيرة؟ وأرجح الاسباب هنا مرتبط بالانشقاق الذي حصل في مصر ، فأبو عبد الله الداعي تم توجيهه الى المغرب من قبل منصور اليمن ، وكان به متصلا ، ولم يسبق له أن زار السلمية ، ونال معرفة واحد من الائمة •

ويذكر الحاجب جعفر أن المهدي كان قد كتب الى منصور اليمن يخبره بأمر

---

(١) سيرة الحاجب : ١١٤ — ١١٥ •

(٢) المغرب الاسلامي للحبيب الجنحاني : ١٤٣ — ١٩٠ •

فيروز ، وطلب منه القيام بقتله ، ويتابع الحاجب جعفر قوله بأن فيروز علم وهو باليمن بما وصل من عند الامام ، فهرب الى علي بن الفضل ، وهو الداعية الاسماعيلي الاخر باليمن ، وكان ابن الفضل سيدا لعدد من القلاع اليمانية مع منطقة شاسعة ، ويذكر الحاجب جعفر بأن فيروز « فتن علي بن الفضل وأهل بلده وشعوذ لهم »[1] وتتحدث المصادر اليمنية[*] بأن علي بن الفضل أعلن القيامة في منطقته ودخل في حروب طاحنة مع منصور اليمن ، وانتهت الصراعات هذه بمؤامرة اغتيال ناجحة لعلي بن الفضل ، ولعل ذلك كان سنة ٢٩٣ هـ/٩٠٥ م ، وأثناء هذا تجددت الاتصالات بين منصور اليمن وأبي عبد الله الداعي ويبدو أن هذا الاخير علم الآن بتوجه المهدي الى الشمال الافريقي .

ووصف لنا الحاجب جعفر مصاعب الرحلة الى سجلماسة ، وبين بأن المهدي « قد لقي قبل دخولنا سجلماسة رجلا وسيما حسن الهيئة ومعه ولد له ، وهو يريد اليها بتجارة معه ، فسأله المهدي ـ ع٠م ـ وقد جمعهما الطريق عن اسمه ونسبه وبلده ، فعرّفه أنه مطلبي ، وبلده القيروان ، فحادثه المهدي ـ ع٠م ـ وأنس به ولاطفه ، فوجده متشيعا ؛ ففتش عقله ، فلما رضيه أخذ عليه » .

واستقر المهدي في سجلماسة ، وفيها توثقت علاقاته بالمطلبي ، ولما فرغ « من تجارته ، استأذن المهدي ـ ع٠م ـ في الرجوع الى القيروان » فأذن له وكلفه بالاتصال بأبي عبد الله الداعي ، وقال له : « اذا رأيته قد عزم على الخروج الى سجلماسة، فاخرج معه ، وأنفذ اليّ ابنك هذا معه ... قال جعفر : وانما أراد المهدي ـ ع٠م ـ بانفاذ المطلبي ليعرف أبا عبد الله الشيعي بالمهدي ـ ع٠م ـ لان الشيعي الداعي ببلد كتامة لم يكن رأى المهدي»[2] .

ويستفاد مما كتبه الحاجب جعفر بأن المراسلات توالت بين المهدي وأبي عبد الله الداعي ، وأثارت نشاطات المهدي ريبة اليسع بن مدرار صاحب سلجماسة ، فقرر التحقيق معه ، واتهمه بالنشاط السياسي وأنه يتظاهر بالتجارة للتمويه فقط ، لذلك اعتقله ، وفرق بالاعتقال بينه وبين القائم ، وتعرض رجال حاشية المهدي للتعذيب الشديد ، وقاد ذلك الى معرفة اليسع بوجود علاقات بين أبي عبد الله الشيعي

---

(١) سيرة الحاجب : ١١٥ .

* نشرت غالبية النصوص اليمنية المرتبطة بهذا الموضوع في كتابنا هذا « الجامع في اخبار القرامطة » .

(٢) سيرة الحاجب : ١١٦ ـ ١٢٠ .

والمهدي ، وكان أبو عبد الله قد صار سنة ٢٩٦ هـ/٩٠٩ م سيد إفريقية ، حيث أزال دولة الاغالبة من الوجود ، لذلك حافظ اليسع بن مدرار على حياة المهدي ليساوم به ، وبالفعل توجه أبو عبد الله الشيعي على رأس جيوش كبيرة يريد سجلماسة ومعه ابن المطلبي التاجر ، ولما وصل « الى سجلماسة وضع عليها الحرب ، بعد أن راسل اليسع بن مدرار أمير البلد في اخراج المهدي ــ ع٠م ــ اليه وضمن له بالانصراف عن بلده على الموادعة ، فامتنع عليه ، وضيق عليه ، وضيق على المدينة بالحرب ، وأحاطت العساكر من كل الجهات بسجلماسة بعد حرب عظيمة ، فلما رأى اليسع ما لا طاقة له به استشار من معه من أهله بالحيلة في الخلاص ، فقال له بعض من استشاره : اقتل هؤلاء المتهمين عندك ، فان كانوا أصحابهم فللت جمعهم ، وأبطلت عليهم مذهبهم ، وشتت كلمتهم ، وقال آخرون بل تحسن اليهم ، فانهم يكفونهم عنك ان كانوا أصحابهم ، ويكافئونك عن احسانك اليهم •

قال جعفر : وكان قد اتهم أيضا بهذا الامر رجل من التجار يعرف بابن بسطام، وذلك أن قوما من التجار حسدوه على نعمته ، مع شر كان فيه ، فأرادوا زوال نعمته وهلاكه ، فاجتمعوا الى اليسع وقالوا له : ان الرجل الذي يطلبه السلطان ليس هو مولى هؤلاء المعذبين عندك ، وانما هو هذا الرجل ــ يعني ابن بسطام ــ فأمره بلزوم منزله • قال جعفر : وكان ذلك مما شككه في المهدي ــ ع٠م ــ فتوقف عن عذابنا ••• وقال له بعض من كان يثق به ويرجع الى رأيه : القوم قد أحاطوا بنا من كل جانب ، وليس لنا بهم طاقة ، فان أنت قتلت هؤلاء القوم قتلوك بهم وقتلونا ، والرأي لنا ولك أن تخرج هؤلاء الرجال واحدا واحدا ، فمن كان منهم صاحب القوم اشتغلوا به عنك وعنا وقت خروجه اليهم ، فعند ذلك نجد نحن لاشتغالهم الفرصة للهرب ، ومع هذا فانه اذا وصل اليهم صاحبهم لم يكن له ولا لهم اهتمام الا القفول الى إفريقية ، خوف أن يبلغ زيادة الله بن الاغلب الهارب من بين أيديهم أنهم انصرفوا عن افريقية الى سجلماسة ، فيرجع اليها طمعا منه لبعد ما بين البلدين ، ويحشد بها العرب ، ويتحصن منهم ، فيصعب الامر عليهم ، فاذا انصرفوا عن البلد بصاحبهم رجعنا اليه •

قال جعفر : فاتفق القوم على اخراج ابن بسطام ، الذي وشى التجار به ، وأخرجوه الى أبي عبدالله،فلما رآه أبو عبدالله ترجل اليه،وقدر أنهالمهدي ــ ع٠م ــ فترجل ابن بسطام لترجل أبي عبد الله ، فلما رآه أبو عبد الله قد ترجل لترجله ركب

فرسه ولم يلتفت اليه ، ودعا بأبي القاسم بن المطلبي ، وقال لـه : الزم على يميني ولا تفارقني ، فلهذا وجهك معي الامام ، ولو كنت معي ما نزلت لرجل من سائـر الناس ... قال : ووقف ابن بسطام تحت ركاب أبي عبد الله يحرضه على فتح المدينة، ويعرفه سلامة المهدي وسلامة القائم ـ صلوات الله عليهما ـ قال جعفر : فلما زاد البلاء على أهل سجلماسة ورآهم صاحبها لم يلتفتوا الى ابن بسطام ، بعث الـى المهدي ـ ع.م ـ بفرس كميت ، وقال له : اخرج عنا الى هـذا الرجل ان كـان صاحبك ، قال جعفر : فخرج المهدي ... فلما فصل عن سجلماسة ، وانتهى الـى حيث تبين للمتأمل ، قال ابن المطلبي لابي عبد الله : هذا مولاي ومولاك ومولـى النـاس جميعـا ، فنزل أبو عبـد الله عن فرسـه وابن المطلبي ، فنـزل الجيش كلـه ، وقبل أبو عبد الله الارض ، وقبل الناس معـه ، وغـدا وغدا الناس خلفه ، يقبل الارض والناس يقبلون خلفه، حتى انكب على حوافر فرس المهدي بالله صلوات الله عليه ، ثم رفع رأسه فقبل ركاب المهدي عليه السلام وقد خنقته العبرة ، فأخـذ المهدي ـ ع.م ـ بيده رأس أبي عبد الله ، وأقبل بوجهه اليه ، وقال : أبشر بخـير يا حسين » ، وازدحم الناس حول المهدي ، وانشغل رجال جيش كتامة بذلك عـن متابعة انقتال ، الفرصة التي اهتبلها اليسع بن مدرار وأصحابه ، فخرجوا « هاربين من المدينة على وجوههم الى الصحراء ، يريدون صنهاجة المشركين الذين في داخل المغـرب » .

وما أن هدأت الاحوال واستعيد النظام ، حتى أمر المهدي باقتحام سجلماسة والعمل على استنقاذ القائم ورجال حاشيته ، وبعد شيء من الصعوبات تم ذلك ، وفي اليوم التالي أقيم سرادق كبير ، ووضعت الترتيبات لبيعة المهدي بالخلافـة ، والاعلان عن ولادة الدولة الجديدة .

ويقدم لنا الحاجب جعفر وصفا وثائقيا لاحتفالات البيعة ، حيث نصب سرير كبير للمهدي وضع تحت سرادق كبير مفتوح من جميع الجوانب ، جـاء أشبـه بمظلة سماوية كبيرة جدا ، ووقف رجال حاشية المهدي مع القائم حوله ، وعلى مسافة مائتي ذراع وقف أبو عبد الله الداعي « ومعه ألف بواب ، وقد وقفوا صفين ، وهو يدعو بأسماء الدعاة والقواد يقدمهم عشرة عشرة » للسلام على المهدي وتقديم البيعة

واحتاج هذا العمل عدة أيام ، وبعد ذلك رحل المهدي يريد القيروان ليتخذها مقرا لملكه الجديد[1] .

مما سلف نخلص الى القول أنه في سنة ٩٠٩ م تمت ولادة دولة جديدة ، دعيت باسم الخلافة الفاطمية [نسبة الى فاطمة الزهراء] ، وهذه الخلافة هي أول خلافة شيعية متطرفة في التاريخ ، وأعظم دول الشيعة مكانة ودورا ، وحمل أول خلفاء هذه الدولة لقب المهدي ، ويبدو أنه كان مهديا من حيث الاسم فقط لا من حيث التصور الوهمي المرغوب فيه ، ووصل هذا المهدي الى السلطة وحقق النصر بفضل عمل دعوي طويل وجيد التنظيم، ثم بفضل استخدام القوة المسلحة البشرية، لا بفضل الملائكة وجند السماء ، ولا شك أنه كان لتبدد الصورة الخيالية السرابية ، وقيام دولة الواقع ردات فعل شديدة ، لكن قبل الاستطراد في الحديث عن هذا ؛ وعلى الرغم مما أوردناه من قبل ، من المناسب هنا الوقوف لنحاول التعرف عن كثب الى شخصية المهدي ، واسمه ونسبه ومرتبته في الدعوة الاسماعيلية ، وهل كان امام استيداع أم استقرار ، وهل انحدر من صلبه أئمة الخلافة الفاطمية ؟

الخلاف بين مصادرنا حول أصل المهدي ونسبه شديد، فقد ذهب كل مصدر مذهبا خاصا في تحديد اسم المهدي ونسبه، قبل أن يكون مهديا، ثم بعدما صير نفسه كذلك، فغالبية المصادر السنية تنفي عنه النسب العلوي الفاطمي ، وتعزوه حينا الى الفرس المجوس وحينا آخر الى اليهود ، وغير ذلك ، وهي ان اختلفت أيضا في تحديد اسمه قبل استلامه الخلافة ، تتفق على أن اسمه بعدما صار خليفة هو عبيد الله ، وعلى هذا الاساس دعت المصادر السنية الخلافة الفاطمية باسم « الدولة العبيدية » .

ان مسألة الطعن في نسب المهدي والفاطميين مسألة مرفوضة ، ذلك أن الكتاب السنة أخذوا بها مسايرة للدولة العباسية ، التي عجزت عن التصدي للفاطميين بقوة السلاح ، فلجأت الى وسيلة الطعن بالنسب عن طريق البيانات ، واستغلت الثغرة التي قامت بسبب لجوء أبناء اسماعيل بن جعفر الصادق الى التكتم والتخفي الشديد، نتيجة للملاحقة العباسية ، ومن المدهش أن السلطات العباسية لاحقت تحركات المهدي في طريقه من الشام الى مصر ، ثم في مصر ، ومنها الى الشمال الافريقي وكانت

---

(١) سيرة الحاجب جعفر : ١٢٠ ـ ١٢٣ .

أثناء الملاحقة هذه ترى بداهة صحة نسبه العلوي ، لذلك لم تطعن بأصله العلوي ، انما بعدما انتصر نفت عنه هذا النسب .

وفيما يتعلق باسمه ، نحن لا نملك من المصادر الاسماعيلية وغير الاسماعيلية ، ما يساعد بشكل حاسم تماما على اثبات أو نفي كونه كان يحمل اسما غير الاسم الذي عرف به بعد استلامه الخلافة ، ومرد هذا الامر الى عاملين رئيسين : أولهما مرتبط بما أثير حول النسب ، والثاني مرتبط بقضية التكتم والتخفي ، فلعل ذلك استلزم منه اعطاء نفسه أسماء مختلفة بين حين وآخر .

ومع هذا كله فهل كان اسمه بعد استلامه الخلافة عبيد الله ؟ إن اسم عبيد الله هو مصغر عبد الله ، ومن المعلوم أن في التصغير تحقير ، ومرة أخرى كما أرادت السلطات العباسية أن تطعن بنسب المهدي سعت الى تحقيره بتصغير اسمه ذلك أن المهدي عند الشيعة عامة وعند الاسماعيلية خاصة ينبغي أن يكون من قريش من بني هاشم ، ثم من بني عبد المطلب ، من ولد الحسين بن علي ، لان الحسين من ولد فاطمة بنت الرسول ، واسم المهدي اما عبد الله مثل اسم أبي رسول الله واسم أبيه مثل اسم النبي محمد ، أو عكس ذلك ، كما اعتقد الخليفة المنصور العباسي حين أعلن ابنه محمدا مهدي الدولة العباسية [كان اسم المنصور عبد الله] يضاف الى هذا أن اسم ـ الخليفة ـ المهدي الفاطمي في المصادر الاسماعيلية وفي الكتابات التاريخية المعاصرة له ، وعلى النقود هو عبد الله ، وقد رأيت في القيروان دينارين ذهبيين من دنانير المهدي ضربا فيها الأول سنة ٣٠٢ هـ/٩١٤ م والثاني سنة ٣٠٤ هـ/ ٩١٦ م ونقشهما :

الامام عبد الله

لا اله الا الله محمد رسول الله

وحده لا شريك له

المهدي بالله أمير المؤمنين[١]

---

(١) في متحف دمشق دينار ذهبي وربع دينار يؤكدان هذا ايضا .

وأما فيما يتعلق بمكانة المهدي في الدعوة الاسماعيلية ، فمن المرجح أنه كان امام استيداع ولم يكن امام استقرار ، وكان عما للقائم ، ولم يكن والده رغم ماأثبت في بعض المصادر المتداولة ، ويمكن أن نسوق هنا عدة أدلـة :

١ ــ نقرأ في كتاب المجالس والمسايرات للقاضي النعمان ، وعنه نقل الداعــي المطاق ادريس القرشي في كتابه عيون الاخبار بأن المهدي ولد له بالمهدية غلام ذكر دعاه بأبي الحسن ، وفكر بجعله وليا لعهده ، لكن هذا الغلام جدر فذهب بصره ، وهكذا بقيت ولاية العهد للقائم ، وكانت أم الوليد المجدور تقول دائما : « والله لقد خرج هذا الامر من هذا ــ تعني قصر المهدي [صلع] فلا يعود اليه أبدا ، وصار الى ذلك القصر ــ تعني قصر القائم بأمر الله ــ فلا يزال في ذرية صاحبه ما بقيت الدنيا»وكانت اذا مارأت واحدة من نساء قصر القائم تقول لها:«قد ولدت اماما»[1].

٢ عندما بنى المهدي مدينة المهدية ــ كما سنوضح ذلك ــ لم يبن في المدينة الجديدة دارا للخلافة بل قصرا له وآخر للقائم ، رغم ضيق الرقعة .

٣ ــ يبدو أن المهدي أنجب وهو في الخلافة عددا من الاولاد ، وقد أثار هؤلاء المشاكل الكثيرة لابناء القائم من بعده ، وخاصة الامام المنصور اسماعيل ثم المعــز لدين الله ، وفي رسائل هذين الامامين الى الاستاذ جؤذر ، الذي كان من العبيــد الصقالبة [السلاف] وتدرج في المناصب حتى وصل أعلاها وصار المسؤول عــن القصر ، ففي عدد من الرسائل شكا جؤذر سوء سلوك أبناء المهدي ، فوافق المنصور ثم المعز على اتخاذ أقسى الاجراءات ضدهــم ، ووصفهم المنصور بأنهم « الشجرة الملعونة في القرآن » ووصفهم المعز بالقردة وغير ذلك من الاوصاف ، وبلغ المعــز تآمر أحمد بن المهدي عليه « وأنه يكثر القبيح ويتقول على المقام » فكتب الى جؤذر يقول : « ... وقد كبر على كل ذي نعمة ما وهبنا الله ، واستعظموا الخروج مما هم فيه ، فلو وجدوا من سوء الشنع كل عظيمة ــ يرد الله شرها ــ برؤوسهم لفعلوا ارادة أن يطفئوا نور الله ، « ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون » .... وهذا الشقي أحمد قد تقدم له رسم في الشؤم ...»[2] .

---

(١) المجالس والمسايرات : ٥٤٢ ــ ٥٤٣ .
(٢) سيرة جؤذر : ٦٥ ــ ٦٩ ، ١٠٥ ــ ١٠٦ .

٤ ــ ونقرأ ــ كما سلفت الاشارة ــ في مخطوط اسماعيلي قديم اسمه «كتاب التراتيب ــ وهي سبعة تراتيب على التمام والكمال » بأن والد القائم ، وكان لقبه المهدي تسلم الامامة « واشتهر بها ، وكان أمر الظهور قــد اقترب ، بأوان طاوع الشمس من مغربها ، فحضرته النقلة [الوفاة] دون الظهور الكلي ، فعندها أحضر المهدي ولده القائم ، وسلم اليه بمحضر من خواص الدعاة ، وأكابر الحجج ، وأمر أخاه عبد الله أيضا بأن يقوم مقامه ــ أي الامام المهدي أبو القائم ــ وينوب منابه ، ويتسمى باسمه ، وينعت نفسه بنعته ، وينسب القائم عليه السلام ، أنه ولده ، كيما تعلو كلمته ، وتثبت دعوته ، لانه صاحب الكشف ، على يده يكون الظهور والفرج، وبروز كل أمر من الدين مستور .

وقام القائم عليه السلام بصورة الجود الكلي ، والفيض الالهي ، وقام عمــه عبد الله بالخلافة والنيابة ، وتلقب بالمهدي ، كما أمره الامام على ذكره السلام ، ودعا لنفسه ، وبسط الدعاة والحجج في الجزائر والاقاليم من قبله ، والدعاء له ، والطاعة لأمره ، وأنه الامام المقصود ، الذي دلت الحدود على طاعتــه ، وعلى يده يكون الظهور ، وبروز كلام من الدين مستور ، فلم يزل كذلك حتى ظهرت الدعوة باليمن على يد بعض دعاته ، وهو الملقب بمنصور اليمن ، فظهرت الدعوة بالمغرب على يد أبي عبد الله الشيعي ، واستقام أمره ، وتم المراد ، وظهر بالامامة والملك ، وخطب على المنابر في جميع الامصار ، وسائر الاقطار ، وشد عند ذلك ما كان ضعف من شريعة جده محمد ﷺ ، وبتر ما كان من غيرها ، وأقــام أركانها ، وشد بنيانها ، وكشف علم التأويل ، وأبان حقائق التنزيل ، وجاهد في الله حق جهاده ، ولم يزل كذلك الى أوان نقلته ، وحضور أجله ، فعند ذلك أحضر حججه ، وحدود دعوته ، وسلم الامر الى صاحبه وهو القائم محمد بن المهدي ، والامام الحقيقي ، بمحضر منهم ، فأشهدهم على نفسه أنه أدى ما وجب عليه من الخدمة والخلافة ، وسلم الامر لصاحب الامر .

وكان المهدي أبو القائم ، هو أخو المنتقل الى سجلماسة ، وكان المهدي صاحب الكشف ، هو المولود ، المنتقل بالمهدية كما جاء بالتواريخ ، ومن هذه الجهة أنكر أبــو العباس أخو أبي عبد الله الشيعي امامــة المهدي الظاهر من سجلماسة لانــه عارف بالمهدي أبي القائــم ، فلما رأى الامر وسوس لأخيــه أبي عبد الله الشيعي ، وقال : ان هذا الذي يدعي بأنه الامام ، وسلمت مقاليد الملك الذي بيدك اليــه ،

وقلت أنه المهدي المنتظر ، ما هو كما قلت ، ولا الامر كما توهمت ، ولا هو صاحب الامر ، ولقد كنت أنت أحق بالخلافة منه ، وأولى بالنيابة ، وكان من أمر أبي عبد الله الشيعي ، وأخيه العباس »[1] أن قتلهما المهدي بتهمة التآمر والخروج .

٥ ــ اللقب الذي حمله القائم ، فهو الوحيد بين أئمة الفاطميين الذي تفرد بحمل هذا اللقب ، ذلك أن لقب القائم هو أرفع الالقاب الاسماعيلية وأعلاها قداسة، هو ليس اماما عاديا بل نبيا من الانبياء ذوي العزم ، ففي رسالة من رسائل القاضي النعمان ، كتبها أيام المعز لدين الله الفاطمي ، في الفترة الافريقية ، ودعاها باسم « الرسالة المُذْهِبَة في الحكمة والتأويل »[2] تحدث القاضي النعمان طويلا عن شخصية القائم وكان من جملة ما قاله : « قد ذكر الله عز وجل في كتابه العزيز له ثلاثمائة وستين اسما يعرفها العارفون ، ويعمى عنها الجاحدون ، حتى أن الصفوة الذين اقتفوا آثار الائمة صلوات الله عليهم أجمعين اختلفوا فيه ، فزعمت طائفة منهم أنه جسماني غير مؤيد ، واحتجوا على ذلك ، وقالوا : انه مقتفٍ آثار أبيه رسول الله ﷺ مقتبس من علمه ، لا يحكم الا بما وصى به اليه جده ــ عليه أفضل الصلاة والسلام ــ وكيف لا يكون ذلك ، وقد أعطاه الله تبارك وتعالى ما لم يعط لأحد غيره ، لقوله عز وجل : « ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » [التوبة : ٣٣] ولا يكون أفضل من فاضل، وتحقيق ذلك أن سائر النطقاء والرسل والانبياء والخلفاء من الائمة ــ صلوات الله عليهم أجمعين ــ كلهم مبشرون منذرون به ، داعون اليه .

وقالت طائفة أخرى : انه روحاني منتقل عن الجسماني ، وهم الجم الغفير ... وقالت طائفة أخرى أيضا : انه سابع سبعة من آدم ... فالنطقاء سبعة أولهم آدم وآخرهم القائم ... ومثله مثل من سلف من النطقاء [الانبياء ذوي العزم] أصحاب الشرائع والاحكام ، والحلال والحرام ، غير أنه أيده الله بما لم يؤيدهم به ، وأعطاه ما لم يعطهم ، وذكر الدعاة اليه ، والمبشرون به، والمخبرون عنه ، أن دوره ــ صلوات الله عليه ــ آخر الادوار ، اذ كان يومه آخر الايام ، وأنه يجيء بالجسمانية فيحكم في الجسمانية ويملؤها عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما ، وأن دوره دور القيامة .

---

(١) اخبار القرامطة : ١٣٧ ــ ١٤١ .
(٢) لدي صور ثلاث نسخ منها حصلت عليها من مكتبة خاصة .

فلا تزال دعوته قائمة الى أن يرث « الارض ومن عليها » [الانبياء : ٨٩] والقائم يحكم في الحياة بالجسمانيين، وبعد الحياة «في الروحانيين كما حكم في الجسمانيين، لا على من كان في عصره وزمانه » فقط بل على الجميع من « الاولين والآخرين ، اذ كان هو صلوات الله عليه سببا لبدء الابتداء ، واليه الانتهاء » .

ان الرسالة المذهبية من أهم الرسائل الاسماعيلية ، اوقف القاضي النعمان جل مواردها على شخصية القائم ، على أساس النظام السبعي ، وعنده الانبياء ذوي العزم هم «النطقاء السبعة عليهم السلام ، وذلك أن الولاية لادم عليه السلام وأن الطهارة لنوح ، وأن الصلاة لابراهيم ، وأن الزكاة لموسى ، وأن الصوم لعيسى ، وأن الحج لمحمد ﷺ، وأن الجهاد الى القائم صلوات الله على ذكره » وكان من المفترض بالمهدي التمهيد لعصر القائم لدى تسلمه السلطة باعلان قيامة عظمى ، لكن لم تتح الفرصة للقائم الفاطمي حتى باعلان قيامة صغرى ، لانه شغل أثناء حكمه بثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد الخارجي[1] .

---

(١) يذهب القاضي عبد الجبار الهمذاني الى ان الخلافة الفاطمية اظهرت اثناء ثورة أبي يزيد « الرجوع الى الاسلام ، وقام الامام » بقتل الدعاة ، ونفي بعضهم الى أرض الاندلس وغيرها ، وقال للعامة من سمعتموه يلعن الانبياء فاقتلوه وانا من ورائكم ، واذن للفقهاء والمحدثين ... وخفف الخراج واظهر الشغل بالفقه » . انظر اخبار القرامطة : ١٦٤ .

وبالنسبة لثورة ابي يزيد مخلدبن كيداد يمكن العودة الى ترجمتي القائم والمنصور اسماعيل في المقفى للمقريزي والى طبقات المشايخ للدرجيني والى محتويات المكتبة الإباضية الافريقية ، والى عيون الاخبار للداعي ادريس ، وجرى نشر السبع الخامس من هذا الكتاب في بيروت ، واعيد نشر اجزاء منه في تونس بعنوان «تاريخ الدولة الفاطمية بالمغرب» تحقيق د. فرحات الدشراوي - تونس ١٩٧٩، وشخصية هذا الثائر ما تزال تستهوي الباحثين بين معجب ومتهم ومن احدث الكتب الاباضية حوله كتاب « ثورة ابي يزيد - جهاد لاعلاء كلمة الله » تأليف الشيخ سليمان بن الحاج داود بن يوسف ط . الجزائر : ١٩٨١ .

أما بالنسبة الى موضوع القيامة فلا تكاد رسالة او كتاب من كتب الاسماعيلية الا ويكون فيها وفيه الموضوع الرئيسي ، انظر : سرائر واسرار النطقاء لجعفر بن منصور اليمن : ٢٢٩ - ٢٦٤ . كتاب الكشف له : ٤٦ - ٥٠ ، ٦٤ - ٦٧ ، ١٠٥ - ١٠٦ ، ١١٦ - ١١٧ . كتاب البيان لمباحث الاخوان لابي منصور اليماني : ٨٨ - ٩٣ ، ١٠٨ - ١٠٩ . اربع رسائل اسماعيلية تحقيق عارف تامر : ٥١ - ٥٢ ، ١٠٢ . ثلاث رسائل اسماعيلية تحقيق عارف تامر : ١٨ - ٢٠ . أربع كتب حقانية تحقيق مصطفى غالب : ٨٨ - ٩٩. كتاب اثبات الامامة لاحمد بن ابراهيم النيسابوري : ٤١ - ٩٣ كتاب اثبات النبوءات لاسحق السجستاني : =

لعل ما قدم حتى الآن يكفي للبرهنة ، وعليه لن أتوسع الآن أكثر حول هذه المسائل ، بل سألزم نفسي بالمضي في البحث ، انما بشيء من الاختصار :

فبعدما تسلم المهدي زمام الامور من أبي عبد الله الداعي ، وما أن أصبح أميرا للمؤمنين حتى أخذ يباشر أمور الحكم بنفسه حسب قاعدة الامامة عند الاسماعيلية ، ذلك أن الامام وحده هو صاحب الحق في الحكم والتشريع ، وقام المهدي بجمع الدعاة وعمل على اعادة تنظيم الدعوة ، وجهد في سبيل ايجاد جيل جديد من الدعاة ، ولقد أصاب في هذا السبيل نجاحا كبيرا ، ذلك أن زعامة الفكر الاسماعيلي ستؤول بعد قليل الى جيل من الدعاة جلهم من أصل بربري أو مغربي ، وسيظل هذا الجيل متمسكا بهذه الزعامة حتى عصر الحاكم بأمر الله في مصر .

وأصبحت الدعوة الاسماعيلية الآن دعوة علنية ، تدعمها سلطة دولة فتية ، وهنا لا بد لنا من أن نتساءل عن التجديدات التي أدخلت على أفكار الدعوة ثم عن التأثيرات المحلية عليها ؟.

يروى بأن المهدي كان قد جلب معه من المشرق كمية من الكتب الخاصة ، لعلها تضمنت النتاج الفكري الاسماعيلي ، أو بعض المهم منه ، واذا صح هذا ، فان هذا النتاج هو الذي اتخذ أساسا في العمل الدعوي الجديد ، وعليه فقد بقيت أفكاره الظاهرية هي هي ، وكذا التأويل الباطني ، وجاء لاعادة تنظيم الدعوة والمجاهرة بها وبأفكارها مع ممارسة المهدي للسلطة ، ومباشرته الحكم بنفسه ، ردات فعل اسماعيلية داخلية ، وغير اسماعيلية خارجية ، ونجمت ردات الفعل الداخلية بالأساس عن حصر المهدي للسلطات وعمله في سبيل تغيير وضعه الامامي وتبديل ولي العهد ،

= ١٨٩ – ١٩٣ كتاب شجرة اليقين للداعي عبدان القرمطي : ١١–١٣، ٣٦–٣٧، ٤٧ – ٤٨ ، ٥٥ – ٥٦ ، ٨٩ ، ١٠٢ . تاج العقائد ومعدن الفوائد تاليف علي بن محمد الوليد : ٥٨ – ٩٥ . كتاب الذخيرة في الحقيقة له : ٨٤ – ١٢٢ . كتاب الافتخار لابي يعقوب السجستاني : ٤٧ – ٩١ .

وقد تعرض لهذا الموضوع في أيامنا برنارد لويس في كتاب الدعوة الاسماعيلية الجديدة : ٨٧ – ٨٩، ١٢٨ . المحجة فيما نزل في القائم الحجة لها شم البحراني، وقد حاول مؤلف هذا الكتاب اثبات قيام القائم عن طريق تأويل آيات القرآن الكريم . الامامة وقائم القيامة لمصطفى غالب ، وهو كتاب وان تميز بالضحالة لا يخلو من فائدة .

وبناء دولة مركزية على غرار الدولة العباسية ، وكان في هذا حرمان من الغنائم للذين تحملوا أعباء الدعوة مثل أبي عبد الله الشيعي وسواه ، ثـم كان في ذلك انتكاسة عقائدية ، وتراجع ، ذلك أن اقامـة سلطة ملكية مركزية شديدة ومطلقة : شيء ، والتصور الوهمي والخيالي الفضفاض لدولة المهدي شيء آخر .

يروي القاضي عبد الجبار الهمذاني في كتابه تثبيت دلائل النبوة أنه بينما كان أصحاب أبي عبـد الله الشيعي من المغاربـة يحمّلون أمتعـة المهدي « وجـدوا ملابس الحرير والديباج ، وأواني الذهب والفضة ، وخصيان رومة ، وآثار الانبذة، فأنكروا ذلك في أنفسهم ، مع بلادة البربر ، وسألوا أبا عبد الله الداعية عن ذلك،وانما أنكروا ذلك،لأن أبا عبد الله هذا كان مقيما سنين كثيرة في كتامة يدعوهم الى المهدي، الذي هو حجة الله ، ويزعم أنه صاحبه ، وكان أبو عبد الله يتقشف ويلبس الخشن ، ويأكل العشب ، ويعدهم عن المهدي بمثل ذلك ، فلهذا أنكروا وسألوا ، فقال لهم أبو عبد الله : هذه الآثار لاصحابه وأتباعه ، وكان معه أتباع كثير »[1] .

ووفق المهدي في القضاء على المعارضة الداخلية ، وقام بتصفية دمويـة لابي عبد الله الشيعي ومن ساندە[2] ، وجاء نجاحه نتيجة بذله الاموال ، وشرائه زعماء قبائل كتامة ، وكان للمعارضة من الخارج قصة أخرى من رواتها ابراهيم الرقيق مؤرخ القيروان ، وقد بدأت في الاسبوع الاول لنزول المهدي برقادة حيث كانت قصور الاغالبة الفخمة على مقربة من القيروان : « فعندما حلت الجمعة أمر المهدي الخطيب أن يذكره في الخطبة ، فيقول : عبد الله الامام المهدي بالله أمير المؤمنين ، فلما صعد الخطيب المنبر وانتهى الى ذكر المهدي قام واحد من رجالات السنة الحضور واسمه جبلة بن حمود الصدفي « قائما وكشف رأسه حتى رآه الناس ومشى من المنبر الى آخر الجامع وهو يقول: قطعوها قطعهم الله ويكررها، يعني الخطبة لبني العباس،

---

(١) اخبار القرامطة : ١٧٨ ـ ١٧٩ .

(٢) الكامل لابن الاثير : ٨/١٥٠ ـ ١٥٢ . اخبار بني عبيد : ١١٥ ـ ١١٦ . رسالـة افتتاح الدعوة : ٢٦٠ . اخبار الدول المنقطفة ـ نسخة غوطا ، قسم الدولـة الفاطمية : ٦ ـ ٨ . صلة عريب : ٥٢ . البيان المغرب : ١/٢٢٣ ـ ٢٢٥ . تاريخ المغرب في العصر الوسيط : ٥٢ ـ ٥٣ . نهاية الارب : ٢٣/٣٥ . معالم الايمان : ٣/٤٧ . عيون الاخبار : ٥/١٢٣ . المقفى : تراجم المهدي . ابو عبد الله الداعي واخيه ابي العباس .

وقام الفقهاء ووجوه البلد معه ، فما حضر أحد من الاماثل ، وجلس بعد الجمعة رجل يعرف بالشريف ، ومعه الدعاة ، وأحضروا الناس بالعنف والشدة ، ودعوهم الى مذهبهم ، فأجابوا الى ذلك الا القليل ، فأمر بهم ، فضربوا وحبسوا ، ونابذت طائفة من الفقهاء المهدي ، وحتى أنه أدخل برجل على الوالي فقال له الوالي : قل لا اله الا الله ، فقال : أما من قولك فلا ، انني لا أدري ما تقول لي بعدها ، وأدخل اليه بآخر ، وبين يديه مصحف ، فقال له : أليس هذا هو القرآن ؟ فقال له : ما أعرف ما هو ، ووجد رجل من أصحاب المهدي المشارقة مقتولا ، فأتوا اليه ، وقالوا : قتل رجل من الاولياء ، قال : وأين هو ؟ قالوا له : أكلوه ولم تبق الا عظام ساقيه ، فقال المهدي : هذا بلد لا يحل أن يقام فيه ، فأمر بقتل المحبسين ان لم يرجعوا عما هم عليه ، فقتل منهم على ما قيل أربعة آلاف رجل في العذاب ما بين عابد ورجل صالح » .

وأثارت هذه الاعمال أهل القيروان ، وكانوا يتعصبون لمذهب الامام مالك وأهل السنة ، وكانوا سادة الاعمال التجارية والصناعية والثقافية والحضارية العامة في الشمال الافريقي ، ودخلوا في صراع مع رجال قبيلة كتامة ، لاسباب عربية بربرية وحضارية واجتماعية وسياسية عامة ، وكان الصراع حادا أجبر المهدي على التراجع ولو مؤقتا ، والخروج لتسكينهم « وكف الدعاة عن طلب الناس بمذهب التشيع » ، فلما كانت سنة ٣٠٠ هـ/٩١٣ م « خرج بنفسه الى تونس يرتاد لنفسه موضعا على ساحل البحر يتخذ فيه مدينة ، فلم يجد بقرطاجة الى تونس أحسن ولا أحصن من موضع المهدية ، وهي جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصل بزند ، فتأملها فأعجبته »، فبنى فيها مدينة في غاية الحصانة والاحكام ، ذلك أنه أراد من المدينة حصنا «يعتصم هو فيه ، ثم من يخلفه » لانه أدرك أن شعوب تونس والشمال الافريقي لن يمنحوه الولاء صرفا،ولن يدعوه بينهم اذا ما استطاعوا الى ذلك سبيلا،وعلى الرغم من تسمية المهدي لمدينته باسمه ـ وهذه حالة شاذة في تاريخ الاسلام ـ فان هذه المدينة لم تخطط وتشيد كمدينة عقائدية ومثالية ، بل أريد منها أن تكون قوية حصينة ، ولما وجد المهدي أن مساحة الجزيرة غير كافية قام بردم جزء من البحر ، كما قام بنقر ميناء لها في الصخر يتسع لحوالي ثلاثين سفينة ، وأقام على مدخل هذا المرسى برجين عظيمين[1] ـ ما تزال بقاياهما قائمة ـ للحراسة ، ربط بينهما بسلاسل من الحديد

---

(١) المقفى ـ باريس ـ ٢١٥ و ـ ٢٢٢ ظ (ترجمة المهدي).

لتحول دون طروق السفن الغريبة الى الميناء ، ونقر في الصخر أيضا دارا للصناعة تتسع لثلاثمائة سفينة ، كما بنى في المدينة الاهراءات الكبيرة لخزن الحبوب والمؤن، ونظرا لندرة المياه فقد أكثر المهدي من بناء خزانات المياه التي تملأ بمياه الأمطار .

وبنى المهدي لنفسه قصرا وآخر للقائم ، كما بنى مسجدا كبيرا ، ويختلف بناء هذا المسجد عن غيره من مساجد المشرق والمغرب ، ذلك أن له بوابة كبيرة قام على مقربة منها برجان في غاية الضخامة ثم أبراج أصغر ، مما جعل واجهة المسجد أشبه بواجهة احدى القلاع ، وجاءت هذه الأبراج مجوفة حيث كانت تملأ بمياه الأمطار ، وكان الامام يدخل الى المسجد من بوابتـه الكبيرة ، ذلك أن حرمه لم يكن فيـه مقصورة لها دهليز خاص متصل بقصر الخليفة كما كانت العادة منذ أيام معاوية بن أبي سفيان ، اثر محاولة اغتياله على يد الخوارج ، كما لم يكن القصر قريبا مـن المسجد ، والجديد في بناء مسجد المهدية أيضا وجود ممر خاص مسقوف قام على صفين من الاعمدة ، وكان يصل البوابة بالحرم ، وتعليل هذا مرتبط بأمر المظلة وما يتعلق برسومها عند الفاطميين ، فمن المشهور أن النبي كان اذا تحرك ــ أثناء رحلته الى الشام ــ كانت تظله غمامة ، لذلك عندما قامت الخلافة الفاطمية اتخذ الخلفاء لأنفسهم مظلة كانت تحمل فوق رؤوسهم ، وحيث أنه كان من غير اللائق ، أو من المحال حمل المظلة داخل المسجد عند دخول الخليفة اليه،تم بناء رواق خاص مسقوف جاء على شكل المظلة ، ليمر الخليفة تحته عند دخوله المسجد ، وكان الموقع الذي اختاره المهدي لبناء مدينته موقعا معروفا من قبل ، كان فيه بعض السكان عندمـا اختاره ، والمنطقة المحيطة به ، وتعرف بمنطقة الجم (أرض جمة) كانت منطقة حضارة وعمران وهي ما تزال كذلك ، وعندما أنجز بناء المهدية انتقل المهدي اليها مع أركان دولته ، ثم أمر بعد فترة بأن تحول طرق التجارة اليها ، وكان في ذلك مشقة علـى التجار وعقوبة لاهل القيروان ، وسنجد المنصور اسماعيل ، وهـو الخليفة الثالث يترك المهدية ، ويبني قرب القيروان صبرة المنصورية لارضاء التجار وكسب ود أهل القيروان ، وقد جعل المهدي أسواق المدينة في داخل الجزيرة ، وحرم على التجار

البيتوتة في المدينة الجزيرة ، فكانت بضائع التجار تبقى رهينة داخلها تمنعهم من التحريض أو المشاركة في أية ثورة تدبر في الليل واذا حدث وانفجرت ثورة في النهار كانت بوابة المدينة الوحيدة الشديدة الحصانة ، والتي لا يتصل بالبر سواها ، تغلق ويبقى التجار وبضائعهم رهائن فيها .

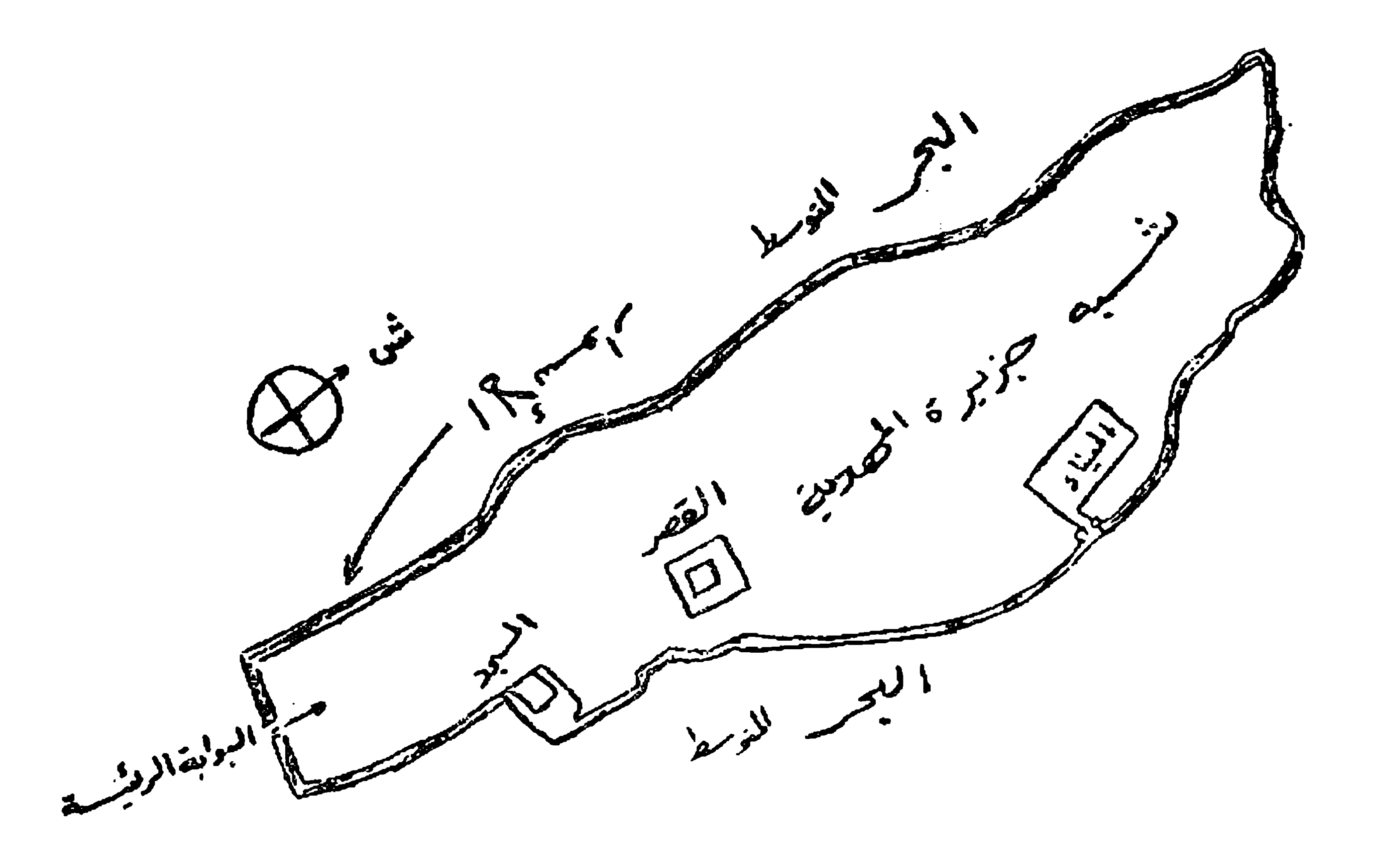
ومن المهدية أخذ بتوجيه الدعاة الى مناطق البلدان الاسلامية في المغرب والاندلس والمشرق ، وأولى المهدي المشرق عنايته الكبرى ، ذلك أن هدف الاسماعيليين كان ازالة الخلافة العباسية من الوجود ، وينقل المقريزي أن المهدي « لم يمت حتى وصلت دعاته الى بلاد الشرق ، وبعث اليه نصر بن أحمد أمير خراسان يقول : أنا في خمسين ألف مملوك يطيعوني ، وليس على المهدي كلفة ولا مؤونة . فان أمرني بالمسير سرت اليه ، ووقفت بسيفي ومنطقتي بين يديه ، وامتثلت أمره ؛ وان أمرني أن أدخل أهل الارض في طاعته فعلت ، وكتب بهذا اليه أيضا مرادويج الجبلي بمثل ذلك ، وكتب اليه يوسف بن أبي الساج ... وأحمد بن صعلوك ... بمثل ذلك ، وأنفذوا رسلهم مع الاموال اليه ، فوقع على ظهر كتبهم : الزموا مراكزكم « لكل أجل كتاب »[1] .

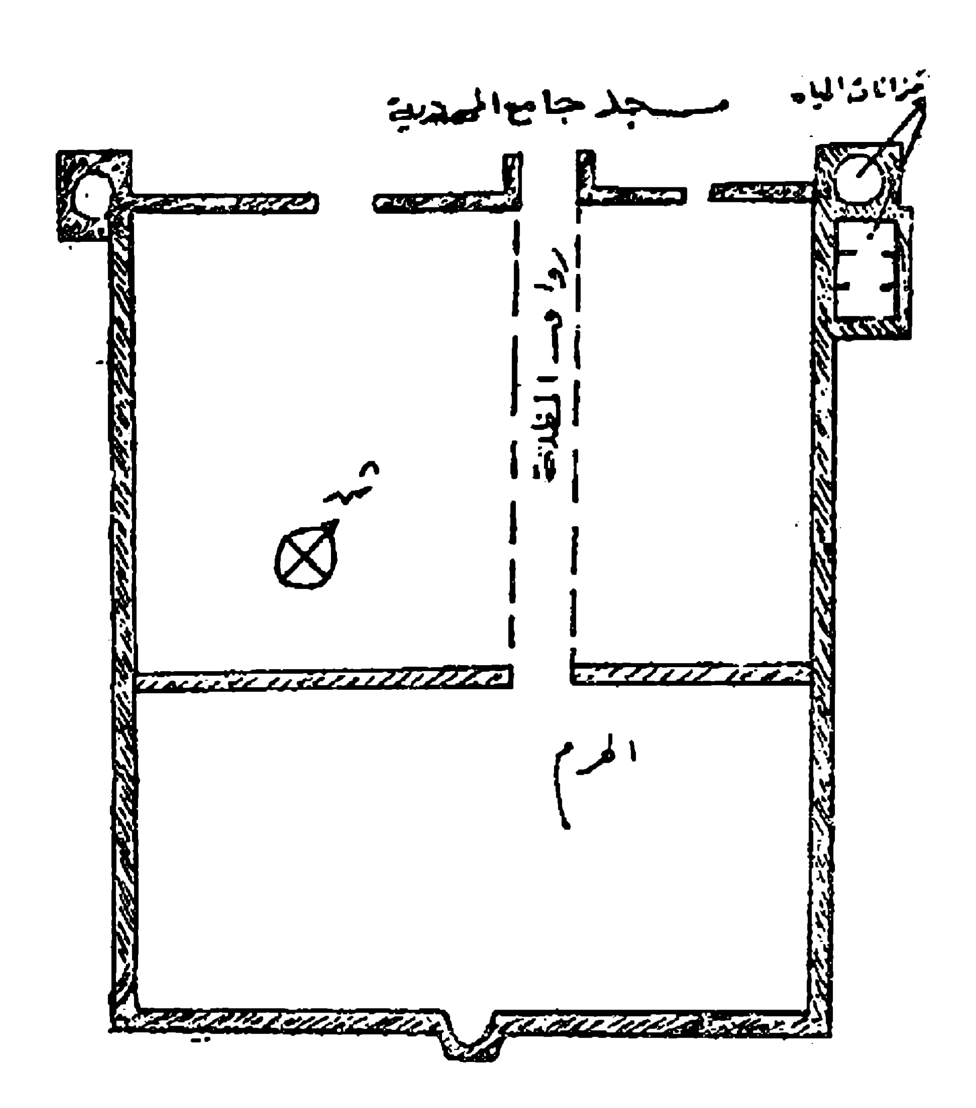
ولم يقتصر اعتماد المهدي على جيش الدعاة الكبير كوسيلة لازالة الخلافة العباسية عن طريق تفجير الثورات، بل اعتمد القوة المسلحة لدولته، فتوجهت أنظاره فور استقرار الامور له في افريقية نحو مصر الاخشيدية ، فوجه ضدها عدة حملات عسكرية قاد غالبيتها خليفته أبو القاسم محمد القائم ، وكان نصيب هذه الحملات الاخفاق[2] . وعقب وفاة المهدي سنة ٩٣٤ م توقفت هذه الحملات ، ذلك أنه كان على أبي القاسم ثم ابنه المنصور اسماعيل بعده العمل في سبيل المحافظة على الوجود الفاطمي في المغرب ، هذا الوجود الذي كادت تعصف بأركانه الثورة الخارجية التي قادها أبو

---

(١) مصادر الحاشية السابقة ، وهذا الوصف للمهدية ومسجدها قائم على المشاهدة الشخصية لدى زيارتي لها عام ١٩٧٥ .

(٢) للقائم ترجمة مفيدة في المقفى ، انظر ايضا عيون الاخبار : ٥/١٢٠ ــ ١٣٦ .


البحر المتوسط
شبه جزيرة المهدية
الميناء
القصر
المسجد
البحر المتوسط
البوابة الرئيسية
ش


مسجد جامع المهدية
خزانات المياه
الحرم

يزيد مخلد بن كيداد النكاري بتحريض ودعم من الخلافة الاموية في الاندلس(*) ، ووافت المنية القائم في المهدية سنة ٩٤٦م دون أن يتمكن من القضاء على هذه الثورة، ثم خلفه ابنه المنصور اسماعيل ، وقد تسنى للمنصور بعد حروب طويلة القضاء على ثورة أبي يزيد ، وعقب ذلك أخذ يعيد تنظيم دولته ، ويتوجـه ببصره نحو مصر ، وخلال انشغال الدولة الفاطمية في المهدية بثورة أبي يزيد بقي الدعاة نشطين ، وثابروا في تركيز الجهد على مصر وغيرها من بلدان المشرق ، ويبدو أن الدعوة كسبت بعض القواعد في مصر ، وأخذت هذه القواعد تستقبل المزيد من الدعاة للتدريب والتوجيه، ولعل من أبرز الذين وصلوا الى واحد من مراكز الدعوة في مصر أحمد بن الحسين، الذي سيعرف باسم المتنبي الشاعر ، ذلك أنه بعد عودته من مصر أعلن ثورته في بادية الشام(١) ، حيث أسره لؤلؤ صاحب حمص وأودعه السجن ، وسيقوم المتنبي بعـد خروجه من السجن بالالتحاق بسيف الدولة الحمداني حيث قـال في مدحه أروع القصائد ، وحاول كسبه الـى الجانب الاسماعيلي فأخفق ، لذلك ذهب الى مصر ، تسير أمامه شهرته الواسعة ، فاتصل بكافور الاخشيدي ، وسعى لنيل ولاية منـه لتكون قاعـدة متقدمة للتحرك الاسماعيلي نحو احتلال مصر ، لكن كافور رفض طلبه ، فاتصل بواحد من كبارقادة جيشه،فتوفي هذافي ظروف غامضةوبشكل مفاجىء، وضيق كافور على المتنبي،فاضطر الى مغادرة مصر فورا،وأعلنت الدعوة الاسماعيلية نتيجة ذلك ، أن مصر لن تفتح « حتى يزول الحجر الاسود من مكانه » .

وفي أيام المعز خليفة المنصور، وكان الحجر الاسود[كافور]قد زال من الوجود، تمكنت الخلافة الفاطمية بفضل حملات قادها جوهر الصقلبي قائد المعز ، تمكنت من بسط سيطرتها على جميع أجزاء الشمال الافريقي ، ونشط بعض الدعاة في الاندلس،

---

* رايت في القيروان دينارا ذهبيا ضرب سنة ٣٣٣ هـ/٩٤٣ م لابي يزيد مخلد بن كيداد ، من المعتقد ان ذهبه اندلسي المصدر ، وجاء على هذا الدينار :
١ ـ الطوق : الحمد لله . ضرب بمدينة القيروان . سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة .
٢ ـ الوجه الاول : ربنا الله . لا حكم الا الله . وحده لا شريك له . الحق المبين .
٣ ـ الوجه الثاني : العزة لله . محمد رسول الله . خاتم النبيين .

(١) ترجمة المتنبي في بغية الطلب لابن العديم مع ترجمة جوهر الصقلبي في ملاحـق كتابي مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية .

لكن الاندلس ودولتها لم تكن هدف الامامة الفاطمية ، لذلك ما أن وافت الفرصة حتى زحفت القوات الفاطمية على مصر فاحتلتها ، ثم ألحقت بها القسم الاكبر من بلاد الشام •

وفي مصر بنت الخلافة الفاطمية عاصمة جديدة كانت هي القاهرة ، ودار دعوة جديدة كانت هي الازهر ، وعندما انتقل مركز الفاطميين من افريقية الى مصر لم يترك هذا المركز وراءه أتباعا عقائديين كثيرين ، حيث سهل بعد فترة قصيرة نسبيا التخلي عن الولاء الفاطمي ، والعودة الى الولاء السني العباسي ، وهـذا يعني أن الدعوة الاسماعيلية قد نجحت في المغرب سياسيا، ولم تنل النجاح عقائديا، وسيتكرر هذا الحال في مصر،وانه لمن الغرابة بمكان أن نجد للعقيدة الاسماعيلية أتباعا يؤمنون بها حيث لم تقم لها سلطة ودولة ، وأن لا نجد لها من يؤمن بها حيث حكمت سنين طويلة ؛ انه لامر يتمنى الباحث أن يعرف سره ، ويكشف مغلق لغزه •

ونظرا للتداخل العضوي والتمازج بين تاريخ كل من الخلافة الفاطميةوالقرامطة واكمالا للفائدة سأقوم بتقديم عرض موجز للمتبقي من تاريخ الخلافة الفاطمية •

لقد مر تاريخ الخلافة الفاطمية بطورين رئيسين هما : الطور الافريقي ، والطور المصري،ومن الممكن أن نقسم الطور المصري الى دورين : ينتهي الاول منهما معبداية عصر الخليفة الحاكم بأمر الله ، وينتهي الثاني بسقوط الخلافة الفاطمية على يد صلاح الدين الايوبي ، وقام هذا التقسيم على اعتبارات سياسية ودينية ، حيث ــ كما سنرى ــ أخذت مظاهر الضعف تبدو على جسم الخلافة أيام الحاكم ، وفي عصر الحاكم جرت محاولات لاعادة بناء أسس العقيدة الاسماعيلية :

كان من الطبيعي أنه عندما توطدت أركان الخلافة الفاطمية في افريقية الاتكتفي الدعوة الاسماعيلية بتونس ، بل ابتغت التوسع لكن ليس في بلدان المغرب بشكل أساسي ، ذلك أن هدف الدعوة الاسماعيلية الاساسي كان ازالة الخلافة العباسية من الوجود ، واحلال الخلافة الفاطمية محلها ، لهذا كانت أنظار رجالات الاسماعيلية ترنو نحو مصر ومن ثم المشرق ، وكانت مصر يوم قامت الخلافة في تونس ، تحكم من قبل الاسرة الاخشيدية ، وكانت هذه الاسرة تحكم بالاضافة الى مصر المناطق الجنوبية من بلاد الشام ، لان الشمالية كانت تدار من قبل الاسرة الحمدانية فيحلب، وعلى الرغممن استقلال الاسرة الاخشيدية فانها كانت تدين بالولاء للخلافة العباسية•

وسلفت الاشارة الى أن الخلافة الفاطمية قد سعت نحو الاستيلاء على مصر ، وذلك منذ أيام المهدي ، حيث قاد القائم عدة حملات ضد مصر كان نصيبها الاخفاق، وبالاضافة الى الحملات العسكرية ، نشطت الدعوة الاسماعيلية في مصر واتخذ عدد مؤثر من الاسماعيليين مصر منزلا لهم بغية الاعداد للاستيلاء على مقاليد الامور فيها ، وسبق أن ذكرنا أن المتنبي كان من أشهر الذين قدموا الى مصر ، قدمها للمرة الاولى وهو داعية اسماعيلي مغمور ، ثم زارها ثانية وهو شاعر قد طبقت شهرته الافاق ، فالتحق بكافور الاخشيدي ، وحاول أن ينال منه ولاية ولو على طرف الصحراء فأخفق ، فاتصل بالقائد فاتك الاخشيدي ، فتوفي هذا في ظروف غامضة . فاضطر المتنبي الى الهرب من مصر ، وواضح أن الولاية كانت لتستخدم قاعدة للاسماعيلية ، والقائد الاخشيدي لاحداث انقلاب ضد كافور .

وبعد وفاة المهدي سنة ٣٢٢ هـ/٩٣٤ م وفي عهد خليفته القائم محمد [٣٢٢ ـ ٣٣٤ هـ/٩٣٤ ـ ٩٤٦ م] انشغلت الخلافة الفاطمية في الدفاع عن وجودها الذي تهدد بثورة صاحب الحمار أبو يزيد مخلد بن كيداد النكاري ، ولقد استطاع خليفة القائم وابنه المنصور اسماعيل (٣٣٤ ـ ٣٤١ هـ/٩٤٦ ـ ٩٥٣ م) القضاء على هذه الثورة : وتمكن من اطفاء نائرتها ، وفي عهد خليفة المنصور وابنه المعز لدين الله معد (٣٤١ ـ ٣٦٥ هـ/٩٥٣ ـ ٩٧٥ م) تمكنت الخلافة الفاطمية من بسط سيطرتها على غالبية أجزاء الشمال الافريقي ، ووافق هذا التعاظم في القوة تدهور لأحوال الدولة الاخشيدية في مصر ، خاصة بعدما توفي كافور الاخشيدي .

واغتنم المعز لدين الله الفرصة فبعث قائده جوهر الصقلبي على رأس جيش حسن الاعداد جيد التنظيم والعدة ، واستطاع هذا الجيش أن يسيطر على مصر دون كبير عناء وعظيم خسائر[1]، وتم هذا سنة ٩٦٩م وعقب ذلك زحفت القوات الفاطمية نحو بلاد الشام ، وهنا كان لزحفها هذا قصة أخرى تباينت تباينا شديدا مع قصة الاستيلاء على مصر ، سنعرض لها بعد قليل .

وفي مصر قام جوهر الصقلبي ببناء نواة مدينة جديدة ـ لتكون مقرا للفاطميين،

---

(١) تراجم جوهر الصقلبي ، جعفر بن فلاح ، جيش الصمصامة في ملاحق كتابي مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية : ٢٩٨ ـ ٣٧٦ . عيون الاخبار : ١٣٦/٦ ـ ١٦٥ . اتعاظ الحنفا : ٩٣/١ ـ ١٠٠ .

هنالك الى جانب الفسطاط العاصمة الاولى لمصر الاسلامية ـ دعاها بالقاهرة المعزية، وبعدما أنجز بناء القاهرة وفي أثناء محاولات الاستيلاء على بلاد الشام ، اصطدمت الجيوش الفاطمية بقوات قرامطة الاحساء والبحرين ، الامر الذي تطور الى حد تهديد الوجود الفاطمي في مصر ، مما حدا بالخليفة المعز لدين الله الى ترك إفريقية والارتحال نحو مصر في موكب كبير جدا ، تضمن الكثير من بربر كتامة وسواهم من المنتمين الى الدعوة الاسماعيلية ، مع كميات عظيمة من الذخائر والذهب وأهل الحرف والصناعات والفنون ، كما حمل المعز تابوت أبيه وتوابيت أجداده[1] .

لقد جاءت حملة جوهر ثم موكب المعز أشبه بهجرة بربرية نحو مصر ثم بلاد الشام ، وكانت الاولى من نوعها ، وفي القاهرة استقر المعز ، وفيها أيضا بنى الفاطميون دار دعوة جديدة ومسجدا كان في الوقت نفسه جامعة دعي بالازهر،وذلك نسبة الى فاطمة الزهراء التي انتسب اليها الفاطميون ، وأطلقوا اسمها على دولتهم .

وفي مصر تم احكام بناء الدولة الفاطمية ووضع لها نظام اداري يمكن وصفه بالعلمية لرقيه ودقته ، كما أحكم نظام الدعوة الاسماعيلية بشكل رائع جدا ، ويعتبر يعقوب بن كِلِّس وزير كل من المعز ثم ابنه العزيز أهم بناة النظام الاداري والدعوي للدولة الفاطمية في مصر ، فبفضل هذا النظام استطاعت الدولة الفاطمية أن تبقى حية لمدة تفوق القرنين على الرغم من أنه لم يوجد بين الخلفاء الذين تعاقبوا على عرش القاهرة بعد المعز من اتسم بالقدرة والكفاءة السياسية والادارية ، فمن هو يعقوب بن كلس هذا ؟

كان من رجال الادارة والمال اليهود في العراق ، وقد هجر العراق ، وجاء الى بلاد الشام حيث عمل مدة من الزمن في مدينة الرملة ، ثم غادرها الى مصر ، واتصل هناك بكافور الاخشيدي فولاه احدى الوظائف وكلفه بمهام فنجح بها أيما نجاح ، فأعجب به كافور اعجابا كبيرا حتى أنه سمع يقول : « أي وزير بين جنبيه » لو كان مسلما ، فماكان من يعقوب الا أن مضى في اليوم التالي الى المسجد حيث أعلن عن اسلامه ، « وبلغ خبره الى كافور فسره ذلك ، وعاد من الجامع الى دار كافور ،فخلع عليه غلالة مبطنة ودراعة وعمامة وزادت مراتبه عنده » .

---

(١) عيون الاخبار : ٦/١٨٤ ـ ١٩٤ . اتعاظ الحنفا : ١/١٣٤ ـ ١٤٣ .

وبعد وفاة كافور ترك يعقوب مصر ، وسافر الى المهدية ، حيث دخل في خدمة المعز لدين الله الفاطمي ، وقدم له المساعدات من أجل الاستيلاء على مصر ، وفي مصر تسلم ابن كلس وضع أسس الادارة الفاطمية هناك ، ولم يكتف بذلك بل تولى اعادة تنظيم بناءالدعوة الاسماعيلية وألف كتابا معتمدا في الفقه الاسماعيلي،وحين اعتل علة الوفاة عاده الخليفة العزيز « فقال له : وددت لو أنك تبتاع فأبتاعك بملكي ، أو تفدى فأفديك بولدي فهل من حاجة توصي بها يايعقوب ؟» وشكره يعقوب،وأوصاه بأن يتبع منهجا سماه له في عمله بالسياسة الخارجية لدولته ، ومن المدهش حقا أن وثائق الجينزا اليهودية التي عثر عليها في كنيس الفسطاط القديم ، وهي وثائق تحوي أوراق ومستندات الجالية اليهودية في مصر أيام الفاطميين ومن جاء بعدهم ، تشير هذه الوثائق الى يعقوب بن كلس باسم الاخ يعقوب ، وتوحي بأنه ظل محافظا على يهوديته وتظاهر بالاسلام تظاهرا[١] .

وبعد ما توطد الفاطميون في مصر صار تحدي العقيدة الاسماعيلية للنظام العباسي والفكر السني أكثر قوة وأشد خطرا ، وصار للفاطميين امبراطورية مترامية الاطراف ، شملت وهي في ذروة قوتها : مصر وبلاد الشام ، وشمال افريقيا وصقلية وشواطىء البحر الاحمر وبلاد الحجاز واليمن بما في ذلك المدينتين المقدستين : مكة والمدينة ، وسيطر الفاطميون على جيش هائل من الدعاة ، واعتمدوا على ولاء عدد لا يحصى من الاتباع في أراض كانت خاضعة للحكم العباسي فعليا ، أو اسميا .

وعلى الرغم من توفر جميع هذه الامكانات الهائلة للخلافة الفاطمية ، فانها أخفقت في تحقيق أهدافها في اسقاط الخلافة العباسية وازالتها من الوجود ، ومرد ذلك الى أسباب عدة منها اخفاق الفاطميين في الاستيلاء على بلاد الشام ، وتضاءل القدرات العسكرية للجند البربر أمام الجند المشارقة ، والصدام الشديد مع قرامطة الاحساء والبحرين ، وعدم تميز واحد من بين الخلفاء الفاطميين بالقدرات العسكرية، ولعل مرد ذلك الى طبيعة التنشئة الدينية لهؤلاء الخلفاء .

---

(١) الاشارة الى نال الوزارة : ١٨ ـ ٢٣ . الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي: ٢٤١ وفي كتاب ـ فرغت من اعداده وطبعه ـ المزيد من التفاصيل حول حياة يعقوب والبراهين على احتفاظه بيهوديته .

ظهرت بوادر الاخفاق الفاطمي منذ تاريخ مبكر،فبعدما استولى جوهر الصقلبي على مصر ، وفي العام نفسه ، أرسل جيشا كبيرا ـ أوكل قيادته الى الامير البربري جعفر بن فلاح ـ نحو بلاد الشام ، كي يعمل على ضمها الى الحكم الفاطمي ، ولقي هذا الجيش أثناء زحفه في فلسطين مقاومة من بقايا القوات الاخشيدية ، لكنه تغلب عليها ، وتابع سيره نحو دمشق ، وقبيل وصوله اليها فرّ حاكمها الاخشيدي منها « فخلت المدينة من السلطان ، فطمع الطامع ، وكثر الذعار وحمال السلاح » ، ونظم الدمشقيون أمور الدفاع عن مدينتهم ، بأن أغلقوا أبوابها ، وأوقفوا الرماة على شرفات الاسوار ، وأقاموا الحواجز داخل المدينة ، وكسروا أقنية المياه ، وحفروا الخنادق ، واشترك الرجال والنساء والصبية في الاعداد للدفاع عن دمشق ، وتولى شؤون المقاومة وقادها منظمة شعبية عرفت بالاحداث وكانت هذه المنظمة شبه عسكريه ، قامت في مدن بلاد الشام ، وشغلت أكبر الادوار فيها ، وأدت بعض أنواع الخدمات البلدية والعسكرية والامنية •

وصمد أهالي دمشق ، وكاد الاخفاق أن يلحق بالجيش الفاطمي لولا أن جماعة من تجار المدينة وأشرافها قامت فشكلت وفدا قام بالتوسط لدى جعفر بن فلاح ، وبث هذا الوفد التخاذل بين المدافعين ، مما سبب ايقاف المقاومة ، وأدى الى فتح أبواب المدينة لجيش ابن فلاح •

وكان أبرز الزعماء القائمين بالدفاع عن دمشق رجل من عامة أهلها وأحداثها اسمه أبو اسحق محمد بن عصودا ، وبعد ما سقطت دمشق للجيش الفاطمي نجا ابن عصودا بحشاشة نفسه ، وهرب الى الاحساء في شبه جزيرة العرب فاجتمع بزعيم القرامطة الحسن الاعصم ، فحضه على مساعدة دمشق ، فلقي الاستجابة منه ، وجاء جيش قرمطي الى دمشق ، فالتقى بجيش ابن فلاح فهزمه ولقي ابن فلاح مصرعه أثناء المعركة ، وهكذا تخلصت دمشق من الحكم الفاطمي ، وعين القرامطة عليها من يحكمها وتابعوا زحفهم نحو مصر كي يخلصوها بدورها من الحكم الفاطمي، ولكنهم أخفقوا وهزموا، وجردت الجيوش الفاطمية مجددا في أثرهم لملاحقة فلولهم، ولاعادة جنوب بلاد الشام الى حظيرة الخلافة الفاطمية •

وكما سلفت الاشارة حدث المخاطر التي تهددت القاهرة المعز لدين الله الفاطمي

الى ترك تونس والقدوم الى مصر ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر كان من بين نتائج النشاطات القرمطية في شبه جزيرة العرب قيام هجرة بدوية عملاقة حملت قبائل من عامر بن صعصعة وسواها مثل : عقيل ، وقشير ونمير، وخفاجة ، وطيء ،وكلاب، وفزارة ، وسليم ، الى بلاد الشام وبلاد الرافدين ، وعلى هذا رست القوى الفعالــة في الشام بأيدي رجالات القبائل ، وكانت طيء أقوى قبائل فلسطين ، وقــد سعى القرامطة الى كسب هذه القبيلة الى جانبهم ، كما سعى الفاطميون عن طريق الذهب وعرض المناصب شراء ولاء هذه القبيلة وسواها ، هذا ومن المقرر أن اعتماد القوى المتصارعة على ولاء البداة لا يمكن من حسم الامور ولا من قيام معارك فاصلة •

وهكذا! نجد في سنة ٣٦٣ هـ/٩٧٣ م الخليفة المعز لدين الله يقوم بتعيين ظالم‌بن مرهوب (أو موهوب) العقيلي على دمشق، وحاول ظالم البدوي العربي أخذ دمشق بالحديد والنار ، فأوقع الحرائق بعدة أماكن من المدينة ، ولكن ذلك لم يفت في عضد الدمشقيين بزعامة الأحداث ، وتم أخيرا التوصل الى تسوية غادر ظالم بن مرهوب بموجبها دمشق ، وسمح أحداث دمشق لحاكم فاطمي آخر من أصل بربري اسمـه جيش بن الصمصامة بدخول مدينتهم ، وكان هذا حلا مؤقتا ، وغير ناجع ، اذ سرعان ما عادت الاضطرابات الى دمشق ، وهنا تدخل المعز فأوعز الى واليه على طرابلس الشام بالقدوم الى دمشق للمساعدة على‌حل مشاكلها فقام هذا الوالي بصرف القوات الفاطمية وأجلاها عن دمشق ، وهكذا تم الوصول الى تفاهم مؤقت مع أحــداث دمشق ، الذين أحكموا الان قبضتهم على المدينة وأمورها ، وكان زعيم الاحداث في هذه الآونة عاميا عرف باسم ابن الماورد ، وكانت منطقة الباب الصغير هي نقطة تمركز الاحداث ، أو لنقل مكان معسكرهم •

وكان في هذه الاونة الصراع على السلطة على أشده في بغداد ، وقد أدى فيما أداه الى خلــع الخليفــة العباسي المطيــع لله [٣٣٤ ــ ٣٦٣ هـ/٩٤٦ ــ ٩٧٤ م] واستخلاف ولده الطائع ، وأدت هذه المشاكل ببعض العسكريين الاتراك الى القيام بهجر بغداد ، وكان من بين هؤلاء واحد عرف بألبتكين (هفتكين) الحاجب ، حيث ترك العراق وقدم الى دمشق ، وعندما وصلها عسكر مع غلمانه خارجها ، فخرج اليه بعض شيوخ المدينــة وأشرافها فرحبوا به ، وسألوه « الاقامــة عندهم والنظر في أحوالهم » ، وقبــل ألبتكين العرض ؛ وكان عسكريا محترفا ، له خبرات اداريــة

وسياسة ، وقد تمكن من دخول دمشق ، فرتب الامور فيها بالتعاون مع الاحداث ، وكان زعيم الاحداث قد أصبح رجلا عاميا عرف باسم قسام التراب ، وكان قسام أصله من تلفيتا « احدى قرى دمشق من قوم من العرب كان يقال لهم الحارثيون » ، نشأ في دمشق ، وكان يعمل في التراب ، ثم انضم الى الاحداث فتزايد أمره بينهم حتى غدا أول رجل بينهم •

وفي القاهرة توفي الخليفة المعز دون التمكن من حل مشكلة دمشق ، وقد خلفه ابنه العزيز ، وافتتح هذا الخليفة عهده باعداد جيش كبير جرده نحو دمشق ، وجعل على رأسه جوهر الصقلبي قاهر مصر ، وأمره أن يسترد دمشق بأي ثمن ، وأن يبعد خطر القرامطة عن الشام مهما كلفه الامر ، وأخفق جوهر ، وتمكن ألبتكين بالتعاون مع قرامطة الاحساء من صد جيوش الفاطميين ، وأوقع فيها الهزائم ، وألحق بها العار في أكثر من معركة ، مما اضطر العزيز الى الخروج بنفسه الى حربه وحرب القرامطة ، وبعد جهود مضنية وبذل كميات من الذهب لزعماء قبيلة طيء ، استطاع العزيز ايقاع الهزيمة بألبتكين وحلفائه ، وقام العزيز بشراء رضا القرامطة بمبلغ كبير من المال يدفع لهم سنويا ، وحمل ألبتكين معه الى القاهرة وذلك سنة ٣٦٨هـ/٩٧٨م، لكن نصر العزيز لم يقده الى احتلال دمشق ، فقد عاد الى مصر دون أن يجرب ذلك ، وهكذا حافظت دمشق على استقلالها ، واستبد قسام وأحداثه بأمورها فضبطوها ضبطا جيدا ، وقام قسام بمراسلة الخليفة العزيز ، فاعترف اسميا بسلطانه ، ودفعه عن دمشق ، وأراد خداعه ، وتظاهر العزيز بالرضى ، لكنه ما لبث أن جرد جيشا جديدا أرسله نحو دمشق ، ولم يتمكن هذا الجيش من تحقيق مهمته ، واضطر الى الانسحاب راضيا بتعهد من قسام بأنه لن يسلم دمشق لحاكم يدين بالطاعة للعباسيين •

ودام الحال على هذه الصورة حتى سنة ٣٧١ هـ/٩٨١ م حيث جهز الخليفة جيشا فاطميا جديدا لاعادة السيطرة على دمشق ، وذلك بعدما أخفقت أساليب أخرى مختلفة مثل قطع المؤن والتجارة عنها واثارة الاعراب وتسليطهم عليها ، بهدف اسقاط حكم قسام •

ووصل الجيش الفاطمي دمشق فحاصرها طويلا ، ولقي من المقاومة الشيء الكثير ، لكن انشقاقا في صفوف أهل المدينة أجبر قسام على القاء السلاح ، ودخل

الفاطميون دمشق ، انما بقيت مقاليد الامور بأيدي الاحداث ، وظل الحال هكذا بين أخذ ورد حتى سنة ٣٨٨ هـ/٩٩٨ م حيث تمكن الفاطميون من دعوة زعماء الاحداث الى وليمة غدر ، جعلوهم فيها طعمة للسيوف ، وهكذا توطد حكم الفاطميين في جنوب الشام ، ولكن الى حين فقط .

وفي الوقت الذي كان فيه الفاطميون يسعون الى السيطرة على دمشق حاولت بعض جيوشهم الاستيلاء على مدينة حلب ، فأخفقت بفضل دفاع حكامها من الحمدانيين عنها ، وبفضل حماية الامبراطورية البيزنطية لها ، ذلك أن هذه الامبراطورية رغبت أن تكون حدودها مع بلاد الشام مع دولة صغيرة حاجزة لا مع خلافة قوية واسعة الاملاك .

وحتى أوائل أيام العزيز كان قوام الجيش الفاطمي من الجند البربر الذين استولوا على مصر ، ثم من الذين اصطحبوا المعز لدين الله حين قدم مصر ، ولكن أخذ العزيز الان بتجنيد عناصر تركية وديلمية على غرار الخلافة العباسية ودول الشام والمشرق ، كما شرع بتشكيل فرق زنجية ، وسيكون لهذا انعكاساته على مستقبل الخلافة الفاطمية حيث سيقوم صراع بين جنسيات الجيش وسيؤدي ذلك الى اضعاف الخلافة وزعزعة كيانها[١] .

الدور المصري الثاني :

توفي العزيز سنة ٩٩٦ ، فخلفه ابنه أبو علي المنصور بلقب الحاكم بأمر الله ، وكان صبيا صغيرا ، فأديرت الدولة من قبل عدد من الرجال الى أن بلغ من السن ما مكنه من مباشرة الحكم بنفسه ، وما أن فعل ذلك حتى طبع العصر بطابعه الخاص، ونظرا لكثرة ما قام به من أعمال اتسمت بالتناقض الشديد ثم للنهاية التي آل اليها ، اختلفت آراء الناس فيه في القديم والحديث ، فهناك من رفعه الى المنزلة الالهية ،

---

(١) بالاضافة الى مواد كتابنا « اخبار القرامطة » يعتبر تاريخ دمشق لابن القلانسي مصدرنا الاساسي : ١ ـ ٩٣ . انظر ايضا تراجم : بشارة الاخشيدي ، جعفر بن فلاح ، جوهر الصقلبي ، جيش بن الصمصامة في ملاحق كتابي مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية : ٣٠٦ ـ ٣٤٨ .

وهناك من اتهمه بالجنون ، ومن اتهمه بالطغيان ، وفي أيامنا هناك من اعتبره لغزا يستحيل حله ، ومن اعتبره ممثلا للشر والكفر ، ومن رأى فيه العدالة والاستقامة فرفعه الى منزلة أبي بكر وعمر .

والحق أن وصف كل مؤرخ أو باحث متأثر الى أبعد الحدود بعقيدته الدينية ، ذلك أن الحاكم اتبع سياسة دينية خاصة ، وكان باعثه هو محاولة انشاء عقيدة جديدة ، أو بالحري تحقيق ما استهدفته الحركة الاسماعيلية في الوصول الى اعلان قيامة عظمى تلغي جميع الديانات والشرائع القائمة وتحرر الانسان من ربقتها ، وتكشف للانسان صور حقائق العلوم والمعارف انما الان ليس بوساطة « الامام القائم عليه السلام سابع النطقاء » ذوي العزم ، بل بوساطة « الاله الواحد » الذي نزل من عليائه الى الارض فتجلى لبعض الوقت ناسوتيا في شخصية عرفها الناس باسم الامام الحاكم .

الكتابات الحديثة حول هذا الموضوع باتت كثيرة سيما في لبنان نتيجة للصراع الدائر هناك ، ومهما يكن الحال يبدو أن الحاكم أراد أن يجمع الناس على عقيدة واحدة طوعا أو كرها ، وأنه بالنظر للمعارضة الشديدة التي لقيها ثم في سبيل نجاح حركته أراد أن يزلزل أركان دولته في مصر ومجتمعه ، فكان يصدر الاوامر الغريبة ثم يلغيها ويصدر غيرها وهكذا، فلعله استهدف اقناع الناس أنه وحده فعال لما يريده

ولم يكتف الحاكم بالاخذ بهذه الوسيلة بل عمد الى الاكثار من سفك الدماء ، خاصة دماء كبار رجالات الدولة ، ولعله أراد من وراء ذلك ازالة رجال العقيدة القائمة لاحلال أتباع العقيدة الجديدة محلهم ، ثم الايحاء أنه هو وحده قادر على أخذ الحياة ممن يشاء ساعة يشاء ، له الحق في ذلك كاملا دون اعتراض ...

وقد واجه الحاكم العديد من الثورات كان أولها وأكبرها ثورة أبي ركوة الذي ادعى أنه هشام بن الوليد الاموي الاندلسي ، وكان مسرح نشاطه بين قبائل مناطق الحدود الليبية المصرية الحالية ، وكان على رأس هذه القبائل بنو قرة العرب ، وقد تمكن الحاكم بعد جهود مضنية من القضاء على هذه الثورة ، ثم واجه ثورة أخرى في فلسطين بين قبائل طيء ، وقد جلبت طيء أحد أشراف مكة وأعلنته خليفة في الرملة ، وتيسر أيضا للحاكم القضاء على هذه الحركة ، ثم واجه اثر ذلك جيشاً شعبياً

في بلاد الشام تزعمه الاحداث ، وقد نجح أحداث مدينة صور بزعامة رجل اسمه علاقة الملاح في نزع زمام الامور في بلدتهم من الفاطميين ، وقام العلاقة فضرب نقوده الخاصة ، وكانت ردة فعل الحاكم تجاه هذه الثورة شديدا ، حيث بعث اسطوله ضد صور ، وأردفه بجيش بري ، واستطاع الفاطميون أخذ صور ، وأوقعوا الهزيمة بالعلاقة وأسروه ، حيث حمل الى القاهرة ، وهناك سلخ هذا الثائر حيا وصلب بظاهر القاهرة .

وعندما شعر الحاكم باستتباب الامور له ، بدأ بتحركه الديني ، فكان أن تخلى عن ملابسه المذهبة ، ولبس الصوف ، وتظاهر بالزهد ، وسمح للدعاة بالقول بأن الاله قد حل فيه ، وأثار هذا القول ردات فعل عنيفة في العاصمة المصرية ، خاصة في شطر الفسطاط والاقسام الاقدم بناء من القاهرة ، وفي ذروة الصراع من أجل العقيدة الجديدة التي ستعرف بالدرزية ، اختفى الحاكم من على مسرح الاحداث ، وجاء هذا بشكل مفاجيء ولذلك أحدث دويا كبيرا ، واحتار الناس في كشف غوامضه ومعرفة أسبابه وصنائعه .

فمن قائل ان الحاكم قد اغتيل بفعل مؤامرة أعدتها أخته ست الملك بالتعاون مع عدد من قادة الجيش ورجالات الدولة ، هذا ويرى الدروز من الجانب العقدي أنه ارتفع من الارض وعاد الى طبيعته اللاهوتية في حين توحي بعض الكتابات الدرزية المبكرة ــ رسائل الهند ــ أنه تغيب بفعل رغبته ومحض ارادته ، وأنه قام برحلات كبيرة شملت مناطق شاسعة من بلاد الشام والمشرق حتى الهند، هذا ولعقيدة الغيبة على أنواعها مكانة خاصة في الفكر الشيعي عامة والاسماعيلي خاصة ، وعلى الرغم مما اعتقده الدروز ورأوه فان بعض الكتاب يغمزون من طرف خفي ويقولون ان الحاكم اغتيل من قبل رجال من دعاة دعوته الجديدة، ذلك أن تغيبه قد حوله من حال الواقع الى الاسطورة ، ولا شك أن الوهم والخرافة أهم ينابيع الكثير من العقائد والديانات لاعتمادها على الغيبيات(١) .

---

(١) في مصادر التاريخ الفاطمي والمصادر المعاصرة وسواها مثل تاريخ دمشق لابن القلانسي ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي مواد غنية حول الحاكم ، وجرى حديثا نشر عدد من الكتب والرسائل الدرزية وهي ذات اهمية خاصة، ومن اشهر الدراسات العربية عن الحاكم كتابا عبد الله عنان ثم عبد المنعم ماجد ولهما منهج متعارض انظر كتاب « تاريخ دولة الكنوز الاسلامية » : ٤٧ ــ ٥٦ .
The Druze Faith by Sami Nasib Makarim, pp 14 - 24 .

لقد جاء اختفاء الحاكم في سنة ٤١١ هـ/١٠٢١ م وكان في أيام خلافته قد عين ابن عمه عبد الرحيم بن الياس وليا لعهده،ثم عزله واثر وفاته أخرجت أخته ست الملك ابنه أبا الحسن علي وأعلنته اماما جديدا ، وهرب عبد الرحيم بن الياس ، وأمسكت ست الملك بزمام الامور ، ومنح الخليفة الجديد لقب الظاهر لاعزاز دين ، وفي هذا اللقب اعلان عودة الى دين الظاهر بعد محاولة الخروج عنه الى دين الباطن ، وكان الظاهر يوم اعلان خلافته ما يزال صبيا ، ولهذا استبدت عمته بكل شيء وغلبته على أمـره .

ومـع توليه الخلافـة أخذت مظاهر الضعف والتفكك تبـدو جليـة على الامبراطورية الفاطميه ، ففي بلاد الشام تحالفت قبائل الشام الرئيسة وهي : كلب وطيء وكلاب على طرد الفاطميين من البلاد واقامة دول عربية ثلاث : واحدةفي دمشق لكلب ، وثانية في الرملة لطيء ، وثالثة في حلب ، وتزعم هذا التحالف : حسان بن المفرج الطائي ، وسنان بن عليان الكلبي ، وصالح بن مرداس الكلابي ، واستطاع هذا التحالف تحقيق جزء كبير من برامجه ، فطرد الجيوش الفاطمية ، وأجلاها عن الشام ، وأقام صالح بن مرداس الدولة المرداسية في حلب ، لكن حدث بعد حين أن توفي سنان بن عليان فتصدع التحالف ، مما شجع الخلافـة الفاطمية علـى ارسال جيوشها الى الشام ، وفي وادي اليرموك ، هزمت الجيوش الفاطمية صالح بن مرداس وقتلته في معركة عرفت بمعركة الاقحوانة ، لكن على الرغم من هذا النصر لم يستطع الفاطميون تثبيت أقدامهم طويلا في الشام ، وتوفي الظاهر وهو لا يزال في مقتبـل العمر فخلفه ابنه معد بلقب المستنصر وكان هذا سنة ٤٢٧ هـ/١٠٣٦ م ، ويعتبر عصر المستنصر أطول عصور الخلفاء الفاطميين حيث امتد حتى سنة ١٠٩٤ م .

وفي هذا العصر المديد ملكت الخلافة الفاطمية العديد من الفرص الثمينة ، فقد وصلت الى ذروة توسعها ثم هوت بسرعة كبيرة وذلك لاسباب داخلية وأخـرى خارجية ، ففي عصر المستنصر ضعف شأن الاسرة البويهية التي كانت تتحكم بخلفاء بغداد ، ووجد في المشرق دول اسلامية سنية كبرى ، وحيث أن الدعوة الاسماعلية لم تستطع الوفاء بالوعود التي قطعتها على نفسها ، فقد خبت جذوة هذه الدعوة ، وشهدت في الوقت نفسه بلدان العالم الاسلامي بعثا سنيا بروح قوية ، وكان مما

ساعد على هذا البعث قيام الدولة الغزنوية في المشرق ، لكن الفضل الاكبر في نجاحه بسرعة وفعالية يعود الى السلاجقة الذين خلفوا الدولة الغزنوية في حكم خراسان .

والسلاجقة هم أسرة الزعامة لدى القبائل التركمانية ، ففي بداية القرن الحادي عشر هاجرت مجموعات كبرى من التركمان من موطنها في بلاد ما وراء النهر الى خراسان ، ومن هناك انساحت الى العراق وبلاد الجزيرة والشام وآسية الصغرى وأرمينية ، ونجم عن هذه الهجرة نتائج خطيرة للغاية كان لها انعكاساتها على تاريخ العالم الوسيط أجمع ، وعلى الخلافة الفاطمية بشكل خاص ، وألم بالمناطق التي هاجر اليها التركمان دمارا كبيرا كما أنها شهدت تغييرات سياسية واجتماعية ودينية وعرقية كبيرة .

ولم تحدث الاستفاقة السنية في المشرق فقط بل قامت في المغرب أيضا ، ففي ولاية افريقية ـ تونس ـ أعلن حاكمها المعز بن باديس استقلاله عن الفاطميين ، وترافق هذا بالبطش بعناصر الاسماعيلية في ولايته ، وتجديد قواعد العقيدة السنية، وجمع الناس كلهم على مذهب مالك ، وحين حدث هذا كانت مصر تعاني من مواسم جفاف متعاقبة وقصور في النيل ، أفقر البلاد ، وأصاب الناس بالمجاعة والوباء، لذلك عجزت الخلافة الفاطمية عن القيام بأي عمل مباشر ضد المعز بن باديس .

وكان في مصر العديد من القبائل العربية جلها من هلال وسليم ، وكانت هذه القبائل مصدر شغب واخلال بالامن ، وحين ـ قامت المجاعة وحدث الانفصال في افريقية ، شجعت هذه القبائل ، لا بل دفعت للزحف نحو تونس ، وهنا حدثت الهجرة الهلالية الكبرى ، وحققت هذه الهجرة غرض تدمير سلطة ابن باديس، لكنها لم ترجع شمال افريقية الى العقيدة الاسماعيلية ، بل ساعدت بشكل حاسم على تعريب الشمال الافريقي ، وتشكل آثار هذه الهجرة وأخبارها واحدا من محاور فلسفة ابن خلدون التاريخية الاساسية ، ولقد لقيت عناية خاصة من قبل المستشرقين خاصة الفرنسيين أيام الاستعمار في المغرب الكبير ، وكان الهدف القول بأن العرب دمروا الشخصية المغربية البربرية مع الحضارة ، وان البلاد ينبغي أن تعاد الى أصولها الى غير ذلك من الدعاوي الحاوية للزيف والاختراع ، والتي تهاوت جميعا بعدما كشف باطلها .

وفي المشرق ، ومع تدفق التركمان على أرضه ، زحفت جموعهم نحو العراق للسيطره على بغداد وانهاء النفوذ البويهي فيها ، كما زحفوا على الجزيرة وبلادالشام،

وأثر هذا على كل من التركمان أنفسهم وعلى القوى السياسية والعربية لهذه المناطق، وقامت تحالفات متنوعة مع العديد من الخصومات ، كما برز عدد من المغامرين خاصة بين صفوف بقايا الجند البويهي ، وكان من أبرز هؤلاء رجل عرف بالبساسيري •

والبساسيري هــو أبو الحارث أرسلان التركي ، نسب الى بلدة بسابفارس (والعرب تسميها فسا ، وينسبون اليها فسوي ، وأهل فارس يقولون بسا ، بين الباء والفاء ، وينسبون اليها البساسيري وكان مولاه رجل من أهل بسا ، فنسب الغلام اليه ، واشتهر بهذه النسبة) ، وبدأ البساسيري حياته كعبد تركي لدى الحكام من آل بويه ، وتدرجت المناصب به حتى أصبح ــ في سنة ٤٣٥ هـ / ١٠٣٣ م الحاكم العسكري للقسم الغربي من بغداد ، وبعد هذا صار من أبرز شخصيات السلطة في بغداد وأكثرها قوة ، وعرضه هذا للتصارع مع غيره من رجالات بغداد مع البحث عن الحلفاء من الداخل والخارج وحين رأى خصومه يتحالفون مع السلاجقة ، راسل القاهرة وعرض عليها امداده بالمعونات والاموال ، حتى يزيل الخلافة العباسية من الوجود •

وتجاوبت القاهرة مع ما عرضه البساسيري عليها ، وفي سنة ٤٤٨ هـ/١٠٥٦ م، أرسلت الخلافة الفاطمية الى البساسيري ما قيمته (٢٫٣٠٠٫٠٠٠) من الدنانير مع داعي الدعاة المؤيد في الدين ، وبعد جهود مضنية واتت الفرص البساسيري سنــة ٤٥٠ هـ/١٠٥٨ م فدخل بغداد ، واعتقل الخليفة العباسي ، حيث أودع في مدينة عانة على الفرات،وألغيت الدعوة العباسية وخطب الخطباء للمستنصر من على منابر بغداد، وهكذا تحقق حلم الفاطميين في القضاء على الخلافة العباسية ، لكن هذا كله كان سرابا ، حيث لم يمض العام الواحد على حكم البساسيري لبغداد حتى تمكن طغرلبك سلطان السلاجقة من قيادة جموعه من التركمان ، فاستعاد بغداد وقتل البساسيري ، وأعاد الخليفة العباسي الى داره •

وعقب هذا بوقت قصير تمكن التركمان من أخذ دمشق والانسياح في جنوب الشام وشماله ، وقام لهذا مع اخفاق البساسيري ردات فعل كبيرة في القاهرة ، حيث تمرد بعض ضباط الجند على الخليفة وأراد التحكم فيه ، وتمكن في سنة ١٠٧٤ م أحد الضباط من الأصل الارمني واسمه بدر الجمالي من الاستيلاء على مقاليـد الامور في القاهرة •

وقبل هذا كان الخليفة الفاطمي يسيطر على جميع فروع السلطة في دولته وهي (الادارة ، والدعوة ، والدعاة ، والجيش) وكان الوزير الذي يرأس قسم الادارة ، الشخصية الاولى في الحكم بعد الخليفة وكان داعي الدعاة يرأس الحزب الفاطمي ويسير جيشا هائلا من الدعاة الموزعين في كافة أنحاء العالم الاسلامي والهند ، وكان قائد الجيش رئيسا للجند وثالثا في الترتيب ، في حكم كان بالاساس مدنيا .

لكن الآن صار أمير الجيوش سيدا للبلد ، يحكم على الخليفة ويحجر عليه ويحمل من الالقاب : لقب وزير ، وداعي الدعاة ، وذلك بالاضافة الى لقبه كأمير جيوش ، وغدا منصب أمير الجيوش منصبا وراثيا ، وقد أيقظ هذا التسلط والتغير عدم رضا ، ومعارضة شديدة بين صفوف الحركة الاسماعيلية .

وبعد وفاة الخليفة المستنصر سنة ١٠٩٤ م ، واجه الافضل بن بدر الجمالي الذي ورث منصب أبيه ، فصار أميرا للجيوش وداعيا للدعاة ، واجه أمر اختيار خليفة جديد ، كما واجه عددا من المسائل الاخرى نجمت في الاساس عن تملك التركمان لبلاد الشام ، وعن تعرض هذه البلاد لغزو جديد جاء من أوروبة الغربية ، وعرف بالغزو الصليبي .

وكان أمام الافضل نزارا ، الابن الاكبر للمستنصر ، وكان معينا لولاية عهد أبيه ، وكان أمامه أيضا أخوه الاصغر المستعلي، وكان حدثا بدون مساندة أو جماعة، فاختاره أمير الجيوش ، وسماه اماما جديدا وصاهره على أخته (أي أخت الافضل) وهرب نزار الى الاسكندرية ، فقام بثورة هناك ، لكن قوات أمير الجيوش تمكنت من ملاحقته والقضاء عليه وعلى حركته .

وأدى اختيار المستعلي الى انشطار الدعوة الاسماعلية الى قسمين ، فقد رفض الاسماعيليون في المشرق ، وكذلك القسم الاكبر من اسماعلية بلاد الشام الاعتراف بالخليفة الجديد، وقامت بين صفوفهم دعوة جديدة أسسها حسن الصباح في المشرق، وبنى أركانها في قلعة ألموت ، كما استولى على عدد من القلاع كان من أشهرها قلعة لمسر ، وأبدع حسن الصباح طرقا جديدة لنشر دعوته ، واعتمد الاغتيال السياسي بطعن الخصوم حتى الموت ، بالسكاكين ، وقد عرفت دعوته في المشرق باسم الباطنية، وقد تمكن أتباع حسن الصباح من الاستيلاء على عدد من القلاع الهامة في بلاد

الشام ، ومارسوا هناك دورا بالغ الخطورة ، وكان اسمهم في بلاد الشام الحشيشية، وهي كلمة غير معروفة الاصل حتى الآن ، انما انتقلت الى اللغات الاوروبية لتعني الاغتيـال •

ذلك أن حشيشية الشام ، وباطنية المشرق قاموا بعدد من عمليات الاغتيـال الكبرى ضد قادة المسلمين السنة بشكل رئيـي وضد قادة الاسماعيلية المستعليـة في مصر ، كما نفذوا بعض عمليات الاغتيال ضد بعض قادة الصليبيين ، وأثاروا جوا كبيرا من الرعب ، كما فرضوا فروضا (أتاوات) مالية كبرى على قادة المسلمين في المشرق والشام وعلى بعض قادة الصليبيين ــ وحتى تبعا لبعض الروايات ــ على ملوك وأباطرة أوروبـة •

وبعد وفاة حسن الصباح خلفه أحد معاونيه وعرف باسم كيابرزك أميـد ، وبتولي كيابرزك أميد هذا صار حكم أتباع الدعوة الاسماعيلية الجديدة بيد أسرة وراثية ، وبعد وفاة كيابرزك أميد قام أحد أحفاده فادعى لنفسه النسب الاسماعيلي ، وصاغ قصة مفادها بأن نزارا بن المستنصر خلف طفلا جلب الى ألموت سرا ، وربي هناك وعاش وأنجب ، ثم أنه عندما حان الوقت قام وأعلن نفسه اماما اسماعيليـا جديدا ، وترافق هذا الاعلان بطقوس كبيرة للغاية ، عرفت بطقوس القيامة الصغرى، وقد وصلنا وصف مفيد لهذه الطقوس في كل من بلاد الشام والمشرق :

« ففي السابع عشر من رمضان لسنة ٥٥٩ هـ/٨ آب ١١٦٤ م ، أمر صاحب ألموت وسيد الباطنية والحشيشية الحسن بن محمد بن كيابرزك أميد باقامة منبر متوجه الى الغرب نصبت على أطرافه أربعة رايات كبار:واحدة بيضاء،وثانية صفراء، والرابعة خضراء ، وواحدة حمراء ، واجتمع في الساحة جمهور كبير من الناس من مختلف الاجناس والاقطار ، وحيث أن المنبر كان موجها الى الغرب ، فقـد كانت ظهور المجتمعين موجهة الى الكعبة ، وعند الظهر كما يقـال من مصدر اسماعيلي (نزل المولى حسن ــ على ذكره السلام ــ من القلعة مرتديا رداء أبيض وعمامـة بيضاء) ثم ارتقى المنبر بكل جلال وبعدما تفوه بالسلام صرح برسالة الامام القائم ، باعلان القيامة، وببعثه صلواته ورحمته لاتباعه وتسميتهم بعباده المختارين، وبموجب القيامة أعفاهم من أعباء الناموس وتكاليف الشريعة ، ثم نزل من على المنبر فصلى

ركعتي العيد وظهره الى الكعبة ثم أمر بمد سماط عظيم، ودعا الحسن الناس الى الافطار والمشاركة بالوليمة ، وأباح لهم بأن يطربوا ويمارسوا من الاعمال ما رغبوا فيه » .

ولقد تقبل غالبية الباطنية الحشيشية الاعمال الجديدة، على أن قلة منهم رفضت التحرر من نير الشريعة ، فاستخدم حسن ضدهم أصرم العقوبات وأشدها (مؤكدا أنه كما في عصر الشريعة اذا لم يطع الانسان الناموس ولم يتعبد ، بل اتبع أحكام القيامة بحجة أن الطاعة والعبادة أمران روحيان ، كان ينكل به ويرجم أو يقتل ، فكذلك الان في عصر القيامة الصغرى ، اذا تقيد المرء بحرفية الشريعة ، وواظب على العبادة الجسدية وعلى تطبيق الشعائر، فان ذلك يعتبر تعصبا ينكل به من أجله ويقتل).

ولقد استمر أتباع ألموت أقوياء يزرعون الرعب في كل مكان ، ويبرهنون على عجز سلطات دول الاسلام تجاههم ، حتى قام الغزو المغولي لبلاد الاسلام ، ففي طريقه لاحتلال بغداد، قام هولاكو باحتلال قلاع ألموت ولمسر وبقية القلاع الاسماعيلية في المشرق ، وقضى على مؤسساتهم السياسية ، لكن أتباع العقيدة الاسماعيلية ظلوا يعيشون في بقاع كثيرة ، وفي العصر الحديث يتزعمهم أئمة يحمل الواحد منهم لقب الآغا خان ، ويدعون الانحدار من أئمة ألموت .

وعندما أقام الافضل المستعلي اماما جديدا ، قبل بهذا الاختيار عدد لا بأس به من الاسماعيلية ، وبعد وفاة المستعلي صار ابنه الآمر اماما جديدا ، وفي سنة ١١٣٠ م تمكن اسماعيلية ألموت من اغتيال الآمر وعقب اغتيال الآمر رفض الاسماعيلية المستعلية الاعتراف بالخليفة الفاطمي بالقاهرة ، وتبنوا عقيدة فيها أن طفلا رضيعا للآمر يدعى الطيب كان قد فقد ، حيث استتر وتغيب ، وكان تغيبه في اليمن لدى احدى سيدات الاسرة الصليحية التي كانت تحكم اليمن ، والطيب هو الامام المنتظر، ولهذا لم يعد لدى المستعلية أئمة بعده ، إنما صار المسؤول عن أمورهم داعي الدعاة ، وقد نقل أتباع هذه الدعوة نشاطهم مع مركز أعمالهم الى الهند ، ويوجد الان في الهند ما يقارب المليون والنصف من المستعلية ، وتعرف طائفتهم باسم البهرة ، وأفراد هذه الطائفة من أكثر أهل الهند ثروة ويحمل داعي دعاتهم لقب سلطان ، لهم لغتهم الخاصة وجامعتهم ومعاهدهم الثقافية .

وحكم بعد الآمر في القاهرة أربعة خلفاء من الاسرة الفاطمية لكنهم لم يعتبروا أئمة ، ثم كانوا بلا صلاحيات أو نفوذ داخلي أو خارجي وضعفت مصر في زمنهم

ضعفا شديدا ، ونجم ذلك عــن توسع الصليبيين وعن تنافس القوى في القاهــرة وصراعاتها من أجل منصب أمير الجيوش ، وأراد بعض أفراد هذه القوى الاستعانة بمملكة القدس الصليبية ، وعرف الصليبيون مصر وقدروها حق قدرها ، فعملوا من أجل احتلالها فتدخل نور الدين محمود بن زنكي ، سيد الشام وبطل الاسلام زمن الحروب الصليبية ، فمنعهم بجيش قاده أسد الدين شيركوه ، وكان صلاح الدين يوسف بن أيوب بصحبة عمه أسد الدين ، كما أنه كان أبرز أمراء الحملة بعد عمه ، وعقب وفاة أسد الدين حل محله صلاح الدين ، وتسلم منصب الوزارة ، وقــام صلاح الدين في سنة ١١٧١ م ــ بناء على تعليمات تلقاها من نور الدين ــ بالغــاء الخلافة الفاطمية وأعاد مصر الى حظيرة الدولة العباسية ، ولم يؤد هذا الالغاء الى ردات فعل شعبية في داخل مصر،ويبدو أن مرد ذلك يعود الى أن العقيدة الاسماعيلية لم تتعد سيطرتها على مصر أطر السياسة ، وكان عدد الاسماعيليين في مصر قليلا خاصة بين المصريين ، ذلك أن الحركة الاسماعلية التفتت بعد سيطرتها على مصر الى النشاط الخارجي ، وأهملت الوضع الداخلي ، وكان هذا من أعظم الاخطاء التــي وقعت فيهــا[1] .

---

(١) انظر كتابي امارة حلب بالانكليزية : ٦٧ ــ ١٢٩ ، مدخــل الى تاريخ الحــروب الصليبية : ٩٦ ــ ١٢٤ ، تاريــخ العــرب والاسلام : ٣٢٥ ــ ٣٣٥ . الــدعوة الاسماعيلية الجديدة : ٥٢ ــ ١١٢ .

الفصل الثاني

القرامطة

ظهور القرامطة ـ قرامطة العراق :

يكتنف موضوع ظهور القرامطة بعض الغموض ، فهناك خلاف شديد حول أصلهم ومدى علاقة هذا الاصل بالحركات الاسماعيلية عقيدة وتنظيما ، فقد ذهب جل الباحثين في عصرنا الى القول ان القرامطة جزء من الاسماعيلية وأن هناك علاقات عقائدية وعضوية بين الطرفين واضحة كل الوضوح ، بينما ذهب قلة من الباحثين الى نفي هذا الرأي والقول ان القرامطة تنظيم قائم بذاته ، مستقل كل الاستقلال عن الاسماعيلية ، فهذا ما حاول اثباته المستشرق ايفانوف ، الذي اختص بالاسماعيلية ، وارتبط بالآغاخانية بأمتن الروابط الى حد يمكن القول فيه بأنه كان يعمل لحسابها ، ولهذا كانت محتويات المكتبات الاسماعيلية تحت تصرفه في كل مكان ، واحتج ايفانوف بأن المصادر الاسماعيلية وغيرها لا تثبت وجود علاقة ، كما أن المعلومات المتوفرة عن عقائد القرامطة تظهر أن هذه العقائد تختلف عما تبنته الاسماعيلية[1] .

ان الفحص الدقيق للمواد التي كانت متداولة أيام ايفانوف تثبت عكس ماذهب اليه ، ويدعم هذا الرأي المواد الجديدة التي ظهرت الى النور بعده ، فلدى العودة الى مختلف المصادر الاسماعيلية نراها تنظر الى القرامطة نظرة فئة تمردت على قيادتها وهـذا ما نشهده في كل من كتاب (سيرة الحاجب جعفر) و (استتار الامام) ، وفي الرسالةالتي وجهها المعز لدين الله الفاطمي الى الحسن الاعصم حيث جاء قوله : «فأما أنت أيها الغادر الخائن ، الناكث المباين عن هدي آبائه وأجداده ، المنسلخ عن دين أسلافه وأنداده ... أما كان لك بجدك أبي سعيد أسوة حسنة وبعمل أبي طاهر قدوة ، أما نظرت في كتبهم وأخبارهم ، ولا قرأت وصاياهم وأشعارهم ؟ أكنت غائبا

---

(١) (مجلة فرع بومباي للجمعية الملكية البريطانية الاسيوية)
Ismailis and Qarmatians J.B.B.R.A, Vol 16 (1940) pp 42 - 85 .

عن ديارهم ، وما كان من آثارهم ، ألم تعلم أنهم كانوا « عبادا لنا أولي بأس شديد » وعزم سديد، وأمر رشيد ، وفعل حميد ، تفيض اليهم موادنا ، وتنشر عليهم بركاتنا، حتى ظهروا على الاعمال ، ودان لهم كل أمير ووال ، ولقبوا بالسادة فسادوا منحة منا واسما من أسمائنا ••• » •

ومن الكتب التي نشرت بعد ايفانوف كتاب « المقالات والفرق » لسعد القمي ، وكتاب « شجرة اليقين » للداعي القرمطي عبدان ، بين كتب أخرى ، ويعتبر سعد القمي بين أقدم من كتب في الملل والنحل ، فقد عاصر ظهور القرامطة ورأى نشاطاتهم الحربية المعلنة ، ذلك أنه توفي في أواخر القرن الثالث للهجرة •

قال سعد القمي : « وتشعبت بعد ذلك فرقة ••• ممن قال بامامة محمد بن اسماعيل تسمى القرامطة ، سميت بذلك لرئيس كان لهم من أهل السواد من الانباط، كان يلقب بقرمطويه ••• وقالوا : يكون بعد محمد ﷺ سبعة أئمة : علي وهو امام رسول ؛ والحسن والحسين وعلي بن الحسين ، ومحمد بن علي ، وجعفر بن محمد ، ومحمد بن اسماعيل بن جعفر ، وهو الامام القائم المهدي وهو رسول ؛ وهؤلاء رسل أئمة ، وزعموا أن النبي ﷺ انقطعت عنه الرسالة في حياته في اليوم الذي أمر فيه بنصب علي بن أبي طالب للناس بغدير خم ، فصارت الرسالة في ذلك اليوم الى أمير المؤمنين وفيه ، واعتلوا في ذلك بخبر تأوّلوه وهو قول رسول الله : « من كنت مولاه فعلي مولاه » ، وأن هذا القول منه خروج من الرسالة والنبوة وتسليم منه ذلك لعلي بن أبي طالب بأمر الله، وأن النبي ﷺ بعد ذلك صار تابعا لعلي محجوبا به، فلما مضى أمير المؤمنين صارت الامامة والرسالة في الحسن ، ثم صارت من الحسن في الحسين ، ثم صارت في علي بن الحسين ، ثم في محمد بن اسماعيل بن جعفر ، كما انقطعت الرسالة عن محمد في حياته ، ثم ان الله بدا له في امامة جعفر واسماعيل فصيرها عز وجل في محمد بن اسماعيل ، واعتلوا في ذلك بخبر رووه عن جعفر بن محمد أنه قال : ما رأيت مثل بداء بدا لله في اسماعيل ؛ وزعموا أن محمد بن اسماعيل حي لم يمت ، وأنه غائب مستتر في بلاد الروم ، وأنه القائم المهدي ، ومعنى القائم عندهم أنه يبعث بالرسالة وبشريعة جديدة وينسخ بها شريعة محمد ، وأن محمد بن

(١) أخبار القرامطة : ٣١٨ ــ ٣١٩ ، ٣٧٤ ــ ٣٧٥ .

اسماعيل من أولي العزم ، وأولو العزم عندهم سبعة : نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وعلي ومحمد بن اسماعيل على معنى أن السموات سبع ، والارضين سبع . وأن الانسان بدنه سبع : يداه ورجلاه وظهره وبطنه وقلبه ، وأن رأسه سبع : عيناه وأذناه ومنخراه وفمه وفيه لسانه ، وفمه بمنزلة صدره الذي فيه قلبه ، والائمة سبع كذلك وقلبهم محمد بن اسماعيل ، وأولو العزم سبع ، واعتلوا في نسخ شريعة محمد ﷺ وتبديلها بأخبار رووها عن جعفر بن محمد أنه قال : لو قام قائمنا علمتم القرآن جديدا ، وأنه قال : « إن الأسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء » ونحو ذلك من أخبار القائم ، وزعموا أن الله جعل لمحمد بن اسماعيل جنة آدم ، ومعناها عندهم الاباحة للمحارم وجميع ما خلق في الدنيا وهو قول الله : [فكلا منها رغدا حيث شئتما] يعني محمد بن اسماعيل وأباه اسماعيل ، [ولا تقربا هذه الشجرة] موسى بن جعفر وولده من بعده من ادعى منهم الامامة ، وزعموا أن محمد بن اسماعيل هو خاتم النبيين الذي حكاه الله في كتابه ، وأن الدنيا اثنتا عشرة جزيرة ، في كل جزيرة حجة ، وأن الحجج اثنا عشر ،... وزعموا أن جميع الاشياء التي فرضها الله على عباده وسنها نبيه ﷺ فيها ظاهر وباطن ، وأن جميع ما استعبد الله به العباد في الظاهر من الكتاب والسنة فأمثال مضروبة وتحتها معان هي بطونها عليها العمل وفيها النجاة ... واستحلوا مع ذلك استعراض الناس بالسيف وسفك دمائهم وأخذ أموالهم والشهادة عليهم بالكفر والشرك ... وقد كثر عدد هؤلاء القرامطة ، ولم يكن لهم شوكة ولا قوة ، وكان كلهم بسواد الكوفة وكثروا بعد ذلك باليمن ونواحي البحرين واليمامة وما ولاهما ، ودخل فيهم كثير من العرب فقوي حالهم بهم وأظهروا أمرهم »[1] .

ان أهم الافكار الواردة في هذا النص الوثائقي هي :

١ ــ القرامطة تشعبوا عن الاسماعيلية .

٢ ــ الايمان بامامة اسماعيل وابنه محمد .

٣ ــ الصراع مع الامامية الاثني عشرية .

٤ ــ الفرقة سبعية .

٥ ــ عقيدة القائم والقيامة هي الاساس والمحور .

---

(١) المقالات والفرق : ٨٣ ــ ٨٦ .

٦ ـ التأويل الباطني •
٧ ـ النبوة انتهت يوم غدير خم وبدأت امامة علي •
٨ ـ استعراض الناس جميعا بلا استثناء •
٩ ـ اباحة بعض المحظورات •

كان سعد القمي اماميا من أصحاب الامام الحادي عشر ، وهو أقدم المعروفين من الشيعة ممن صنف في الملل والنحل، وقد جاء من بعده الحسن بن موسى النوبختي، وهو أيضا شيعي امامي ، خلف لنا « كتاب فرق الشيعة » وقد توفي النوبختي بعد القمي بحوالي عقدين من الزمن ، وردد النوبختي ما كتبه القمي من حيث الجوهر لا بل من حيث العبارات اللهم الا قوله: «وعددهم كثير الا أنه لا شوكة لهم ولا قوة، وهم بسواد الكوفة واليمن أكثر ، ولعلهم أن يكونوا زهاء مائة ألف »[١] •

وكان ممن عاصر القمي والنوبختي وأتى على ذكر القرامطة الامام أبو الحسن الاشعري (ت ٣٣٠ هـ) وذلك في كتابه مقالات الاسلاميين بقوله : والصنف الثامن عشر من الرافضة وهم القرامطة : يزعمون أن النبي ﷺ نص على علي بن أبي طالب وأن عليا نص على امامة ابنه الحسن ، وأن الحسن بن علي نص على امامة أخيه الحسين ابن علي وأن الحسين بن علي نص على امامة ابنه علي بن الحسين وأن علي بن الحسين نص على امامة ابنه محمد بن علي ، ونص محمد بن علي على امامة ابنه جعفر ، ونص جعفر على امامة ابن ابنه محمد بن اسماعيل ، وزعموا أن محمد بن اسماعيل حي الى اليوم لم يمت ولا يموت حتى يملك الارض ، وأنه هو المهدي الذي تقدمت البشارة به ، واحتجوا في ذلك بأخبار رووها عن أسلافهم يخبرون فيها أن سابع الائمة قائمهم »[٢] •

الاتفاق بين هذه المصادر واضح تمام الوضوح، ولنلتفت الآن الى كتاب «شجرة اليقين » للداعي القرمطي عبدان الذي سنتعرض الى شخصيته بعد قليل ، ونقرأ في كتابه قولـه :

« ••• وصلى الله على سيدنا محمد الغفور الودود ، وعلى وصيه أمير المؤمنين صاحب الحوض المورود وعلى ذريتهما الحجج على كل موجود ، وعلى القائم بالامر،

---

(١) فرق الشيعة : ٦١ ـ ٦٤ .
(٢) مقالات الاسلاميين : ١/٩٨ .

صاحب الزمان والعصور ... وان كل من ينظر في هذه الايات الموجودة في الافاق والانفس والدلالات الباطنة فيهـا ، ولا يطلب حقائقها وتأويلاتها من أرباب الدين وأصحاب اليقين فيكون من الابالسة والشياطين » .

ويستعرض عبدان اثر هذا ما جاء به الانبياء ذوو العزم : آدم، ونوح ،وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ليخلص الى الحديث عن شخصية القائم فيقول : « وأما القائم سلام الله عليه فهو صاحب التأويل الذي يجمع به جميع شرائع النطقاء وأعمالهم وهو صاحب يوم الكشف الذي ذكره الله عز وجل في كتابه : [هل ينظرون الا تأويله][1] ويوقف عبدان جل مواد كتابهعلى التأويل الباطني للبرهنة علىالقيامـهوالقائم معتمدا في عمله على النظام السبعي فاسمعه يقول : « القائـم محصول جميع الانس ... وآخر النطقاء السبعة الذي يتم به الكور العظيم » ،وقد أشار أثناء عرضه أكثر من مرة الى الامام الاسماعيلي أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق وذلك تحت اسم « الحكيم الصادق »[2] وينقل بعض أقواله كما وردت فيكتاب اسمه المحصـول ، ومن المعروف أن تصنيف هذا الكتاب منسوب الى هذا الامام كما ينسب اليه تصنيف رسائل اخوان الصفا في مرحلـة السلمية من دور الستر[3] .

ونستخلص مما قلناه من كتاب عبدان ومن مجمل متن الكتاب أنه كان من كبار دعاة الاسماعيلية وأكثرهم تمكنا من علم التأويل الباطني،اعتمد النظام السبعي وآمن بفكرة القائم والقيامة ، وكان على معرفة باللغة الفارسية ، كما كان يفهم لغة « نبط العراق » أي الارامية[4] ، ويتوافق هذا مع ماسبق عرضه وله دلالات أخرى مفيدة.

وننتقل بعد هذا الى تراث الاسماعيلية وهو تراث غني جدا ، نجده يجمع على مسألة القيامة والقائم وغير ذلك مما سبقت الاشارة اليه في الفصل السابق وحتـى تتجنب التكرار والاطالة سأكتفي بعرض بعض ما جاء عند القاضي النعمان الذي كان أكبر علماء الاسماعيلية في وقته وبعد وقته وأكثرهم انتاجا ، فقد ردد القاضي النعمان

---

(١) شجرة اليقين : ٩ ــ ١٢ .
(٢) المصدر عينه : ٢٠ ، وانظر ايضا : ٣٦،٤٨،٥٢،٥٥،٨٩،٩٤،١٠٢،١٠٧ .
(٣) عيون الاخبار : ٣٦٧/٤ .
(٤) شجرة اليقين : ٥٩ ، ١٠٧ .

ما ورد عند القمي والنوبختي والاشعري وعبدان ، في معظم كتبه ، وكان من بين ما كتبه النعمان أيام المعز لدين الله الفاطمي وقبل الانتقال الى مصر رسالة دعاها « الرسالة المُذْهِبَة في الحكمة والتأويل » وقد احتوت هذه الرسالة على عدد من الاسئلة أجاب عنها النعمان، وأتيح لي الوقوف على نسخ ثلاث منها ، نسخها متأخر ، فيها من التصحيفات والاخطاء والسقط الشيء الكثير ، ومع هذا استطعت بعد شيء من الصعوبة ترميم النص وتقويمه واعداده للنشر ، وكان مما قاله القاضي النعمان في رسالته هذه :

« وسألت عن السبب الذي أوجب أن النبي ﷺ كان في بداية أمره يتختم في يمينه ، فلما كان أوان نقلته [أي وفاته] حوّل خاتمه من يمينه الى يساره ؟ »

اعلم أيدك الله انما سبب تختمه بيمينه في بداية أمره ، فانما ذلك اشارة منه الى نفسه بتسلم منزلة النبوة والناطق ، وقيامه بتبليغ رسالات ربه كما جرى فيمن تقدمه من النطقاء والمرسلين ، وأنه لم يزل متختما بيمينه أيام حياته دليل على العمل بشريعته ، وظاهر تنزيله ، واقامة دعوة الظاهر حتى نزل من الله تعالى اليه بنصب أساسه ووصيه ، فبلغ عن الله أمره ، ونصب وصية يوم غدير خم ، وأقامه ، واستخلفه من بعده ، فحول خاتمه من يمينه الى يساره ، وأمر وصيه عليا عليه السلام أن يتختم باليمين ولا يحوله الى شماله ، فكان ذلك اشارة منه بتسليم المنزله الى وصيه ،فكان الوصي يتختم باليمين دليلا على ما قد صار اليه ، وتختم الرسول بالشمال دليل على انقطاع المواد عنه بتسليمه الامر الى وصيه » .

وقال في مكان آخر متحدثا عن النبي ﷺ : « فالذي له اثنتا عشرة امرأة مضى على تسع نسوة وسقط منهن ثلاث ، وقد تروي عامة الشيعة[1] أنه رد طلاق نسائه

---

(1) هذا صحيح ، فقد روى ابن الاعثم الكوفي في كتابه الفتوح اخبار معركة الجمل ونتائجها ، وذكر امورا لا نجدها الا عنده ، ذلك انه كان شيعيا من الاوائل ، فبعد ما وصف وقوع السيدة عائشة بالاسر تحدث عن محادثات جرت بينها وبين ابن عباس ثم علي بن ابي طالب ثم قال : بعث علي « اليها بابنه الحسن ، فقال لها : يقول لك امير المؤمنين : اما والذي فلق الحبة وبرا النسمة لئن لم ترحلي الساعة لأبعثن عليك بما تعلمين ، قال : وعائشة في وقتها ذلك قد ضفرت قرنها الايمن وهي تريد ان تضفر الايسر ، فلما قال لها الحسن ما قال وثبت من ساعتها =

بيد علي عليه السلام ، وذلك أنه لما أمر بالتسليم اليه فوض اليه أمر حججه ونقبائه ، فله أن يطلق منهن من يشاء وينصب من شاء » .

وسبق القول في الفصل السابق أن القاضي النعمان قد ذكر شخصية القائم حيث تحدث عنه على الأساس السبعي، وبين أكثر من مرة أنه « سابع سبعة من آدم ودوره آخر الادوار » ، كما وأشار الى أنه من الانبياء ذوي العزم يأتي بما يلغي كل الشرائع السابقة ، ويعلن الجهاد على معانديه ، وعلى ضوء هذا الامر سيمكننا فهم ما أقدم عليه قرامطة الاحساء والبحرين من استعراض لخصومهم واغارات على قوافل الحجاج بلغت الذروة في مهاجمة مكة سنة ٣١٧ هـ/٩٢٩ م وقتل الحجاج ، واقتلاع الحجر الاسود من الكعبة .

فلقد أراد القرامطة ما أرادته الدعوة الاسماعيلية ايقاف الحج بشكل نهائي بوساطة مهاجمة قوافل الحجيج وقطع طرق الحج ، لكن عندما أخفقت هذه الخطة هاجم أبو طاهر القرمطي مكة في أيام الموسم ، فقد قتل الحجيج واقتلع الحجر الاسود لان القرامطة اعتقدوا أنه مغناطيس القلوب « يجذب الناس اليه من أطراف العالم »[1].

ان الحج هو شعيرة تميز بها الاسلام ، وهي الشعيرة الوحيدة التي تعلن بشكل عالمي ظاهري عن استمرارية الاسلام والعمل بمبادئه أمميا ، فالصلاة ، ودفع الزكاة وصوم رمضان مع التلفظ بالشهادتين شعائر يمكن أن تمارس بشكل فردي وسري، لكن الحج لا يمارس الا في بقعة محددة وبصورة علنية ، واستمرار الحج معناه

وقالت : رحلوني ، فقالت لها امرأة من المهالبة : يا ام المؤمنين جاءك عبد الله بن عباس فسمعناك وانت تجاوبينه حتى علا صوتك ثم خرج من عندك وهو مغضب، ثم جاءك الان هذا الغلام برسالة ابيه فاقلقك ، وقد كان أبوه جاءك فلم نر منك هذا القلق والجزع ، فقالت عائشة : انما اقلقني لانه ابن بنت رسول الله ﷺ فمن احب ان ينظر الى رسول الله ﷺ فلينظر الى هذا الغلام ، وبعد فقد بعث الي ابوه بما قد علمت ولا بد من الرحيل ، فقالت لها المرأة : سألتك بالله وبمحمد ﷺ الا اخبرتني بماذا بعث اليك علي ـ رضي الله عنه ـ فقالت عائشة : ويحك إن رسول الله ﷺ ... قال : يا علي اني قد جعلت طلاقهن (أزواج النبي) اليك، فمن طلقتها منهن فهي بائنة ، ولم يوقت النبي ﷺ في ذلك وقتا في حياة ولا موت، فهي تلك الكلمة » . الفتوح مخطوطة استانبول : ٤٣/١ وظ .

(1) اخبار القرامطة : ١٩٧ .

اخفاق العمل في سبيل اعلان القيامة ، ونجاحها في تعطيل الشريعة ، واحلال دين الكشف الذي سيأتي به القائم محلها •

وبعدما فرغنا من اثبات أن القرامطة كانوا بالاصل فرعا من فروع الاسماعيلية يغدو بديهيا أن نشأتهم مرتبطة بنشأة الاسماعيلية وتطورها ومع ذلك لا بد من سؤال حول التاريخ الذي ظهرت به كلمة « قرامطة » ، وعن معناها والمقصود منها ، وعن البلد الذي شهد أول تنظيمات القرامطة وتحركاتهم •

وقبل معالجة هذه القضايا لا بد من أن نضع بالحسبان أن المؤرخ المسلم رصد لدى تدوينه لاخباره الحركات لا عندما بدأت ولكن عندما كانت تصطدم بالانظمة الحاكمة القائمة ، أو عندما كانت الحركات تتحول الى مؤسسات سياسية ، ففي كتب السيرة النبوية نلاحظ وضوحا في أخبار المرحلة المدنية ودقة لا نجدها في أخبار المرحلة المكية السابقة ، فقد عمد رواة السيرة الى البحث في المدينة عما سلف منذ زمن،فوجدوا أنفسهم في شح من الروايات وفي بحر من الخيال والتمازج والاختلاط، وقد تكرر هذا الحال دائما ، ولهذا تختلف الروايات حول بداية ظهور القرامطة ومعنى تسميتهم •

لقد أكثر الاوائل والمعاصرون البحث في هذه القضية، لكن عجزوا عن الوصول الى رأي حاسم حولها ، ومثل هذا ليس بغريب في التاريخ العام والخاص ، فهناك أسماء كثيرة ذات شهرة واسعة لا نعرف شيئا مؤكدا عن أصلها مثل « دمشق ـ سورية » وغير ذلك ، وعلى صعيد الحركات الاسماعيلية المتأخرة ينطبق هذا الحال على كلمتي « قرامطة » و « حشيشية » ، ومع هذا سنحاول أن ندلي بدلونا في هذه المسألة عارضين أولا لأهم الآراء والروايات حول هذا الموضوع ، ثم محاولين بعد ذلك الوصول الى نتيجة ما : نقرأ في لسان العرب :

قرم : القَرَم بالتحريك : شدة الشهوة الى اللحم •••

قرمد : القَرْمَد كل ما طلي به ••• وقيل القرمد والقرميد حجارة لها خروق يوقد عليها حتى اذا نضجت بني بها ، قال ابن دريد : هو رومي تكلمت به العرب قديما ••• قال : القراميد في كلام أهل الشام آجر الحمامات ، وقيل : هي بالرومية قرميدي •••

قرمط : القَرْمَطيط المتقارب الخطو ، وقرمط في خطوه اذا قارب ما بين قدميه ... والقرمطة المقاربة بين الشيئين ، والقَرْمُوط زهر الغضا وهو أحمر ... والقرمطة في الخط دقة الكتابة وتداني الحروف ... والقرامطة : جيل واحدهم قَرْمَطي[1] .

ونقرأ في بعض كتب الملل والنحل :

قال سعد القمي : « القرامطة : سميت بذلك لرئيس كان لهم من أهل السواد من الانباط كان يلقب بقرمطويه »[2] .

وقال النوبختي : « القرامطة : وانما سميت بهذا برئيس لهم من أهل السواد من الانباط كان يلقب قرموطويه[3] » .

وقال البغدادي في الفرق بين الفرق : « ثم ظهر ... رجل يقال له حمدان قرمط لقب بذلك لقرمطة في خطه أو في خطوه ، وكان في ابتداء أمره أكارا من أكرة سواد الكوفة ، واليه تنسب القرامطة »[4] .

وقال الديلمي في بيان مذهب الباطنية وبطلانه : « وأما لقبهم بالقرامطة » فلانتسابهم الى رجل يقال له حمدان قرمط من أهل الكوفة ، وهو أحد دعاتهم في الابتداء ، فلما استجاب له ناس سموا قرامطة وقرمطية »[5] .

وكتب الامام الغزالي في كتابه فضائح الباطنية :

« وأما القرامطة فانما لقبوا بها نسبة الى رجل يقال له حمدان قرمط ، كان أحد دعاتهم في الابتداء ، فاستجاب له في دعوته رجال ، فسموا قرامطة وقرمطية ، وكان المسمى حمدان قرمط رجلا من أهل الكوفة مائلا الى الزهد ، فصادفه أحد

---

(١) لسان العرب المحيط « مادة قرم » . انظر المادة ذاتها في تاج العروس حيث التطابق كاملا .
(٢) المقالات والفرق : ٨٣ .
(٣) فرق الشيعة : ٦١ .
(٤) الفرق بين الفرق : ٢٦٦ ــ ٢٦٧ .
(٥) بيان مذهب الباطنية : ٢٢ .

دعاة الباطنية في طريق وهو متوجه الى قريته وبين يديه بقر يسوقها ، فقال حمدان لذلك الداعي ـــ وهو لا يعرفه ولا يعرف حاله : أراك سافرت من موضع بعيد ، فأين مقصدك ؟ فذكر موضعا هو قرية حمدان ، فقال له حمدان : اركب بقرة من هـــذه البقر لتستريح من تعب المشي ، فلما رآه مائلا الى الزهد والديانة أتاه من حيث رآه مائلا اليه ، فقال : اني لم أومر بذلك ، فقال حمدان : وكأنك لا تعمل الا بأمر ؟ قال: نعم ، قال حمدان : وبأمر من تعمل ؟ فقال الداعي : بأمر مالكي ومالكك ، ومن له الدنيا والاخرة ، فقال حمدان : ذلك اذن هو رب العالمين ، فقال الداعي : صدقت ، ولكن الله يهب ملكه لمن يشاء ، قال حمدان : وما غرضك في البقعة التي أنت متوجه اليها ؟ قال : أمرت أن أدعو أهلها من الجهل الى العلم ومن الضلال الى الهدى ، ومن الشقاوة الى السعادة، وأن أستنقذهم من ورطات الذل والفقر ، وأملكهم مايستغنون به عن الكد والتعب ، فقال له حمدان : أنقذني أنقذك الله ، وأفض علي من العلـــم ما يحييني به ، فما أشد احتياجي الى مثل ما ذكرته ، فقال الداعي : وما أمرت بأن أخرج السر المخزون لكل أحد الا بعد الثقة به والعهد عليه ، فقال حمدان : وما عهدك فاذكره لي ، فاني ملتزم له ، فقال الداعي : أن تجعل لي وللامام على نفسك عهد الله وميثاقه أن لا يخرج سر الامام الذي ألقيه اليك ، ولا تفشي سري أيضا .

فالتزم حمدان سره ، ثم اندفع الداعي في تعليمه فنون جهله حتى استدرجـــه واستغواه واستجاب له في جميع ما دعاه ، ثم التدب حمدان للدعوة ، وصار أصلا من أصول هذه الدعوة ، فسمي أتباعه القرمطية »[1] .

وجاء في كتاب المنية والامل في شرح الملل والنحل:« ومات عبد الله (بن ميمون القداح) فأوصى الى ابنه أحمد فخرج الى العراق وصحبه رجل يقال له قرمط فأجابه ومن ثم سموا قرامطة ، ودعا قرمط أهل قريته فأجابوه ، فلما مات قرمط خلفه تلميذ له يسمى حمدان قرمط ، وممن أعانهم ودعا الى ملتهم عبدان داعية العراق ، وخليفته عيسى بن موسى ، ولعبدان كتب ، ومن دعاتهم زكرويه بن مهرويه أخذ العلم عن حمدان قرمط »[2] .

---

(١) فضائـــح الباطنية : ١٢ ــ ١٥ .

(٢) المنية والامل في شرح الملل والنحل تاليف احمد بن يحيى بن المرتضى : ٩٨ .

ونلتفت الى المصادر التاريخية وتاريخ الطبري أقدمها ، وفيه جاء في حوادث سنة ٢٧٨ هـ : « وفيها وردت الاخبار بحركة قوم يعرفون بالقرامطة بسواد الكوفة، فكان ابتداء أمرهم قدوم رجل من ناحية خوزستان الى سواد الكوفة ، ومقامه ... يظهر الزهد والتقشف » ثم تحدث على عمله في القرية ودعوته أهلها واقامته لدى واحد من سكانها « أحمر العينين شديدة حمرتهما وكان أهل القرية يسمونه كرميته لحمرة عينيه ، وهو بالنبطية أحمر العينين » ثم تحدث عن ذهاب هذا الداعية الى الشام وأنه «سمي باسم الرجل الذي كان في منزله...كرميته ثم خفف فقالوا: قرمط».

وكانت السلطات العباسية قد ألقت القبض على عدد من القرامطة وحملتهم الى سجون بغداد ، وقد كان من بين الذين حققوا معهم محمد بن داود الجراح وقد « ذكر عن محمد بن داود أنه قال : قرمط رجل من سواد الكوفة ، كان يحمل غلات السواد على أثوار له يسمى حمدان ويلقب بقرمط ، ثم فشا أمر القرامطة ومذهبهم وكثروا بسواد الكوفة »[1] .

لقد اعتمدت مصادر تاريخ العرب والاسلام بعد الطبري روايته الاولى وأهملت ما عداها ومن أجمع الروايات وأفضلها ما ذكره ابن الجوزي في كتابه المنتظم حيث قال : « وأما تسميتهم بالقرامطة ففي سبب ذلك ستة أقوال :

أحدها : أنهم سموا بالقرامطة لان أول من أشير لهم بتلك الجهة محمد الوراق المقرمط ، وكان كوفيا .

والثاني : أن لهم رئيسا من السواد من الانباط يلقب بقرمطويه ، فنسبوا اليه.

والثالث : أن قرمطا كان غلاما لاسماعيل بن جعفر ، فنسبوا اليه ، لانه أحدث لهم مقالاتهم .

والرابع : أن بعض دعاتهم نزل برجل يقال له كرميته ، فلما رحل تسمى قرمط ابن الاشعث ، ثم أدخله في مذهبه .

الخامس : أن بعض دعاتهم رجل يقال له كرميته ، فلما رحل تسمى باسم ذلك الرجل ، ثم خفف الاسم فقيل قرمط ...

---

(١) تاريخ الطبري : ٢٣/١٠ — ٢٥ . انظر ايضا العيون والحدائق : ٦٨/٤ — ٦٩ حيث اورد الرواية نفسها .

السادس : أنهم لقبوا بهذا نسبة الى رجل من دعاتهم يقال له حمدان بن قرمط، وكان حمدان من أهل الكوفة يميل الى الزهد ، فصادفه أحد دعاة الباطنية في طريقه. فاستدرجه واستغواه ، واستجاب له في جميع ما دعاه اليه ، ثم انتدب للدعوة ، وصار أصلا من أصول هذه البدعة ، فسمي أتباعه القرمطية[1] .

ولا يقل مكانة عن رواية ابن الجوزي ما ذكره مؤرخ حلب الكبير الصاحب كمال الدين ابن العديم في كتابه (بغية الطلب) في ترجمة صاحب الخال كبير زعماء قرامطة الشام حيث قال : « وانما سموا القرامطة : لانهم زعموا أنهم يدعون الى محمد بن اسماعيل بن جعفر بن علي ، ونسبوا الى قرمط ، وهو حمدان بن الاشعث، كان بسواد الكوفة ، وانما سمي قرمطا لانه كان رجلا قصيرا ، وكانت رجلاه قصيرتين ، وكان خطوه متقاربا ، فسمي لهذا السبب قرمطا ... وذكر بعض العلماء أن لفظة قرامطة ، انما هي نسبة الى مذهب يقال له القرمطة خارج عن مذاهب الاسلام ، فيكون على هذه المقالة عزوة الى مذهب باطل لا الى رجل »[1] .

لدى عودتنا الى هذه المواد نلاحظ :

١ ــ المعاجم اللغوية العربية لا تسعفنا بشيء .

٢ ــ ظهر القرامطة للمرة الاولى في سواد الكوفة .

٣ ــ الوسط الذي ظهر فيه القرامطة كان وسطا فلاحيا لغة أهله النبطية أي الارامية .

٤ ــ قرمط كان لقبا حمله أحد الدعاة واسمه حمدان بن الاشعث .

٥ ــ القرمطة مذهب « خارج عن مذاهب الاسلام » .

ونتيجة لهذا يتوجب على الباحث أن يجعل منطقة بحثه وقاعدة انطلاقه الاولى منطقة سواد الكوفة .

الكوفة مدينة تأسست في عهد الخليفة عمر بن الخطاب أيام الفتوحات الكبرى، وهي عاصمة علي بن أبي طالب ، وقد تميزت دوما بطابعها الشيعي وكانت لهذا مركزا

---

(١) اخبار القرامطة : ٢٥٧ ــ ٢٦٠ .

(٢) أخبار القرامطة : ٢٧٧ .

للنشاط الدعوي الشيعي ، لذلك لا غرابة اذا وقع اختيار دعاة الاسماعلية على سوادها وتمركزوا فيه دون سواه للتفجير العسكري ، متذكرين في الوقت نفسه ثورة الزنج ونشاطاتها في سواد البصرة في تلك الاثناء •

كانت منطقة الكوفة ذات خلفيات حضارية وعقائدية غنية جدا ، عرفت ديانات بابل القديمة ، كما شهدت تفاعل هذه الديانات مع العقائد الايرانية ومع عقائد أعالي بلاد الرافدين والاجزاء الشمالية من الشام ، وهذا ما تلمسه في عقائد جميع الفرق التي ظهرت هناك ، لقد كان في منطقة الكوفة في العصر العباسي وبعده بقايا أتباع الديانة المانوية (الزندقة) وأهم منهم وأشهر أتباع المندعية الذين يعرفون باسم صابئة العراق ، والذين ما تزال بقاياهم في العراق حتى يومنا هذا ، ولقد اعتاد سكان سواد الكوفة على التنظيمات الدينية خاصة السرية منها ، كما اعتادوا على الادب الديني المدون سيما الذي حوى علوم الباطن (الغنطوسية)[1] وما تعلق بشخصية المُخَلّص (المهدي) والفداء •

ومع اعتماد هذه المعرفة والاستفادة منها يتوجب علينا العودة الى اللغة الارامية وهنا يترجح لدينا أن كلمة قرمط مشتقة من عبارة « قرم » الارامية أو السريانية ، فهي تعني أخفى وغطى وستر،وبذلك تقابل كلمة (باطنية)،وما تزال هذه العبارة تعني في السورية الدارجة « جذر » ويقابلها في سريانية معلولا « كرموتية » ولنتذكر أن القرامطة كانوا منتسبين الى حزب عقائدي ، ولم يشكلوا قط قبيلة ولم ينتسبوا الى جد أعلى اسمه قرمط انحدروا منه ، هذا ما نراه الان ونقدره ، لكن المؤرخ المسلم اعتاد أن ينسب الطوائف والجماعات حسب قواعد علم النسب لا عقائديا ، فقد غلبت تسمية اسماعيلية ــ نسبة الى اسماعيل بن جعفر الصادق ــ على باطنية وتعليمية وسبعية وسواها !•

ليس في التاريخ قرار حاسم أو رأي لا رجعة عنه ، والاراء قائمة على الاجتهاد، وباب الاجتهاد التاريخي مفتوح دائما ، والان : وبعد أن فرغنا من قضية التسمية فنلتفت نحو معرفة تاريخ ظهور هذه التسمية •

---

(1) انظر كتابي ماني والمانوية : ١٨ ــ ٣٨ . وينصح القارىء الكريم بالعودة الى كتاب «الصابئة المندائيون» تاليف الليدي دراوور ــ ترجمة عربية ــ ط بغداد: ١٩٦٩ .

يرتبط هذا الظهور ببداية الدعوة في سواد الكوفة ، وأقدم تاريخ قدمه المؤرخون هو « سنة احدى وستين ومائتين » حسبما جاء عند النديم في فهرسة[1] ، لكن اذا تذكرنا أن النشاط الاسماعيلي قد شهدته مناطق الكوفة قبل ما لا يقل عن قرن من هذا التاريخ ، يمكننا أن نتصور أن كلمة قرمطي قد استخدمت منذ تاريخ أبكر من سنة ٢٦١ هـ ، ففي أثناء عملي في كتاب الكامل في الضعفاء لابن عدي مرّ معي في ترجمة عاصم بن عمر بن حفص بن عاصم الاسناد التالي : « ثنا صاعد ، ثنا محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله المعروف بالقرمطي بالمدينة سنة خمس وأربعين ومائتين » .

وقبل الانتقال نحو الحديث عن قرامطة العراق ثم قرامطة الشام ، فقرامطة اليمن ، وأخيرا ـ لكن ليس آخرا ـ قرامطة الاحساء والبحرين لا بد من سؤال : لماذا القرامطة وحدهم كفرع من فروع الاسماعيلية ـ أخذوا بمبدأ استعراض الناس؟

من الصعب اعطاء جواب مقنع موثق لهذا السؤال ، انما اذا تذكرنا وسبق تقريره في أن الاسماعيلية لم تكن حركة واحدة بل حركات ، وأنه كما حصل في تاريخ التشيع العام، حين انضوى العديد من الحركات المناوئة والمعارضة تحت لواء التشيع، عن ايمان واجتهادات ومطالب مختلفة أو للتمويه ، حصل الشيء ذاته في الاسماعيلية، اذا تذكرنا هذا سهل علينا الجواب .

لربما وجد عدد لا بأس به من الحركات المطالبة بالعدالة ، وذات الفكر « الراديكالي » القريب من الفكر الاسماعيلي ، ولشهرة الاسماعيلية وضخامة امكاناتها انضووا تحت لوائها،وليس من المستبعد أيضا أن الاسماعيلية أرادت تجربة العمل العسكري المحدود ، انما البالغ الشدة ، لتدرس ردات الفعل ، أو لتشغل خصومها ، في سبيل النجاح التام في مكان آخر ، واعتماد مثل هذه الطرائق أمر معقول لكن لا يمكن ضبط نتائجه ، فهو قد يقود الى التمزق وبالتالي التمرد على القيادة وعدم الاعتراف بشرعيتها ، واتهامها بالخروج على المبادىء والعقيدة ، وهذا ما حصل بالفعل في تاريخ العلاقات الاسماعيلية القرمطية ، وأخيرا يجب ألا ننسى أن الحزب الواحد قد يتمزق ويرمي أفراده بعضهم بعضا بأقسى التهم وأشنعها ، وقد

(١) الفهرس ـ ط . طهران : ٢٣٨ .
(٢) الكامل ـ مخطوطة الظاهرية ـ ص ٦٠٩ .

يحدث مثل هذا أثناء الاعداد للثورة ، ثم يتطور بعد الوصول الى السلطة ، فالملك عقوق عقيم ، والانسان في السلطة هو غيره في الواقع النظري ، ومقتضيات السياسة تتباين عن مقتضيات المبادىء والمثل ، وها نحن الان في أيامنا هـذه أمامنا صورة الصراعات بين الانظمة العربية ، وصورة الاحزاب الشيوعية في العالم ، نسمع كل يوم أخبار ما يجري بين العملاقين الشيوعيين الاعظمين : الاتحاد السوفييتي والصين الشعبية ـ ألا يرى كل منهما أن الخطر المحدق به آت من قبل رفاقه ؟، أو لم يقم ـ وما زال قائما ـ تفاهم متبادل بين الصين الشيوعية من جهة وأمريكا الرأسمالية من جهة ثانية للوقوف ضد الاتحاد السوفييتي ؟•

قرامطة العـراق :

مرّ تاريخ قرامطة العراق بمرحلتين رئيستين كان بينهما توقف حدث خلالـه نشاط قرامطة الشام ، والحديث عن قرامطة العراق يجب أن يتقدمـه أولا وصف لأوضاع العراق ، وبما أن العراق كان دار الخلافة العباسية ومقرهـا ، فالحديث سيتناول أوضاع الخلافة العباسية أولا ومن ثم أوضاع العراق •

لقد جرى عرض شيء من هذا القبيل فيما مضى ، لكن ما تقدم لا يكفي ، لهذا نعاود البحث للايضاح مع تجنب التكرار :

وصل العباسيون الى السلطة نتيجة ثورة جرى الاعداد لها بشكل منظم،ومرت الدعوة بمرحلتين أساسيتين : ما قبل ابراهيم الامام ثم ما جاء اثر ذلك ، فقد كان قوام الدعوة قبل ابراهيم الامام : الدعاة وبيت الامامة ، ونشط الدعاة في خراسان وانتمى غالبيتهم الى طائفة دهاقين ايران وخراسان ، واستقر بيت الامامة في الحميمة على مقربة من البحر الميت في الشام ، وعمد ابراهيم الامام لدى تسلمه للقيادة الى تكليف أبي مسلم الخراساني بالذهاب الى خراسان ليتولى التفجير العسكري وقيادة قوات الثورة ، وكان من معاني هذا التكليف أن الدعوة العباسية باتت الآن قائمة على ثلاثة مرتكزات هي : الامامة ، الدعاة ، جيش الثورة ، ولنتذكر في هذا المقام أن العمل الدعوي سبق تولي العباسيين له كقادة ، وأن الجيش ولد بمبادرة مـن الامامة لا من الدعاة ، وأعلنت الثورة وحققت انتصاراتها الكبرى دون أن يكون

للامامة آي دور يذكر، بل قام بمسؤولية العمل جيش الثورة بقيادة أبي مسلم الخراساني، والدعاة بقيادة داعي الدعاة أبي سلمة الخلال ، واثر الاستيلاء على الكوفة أطلق أبو سلمة الخلال على نفسه لقب وزير آل محمد ، وهكذا ولدت مؤسسة جديدة في تاريخ الاسلام هي مؤسسة الوزارة ، وباشر الخلال السلطة بكل حدودها ومعانيها، ولدى شعوره بضرورة الاعلان عن اسم خليفة جديد، وجد نفسه في حل من الارتباط بالعباسيين ، لعدم اسهامهم بالثورة ، وعرض منصب الخلافة على زعيمي بيتي الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب ، فلم يحصل نتيجة ، وكان للجيش رأي آخر في الموضوع ، لهذا ضغط على أبي سلمة لمبايعة واحد من اخوة ابراهيم الامام الذين التجؤوا اثر مقتله الى الكوفة ، وأذعن الخلال وهكذا بويع لابي العباس السفاح .

ولم يغفر العباسيون للخلال ما أقدم عليه ، وأرادوا منذ اللحظة الاولى أن يباشروا الحكم بأنفسهم ، مما عنى تجريد الخلال والدعاة من صلاحياتهم ولم يكن من السهل الوصول الى هـذا سلما ، فسافر أبو جعفر المنصور أخو الخليفة الى خراسان واجتمع بأبي مسلم الخراساني وبحث الأمر معه ، فتقرر احداث انقلاب ضد الدعوة والدعاة (الحزب) وبعث أبو مسلم بعدد من جنوده الى الكوفة فأقدموا على قتل الخلال في وضح النهار ، وهكذا تمكن الخليفة العباسي من مباشرة السلطة، لكنه وجد نفسه مضطرا الى اختيار وزير ؛ وطبعا جاء الاختيار من بين شخصيات الدعاة ؛ ومن جديد حاول الوزير الانفراد بالسلطة ، فقام صراع مع الخلافة ، ومن يستعرض تاريخ بني العباس في قرنه الاول يلاحظ أن غالبية الوزراء جرى قتلهم في ذروة القوة والسيطرة ، وأكبر مثل على هذا مصرع البرامكة ، وخلاصة الامر أن الحكم في الخلافة العباسية وان اعتمد على ثلاث مؤسسات هي : الخلافة والوزارة والجيش، لم تحكم الخلافة فيه من خلال التوازن والتنافس والصراع بين المؤسستين: المدنية والعسكرية ، بل شذت عن القاعدة ، وقام الحكم على الصراع بين الامامة والوزارة ، أي بين مؤسستين مدنيتين ، وطبعا كان الجيش هو المستفيد ، ونظرا للسياسة الدينية التي اعتمدها العباسيون، ولادعائهم أنهم جمعوا بين الخلافة والامامة، فان الجيش استفاد على حساب الوزارة والخلافة، لكن دون المساس بجوهر الامامة، وسعى الجيش الى التدخل بالسلطة ، ووضح هذا السعي في أواخر عصر المعتصم

وفي أيام خليفته الواثق ، وحاول المتوكل الذي جاء بعد الواثق التخلص من سلطان الجيش ، فتخلص الجيش منه وقتله سنة [٢٤٧ هـ / ٨٦١ م] واستولى على مقاليد الامور[١]

على هذا مر التاريخ العباسي بطورين رئيسين : طور أول ، حكم فيه الخلفاء، وطور ثان حكم فيه الجند ، وبعدما تدخل الجند بالسياسة واستلموا مقاليد الأمور دخلت السياسة الى الجيش، وتغلغلت بين صفوف الجند، وحدث أن تضخم الجيش، وضم عددا من الاسلحة من : مشاة ، وفرسان نبالة ، وفرسان حملة رماح ، ومشاة رماة وحملة رماح ، وجاء رجال كل سلاح من هذه الاسلحة من احدى أمم الدولة ، ولذلك كان ما حدث بعدما استلم الجند مقاليد السلطة أن قام صراع بين فئات الجيش ، وغذى هذا الصراع رجال السياسة والمطامح وعناصر الاسلحة ، لذلك تميز طور تحكم الجند بعدم الاستقرار ، وكثرة الفتن ، وتبديل الخلفاء ، مما كان له أبعد الاثار على بنية الدولة داخليا وخارجيا من كافة الجوانب .

---

(١) اخبار العباس : ١٦٠ ـ ٢٧٦ . الفتوح : ٢١٨/٢ و ـ ٢٢٨ و . الطبري : ٤٩/٧ ـ ٥١ ، ٣٥٣ ـ ٤٥٧ . تاريخ الموصل : ١٠٦ ـ ١٦٧ . تاريخ خليفة : ٥٦٤ ـ ٦٠٨ .الاخبار الطوال : ٣٦٠ ـ ٣٧٠. اليعقوبي : ٣٣٨ ـ ٣٤٩. مروج الذهب : ٢٥٢/٣ ـ ٢٦٦. مسائل الامامة للناشىء الاكبر : ٢٦ ـ ٣٦ . تاريخ الخلفاء : ٤٧٥ ـ ٥٩٧ . العيون والحدائق : ١٥٧/٣ ـ ٢١٣ . الكامل : ٢٠٠/٤ ـ ٣٣٠. الفخري : ١١٣ ـ ١٢٠ . ابن كثير : ٢٥/١٠ ـ ٥٥ . السيوطي : ٢٥٤ ـ ٢٥٩. الذهب المسبوك : ٤٨ ـ ٥٩. ابن العبري : ١١٧ ـ ١٢٠. ابن خلدون: ٢٥١/٣ ـ ٢٧٩ . فلهوزن : ٤٥٥ ـ ٥٢٨. العرب في التاريخ : ١١٣. دولة بني العباس: ٩١/١ ـ ١٨٩ .

Combridge Medie Val His Tory, IV, 639 - 641

اوقف عدد من الباحثين المعاصرين اطروحاتهم لمعالجة الثورة العباسية . من هؤلاء : M.A. Shaban الذي كتب بالانكليزية كتابا دعاه (الثورة العباسية) The Abbasid Caliphate 750 - 786 ولم يعالج شعبان في هذا الكتاب مسألة الثورة والاعداد لها ، بل اوقف كتابه على دراسة أحوال خراسان في العصر الاموي . وقام فاروق عمر بدراسة الثورة العباسية باطروحته التي دعاها :

The Abbasid Caliphate 750 - 786

ثم قام بعد ذلك باعادة كتابة هذه الاطروحة مع شيء من التوسع في كتب ثلاثة دعاها : طبيعة الدعوة العباسية، والعباسيون الاوائل ، وقد جاء الاخير في مجلدين.

وكانت الخلافة العباسية منذ يوم قيامها قد أخفقت في المحافظة على وحدة ديار المسلمين والسيطرة على جميع ما كان تابعا للدولة الاموية ، وعانت هذه الخلافة حتى في طور حكم الخلفاء من النزعات الاستقلالية والثورات الانفصالية ، وهكذا رأينا ظهور دولة الاغالبة في افريقية ، ودولة الادارسة ، والدولة الرستمية ودولة سجلماسة في المغربين الاوسط والاقصى ، وظهور الدولة الطاهرية في خراسان ، وقويت النزعات الاستقلالية بعد تحكم الجند بالخلافة ، وظهرت الى الوجود أسر وقوى محلية استقلت بالاطراف ثم توسعت نحو الداخل ، كما أن بعض قادة الترك الذين أخفقوا في بغداد اتجهوا نحو مصر من الامصار للاستقلال به ، وهكذا تقلصت مع الايام رقعة دولة الخلافة حتى باتت مقتصرة على العراق أو أجزاء منه فقط ، وكان من معاني ذلك تناقص موارد الخلافة بشكل شديد جدا ، وترافق هذا التناقص مع ازدياد الطلب على المال لنفقات دار الخلافة وأهم من هذا لشراء المزيد من الغلمان الترك نسد حاجة الجيش ، وللانفاق على كبار القادة والموظفين ، ونسداد نفقات الانقلابات ، وقد قاد عدم الاستقرار الى تدمير الموارد ، وعندما حدث هذا كله كانت العراق تجتاز مرحلة اقتصادية « زراعية وحرفية وتجارية » متميزة ، فالاموال كانت قد تكدست في بعض البيوتات ، والاراضي الزراعية آلت ملكيتها الى كبار من الملاك ، وبالنظر الى حاجة السلطة الدائمة الى المال لجأت الى زيادة الضرائب لا بل مضاعفتها ، ولجأت في كثير من الاحيان اثر كل انقلاب أو تغير سياسي الى أعمال المصادرة والتصفية ، وأهم من هذا ، تحالف كبار التجار وملاك الاراضي مع قادة الجند ورجال السلطة وأمدوهم بالمال ، لكن بعدما سخروا وسائط وطاقات الدولة لحسابهم ولمنفعتهم ، وهكذا لحق البلاء ونزل الظلم بالفلاحين والحرفيين ، وهرب كثير من الفلاحين من قراهم ، وأقبل كبار الملاك على استخدام الرقيق الاسود من زنوج افريقيا وزنوج (زط) الهند في مزارعهم خاصة في منطقة البصرة وأراضي المستنقعات في جنوبي العراق •

وعاش هؤلاء الرقيق في حالات متردية وقاسية جدا ، وهكذا توفرت بين صفوفهم أجواء الاستعداد الثوري والتمرد على السلطان ، فتوجهت أنظار الحركات المعارضة نحوهم تحاول استغلالهم حاملة اليهم برامج اصلاحية اقتصادية واجتماعية ، واتسمت هذه الحركات بالسمة الشيعية المزيجة أو شبه الواضحة، كما سنرى بالنسبة

لما حدث في سواد الكوفة ، فكان أن قامت ثورة الزنج ، وقد تزعم هذه الثورة رجل قيل كان اسمه علي بن محمد ، ادعى النسب العلوي وطعن في نسبه ، فالطبري يقول أنه كان من عبد القيس القبيلة العربية وغيره يقول انه من أصل ايراني ، وقد بدأت تحركات صاحب الزنج قبيل عام ٢٥٤ هـ/٨٦٨ م ، وجرى الاعلان عن الثورة في ٢٦ رمضان سنة ٢٥٥ هـ/١٨ ايلول ٨٦٩ م ، وحققت الثورة انتصارات واسعة ، واستمرت حتى سنة ٢٧٠ هـ/٨٨٣ م ، ويلاحظ من أخبار وقائعها أن رجالاتها استهدفوا الانتقام لا الاصلاح ، والانقلاب الاجتماعي لا التقويم ، وأن قائدها لم يستطع أن يحرر ذاته من مسألة فكرة الزعامة القرشية ، الامر الذي سيفلح فيه بعض القرامطة ، يضاف الى هذا أن أطر الثورة كانت محلية محدودة ولم تكن لديها تطلعات شاملة ، ومن هنا تفهم رفض صاحب الزنج التنسيق مع الحركة القرمطية حين عرض عليه ذلك، ومع ذلك ان دراسة هذه الثورة[1] تسهل على الباحث تصور ماكان عليه حال الفلاحين والسواد الاعظم من سكان العراق لا بل سكان معظم بلدان العالم الاسلامي ، ويمكن أن تجد بعض الصور المعبرة لا في حوادث العنف فقط بل في ثنايا كتب الادب وبعض عناوين مصنفات ذلك العصر ، مثل : الفرج بعد الشدة ، والمكافأة وحسن العقبى وغير ذلك ، ولعل من أصدق الصور المعبرة عن أحوال الناس قول الشاعر :

تلوم عليَّ ترك الصلاة حليلتي ... فقلت اغربي عن ناظري أنت طالق
فوالله لا صليت لله مفلسا ... يصلي له الشيخ الجليل وفائق
وتاش وبكتاش وكنباش بعده ... ونصر من ملك والشيوخ البطارق
وصاحب جيش المشرقين الذي له ... سراديب مال حشوها متضايق
ولا عجب إن كان نوح مصليا ... لأن له قسراً تدين المشارق
لماذا أصلي أين باعي ومنزلي ... وأين خيولي والحلى والمناطق
وأين عبيدي كالبدور وجوههم ... وأين جواري الحسان العواتق

---

(١) تاريخ اليعقوبي : ٢/٥٠٧ ـ ٥١١. الطبري : ٩/٤٣١ ـ ٦٦١. العيون والحدائق: ٤/١٩٤ ـ ١٩٥ . الكامل لابن الاثير : ٦/٧ ـ ٥١ .

أصلـي ولا فتر من الارض يحتوي | عليـه يمينـي انـي لمنافـق
تركت صلاتي للذيـن ذكرتهم | فمن عـاب فعلي فهو أحمق مائـق
بلـى ان عليّ الله وسـع لـم أزل | أصلي لـه ما لاح في الجـو بارق
فـان صـلاة السيء الحـال كلها | مخـارق ليست تحتهن حقائـق[1]

امتد عصر تحكم الترك بالخلافة من سنة ٢٤٧ هـ الى ٣٣٤ هـ [٨٦١/٩٤٦ م] وقد تولى الخلافة خلاله اثنا عشر خليفة هم : المنتصر ، المستعين ، المعتز ، المهتدي ، المعتمد ، المعتضد ، المكتفي ، المقتدر ، القاهر، الراضي ، المتقي ، المستكفي ، والفترة المميزة في تاريخ هؤلاء الخلفاء هي التي بدأت مع خلافة المعتمد سنة ٢٥٦ هـ/٨٧٠م وحتى نهاية أيام المكتفي سنة ٢٩٥ هـ/٩٠٨ م ، ويعود الفضل في تميز هذه الفترة أنه تسلم قيادة الجيش أيام المعتمد أمير عباسي فتحكم هو بالخلافة ، وأعاد اليهـا بعض رونقها ، وهذا الامير هو أبو أحمد الموفق أخو المعتمد ، والموفق هو الذي صد عن دار الخلافة القوى الطامعة، وقضى على ثورة الزنج، وفرض ابنه وليا للعهد، حيث سيلي الخلافة بلقب المعتضد .

وكان المعتضد مثل أبيه ، تأثر به وسار على خطاه ، وكان قائدا شجاعا ، واداريا ناجحا حاول ايجاد حلول لبعض مشاكل الشعبوانهاء التذمر والفوضى والاستغلال، وخلفه في سنة ٢٨٩ هـ/٩٠٢ م ولده المكتفي ، فاقتدى به ، لكنه كان يفتقر الـى حزمه وشدته ، ولهذا عاد القادة الترك في أيامه الى التسلط على الخلافة[2] .

في فترة الانتعاش السياسي هذه بدأت حركة قرامطة العراق ، في سواد الكوفة، عندما كانت أنظار رجالات العباسيين مشدودة نحو سواد البصرة حيث ثورة الزنج، وتتفق غالبية الروايات على أن أول الدعاة الذين نشطوا في سواد الكوفة كان اسمه

---

(٢) يتيمة الدهر : ١٥٧/٤ ـ ١٥٨ . المحمدون من الشعراء : ٢٤ ـ ٢٥ .

(٢) الطبري : ٤٣٨/٩ ـ ٦٦٧ ، ٧/١٠ ـ ١٣٩ . اليعقوبي : ٥٠٧/٢ ـ ٥١١ .مروج الذهب : ١٩٩/٤ ـ ٢٩١ . العيون والحدائق : ١/٤ ـ ١٢٩ . الفخري : ٢٠١ ـ ٢١١ . الكامل : ٢٥٠/٥ ـ ٣٦٧ ، ٢/٦ ـ ١١٨ . الذهب المسبوك : ٢٣٣ ـ ٢٣٧ . ابن كثير : ٢٢/١١ ـ ١٠٤ . كتاب فاروق عمر الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية : ٧٩ ـ ٨٦ .

الحسين الاهوازي ، وأنه أرسل من قبل عبد الله بن ميمون بن القداح ، أو من قبل الامام عبد الله بن محمد المكتوم ، ومن المرجح أنه جاء مرسلا من السلمية بعد الاستقرار فيها ، ومعنى هذا أنه قدم أيام الامام أحمد ابن وخليفة الامام عبد الله بن محمد المكتوم ، ويستدل مما ذكره الداعي المطلق ادريس القرشي أن الدعوة الاسماعيلية شهدت في عهد الامام أحمد بن عبد الله هذا ، نشاطا ثقافيا ودعويا بارزا حيث قال : « وقويت الدعوة أيام الامام أحمد بن عبد الله عليه السلام ، واشتهرت وأعلن بها الدعاة فظهرت ، ولم يعرف صاحبها الذي الدعوة اليه ، وامام أهلها الذين يعولون عليه ، والجبابرة العباسية على الارض متغلبون ، وبقطع العترة النبوية مطالبون ».

وكان الامام أحمد بن عبد الله ينتقل تحت الستر والتقية ، تارة الى الكوفة والديلم ، وتارة الى سلمية ، وتارة الى عسكر مكرم (خوزستان) يظهر بزي التجار ، ويخفي فضله ، فلا يعرفه الا الاخيار »[1] ، هذا وسبقت الاشارة في الفصل السابق الى الداعية القرمطي الكبير عبدان والى اشاراته في كتابه شجرة اليقين الى الامام أحمد باسم « الحكيم الصادق »[2] .

كان أول من قابله الاهوازي في سواد الكوفة حمدان بن الاشعث ، ويبدو أن المقابلة لم تأخذ عامل الصدفة كما توحي الروايات المبكرة ، ذلك أن حمدان كان كما يقول الغزالي « مائلا الى الزهد والديانة » أي أنه كان لديه الاستعداد والمؤهلات لتحمل العمل الدعوي الاسماعيلي ، ودليل آخر على هذا سرعة تقبله لما دعي اليه ، وتسلمه العمل الدعوي وقيامه بتنظيم هذا العمل خير قيام وأحسنه ، ولهذا كله كان أول من حمل لقب قرمط أي باطني أو اسماعيلي .

وأهم ما يثير الانتباه في قيام العمل الدعوي في سواد الكوفة هو الصبغة الاجتماعية والاقتصادية الاصلاحية ، وهذا أمر طبيعي ، فهو مطلب ذلك العصر ، في سبيله قامت ثورة الزنج ، انما كانت هنالك فوارق بين ما طرحه صاحب الزنج وبين ما دعا اليه دعاة الاسماعيلية ، كما أن العمل التنظيمي قد تباين لديهما :

---

(١) عيون الاخبار : ٤/٣٦٥ ـ ٣٩٤ . اخبار القرامطة : ٣٠٨ .
(٢) شجرة اليقين : ٢٨ ، ٥٥ .

روى الامام الغزالي أن حمدان بن الاشعث سأل الحسين الاهوازي حين التقيا : « وما غرضك في البقعة التي أنت متوجه اليها ؟ قال : أمرت أن أدعو أهلها من الجهل الى العلم ، ومن الضلال الى الهدى ، ومن الشقاوة الى السعادة ، وأن استنقذهم من ورطات الذل والفقر، وأملكهم ما يستغنون به عن الكد والتعب »[1].

وجاءت رواية المقريزي حول الموضوع ذاته : « قال حمدان : فما تريد في القرية التي سألتني عنها ؟ قال : دفع الي جراب فيه علم وسر من أسرار الله ، وأمرت أن أشفي هذه القرية : وأغني أهلها ، وأستنقذهم ، وأملكهم أملاك أصحابهم »[2].

تحتوي كلمات الاهوازي هذه على أفكار الاسماعيلية الاساسية في الدعوة الى تعلم علوم الباطن والى معرفة الامام والايمان به ، وذلك بالاضافة الى فكرة جديدة تضمنت طرحا اجتماعيا واقتصاديا ، وهو ما يهم الباحث في أيامنا هذه .

ونجح الاهوازي في عمله ، وقد أثار نشاطه انتباه السلطات المحلية وأصحاب الاراضي ، ولعله أودع السجن وفر منه ، ويرجح أنه استمر في عمله ونشاطه حتى وفاته ، وكان عندما حضرته الوفاة قد « عهد الى حمدان بن الاشعث قرمط وأقامه مقامه » .

ودخلت الدعوة في ظل قيادة حمدان مرحلة جديدة حاسمة ، حيث تضاعف عدد الذين آمنوا بدعوته أو التحقوا بها ، وذلك بعد ما بث دعاته ، وكان من بين هؤلاء الدعاة : جلندي الرازي ، وعكرمة البابلي ، واسحق البوراني ، ومهرويه بن زكرويه السلماني ، وعبدان الاهوازي ، وكان عبدان أبرز الدعاة نشاطا ومكانة ، كما وكان أكبرهم وأكثرهم علما وقد ربطته بحمدان قرمط رابطة المصاهرة[3] .

وأقدم قرمط على تنظيم المؤمنين بدعوته تنظيما اجتماعيا واقتصاديا ، وذلك بشكل تدريجي ، فقد فرض أولا على « كل واحد من الرجال والنساء والصبيان » دفع مبلغ درهم ، ودعا ذلك باسم « الفطرة »ثم ما لبث أن فرض على البالغين دفع

---

(1) فضائح الباطنية : ١٢ ــ ١٣ . انظر ايضا الطبري : ٢٣/١٠ ــ ٢٥ . اخبار القرامطة : ٩٠٦ .
(2) أخبار القرامطة : ٣٩٣ ــ ٣٩٤ .
(3) المصدر السابق : ٣٢٩ ــ ٣٩٥ .

مبلغ دينار ، ودعـا ذلك باسم « الهجرة » وسارع القرامطـة الى دفع ذلك اليـه « وتعاونوا عليه ، حتى أن من كان منهم فقيرا أسعفوه » ثم فرض عليهم دفع سبعة دنانير ، ودعا ذلك باسم « البلغة » وبعد ذلك فرض على كل واحد دفع خمس دخله، وعندما تحقق له هذا كله بادر الى اتخاذ خطوة خطيرة وجديدة من نوعها ، وذلك بأن أمر بالغاء الملكية الخاصة وأحل محلها الملكية الجماعية العامة ؛ ودعا ذلك باسم الألفة « وهي أنهم يجمعون أموالهم في موضع واحد ، وأن يكونوا فيه أسوة واحدة لا يفضل أحد من أصحابه على صاحبه ولا أخيه في ملك يملكه البته ••• وقال لهم : لا حاجة بكم الى الاموال فان الارض بأسرها ستكون لكم دون غيركم ••• وأقام في كل قرية رجلا مختارا من الثقات ، فجمع عنده أموال قريته من : غنم ؛ وبقر ، وحلي ، ومتاع ، وغير ذلك ، فكان يكسو عاريهم ، وينفق عليهم ما يكفيهم ، حتى لم يبق بينهم فقير ولا محتاج ، وأخذ كل رجل منهم بالانكماش في صناعته والكسب بجهده ؛ ليكون له الفضل في رتبته : وجمعت اليه المرأة كسبها من مغزلها ، وأدى اليه الصبي أجرة نطارته وحراسته ونحوه ، ولم يبق في ملك أحد منهم غير سيفه وسلاحه لا غير » •

لا شك أن هذا الاجراء كان الاول من نوعه في تاريخ الاسلام ، وكان حمدان يدرك مخاطره وردات الفعل ضده اسماعيليا وعباسيا ، ذلك أن الدعاة قبل حمدان كانوا يجمعون الاموال من أتباعهم لترسل الى الامام ، أما الان فانها صرفت في سبيل هؤلاء الاتباع ، ويبدو أن خلافا ما قد حدث بـين حمدان والقيادة الاسماعيليـة والدليل على هذا أن حمدان أعلن عن قيامة صغرى ، ومثل هذا الاجراء قد حدث في تاريخ القرامطة في اليمن والاحساء وجاءبمثابةتمرد علىالقيادةالاسماعيلية كماسنرى، يضاف الى هذا ما آل اليه أمر حمدان ومعه ختنه الداعي عبدان مجهول بالنسبة لنا لا تحوي المصادر شيئا واضحا أو يقينا عنه ، بل الذي تحويه ـ وهذا ما سنبحثه ـ أخبار قيام صراع بين آل زكرويه بن مهرويه وامامة السلمية ، كما أن هذا الصراع سيقوم مع قرامطة الاحساء والبحرين الذين أسس دعوتهم أبو سعيد الجنابي ، وهو من دعاة حمدان وتلاميذ عبدان ، وقد نفذ برنامجا اقتصاديا يشبه الذي سبق وصفه، ومثل هذا البرنامج لم نجده الا لديهما ؛ فالخلافة الفاطميـة عندما قامت سارت على طريق بقية دول الاسلام ، لا بل شهرت بكثرة ضرائبها وبسياساتها المالية الثقيلـة المتشددة في الجباية الى حد العسف •

وفي الوقت نفسه كان حمدان قرمط يدرك أن ردة فعل الخلافة العباسية ستكون ضده عنيفة مثلما كان الحال ضد الزنج ، ولهذا ألزم أتباعه منذ عام « سنة وسبعين ومائتين » بشراء السلاح ، كما عمل على بناء دار هجرة « في قرية تعرف بمهتماباذ » ، « في طسوج الفرات من ضياع السلطان المعروفة بالقاسميات » ، وقد حصنت هذه القرية بشكل جيد حيث بنى القرامطة « حولها سورا منيعا عرضه ثمانية أذرع ، ومن ورائه خندق عظيم ، وفرغوا من ذلك في أسرع وقت ، وبنو فيها البناء العظيم ، وانتقل اليها الرجال والنساء من كل مكان »[1] ويرجح أن هذا كان سنة ٢٧٧ هـ/٨٩٠ م ، فقد ذكر صاحب العيون والحدائق في أخبار هذه السنة أن قوما قدموا « من الكوفة ، ورفعوا الى السلطان أمر القرامطة وأنهم قد أحدثوا دينا غير الاسلام ، وأنهم يرون السيف على أمة محمد ﷺ الا من بايعهم على دينهم »[2] ، « فلم يلتفت اليهم ولم يسمع منهم »[3] .

لقد مضى على نشاط القرامطة في سواد الكوفة حتى الآن قرابة العقدين من الزمن والخلافة في بغداد غافلة عن ذلك غير مهتمة به ؛ الى حد أنها عندما شكي اليها من هذا النشاط لم تعبأ ولم تصغ للشكوى والشكاة ، وهذا الأمر ان بعث على الدهشة فيه دلالة واضحة على أحوال ادارة الخلافة ، وعلل المقريزي الامر فقال : « وكان الذي أعانهم على ذلك تشاغل الخليفة بفتنة الخوارج ، وصاحب الزنج بالبصرة ، وقصر يد السلطان ، وخراب العراق ، وتركه لتدبيره ، وركوب الاعراب واللصوص بعد السبعين ومائتين بالقفر ، وتلاف الرجال ، وفساد البلدان »[4] .

ليس في المصادر المتوفرة ما يشير الى اقدام السلطات العباسية في بغداد على نشاط حربي ضد حمدان وقرامطته في سواد الكوفة ، بل الذي نلاحظه اهمال لأخبارهم وتركيز للاانتباه على ظهور قرامطة الاحساء والبحرين بزعامة أبي سعيد وعلى قيام حركة قرامطة الشام ، واستقطب نشاط قرامطة الشام ــ كما سنرى ــ

---

(١) اخبار القرامطة : ٢٣٢ ــ ٢٣٣ ، ٢٩٧ ــ ٢٩٨ . الفهرس للنديم : ٢٣٨ ــ ٢٤٠ . قرامطة العراق : ٦١ ــ ٦٥ . القرامطة لدى خويه : ٣٣ ــ ٣٧ .
(٢) العيون والحدائق : ٦٩/١/٤ ــ ٧٠ .
(٣) الطبري : ٢٥/١٠ . اخبار القرامطة : ٩ .
(٤) أخبار القرامطة : ٣٢٣ .

حول شخصيتين قيل كانا أخوين شهرا باسم صاحب الجمل ثم صاحب الخال ، وكلاهما ادعى الانتساب الى اسماعيل بن جعفر الصادق ، لكن غالبية المصادر من سنية واسماعيلية تقول بأنهما كانا من أولاد الداعية زكرويه بن مهرويه ، وتتحدث المصادر الاسماعيلية عن خلاف قام بين امامة السلمية وبين أولاد زكرويه ، وأن هؤلاء قتلوا زوج أختهم[1]، وحين نعود الى روايات المقريزي حول حمدان قرمط نراه يذكر من بين دعاته رجلا اسمه مهرويه بن زكرويه السلماني ، كما أنه ذكر عبدان وركز حديثه حول أهميته ومكانته وأوحى بما يفيد أن عبدان اختص بمناطق دعوية ، وكان يتبعه عدد من الدعاة منهم : الحسن بن أيمن ، والبوراني والوليد ، وأبي الفوارس ، وزكرويه بن مهرويه ، وبين المقريزي أن زكرويه هذا كان أهم دعاة حمدان حيث « كان شابا ذكيا فطنا من قرية بسواد الكوفة على نهر هد ، فنصبه عبدان على اقليم نهر هد وما والاه ، ومن قبله دعاة جماعة متفرقون في عمله »[2] ، وبناء عليه لا علاقة بين مهرويه بن زكرويه وبين زكرويه بن مهرويه ، فأولهما تبع حمدان وثانيهما كان من دعاة عبدان .

لا ندري ما الذي حدث بالتأكيد لعبدان وحمدان ، لعلهما ماتا بشكل طبيعي أو قتلا ؟ المهم بالامر أن الدعوة في سواد الكوفة آلت الى زكرويه بن مهرويه ، وأن زكرويه اضطر الى التخفي ، ولعله أشيع أنه مات ، لذلك قام بأمر الدعوة من بعده أولاده ، ولعلهم كانوا ثلاثة ، وهؤلاء هم الذين اصطدموا ببيت امامة السلمية، واثنان منهما قادا على التوالي قرامطة الشام[3] .

يبدو أن أعمال التغيير في دعوة سواد الكوفة لم تكن سلمية البته ، لذلك اتخذت الامامة اجراءات قضت بعزل أولاد زكرويه عن الدعوة في الكوفة ، وكان أكبر أولاد زكرويه واسمه أبو القاسم محمد هو الذي حل محل أبيه، وتلاه في المكانة أخوه أبو العباس أحمد ، ويبدو أن أبا القاسم احتج لامام السلمية على عزله عن دعوة سواد الكوفة ، وزار مع أخوته الشام ، ومكثوا بين السلمية وحماه فترة من

---

(1) اخبار القرامطة : ١١٧ .

(2) اخبار القرامطة : ٣٢٩ .

(3) اخبار القرامطة : ١١٧ ـ ١١٨ ، ٣٢٩ .

الزمن ، وحين لم يتم التوصل الى تسوية توجه أبو القاسم محمد نحو منطقة دمشق، ففجر ثورة قرامطة الشام .

ان نشاط قرامطة الشام سيتم بحثه فيما بعد ، المهم أنه قد أنزلت ضربة ماحقة بهؤلاء القرامطة سنة ٢٩٣ هـ/٩٠٦ م ، أجبرت زكرويه على مباشرة النشاط وتوجيه الدعوة بنفسه ، وكان زكرويه قبل ذلك « مختبئا في سرداب عليه باب حديد ، وكان للقرامطة تنور ينقلونه ، فاذا جاءهم الطلب وضعوا التنور على باب السرداب وقامت امرأة تسجره »[١] .

وحاول زكرويه أولا النشاط في منطقة دمشق فأخفق فنقل النشاط الى بادية السماوة ووضع خطة محكمة للاستيلاء على مدينة الكوفة ، وقضت الخطة بمفاجأة الكوفة صباح يوم عيد الاضحى ، والناس غارون قد خرجوا الى المصلي في ظاهر المدينة ، وهوجمت الكوفة وتمكن من الدخول اليها حوالي مائة فارس من القرامطة، لكن أهل الكوفة تصدوا لهم ، وجمع والي الكوفة شتات قواتـه وهكذا أمكن مقاومة الهجوم القرمطي وصده[٢] .

ولم يفت هذا الاخفاق بعضد زكرويه وقرامطته وشرع بمهاجمة قوافل الحجاج والبطش بها ونهبها،وقد أجبر نشاطه هذا الخليفة المكتفي العباسي على حشد ماأمكنه من قوات وجهها ضده ؛ وتمكنت القوات العباسية من انزال ضربة حاسمة بالقرامطة، فقتلت عددا كبيرا منهم وأسرت أعدادا أكبر ، وقـد أصيب زكرويه أثنـاء القتال بجراحات مميتة ففقد حياته اثر ذلك ، وكان ذلك سنة ٢٩٤ هـ/٩٠٧ م ، وبمقتل زكرويه انطفئت نائرة قرامطة الكوفة ، وطويت صفحة أخبارهم ، والمثير للدهشة اقتصار نشاط زكرويه على سواد الكوفة وعدم مده لهذا النشاط الى مناطق أخرى مثل البصرة ؟[٣]

من الملاحظ بشكل عام أن القرامطة جميعا نشطوا في الاطراف ، واعتمدوا دائما على القوى البدوية ، ولم يتوفر أدنى تعاون بين مجموعاتهم ، ولهذا جاء تأثيرهم

---

(١) الطبري : ١٠/١٢٧ ــ ١٢٨ .
(٢) الطبري : ١٠/١٢٤ ــ ١٢٥ . اخبار القرامطة : ٢٨ ــ ٣٠ .
(٣) الطبري : ١٠/١٣٣ ــ ١٣٥ . اخبار القرامطة : ٣٠ ــ ٣٥ .

هامشيا ، سريع الزوال منعدم التأثير الدائم والعميق مثله مثل طباع البداة في الولاء السياسي •

وكانت البصرة منطقة نفوذ ونشاط لقرامطة الاحساء والبحرين ولهذا لم يقربها زكرويه وأتباعه ، هذا وان انعدام التعاون والتنسيق بين مجموعات القرامطة في الشام والعراق والاحساء واليمن يجعلنا نقول : شكل القرامطة حركات لا حركة واحدة ، ولا بد أن من معاني هذا التباين في الخطط والاهداف والاساليب والغايات، فزكرويه وقرامطة الشام وقرامطة اليمن على خلاف قرامطة حمدان بن الاشعث وقرامطة الاحساء والبحرين لا تلحظ في أخبارهم أية برامج اصلاحية اجتماعية أو اقتصادية ، وقبل التعرض لاخبار قرامطة الاحساء والبحرين نلتفت عائدين أولا نحو قرامطة الشام •

قرامطة الشام :

يقضي البحث في قرامطة الشام وقفة أولية مع أوضاع بلاد الشام وما تميزت به:

بلاد الشام عند الجغرافيين العرب هي صقع واسع يحده من الشرق سقى الفرات ، ومن الغرب البحر المتوسط ، ومن الجنوب البحر الاحمر وعريش مصر ، ومن الشمال الثغور مع بيزنطة التي تتوغل بعيدا حتى ما بعد سفوح جبال طوروس الشمالية ، وقد جعل العرب المسلمون بعد فتحهم للشام هذه البلاد أربعة أجزاء أو مناطق عسكرية أطلق على كل منها اسم جند ، وغدا عدد هذه المناطق في عهد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان خمسا وهي : جند فلسطين ، وجند الاردن ، وجند الشام ، وجند حمص ، وجند قنسرين ، وقد عمّر هذا التقسيم فترة قصيرة ، واستمر وجوده نظريا فقط •

وكانت بلاد الشام ــ وما زالت ــ من أقدم البلدان التي ارتبط تاريخها بالعرب والعروبة ، ففي الشام قامت أقدم الدول العربية ، والى هذه البلاد هاجرت القبائل العربية من شبه جزيرة العرب بشكل لم يتوقف ، وكان في الشام قبل قيام الفتوحات الاسلامية العديد من القبائل العربية ، كان أكثرها ــ تبعا لروايات النسابين العرب ــ منحدرا من أصل يماني ، وقد شهر منها قبيلة كلب ، ذلك أنها استقرت في منطقة دمشق والى الجنوب منها ، وكان لها دورها البالغ الخطورة في العصر الاموي •

وفي المقابل كانت غالبية القبائل التي هاجرت الى شمال بلاد الشام واستقرت هناك من أصل قيسي ، وكان من أشهر هذه القبائل قبيلة كلاب ، وفي سنة ٦٤ هـ/ ٦٨٣ م بعد وفاة الخليفة الاموي يزيد بن معاوية التحمت قوى قيس بقيادة الضحاك ابن قيس الفهري بقوى كلب ومن ساندها من اليمانيين بقيادة مروان بن الحكم في معركة مرج راهط ، ولقد هُزمت قيس وانتصرت اليمن ، وكانت قبيلة كلاب أكبر القبائل القيسية التي اشتركت في هذه المعركة ، ولقد فر زعيمها زُفر بن الحارث شمالا واعتصم في قرقيسيا (البصيرة حاليا في سورية حيث يلتقي الخابور بالفرات) ورفض الاعتراف بمروان بن الحكم كخليفة ، ولم يستطع مروان أن يقسره على مثل هذا الاعتراف ، ولعل من أهم نتائج هذه المعركة أنها قسمت بلاد الشام الى قسمين: شمالي تسكنه القبائل القيسية وخاصة كلاب وتسيطر عليه ، وجنوبي تسكنه القبائل اليمانية ، خاصة كلب ، وتسيطر عليه ، وهكذا غدت بلاد الشام واقعيا عبارة عن دارين : دار لكلب في الجنوب ، ودار لكلاب في الشمال ، وكان الخط الفاصل بين الدارين يمر وهميا عند الرستن على العاصي بين حمص وحماه ، وازداد مع الايام نفوذ كلب في منطقة دمشق وتركز ، وغالبا ما كانت أجزاء منها تقطن في منطقة المزة خارج أسوار المدينة ، كما انتشرت عشائر كلب في البادية حتى منطقة السماوة بين العراق والشام[١] .

ومعروف أن بلاد الشام كانت مقر الخلافة الاموية،وبعد سقوط هذه الخلافة غدت ولاية شبه مهملة من ولايات الخلافة العباسية ، وكانت النزعات الاستقلالية في الشام واضحة ، وقد ازدادت قوة مع وضوح سيطرة الاعاجم على هذه الخلافة ، وتزامنت هذه النزعات مع استقلال مصر وقيام الدولة الطولونية فيها منذ بداية النصف الثاني للقرن الثالث للهجرة [٢٥٤ هـ/٨٦٨ م] ، وكما فعل من سبق ابن طولون من حكام مصر المستقلة ، لم يتوقف طموحه عند حدود مصر ، بل سرعان ما اتجه بأنظاره نحو الشام ، فسيطر على مختلف أجزاء البلاد ، واصطدم أثناء ذلك بالخلافة العباسية ، ونتيجة لهذا ولاسباب أخرى ، سيطر الطولونيون على الاجزاء الجنوبية من الشام سيطرة قوية،وكانت سيطرتهم على الشمال وهمية أو شبه معدومة.

---

(١) تاريخ خليفة : ٢٦٦/١ . الطبري ٥٤٠/٥ ـ ٥٤٢ . ابن عساكر : ٢١١/٦ و ـ ٢١٢ ظ .

توفي أحمد بن طولون سنة ٢٧٠ هـ/٨٨٣ فخلفه ابنه خمارويه ، وورث عنه الصراع ضد الخلافة العباسية ؛ لذلك قضى كثيرا من وقته في دمشق ، وفي دمشق اغتيل خمارويه سنة ٢٨٢ هـ/٨٩٥ م ، ومنذ ذلك الحين عصفت بالدولة الطولونية رياح التمزق والتنافس على السلطة ، وقد انعكس هذا على الأوضاع في دمشق والأجزاء الجنوبية من بلاد الشام[1] ، وكانت على هذا الاجواء مهيأة والفرص متوفرة للاقدام على عمل ثوري في الشام .

وانتشر دعاة الاسماعيلية بين صفوف قبيلة كلب ، فلاقوا النجاح وخاصة بين أفراد بني العليص ، وتبعا للمصادر الاسماعيلية توجه أبو القاسم محمد بن زكرويه من السلمية نحو كلب في منطقة دمشق والتقى بزعماء بني العليص « وكان معه دفاتر، وكان غلاما شيطانا » واتفق معهم على الثورة ، وتفجرت الحركة في مزة كلب ، ويبدو أنها استهدفت الاستيلاء على مدينة دمشق .

كان يلي دمشق آنذاك قائد اسمه طغج بن جف وذلك نيابة عن هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون، «وكان طغج قد طغى وجار في دمشق جورا عظيما»[2] كما وكان ضابطا تركي الاصل التحق بالخدمة الطولونية ، وقد اتهم بالتآمر على اغتيال خمارويه بن أحمد بن طولون ، وابنه محمد هو الذي سيرث الدولة الطولونية ويؤسس الدولة الاخشيدية .

وبدأت الثورة في منطقة دمشق سنة ٢٩٨ هـ/٩٠٢ م وأعلن أبو القاسم عن نفسه اماما اسماعيليا باسم « محمد بن عبد الله بن يحيى » وأنه ولد اسماعيل بن جعفر الصادق ، وقيل ـ وهو الارجح ـ محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن اسماعيل ، وقد عرف باسم الشيخ وشهر بلقب صاحب الناقة أو صاحب الجمل .

وشهرته بهذا اللقب تعود الى أنه ادعى أن ناقته التي كان يركبها كانت مأمورة وموجهة سماويا ، وأن تلك آيته الدالة على صحة امامته ، ومرد هذا الى دعوى وراثة الامامة للنبوة وعلاماتها جميعا أو بعضها ، ويروى أن النبي ﷺ عندما هاجر من مكة ودخل المدينة ، أخذ أهل المدينة يدعوه كل فريق منهم للنزول عليه ، وذلك

---

(١) انظر كتابي تاريخ العرب والاسلام : ٣٩٩ ـ ٤٠١ .
(٢) أخبار القرامطة : ١١٩ .

عن طريق اعتراض سبيله ومحاولة جر ناقته الى دارهم ، وكان النبي يطلب من موجهي الدعوة اليه ترك الناقة على أساس أنها مأمورة ، ويروى أيضا أن من علامات نبوته ﷺ « خاتم النبوة » ، وكان عبارة عن كتلة لحمية ناتئة فوق كتفه من الخلف ، وسنلاحظ أن خليفة صاحب الجمل سيعرف باسم صاحب الخال على أساس أن الكتلة اللحمية التي كانت بارزة في وجهه هي علامة امامته ، وذلك على قاعدة خاتم النبوة .

حاصر صاحب الجمل طغج بن جف في دمشق ولم يستطع دخولها ، وحاول طغج فك الحصار فأخفق وطلب النجدات من مصر فجاءته تباعا ، لكنها لم تغن شيئا وأخيرا وصلت قوات لا بأس بقدراتها بقيادة بدر الحمامي ، وفي هذه الاونة التحق بصاحب الجمل أخوه أحمد ، « فعند ذلك جمع مشايخ العليصين من بني زياد ، وقال لهم : هذا أخي قدم ، ونحن بالغداة نلتقي بالقتال على باب المزة ، فبايعوا لأخي ، فاني غدا أطلع الى السماء أقيم بها أربعين يوما » ، ورتب قواته ، وأعطي أخاه خمسمائة فارس يكمن بها بين بساتين المنطقة .

وخرجت قوات بدر وطغج من دمشق لقتاله ، وزحفت ضده ، وباشرت القتال، وضغطت على قوات القرامطة ، وجمل القرمطي واقف مكانه لم ينبعث ، وسدد أثناء ذلك أحد جنود بدر نحوه حربة قصيرة منفطة ورماه بها مع جمله فأصابه اصابة قاتلة ، وتقول احدى الروايات بأنه سبب احراقه مع جمله وتقول روايات اخرى بأن أصحابه قاتلوا دونه حتى استنقذوا جثته ، وساعدهم على ذلك خروج الكمين بقيادة أحمد أخوه .

لقد حدث هذا سنة ٢٩٠ هـ/٩٠٣م، ولم تؤد هذه المعركة الى هزيمة القرامطة، بل على العكس من ذلك ، فقد ارتدت القوات الطولونية نحو دمشق ، وفي الوقت نفسه انسحب القرامطة لتنظيم صفوفهم .

وجرت بيعة أحمد بالامامة ، وأعلن عن نفسه مهديا ، وجعل علامته الخال في وجهه ، واتخذ لنفسه حاجبين دعا أحدهما باسم « المدثر » لأن الله تعالى خاطب نبيه في القرآن بهذه العبارة ، ودعا الثاني باسم المطوق ، وقام صاحب الخال بنشاط كبير حيث سعى نحو الاستيلاء على المناطق المحيطة بدمشق ، ثم توجه نحو وسط بلاد الشام فأخذ حمص وزحف من هناك الى السلمية فدمرها وأباد كل من كان فيها ،

وعلم وهو هناك بقدوم حملة عباسية ضده بقيادة أبي الأغر خليفة المبارك السلمي كان قوامها عشرة آلاف فارس ، فبعث غلامه المطوق على رأس قوة اعترضت سبيل الجيش العباسي قبل وصوله الى حلب فهزمته ، وفر أبو الاغر الى حلب واعتصم بها، وحاول القرامطة الاستيلاء على حلب فأخفقوا وردوا ، وبعد هذا احتل القرامطة معرة النعمان ، وحاول صاحب الخال اقامة دولة قرمطية في وسط الشام حيث « بث ولاته في » أعمال حمص «وضرب الدنانير والدراهم وكتب عليها: المهدي• المنصور• أمير المؤمنين » •

وشعر الخليفة المكتفي بجسيم ما وقع بالشام وبعجز السلطات الطولونية ، لذلك قرر حشد قوات دولته والتوجه على رأسها نحو بلاد الشام ، وكان عدد ما حشده يزيد على ثلاثين ألفا ، وكان هذا سنة ٢٩٠ هـ ، وتوقف المكتفي في مدينة الرقة ، ومن هناك وجه محمد بن سليمان الكاتب الانباري على رأس الجيش نحو القرامطة •

وزحفت القوات العباسية ضد القرامطة بعد اتخاذ جميع الاحتياطات ، ومع حلول عام ٢٩١ هـ التقت بالقرامطة في موقع الى الشمال من مدينة حماة ، فأوقعت بهم ضربة ماحقة ، حيث « قتل منهم وأسر أكثر من عشرة آلاف رجل ، وشرد الباقون في البوادي ، واستمرت بهم الهزيمة » ، وهرب صاحب الخال نحو منطقة الرحبة (قرب الميادين في سورية) وهناك التقى ببعض أركان دعوته وقادته ، وحاول من جديد جمع شتات قواته فأخفق ، ورفض أصحابه التعاون معه وقالوا له : « قد وجب حقك علينا ، وقد رأيت ما كان من جدنا واجتهادنا ، ومن حقك علينا أن ندعك ، وانما يطلبنا السلطان بسببك ، فانج بنفسك » •

واستجاب صاحب الخال ، وركب الطريق يريد الكوفة ومعه غلام له اسمه لؤلؤ « وركب معه المدثر ، وكان يزعم أنه ابن عمه ، والمطوق غلامه » وحمل كل واحد من أصحابه هؤلاء كمية من الدنانير ، وأخذ دليلا « وسار يريد الكوفة عرضا في البرية ، فغلط الدليل » وقادهم باتجاه احدى قرى الرحبة ، وكانت السلطات العباسية قد نشرت قواتها في المنطقة ووضعت في كل قرية مجموعة للحراسة ، وتنبه حراس القرية للقرمطي وأصحابه فألقوا القبض عليهم ، وبسرعة طار الخبر الى الرحبة ومنها الى الرقة حيث الخليفة المكتفي ، فسر سرورا عظيما وبدأ يستعد لصنع موكب

للنصر لا نظير له يدخل به بغداد ومعه صاحب الخال وأسرى القرامطة، وأعد الموكب، ودخل الخليفة بغداد ، وبعدما خلع على كبار القادة من أصحابه ، تقرر اعدام صاحب الخال وقرامطته اعداما جماعيا بشكل علني وتـم ذلك بصورة لم يعرف التاريـخ الاسلامي لها مثيلا .

وقع الاختيار على مصلى الجانب الشرقي من بغداد ، وهناك جرى بناء دكـة (منصة) مرتفعة مساحتها حوالي ٣٠٠ م٢ وأمر الخليفة « القواد جميعا بحضور هذه الدكة ، ونودي كذلك في الناس أن يحضروا عذاب القرامطة ففعلوا ، وكثر الناس في هذا الموضع » وعندما اكتمل الحضور جلب صاحب الخال مع حوالي ثلاثمائة من أسرى القرامطة ، وبدأت المراسم بتقديم حوالي الثلاثين من وجوه الاسرى «فقطعت أيديهم وأرجلهم وضربت أعناقهم،ثم قدم القرمطي فضرب مائتي سوط،ورش على الضرب الزيت المغلي ، وكوي بالجمر ، ثم قطعت يداه ورجلاه وضربت عنقه » واستغرقت طقوس عمليات الاعدام سحابة النهار ، وفي اليوم التالي « صير ببدن القرمطي الى باب الجسر الاعلى من الجانب الشرقي فصلب هناك » وهكذا طويت صفحة مـن صفحات نشاط القرامطة[1] .

وحين ذكرت مصادرنا أن صاحب الخال أراد التوجه الى الكوفة ، فان ذلك يوحي أنه أراد الالتحاق « بأبيه » زكرويه بن مهرويه ، وهنا لا بد من سؤال : اذا صح وكانت الصلات بين كل من صاحب الجمل وصاحب الخال وزكرويه كما قيل علاقة أبوة وبنوة، فلماذا انعدم التنسيق والتعاون بين قرامطة الشام وقرامطة العراق؟ ليس كل ما يسأله الباحث في التاريخ يجد جوابا مقنعا أو موثقا له ، لكن لا شك أنه لو صحت الصلات بين الطرفين ، كان بامكان الفريق العراقي لو تحرك التخفيف عن قرامطة الشام ، ولربما تسبب الاخفاق لحملة الخليفة المكتفي !

ومثلما كان الحال بالعراق بشكل عام يلاحظ أن تأثـير نشاطات القرامطة في الشام كان هامشيا ، ذلك أنه من المشاكل الاساسية في تاريخ القرامطة أنهم عندما عمدوا الى استخدام القوة المسلحة أهملوا أعمال الدعوة السلمية والتبشير بأفكارهم، وأنهم اقتصروا على المناطق المتطرفة من بلاد الشام والعراق ، ولا بد من سؤال أخير :

---

(1) الطبري : ١٠/٩٤ ـ ١١٥ . اخبار القرامطة :١٨ـ٢٥،١١٩ـ١٣٠،٢٧٥ـ٣٠٠ .

ما هو موقع الدعوة الاسماعيلية وقيادتها مما وقع بالشام ثم بالعراق ؟ أما المصادر الاسماعيلية فتقول ان ما قام به القرامطة بالشام كان موجها بالاساس ضدها وضد امامها الصحيح ، وهذا غير مقنع البته ، فلقد ملكت الاسماعيلية العديد من الدعاة ، ولا شك أنه كان بامكان الدعاة التدخل لدى حشود القرامطة وافهامها أن ما يحدث هي غير راضية عنه وهو ضد الدعوة الاسماعيلية التي آمنوا بها ، ويبدو أنه عندما قامت نشاطات قرامطة الشام كانت الامامة الاسماعيلية منقسمة على نفسها في السلمية وتعاني من مشاكل حادة ، واذا صح هذا ، صحت معه دعوى نسب صاحب الخال وأخيه من قبله الى اسماعيل بن جعفر الصادق ، وهذا يجعل الامور مسوغة بعض الشيء اذ من غير المعقول أن ينقاد تنظيم القرامطة الى دعي ، وحين نقول تنظيم القرامطة ، نبنيه على مايمكن استخلاصه من مواد كتابنا أخبار القرامطة ، حيث كان هناك داعي دعاة الى غير ذلك حسب التنظيم الاسماعيلي المحكم ، وصحيح أن القرامطة اعتمدت قياداتهم على العناصر البدوية ، لكن لا يجوز أن نتصور أن جميع قواهم كانت بدوية أعرابية ، ولا جميع البداة كانوا أعرابا متقلبي الاهواء والولاء ، فقبيلة كلب قبيلة قديمة في الشام ، لم يكن رجالها أعرابا ، ويبدو أنه لشدة تأثرها بالدعوة القرمطية آن بيت الزعامة فيها صار يعرف بآل القرمطي وظل يعرف كذلك فترة طويلة من الزمن .

واذا ما عدنا الى الروايات التي وصفت طقوس الاعدام الجماعي في بغداد نجدها تذكر أن عدد الاسرى الذين جلبوا للاعدام كان حوالي الثلاثمائة ، وأن كثيرين منهم كانوا موجودين في سجون بغداد من قبل ، وهذا العدد قليل جدا ، ويدل على أن القرامطة قاتلوا بشجاعة وكانوا يموتون ولا يؤسرون ، ذلك أنهم آمنوا أن الحياة بعد القتل أفضل ، فالقتل كان يخلص أرواحهم من قذر الابدان وشهواتها[1] .

قرامطة اليمن :

لقد قيل : الجغرافية توجه التاريخ ، ولئن صح هذا القول بعض الشيء بالنسبة لبعض البلدان ، فان صحته مطلقة بالنسبة لليمن ، ذلك أن الطبيعة الجغرافية لهذا

(١) قرامطة العراق : ٢١٠ . مع مصادر الحاشية السابقة .

البلد شغلت أعظم الادوار في صنع تاريخه ، فلقد سيطرت الطبيعة الجبلية على اليمن، لهذا نادرا ما نعمت بالوحدة السياسية والاستقرار ، وهذا ما نلاحظه في تاريخها السابق لظهور الاسلام وما تلاه،وقبل الاسلام شغلت اليمن أدوارا هامة في التاريخ، خاصة بالنسبة للتجارة بين الشرق الاقصى وبعض أجزاء افريقية من جانب والشرق الاوسط وأوربة من جهة ثانية ، ودخلت اليمن الاسلام أيام النبي ﷺ ، وشاركت قبائلها بالفتوحات الكبرى مشاركة فعالة ، وبعد قيام الخلافة الاموية تأثرت اليمن بشكل كبير ، بالنظر للتحولات التي طرأت على طرق التجارة والاوضاع الاقتصادية في العالم بسبب الفتوحات الاسلامية،وعاشت اليمن على هامش حياة الدولة الاموية، وباتت ولاية شبه منسية ، ولم يتغير هذا الحال في العصر العباسي ، ولهذا السبب ولغيره توجهت أنظار بعض الاحزاب المعارضة نحو اليمن ، فمنذ خلافة يزيد بن معاوية نصح الحسين بن علي بالتوجه الى اليمن وبعدم الذهاب الى الكوفة، وذلك بسبب الطبيعة الجبلية وحصانة البلاد ومنعتها ، ولان قبائلها كانت من أنصار أبيه علي بن أبي طالب .

لقد توجهت أنظار أحزاب المعارضة الى اليمن ، ففيها نشط الخوارج لا سيما في أواخر العصر الاموي ، كما نشط فيها أيام الدولة العباسية بعض دعاة الشيعة . وتميز بين الشيعة الذين نشطوا بها أفراد من الاسرة الحسنية التي أقامت بالرس على مقربة من المدينة ، ونجح منهم هناك منذ عام ٢٨٠ هـ/٨٩٣ م الهادي الى الحق يحيى بن الحسين[1] والى اليمن بعثت الدعوة الاسماعيلية بدعاتها ، وشهر من هؤلاء الدعاة داعيين هما : علي بن الفضل ، والحسن بن فرج بن حوشب وكان يكنى أبا القاسم .

وتتفق مختلف المصادر اليمنية على أن علي بن الفضل قد كان من زعماء اليمن ومن الشيعة الامامية الاثني عشرية ، وقد توجه عام ٢٦٦ هـ/٨٨٠ م الى تأدية فريضة الحج وبعدما زار قبر النبي ﷺ دعته نفسه « الى زيارة قبر أمير المؤمنين ، وقبر ابنه الحسين بكربلاء رضي الله عنهما ، فخرج مع الصادرين من حاج العراق الى هنالك ، فلما وصل الى الكوفة ، وزار قبر الحسين رضي الله عنه رأى عنده زوارا

---

(١) نشرت سيرة الهادي الى الحق ، انظر عرض مصادر نصوص الكتاب في الفصل التالي .

كثرة ، فاجتهد في البكاء والجزع » وقد لفت انتباه رجالات الاسماعيلية هنالـك فتقربوا منه وتعرفوا اليه ثم استدرجوه الي دعوتهم ، ويروى أن الذي تولى ذلـك ميمون بن القداح أو واحدا من كبار الدعاة ، حيث جمعه بعدما توثق منه بشخصية الامـام •

هذا أيضا ما تذكره المصادر الاسماعيلية ، ونحن وان كنا لاندري مدى صحة هذه الرواية يهمنا تاريخ الحادثة ، فهو يتوافق مع التاريخ المبكر للحركة القرمطية في سواد الكوفة ، أضف الى هذا وصفه من قبل المصادر لاسيما التي عاصرته بالقرمطة، مع أن المصادر نفسها حين تحدثت عـن النشاط الدعوي في الشمال الافريقي وفي مناطق أخرى سمته نشاطا اسماعيليا وميزته عن النشاط القرمطي ، وتبعا لهذا هل جرى تجنيده من قبل الدعوة القرمطية ، خاصة وأن تسمية قرامطة أطلقت على دعوة سواد الكوفة أولا وعممت فيما بعد على كل من ارتبطت أصوله بهذه الدعوة ؟!•

ان المتفحص لسيرة حياة علي بن الفضل وما قام به في اليمن كما هي معروضة في مواد كتابنا أخبار القرامطة يلاحظ أن الرجل كان متمكنا من علوم الباطن والفكر الاسماعيلي بشكل عام ، فأين ومتى نال هذا كله ؟ علما بأن مصادرنا تشير الى تكليفه بالعمل في اليمن مع ابن حوشب اثر تجنيده مباشرة، مما يفيد أنه لم يتلق أية تدريبات ونعود الى المصادر اليمنية فنجد صاحب كتاب « الفرق والتواريخ » يقول : « وكان أهل بيت هذا الرجل أهل تشيع ، فرغب في علم الادب ، وكان لسنا جريء القلب صبوراً نظاراً ، فانتحل مذهب الاثني عشرية » ، ولا يفيد هذا النص أن أسرته كانت أسرة امامية ، ويفيد أنه كان صاحب خلفيات ثقافية ، وأن ارتحل في طلب المزيد من العلم ، فهل يا ترى تأثر بواحد من دعاة الاسماعيلية في اليمن وبعث به الى العراق ليقرر بناته ما يأخذ به وليتدرب ، ومثل هذا قد حدث في التاريخ الاسماعيلي أكثر من مـرة •

أما بالنسبة لابن حوشب الذي سيشهر بلقب منصور اليمن فقد سبق التبيان في الفصل السابق أنه كان من أصل اسماعيلي ، ويزيد هـذا قوة وبرهانا ما ذكره صاحب « الفرق والتواريخ » حين وصف لقاء ابن الفضل بالامام الاسماعيلي حيث قال : « وكان عند هذا الامام المستور الذي ذكروه رجل يقال له أبو القاسم ، رجل

مواظب معه على مراده ، فقال له : يا أبا القاسم هذا الرجل الذي كنا بطلبه من نهج اليمن ، فما رأيك بالخروج معه الى بلده ، وتدعوان الناس الى هذه المقالة »[1] ؟

ومهما يكن الحال جرى ارسال الداعيين الى اليمن ، وحددت لكل واحد منهما منطقة يدعو بها ، وأخبر ابن حوشب أن عليه أن يذهب الى عدن لاعة حيث سيجد من ينتظره من أهل المنطقة ، أي أن الامور كانت ممهدة في اليمن ، وقد توجها من العراق « في سنة سبع وستين ومائتين ، فدخلا مع الحاج مكة حرسها الله تعالى ، وخرجا الى اليمن في سنة ثمان وستين ومائتين » .

ونشطا في اليمن وفي مدة وجيزة حقق كل منهما نجاحات كبيرة ، واستولى ابن حوشب على حصن « فائش » في جبل مسور ، وكان من أمنع حصون اليمن ، كما استولى ابن الفضل على حصن المذيخرة وكان أيضا منيعا ، ومنذ عام سبعين ومائتين « ظهرت مقالتهما ، فأجابهما خلق كثير » واستطاع كل منهما دخول عدد من المعارك والخروج منها منتصرا .

وشجعت نجاحاتهما بيت الامامة في السلمية ، فأعلنت عن اليمن دار هجرة للاسماعيلية ، وذلك الى حد التفكير بالتوجه اليها ، وهذه مسألة سبق بحثها ، ويهمنا أن نشير هنا الى أنه بعدما التحق داعي الدعاة فيروز بعلي بن الفضل ، أعلن عن قيامة كبرى « وقال لاصحابه: أنا الامام المهدي الذي كنت دعوتكم اليه فاحلقوا رؤوسكم فحلق منهم قدر مائة ألف نفس يظنون أن ذلك شيء من الدين ، وأباح لهم ما حرم عليهم ، وقال : انما الجنة الذي ذكرها الله في كتابه هي الدخول في اللذات المكتومات عن هذا الخلق المنكود ، ولهذا سميت الجن جنا لاستتارهم من أعين الناس ، وقد أبحت لكم اظهارها ، فصدقوه وانتهكوا المحارم ، ونسخ لهم الشرائع ، وادعى بعد ذلك أنه نبي نسخ الله تعالى به نبوة محمد ﷺ بتحليل ما حرم الله عليه وتحريم ماأحل الله له ، وقال لهم : اني بعثت بالراحة السمحة والاستباحة المحضة ، يعني بالراحة « ترك العبادات » والاستباحة « ترك المحظورات » فتبعه على ذلك خلق كثير ، وسار

---

(1) ينسب هذا الكتاب الى الامام الغزالي ، وهو من تأليف عالم يمني من اهل القرن الخامس اسمه أبو محمد ــ انظر نصه بين نصوص كتابنا هذا « الجامع في أخبار القرامطة » .

الى صنعاء ، وأظهر بها ذلك » ، ويروى أنه كان قد أمر « جواريه أن يضربن الدفوف على المنبر ويغنين بشعر قاله » منـه ٠

خـذي الـدف يا هـذه واضربي — وغنـي هـزاريـك ثـم اطربـي
تولـى نبـي بنـي هاشـم — وهـذا نبـي بنـي يعـرب
لكـل نبـي مضـى شرعـة — وهـذه شرائـع هـذا النبي
فقـد حـط عنـا فروض الصلاة — وحـط الصيـام فلـم تتعب
اذا النـاس صلـوا فـلا تنهضي — وان صومـوا فكلـي واشربـي
ولا تطلبـي السعـي عنـد الصفا — ولا زورة القبـر في يثـرب
ولا تمنعـي نفسك المعرسـين — مـن أقربي ومـن أجنبـي
فكيف تحلـي لهـذا الغريب — وصـرت محرمـة لـلأب
أليس الغـراس لمـن ربـه — وسقـاه في الزمن المجـدب
ومـا الخمـر الا كمـاء السمـاء — حـلالا فقـدست من مـذهب[1]

والمثير في أخبار قرامطة اليمن أنه لا توجد أدنى اشارة الى وجود برامـج اجتماعية أو اقتصادية لديهم سواء من حيث الواقع النظري أو التطبيق ، لكن ما هو سر الاستجابة الواسعة التي لاقاها دعاتهم ؟ هل مرد ذلك الى اتقان فن استغلال الصراع القبلي ؟ لعل هذا ما حدث سيما وأن رائحة العصبية واضحة في هذا الشعر المنسوب الى ابن الفضل ، حتى كأننا أمام ردة يمانية جديدة ، فلقد ضاق اليمانيون دوما بالزعامة العدنانية المتمثلة بولاية قريش ، لهذا لا غرابة أن رأينا التمرد علـى الامامة أخذ شكل ردة ورفض لما جاء به النبي الهاشمي ﷺ ، وهنا كان مقتل حركة ابن الفضل حيث كان من المفترض أن يفعل مثلما فعل معاصره أبو سعيد الجنابـي حيث أوقف الاعتراف بامامة الدعوة ودفع الاموال اليها وانصرف نحو انشاء مجتمع لم يشهد التاريخ الاسلامي له مثيلا ٠

ان من المشاكل الرئيسة بالنسبة لحركات القرامطة هـي أنها عبرت في غالب الاحيان عن رفضها للواقع الاقتصادي والاجتماعي بأساليب وقوالب وأشكال دينية

---

[1] أخبار القرامطة : ٢٣٠ ـ ٢٣١ ، ٤٢١ ـ ٤٢٢ ٠

ليست محضة فحسب بل في غاية التطرف ، وللانصاف هذه السمة وجدت لدى جميع حركات الاصلاح والمعارضة ، لكن وضوح الرؤية تباينت بين طائفة وأخرى، وضوح الرؤية هو المطلوب في كل حركة اصلاحية وضوح الرؤية هو ما نشهده في السيرة النبوية سيما في المرحلة المكية ، ووضوح الرؤية هو ما تشهده في أفكار وأعمال عدد كبير من الأئمة ، فعندما يعود المرء الى كتاب الكسب لمحمد بن الحسن الشيباني ، الذي صنف في فترة بدأ فيها استبداد كبار التجار وأصحاب الاموال واضحا بمجتمعات الدولة العباسية ، يجد هذا الامام الكبير قد قام بكل شجاعة بتحدي الواقع الاستغلالي المفروض ورفضه ، انما بشكل نظامي وعلى أساس الشريعة ، ذلك أن التغيير لا يجري بوساطة السلاح ، وبالرفض الاحمق ، ولا عن طريق الفرد حتى وان كان اماما مهديا حقا ، التغيير يمكن أن يحدث فعلا عن طريق العقيدة والشريعة والنظام ، فهنا تكمن عناصر الديمومة ومنع الانحراف .

بعدما أعلن علي بن الفضل ما أعلنه دخل في صراع مع ابن حوشب ، وجرد ضده قواته وحاصره حصارا شديدا ، لكنه أخفق في الاستيلاء على حصنه وأراضيه، وقد استغلت هذا الصراع قوى اليمن القبلية وسواها ، فتم انتزاع صنعاء من ابن الفضل ، كما انتزعت منه بعض المناطق الاخرى ، واضطر الى الانكفاء الى حصنه بعدما تصالح مع ابن حوشب ، وفي سنة ٣٠٢ هـ/٩١٤ م توفي ابن حوشب واضطرب الحال في منطقته بعض الشيء ، ولم يستطع علي بن الفضل استغلال هذا الفراغ حيث تعرض للاغتيال ومات بعد بضعة أشهر فقط من موت ابن حوشب ، وذلك سنة ٣٠٣ هـ/٩١٥ م ، الفرصة التي أحسن استغلالها حكام صنعاء ، فاستولوا على قلعته وعلى ما تركه ، وقاموا بتصفية كاملة لميراثه الخاص والعقائدي ، وهكذا طويت هذه الصفحة من تاريخ القرامطة دون أن تترك أية آثار لها صفة الديمومة[1] الايجابية النافعة ، أو الملهمة .

قرامطة الاحساء والبحرين :

حظي تاريخ قرامطة الاحساء والبحرين بعناية كبيرة من قبل الباحثين في عصرنا، حتى أن تاريخ القرامطة بات بالنسبة لبعضهم هو تاريخ قرامطة البحرين ولهذا أهملوا

(١) اخبار القرامطة : ٢٢٦ ــ ٢٢٨ ، ٤١٣ ــ ٤٣١ .

تاريخ قرامطة الشام واليمن ، وجاء البحث في قرامطة العراق بمثابة مقدمة لتاريخ طائفة الاحساء والبحرين ، وكان من أوائل من اهتم بهم اهتماماً زائداً المستشرق الهولندي دي خويه ، وقد دفع هذا الاهتمام المستشرق الكبير برنارد لويس الى القول : « وتاريخ هذه الطائفة الظاهري معروف الى حد ما ، وليس لدينا الا شيء قليل نستطيع أن نضيفه الى دراسات دي خويه في هذا الموضوع »[1] ، وركز لويس جهوده على تحقيق علاقة هذه الطائفة بالدعوة الاسماعيلية الفاطمية ، فأثبتها من حيث الاصول والبدايات .

ترتبط بدايات الدعوة القرمطية بالبحرين بالحركة القرمطية في سواد الكوفة أيام حمدان بن الاشعث وعبدان ، فقد جرى ارسال داعية الى منطقة هجر يدعو بين قبائلها ،وكان على رأس هذه القبائل عُقيل وكلاب من قبائل « عامر بن صَعْصَعة »[2] ، ومن المرجح أن اسم هذا الداعية قد كان أبو زكريا يحيى بن علي الطمامي ، وقد أنفذ هذا الداعية سنة ٢٨١ هـ/٨٩٤ م ثم ألحق بعد فترة بأبي سعيد الحسن بن بهرام الجنّابي ، ويلاحظ أن هذا قد تم بعد القضاء على ثورة الزنج وتصفيتها نهائياً، ذلك أن البحرين منطقة خليجية خاضعة للمؤثرات القادمة من البصرة، ولاشك أن الدعوة القرمطية قد استغلت فرصة القضاء هذه ونتائج أعمال التصفية مع انتشار التشيع بين القبائل ، ويعلل هذا سرعة الاستجابة التي لقيها الطمامي أولا ثم الجنّابي بعده .

لقد قام أبو سعيد بتصفية الداعية الطمامي ، ومن المرجح أنه قد قتله ، ويمكن أن نستنتج من هذا العمل بداية تمرد على دعوة العراق ، ويرجح أن هذا قد حدث إثر استيلاء زكرويه بن مهرويه على هذه الدعوة ، وتصفيته لكل من عبدان وحمدان ابن الاشعث[3] ، ولا شك أن هذا كان له أبعد الاثار على أبي سعيد وخططه المستقبلية .

---

(١) اصول الاسماعلية : ١٦٧ .
(٢) اخبار القرامطة : ١٣ .
(٣) اخبار القرامطة : ١٣ ، ١٤٨ ، ٣٣٤ ، ٤٠١ . اصول الاسماعيلية : ١٧١ . دي خويه : ٤٢ .

بدأ أبو سعيد نشاطه في بلدة هجر قصبة البحرين ، ولقي معونة عشيرة قوية عرفت ببني سنبر ، وتحالف أبو سعيد مع هذه العشيرة ، وكان قوام هذا التحالف : القيادة لابي سعيد : والمشورة لآل سنبر ، واستمر العمل بهذه القاعدة بعدما أفلح أبو سعيد في تأسيس دولة قرمطية في البحرين ، فقد كانت السيادة في هذه الدولة لآل أبي سعيد والوزارة لآل سنبر وفق خطة محكمة .

ليس هنالك من اشارات الى قيام امامة الدعوة الاسماعيلية بمراسلة أبي سعيد أو توجيهه ، ومرد هذا الى ما حل ببيت الامامة في السلمية بسبب نشاط قرامطة الشام ، وسفر المهدي والقائم نحو الرملة فمصر فالمغرب ، وليس من المستبعد ، لا بل من المرجح أن نوعا من الاتصالات قد جرى بعد قيام الخلافة الفاطمية ، لكن ليس المهم قيام هذه الاتصالات بل هو أن الدعوة في البحرين نشأت مستقلة عن التوجيه الاسماعيلي ، والمثير للانتباه ، أن أبا سعيد لم يستغل هذا الاستقلال استغلالا شخصيا بأن يدعي النسب العلوي كما فعل صاحب الزنج ويعلن عن نفسه اماما ، أو يعلن عن نفسه اماما مهديا من دون هذا النسب كما فعل علي بن الفضل .

لقد اكتفى أبو سعيد باتخاذ لقب سيد وسار في أتباعه سيرة ديموقراطية فكان في غاية التواضع وهكذا كان أولاده من بعده ، وركز جهوده الدعوية ونشاطاته الحربية وأوقفها على الاستيلاء على بلدة هجر ، فقد أقام على مقربة منها بلدة الاحساء واتخذها قاعدة له ، وعندما تمكن من هجر دمرها ، ونقل من أطاعه من أهلها الى الاحساء التي غدت الان عاصمة لدولة لم يعرف تاريخ شبه جزيرة العرب مثيلا لها .

لقد أنشأ أبو سعيد مجتمعا جديدا ، أساس خطه تجربة حمدان قرمط في سواد العراق ، ففي البداية جمع صبيان أتباعه « في دور ، وأقام عليهم ما يحتاجون اليه ، ووسمهم لئلا يختلطون بغيرهم ، ونصب لهم عرفاء ، وأخذ يعلمهم ركوب الخيل والطعان ، فنشأوا لا يعرفون غير الحرب ، وقد صارت دعوته طبعا لهم» .

بوساطة هؤلاء عندما غدوا رجالا أمّن البنية الاساسية والعمود الفقري لدولته ومجتمعه ، ويلاحظ في هذا المقام أن الجنابي لم يبدع هذه الطريقة ، فهي أساس تجربة جيش المعتصم من الغلمان الاتراك ، وكانت أيضا مطبقة في ثغور بلاد الشام

سيما في مدينة طرسوس ، وتتجلى عبقرية الجنابي في حسن استفادته من هـذه التجربة وتطويرها لصالح دولته العقائدية .

لقد ألغى الجنابي كما فعل حمدان من قبل الملكيات الخاصة « وقبض كل مال في البلد ، والثمار ، والحنطة ، والشعير ، وأقام رعاة للابل والغنم ومعهم قوم لحفظها، والتنقل معها على نوب معروفة وأجرى على أصحابه جرايات ، فلم يكن لأحد غير ما يطعمه»، وتبعا لهذا أجرى الغاء الضرائب ، وأمنت الحاجيات للمواطنين بالقسطاس المستقيم ، ولم يكن هناك حاجة الى النقود الذهبية والفضية ، وقد اكتفى الناس بالتعامل بنقود خاصة من الرصاص ، وكان هذا من بين الاجراءات التي اتخـذت للحفاظ على الثروة العامة « والرأسمال الوطني » .

لقد أقام الجنابي مجتمعا « اشتراكيا عسكريا » من الطراز الامثل بشكل لـم تعرف له سابقة من قبل ، فقد أوقف وقته كله « على جمع الخيل ، واعداد السلاح ، ونسج الدروع والمغافر، واتخاذ الابل، واصلاح الرجال ، وضرب السيوف والاسنة، واتخاذ الروايا والمزاود والقرب ، وتعليم الصبيان الفروسية ، وطرد الاعراب مـن قريته ، وسد الوجوه التي يتعرف منها أمر بلده وأحواله بالرجال ، واصلاح أراضي المزارع ، وأصول النخل ، واصلاح مثل هذه الامور وتفقدها ، ونصب الامناء على ذلك ، وأقام العرفاء على الرجال ، واحتاط على ذلك كله حتى بلغ من تفقده أن الشاة اذا ذبحت تسلم العرفاء اللحم ليفرقوه على من ترسم لهم ، ويدفع الرأس والاكارع والبطن الى العبيد والاماء ، ويجز الصوف والشعر من الغنم ويفرقه على من يغزله . ثم يدفعه الى من ينسجه عبيا وأكسية وغرائر وجوالقات ، ويفتل منه حبال ، ويسلم الجلد الى الدباغ ، ثم الى خرازي القرب والروايا والمزاود ، وما كان من الجلود يصلح نعالا وخفا عمل منه ، ثم يجمع ذلك كله الى خزائن .

فكان ذلك دأبه لا يغفله ... فزادت بلاده ، وعظمت هيبته في صدور الناس». لم يبن الجنابي في بلدته المساجد ، كما لم يقم بها صلاة الجمعة ، وعلى هذا لم تعرف دولته الدعوة لخليفة أو امام ، فهو حين أنشأ دولته لم تكن الخلافة الفاطمية قـد قامت ، وكان هو بالاساس معاديا للدولة العباسية .

ويلاحظ أن « مواطني » دولة الاحساء عاشوا مـع نظامها وتعايشوا بكـل اخلاص وانسجام ، وعلى هذا لم تورد الاخبار أية حوادث تمرد أو فتن داخليـة ،

وعاش هذا النظام طويلا ، وهذا ما نلاحظه في وصف الاحساء لــدى ناصر خسرو الذي زارها بعد ما يزيد على القرن ونصف القرن من تأسيسها .

لقد كانت دولة الاحساء دولة مقاتلين عقائديين ، وقد احتاجت الى الخدمات العامة ، وهذا ما قامت الدولة بتأمينه ، حيث مكنت الحرفيين من العمل ومنحتهم الرساميل والمواد الاولية والحوانيت ، أما بالنسبة لاعمال الزراعة والخدمات الاخرى فقد جرى تأمين ذلك بوساطة الرقيق ، خاصة الاسود منه ، ودفع استخدام العبيد بعض الكتاب الى القول : ان دولة الاحساء لم تكن دولة اشتراكية محضة ، انما كانت دولة محاربين طبقت نظام رأسمالية الدولة ، وذهب باحثون آخرون الى القول: ان دولة القرامطة في البحرين والاحساء قامت في منطقة خضعت بشكل متواصل الى التأثير الفارسي لا سيما الساساني منه ، وعلى هذا ان نظام دولة القرامطة الذي قام فيها لم يكن سوى نظاما متطورا عن النظام الاقطاعي الساساني الـذي شهر بنظام اقطاعيات الفرسان .

لا شك أن اعتماد العبيد كان ثغرة في نظام دولة الاحساء ، الدولة التي شهدت ساحاتها وبصرتها قبل قيامها ثورة عارمة للزنج ، لكن أما والاخبار لم تذكر أعمال تمرد أو شكوى للعبيد ، يمكننا الافتراض أنها أحسنت معاملتهم ولنتذكر في هذا المقام أن العقل البشري لم يتقبل الغاء الرقيق الا منذ فترة وجيزة نسبيا ، وأن تجربة الاحساء قامت منذ أحد عشر قرنا ، وهي بلا شك تجربة ما تزال دول العالم الحالي الاشتراكية والشيوعية سواء تتطلع الى ما يماثلها .

لقد بهرت تجربة الاحساء عقول معاصريها أيام أبي سعيد وخلفائه من بعده ، وهذا ما نشهده في محتويات المكتبة الجغرافية العربية وعند بعض الكتاب المتأخرين نسبيا مثل البيروني ، فقد تحدث المقدسي عن الاحساء فقال : « وبها مستقر القرامطة من آل أبي سعيد ثم نظر وعدل غير أن الجامع معطل » ووصف ابن حوقل وهــو جغرافي اسماعيلي أوضاع دولة الاحساء بعد قرابة قرن مضى على تأسيسها ، وذلك أيام الصراع بينها وبين الخلافة الفاطمية ــ كما سنرى ، وكان مما قاله :

« وبها أموال وعشور ووجوه مرافق وقوانين ومراصد وضروب مرسومة من الكلف الى مايصل اليهم من بادية البصرة والكوفة وطريق مكة بعد اقطاع مابالبحرين من الضياع بضروب ثمارها ومزارعها من الحنطة والشعير والنخل لاتباعهم المعروفين كانوا بالمؤمنين ، ومبلغها نحو ثلاثين ألف دينار ، وما عدا ذلك من المال والامر والنهي

والحل والعقد وما كان يصل اليهم من طريق مكة ومال عمان وما وصل اليهم من الرملة والشام فمتساو ، فيه آراء ولد أبي سعيد الباقين ومفاوضة أبي محمد سنبر بن الحسن بن سنبر ، وكان أكمل القوم وأشدهم ثم تمكنا من نفسه ، فاذا هموا بقسمة ما يصل اليهم من مال السنة كان ذلك اليوم معلوم مـذ لم يزالوا ... وكان مـن رسومهم ركوب مشايخهم وأولادهم فرادى فيجتمعون الى قبلة الاحساء بالمكان المعروف بالجرعاء ، ويلعب أحداثهم بالرماح على خيولهم وينصرفون أفذاذا بغاية التواضع ، وقد لبسوا البياض لا غير ، وكان من رسومهم أن تقع شوارهم بالجرعاء فيمن يخرجونه لمـا قدحهم وأهمهم ، فـان اتفق رأيهم على خروجهم بأجمعهم لـم يتخلفوا ونفذوا »[1] .

وعندما وصلت أخبار أبي سعيد الى السلطات العباسية في بغداد عجلت بارسال جيش ضده ، فلحقته الهزيمة الماحقة ، وكان وقع ذلك مخيفا على سكان البصرة حتى « عزم أهلها على الانتقال منها » ، وأرسلت الخلافة العباسية الجيش تلو الآخر ضد القرامطة فأخفقت جميعا ، وخيل لكثير من الناس أن القرامطة باتوا قادرين علـى الاستيلاء على العراق ، واقتحام بغداد بالذات .

أخبار المعارك بين القرامطة والجيوش العباسية مفصلة في نصوص كتابنا هذا ولا حاجة لسردها ثانية ، ذلك أن المستهدف من الدراسة التي نقوم بها أن تكون بمثابة مفتاح يساعد على تفهم نصوص الكتاب ، لذلك لا بأس في أن ننتقل مباشرة الى القول ان أبا سعيد الجنابي قد جرى اغتياله سنة ٣٠١ هـ/٩١٤ م[2] .

وتسلم السيادة بعده ابنه سعيد ؛ وكان مستضعفا ، لكنه كان أسن أخوانه ، ولهذا ولي ، وحدث أن الخلافة العباسية كانت قد عمدت الى ارسال سفارة الى أبي سعيد ، وعندما وصلت الى البصرة علمت بمصرعه ، فراجعت علي بن عيسى وزير الخلافة فطلب منها الذهاب الى الاحساء ، وكان مما جاء في رسالة الخلافة « زعمت

---

(١) أحسن التقاسيم : ٩٣ ـ ٩٤ . صورة الارض : ٣٣ ـ ٣٤ . الاثار الباقية : ٢١٢ ـ ٢١٣ . اخبار القرامطة : ١٣ ـ ١٥ ، ١٥٠ ـ ١٥٢ ، ١٩٥ ـ ١٨٩ ، ٢٣٤ ـ ٢٣٩ ، ٤٠٠ ـ ٤٠١ . دي خويه : ٦١ ـ ٩٥ .

(٢) قيل ان عملية الاغتيال كانت فردية بدون دوافع تآمرية داخلية أو خارجية ، ومن الصعب تصديق هذا لا سيما على ضوء العلاقة مع الطمامي ثم مع ابنه فيما بعد.

أنك رسول المهدي ، وقد قتلت العلويين وسبيت آل الاخيضر العلويين ومن باليمامة، واسترققت العلويات ، وغدرت بأهل البحرين » فأجاب سعيد بن أبي سعيد : « ان أهل البحرين بغوا علينا ، وغدروا بنا ، وقالوا : انا نشترك في أزواجنا ونرى الاباحة وتعطيل الشريعة وقد كذبوا علينا ، ونحن قوم مسلمون ، وما نحل من اتهمنا بغير الاسلام » .

وشجعت هذه الاجابة الوزير علي بن عيسى فكتب الى قيادة القرامطة يقول : « ان كنتم صادقين فأطلقوا من في أيديكم من أساري المسلمين » واستجاب القرامطة « فأطلقوا نحو ثلاثين ألفا ، وأظهروا الاسلام والصلاة ، وقراءة القرآن » ، ويفيد هذا أن السلام ساد بين القرامطة والسلطات العباسية ، وقد دام ذلك حتى سنة ٣٠٥ هـ/٩١٧ م ، حيث خلع سعيد وحل محله أخوه أبو طاهر سليمان .

واختلفت شخصية أبي طاهر عن سعيد ، وفي أيام أبي طاهر نشط القرامطة عسكريا بشكل هائل،وتركز نشاطهم بصورة خاصة وتوجه ضد قوافل الحجاج كما استهدف اضعاف العباسيين وشلهم عن العمل ، ويلاحظ أن تولي أبي طاهر تلا عزل علي بن عيسى عن الوزارة في بغداد وحدوث تبدل في المواقف العباسية ، وقد تزامن هذا مع استقرار الامور في افريقية للمهدي الفاطمي وشروعه في ارسال الجيوش ضد مصر لاحتلالها ، ويبدو أن الاتصالات قد قامت في هذه الاونة بين الخلافة الفاطمية والقرامطة ، ووضعت الخطط للتنسيق في الجهود العسكرية بين الطرفين ، والذي طلبته الخلافة الفاطمية من القرامطة هو الضغط على العراق ، والضغط أيضا على السلطات الاخشيدية في الشام وهذا ما حصل[1] .

أخبار حملات أبي طاهر مفصلة في نصوص كتابنا ، وهي قد وصلت الذروة في عام ٣١٧ هـ/٩٢٩ م بمهاجمة مكة في موسم الحج وقتل الحجاج مع أهل مكة واقتلاع الحجر الاسود من الكعبة ، هذا وقد سبقت الاشارة الى هذا الحدث الجلل مع التعليل ، ويروى أن أبا طاهر كان قد وقف أثناء الفتك بالحجاج على باب الكعبة يلعب بسيفه وينشد ويقول :

أنا بالله وبالله أنا ... يخلق الخلق وأفنيهم أنا

(١) دي خويه : ٧٢ ـ ٨٠ .

وأنه أنشد اثر انصرافه من مكة :

ولـو كان هـذا البيت لله ربنـا | لصب علينا النار مـن فوقنا صبـا
لأنـا حججنا حجـة جاهلية | مجللـة لـم نبق شرقـا ولا غربا
وأنـا تركنا بـين زمزم والصفـا | جنائـز لا تبغي سوى ربهـا ربا[1]

انها والحق يقال لم تكن حجة من أية نوع من الانواع بل كانت حملة بربرية قصدت الغاء الحج وذلك تمهيدا لاعلان قيامة عظمى ، حيث لم يلبث بعد هذه الحملة حتى ظهر في الاحساء زكريا الطمامي بن أبي زكريا الداعية القرمطي السابق لأبي سعيد ، ويروى أن ابا طاهر « جمع الناس بالبحرين ، وقال : معشر الناس انا كنا ندخل عليكم بحسب أهوائكم ، مرة بمحمد ، ومرة بعلي ، ومرة باسماعيل بن جعفر ، ومرة بمحمد بن اسماعيل ، وبالمهدي ، وهذا الهنا والهكم ، وربنا وربكم ، يعني » زكريا الطمامي •

وحار الكتاب في تعليل هـذه الحادثة ، فالاوائل عللوها ردة الى الديانـة الزرادشتية والى عبادة النيران ، وهذا بعيد الاحتمال ، ورأى آخرون فيها تمردا على الفاطميين ورفضا لسلطتهم ، وفي هذا أيضا ما فيه ، سيما اذا أخذنا بعين الاعتبار أنه لم تقم للفاطميين سلطة على قرامطة الاحساء والبحرين •

ان التعليل يمكن ايجاده في مضامين العقيدة الاسماعيلية في مسألتي الكشف عن علوم الباطن واعلان القيامة العظمى ، ومثل هذا العمل قد شهده التاريخ الفاطمي أيام خلافة الحاكم بأمر الله[2] •

ولم يطل الامر بزكريا الطمامي ، فقد حاول الانفراد بالامر بالاحساء وتصفية آل أبي سعيد الجنابي وآل سنبر ، لذلك سارع أبو طاهر فقتله وتخلص منه •

ويبدو أنـه عندما أعلن عن تأليه زكريا الطمامي ، جرى الاعلان عن أبي طاهر

---

(١) اخبار القرامطة : ٥٣ ، ٢١٥ .

(٢) الاثار الباقية للبيروني : ٢١٣ . اخبار القرامطة : ١٥٨ . اصول الاسماعيلية : ١٨٥ ــ ١٨٧ .

اماما مهديا ، فهذا ما يستفاد من شعر أورده له البيروني[١] ، ويتوافق هذا أيضا مع ما حصل لحمزة بن علي الزوزني أيام الحاكم بأمر الله[٢] .

ومهما يكن الحال لقد كان لهذا الحادث أثره الكبير على أوضاع القرامطة عامة ومسألة القيادة والطاعة لأبي طاهر فقد « صار أصحابه لا يمتثلون أمره كما كان ، وقد كانوا لا يخالفونه في شيء البتة ، وكان أي شيء نهبوه أو غنموه يسلموه اليه ، ولا يخونونه في شيء منه لأنه حجة الله ... فصار ... لا يعطونه ما ينهبونه ، وصاروا يشربون الخمر ، ويسمعون القيان ، ويطلبون المواخير ، واذا جاءهم العرفاء وقالوا لهم : هاتوا ما غنمتم لم يعطوهم ، واذا قالوا لهم : السيد يأمركم بكذا » وجهوا أقبح الشتائم للسيد .

لقد سبب نشاط القرامطة في شبه الجزيرة اندفاع كتلات هائلة من القبائل ، خاصة من قبائل عامر بن صعصعة نحو الشام والعراق ، ومع اتساع عمليات القرامطة أيام أبي طاهر جرى زيادة في الاعتماد على رجالات هذه القبائل عن طريق الاغراء بالغنائم ودفع الاموال ، وأخذ العباسيون يسعون لشراء ولاء بعض زعماء القبائل ، كما أن بعض هؤلاء الزعماء أخذ يفكر بالعمل لصالحه ولمنفعته الخاصة[٣] .

لقد خفت حدة نشاط أبي طاهر ، لكنه لم يتوقف ، وتجددت الاتصالات بينه وبين بغداد ، وطلبت السلطات العباسية منه منذ عام ٣٢٢ هـ/٩٣٤ م عدم التعرض لقوافل الحجاج ، ورد الحجر الاسود ، وذلك مقابل اعتراف الخليفة العباسي به أميرا على البلاد التي يحكمها ، وبعد فترة تم التوصل الى اتفاق ، بات على الخلافة العباسية بموجبه لا الاكتفاء بالاعتراف بأبي طاهر بل بدفع مبلغ كبير من المال له سنويا ، ويبدو أن مرد هذا الاتفاق لا يعود الى الأزمة الداخلية التي وقعت ، فحسب بل الى الاخفاق في قطع الحج ، والى ما لحق الدولة الفاطمية ونزل بساحها اثر وفاة المهدي سنة ٣٢٢ هـ/٩٣٤ م ، بقيام ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد النكاري[٤] .

---

(١) الاثار الباقية : ٢١٤ . اخبار القرامطة : ١٦٠ — ١٦١ . دي خويه : ١٠٤—١٠٨ .

(٢) The Druze Faith, by Sami N. Mkarem, pp 16 - 22 .

(٣) اخبار القرامطة : ١٤٦ ، ١٦٠ — ١٦١ .

(٤) اخبار القرامطة : ٣٦٠ — ٣٦١ . دي خويه : ١٠٨ — ١١٢ .

وظل أبو طاهر سيدا لقرامطة الاحساء والبحرين حتى وفاته سنة ٣٣٢ هـ/ ٩٤٤ م ، ولعل من أهم ما حصل في العقد الاخير من حياته هو أخذ حركة قرامطة الاحساء والبحرين شكل دولة ، والدول في العادة تتعامل بالسياسة حسبما تمليه المصالح ، وانشاء الدولة معناه اما وصول الثورة الى غاياتها القصوى ، أو قناعتها بعدم امكان حصول ذلك والاكتفاء بما تحقق من مكاسب ، وفي هذا انكماش وبداية تراجع وسير في دروب الانهيار ، وهذا ما حصل بالفعل بالنسبة لقرامطة البحرين ، صحيح أن دولتهم لم تزل من الوجود فورا وعاشت لفترة طويلة ، لكنها عاشت على الهامش يحجبها عن أماكن التأثير الفاعلة في العالم الاسلامي محيطات من رمال الصحراء ، ومن جديد لا بد من الاشارة الى أن اعتماد القرامطة على القوة المسلحة المدمرة فقط دون ارفاق ذلك بعمل دعوي منظم قد أضرّ بهم ضررا بالغا وحال دون انتشار مبادئهم . المشكلة الاساسية في تاريخ القرامطة أنهم اهتموا بأوضاعهم الداخلية ، لكنهم لم يلتفتوا الى قضية سمعتهم الخارجية ، ونسوا أنهم لئن ملكوا القوة المدمرة لوقت من الاوقات ، فان من قهروهم وأنزلوا بهم الضربات الموجعة كانوا أكثر منهم عددا وعدة ، وأمامهم فرص استرداد القوة ومن ثم التمكن من الانتقام ...

لقد اهتم القرامطة بالمسائل الاجتماعية والاقتصادية اهتماما كبيرا ، ورأوا بأم أعينهم أكثر من مرة زيف الغطاء الديني للباطنية وشفافيته وتناقضاته ، وملكوا الفرصة حتى يتخلصوا من هذا الغطاء وذلك عن طريق العودة الى الجادة القويمة ، فذلك كان سيفتح أمامهم مختلف الابواب في جميع البلدان،لكن على الرغم من كل هذا تمسكوا بالغطاء الواهي ، وسخروا قواتهم في سبيل تدمير ما أجمعت الامة على الايمان به والتمسك ، فأهلكوا أنفسهم بأيديهم ، فهذا كان وما يزال مصير كل من يتنكر للتراث ويعلن الحرب عليه .

وحين توفي أبو طاهر كان معظم اخوانه ما زالوا على قيد الحياة بينهم سعيد ، وكان من المقدّر أن يعود سعيد الى تسلم منصب القيادة ، لكن هذا لم يحدث بالتحديد بل وقعت الادارة مشاركة بين الاخوة ، ومع الايام برز بينهم أحمد ، حتى بات المقرر انفراده بالسيادة ، لكن وجد بين القرامطة جماعة ارتأت تنصيب سابور بن أبي طاهر ، وسلكت هذه الجماعة مسلك التآمر ، وفي سنة ٣٥٨ هـ/٩٦٩ م ألقى

القبض على سابور وجرى قتله ، وبذلك انفرد أحمد بالسيادة ، ويعلق ابن حوقل على هذا الحدث ويبين آثاره على القرامطة حيث « تشتت كلمتهم وتغيرت أحوالهم، واستوحش بعضهم من بعض ، وانقبضوا عن الالتقاء بالجرعاء وغيرها »[1] .

ويبدو أن الذي حدث لم يكن مجرد صراع داخلي على السلطة ، بل للقضية أسبابها الخارجية ، ففي السنة التي قتل بها سابور كان قد تمكن الفاطميون من الاستيلاء على مصر ، وسبق لنا الحديث عن هذا الحدث وعما جلبه من قيام صراع بين قرامطة الاحساء والخلافة الفاطمية ، ويستخلص من ابن حوقل أن سابور وحزبه كانوا من مؤيدي الخلافة الفاطمية ، في حين كان أحمد وحزبه من المعادين للفاطميين، وهذا أيضا واضح في رسالة الخليفة المعز للحسن بن أحمد المشهور بالاعصم .

لقد كان لاستيلاء الفاطميين على مصر وبناء مدينة القاهرة أبعد الآثار وأخطرها على دولة قرامطة الاحساء والبحرين ، فقد تعارضت مصالح الدولتان ، الفرصة التي استغلها سادة بغداد الجدد من الديلم ، فضغطوا على الخليفة المطيع العباسي [٣٣٤ ـ ٣٦٣ هـ/٩٤٦ ـ ٩٧٤ م] للتقرب من القرامطة ، كما أوعزوا الى الحمدانيين في الموصل والى قادة قبائل الشام والعراق والجزيرة للمبادرة الى تقديم العون الى القرامطة في صراعهم مع الفاطميين .

لن نتعرض للحديث عن وقائع الصراع بين الفاطميين والقرامطة ، فقد سبقت الاشارة الى ذلك في الفصل السابق ، يضاف الى هذا ان نصوص كتابنا تحوي تفاصيل كبيرة حول الموضوع ، ويهمنا أن نشير هنا الى أن الفاطميين حين خططوا لاحتلال مصر،كانوا لايتوقعون عون القرامطة لاعدائهم،وكانوا يعولون على القرامطة لا في سبيل تسهيل احتلال بلاد الشام فحسب ، بل بمهاجمة العراق من الجنوب ، وذلك في وقت تهاجم فيه الجيوش الفاطمية من الشمال والشرق وهكذا يمكن بيسر القضاء على الخلافة العباسية ، وتحقيق الاهداف الاسماعيلية الفاطمية ، آخذين بعين الاعتبار كميات الاسماعيلية في خراسان وكون قبائل الشام والجزيرة والعراق مع الديلم كانوا من الشيعة .

---

(١) صورة الارض : ٣٣ ـ ٣٤ . دي خويه : ١٥٠ ـ ١٥٢ .

وأحبط هذه الخطط الحفاظ على مصالح دولة القرامطة ودول آل بويـه من الديلم مع الدويلات البدوية ، فغالبا ما قهرت المصالح الدولية الوحدة العقائديـة ، وصحيح أن قوى الشام والجزيرة والعراق كان غالبيتها شيعة ، لكنهم كانوا امامية أو زيديه معادين للاسماعيلية ، ولهذا أخفقت خطط الفاطميين ولم يتعد سلطانهـم وسط الشام في غالب الأحيان .

ومع قيام الصراع القرمطي الفاطمي كانت زعامة القرامطة قد آلت الى الحسن ابن أحمد الذي شهر بالاعصم لقصره ، وقد دامت زعامته طيلة فترة النزاع التـي امتدت حتى أيام العزيز الفاطمي ، فمع أيام العزيز تـم التوصل الى اتفاق هدنـة في سنة ٣٦٦هـ تعهدت الخلافة الفاطمية بموجبه بدفع أتاوة سنوية للقرامطة قدرتها المصادر بسبعين ألف دينار ، واثر التوصل الى هذا الاتفاق توفي الأعصم ، وتراجع القرامطة الى الاحساء ، وقد استمرت دولتهم بعد الأعصم ما يزيد على القرن ، ففي سنة ٤٦٩هـ /١٠٧٧ م في أيام السلطان السلجوقي ملكشاه أغار القائد التركماني أرتق علـى الاحساء ورام فتحها فأخفق بعدما حاصر قرامطتها فترة طويلة من الزمن[1] .

---

(١) مرآة الزمان ـ مخطوطة احمد الثالث ـ حوادث سنة ٤٦٩ . اخبار القرامطة : ٦٨ ـ ٨٤ ، ٣٦٤ ـ ٣٨٩ ، ٤٠٢ ـ ٤٠٩ . دي خويه : ١٥٢ ـ ١٥٦ .

الفصل الثالث

تعريف نقدي بالنصوص المحققة وبمصنفيها

لقد كانت الغاية من الفصلين السابقين تمهيد السبيل أمام القارىءومساعدتهعلى مباشرة التعرف الى أخبار القرامطة عن طريق النصوص ، وعرض الاخبار عن طريق النصوص ، هي أحدث طرائق العرض التاريخي ، ذلك أنها وثائقية ، لا يتدخل فيها الكاتب أو الباحث في توجيه القارىء وانتقاص حريته في الاستنساج والفهم ، ذلك أن من المفترض أن قارىء هذا العصر هو رجل متحضر يملك زادا ثقافيا يمكنه لوحده ــ مع شيء من التوجيه ــ من المشاركة في فهم أي علم من العلوم الانسانية أو قضية من قضايا التاريخ •

ان النصوص المقدمة في كتابنا هذا بمجملها تقدم للقارىء صورة متكاملــة لتاريخ القرامطة في جميع المناطق وكافة المراحل ، وهي تحوي زبدة ما جاء في المصادر العربية ، ولم يحدث قط أن حوى كتاب منفرد مثل هذا الحشد الذي يحويه كتابنا هذا ، وهذه النصوص بعضها ينشر للمرة الاولى وبعضها الآخر ، وان سبق نشره فهو لأول مرة ينشر بشكل علمي دقيق ، دون تصحيفات في النص مع ما يكفي من الحواشي والشروح ، ويمكن أن أعتبر هذا الكتاب عملا مطورا للكتاب الذي سبق نشره من قبل باسم « أخبار القرامطة » •

نصوص هذا الكتاب انتزع أولها من تاريخ ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الصابىء الحراني الأصل ، وجمع في مجلد منفصل،وتم ذلك من قبل شخص مجهول، ولعل هذا قد حدث خلال العصر المملوكي ، وتاريخ ثابت بن سنان لم يصلنا ، وكل ما وصلنا هو وصفه وبعض النقول منه ، ونصنا الذي ننشره اليوم ، ولعله أكبر قطعة تصلنا منــه • وحسبما أعلم هنالك نسخة مخطوطة واحدة من هذا النص ، هــي بحوزة المستشرق الانكليزي الكبير برنارد لويس ، أستاذ تاريخ الشرق الاوسط في جامعة لندن سابقا • وتعود معرفتي بهذه النسخة الى عام ١٩٦٧ عندما كنت آنذاك في لندن أحضر لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الاسلامي تحت اشراف الاستاذ

لويس • ولقد تفضل الاستاذ لويس فأعارني نسخته وأخبرني أنه كان قد ابتاعها من القاهرة قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية ، واستفاد منها في دراسته عن أصـول الاسماعيلية ، وعزم على تحقيقها ونشرها وحتى عمل على ترجمتها الى الانكليزيـة ولكن قيام الحرب وانشغاله بعدها لم يمكنه من اتمام عمله • وتكرم أيضا فأعارني مجموعـة تضم ما حضره لنشر هذه المخطوطة من جملـة ذلك نسخة تحوي نص المخطوطة مضروب على الالة الكاتبة • ولقد استخدمت هذه النسخة في عملي ولم أقم بنسخ المخطوطة وكل ما فعلته أنني قابلت المطبوعة على النسخة الام ، وأثناء عملي بالتحقيق استفدت كثيرا من عمل الاستاذ لويس وملاحظاته القيمة ، ولهـذا فانني مدين له في عملي هذا ، ولا يسعني هنا سوى أن أقدم شكري ، واعترافي بالفضل ، وشعوري بالامتنان •

وتتألف مخطوطة الاستاذ لويس من احدى وثلاثين ورقة من قطع ١٩×٥ر١٣سم وفي كل صفحة ما بين ٢٠ ـ ٢٣ سطرا ، في كل سطر ما بين ٧ ـ ٨ كلمات • وهذه النسخة قد كتبت من قبل ثلاثة نساخ على الاقل • وقد تم الفراغ من كتابتها « في سلخ شوال سنة ألف وسبع وخمسين » [٢٧ تشرين الثاني سنة ١٦٤٧] وقد نسخت كما يبدو عن نسخة من تاريخ ثابت تم نسخها في « سلخ جمادى الاولى سنة سبع وسبعين وخمسمائة » [١١ تشرين الاول سنة ١١٨١] • وهذه النسخة قد نسخت ـ كما صَرح ـ عن مسودة المؤلف •

ان خط مخطوطة الاستاذ لويس هو نسخي مقروء وحالة المخطوطة حسنة انما يبدو أن المستوى الثقافي لنساخها ومعرفتهم بقواعد اللغة العربية قد كان ضعيفا ، لهـذا تبعثرت الاخطاء النحوية والاملائية في كل مكان • وحين قمت بعملي في التحقيق قومت هذه الاخطاء ، ولكن لكثرتها لم أشر بالحواشي الا لنزر يسير منها خشية ملء الحواشي بأمور لا فائدة منها •

المعلومات التي تتضمنها مخطوطـة الاستاذ لويس هـذه ، يمكن تقسيمها الى قسمين : قسم وردت معظم رواياته في تاريخ الطبري ، وقسم تمت أحداث رواياته بعد وفاة الطبري ، فقام ثابت بتدوينه ، وكثير من أخبار هذا القسم مما عاصره ثابت، وقد نقل ابن الاثير معلومات ثابت ودونها في تاريخه الكامل دون الاشارة الى ثابت• على أنه على الرغم من هذا هناك بعض التفصيلات ، والمعلومات في نصنا هذا غـير

موجودة عند ابن الاثير•ونشر نصنا هذا يوفر رواية متسلسلة لتاريخ القرامطة ويعين على دراسة حركة التدوين التاريخي عند العرب ، خاصة فيما يختص بعلاقة كتابات مسكوية بتاريخ ثابت بن سنان •

وثابت بن سنان هو أحد أفراد آل الصابيء ، الاسرة التي اشتهرت بالطب فنبغ منها عدد من الاطباء خدموا الخلفاء العباسيين ورجال دولتهم • ويذكر بعض من ترجم لثابت بأنه كان مختصا بخدمة الخليفة الراضي [٣٢٢/٩٣٤ ــ ٣٢٩/٩٤٠] وأنه كان بارعا بالطب ، تولى تدبير المارستان في بغداد وخدم عددا من الخلفاء بعد الراضي • ولقد ذكر بعضهم أن ثابتا قد توفي في عام ٣٦٣/٩٧٣ ــ ٤ ؛ وهذا وهم ، أصح منه أن وفاته حدثت في عام ٣٦٥/٩٧٥ ــ ٦ وهذا ما تثبته مخطوطتنا وما نقله ياقوت عن ابن أخت ثابت هلال بن المحسن الصابيء • وكان ثابت بن سنان كمعظم بقية آله متميزا الى جانب كونه طبيبا باهتمامه بالتاريخ وتدوينه ، فكتب عددا من التواريخ أشهرها تاريخه الكبير الذي انتزع منه ، نصنا الذي ننشره اليوم • وقد بدأ ثابت تاريخه هذا بفترة حكم الخليفة المقتدر [٢٩٥/٩٠٨ ــ ٣٢٠/٩٣٢] ، وتوقف عن متابعة الكتابة فيه قبيل وفاته بأيام • ولثابت تاريخ « مفرد في أخبار الشام ومصر في مجلد واحد » وله كتاب آخر دون فيه « وفاءات من توفي في كل سنة من سنة ثلاثمائة الى السنة التي مات فيها » أي سنة ٣٦٥ هـ • وتاريخ ثابت الكبير هو بداية سلسلة من التواريخ كتبت من قبل أفراد الصابيء وكلها تعتبر كذيول لتاريخ الطبري ، وهي في حد ذاتها على غاية من الاهمية تغطي فترات انفردت ــ تقريبا ــ في رواية أخبار أحداثها • ثم ان خدمة آل الصابيء للخلفاء العباسيين ورجالاتهم وشخصيات دولتهم قد أعطى معلوماتهم ورواياتهم التاريخية مزية خاصة وقيمة عالية • ومفيد هنا أن ننقل ما كتبه القفطي في هذا الباب :« واذا أردت التاريخ متصلا فعليك بكتاب أبي جعفر الطبري رضي الله عنه ، فانه من أول العالم والى سنة تسع وثلاثمائة ، ومتى شئت أن تقرن به كتاب أحمد بن أبي طاهر وولده عبيد الله فنعم ما تفعل لأنهما قد بالغا في ذكر الدولة العباسية وأتيا من شرح الاحوال بما لم يأت به الطبري بمفرده ، وهما في الانتهاء قريبا المدة ، والطبري أزيد منهما قليلا • ثم يتلو ذلك كتاب ثابت فانه يداخل الطبري في بعض السنين ، ويبلغ الى بعض سنة

ثلاث [الاصح خمس] وستين وثلاثمائة فان قرنت به كتاب الفرغاني الذي ذيل به كتاب الطبري فنعم الفعل تفعله فان في كتاب الفرغاني بسطا أكثر من كتاب ثابت في بعض الاماكن . ثم كتاب هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابىء فانه داخل كتاب خاله ثابت وتمم عليه الى سنة سبع وأربعين وأربعمائة . ولم يتعرض أحد في مدته الى ما تعرض له من أحكام الامور والاطلاع على أسرار الدول ، وذلك أنه أخذ ذلك عن جده لأنه كان كاتب الانشاء ويعلم الوقائع ، وتولى هو الانشاء أيضا ، فاستعان بعلم الاخبار الواردة على ما جمعه . ثم يتلوه كتاب ولده غرس النعمة محمد بن هلال وهو كتاب حسن الى بعد سنة سبعين وأربعمائة ... »[1] .

ولدى تفحصنا لمواد مخطوطة الاستاذ لويس نلاحظ أمرا مدهشا ، حيث أن الكتاب يروي أخبار القرامطة ابتداء من « سنة مائتين وثمان وسبعين من الهجرة » حتى « سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة » بشكل كامل التسلسل سنة تلو أخرى ، ثم يقفز فيبدأ بأخبار « سنة ستين وثلاثمائة » .

ولا ندري بشكل مؤكد سبب هذا ، لكن لدى قراءة المواد الاخيرة ومقارنتها بالمواد الاولى ، نجد أن المواد الاولى تولي قرامطة البحرين والعراق الاهتمام الاكبر، في حين أن المواد الاخيرة موقفة على نشاط القرامطة في الشام وصراعاتهم مع الخلافة الفاطمية في الشام ومصر .

ان هذا يدفعنا الى الافتراض أن الذي جمع مواد مخطوطة الاستاذ لويس جمعها من مجلدة كان فيها كتابين لعلهما : تاريخ ثابت بن سنان الذي ذيل به على

---

(1) القفطي (جمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف) تاريخ الحكماء . ط. ليبسك ١٣٢٠ هـ ص ١٠٩ – ١١١ . ابن خلكان (احمد) وفيات الاعيان ١٤٨/١ ط. باريس ١٨٣٨ . ياقوت الحموي، ارشاد الاريب الى معرفة الاديب(معجم الادباء) حققه د. س. مرجليوث القاهرة ١٩٠٩ : ٣٩٧/٢ . الذهبي (ابو عبد الله محمد ابن احمد بن عثمان) تاريخ الاسلام ٨١ ط. مخطوطة المتحف البريطاني رقم ٤٨. ومما يفيد معرفته ان سبط ابن الجوزي (يوسف بن قزا أوغلي) قد اكثر في كتابه مرآة الزمان من النقول من تاريخ آل الصابىء حتى انه نسخ في احدى المرات جميع تاريخ غرس النعمة وضمنه في احد مجلدات كتابه ! انظر مقالنا في مجلة مجمع اللغة العربية عدد نيسان ١٩٧٠ . هذا وقد قمت بانتزاع نصوص آل الصابىء الواردة في المرآة والحقتها بكتابنا هذا .

تاريخ الطبري ، وكتابه الاخر الذي أوقفه على تاريخ الشام ومصر ، ويبدو أن الكتاب الاول كان مبتورا ، فهو بالأصل « مسودة المؤلف »،وأن الذي تولى عملية الاختصار لم ينتبه الى الخرم الكبير ، ولا الى طبيعة المواد المروية والاختلاف الذي لحقها ، أو أنه تنبه لكنه لم يخبرنا •

ومهما يكن الحال يلاحظ أن المواد المتأخرة منمخطوطة الاستاذ لويس تتوافق، لا بل تتطابق تماما مع محتويات تاريخ دمشق لابن القلانسي ؛ الذي شهر باسم « الذيل » أو « المذيل على تاريخ دمشق » ، ويتألف كتاب ابن القلانسي من قسمين رئيسين هما « الاساس » و « المذيل » ، ويبدأ الأساس بحوادث سنة ٣٦٠، ويقف مع بداية حوادث سنة ٤٤٨ •

وبات من المؤكد أن مواد قسم الاساس كانت بالاصل من تصنيف هلال بن المحسن[1] وربما صنف مطلعها ثابت بن سنان ، فقد كتب هلال ذيلا على تاريخ ثابت بدأه بأخبار سنة ٣٦٠ ، وهكذا تداخلت منه حوادث السنوات ٣٦٠ ــ ٣٦٥ مع كتاب ثابت،وتطابقت المواد في هذا التداخل وجاء الاختلاف في بعض التفاصيل فقط، وهذا ما تخلص اليه لدى عقد مقارنة بين مواد مخطوطة الاستاذ لويس ومطلع كتاب ابن القلانسي ، ومثل هذا الاختلاف بالتفاصيل هو أمر طبيعي نلاحظ ما يشبهه حين نقارن مواد السنوات المتداخلة بين تاريخ ثابت بن سنان وتاريخ الطبري •

وانتزع النص الثاني من كتاب « سيرة الهادي الى الحق يحيى بن الحسين » وهو كتاب قد كنت قد تعرفت اليه للمرة الاولى عام ١٩٦٩ حيث رأيت احدى مخطوطاته في استانبول ، وقد قمت بنشر هذا المخطوط عام ١٩٧٢ في بيروت ، ويتحدث هذا الكتاب عن سيرة وأعمال الهادي الى الحق الذي خرج الى اليمن عام ٢٨٠ هـ ، وفيها عمل على تأسيس الدعوة الزيدية مع امامة شيعية معتدلة ، وفي اليمن حقق الهادي بعض النجاحات ، حيث استطاع دخول صنعاء لفترة قصيرة ، واصطدم الهادي خلال نشاطاته في اليمن بالقرامطة في منطقة نجران مع قبائل بلحارث ويام، كما اصطرع مع قرامطة علي بن الفضل ومنصور اليمن في الجنوب •

---

(1) انظر وفيات الاعيان لابن خلكان : ٣٧٨/٢ (ترجمة صلاح الدين الايوبي) حيث ذكر صراحة ان ابن القلانسي جعل كتابه ذيلا على تاريخ هلال بن المحسن الصابىء

وقد قام مدون سيرته بتقديم تفاصيل ممتازة عن ذلك ، وأفرد فصلا خاصا من الكتاب أوقفه على القرامطة ، وذلك اضافــة للمعلومات المتناثرة في ثنايا الكتاب ، ومدون السيرة وروايتها هو علي بن محمد بن عبيد الله العباسي العلوي • وكان من أبناء عم الهادي ورفاقه في اليمن ، وعلى هذا كان شاهد عيان للاحداث ، ومادتــه بذلك على درجة عالية من الاهمية ، تحمل الطابع الوثائقي ، لكن مع الانتباه الى أنها تروي الحدث وتصور الخبر من جانب واحد •

ان مادة سيرة الهادي الى الحق ، أقدم ما عرف حتى الآن عن تاريخ القرامطة، ومن خلالها ذهبنا فيما مضى الىالقول بأن حركة القرامطة بدأتفيشبه الجزيرةالعربية لا بالعراق ، هذا ولم نستطع الوصول الى ترجمة لمصنف السيرة ، انما من خــلال دراسة نص الكتاب نعرف بأن والد المصنف وهو محمد بن عبيد الله كان من أوائل من تلقى دعوة الهادي الى الحق ، قبل خروجه الى اليمن ، فآمن بها كما آمن بامامته، وقام بمرافقته الى اليمن ، وهكذا كان من أوائل رجالات دعوة الهادي وأعظمهـم مكانة لديه ، فلقد اعتمد الهادي عليه اعتمادا كبيرا وولاه جليل الاعمال ، وكلفــه بخطير المهام ، وظل في خدمة الهادي حتى استشهد أثناء تأديته لواجبه ، وكان ذلك في الصراع مع القرامطة •

وكان محمد بن عبيد الله عندما قرر الهجرة الى الهادي ، ومرافقته الى اليمن قد أعلم ولده عليا بذلك ، وأمره أن يلحق به ، وكان علي آنذاك « غلاما لم تجب لله عليه حجة » ، و « وفي ذي الحجة من سنة خمس وثمانين ومائتين » هاجر علي بن محمد بن عبيد الله الى الهادي ، والتحق بخدمته في اليمن ، وبقي معه حتى لقي ربه •

وبرغم أنه قد سلف لي نشر سيرة الهادي ، فلقد أعدت النظر بالنص المنتزع منها حول القرامطة ضبطا وتحشية ، آخذا بعين الاعتبار مــا رسمته لنفسي أثناء جمــع نصوص هذا الكتاب بجعل هذه النصوص تشرح بعضها بعضا،وتقدم فهما متداخلا ومتعاونا في الوقت ذاته •

والنص الثالث هو عبارة عن مذكرات أملاها ــ أو كتبها ــ أحد رجالات البلاط الفاطمي أيام المعز لدين الله [٣٤٠ ــ ٣٦٥ هـ/٩٥٣ ــ ٩٩٥ م] وكان اسمه أحمد بن ابراهيم (أو ابن محمد) النيسابوري ويبدو أنه احتل مكانة رفيعة في قصر المعز ،

وكان واسع الاطلاع على أخبار الدعوة الفاطمية، ولربما شارك في العديد من أحداثها المبكرة ، نقول ذلك بسبب أنه لم يصلنا ترجمة له ، على الرغم من أن رسالته كانت معروفة نقل عنها عدد من الكتاب الاسماعيليين .

ومادة هذه الرسالة على درجة كبيرة من الاهمية ، منها نسمع أصداء اسماعيلية فاطمية رسمية تتحدث عن الانشقاق الذي ألم ببيت الامامة الاسماعيلي،بعد استقرار هذا البيت في السلمية ، حيث يبدو أن هذا الانشطار كان من وراء اندلاع نشاط القرامطة في الشام وهو يساعد على تعليل قضية ادعاء قادة قرامطة الشام للنسب الاسماعيلي ، ومنه نرى ما صنعه الفاطميون بعد انتصار فرعهم ، وسيطرته على أطراف الدعوة الاسماعيلية والدعاة فيما يختص بقضية تحريف أنساب أئمة القرامطة.

وقد سبق أن تم نشر هذا النص ثانية سنة ١٩٣٧ في مجلة كلية الاداب لجامعة القاهرة المجلد الرابع [٨٩ ــ ١٠٧] اعتمادا على مخطوطة وجدت لدى جماعات البهرة المستعلية في الهند ، وجاء نشره جافا خلوا من أية تعليقات ، محشوا بالاخطاء والتصحيفات ، ولقد أعدت النظر فيه وتلافيت الاخطاء وقمت بضبطه ووضع بعض الحواشي الضرورية لـه .

أما النص الرابع فهو عبارة عن فصلة من كتاب اسمه التراتيب من تصنيف أحد رجالات الدعوة الاسماعيلية ، ويبدو أن تاريخ التصنيف مبكر ربما يعود الى ما قبل قيام الخلافة الفاطمية أو معاصر لها ، وهذا الكتاب قد أتيح لي الوقوف عليه مع مجموعة أخرى من الرسائل الاسماعيلية في احدى المكتبات الخاصة التي كانت موجودة في القدموس في سورية ، وهو مثل سابقه يقدم مادة تساعدنا على فهم النزاعات داخل البيت الاسماعيلي في السلمية وبذلك تسهل علينا مهمة معالجة أمر العلاقة بين قرامطة الشام والبيت الاسماعيلي الذي نجح في اقامة الخلافة الفاطمية ، ولقد جهدت في سبيل التعرف الى مصنف الكتاب فأخفقت ، انما هذا لا يؤثر كثيرا على قيمة محتوياته ، وهو بحيث ينشر للمرة الاولى فيه الهام جديد في معالجة قضايا الماضي ، وخاصة تاريخ القرامطة والاسماعيلية .

أما النص الخامس فقد انتزعته من « كتاب تثبيت دلائل نبوة سيدنا محمد » لقاضي القضاة عبد الجبار الهمذاني ، الفقيه المعتزلي الشهير المتوفى سنة ٤١٥ هـ أو ٤١٦/١٠٢٤ أو ١٠٢٥ م ، وقد وقفت على هذا النص للمرة الاولى سنة ١٩٦٩ ،

وقمت بتصويره من نسخة الكتاب الفريدة الموجودة الان في مكتبة شهيد علي باشا في استانبول ، وكان في نيتي حين صورتها العمل على نشرها ، لكن حال دون ذلك العديد من المشاغل ، ثم أقدم المرحوم الدكتور عبد الكريم عثمان على نشر الكتاب في قسمين تحت عنوان : « تثبيت دلائل النبوة »•[بيروت ـ دار العربية] •

وكتاب « تثبيت دلائل النبوة » من أعظم ما كتبه القاضي عبد الجبار شيخ المعتزلة في وقته ، حيث حوى مادة لا نكاد نجد لها نظيرا في كتاب آخر ، فيها تجلت سعة ثقافة القاضي عبد الجبار ، وعقله ومنطقه ، وفيها تجلى تعصبه الشديد للاسلام على الرغم من اعتزاله،ومن المؤسف أن هذا التعصب حرف القاضي عن جادة الصواب والحق ، وجعله يروي الاحداث ويصورها لا بصفته العالم الاعتزالي الكبير ، بل بصفته الفقيه المتعصب الذي ألغى تعصبه أدوات المنطق والحياد لديه •

وبرغم هذا فان القاضي عبد الجبار قد عاصر الخلافة الفاطمية ، وشهد بعض فصول الصراع بين هذه الخلافة وقرامطة الاحساء ، فقدم لنا مادة تاريخية تكاد أن تكون وثائقية ، انما من وجهة نظر محددة ، هي بلا شك معادية، لابل شديدة العداء، وهذه المادة يمكن أن نرى فيها صورة تعكس بكل أمانة موقف أهل السنة من الدعوة الاسماعيلية والخلافة الفاطمية في مطلع القرن الخامس للهجرة ، وهي فترة على غاية من الاهمية ، لانها مرحلة متقدمة في اليقظة الاسلامية المعادية للاسماعيلية التي كانت لتوها تستفيق من أزمات خطيرة شطرتها على نفسها ، وكان على رأسها ما تم في عصر الحاكم بأمر الله وقيام الديانة الدرزية •

اذا عاصر القاضي عبد الجبار بداية تقهقر الفكر الاسماعيلي وتحول مدهء الى جزر ثم انحساره بشكل سريع ومريع للغاية •

لقد كان المرحوم الدكتور عبد الكريم عثمان مختصاً بالاعتزال وبالقاضي عبد الجبار وفكره بشكل خاص ، لكن مما يؤسف له ، أنه على الرغم من هذا الاختصاص اقد أخفق في قراءة كتاب تثبيت الدلائل،وهكذا عجز عن تقديم متن صحيح منه للقارىء، ولعل أحد أسباب ذلك ، أنه اعتمد على نسخة خطية واحدة للكتاب ، ثم أنه رحمه الله زين متن الكتاب بمجموعة من الحواشي والتعليقات تدل على أن خلفياته في التاريخ

الاسلامي كانت في غاية الضعف ، لكن هذا كله لا يغمط ما بذله من جهد في سبيل احياء هذا الكتاب الهام .

أما النص السادس فقد انتزعته من كتاب سفر نامه لناصر خسرو ، الرحالة الايراني المشهور ، وناصر خسرو كان قد ولد في احدى مدن خراسان لاسرة متوسطة الحال وكان ذلك سنة ٣٩٤ هـ/١٠٠٣ م ، ونشأ مسلما سنيا وتثقف ثقافة جيدة ، وفي مقتبل شبابه التحق بخدمة الادارة الغزنوية ، وكانت هذه الدولة قد شهد عصرها تطور اللغة والثقافة الايرانية الجديدة جنبا الى جنب مع اللغة العربية والثقافة العربية الاسلامية ، لذلك أجاد ناصر خسرو العربية والايرانية ،وفي أيام ناصر خسرو انتزع التركمان بزعامة السلاجقة خراسان من الغزنويين ، وهكذا انتقل ناصر خسرو الى الادارة السلجوقية ، والتحق بخدمة جغري بك في مرو ، وكان جغري بك من أبرز زعماء السلاجقة وأخا لطغرلبك أول سلاطنة السلاجقة .

وقد شهدت خراسان في بداية القرن الخامس نشاطاً دينياً كبيراً تجلى في الصراع بين مختلف المذاهب والفرق ، وتأثر ناصر خسرو بهذا الصراع فعايش الشكوك فترة من الزمن ، ثم تحول من السنة الى الشيعة لكن ذلك لم ينه حالة الشك لديه ؛ فقد احتار الى أي فرق الشيعة ينتمي ، وهنا قرر الرحلة نحو العراق وغيرها بحثاً عن الحقيقة .

وهكذا بدأ رحلته الطويلة التي استغرقت سبع سنوات ، بدأت سنة ٤٣٧ هـ/١٠٤٥ ، ومرت بثلاث مراحل : وقد انتهت المرحلة الاولى سنة ٤٣٩ هـ/١٠٤٧، وهو تاريخ وصوله الى القاهرة حيث مكث حتى عام ٤٤٢ هـ/١٠٥٠ م وخلال هذه الاقامة حدث تحوله الى الاسماعيلية ، وصار واحدا من كبار دعاتها ، وغادر مصر ليبدأ المرحلة الثالثة والاخيرة من رحلته : وزار خلال ذلك الحجاز ، وقضى فريضة الحج ، وبعد هذا توجه نحو الاحساء فزار عاصمة القرامطة ، وقدم لنا وصفا لمشاهداته فيها، ومن الاحساء ذهب الى البصرة ومن هنالك الى خراسان ، وكان على ذلك عام ٤٤٤هـ /١٠٥٢ م تاريخ نهاية رحلته .

وبعدما استقر في خراسان بدأ نشاطه الدعوي ، وقد كسب الى صفه جماعات كبيرة ، وكان ناصر خسرو شاعرا كبيرا ومصنفا ، خلف لنا تراثا غنيا ، أوسعه شهرة، رحلته التي يعتقد أنها فقدت ، وكان ما وصلنا منها مختصر لها ، وقد نشر هذا

المختصر وترجم الى أكثر من لغة من بينها العربية ، وقام بالترجمة الى العربية الدكتور يحيى الخشاب وتمت طباعة الترجمة أولا في القاهرة ثم أعيدت طباعتها ثانية عام ١٩٧٠م في بيروت .

وقد انتزعت من هذه الترجمة وصف ناصر خسرو للاحساء ، والتزمت الى أبعد الحدود بهذه الترجمة مع تعديلات طفيفة قمت بها نتيجة لمقارنتها بترجمات أخرى خاصة الى الانكليزية ، ويكاد يكون وصف ناصر خسرو للاحساء أهم وثيقة تصل الينا تتعلق بحياة دولة قرامطة البحرين ونظامها .

وجرى انتزاع القسم السابع من كتاب حمل عنوان « الفرق والتواريخ » لمؤلف يماني من أهل القرن الخامس اسمه أبو محمد ، والكتاب كبير الحجم توجد منه نسختان خطيتان ، وكان قد أوقفني عليه منذ عقد من الزمن الدكتور محمد جواد مشكور ، وهو بحاثة ايراني وأستاذ جامعي معروف .

وجرت نسبة هذا الكتاب على صفحة الغلاف الى الامام أبي حامد الغزالي ، ولعل السبب في ذلك غزارة المعلومات المتضمنة فيه ، وقدرة صاحبه العظيمة في ميادين علم الكلام واطلاعه الواسع وشدته في الرد على رجالات الملل والنحل .

ويحوي القسم الثامن « كتاب كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة » من تصنيف محمد بن مالك بن أبي الفضائل الحمادي، ومحمد بن مالك هذا لا نعرف الكثير عن حياته الا ما نستخلصه من كتابه ، ذلك لعدم وصول ترجمة منفردة له في أي من المصادر اليمنية المعروفة ، ومن خلال الكتاب يبدو أن المصنف كان من أهل الفقه والمعرفة ، عاش في أوائل القرن الخامس ، وعاصر قيام الدولة الصليحية في اليمن ، وقد تأثر بالدعوة الصليحية الاسماعيلية ، وصار واحدا من رجالاتها ، ثم ما لبث أن انقلب عليها ، فصنف كتابه في الرد على الاسماعيلية ، وجاء هذا الرد تاريخيا على درجة كبيرة من الاهمية ، والمعلومات التي وردت فيه تكمل المواد التي أوردها صاحب سيرة الهادي الى الحق ، واذا قلنا بأن مادة سيرة الهادي الى الحق دونت من وجهة نظر زيدية، فان مادة الحمادي على الرغم من طابعها الردي، فاننا يمكن أن نعتبرها قد دونت من وجهة نظر صليحية اسماعيلية لشدة صلة المصنف بهذه الدعوة في السابق.

ولقد نشر هذا الكتاب للمرة الاولى في القاهرة عام ١٩٣٩ ، وجاء هذا النشر

دونما تحقيق ، لذلك ألم بالنص العديد من التصحيفات ، قمت بتقويمها جميعا ، كما حليت النص بالحواشي الضرورية ، وقمت بضمه الى مجلدنا هذا ، ميسرا من جديد وصوله الى القارىء والباحث •

أما القسم التاسع فهو عبارة عن فصل من فصول كتاب المنتظم لابن الجوزي ، أوقفه خصيصا للحديث عن القرامطة من الجانب العقائدي وابن الجوزي هو الامام أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي ، ولد في بغداد حوالي سنة ٥١٠ هـ وفيها نال ثقافته على كبار علماء عصره •

كان ابن الجوزي قرشي النسب ، تيمي القبيلة ، بكري النسبة ، يعتز بذلك ويفاخر بأنه حفيد الصديق الخليفة الاول في تاريخ الاسلام وقد تأثر بفقه مدرسة الامام أحمد بن حنبل ، وصار واحدا من أعلامها في عصره •

اشتهر بقوة الحجة وسرعة البديهة ، والقدرة النادرة في الوعظ ، لذلك كان عظيم التأثير في الناس ، وصلنا جزء كبير من مواعظه ، فيها نرى صورة واضحة لمكانه ولعصره ، وللعربية الدارجة آنذاك •

لقد كان ابن الجوزي غزير الانتاج واسع التصنيف، من أهم ما كتبه في التاريخ كتاب « المنتظم في تاريخ الملوك والامم » جاء في عشر مجلدات نشر منها خمس في حيدر أباد الدكن في الهند ، وأعيدت طباعة هذه المجلدات بالتصوير ، لكن لم يقدم أحد بعد على اعادة النظر فيما نشر والعمل على نشر الكتاب بجميع مجلداته ، برغم العثور على مخطوطة كاملة منه تم تصويرها في معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربيـة •

اعتمد ابن الجوزي في الفصل الذي أوقفه على القرامطة اعتمادا مطلقا على كتاب « فضائح الباطنية » للامام الغزالي ، ويمكن اعتبار عمله مختصرا لكتاب الغزالي •

هذا وقد لاقى هذا الفصل عناية خاصة في أيامنا هذه فقام الاستاذ محمد صباغ بنشره أولا عام ١٩٦٥ ، وجاء هنا في خمسين صفحة ثم أعاد نشره ثانية عام ١٩٦٨ في ثمانين صفحة ذات حجم صغير ، جعل منها سبع وعشرين صفحة مقدمة والباقي أثبت فيه النص مع فهارس محدودة •

وعلى الرغم من عناية الاستاذ المحقق بنص الكتاب من حيث الضبط ، فانـه تجاوز المعقول في تضخيم حجمه ، ثم جاءت مقدمته والحواشي التي ألحقها بالنص تنادي بأن صاحبها يرى الماضي من منظار التعصب الديني ، وهو على هذا يطلب من الماضي أكثر من الماضي ويعلل حوادثه طائفيا ، ويغمض ناظريه عن كل شيء الا ماهو سلبي ، ولعل لـه عـذره في ذلك ، فهو بالاصل اختصاصه بالادب العربي وليس بالتاريخ الاسلامي وحضارته ، فهو على هذا يمكن تصنيفه بين الذين يقبلون على العمل في التاريخ بدافع الهواية لا الاحتراف ، ومقرر أن الهاوي يقود في عمله نحو الهاوية لانه يعتمد الاثارة العاطفية ، دون تقدير للمسؤولية ، وبـلا التزام بشرط الحياد والعلمية والمنطق ، في حين أن المؤرخ المحترف ، يلتزم بقوانين علم التاريخ ، ويعتمد على الاقناع، ويبتعد عن كل ما يثير العواطف لان الحضارات لم يتم تشييدها بالعواطف بل بالعقول المفكرة بمنطق واتزان •

أما القسم العاشر فهو منتزع من كتاب « أخبار الدول المنقطعة » لعلي بن ظافر الازدي ، وذلك اعتمادا على مخطوطتي المتحف البريطاني في لندن ومكتبة غوطا في ألمانية الشرقيــة •

وعلــي بن ظافر الازدي ولـد في القاهرة سنة سبع وستين أو تسع وستين وخمسمائة ، وكان أبوه من كبار الفقهاء الاصوليين ، لذلك تفقه علي على والده ، ونال ثقافة عالية ، مما أهله لتسلم أسنى المناصب في الدولة الايوبية في القاهرة ، وقد تقلب في المناصب من الوزارة الى بيت المال الى غير ذلك،وظل في الخدمة مدة طويلة، لكن ليس الى تاريخ وفاته الذي كان سنة ٦١٣هـ،فقد كان قد اعتزل الاعمال في أواخر أيامه وانصرف نحو التصنيف ، فاهتم بالتاريخ والسياسة والادب كما أنه نظم الشعر وكان شعره رقيقا ، ويعتبر كتابه أخبار الدول المنقطعة من أهم ما صنف في التاريخ ، حيث جعله في فصول متوالية أوقف كل منها للتأريخ لدولة من الدول التالية:العبيدية الفاطمية ، والنـاجية في الجبال ، والاخشيدية في مصر ، والطولونية في مصر أيضا ، والحمدانية في حلب ، والخلافة العباسية ، والصنهاجية في افريقية •••

ومعلومات هــذا الكتاب مفيدة في كثير من الجوانب وهي وان دلت على أن مصنفها لم يكن مؤرخا الا أنها تدل على أنه كان قليل التعصب ولديـه أحاسيس سياسية جيدة ، وهذا الكتاب ما زال مخطوطا ، توجد منه أكثر من نسخة جيدة ،

وهو جدير بالنشر ، وجاء اهتمامي به من خلال واحد من الاعمال التي قطعت شوطا بعيدا فيها ، حيث جمعت أخبار الدولة الفاطمية من عدد من المصادر غير المنشورة ، على نية تحقيقها ودفعها الى النشر ، بتوفيق الله وعونه[1] .

وقد انتزع القسم الحادي عشر من كتاب « بغية الطلب في تاريخ حلب » لابن العديم (كمال الدين عمر بن أحمد المتوفي سنة ٦٦٦ هـ/١٢٦٧ ــ ١٩٦٨ م) .

ولد ابن العديم الذي كان سليل أسرة مرموقة جدا في حاب ، في ذي الحجة سنة ٥٨٨ هـ [كانون الاول ١١٩٢ م] وتحدث ابن العديم في سيرته لنفسه وأسرته ــ كما رواها ياقوت ــ بأنه عندما كان في السابعة من عمره ، أرسل الى المدرسة ، وأنه وهو في التاسعة كان قادرا على قراءة القرآن .

وعلى العموم لقد تلقى ابن العديم ثقافة جيدة، ونال حظا وافيا من علوم عصره، كما أن والده حرص على أن ينال ابنه تدريبا جيدا في الخط،وهكذا غدا خط ابن العديم واحدا من أجمل الخطوط ، وأكثرها دقة وصوابا، ومن الاطلاع على المجلدات العشر المتبقية من كتابه بغية الطلب ، والتي هي جميعا بخط ابن العديم ، يمكن الحكم بأن ابن العديم كان واحدا من أعظم النساخ وأكثرهم ضبطا في تاريخ الخط العربي .

وعندما بلغ ابن العديم الخامسة عشر من عمره زار القدس ودمشق التي زارها ثانية عندما أصبح في التاسعة عشر ، وعند بلوغه التاسعة والعشرين عين مدرسا في احدى مشاهير مدارس حلب،ومنذ ذلك الحين ترقت به المناصب حتى غدا الشخصية الاولى بين أهالي حلب ، ونال درجة وزارة مملكة حلب . وكشخصية مرموقة زار ابن العديم في أكثر من مناسبة العراق ومصر وكثيرا من مدن بلاد الشام وذلك غالبا كمبعوث موفد من قبل مملكة حلب .

لقد كان تحت تصرف ابن العديم تراث أسرته العلمي ، ومكتبات حلب الغنية ، ووثائق ومدونات المملكة ، يضاف الى ذلك أن رحلاته الكثيرة ومكانته الرفيعة قد مكناه من مقابلة علماء عصره في مصر وبلاد الشام والعراق ، وهؤلاء الذين زاروا

---

(١) انظر معجم الادباء لياقوت الحموي . ط. القاهرة ١٩٢٨ . التكملة او فيات النقلة للمنذري . ط. بغداد ١٩٧١ ــ ٢٣٧/٤ ــ اعلام للزركلي .

حلبا أو مروا بها ، كما مكناه من الاطلاع على مكتبات هذه الاقاليم وجمع المعلومات منهـا

ولقد أفرغ ابن العديم المعلومات التي جمعها أو شاهد أحداثها مع تجاربـه كلها في كتابه بغية الطلب ، وبالاضافة الى بغية الطلب فقد كتب ابن العديم عددا من الكتب الاخرى التي تحوي مواضيع مختلفة ، لكن برغم هذا ان الطبيعة التاريخية تسيطر عليها جميعا •

ولقد قيل بأن كتاب بغية الطلب كان يحوي أربعين مجلدة في كل واحدة منها ما قد يزيد على الثلاثمائة ورقة • ومن سوء الحظ فقد وصلنا عشر فقط من هذه المجلدات الاربعين ، كلها كما سبق لي أن أشرت بخط ابن العديم نفسه ، وتحوي هذه المجلدات العشر : الاول من الكتاب ، وكذلك المجلد الاخير من الاربعين ، وبهذا فان فحص هذه المجلدات المتبقية يبين طريقة ومذهب ابن العديم في تصنيف كتابه •

لقد كتب ابن العديم أولا حول الجزء الشمالي من بلاد الشام من الناحيـة الجغرافية ومن ناحية الفضائل ، وخصص فصلا تحدث فيه عن القبائل العربية التي توطنت شمال بلاد الشام وخص بالذكر قبيلة كلاب ، وبعد ذلك بدأ يسرد تاريخ هذه المنطقة على طريقة الحوليات ، وعند فراغه من هذا قام بوضع معجم ألف ـ بائي ترجم فيه لكل من نشأ أو اجتاز بجزء من الشام الاعلى من الشخصيات السياسية أو العلمية أو الثقافية سواء أكان ذلك قبل الاسلام أو بعده •

لقد صرح عدد من المؤرخين المتأخرين بأن ابن العديم لم ينه كتابة كتابه بغية الطلب وانما كتب مسودته فقط ، وهذا في الحقيقة وهم ناتج عن سوء فهم لطريقة ابن العديم ، وبتصوري طريقة أي انسان متقدم جمع كتابا ضخما كبغية الطلب • ان وصول المجلد الاول والاخير من الكتاب يبرهن على أن ابن العديم قد أنهاه قبل موته ، لا بل ان بعض السماعات التي دونت في حواشي الكتاب ـ وهي سماعات أولاد ابن العديم على أبيهم ـ تشير الى أن الكتاب ربما أنجز تأليفه قبل وفاة ابن العديم على الاقل بعشر سنوات • وربمـا أن الاسباب التي قادت بعض المؤرخين المتأخرين الى قولهم هي : أن ما من أحد منهم كان قادرا على رؤية أو قراءة الكتاب جميعه ، ثم وجود بعض أوراق بيضاء لم يكتب عليها في ثنايا بعض المجلدات • ويبدو

أن كتاب ابن العديم قد عانى بعض ما عاناه صاحبه وبلاد الشام من الغزو المغولي فتبعثرت مجلداته ولم يتهيأ له من يقوم بنسخه ونشره بين الناس ، يضاف الى هذا أن الاوراق البيض قد تكون قد تركت عن قصد لاضافة معلومات جديدة • ومن المفيد الذكر أن ولد ابن العديم قد قام بتدوين بعض ما لم يتمكن والده من اضافته في بعض هذه الفراغات •

ومهما كانت الحال فان كتاب بغية الطلب هو عبارة عن منجم غني جدا بالمعلومات التاريخية وغيرها مما يتعلق مباشرة بالشام الاعلى كجزء ، وبالشام جمعيه ككل ، ثم بالعالم الاسلامي كوحدة دينية وثقافية وحضارية • في هذا الكتاب معلومات حول حياة وتاريخ الثغور الاسلامية البيزنطية ليس لها نظير في التفصيل والشمول والجدة، حيث يمكن أن يقام عليها لوحدها دراسة رائعة • وفي الحقيقة انه لمن المستحيل أن أستطيع أن أقدم هنا في هذه المقدمة السريعة وصفا كاملا ، أو دراسة وافية لهذا الكتاب ، حيث أن ذلك يحتاج لاطروحة كاملة أو لمجلد منفصل •

لم ينشر من المجلدات الباقية من بغية الطلب سوى تنف يسيرة ، ولأهمية الكتاب وحاجة المكتبة العربية والباحثين اليه أقوم الان بالعمل على نشره ، وقد دفعته للطباعة ، وأملي كبير بخروجه قريبا •

ان من بين التراجم البالغة الاهمية التي تحويها هذه المجلدات الباقية ترجمة لصاحب الخال القرمطي • وتحوي هذه الترجمة معلومات على غاية من الخطورة نقلها ابن العديم من تواريخ ومؤلفات عدد من المتقدمين الذين لم تصلنا معظم كتبهم ، وهم :(١) •

ان جميع مخطوطات المجلدات العشرة المتبقية من بغية الطلب موجودة في مكتبات استانبول . واحد (وهو الاول) في مكتبة ايا صوفيا برقم ٣٠٣٦ وثمانية في احمد الثالث في طوب قبو سراي برقم ٢٩٢٥ . وواحد في فيض الله برقم ١٤٠٤ . هذا ويوجد نسخة عن المجلد الثالث لاحمد الثالث في المكتبة الوطنية في باريس برقم ٢١٣٨ وهي لا باس بها،انما لا قيمة كبيرة لها طالما ان نسخة المؤلف موجودة. ويوجد في المتحف البريطاني في لندن نسخة سيئة عن المجلد الثامن من نسخة احمد الثالث وهي برقم Add 23,354 وهناك كما اخبرت نسخة عن المجلد الاول لاحمد الثالث في مكتبة المرحوم داود جلبي في الموصل ! لقد تمكنت من الحصول

أ ــ أبو عبد الله محمد بن يوسف الانباري الكاتب • ولعله هو الذي ذكـره الخطيب البغدادي في تاريخه (٣/٣٩٣) ولكن دونما اشارة الى حياته وعمله أو سنة وفاته • واذا صح وكان هو المقصود فان في تاريخ الخطيب نفسه (١٤/٦٥) ما يوحي بأنه كان من رجال القرن الثالث للهجرة التاسع للميلاد •

ب ــ أبو محمد عبد الله بن الحسين القطربلي ومحمد بن مزيد (أو بن أحمد بن مزيد) ابن محمود المعروف بابن أبي الازهر • وهما قد اجتمعا وكان (من الزّوّل اجتماعها على تأليف كتاب ، وقل ما يعرف مثل ذلك) • وكان هذا الكتاب كتاب تاريخ كان (أهل بغداد وأهل مصر يزعمون أنه لم يصنف في معناه مثله لصغر حجمه وكبر علمــه) •

ولد ابن أبي الازهر كما نقــل الذهبي في سنة ٢٣٢/٨٥٦ وتوفي في جمادي الاخرة في سنة ٣٣٥ [كانون الثاني ٩٤٧] • وقد صنف في حياته بالاضافة الى الكتاب الانف ذكره الذي عمله مع القطربلي ، عددا من الكتب منها أخبار الهرج والمرج في أخبار المستعين والمعتز وكتاب أخبار عقلاء المجانين وكتاب قدماء البلغاء •

وفي حين أنني تمكنت من الاهتداء الى أكثر من ترجمة لابن أبي الازهر أخفقت في الوقوف على واحدة للقطربلي • وقد وهمت الدكتورة عائشة عبد الرحمن حين ظننته أنــه هو الذي ذكره النديم في الفهرست [ص ١٨٦ • ط القاهرة] • فهــذا اسمه : أحمد بن عبد الله بن الحسين بن سعيد القطربلي وكان يكنى بأبي الحسن في

على مصورات العشر مجلدات الموجودة في استانبول ومجلد باريس لكنني اخفقت في الحصول على مصورة مجلد داود جلبي ولم أر فائدة في تصوير مجلد المتحف البريطاني ذلك انني طالعته مباشرة وقارنته مــع النسخة الام . لقـد انتزعت النصوص التي أقوم اليوم بنشرها من المجلد الثالث لاحمد الثالث ١٢٩ ظ ــ ١٤٢ ــ و. ومن المجلد الخامس لنفس المكتبة ٢٢١ ظ ــ ٢٢٣ و .

انظر معجم الادباء ١٩/٦ ــ ٤٦. زبدة الحلب ، تحقيق سامي الدهان . دمشق ١٩٥١ ، ١٣/١ــ٧٩ . اعلام النبلاء للطباخ (محمد راغب) حلب ١٩٢٣ ــ ١٩٢٥، ٤/٨٠ ــ ٥١٢ الاعلام للزركلي (عمر بن احمد بن العديم) ٥٦٨ .

Brock, I, 404(332) : S.1.568.

Historian of The Middle East, Edited by Bernard Lewis snd P.M. Holt. London 1964 : PP. 111 - 113.

حين أن اسم صاحبنا كما ذكر ابن العديم ونقل حاجي خليفة عن ابن خلكان : عبد الله ابن الحسين القطربلي وكان يكنى بأبي محمد والذي ذكره ابن النديم أشبه بأن يكون ابنا له من أن يكون هو نفسه[1] .

ت ـ أبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح الكاتب عم علي بن عيسى الوزير العباسي الشهير ، ولد سنة ٢٤٣/٨٥٧ وتوفي مقتولا في شهر ربيع الاخر لسنة ٢٩٦/ كانون الثاني ٩٠٩ . تقلد بعض أعمال الدواوين للخلافة وتورط في مشاكلها مما سبب فقدان حياته . كان محمد بن داود « فاضلا عارفا بأيام الناس وأخبار الخلفاء والوزراء وله في ذلك مصنفات معروفة »من مصنفاته كتاب الورقة في أخبار الشعراء، كتاب الشعر والشعراء . كتاب من اسمه عمرو من الشعراء، كتاب الوزراء . وكتاب الاربعة على مثال كتاب أبي هفان « الاربعة في أخبار الشعراء» . وكتاب أخبار القرامطة[2] .

ث ـ أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي المتوفي سنة ٣٣٦/٩٤٧ . وهو أيضا كان من مشاهير كتاب الدولة العباسية وشغل عددا من المناصب وألف

---

(١) مروج الذهب للمسعودي. ط. القاهرة ١٩٥٨ ، ٦/١ . الفهرست للنديم ط. القاهرة في ٢١١ . رسالة الغفران لابي العلاء المعري ط. ١٩٦٩ : ٤٢٤،٢٩. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ـ ط. القاهرة ١٩٣١ : ٢٨٨/٣ . تاريخ الاسلام للذهبي مخطوطة المتحف البريطاني ٤٨ OR : ١٧١ و. بغية الوعاة لجلال الدين عبد الرحمن للسيوطي ـ ط : القاهرة ١٣٢٦ هـ. ص ١٠٤. الاعلان بالتوبيخ للسخاوي ـ ط. بغداد ١٩٦٣ ، ص ٦٩٤ . كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ط. ليبزغ ١٨٣٧ : ١١٠/٢ ، ١٣٧ .

(٢) طبع كتاب الورقة في القاهرة بتحقيق الدكتور عبد الوهاب عزام وعبد الستار احمد فراج . ووصف الاستاذ حمد الجاسر مخطوطة لكتاب من اسمه عمرو من الشعراء وبدأ بنشره وذلك في مجلته « العرب » عدد كانون أول وما بعده من اعداد سنة ١٩٧٠ . انظر أيضا الفهرست للنديم ط. ليبزغ ١٨٧١ ، ١٢٨/١ . تاريخ بغداد ٢٥٥/٥ . المنتظم لابن الجوزي ـ ط . حيدر اباد سنة ١٣٥٧ هـ : ٧٩/٦ . والوافي بالوفيات للصلاح الصفدي ، تحقيق هلموت ريتر ١٩٦١ : ٣/ ٦١ـ١٢ . وفوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي ـ ط. بولاق الثانية: ٢٠٢/٢.

عددا من الكتب ، منها كتاب الاوراق • وأدب الكتاب وكتاب الوزراء وعددا آخر عددهم النديم في الفهرست وكذلك فعل آخرون ممن ترجم له[1] •

ج ـ أبو غالب همام بن الفضل بن جعفر بن المهذب من أهالي معرة النعمان كتب كتابا في التاريخ أكثر ابن العديم النقل منه • ولم أقف لابن المهذب على ترجمة انما ابن العديم قد ذكره بين تلاميذ أبي العلاء المعري الذي توفي سنة ٤٤٩/١٠٥٧ ، وهذا يعني أنه كان من رجال القرن الخامس/الحادي عشر • ومن المحتمل أن نسخة من تاريخ ابن المهذب قد كانت موجودة في العصر العثماني ذلك أن حاجي خليفة قد ذكر الكتاب في كتابه كشف الظنون[2] •

ج ـ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر صاحب تاريخ دمشق • ولد ابن عساكر في دمشق سنة ٤٩٩/١١٠٥ وتوفي سنة ٥٧١/١١٧٥ • ان ابن عساكر أشهر من أن يعرف به في هذه المقدمة ويكفي أن أحيل على مقدمة المجلدة الاولى من تاريخه التي صنعها الدكتور صلاح المنجد حيث أنها شاملة ووافية[3] •

خ ـ ثابت بن سنان وقد سبق وترجمنا له •

أما القسم الثاني عشر فقد تم انتزاعه من « كتاب نهاية الأرب » للنويري من الجزء الخامس والعشرين من كتابه ومن المجلدة الخاصة التي أوقفها للحديث عن تاريخ الخلافة الفاطمية ، وهذه المجلدة هي واحدا من الكتب التي عزمت على نشرها

---

(١) مروج الذهب للمسعودي: ٥/١ . الفهرست للنديم ـ ط. القاهرة ص ٢٢١ . تاريخ بغداد ٤٢٧/٣ . المنتظم ٣٥٩/٦ـ٣٦١ وفيات الاعيان.ط،باريس ١٨٣٨: ٧١٤/١، ٧١٦. البداية والنهاية : ٢١٩/١١ ـ ٢٢٠ .

(٢) بغية الطلب ، احمد الثالث : ١٩٦/١ و. الانصاف والتحري في تعريف القدماء بأبي العلاء . ط. القاهرة ١٩٤٤ ص ٥١٧. ومن المفيد ذكره أن الاستاذ حمد الجاسر قد اخبرني بأن احد احفادابن العديم قد كتب كتابا اسمه سوق الفاضل في ترجمة القاضي الفاضل وانه قد نقل النص الكامل للانصاف والتحري وضمنه كتابه هذا ، ومخطوطة هذا الكتاب موجودة في مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت في المدينة برقم /٤١٠/ قديم او /١١٨/ جديد ، وهناك نسخة مصورة عن هذا الكتاب في معهد المخطوطات في القاهرة . انظر كشف الظنون ١٠٥/٢ .

(٣) تاريخ مدينة دمشق . ط. دمشق ١٩٥١ ، ١/٥ ـ ٤٠ .

ضمن مجموعة أخبار الدولة الفاطمية ، وكان قد سبق لي الحصول على مصورة لها في عام ١٩٦٧ عن مخطوطة محفوظة في دار الكتب المصرية ، ثم حصلت مؤخرا على فصل القرامطة في المجلدة الخامسة والعشرين .

والنويري هو أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري ، عرف بلقب شهاب الدين ، وشهر بالنويري نسبة الى نويرة ، وهي قرية من قرى بني سويف في مصر ، كانت ولادته سنة ٦٧٧ هـ وحسب بعض الروايات ٦٨٢ هـ ، ذلك أنه توفي سنة ٧٣٢ هـ وهو من أبناء الخمسين[١] .

نال النويري ثقافة جيدة ، ويبدو أنه عمل في الوراقة ، بحيث كان ينسخ بخط يده الكتب ويبيعها ، حتى أنه نسخ صحيح البخاري ثماني مرات ، وكان خطه من الجودة والضبط بمكان ، وهو يأتي على رأس الموسوعين العرب ، ونال شهرته من خلال تصنيف كتابه « نهاية الأرب في علم الأدب » وجاء في هذا الكتاب في ثلاثين مجلدة كبار ، وقد نشر حتى الآن قسم كبير من هذا الكتاب العملاق ، والأمل كبير بأن يتم نشر بقيته خاصة بقية الاقسام التاريخية منه .

هذا وقد سبق لأكثر من باحث الاستفادة القصوى مما كتبه النويري وضمنه في موسوعته من معلومات ، خاصة فيما يتعلق بالقرامطة حيث أوقف فصلا خاصا من كتابه على هذا الموضوع ، لحسن الحظ أنني تمكنت من الحاقه بهذه الطبعة .

وتم انتزاع القسم الثالث عشر من كتابي « اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا » « والمقفى الكبير في تراجم أهل مصر والوافدين عليها » لمؤرخ مصر الاسلامية المقريزي .

والمقريزي هو تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ولد في القاهرة سنة ٧٦٦ هـ من أسرة تنتمي بالاصل الى بلدة بعلبك ، قيل أنها كانت تقطن في حي من أحياء بعلبك عرف باسم حي المقارزة ، زالت الآن معالمه ولم يعد أحد يعرفه .

---

(١) انظر المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي لابي المحاسن بن تغري بردي ـ ط . القاهرة ١٩٥٦ ـ ١/٣٦١ ـ ٣٦٢ . النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي ـ ط. القاهرة ٩/٢٩٩ . البداية والنهاية لابن كثير ـ ط. القاهرة: ١٤/١٦٤ . الاعلام للزركلي .

نشأ المقريزي في كنف جـده لأمه ، ويعرف بابن الصائغ ، وكان من علمـاء الحنفية ، لهذا تأثر الحفيد بالجد ، فكان حنفيا حتى غدا شابا فتحول الى المذهب الشافعي •

حصل المقريزي على ثقافة عالية ، والتحق بعدد من الوظائف السامية كما قام بزيارة عدد من بلدان العرب خاصة مكة ودمشق، حيث أقام في كل منهما فترة طويلة، وقد انتهت حياته في القاهرة سنة ٨٤٥هـ •

كان المقريزي غزيـر الانتاج ، وخاصة في ميادين التاريخ ، وقـد عاصر ابن خلدون وقد تأثر به كثيرا أثناء اقامته في القاهرة ، وقامت بينهما وشائج من القربى ، ويمكن تصنيف نتاج المقريزي الى قسمين : المؤلفات الكبيرة ، والرسائل الصغيرة ، وقد أوقف مؤلفاته الكبيرة اما على موضوع من مواضيع التاريخ الاسلامي العام، أو تاريخ مصر الاسلامية السياسي والعمراني ، عبر عدة مراحل أولها منذ الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية ، وثانيها تاريخ لهذه الخلافة حتى سقوطها ، وثالثها منذ نهاية العصر الفاطمي وحتى أيامـه •

أما الرسائل الصغيرة فقد عالج فيها المقريزي عددا من المواضيع الهامة للغاية ، وفي هذه الرسائل تظهر أصالة المقريزي وعبقريته العظيمة وصورة المقريزي في رسائله هي معاكسة لصورته في مؤلفاته الكبيرة ، حيث أنه في غالبية هذه المؤلفات الكبيرة هو كحاطب ليل يغير على مصنفات الذين سبقوه فينقل عنها ما شاء له الحظ أن يفعل دون أن يشير الى مصادره ، وهنا اذا حدث وورد ذكر مصدر من المصادر في نص من كتب المقريزي فهو في الغالب مصدر اعتمده صاحب الكتاب الذي أغار عليـه المقريزي دون أن يسميه •

وعلى الرغم من هذا فان كتب المقريزي على اختلاف أحجامها في غاية الاهمية لأن المصادر التي اعتمدها هي محجوبة عنا الآن وتعتبر في حكم المفقود •

لقد تجمع لدى المقريزي مادة تاريخية كبيرة للغاية أراد في أواخر أيامه تصنيفها في كتاب تاريخ كبير يؤرخ به لمصر والوافدين عليها يجعله في ثمانين مجلدة كبيرة مثل تاريخ دمشق لابن عساكر ، وقد لحق المقريزي بربه قبل أن يتاح له اكمال مشروعه الكبير هذا ، الذي بوبه حسب حروف المعجم ، وقد قيل بأنه كتب منه ست عشرة مجلدة قبل أن يتوفى •

لاندري مدى صحة هذه الرواية،وفي الوقت نفسه لاندري حجم المجلدة لدى المقريزي ، والذي أعرفه الان هو أنني وقفت على خمس مجلدات من هذا الكتاب لدي مصورة لها جميعا ، أربع منها بخط المقريزي ، وهذه المجلدات واحد منها أعتقد أنه الاول محفوظ الآن في مكتبة برتو باشا في استانبول ، وهو كما صرح ناسخه قد نسخه عن نسخة بخط المقريزي وهو مجلد كبير للغاية ، أما المجلدات الاربع فثلاثة منها في ليدن وواحد في باريس وقد قمت باستعراض مواد هذه المجلدات واستخرجت منها ما يختص بالخلافة الفاطمية ، كما استخرجت منها كتابا كاملا يؤرخ للدولة العباسية ، أنا في المراحل الاخيرة من تحقيقه ، وأطمع أن أدفعه للطباعة الصيف المقبل بعونه تعالى .

من مجلدة برتو باشا قمت بانتزاع ترجمتي بدر الحمامي والحسن الاعصم زعيم قرامطة الاحساء الذي تصدى للخلافة الفاطمية في بداية طورها المصري الشامي،ومن مجلدة باريس ترجمة طغج بن جف وأبي المنجا القرمطي ، وفي مجلدات ليدن ترجمة أبي بكر النابلسي وبعض ترجمة محمد بن سليمان الكاتب ، كما سبق وأخرجت منه تراجم لكل من جوهر الصقلبي وجعفر بن فلاح وسواهما ، وقد سبق لي نشر هذه التراجم في ملاحق كتابي « مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية » و « تاريخ أخبار القرامطة » الذي هو أصل كتابنا الذي نقدم له اليوم .

كما سلف القول بأن المقريزي أوقف كتابه « اتعاظ الحنفا » على الخلافة الفاطمية ، وهذا الكتاب اعتبر فيما مضى وما زال يعتبر أفضل مصادر التاريخ الفاطمي ، وقد أثار هذا الكتاب جدلا حول المقريزي وميوله المذهبية ، عالجها أكثر من باحث من بينهم المرحوم الدكتور جمال الدين الشيال ، والدكتور محمد مصطفى زيادة[1] .

وقد تم التعرف أولا الى هذا الكتاب عبر نسخة خطية ناقصة عثر عليها في مكتبة غوطا بالمانية، وقد نشرت هذه القطعة أولا سنة ١٩٠٩ بعناية المستشرق الالماني هوجر بونز ، وقد أعاد المرحوم الشيال نشر هذه القطعة ثانية بعناية أكبر سنة ١٩٤٨ في القاهرة .

---

(١) انظر اتعاظ الحنفا . ط. القاهرة : ١٩٦٧ : ١/١١ ـ ٢٣ .

وبعد هذا بوقت قصير تم التعرف الى نسخة كاملة من الكتاب تقع في مائة وسبعون ورقة ، وهي محفوظة الآن في مكتبة أحمد الثالث في طوب قبو سراي في استانبول •

واهتم المرحوم الدكتور الشيال مجددا بالكتاب واستطاع قبل وفاته نشر قسم من الكتاب عام ١٩٦٧ في القاهرة ، وفي هذا القسم أفرد المقريزي فصلا خاصا أوقفه على الحديث عن القرامطة،ومادةهذا الفصل غنية جدا وعظيمة الفائدة وهي مع ما نعرفه من نصوص أخرى تكمل صورة تاريخ القرامطة وتزيده وضوحا •

وأثناء عملي بتاريخ حركات القرامطة عدت مرارا الى هذا الفصل ، ولاحظت أثناء عودتي لطبعة المرحوم الشيال الاخيرة ، أنه رحمه الله برغم تخصصه بكتب المقريزي لم يحالفه الحظ تماما في قراءة فصل القرامطة،لهذا جاء محشوا بالتصحيفات خاصة أسماء العديد من المدن والقرى في سواد العراق ، حيث ذكر في الحواشي أنه لم يقف لها على ذكر ، لهذا عمدت الى اعادة النظر في تحقيق هذا الفصل وأدخلته ضمن كتابي هذا واعتمدت في عملي على مطبوعة عام ١٩٦٧ مع النسخة الخطية الكاملة للكتاب والمحفوظة في مكتبة أحمد الثالث تحت رقم ١٠١٣،حيث أنني أمتلك نسخة مصورة عنها ، ما زلت أنوي اعادة نشرها ضمن مجموعة تاريخ الخلافة الفاطمية ، والله هو الموفق والمعين •

أما القسم الرابع عشر فقد تم انتزاعه من كتاب « العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك » تصنيف علي بن الحسن الخزرجي •

ولد الخزرجي سنة ٧٣٢ هـ في مدينة زبيد ، وفيها نشأ ونال ثقافته وقد عاش في ظل الدولة الرسولية ، ولربما التحق بخدمة هذه الدولة ، وظل يعيش في كنفها حتى وفاته سنة ٨١٢ هـ •

يعتبر الخزرجي كبير مؤرخي اليمن المتأخرين ، كتب في تاريخ اليمن العام كما كتب في التاريخ الخاص ، خاصة تاريخ الدولة الرسولية التي أوقف على أخبارها « العقود اللؤلؤية » •

ولعل أهم كتبه في تاريخ اليمن العام كتابه الموسوم « بالعسجد المسبوك » ويبدو أنه أرخ به لليمن ، منذ ما قبل الاسلام وحتى أيامه ، وأن تصنيفه له قد مر

بعدة مراحل في كل مرحلة عرف فيها باسم خاص ، لهذا تعددت أسماء نسخ هـذا الكتاب ، انما يبدو أن آخر عنوان اعتمده هو « العسجد المسبوك فيمن ولي اليمن من الملوك ».

لقد أوقف الخزرجي فصلا خاصا من فصول كتابه هذا على تاريخ قرامطة اليمن وقدم في هذا الفصل مادة على درجة كبيرة من الاهمية ونص الخزرجي هذا هو ثالث نصوص كتابنا الذي نقدم له اليوم عن قرامطة اليمن ، ويمكن القول بأنه كتب من وجهة نظر يمانية محافظة والي حد ما محايدة .

واطلعت على هذا النص لاول مرة منذ سنوات بوساطة عالم العرب والجزيرة الاستاذ حمد الجاسر ، حيث كان لديه مأخوذا عن نسخة الحرم المكي من الكتاب ، ومنذ عدة سنوات جرى تكليفي من قبل وزارة الاعلام في صنعاء بالعمل على تحقيق هذا الكتاب ، وأرسل الي مصورة مخطوطة الجامع الكبير في صنعاء ، واعتمادا على نسختي الحرم المكي والجامع الكبير قمت بتحقيق هذا الفصل وألحقته بكتابي هذا[1].

(1) انظر راضي دغفوس « اليمن في عهد الولاة » منشورات الجامعة التونسية ١٩٧٩: ٥ - ٢٣ .

الجامع
في
أخبار القرامطة
في
الأحساء - الشام - العراق - اليمن

دراسة وتحقيق لما جاء في مصنفات :

ثابت بن سنان بن قرة الصابئ وآله - علي بن محمد بن عبيد الله العباسي العلوي

الداعية الإسماعيلي أحمد بن ابراهيم النيسابوري - داعية إسماعيلي قديم مجهول

القاضي عبد الجبار الهمذاني - ناصر خسرو - أبو محمد اليماني - محمد بن مالك اليماني

عبد الرحمن بن الجوزي - علي بن ظافر الأزدي - كمال الدين بن العديم

أحمد بن عبد الوهاب النويري - أحمد بن علي المقريزي - علي بن الحسن الخزرجي

تاريـخ اخبـار القرامطـة

تصنيف حجة المؤرخين،الثقة، جهبذ[1] عصره،ثابت بن سنان ابن كرة الصابيء، صاحب التاريخ الشهير ، المتوفى في سلخ [ذي] الحجة سنة خمس وستين وثلاثمائة هجريـة[2] .

---

(1) في الاصل جهبذة .

(2) اضيف هذا بخط مخالف لخط الاصل ، وعلى ورق مخالف ايضا ، ربما اثنـاء تجليد النسخة هذه من قبل احد الذين امتلكوها .

بيان مبتدىء ظهور القرامطة

في سنة ثمان وسبعين ومائتين

أول ظهورهم بالكوفة .

ثم أبي سعيد الجنابي بهجر .

ثم القرمطي الذي كان يعبر عن نفسه أنه اذا أشار الى ناحية عدوه انهزم .

ثم أبي الشامة .

ثم ابن زكرويه .

ثم أبي طاهر .

ثم أبي الحسن .

والحسين بن بهرام .

ثم الحسن بن أحمد .

وبدء ظهورهم كان في عصر الخليفة المعتضد

والخليفة المقتدر .

وابن المعتز

وخلافة القاهر .

وخلافة الراضي .

وخلافة المتقي .

ومعز الدولة .

والمعز لدين الله بمصر وولده العزيز[1] .

---

(1) وقعت هذه الصفحة مقابل صفحة (٥٢) من الاصل .



وبـه نقتـي ومنـه العـون

الحمد لله جل جلاله ، منشىء الخلائق من العدم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآلـه ، سيد العرب والعجم .

وبعد فهذا كتاب توخيت في تدبيجه ، أخبار طائفة ، مما مضى مـن البشر ، تدعى بالقرامطة ، وأوضحت فيها ما كانوا عليها من النحلة والعقيدة ، مما كانوا عليه الى زمن انقراضهم ، واضمحلال أمرهم ، وهلاكهم وقطع دابرهم ، معتمدا في ذلك على آراء معاصريهم من المؤرخين الحجة الثقة ، والله ولي التوفيق

باب بدء ظهور القرامطة ومنزلتها من التاريخ

في سنة مائتين وثمان وسبعين من الهجرة .

فيها : تحرك بسواد الكوفة ، قوم يعرفون بالقرامطة .

وكان ابتداء أمرهم ـ فيما ذكر ـ أن زعيم هذه الطائفة قدم من بلدة من خوزستان الى[1] عاصمة الكوفة فنزل بموضع يقال له النهرين ، وتظاهر بالزهد والورع والتقشف و [كان] يسف الخوص[2] ، ويأكل من كسب يده ، ويكثر من الصلاة، وأقام على ذلك زمنا كبيرا[3] . وكان اذا جاءه شخص، وجلس معه ، تحدث معه في أمر الدين،وزهده في الدنيا، وأخبره أن الصلاة المفروضة على الناس خمسون صلاة في كل يوم وليلة ، حتى فشا ذلك بموضعه ، ثم أعلمهم أنه يدعو الى امام من أهل البيت[4] . فأقام على الدعاية حتى اجتمع حوله جمع كبير .

واصطحب برجل بقال وكان يكثر الجلوس على بـاب حانوته ، فجاء يوما[5] قوم الى البقال وطلبوا منه رجلا يحفظ عليهم ما صرموا من نخلهم ، فدلهم عليه ، وقال لهم : « ان أجابكم الى حفظ تمركم[6] فانه بحيث تحبون » فكلموه في ذلك فأجابهم الى ذلك بأجر معلوم ، فكان يحفظ لهم ، ويصلي أكثر نهاره ويصوم، ويأخذ عند افطاره رطلا[7] من التمر من البقال فيأكله ، ويجمع النوى ويعطيه البقال .

فلما حمل التجار تمرهم حاسبوا أجيرهم عند البقال ودفعوا اليه أجرته ، وحاسب الاجير البقال على ما أخذه من التمر ، ودفع له ثمن النوى[8] . فسمع أصحاب التمر محاسبته للبقال بثمن النوى ، فضربوه ، وقالوا له : « لم ترض بأكل تمرنا حتى بعت النوى » فقال لهم البقال « لا تفعلوا »[9] وقص عليهم القصة ، فندموا على ضربه ، واستحلوا منه ففعل .

---

(1) في الطبري ٢١٢٤ ـ سواد الكوفة ـ .
(2) الخوص : ورق النخل ، وسف الخوص : نسجه . القاموس .
(3) في الاصل ـ زمن كبير ـ والزيادة مما اقتضاه السياق .
(4) الطبري ٢١٢٤ ـ من أهل بيت الرسول ـ .
(5) في الاصل ـ يوم ـ (6) الطبري ٢١٢٥ ـ ثمرتكم ـ (7) في الاصل ـ رطل ـ
(8) الطبري ٢١٢٥ ـ وحط من ذلك ثمن النوى ـ .
(9) في الطبري ٢١٢٥ ـ لا تفعلوا فانه لم يمس ثمركم وقص ـ .

وازداد بذلك [نبلا][1] عند أهل القرية لما وقفوا عليه من زهده ، ثم مرض ، فمكث على الطريق مطروحا ، وكان في القرية رجل يدعى « كرميته » لحمرة عينيه ـ وهو بالنبطية [أحمر العينين][2] ـ يحمل على أثوار له ،فكلم البقال[3] في حمل المريض الى بيته ، فحمله وأقام حتى برئ •

ودعا أهل القرية الى اعتناق مذهبه فأجابوه وكان يأخذ من كل رجل دينارا ؛ ويزعم أنه للامام • واتخذ منهم اثني عشر نقيبا ، وأمرهم أن يدعو الناس الى نحلته، وقال لهم : أنتم كحواريي عيسى • فاشتغل أهل كور [تلك الناحية][4] عن أعمالهم، بما رسم لهم[5] من الصلوات ، وكان للهيصم [في تلك الناحية][6] ضياع فرأى تقصير أهل القرية في عمارتها ، فسأل عن ذلك ، فأخبر بخبر القرمطي ، فأخذه وحبسه وحلف أن يقتله لما اطلع على مذهبه،وأغلق باب البيت عليه•وجعل مفتاح البيت تحت وسادته ، واشتغل بالشرب ، فسمع بعض من في الدار من الجواري [بقصته][7] فرقت للرجل،فأخذت المفتاح ـ حين نام سيدها ـ وفتحت الباب وأخرجته ،ووضعت المفتاح مكانه[8]

---

(١) زيادة من الطبري ـ ٢١٢٥ ـ .
(٢) زيادة من الطبري ـ ٢١٢٥ ـ والمقصود بالنبطية اللهجة المحلية لسكان سواد العراق ، فقد عرفوا في الماضي باسم النبط . وهي ذات صلة وثيقة بالارامية كما هو معتقد .
(٣) الطبري ٢١٢٥ ـ فكلم البقال كرميته هذا في أن يحمل هذا العليل الى منزله ويوصي اهله بالاشراف عليه ، والعناية به ، ففعل .
(٤) الاضافة من الطبري ـ ٢١٢٦ ـ .
(٥) في الطبري ـ ٢١٢٦ ـ بما رسم لهم من الخمسين صلاة التي ذكر انها مفترضة عليهم .
(٦) زيادة من الطبري ـ ٢١٢٦ ـ ولم تحدد المصادر هوية شخصية الهيصم .
(٧) زيادة من الطبري ـ ٢١٢٦ ـ .
(٨) في الطبري ـ ٢١٢٦ ـ اخذت المفتاح من تحت وسادته وفتحت الباب واخرجته، واقفلت الباب وردت المفتاح الى موضعه ـ .

فلما سمع الهيصم فتح الباب ليقتله فلم يجده ، وشاع ذلك في الناس فافتتن به خلق كثير من تلك القرية ، وقالوا : رفع ، ثم ظهر في ناحية أخرى واجتمع بأصحابه وغيرهم ، وسألوه عن أمره فأخبر أنه لا يمكن أحدا أن يصل اليه بسوء ، فعظم في ذاك الوقت في أعينهم ، ثم خاف على نفسه ، فخرج الى ناحية الشام ، فلم يوقف له على أثر ، وسمى نفسه باسم الرجل الذي كان في داره « كرميته » ، صاحب الاثوار، ثم خفف فقيل قرمط . هكذا ذكر[1] أصحاب زكرويه عنه .

وقيل ان قرمط لقب رجل بسواد الكوفة ، كان يحمل غلة على أثوار له واسمه حمدان[2] .

ثم فشا مذهب القرامطة بسواد الكوفة ، ورأس[3] الطائي أحمد بن محمد على أمرهم ، فجعل على الرجل منهم دينارا في العام ، فقدم قوم من الكوفة فرفعوا أمر القرامطة والطائي الى السلطان ، وأخبروه أنهم أحدثوا ما ليس في دين الاسلام ، وأنهم يرون السيف على أمة محمد ﷺ الا من بايعهم[4] ، فلم يلتفت اليهم ولم يسمع لهم

وفيما حكي عن القرامطة عن مذهبهم أنهم جاؤوا بكتاب فيه « بسم الله الرحمن الرحيم يقول الفرج بن عثمان — وهو من قرية يقال لها نصرانة — داعية المسيح ، وهو عيسى ، وهو الكلمة ، وهو المهدي ، وهو أحمد بن محمد بن الحنفية ، وهو جبريل » . وذكر أن المسيح تصور له في جسم انسان وقال له : « أنت الداعية وإنك الحجة ، وانك الناقة ، وانك الدابة ، وانك يحيى ، وانك روح القدس » ، وأخبره أن الصلاة أربع ركعات ، ركعتان قبل الشروق وركعتان بعد[5] الغروب ، ويقيم الاذان في كل صلاة ، يكبر الله ثلاثا « أشهد أن لا اله الا الله » مرتين « أشهد أن

---

(١) في الاصل ذكره .

(٢) الطبري ٢١٢٧ — كان يحمل غلات السواد على أثوار له يسمى حمدان ، ويلقب بقرمط — .

(٣) في الطبري ٢١٢٧ ووقف .

(٤) في الطبري ٢١٢٧ — بايعهم على دينهم وأن الطائي يخفي أمرهم على السلطان — .

(٥) في الطبري ٢١٢٨ — قبل — .

آدم رسول الله » ، « أشهد أن إبراهيم رسول الله »،« أشهد أن موسى رسول الله»، « أشهد أن عيسى رسول الله » ، « أشهد أن محمدا رسول الله » ، وأشهد أن أحمد ابن محمد بن الحنفية رسول الله » ، ويقرأ في كل ركعة الاستفتاح[1] المنزل علـى أحمد بن محمد بن الحنفية ، والقبلة الى بيت المقدس[2] ، وأن الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شيء، والسورة « الحمد لله بكلمته وتعالى باسمه المتخذ لأوليائه بأوليائه، قـل ان الاهلة مواقيت للناس[3] ظاهرها ليعلم عـدد السنين والحساب والشهور والايام ، وباطنها أوليائي الذين عرفوا عبادي سبيلي ، اتقوني يا أولي الالباب وأنا الذي لا أسأل عما أفعل ، وأنا العليم الحكيم ، وأنا الذي أبلو عبادي وأمتحن خلقي، فمن صبر على بلائي ومحنتي واختباري ألقيته في جنتي ، وأخلدته في نعمتي ، ومن زال[4] عن أمري ، وكذب رسلي ، أخلدته مهانا في عذابي ، وأتممت أجلي، وأظهرت أمري على ألسنة رسلي ، وأنا الذي لم يعل علي جبار الا وضعته ولا عزيز الا أذللته، وليس الذي أصر على أمره[5] ودام على جهالته وقالوا : لن نبرح عليه عاكفين وبه موقنين[6] « أولئك الكافرون » ثم يركع ويقول في ركوعه : « سبحان ربي رب العزة وتعالى عما يصف الظالمون » يقولها مرتين ، فاذا سجد قال « الله أعلى » مرتـين « الله أعظم » مرتين • ومن شريعته الصوم يومين في السنة ، وهما المهرجان، والنيروز، والنبيذ حرام ، والخمر حلال، وألا يغتسلوا من الجنابة الا الوضوء كوضوء الصلاة، وأن من حاربه وجب قتله ، ومن لم يحاربه ممن خالفه وجب عليه الجزية ، ولا يأكل كل ذي ناب ولا كل ذي مخلب •

---

(١) الطبري ٢١٢٨ ـ وهي من المنزل على احمد ...

(٢) زاد الطبري ٢١٢٨ ـ والحج الى بيت المقدس .

(٣) انظر سورة البقرة ٢ : ١٨٩ .

(٤) في الاصل ـ نزل ـ والتصحيح من الطبري ٢١٢٩ .

(٥) في الاصل ـ عليه أمري ـ والتصحيح من الطبري ٢١٢٩ .

(٦) في الطبري ٢١٢٩ ـ مؤمنين ـ .

وكان مسير[١] قرمط الى سواد الكوفة قبل قتل صاحب الزنج • فسافر قرمط اليه وقال له : اني على مذهب ورأي ، ومعي مئة ألف ضارب سيف ، فتناظرني[٢] ، فان اتفقنا على المذهب ملت اليك، وان تكن الاخرى انصرفت عنك؛ فتناظرا فاختلفت آراؤهما ، فانصرف قرمط عنــه •

(١) في الطبري ــ ٢١٢٩ مصير ــ ومن اجل ثورة الزنــج انظر كتابي تاريــخ العرب والاسلام : ٣٠٨ ــ ٣١٠ •

(٢) في الطبري ــ ٢١٣٠ ــ اني على مذهب وورائي مائة الف صيف فناظرني .

باب ذكر ابتداء امـــر القرامطة بالبحرين

وفي سنة ست وثمانـين ومائتـين :

ظهر أبو سعيد الجنابي القرمطي بالبحرين ، فاجتمع اليه خلق كثير وجماعة من الاعراب والقرامطة ، وقوي أمره فقتل من[1] حوله من أهل القرى ، ثم سار الــى القطيف[2] فقتل [من][3] بها ، وظهر أنه يريد البصرة ، فكتب محمد بن يحيى الواثقي ــ وكان متولي البصرة ــ الى المعتضد[4] بذلك ، فأمره ببنــاء سور عــلى البصرة ، وكان مبلغ الخراج عليه أربعة عشر ألف دينار .

وكان ابتداء القرامطة بناحية البحرين أن رجلا يعرف بيحيى بن المهدي قصد قطيف ، فنزل على رجل يعرف بعلي بن المعلى بن حمدان ، مولى الزياديين ــ وكـــان يغالي في التشيع ، فأظهر له يحيى أنه رسول المهدي[5] ــ وكان ذلك سنة احــدى وثمانين ومائتين ــ وذكر أنــه خرج الى شيعته في البلاد يدعوهم الى أمره ، وأن ظهوره قد قرب ، فأخبر علي بن المعلى الشيعة من أهل القطيف ، وقرأ عليهم الكتاب الذي مع يحيى بن المهدي اليهم من المهدي ، فأجابوه وأنهم خارجون معه اذا ظهر أمره ، ووجه الى سائر قرى البحرين بمثل ذلك فأجابوه . وكان فيمن أجابه أبو سعيد الجنابي ، وكان [يبيع] للناس الطعام ويحسب لهم بيعهم . ثم غاب عنهم يحيى بن المهدي مدة ، ثم رجع ومعه كتاب يزعم أنه من المهدي الى شيعته فيه : « قد عرفني

---

(١) في الاصل ــ ما ــ والتصحيح من الطبري ــ ٢١٨٨ .

(٢) قصبة البحرين واعظم مدنها في الاسلام . معجم البلدان .

(٣) زيادة من الطبري ــ ٢١٨٨ ــ وفيه : ثم صار الى موضع يقال له القطيف بينه وبين البصرة مراحل فقتل من بها وذكر انه . . .

(٤) امتدت خلافة المعتضد من : ٢٧٩ ــ ٢٨٩ هـ/٨٩٢ ــ ٩٠٨ م .

(٥) يرجح أن المقصود به هو المهدي الفاطمي الذي سيكون ظهوره في افريقية سنة ٢٩٧ هـ حيث سيكون المؤسس الفعلي لحكم الخلافة الفاطمية .

رسولي يحيى بن المهدي مسارعتكم الى أمري فليدفع الي كل منكم ستة دنانير وثلثين » فدفعوا ذلك ، ثم غاب ، وعاد ومعه كتاب فيه « أن ادفعوا ليحيى خمس أموالكم » فدفعوا اليه الخمس ، وكان يحيى يتردد في قبائل عبد القيس ويورد اليهم كتبا يزعم أنها من المهدي ، وأنه ظاهر فكونوا على أهبة •

وحكى انسان منهم يقال له ابراهيم الصائغ ، وأنه كان عند أبي سعيد الجنابي، وأتاه يحيى ، فأكلوا طعاما ، فلما فرغوا خرج أبو سعيد الجنابي من بيته ، وأمر امرأته أن تدخل الى يحيى[1] ، وألا تمنعه ان أراد فانتهى هذا الخبر الى الوالي ، فأخذ يحيى فضربه وحلق رأسه ولحيته ، وهرب أبو سعيد ، وسار يحيى الى بني كلاب وعقيل والحريش ، فاجتمعوا معه ومع أبي سعيد ، فعظم أمر أبي سعيد وكان منه ما يأتي ذكره •

ومن أخبارهم في سنة سبع وثمانين ومائتين في ربيع الاخر،عظم أمرهم بالبحرين، وأغاروا على نواحي هجر[2] وقرب بعضهم من نواحي البصرة •

---

(١) غالبا ما تشير المصادر المعادية للقرامطة الى حوادث من هذا القبيل ، هي لا شك مخترعة استهدفت التشهير والضرب على النغمة الحساسة لدى شعوب المشرق الاسلامي .

(٢) الهجر بلغة حمير : القرية ، وفي بلاد العرب أكثر من هجر ، وهجر البحرين قاعدتها ــ معجم البلدان .

ذكر الحرب بين القرامطة وعسكر المسلمين
وهـــي اول موقعـــة

ففي سلخ ربيع الآخر : كتب محمد الواثقي الى الخليفة يسأل المدد فسير اليه سميريات[1] فيها ثلاثمائة رجل ، وأمر المعتضد باختيار جيش[2] لينفذه الى البصرة ، وعزل العباس بن عمرو الغنوي عن بلاد فارس ، وأقطعه اليمامة والبحرين ، وأمره بمحاربة القرامطة وضم اليه زهاء ألف[3] رجل ، فسار الى البصرة واجتمع اليه جمع كبير من المطوعة ، والجند، والخدم، ثم سار منها الى أبي سعيد الجنابي فلقوه مساء، وتناوشوا القتال ، وحجز بينهم الليل ، فلما كان الليل انصرف عن العباس من كان معه من أعراب بني ضبة ـ وكانوا ثلاثمائة ـ الى البصرة، وتبعهم مطوعة البصرة فلما أصبح العباس باكر الحرب ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، ثم حمل نجاح ـ غلام أحمد بن عيسى بن الشيخ ـ صاحب ميسرة العباس ـ في مئة رجل على ميمنة أبي سعيـد فوغلوا فيهم ، فقتلوا عن[4] آخرهم ، وحمل الجنابي ومن معه على أصحاب العباس فانهزموا ، وأسر العباس ، وأخذ الجنابي ما كان في عسكره .

فلما كان من الغد أحضر الجنابي الاسرى وقتلهم عن بكرة أبيهم وحرقهم . وكانت الواقعة آخر شعبان [1] .

---

(1) في الطبري ٢١٩٢ ـ بثماني شذوات ـ وهي نوع من السفن التي كانت مستعملة تلك الايام .

(2) في الاصل ـ برجل ينفذه ـ والتصحيح من الطبري ـ ٢١٩٢ ـ .

(3) الطبري ٢١٩٣ ـ الفي ـ .

(4) في الاصل ـ من ـ والتصحيح من الطبري .

(5) في الطبري ١٢٩٦ ـ وكانت هذه الوقعة فيما ذكر في آخر رجب وورد خبرهـا بغداد لاربع خلون من شعبان ـ .

ثم سار الجنابي الى هجر بعد الواقعة فدخلها وأمن أهلها،وانصرف من سلم من المنهزمين الى البصرة ــ وهم قليل بغير زاد ــ فخرج اليهم من البصرة نحو أربعمائة رجل على الرواحل ، ومعهم الطعام والكسوة والماء ، فلقوا المنهزمين ، فخرج عليهم بنو أسد ، فأخذوا الرواحل ، وما عليها ، وقتلوا من سلم من المنهزمين[1] ، فاضطربت البصرة لذلك ، وعزم أهلها على الانتقال منها ، فمنعهم الواثقي[2] وبقي العباس عند الجنابي أياما ثم أطلقه ، وقال له : « امض الى صاحبك وعرفه ما رأيت » . وحمله على رواحل ، فوصل الى بعض السواحل ، وركب البحر فوافى الابلة[3] ، ثم سار منها الى بغداد ، فوصلها في سابع رمضان ودخل على الخليفة المعتضد فخلع عليه .

وبلغني أن عبيد الله بن طاهر قال « عجائب الدنيا ثلاث : جيش العباس بن عمرو يؤسر وحده ، وينجو وحده ويقتل جميع جيشه ، وجيش عمرو بن الصفار يؤسر وحده ، ويسلم[4] جميع جيشه ، وأنا أنزل في بيتي » وتولى ابن أبي العباس الجسرين ببغداد .

ولما أطلق أبو سعيد العباس ، أعطاه درجا ملصقا وقال له : أوصله الى المعتضد فان لي فيه أسرارا ، فلما دخل على المعتضد عاتبه ، فأعطاه الكتاب فقال : والله ليس فيه شيء ، وانما أراد أن يعلمني أني أرسلتك اليه في عدد كبير ، فرجعت الي فردا .

وفي ذي القعدة : أوقع بدر ــ غلام الطائي ــ بالقرامطة على غرة منهم بنواحي ميسان[5] وغيرها وقتل منهم مقتلة كبيرة ، ثم تركهم خوفا على السواد أن يخرب[6] وكانوا فلاحيه ، فطلب رؤساءهم ، فقتل من ظفر به منهم .

---

(١) في الطبري ٢١٩٧ ــ وقتلوا جماعة ممن كان مع تلك الرواحل ومن افلت من اصحاب العباس ــ .

(٢) في الطبري ٢١٩٧ ــ فمنعهم أحمد بن محمد الواثقي المتولي لمعاونها من ذلك ــ .

(٣) الأبلة : بلدة كانت على شاطىء دجلة البصرة في زاوية الخليج الذي يدخل الى مدينة البصرة ، وهي أقدم من البصرة ــ معجم البلدان .

(٤) في الاصل ــ ينام ــ ولعل الصواب ما اثبت .

(٥) في الطبري ٢٢٠٢ ــ رودميسان ــ وميسان اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط . معجم البلدان .

(٦) في الاصل ــ خوفا ان تخرب السواد ــ والتقويم من الطبري ٢٢٠٢ .

وفي سنة تسع وثمانين ومائتين :

ظهر بالشام رجل من القرامطة ، وجمع جموعا مـن الاعراب ، وأتى دمشق ، وأميرها طغج بن جف من قبل هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون، وكانت بينهما وقعات ، وكان ابتداء حال هذا القرمطي ان زكرويه بن مهرويه الذي ذكرنا[١] ان داعيته قرمط لما رأى أن الجيوش من المعتضد متتابعة الى من بسواد الكوفة مـن القرامطة،وان القتل قد أبادهم،سعى في استغواء من قرب الكوفة من الاعراب أسد وطيء[٢] وغيرهم ، فلم يجبه منهم أحد ، فأرسل أولاده الى كلب بن وبرة[٣] فاستغووهم فلم يجبه منهم الا الفخذ المعروف ببني العليص بن ضمضم بن عدي بن جناب ومواليهم خاصة ، فبايعوا في سنة تسع وثمانين ومائتين بناحية السماوة[٤] ابن زكرويه، المسمى بيحيى المكنى أبا القاسم ، فلقبوه الشيخ وزعم أنه محمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[٥] ــ وقيل لم يكن لمحمد بن اسماعيل ولد اسمه عبد الله ــ وزعم أن له بالبلاد مائة ألف تابع ، وأن ناقته التي يركبها مأمورة ، فاذا تبعوها في مسيرها نصروا ، وأظهر عضدا له ناقصة ، وذكر أنه آيته . وأتاه جماعة من بني الاصبغ ، وسموا الفاطميين ودانوا بدينـه ، فقصدهم شبل غلام المعتضد[٦] ، من ناحية الرصافة[٧] فاغتروه فقتلوه ، وأحرقوا مسجد الرصافة،واعترضوا كل قرية اجتازوا بها حتى بلغوا ولاية هارون بن خمارويه التي قوطع عليها طغج بن جف ، فأكثروا القتل بها والاغارة ، فقاتلهم طغج فهزموه غـير مرة .

---

(١) اي في الكتاب الذي وصلنا مختصره .

(٢) في الطبري ٢٢١٧ ــ وتميم وغيرهم ــ .

(٣) كانت مساكن كلب في جنوب الشام .

(٤) اطلق اسم السماوة على البادية ما بين الكوفة والشام ، وغالبا ما كانت السيطرة بها لكلب . معجم البلدان .

(٥) يتفق هذا مع رواية ابن العديم في ترجمة صاحب الخـال . ولا شك ان اظهاره لعلامة فارقة في جسده على انها آيته هي مسألة استعيرت من فكرة خاتم النبوة .

(٦) في الطبري ــ ٢٢١ ــ سبك الديلمي مولى المعتضد . وكذا في الكامل ٨ : ٥ .

(٧) الرصافة في الشام في مواضع كثيرة ، اشهرها رصافة هشام بن عبد الملك في غربي الكوفة بينهما اربعة فراسخ على طرف البرية ــ معجم البلدان .

وفيها انتشر القرامطة بسواد الكوفة فوجه المعتضد اليهم شبلا ــ غلام أحمد بن محمد الطائي ــ وظفر بهم وأخذ رئيسا لهم يعرف بأبي الفوارس[1] فسيره الى المعتضد ، فأحضره بين يديه ، وقال له : « أخبرني هل تزعمون أن روح الله تعالى وأرواح أنبيائه تحل[2] في أجسادكم فتعصمكم من الزلل وتوفقكم لصالح العمل ؟» فقال له : « يا هذا ان حلت روح[3] الله فينا فما يضرك ، وان حلت روح ابليس ، فما ينفعك ، فلا تسأل عما لا يعنيك واسأل عما يخصك » ، فقال : « ما تقول يخصني ؟ » قال : « أقول ان رسول الله ﷺ مات وأبوكم العباس حي ، فهل طلب الخلافة ، أم هل بايعه أحد من الصحابة على ذلك ؟ ثم مات أبو بكر ، فاستخلف عمر، وهو يرى موضع العباس ، ولم يوص اليه ، ثم مات عمر ، وجعلها شورى في خمسة أنفس ، ولم يوص اليه ولا أدخله فيهم ، فبماذا تستحقون أنتم الخلافة وقد اتفق الصحابة على دفع جدك عنها ؟ » فأمر الخليفة بتعذيبه بعد تقطيع يديه ورجليه وخلع عظامه ، وشنع به .

وفي سنة مائتين وتسعين :

استفحل أمر القرامطة بعد وفاة الخليفة المعتضد .

ففي ربيع الآخر : سير طغج بن جف جيشا من دمشق ، وأمر عليه غلامه بشيرا، فهزمه القرمطي ، وقتل بشيرا

وفي سلخ جمادي الاولى : حصر القرمطي مدينة دمشق ، وضيق على أهلها ، وقتل أصحاب طغج ولم يبق منهم الا القليل ، وأشرف أهلها على الهلاك فاجتمع جماعة من أهل بغداد[4] وأرسلوا الى الخليفة ، فوعدهم بالنجدة ، وأمد المصريون أهل دمشق ببدر وغيره من القواد فقاتلوا الشيخ مقدم القرامطة وقتلوه على باب دمشق ، رماه بعض المغاربة بمزراق[5] منفط وملتهب ، فاحترق به شيخ القرامطة ،

---

(١) في الطبري ٢٢٠٦ ــ ابن ابي خوارس ــ .
(٢) في الاصل ــ تعمل ــ وما اثبت هو ما يقتضيه السياق أيضا .
(٣) في الاصل ــ جاءت ــ وما اثبت هو ما يقتضيه السياق ايضا .
(٤) في الطبري ٢٢٢٠ ــ من تجار بغداد ــ .
(٥) المزراق : رمح قصير ــ القاموس ــ .

وقتل منهم خلق كثير ، وكان هذا القرمطي يزعم أنه اذا أشار بيده الى الجهة التي فيها محاربوه انهزموا ، وكان يكنى بأبي القاسم ويسمى يحيى المعروف بالشيخ[1] .

ولما قتل هو ومن معه ، اجتمع من بقي منهم على أخيه الحسين وسمى نفسه أحمد ، وكناها أبا العباس ، ودعا الناس اليه ، فأجابه أكثر أهل البوادي وغيرهم ، فاشتدت شوكته ، وأظهر شامة في وجهه وادعى أنها آيته .

فسار الى دمشق ، فصالحه أهلها على خراج يدفعونه ، فانصرف عنهم وسار الى أطراف حمص فغلب عليها ، وخطب له على منابرها وكانت الخطباء في الخطبة تقول : « اللهم اهدنا بالخليفة الوارث المنتظر المهدي صاحب الوقت ، أمير المؤمنين المهدي . اللهم املأ الارض به عدلا وقسطا ، ودمر اللهم دمر أعداءه » ، فلما بلغه ذلك أصدر أمره بأن لا يدعي عليهم ، بل يدعى[2] لهم بالهداية ، والطاعة لامره ، وان يجعل أعداءه له خاضعين ، وينصره على كل من يعاديه ، وكان ذلك في سلخ رجب سنة مائتين وتسعين .

وفي مستهل شعبان : حضر لديه ابن عمه عيسى بن المهدي المدعو عبد الله بن محمد بن اسماعيل ، فكناه بالمدثر وعهد اليه بالقيام بالامر من بعده وزعم أنه المدثر المذكور في القرآن . ولقب غلاما له بالمطوق[3] ، وقلده قتل أسرى المسلمين .

ولما أطاعه أهل حمص وفتحوا له بابها خوفا منه، سار الى حماة، ومعرة النعمان وغيرهما فقتل أهلها ، وقتل النساء والاطفال ، ثم توجه الى بعلبك فقتل أهلها ولم يبق منهم الا القليل ، ثم سار الى سلمية فمنعه أهلها ، ولم يقدر على مقاومتهم ، فصالحهم وأمنهم ، ففتحوا له بابها ، وكان ذلك في مستهل رمضان ، فبدأ بمن فيها من بني هاشم ، وكانوا جماعة فقتلهم ولم يبق منهم أحدا ، وقتل الصبيان والفقهاء والشيوخ والبهائم ، وخرج منها وليس بها عين تطرف ، ودخل في القرى المجاورة لها يسبي ويقتل وينهب ويقطع السبيل ويأتي من المنكرات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت .

---

(١) كذا في الاصل والافضل ان يقال ـ ويعرف بالشيخ ـ والذي جاء في الطبري ٢٢٢٤ ـ هو ـ يحيى بن زكرويه الملقب بالشيخ ـ .

(٢) في الاصل يدعو ، وهو تصحيف الاصوب منه ما اثبتنا .

(٣) سنرى في النصوص المقبلة استعمال قادة قرامطة اليمن لاعوان حملوا الالقاب ذاتها

ومما يذكر عن متطبب بباب المحول[1] يدعى أبا الحسين قال : جاءتني امرأة بعدما أدخل[2] القرمطي صاحب الشامة بغداد ، وذلك في سلخ ذي الحجة . وقالت المرأة : أريد أن تعالج لي جرحا في كتفي ، فقلت ها هنا امرأة تعالج النساء ، فانتظرتها وقعدت وهي باكية مكروبة ، فسألتها عن قصتها فقالت : « كان لي ولد طالت غيبته عني ، فخرجت أطوف عليه في البلاد فلم أره ، فسرت من الرقة في طلبه ، فوقعت في عسكر القرمطي أطلبه ، فوجدته ، فحدثته عن حالي وحال اخوته ، فقال : دعيني من هذا وأخبريني ما دينك ؟ فقلت له : يا ولدي الاسلام ، كما تعلم فقال : يا أماه اتركي هذا الدين ، وادخلي معي في هذه الدعوة ، والدين ما نحن فيه اليوم ، فتعجبت من ذلك ، وخرج وتركني ، وحضر لي بخبز[3] ، فلم أمسه ، وأتاه رجل من أصحابه ، فسألني هل أحسن من أمر النساء شيئا ؟ فقلت : نعم ، فأدخلني دارا ، فاذا امرأة تطلق ، فقعدت بين يديها ، وجعلت أكلمها ، ولا تكلمني حتى ولدت غلاما ، فأصلحته وتلطفت بها حتى كلمتني ، فأخبرتني عن حالها أنها امرأة من بني هاشم أخذها هؤلاء القوم « بعد ذبح عشيرتي جميعا ، وأخذني زعيمهم فجلست عنده خمسة أيام ، ثم أمر بقتلي ، فطلبني منه أربعة من رجاله فوهبني لهم ، فأقمت معهم فوالله لا أدري ممن هـذا الولـد » .

ودخل علينا أحدهم فأشارت الي أن أهنيه بالمولود ، فقلت له : «مولود مبارك» وهنيته فأعطاني قطعة فضة ، وجاء آخر فأشارت الي ، فهنيته ، فأعطاني قطعة مـن الفضة ، ودخل آخر ففعلت معه مثل الاول ، فأعطاني ثم حضر الرابع ومعه جمع ، فهنيته فاعطاني ألف درهم ، وبت عندها تلك الليلة ، فلما أصبحت ، قلت للمرأة : قد وجب حقي عليك فالله الله خلصيني ، قالت : ممن أخلصك ؟ فأخبرتها عن ابني فقالت : عليك بالرجل الذي أعطاك الالف درهم ، فأقمت عندها اليوم كله فلما كان آخر النهار حضر الرجل ، فقمت اليه وقبلت يديه ورجليه ، ووعدتـه أني أعود[4]

---

(١) محلة كبيرة من محال بغداد ، انفردت الى جانب الكرخ ـ معجم البلدان .
(٢) في الاصل ـ دخل ـ والتقويم من الطبري ـ ٢٢٢٦ ـ .
(٣) في الطبري ـ ٢٢٢٨ ـ ثم وجه الي بخبز ولحم وما يصلحني .
(٤) في الطبري ٢٢٢٩ ـ فان اذنت لي ان امضي فأجيئك ببناتي حتى يخدمنك ويكن بـين يديك .

بعدما أعطي بناتي ما معي ، فأمر غلمانه بحملي الى مكان ذكره لهم ، فساروا بي عشرة فراسخ[1] فلحقني ابني ، وضربني بسيفه فجرحني هذا الجرح ، ومنعه القوم من أن يصل الي ، وساروا بي الى المكان الذي سماه لهم سيدهم ، ثم تركوني وجئت الى هـا هنـا .

وقالت لما قدم الامير بالقرامطة وبالاسرى ، رأيت ابني فيهم على جمل وعليه برنس ، وهو يبكي ، فقلت : لا خفف الله عنك ولا خلصك .

وفي هذا الزمن وصل الى المكتفي[2] كتب أهـل الشام ومصر ، وفيهـا بث شكواهم ، وما يلقونه من القرامطة من القتل والسبي والاسر وتخريب البلاد ، فأمر الجند بالتأهب ، وخرج من بغداد في سلخ رمضان ، وسار الى الشام وجعل طريقه على الموصل ، وقدم بين يديه أبا الأغر[3] بعشرة آلاف رجل ، فنزل قريبا من حلب ، فكبسهم القرمطي صاحب الشامة ، وقتل منهم خلقا كثيرا ، وسلم أبو الاغر ، فدخل حلب ومعه ألف رجل ، وكانت هذه الواقعة في مستهل شوال ، وتقدم القرمطي الى باب حلب فحاربه أبو الاغر ، وأعانه أهل البلد ، فـرد القرمطي[4] ، ونزل المكتفي بالرقة ، وبعث الجيش ، وجعل أمره الى محمد بن سليمان الكاتب .

وفيها في شوال : وقعت محاربة بين القرمطي صاحب الشامة ، وبدر مولى ابن طولون ، فانهزم القرمطي ولم يقدر أن يقاومه لشدة بأس جيوش مصر وجبارتهم وصبرهم على القتال ، وما أظهروه من الشجاعة ، ففتكوا بالقرامطة فتكا ذريعا ، ومزقوهم كل ممزق ، وهرب من سلم منهم نحو البادية ، فأرسل المكتفي في أثرهم الحسين بن حمدان ، وغيره من القواد .

وفيها كبس ابن بانو أمير البحرين حصنا للقرامطة ، فظفر بمن فيه ووقع بينه

---

(1) في الطبري ٢٢٢٩ ـ وقال يا فاعلة زعمت انك تمضين وتجيئين ببناتك .

(2) كانت خلافة المكتفي من سنة ٢٨٩ وحتى ٢٩٥ هـ/٩٠٢ ـ ٩٠٨ م .

(3) انظر ترجمته فيما يلي من نصوص .

(4) أورد الطبري ـ ٢٢٣١ ـ هـذا الحدث في تفصيلات اكبـر ، انظر ايضا النص المقتبس من بغية الطلب .

وبين[1] أبي سعيد الجنابي ، فهزمهم ابن بانو ـ وكان مقامه بالقطيف ـ ثم قتل في هذه المعركة ولي عهد الجنابي وأخذت رأسه وفتح القطيف •

وفي سنة احدى وتسعين ومائتين :

سار محمد بن سليمان بأمر الخليفة المكتفي لمحاربة صاحب الشامة ، فالتقى به في مكان قبل حماة بعشرة أميال، وذلك في مستهل المحرم فقدم القرمطي أصحابه لهم، وبقي في جماعة من جنده ليحتفظ بمال جمعه ، ووقعت موقعة عظيمة بين جند الخليفة والقرامطة ، واشتدت رحى الحرب بينهما ، فانهزمت القرامطة شر هزيمة وأسر منهم الجم الغفير ، وتفرق من بقي منهم في البوادي ، وتبعهم جند الخليفة •

فلما رأى صاحب الشامة ما حل بأتباعه حمل أخاه أبو الفضل مالا ، وأمره أن يلحق بالبوادي الى أن يظهر بمكان فيسير اليه ، وسار بابن عمه المدثر ، والمطوق [صاحبه[2]] وغلام له رومي الى الكوفة عرضا في البرية فانتهى الى الدالية وأرسل بعض من كان معه ليأخذ ما يحتاجون اليه فدخل الدالية المعروفة بدالية [ابن طوق][3] ليشتري لهم بعض حوائج فاشتبه فيه بعض أهل الناحية ، وأنكروا أمره ، وأخذوه الى الوالي المدعو بأبي خبزة خليفة أحمد بن محمد بن كشمرد ، فسأله عن حالـه فأخبره أن القرمطي صاحب الشامة وراء رابية خارج البلد ، ومعه الثلاثة فأرسل اليهم ابن كشمرد جنده ، فأحضرهم لديه ، وأرسلهم الى الخليفة بالرقة[4] ورجعت الجيوش من طلبهم •

وكان الحسين بن حمدان أشجع الفرسان في قتال القرامطة واستئصال شأفتهم من قتل وأسر ، وتتبعهم في كل مكان حتى ضرب به المثل ، فكتب محمد [بن]سليمان

---

(١) في الطبري ـ ٢٢٣٢ ـ قرابة لابي سعيد الجنابي وولي عهده من بعده على اهل طاعتـــه .

(٢) الاضافة من الطبري ـ ٢٢٣٨ ـ .

(٣) الاضافة والتقويم من الطبري ـ ٢٢٣٨ ـ والداليه مدينة على شاطىء الفرات في غربيه بين عانه والرحبة . معجم البلدان .

(٤) في الطبري ـ ٢٢٣٨ ـ « فمضى اليهم فاخذهم . وصار بهم الى صاحبه، فتوجه بهم ابن كشمرد وابو خبزة الى المكتفي بالرقة » . وهو الاصح .

للخليفة يثني عليه ، وعلى بني شيبان فانهم اصطلوا نار الحرب ، وهزموا القرامطة ، وحكموا السيف في أعناقهم، وزحفوا عليهم وشتتوا شملهم ،وأسروا منهم، ومزقوهم كل ممزق ، حتى لم ينج الا القليل .

وفي يوم الاثنين لاربع بقين من المحرم : أدخل صاحب الشامة الرقة راكبا جملا ذا سنمين ، ومعه المدثر والمطوق ، وسار بهم الخليفة الى بغداد ، وأدخل القرمطي بغداد راكبا فيلا ، وأصحابه على جمل ، وبعد أن طاف بهم المدينة أمر بحبسهم

وقدم بغداد محمد بن سليمان ومعه الجند ، ومعهم من ظفروا بـه من أعيان القرامطة ورؤوسهم ، وأخرج أبا الشامة أصحابه من السجن فشنع بهم ، وضرب أبو الشامة مائة سوط ، وقطعت يداه ، وكوي فغشي عليه ، فأحرقوا خشبا ، وجعلوه على خواصره فصار يفتح عينيه ويغمضها ، فلما خشوا موته ضربوا عنقه ، ورفعوا رأسه على خشبة ، فكبر الناس حين رأوها وهللوا ونصبوها على الجسر[1] .

وفيها قدم اسماعيل بن النعمان ، من أعيان القرامطة ــ ولـم ينج من رؤساء القرامطة غيره ــ فحضر بأمان من المكتفي ومعه مائة وستون نفرا فأحسن اليهـم الخليفة، ووصلهم بمال ، وسيرهم مع القاسم [بن سيما][2] الى رحبة مالك بن طوق، فأقاموا معه مدة ثم أرادوا الغدر بالقاسم وائتمروا على أن يفتكوا به[3] يوم الفطر وقت صلاة العيد ، فعلم بذلك القاسم فقتلهم ، فارتدع من بقي منهم ، وذلوا الى أن جاءهم كتاب من الخبيث ابن زكرويه[4] ، وفيه يخبرهم بأنه أوحى اليه أن صاحب الشامة وأخاه المعروف بالشيخ يقتلان،وأن امامه الذي هوحي[5] يظهر بعدها ويظفر .

---

(١) من اجل تفصيلات اكثر انظر. الطبري ــ ٢٢٤٣ ــ ٢٢٣٦ .

(٢) الاضافة من الطبري ــ ٢٢٤٧ ــ وكان ابن سيما آنذاك متوليا احد اعمال طريق الفرات . وذكر الطبري أن الداعي القرمطي كان يكنى ــ أبا محمد ــ وان الذين قدموا معه كانوا نيفا وستين رجلا ، وتقع بقايا الرحبة الان قرب بلدة الميادين السورية على الفرات قرب الحدود السورية العراقية .

(٣) في الاصل بهم .

(٤) في الطبري ــ ٢٢٤٨ ــ الخبيث زكرويه ، وهو اقوم .

(٥) في الطبري ــ ٢٢٤٧ ــ الذي يوحي اليه .

وفي سنة ثلاث وتسعين ومائتين :

أنفذ زكرويه بن مهرويه بعد قتل صاحب الشامة نصر بن عبد الله بن سعيد[1] ويكنى أبا غانم ، معلم الصبيان [بقربه تدعى] الزابوقة[2] فدار على أحياء العرب من كلب وغيرهم يدعوهم الى رأيه ، فلم يقبله منهم أحد الا رجل من بني زياد يسمى مقدام بن الكيال ، واستغوى[3] طوائف من الاصبغين المنتمين الى الفواطم وغيرهم من العليصين وصعاليك من سائر بطون كلب .

وقصد ناحية الشام والعامل بدمشق والاردن أحمد بن كيغلغ ، وهو بمصر يحارب الخلنجي ، فاغتنم ذلك نصر بن عبد الله بن سعيد ، وسار الى بصرى وأذرعات والبثنية[4] فحارب أهلها ، ثم أمنهم ، فلما استسلموا اليــه قتل مقاتليهم ، وسبى ذراريهم ، وأخذ أموالهم .

ثم قصد دمشق ، فخرج اليه نائب ابن كيغلغ المدعو صالح بن الفضل فهزمــه القرامطة [وعسكره] وفتكوا فيهم فتكا ذريعا ، ثم أمنوهم وغرروا بهــم وقتلوا صالحا ، وقضوا على عسكره ، وأرادوا دخول دمشق فمنعهم أهلها ورموهم بقوارير النفط من : القلاع ، والحصون ، وسور المدينة ، فلم يتمكنوا من دخول دمشق .

فقصدوا طبرية ، وانضم اليهم جماعة من أطراف البوادي المجاورة لدمشق ، فتنهم القرمطي ، وعند وصولهم طبرية خرج اليهم يوسف بن ابراهيم بن بغامردي ، خليفة أحمد بن كيغلغ بالاردن ، فهزموه شر هزيمة ثم أمنوه وغدروا به وقتلوه ، ونهبوا طبرية وأعملوا في أهلها السيف ، وسبوا النساء ، وقتلوا الشيوخ والاطفال .

فوصلت الاخبار الى الخليفة ، فأنفذ أمره الى الحسين بن حمدان وبعض من القواد [للشروع] في قتال القرامطة واستئصال شأفتهم ، فقصدوا دمشق ، فلما علم

---

(1) في الطبري ــ ٢٢٥٦ ــ عبد الله بن سعيد ، ثم تسمى بعد انفاذه « نصرا » .

(2) في الاصل ــ الراقوقة ــ والتقويم من الطبري ــ ٢٢٥٦ ــ وفيه انها : كانت من عمل الفلوجة ، وهذا ما أورده ياقوت في معجم البلدان .

(3) في الطبري ــ ٢٢٥٦ ــ استغوى له .

(4) بصرى ما تزال تعرف بهذا الاسم في جنوب سورية ، وأذرعات هي درعا الحالية في سورية واطلق اسم البثنية على المنطقة الواقعة الى جنوب دمشق ودرعا .

القرامطة ، انسحبوا راجعين نحو السماوة ، وتبعهم الحسين وجنده الى السماوة ، فوجدهم يسدون العيون ويغورونها ، ويردمون البرك حتى لجئوا الى ماءين يعرف أحدهما بالدمعانة والاخر بالحالة[1] فرجع ابن حمدان الى الرحبة .

وأسرى القرامطة مع نصر الى هيت وأهلها غافلون فنهبوها ، فتحصن أهـل المدينة بسورها فنهبوا السفن وقتلوا من أهل المدينة ما يربو عن مئة نفس ، ونهبوا الاموال والمتاع ، وأخذوا ثلاثة آلاف راحلة من الحنطة .

وبلغ الخبر الى الخليفة المكتفي فبعث اليهم محمد بن اسحق بن كنداج فلـم يقيموا[2] لمحمد وانسحبوا الى الماءين ، فتبعهم محمد واقتفى أثرهم، فوجدهم سدوا العيون والابار وردموها بالرمال والاحجار ، فوصل اليهم من بغداد الامداد ، وكتب الى ابن حمدان بالمسير اليهم لينضم الى جيش محمد ، فساروا حتى التقوا ، فلمـا أحس الكلبيون بأخبار[3] الجيوش اليهم قاموا الـى نصر زعيم القرامطة فقتلوه ، وسار برأسه رجل منهم يدعى الذئب بن القائم الى الخليفة المكتفي ، وطلب الامان والقرب ، فأمر الخليفة بذلك ، وأجازه بجائزة وأمر[4] بالكف عن قتال قومه .

وحصلت موقعة بين القرامطة ، بعد مقتل نصر ، حتى صارت الدماء بينهـم ، وافترقت فرقة منهم الى بني أسد بنواحي عين التمر[5]،وقدموا معذرتهم الى الخليفة المكتفي فعفا عنهم ، وبقي على الماءين فرقة ممن له بصيرة في دينه ، فأرسل الخليفـة الى ابن حمدان بقتلهم جميعا حتى لا يبقى ــ منهم ديار ولا نافخ نار ــ ، فأرسل اليهم زكرويه بن مهرويه واعية له [يسمي[6]] القاسم بن أحمد ، ويكنى بأبي محمد [فأعلمهم][7] أن فعل الذئب قد نفره منهم ، وأنهم قد ارتدوا عن الدين ، وأن وقت

---

(١) في الاصل ــ الحبالة ــ والتقويم من الطبري ــ ٢٢٥٨ ــ وياقوت مادة ــ الحالة ــ

(٢) الاصوب أن يقال ــ يقوموا ــ ولكن ما جاء في الطبري ــ ٢٢٥٩ ــ فلم يقيموا بها الا ثلاثا حتى قرب محمد بن اسحق منهم فهربوا منه نحو الماءين .

(٣) في الطبري ــ ٢٢٥٩ ــ فلما حس الكلبيون باشراف الجند عليهم ــ وهو افضل.

(٤) في الاصـل ــ اواصر ــ .

(٥) بلدة قرب الانبار غربي الكوفة ــ معجم البلدان .

(٦) الاضافة من الطبري ــ ٢٢٦٠ ــ .

(٧) الاضافة من الطبري ــ ٢٢٦٠ ــ .

ظهوره قد حان ، وقد بايع له بالكوفة أربعون ألفا ، وأن يوم موعدهم الذي ذكره الله في شأن موسى صلوات الله عليه وعدوه فرعون وهو يوم الزينة (وأن يحشر الناس ضحى)[1] ، وأوصى أن يخفوا أمرهم ، وأن يسيروا حتى يصلوا الكوفة يوم النحر في عام ثلاث وتسعين ومائتين فلا يجدون مانعا منها ، ووعدهم بظهوره لهم ، وأن يأتوا اليه بالقاسم بن أحمد ، فأطاعوا أمره ، ودخلوا الكوفة وقت أن انصرف الناس عن مصلاهم ، وعاملها اسحق بن عمران ، وكانوا ثمانمائة فارس مدرعين بالالات الحسنة ، وضربوا مخيما على القاسم بن أحمد ، قبة من الديباج المزركش ، ونادوا حوله : هذا ابن رسول الله ﷺ ، وطلبوا بأخذ الثأر للحسين ، ويعنون بذلك الحسين بن زكرويه المصاوب ببغداد ، وينادون يا أحمد يا محمد ، يعنون بذلك أبناء زكرويه المقتولين ، ورفعوا أعلامهم البيض ، قصدوا بذلك استفزاز رعاع الناس والتفافهم حولهم ، فلم يلتفت اليهم أحد فأخذوا السلاح وأعملوا القتل في أهل الكوفة فقتلوا أكثر من عشرين نفسا ، فبادر أهل الكوفة بأخذ السلاح ، وقدمهم اسحق ، ودخل مدينة الكوفة مائة فارس من القرامطة ، فقتل منهم عشرين شخصا ، وخرجوا منها هاربين ، فهزمهم اسحق فتقهقروا نحو القادسية ، وكان فيمن يقاتل مع اسحق جماعة من الطالبية .

وأرسل اسحق الى الخليفة يطلب المدد ، فأنفذ أمره الى وصيف بن صوار تكين التركي ، والفضل بن موسى ، وبشر الخادم والافشين ، وغيرهم من الغلمان فساروا في سلخ ذي الحجة ، ووافوا القادسية ونزلوا بالصوان[2] ، فلقيهم زكرويه .

وأما القرامطة فانهم أخرجوا زكرويه من جب في الارض كان منقطعا فيه سنين كثيرة بقرية الردية[3] ، وكان على الجب باب حديد محكم العمل وكان زكرويه اذا خاف الطلب جعل تنورا هناك على باب الجب ، وقامت امرأة تسجره فلا يفطن اليه ، وكان ربما أخفي في بيت خلف الدار التي كان بها ساكنا ، فاذا انفتح باب الدار ،

---

(١) سورة طه ٢٠ : ٥٩ .

(٢) في الطبري ــ ٢٢٦٢ ــ الصوار ــ والصحيح ما ورد هنا انظر ص١ من نص ابن العديم .

(٣) كذا في الاصل وفي الطبري ــ ٢٢٦٤ ــ الدرية ــ ولم يذكر ياقوت أيا من الاسمين .

انطبق على باب البيت ، فيدخل الدار فلا يرى شيئا ، فلما استخرجوه حملوه وسموه ولي الله ، ولما رأوه سجدوا له .

وحضر معه جماعة من دعاته وخاصته ، وأعلمهم أن القاسم بن أحمد من أعظم الناس عليهم ذمة ومنة ، وأنه ردهم الى الدين بعد خروجهم عنه ، وأنهم ان امتثلوا أوامره أنجز موعدهم ، وبلغوا آمالهم ، ورمز لهم رموزا ، ذكر فيها آيات من القرآن ، نقلها عن الوجه الذي نزلت فيه فاعترف له من رسخ حب الكفر في قلبه أنه رئيسهم وكهفهم ، وأيقنوا بالنصر ، وبلوغ الامل ، وسار بهم وهو محجوب ، يدعونه السيد ، ولا يبرزونه ، والقاسم يتولى الامور ، وأعلمهم أن أهل السواد قاطبة خارجون اليه ، فأقام بسقي الفرات عدة أيام ، فلم يصل منهم الا خمسمائه رجل ، ثم وافته الجنود المذكورة من عند الخليفة ، فلقيهم زكرويه بالصوان ، وقاتلهم ، واشتد الحرب بينهم وكانت الهزيمة أول النهار على القرامطة ، وكان زكرويه قد كمن لهم كمينا من خلفهم ، فلم يشعر رجال الخليفة الا والسيف فيهم من ورائهم ، فانهزموا أقبح هزيمة ، ووضع القرامطة السيف فيهم فقتلوهم كيف شاءوا ، وغنموا سوادهم ، ولم يسلم من رجال الخليفة الا من دابته قوية ، أو من أثخن بالجراح ، فوضع نفسه بين القتلى ، فتحاملوا بعد ذلك .

وأخذ للخليفة من هذا المعسكر أكثر من ثلاثمائة جمازة عليها المال والسلاح ، وخمسمائة بغل ، وقتل سوى الغلمان ألف وخمسمائة رجل .

وقويت القرامطة ، ولما وصل خبر هذه الواقعة الى بغداد أعظمها الخليفة والناس ، وندب الى القرامطة محمد بن اسحق بن كنداج ، وضم اليه من الاعراب بني شيبان وغيرهم ، أكثر من ألفي رجل ، وأعطاهم الارزاق ، ورحل زكرويه من مكانه الى نهر المثنية لنتن القتلى .

وفي سنة اربع وتسعين ومائتين في المحرم :

ارتحل زكرويه من نهر المثنية يريد الحج ، فبلغ السلمان[1] وأقام ينتظرهم ، فبلغت القافلة الاولى واقصة[2] سابع المحرم ، فأنذرهم أهلها وأخبروهم بقرب القرامطة ، فارتحلوا لساعتهم ، وسار القرامطة الى واقصة فسألوا أهلها عن الحاج ،

---

(١) ماء على الطريق الواصلة بين تهامة والعراق، وهو قديم جاهلي ــ معجم البلدان.
(٢) منزل على طريق العراق مكة ــ معجم البلدان .

فأخبروهم أنهم ساروا ، فاتهمهم زكرويه ، فقتل العلافة وأحرق العلف ، وتحصن أهل واقصة في حصنهم فحصرهم أياما ، ثم ارتحل عنهم نحو زبالة[1] وأغار في طريقه على جماعة من بني أسد ، ووصلت العساكر بأمر الخليفة من بغداد الى عيون الطف[2] فبلغهم مسير زكرويه من السلمان ، فانصرفوا وسار غيلان بن كشمرد [مع قطعة من فرسان الجيش][3] جريدة فنزل واقصة بعد أن جازت القافلة الاولى ، ورأى زكرويه القرمطي قافلة الخراسانية بعقبة الشيطان راجعين من مكة فحاربهم حربا شديدا فلما رأى شدة بأسهم وأنه لا طاقة له بهم سألهم هل فيكم نائب السلطان ؟ فأجابوه : ما معنا أحد ، فقال : لست أريدكم ، وقد اطمأنوا لقوله ، وساروا ، فكر عليهم في سيرهم ، وأعمل فيهم السيف ، فلم ينج منهم أحد الا الشريد ، وغنم ما كان معهم من زاد ومال ، وسبى النساء ، وشنع بالشيوخ والاطفال ولقي بعض المنهزمين غيلان بن كشمرد ، فأخبره بالواقعة ، وقالوا ما بينك وبينهم الا القليل ، ولو رأوك لقويت نفوسهم فالله الله فيهم فأجاب :لاأعرض جيش الخليفة للقتل ، وكر راجعا مع أصحابه، وأرسل من نجا من الحجاج الى رؤساء القافلة الثالثة يحذرونهم[4] ، وأعلموهم بما جرى لهم من القرامطة وأن[5] يعدلوا عن المجيء من هذا الطريق ، والرجوع الى فيد[6] والمدينة الى أن تأتي جيوش الخليفة ، فلم يتعظوا بذلك وساروا لقضاء الله وقدره . « تهم الهمم ، ويسعى القدم ، لعمر دنا أو رزق قسم ، والمكتوب ما منه مهروب وما قدر كان »[7] .

وسارت القرامطة من العقبة بعد قتل الحجاج وما غنموه وسبوه من النساء ، فسدوا الابار التي[8] على الطرق ، والبرك بالجيف والرمال والاحجار بواقصة

---

(1) قال ياقوت : منزل معروف بطريق مكة من الكوفة فيهما حصن وجامع لبني غاضرة من بني أسد .

(2) هي الارض التي وقعت فيها كارثة كربلاء وقتل الحسين بن علي،سبط النبي ﷺ ـ انظر معجم البلدان .

(3) في الطبري ـ ٢٢٧٠ ـ علان . والاضافة من الطبري نفس الصفحة .

(4) في الاصل ـ يحذووهم .

(5) في الاصل ـ وانهم ـ .

(6) قال عنها ياقوت : بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة .

(7) يبدو ان هذه الجملة قد اقحمت في الاصل .

(8) في الاصل ـ الذي ـ .

والثعلبية والعقبة ، وغيرها من المسالك في جميـــع طرقهم وأقام بالهبير[1] ينتظر في القافلة الثالثة فلما حضرت قاتلها ثلاثة أيام وهم على غير ماء ، ولم يجدوه من قبل مسيرهم بأيام ، فاضطروا للتسليم لشدة ما بهم من العطش ، فوضع فيهم السيف ، وقتلهم عن بكرة أبيهم ولم ينج منهم أحد ، وجمع القتلى كقمة جبل ، وأرسل خلف من انهزم يبذل لهم الامان ، فلما حضروا ، قتلهم وغدر بهم لعنه الله ، وكان في القتلى مبارك القمي وولده [وأسر][2] أبو العشائر بن حمدان وكانت نساء القرامطة يطفن بالماء على القتلى ، فمن رأينه حيا قتلوه ، وعدد القتلى في الموقعة عشرون ألفا ، ولم ينج منهم الا من هرب وقت اشتغال القرمطي بالحرب ، أو من نام بين القتلى ، ولم يفطن لـــه .

وجملة ما غنموه من هذه الموقعة مائـــة ألف دينار ، وكان في جملة ما أخذوه أموال الطولونية ، فانهم لمـــا عزموا على الانتقال من مصر الى بغـــداد ، خافوا أن يستصحبوها فتؤخذ منهم ، فعملوها سبائك وجعلوها في حدائج الجمال ، وجميع ما لهم من الحلي والجواهر ، وأرسلوا الجميع الى مكة سرا ، وكان جميع ما لهم في هذه القافلة فأخذت .

وبعث زكرويه يستطلع جند الخليفة الذي كان بالقادسية ، وأقام ينتظر وصول من كان في الحج من عسكر الخليفة وأصحابه،وكانوا مقيمين بفيد ومنتظرين الاخبار، هل القرمطي تعرض للحجيج ؟ وكان معهم جماعة من التجار وأرباب الاموال ، فلما بلغهم خبر من قبلهم ، وما جرى من القرامطة ، جلسوا ينتظرون وصول النجدات من عند الخليفة . فسار الملعون الخبيث زكرويه لعنه الله ــ وسد الابار وردم البرك في الطريق والمياه ــ الى فيد فاحتمى وتحصن أهل فيد ومن بها من الحجيج بالحصنين اللذين بفيد ، وحاصرهم القرمطي وضيق عليهم ، وأرسل الى أهلهما يأمرهم بالتسليم

---

(1) قال ياقوت : الهبير : رمل زرود في طريق مكة .

(2) الاضافة من الطبري ــ ٢٢٧٢ ــ وفيه أن ابن مبارك القمي كان يسمى المظفر .

ويؤمنهم على ذلك ، فلم [يجيبوه][1] ، وهددهم بالقتل والسلب والنهب ، فازداد امتناعهم،فأقام محاصرا لهم عدة أيام،ثم رحل الى النّباج ثم الى حَفَر أبي موسى[2].

---

(1) زيادة من الطبري ـ ٢٢٧٥ ـ

(٢) في الاصل ـ الساج ثم الى جعفر ـ والتقويم من بلاد العرب ص ٣٣٩ ، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي،ط . بيروت ١٩٦٨،وياقوت مادتي ـ حفر والنباج ـ وكتاب المناسك ص ٥٧٩ ، تحقيق حمد الجاسر ، ط . بيروت ١٩٦٩ . وهو يدعى الآن حفر الباطن .

خبر مقتـــل الملعون زكرويـــــه

ولما تطايرت الاخبار الى الخليفة المكتفي ، وعلم بما جرى للحجيج عظم ذلك عليه ، وعلى كافة المسلمين ، فأنفذ أمره بتجهيز الجيوش ، وسيرها في ربيع الاول بقيادة وصيف بن سوارتكين ، مع بقية القواد وعلى طريق خفان[1] ، فلقيهم زكرويه ومن معه من القرامطة في ثامن ربيع الاول ، ونشب بينهم الحرب يومهم الى أن حال بينهم الظلام ، وباتوا يتحارسون ويحتاطون شدة الاحتياط ، فلما أصبحوا نشب الحرب بينهم ، ووقعت موقعة قتال عنيف ، قتل فيها من القرامطة ما لا يحصى عدده حتى وصلوا الى الملعون الخبيث زكرويه ، فضربه بعض الجند ــ وهو منهزم ومول الهرب ــ على رأسه ضربة شديدة بسيفه أفضت الى دماغه[2] ، فوقع على الارض مضرجا بدمائه ، فحملوه أسيرا ، وأخذوا من هو خليفته، وخواصه، وأقرباؤه وكاتبه، وزوجته وابنه ، واحتوى العسكر على كل ما كان عند زكرويه ، ومات [و] هلك الملعون زكرويه بعد مضي خمسة أيام ، فأرسلت جثته والاسرى الى بغداد ، وفـــر جماعة من أصحابه الى الشام ، فلقيهم الحسين بن حمدان فقتلهم جميعا ، وأخذوا جماعة من النساء والصبيان . وحملوا رأس زكرويه الى خراسان لئلا ينقطع الحج ، وأخذ الاعراب رجلين من أصحاب الملعون أحدهما يعرف بالحداد والثاني بالمنتقم ، وهو أخو امرأة زكرويه ، سارا اليهم يدعوانهم الى[3] اعتناق مذهبهم ، والخروج معهم ، فلما أخذوهما سيروهما الى الخليفة فقتلهما . وتتبع الخليفة القرامطة بالعراق، فقتل منهم وحبس البعض ومنهم من مات في سجن الخليفة .

---

(١) موضع قرب الكوفة ، كان يسلكه الحاج احيانا ، وهو فوق القادسيـة ــ معجم البلدان .

(٢) في الاصل ــ راسه ــ والتقويم من الطبري ــ ٢٢٧٥ ــ

(٣) في الاصل سار اليهم يدعوهم والتقويم من الطبري ــ ٢٢٧٩ ــ

وفي سنة احدى وثلاثمائة :

في هذه السنة قتل كبير القرامطة أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي[1] قتله خادمه في الحمام ، فلما قضي عليه وهنك خرج خارج الحمام وهمس في أذن رجل عظيم من رؤسائهم يستدعيه بأن مولاه يريده ، فدخل معه الحمام فقتله ، وخرج ودعا آخر من عظماء القرامطة ، وفعل معه فعلته الاولى الى أربعة منهم ، فلما استدعى الخامس ، فطن لذلك ، فمسك يد الخادم وصاح ، فاجتمع النساء والرجال ، وحصل بينهم وبين الخادم مناظرات ، وقتلوه .

وكان أبو سعيد الجنابي [قد][2] عهد لابنه الاكبر سعيد ، فعجز عن القيام بالامر ، فغلبه أخوه الاصغر أبو طاهر سليمان ، وكان شجاعاً شهماً ، وسيرد من أخباره فيما بعد .

وكان أبو سعيد استولى على الاحساء والقطيف وهجر (والطائف) وسائر بلاد البحرين . وكان المقتدر كتب له كتابا لينا بشأن من عنده من أسرى المسلمين ، ويناظره ويقيم الدليل على فساد مذهبه ، وأنفذ معه الرسل فلما وصلوا الى البصرة بلغهم خبر موته ، فأرسلوا الى الخليفة فأمرهم بالتوجه الى ولده ، فأتوا أبا طاهر ، فأكرم الرسل ، وأطلق الاسرى ، وأرسلهم الى بغداد ، وأجاب عن العتاب[3] .

وفي حوادث القرامطة

في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة :

تقوى أبو طاهر ، وفيها قصد البصرة فدخلها ليلا في ألفي[4] وسبعمائة رجل ، ومعه السلالم الشعر ألقاها على السور ، وصعد اليها ، وفتح الباب وقتل النفر الموكلين بالحراسة، وكان ذلك في ربيع الآخر ، وكان والي البصرة سُبْك المُفلحي ، فلم يشعر بهم الا سحرا ، ولا علم أنهم القرامطة وكان معتقده أنهم أعراب تجمعوا ،

---

(١) الى هنا انتهى ما اورده الطبري ــ انظر المجلد الرابع . طبعة برل سنة ١٨٩٠ م.

(٢) الاضافة من الكامل ٨ : ٦٣ ط ، برل ١٨٢٦ م ــ .

(٣) مرد هذا ليس لحداثة عهد أبي طاهر ، ولكن لقيام الخلافة الفاطمية ، وموقف قرامطة البحرين واليمن هنا .

(٤) كذا في الاصل،والافضل أن يقال: ــ ألفين ــ.وجاء في الكامل ٨: ١٠٥ ــ الف ــ.

فركب اليهم فقتلوه ووضعوا السيف في أهل المدينة ، وهرب الناس الى الكلاء[1] ، وحاربوا القرامطة عشرة أيام بلياليها ، فظفر بهم القرمطي وقتلوا خلقا كثيرا ، وطرح الناس أنفسهم في الماء فغرق أكثرهم .

وأقام أبو طاهر بالبصرة ثمانية عشر يوما ، يحمل منها ما يقدر على حمله من الاموال ، والامتعة ، والنساء ، والصبيان ، ورجع الى بلده . وولى المقتدر على البصرة عاملا محمد بن عبد الله الفارقي ، فانحدر اليها ، وقد رحل عنها أبو طاهر .

وفي سنة اثني عشرة وثلاثمائة :

تحرك أبو طاهر القرمطي الى الهبير ، ومعه جيش عرمرم ليلقى الحج في رجوعه في مكة ، فأوقع بقافلة تقدمت معظم الحاج ، وكان فيها خلق كثير من أهل بغداد وغيرهم ، فنهبهم ، واتصل الخبر بباقي الحجاج وهم بفيد ، فأقاموا بها حتى فني زادهم ، فارتحلوا مسرعين ، وكان أبو الهيجاء بن حمدان قد أشار عليهم بالعود الى وادي القرى ، وأنهم لا يقيمون بفيد ، فاستبعدوا الطريق ولم يقبلوا منه — وكان الى أبي الهيجاء طريق الكوفة — وكثر الحاج ، فلما فني زادهم ساروا على طريق الكوفة فأوقع بهم القرامطة وأخذوهم،وأسروا أبا الهيجاء وأحمد بن كشمرد ونحريرا، وأحمد بن بدر ، عم والدة المقتدر ، وأخذ أبو طاهر جمال الحجاج جميعها ، وما أراد من الامتعة والاموال والنساء والصبيان،وعاد الى هجر وترك الحجاج في مواضعهم[2] فمات أكثرهم جوعا وعطشا من حر الشمس . وكان عمر أبي طاهر حينئذ سبع عشرة سنة .

وانقلبت بغداد واجتمع حرم المأخوذين الى حرم المنكوبين الذين نكبهم ابن الفرات وجعلن ينادين : القرمطي الصغير أبو طاهر قتل المسلمين من الحاج في طريق مكة والقرمطي الكبير ابن الفرات قتل من في بغداد من المسلمين ، وكانت صورة شنيعة وكسر العامة منابر الجوامع وسودوا المحاريب يوم الجمعة[3] لست خلون من صفر ، وضعفت نفس ابن الفرات وحضر عند المقتدر ليأخذ أمره فيما يفعله ، وحضر نصر الحاجب المشورة ، فانبسط لسانه على ابن الفرات ، وقال له : الساعة تقول أي

---

(١) في ياقوت : — مادة الكلاء — اسم محلة مشهورة وسوق البصرة أيضا — .
(٢) في الاصل — مواضع — والتقويم من الكامل ٨ : ١٠٨ ومسكويه ١ : ١٢١ .
(٣) في الاصل — الجميع — والتقويم من الكامل ٨ : ١٠٨ .

شيء نصنع ؟ وما هو الرأي ، بعد أن زعزعت أركان الدولة وعرضتها للزوال : في الباطن بالميل مع كل عدو يظهر ، ومكاتبته ومهادنته ، وفي الظاهر بابعادك مؤنسا ، ومن معه الى الرقة،وهم سيوف الدولة ، فمن يدفع الآن هذا الرجل ان قصد الحضرة أنت أو ولدك ؟! وقد ظهر الان أن مقصودك بابعاد مؤنس، وبالقبض علي وعلى غيري أن تستضعف الدولـة ، وتقوي أعداءها ، فتشفي غيظ قلبك ممن صادرك وأخـذ أموالك ، ومـن الذي سلم الناس الى القرمطي غيرك لما يجمع بينكما مـن التشيع والرفض، وقد ظهر أيضا أن ذلك الرجل العجمي[1] كان من أصحاب القرمطي، وأنت أوصلته . فحلف ابن الفرات أنه ما كاتب القرمطي ولا هاداه، ولا رأى ذلك الاعجمي الا تلك الساعة ، والمقتدر معرض عنه ، وأشار نصر على المقتدر أن يحضر مؤنسا ومن معه ، ففعل ذلك وكتب اليه بالحضور ، فسارع الى ذلك ، ونهض ابن الفرات فركب في طياره فرجمته العامة حتى كاد يغرق

وتقدم المقتدر الى ياقوت بالمسير الى الكوفة ليمنعها من القرامطة فخرج في جمع كثير ومعه ولداه : المظفر ، ومحمد ، فخرج على ذلك العسكر مال كثير . وورد الخبر بعود القرامطة فعطل مسير ياقوت ، ووصل مؤنس المظفر الى بغداد . ولما رأى المحسن ابن الوزير ابن الفرات انحلال أمورهم ، أخذ من كان محبوسا عنده مـن المصادرين فقتلهم ، لانه كان قد أخذ منهم أموالا جليلة ، لم يوصلها الى المقتدر ، فخاف أن يقروا عليه .

ثم ان الارجاف كثر على ابن الفرات ، فكتب الى المقتدر يعرفه ذلك ، وانمـا عادوه لنصحه وشفقته وأخذ حقوقه منهم ، فأنفذ المقتدر اليه يطيب قلبه ، فركب هو وولده الى المقتدر،فأدخلهما اليه،ولما خرجا من عنده،منعهما نصر الحاجب من الخروج ووكل بهما ، فدخل مفلح على المقتدر وأشار اليه بتأخير عزله ، فأمر باطلاقهما ،فخرج هو وابنه المحسن . فأما المحسن فانه اختفى ، وأما الوزير فانـه جلس عامة نهاره يمضي الاشغال الى الليل ، ثم بات مفكرا ، فلما أصبح سمعه بعض الخدم ينشد :

وأصبـح لا يدري وان كان حازما أقدامه خـير لـه أم وراؤه

فلما أصبح الغد ــ وهو الثامن من ربيع الاول ــ أتاه نازوك وبليق في عـدة

(1) لم ترد الاشارة الى هذا الرجل من قبل لنحدد هويته .

من الجند ، فدخلوا الى الوزير ، وهو عند الحرم فأخرجوه حافيا مكشوف الرأس وأخذ الى دجلة ، فألقى عليه بليق طيلسانا غطى به رأسه ، وحمل الى طيار فيه مؤنس المظفر ، ومعه هلال بن بدر ، فاعتذر اليه ابن الفرات وألان كلامه ، فقال له : أنا الآن الاستاذ ، وكنت بالامس الخائن الساعي في فساد الدولة ، وأخرجتني والمطر على رأسي ، ورؤوس أصحابي ، ولم تمهلني . ثم سلم الى شفيع اللؤلؤي فحبس عنده ، وكانت مدة وزارته هذه عشرة أشهر وثمانية عشر يوما ، وأخذ أصحابه وأولاده ، ولم ينج منهم الا المحسن ، فانه اختفى ، وصودر ابن الفرات على جملة على المال مبلغها ألف ألف دينار .

ولما تغير حال ابن الفرات سعى عبد الله بن محمد بن عبيد الله (بن)[1] يحيى بن خاقان ، أبو القاسم بن علي الخاقاني في الوزارة ، وكتب خطه يتكفل ابن الفرات وأصحابه بمصادرة ألف ألف دينار ، وسعى له مؤنس الخادم وهارون بن غريب ــ الخال ــ ونصر الحاجب ، وكان أبو علي الخاقاني والد أبي القاسم مريضا شديد المرض ، وقد تغير عليه لكبر سنه فلم يعلم بشيء من حال ولده . وتولى أبو القاسم الوزارة تاسع ربيع الاول وكان المقتدر يكرهه ، فلما سمع ابن الفرات وهو محبوس بولايته قال[2] : الخليفة هو الذي نكب لا أنا ، يعني أن الوزير عاجز لا يعرف أمر الوزارة .

ولما وزر الخاقاني شفع اليه مؤنس الخادم في اعادة علي بن عيسى من صنعاء الى مكة ، فكتب الى جعفر عامل اليمن في الاذن لعلي بن عيسى في العود الى مكة ، ففعل ذلك ، وأذن لعلي في الاطلاع على أعمال مصر والشام ، ومات أبو علي الخاقاني في وزارة ولده هذه .

وكان المحسن ابن الوزير ابن الفرات مختفيا كما ذكرنا ، وكان عند حماته حنزابة[3] ، وهي والدة الفضل بن جعفر بن الفرات ، وكانت تأخذه كل يوم الى

---

(١) الاضافة من الكامل ٨ : ١١٠ .

(٢) في الاصل قال له . والتقويم من الكامل ٨ : ١٠٠

(٣) في الكامل ٨ : ١١١ ــ حزانة ــ وعند مسكويه ١ : ١٣١ ــ جنزابة ــ والصحيح ما اثبتناه ، والحنزابة هو جزر البر ، شبهت به لقصرها . انظر القاموس مادة حنزب .

المقبرة ، وتعود به الى المنازل التي يثق بأهلها عشاء[1] وهو في زي امرأة ، فمضت يوما الى مقابر قريش ، وأدركها الليل ، فبعد عليها الطريق ، فأشارت عليها امرأة معها أن تقصد امرأة صالحة تعرفها بالخير تختفي عندها ، فأخـذت المحسّن ، وقصدت تلك المرأة ، وقالت لها : معنا صبية بكر نريد بيتا تكون فيه ، فأمرتهم بالدخول الى دارها ، وسلمت اليهم قبة في الدار ، فأدخلن المحسن اليها ، وجلست النساء اللواتي معه في صفة بين يدي باب القبة ، فجاءت جارية سوداء فرأت المحسن في القبة، فعادت الى مولاتها فأخبرتها أن في الدار رجلا ، فجاءت صاحبتها ، فلما رأته عرفته ، وكان المحسن قـد أخـذ زوجها ليصادره ، فلما رأى الناس في داره يجلدون ويشقضون ويعذبون مات فجأة ، فلما رأت المرأة المحسّن وعرفته ، ركبت في سفينة وقصدت دار الخليفة وصاحت : « معي نصيحة لامـير المؤمنين » ، فأحضرها نصر الحاجب فأخبرته بخبر المحسن ، فأنهى ذلك الى المقتدر ، فأمر نازوك صاحب الشرطة أن يسير ويحضره ، فأخذها معه الى منزلها ، ودخل المنزل وأخذ المحسن وعاد به الى المقتدر ، فرده الى دار الوزير ، فعذب أنواع العذاب ليجيب الى مصادرة يبذلها ، فلم يجبهم الى دينار واحد ، وقال : لا أجمع لكم بين نفسي ومالي ، واشتد العذاب عليه بحيث امتنع عن الطعام ، فلما علم بذلك المقتدر أمر بحمله مع أبيه الى دار الخلافـة فقال الوزير أبو القاسم لمؤنس وهارون بن غريب ــ الخال ــ ونصر الحاجب : ان نقل ابن الفرات الى دار الخلافة ، بذل أمواله ، وأطمع المقتدر في أموالنا ، وضمننا منه ، وتسلمنا فأهلكنا ، فوضعوا القواد والجند حتى قالوا للخليفة : انه لا بد من قتل ابن الفرات وولـده ، فاننا لا نأمن على أنفسنا ما داما[2] في الحيـاة ، وتردد[3] ورود الرسائل في ذلك ، وتشاور [الخليفة] مع مؤنس وهارون ونصر الحاجب ، فوافقوا على قتلهما ، فجيء بهما[4] وذبحوهما كذبح الغنم .

وكان ابن الفرات قد أصبح يوم الاحد صائما فأتوا اليه بطعام فلم يأكله ولم يفطر ، وقال : رأيت أخي العباس يقول لي : أنت وولدك عندنا يوم الاثنين ، ولا شك

---

(1) في الاصل ــ غشاة ــ والتقويم من الكامل ٨ : ١١١ .
(٢) في الاصل ــ ما داموا ــ انظر الكامل ٨ : ١١٢ .
(٣) في الاصل ــ وترددت ــ .
(٤) في الاصل ــ على قتلهم فجيء بهم ــ انظر الكامل ٨ : ١١٢ .

أننا نقتل ، فقتل ابنه المحسن [يوم الاثنين][1] لثلاث عشرة خلت من ربيع الآخر • وحمل رأسه الى أبيه فارتعش واقشعر بدنه وأغمي عليه ، ثم عرض على أبيه السيف فقال : راجعوا في أمري ، فان عندي أموالا طائلة ، وجواهر كثيرة ، فقيل له : جل الامر عن ذلك ، وقتلوه وعمره يومئذ نيف وسبعون سنة ، وابنه ثلاث وثلاثون سنة ، وحمل رأساهما[2] الى المقتدر فأمر بتغريقهما •

وقال أبو الحسن بن الفرات في بعض مجالسه : ان المقتدر بالله يقتلني فصح ذلك ، ومما يروى عنه أنه رجع يوما من عند المقتدر ، وهو مفكر كثير الهم فقيل : ما بالك ؟ فقال : كنت عند المقتدر فما خاطبته بكلمة ، الا أجاب ، نعم • فقلت له : الشيء ، وضده ، أجاب ، نعم ، فقيل له : هذا لحسن ظنه بك ، وثقته بما تقول ، واعتماده على شفقتك ، فقال : لا والله [ولكنه] أذن[3] لكل قائل ، وما يؤمني اذا قيل له : نقتل الوزير ، فيقول : نعم ، والله انه لقاتلي •

ولما قتل ركب هارون الى الخاقاني ، وأخبره فأغمي حتى ظن من حضر أنه مات ، وصاح أهله وذووه وبكوا وولولوا عليه ، فلما أفاق من غشيته لم يفارقه هارون حتى أخذ منه ألفي دينار •

وأما أولاد ابن الفرات فشفع فيهم مؤنسا المظفر ــ وهما عبد الله وأبو نصر ــ فأطلقا من السجن ، فخلع عليهما ووصلهما بمال ، وصودر ابنه الحسن على عشرين ألف دينار ، وأطلق الى منزله • وكان الوزير أبو الحسن بن الفرات كريما ذا رئاسة وكفاية[4] في عمله ، حسن الخطاب والجواب ولم يكن له سيئة الا ولده المحسن •

ومن محاسنه أنه جرى ذكر أهل الادب والحديث وماهم فيه من الفقر والقلة[5] فأعانهم بعشرين ألف درهم ، وكذا الشعراء والادباء وكذا الفقهاء والصوفية لكل عشرين ألفا • وكان اذا ولي الوزارة ارتفعت أسعار القراطيس والشمع والثلج لكثرة استعمالها ، ولم يكن فيه عيب سوى أن ولده وأصحابه كانوا يفعلون الرذائل ، ويظلمون ، ولا يمنعهم من ذلك أبدا ، « وعلى رأي المثل دار الظالمين خراب ودولة

---

(١) الاضافة من الكامل ٨ : ١١٢ .
(٢) في الاصل ــ راسهما ــ .
(٣) في الاصل ــ بشفقتك فقال:لاوالله اذن ــ.والتقويم والاضافة من الكامل٨:١١٣ .
(٤) في الاصل ــ كفوا ــ والتقويم من الكامل ٨ : ١١٣ .
(٥) زاد ابن الاثير ٨ : ١١٣ ــ والتعفف ــ .

الظلم لا تدوم »[1]، فمن ذلك أن رجلا من أصحابه اغتصب أرضا من امرأة،فكتبت له غير مرة فلم يرد لها جوابا ، فوقفت له يوما في طريقه ، واستحلفته بالله أن يرثي لحالها ، ويسمع منها ، فوقف لها ، فقالت : كنت كتبت لك في ظلامتي غير مرة ، فلم تجبني ، وقد تركتك ، ورفعتها الى الله تعالى ، فلما كان بعد أيام و [رأى][2] تغير حاله ، قال: ما أظن الا جواب رقعة تلك المظلومة قد خرج ، فكان كما قال !

وفي هذه السنة دخل أبو طاهر القرمطي الكوفة، وسبب ذلك أن أبا طاهر أخلى سبيل من كان عنده من الاسرى من الحجاج وغيرهم ، وفيهم ابن حمدان وغيره ، وطلب من المقتدر البصرة والاهواز ، فلم يجبه الى ذلك فارتحل من هجر يريد الحج، وكان جعفر بن ورقاء الشيباني واليا على الكوفة ، وطريق مكة ، فلما سار الحجاج من بغداد سار جعفر من بين أيديهم خوفا من أبي طاهر ، ومعه ألف رجل من بني شيبان ، وسار مع الحجاج ثمل صاحب البحر ، وجني الصفواني ، وطريف السكري وغيرهم في ستة آلاف رجل، فلقي أبو طاهر جعفر ، وحصل بينهما موقعة قتال شديدة يشيب لها الولدان ، فبينما هو في المعركة ، واذا بفريق من القرامطة طلع له عن يمينه، فانهزم من بين أيديهم شر هزيمة فلقي القافلة الاولى وقد انحدرت من العقبة ، فردهم الى الكوفة ، ومعهم عسكر الخليفة ، وتبعهم أبو طاهر الى باب الكوفة ، واشتبك معهم في قتال عنيف ، فانهزم جند الخليفة وأعمل فيهم السيف ، ومكنه من أعناقهم فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

وأسر جنيا الصفواني وهرب الباقون والحجاج من الكوفة ، ودخلها أبو طاهر وأقام ستة أيام يدخلها نهارا ويجلس في المسجد الى ما بعد العشاء ويخرج يبيت في عسكره ، وحمل منها الغنائم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت من أموال ، وجواهر غوال وثياب من خز وديباج ، وغير ذلك ، وعاد الى وطنه هجر ، ودخل المنهزمون بغداد ، فأنفذ الخليفة أمره الى مؤنس المظفر بالخروج الى الكوفة ، فرحل اليها ودخلها وقد عاد القرمطي راجعا الى وطنه ، فاستخلف عليها ياقوتا وسار مؤنس الى واسط خوفا من أبي طاهر وخاف أهل بغداد ، وانتقل الناس الى واسط خوفا من أبي طاهر وخاف أهل بغداد ، وانتقل الناس الى الجانب الشرقي ولم يحج في هذا العام من الناس أحد .

---

(١) يبدو أن هذه الجملة قد اقحمت في الاصل .

(٢) الاضافة من الكامل ٨ : ١١٤ .

وفي سنة اربع عشرة وثلاثمائة :

أمر الخليفة بتقليد يوسف بن أبي الساج نواحي المشرق ، وأذن له في جباية أموالها وصرفها على قواده وأجناده ، وسيره الى واسط ليسير الى هجر لمحاربة أبي طاهر القرمطي . فدخلها وواليها يومئذ مؤنس المظفر ، فسار الى بغداد ليقيم فيها ، وجعل له أموال الخراج ببلدان : همذان وساوة ، وقم ، وقاشان وماء البصرة ، وماء الكوفة ، وماسبذان ، ليجري منها النفقات على جنده ويستعين بها على محاربة القرمطي ، وذلك من تدبير الخصيبي[1] .

وفي سنة خمس عشر وثلاثمائة :

وصلت الاخبار الى الخليفة المقتدر بمسير أبي طاهر القرمطي وجنده الى الكوفة ، ثم وردت الاخبار من البصرة بأنه اجتاز قريبا منهم نحو الكوفة ، فأرسل الخليفة الى يوسف بن أبي الساج بالتوجه لمحاربة القرمطي ، فسار الى الكوفة من واسط في آخر شهر رمضان ، واعدوا له الانزال ولعسكره ، فلما وصلها أبو طاهر القرمطي ، هرب نواب السلطان عنها ، فاستولى على ذلك كله أبو طاهر القرمطي ، وكان فيها العلوفات والزاد ، وقد نفد زاد أبي طاهر فغنم تلك الغنائم .

ووصل الكوفة يوسف بن [أبي] الساج ثاني يوم وصول القرمطي الى الكوفة، وكان يوم الجمعة ثامن شوال ، فكتب للقرمطي بطاعة الخليفة ، فرد عليه : « لانطيع الا الله والحرب بيننا وبينك غدا » ، فلما أصبحا ابتدأ أوباش العسكر بالسب والشتم وقذف الحجارة ، ورأى يوسف قلة القرامطة فاحتقرهم ، وقال : « ان هؤلاء لشرذمة قليلة بعد ساعة في يدي » . وتقدم بأن يكتب كتاب الفتح والبشارة بالظفر .

ما كل ما يتمنى المرء يدركه   تجري الرياح بما لاتشتهي السفن[2]

وزحف الناس بعضهم الى بعض فسمع أبو طاهر أصوات البوقات والزعقات ، فقال لصاحب له : ما هذا ؟ فقال : فشل ، قال : أجل ! لم يزد على هذا ، فاقتتلوا ضحوة النهار يوم السبت الى غروب الشمس ، وصبر الفريقان فلما رأى ذلك أبو طاهر باشر الحرب بنفسه ، ومعه جماعة يثق بهم ، فطحن أصحاب يوسف ودقهم ،

---

(1) هو أبو العباس الخصيبي وكان وزير المقتدر آنذاك، مسكويه : /١٤٢، الكامل: ١١٩/٨ .

(2) يبدو أن هذا حشو ، وليس من الاصل .

فانهزموا بين يديه ، ووقع يوسف أسيرا ، وكثير من أصحابه ، وذلك وقت غروب الشمس ، فحملوه الى عسكرهم ، ووكل به أبو طاهر طبيبا يداوي جراحه ، وطار الخبر الى بغداد فارتعد الناس ، وخافوا عاقبة أمر القرامطة ، وارتاعوا وخافوا خوفا شديدا ، وعزموا على الهرب الى حلوان وهمذان ، ودخل المنهزمون أكثرهم حفاة عراة « يدعون بالويل والثبور وعظائم الامور مما حل بهم ونكبهم »[1]،فبرز مؤنس المظفر ليسير الى الكوفة ، وأتاهم الخبر أن القرامطة قد ساروا الى عين التمر ، فأنفذ من بغداد خمسمائة سميرية فيها المقاتلة لتمنعهم من عبور الفرات ، وسير جماعة من الجيش الى الانبار ، فقطع أهلها الجسر ، ونزل القرامطة غربي الفرات ، وأنفذ أبو طاهر أصحابه الى الحديثة[2] فأتوه بسفن ، ولم يعلم أهل الانبار ، وعبر فيها ثلاثمائة رجل من القرامطة ، وقاتلوا عسكر الخليفة ، فهزموهم وقتلوا منهم جماعة ، واستولى القرامطة على مدينة الانبار ، وعقدوا الجسر ، وعبر أبو طاهر جريدة ، وخلف سواده بالجانب الغربي ، فوصل الخبر بعبور أبي طاهر الى الانبار ، وخرج نصر الحاجب في عسكر جرار ولحق بمؤنس ، فاجتمعا في نيف وأربعين ألف مقاتل ، سوى الغلمان ، ومن يريد النهب ، وكان ممن معه : أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان ، ومن اخوته أبو الوليد ، وأبو السرايا في أصحابهم ، فوصلوا نهر زبارا على فرسخين من بغداد عند عقرقوف ، فأشار أبو الهيجاء بقطع القنطرة التي عليه ، فقطعوها وسار أبو طاهر ومن معه [نحوهم][3] ، فبلغوا نهر زبارا ، وفي أوائلهم رجل أسود فما زال يدنو من القنطرة حتى وجدها مقطوعة ، فعاد والنشاب يأخذه وهو مثل القنفذ .

وأراد القرامطة العبور فلم يتمكنوا من ذلك ولما أشرفوا على عسكر الخليفة هرب منهم خلق كثير الى بغداد من غير أن يلقوهم ، فلما رأى ابن حمدان ذلك ، قال لمؤنس : كيف رأيت ما أشرت به عليكم ؟ فوالله لو عبر القرامطة النهر لانهزم كل من معك ولاخذوا بغداد ، ولما رأى القرامطة ذلك كروا راجعين الى الانبار ، وسير مؤنس صاحبه بليق[4] بستة آلاف مقاتل الى عسكر القرامطة غربي الفرات، ليغنموه

---

(1) يبدو ان هذه الجملة ليست من الاصل بل اقحمت فيه من قبل احد النساخ .

(2) في الاصل ــ وأمر ابو طاهر أصحابه الحديثة ــ والتقويم من الكامل : ١٢٥/٨ .

(3) الاضافة من الكامل : ١٢٥/٨ .

(4) عند مسكويه : ١٧٨/١ ــ يلبق حاجبه ــ وكذا في اتعاظ الحنفا ــ ص ٢٤٢ ط . الشيال الاولى .

ويخلصوا ابن أبي الساج ، فبلغوا اليهم وقد عبر أبو طاهر الفرات في زورق صياد وأعطاه ألف دينار ، فلما رآه أصحابه قويت قلوبهم ، ولما أتاهم عسكر مؤنس ، كان أبو طاهر عندهم فقاتلوهم قتالا شديدا فانهزم عسكر الخليفة ، ونظر أبو طاهر ابن أبي الساج وهو قد خرج من الخيمة ، ينظر ويرجو الخلاص ، وقد ناداه أصحابه أبشر بالفرج ، فلما انهزموا أحضره وقتله ، وقتل جميع الاسرى من أصحابه . وسلمت بغداد من نهب العيارين ، لان نازوك كان يطوف ليلا ونهارا وكل شخص يجده [بعد العتمة][1] يقتله ، فامتنع العيارون واكترى كثير من أهل بغداد سفنا ، ونقلوا فيها متاعهم وأموالهم ، ومنهم من هاجر الى حلوان وخراسان والى واسط وكان عدة القرامطة ألفين وسبعمائة رجل منهم خمسمائة فارس[2] .

وقصد القرامطة مدينة هيت ، وكان المقتدر سير اليها سعيد بن حمدان وهرون ابن غريب . فلما بلغها القرامطة وجدوا عسكر الخليفة سبقهم اليها فقاتلوهم على السور فقتل من القرامطة جماعة كثيرة فرجعوا عنها .

ولما علم[3] أهل بغداد عودتهم من هيت سكنت قلوبهم ولما بلغ الخليفة عدد جنده وجند القرامطة،قال: لعن الله نيفا وثمانين ألفا، يعجزون عن ألفين وسبعمائة[4].

وحضر شخص الى علي بن عيسى ، وأخبره أن في جيرانه رجلا[5] على مذهب القرامطة ، يكاتب أبا طاهر بالاخبار ، فأحضره وسأله ، فأقر ، وقال : ما عرفت أبا طاهر الا لما صح عندي مذهبه وأنه حق ، وأنت وصاحبك كفار تأخذون ما ليس لكم، ولا بد لله من حجة في أرضه ، وامامنا المهدي محمد بن فلان بن فلان بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق المقيم ببلاد المغرب ، ولسنا كالرافضة والاثني عشرية ، الذين يقولون بجهلهم ، ان لهم اماما ينتظرونه ، ويكذب بعضهم لبعض ويقول : «رأيته وسمعته وهو يقرأ » ، ولا ينكرون ذلك لجهلهم وغباوتهم أنه لا يجوز أن

---

(١) الاضافة من الكامل : ١٢٦/٨ .

(٢) في الكامل : ١٢٦/٨ ــ الف رجل وخمسمائة رجل منهم سبعمائة فارس وثمانمائة راجل وقيل كانوا الفين وسبعمائة ــ.وهذا ماأورده مسكويه ــ ١٧٩/١ ــ ايضا.

(٣) في الاصل ــ علموا ــ وفي الكامل : ١٢٧/٨ ــ بلغ ــ .

(٤) في الاصل وثمانمائة ــ والتقويم مما تقدم آنفا ومن الكامل : ٢٧/٨ .

(٥) وفي الكامل : ١٢٧/٨ ــ رجلا من شيراز ــ.وكذا قال مسكويه : ١٨١/١ .

يعطى من العمر ما يظنونه ، فقال [له][1] : قد خالطت عسكرنا وعرفتهم فمن فيهم على مذهبك[2] ؟ فقال : وأنت بهذا العقل ، كيف أسلم ناسا مؤمنين لقوم كافرين يقتلونهم ؟ لا أفعل ذلك أبدا ، فأمر بتعذيبه فضرب ضربا مبرحا ، ومنع الطعام والشراب ، فهلك بعد ثلاثة أيام .

وكان ابن أبي الساج قبل قتاله القرامطة قبض على وزيره محمد بن خلف البيرماني[3] ، وجعل مكانه أبا علي الحسن بن هرون ، وصادره على خمسمائة ألف دينار . وسبب ذلك أن البيرماني كثر ماله وعظم شأنه ، فطمع أن يكون وزيرا للخليفة ، فكتب بذلك لنصر الحاجب يخطب الوزارة ، ويسعى بابن أبي الساج ، ويقول انه قرمطي يعتقد امامة العلوي الذي بافريقية ، وانني ناظرته على ذلك فلم يرجع وانه لا يسير الى قتال أبي طاهر ، وانما يأخذ المال بهذا السبب ، ويقوى به على قصد حضرة السلطان وازالة الخلافة من بني العباس ، وطول في ذلك وعرض ، وكان لمحمد بن خلف أعداء قد أساء اليهم من أصحاب ابن أبي الساج ، فأخبروا يوسف وأطلعوه على جوابات جاءت من بغداد من نصر الحاجب في هذا المعنى ، وفيها الوعد له بالوزارة ، وعزل علي بن عيسى الوزير ، فلما علم ذلك يوسف بن أبي الساج ، قبض على محمد بن خلف ، فلما أسر ابن أبي الساج تخلص من السجن ، وكان ابن أبي الساج يدعى بالشيخ الكريم، لما جمع الله فيه من خلال الكرم والكمال، رحمه الله تعالى .

وفي سنة ست عشر وثلاثمائة :

سار القرامطة من الانبار ، ورجع مؤنس الخادم الى بغداد ، فدخلها في ثالث المحرم ، وسار أبو طاهر القرمطي الى الدالية من طريق الفرات فلم يجد فيها شيئا ، فقتل من أهلها جماعة ، ثم سار الى الرحبة ، فدخلها ثامن المحرم بعد أن حاربه أهلها فأعمل فيهم السيف بعد أن ظفر بهم ، فأمر مؤنس بالمسير الى الرقة ، فسار اليها في صفر ، وجعل طريقه على الموصل ، فوصل اليها في ربيع الاول ، ونزل [بها][4]

(1) الاضافة من الكامل ٨ : ١٢٧ .
(2) في الاصل ـ وعرفت من فيهم على مذهبك ـ والتقويم من الكامل ٨ : ١٢٧ .
(3) في الكامل ٨ : ١٢٧ ـ ومسكويه ١ : ١٨٤ ـ النيرماني ـ .
(4) الاضافة من الكامل ٨ : ١٣٢ .

وأرسل أهل قرقيسيا[1] يطلبون من أبي طاهر الامان ، فأمنهم وأمرهم ألا يظهر أحد منهم بالنهار ، فأجابوه الى ذلك ، وسير أبو طاهر سرية الى العرب بالجزيرة فنهبوهم، وأخذوا أموالهم ، فخافه الاعراب ، وهربوا من بين يديه ، وقرر عليهم[2] أتاوة : على كل رأس دينار يحملونه الى هجر .

ثم صعد أبو طاهر من الرحبة الى الرقة ، فدخل أصحابه الربض وقتلوا منهم ثلاثين رجلا ، وأعان أهل الرقة أهل الربض ، وقتلوا من القرامطة جماعة ، فقاتلهم ثلاثة أيام ، ثم انصرفوا آخر ربيع الآخر . وبعث القرامطة سرية الى رأس عين كفرتوثا[3] ، فطلب أهلها الامان فأمنوهم ، وساروا الى سنجار ، فنصبوا الحبال ، ونازلوا سنجار ، فطلب أهلها الأمان فأمنوهم .

وكان مؤنس قد وصل الى الموصل ، فبلغه قصد القرامطة الى الرقة فجد السير اليها ، فسار أبو طاهر عنها ، وعاد الى الرحبة ، ووصل مؤنس الى الرقة ، بعد انصراف القرامطة عنها . ثم ان القرامطة ساروا الى هيت ، وكان أهلها قد أحكموا سورها : فقاتلوهم فعادوا عنهم الى الكوفة ، فبلغ الخبر الى بغداد ، فأخرج هارون ابن غريب ، وبني بن نفيس ، ونصر الحاجب اليها ، ووصلت خيل القرمطي الى قصر ابن هبيرة[4] فقتلوا منه جماعة .

ثم ان نصرا الحاجب حم في طريقه حمى حادة، فتجلد وسار ولما قاربهم القرمطي لم يكن في نصر قوة على النهوض والمحاربة ، فاستخلف أحمد بن كيغلغ ، واشتد مرضه وأمسك لسانه ، فردوه الى بغداد ، فمات في الطريق أواخر شهر رمضان ، فجعل مكانه على الجيش هارون بن غريب ، ورتب ابنه أحمد بن نصر في الحجبة للمقتدر مكان أبيه ، فانصرف القرامطة الى البرية ، وعاد هارون الى بغداد فيالجيش فدخلها لثمان [بقين][5] في شوال .

---

(١) هي بلدة البصيرة الحالية في سورية حيث يلتقي الخابور بالفرات .
(٢) في الاصل ـ اليهم ـ والتقويم من الكامل : ٨/١٣٢ ، ومسكويه : ١/١٨٢ .
(٣) في الاصل ـ كفر توثا ـ والتقويم من الكامل : ٨/١٣٢ وياقوت ـ مادة كفر ـ .
(٤) بناه قرب الكوفة على طرف الفرات يزيد بن عمر بن هبيرة في اواخر العصر الاموي، وقد سكنه في بداية العصر العباسي كل من السفاح والمنصور ـ معجم البلدان .
(٥) الاضافة من الكامل : ٨/١٣٣ .

وفي هذه السنة تحرك أبو طاهر واجتمع معه السواد الاعظم ، ودخل في مذهبه خلق كثير يربو على عشرة آلاف رجل ، وأمر عليهم رئيسا حريث بن مسعود بواسط، ودخل في مذهبه أيضا من في عين التمر ونواحيها، وأمر عليهم عيسى بن موسى، وهو ممن كان يدعو للمهدي ، فسيره أبو طاهر الى الكوفة فنزل بظاهرها وجبى الخراج، وصرف العمال عن أهلها ، وسير حريثا الى أعمال الموفقي ، فبنى بها دارا سماها دار الهجرة ، واستولى على تلك الناحية، فكانوا يسبون وينهبون ويقتلون وكان بواسط ابن نفيس فقاتله فهزمه .

فسير الخليفة المقتدر بالله هارون بن غريب الى حريث ، وصافيا[1] الى عيسى ابن موسى فهزمهم هارون وصافي ، ودارت الدائرة على القرامطة فأسر منهم جمع كبير ، وقتل منهم ما لا يحصى عدده ، وأخذت أعلامهم فكانت مكتوبة « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين[2] ، فأدخلت بغداد منكسة ، واضمحل أمر القرامطة في هذه الواقعة وكفى الله الناس شرهم .

وفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة خرج بالناس الىالحج من بغداد منصور الديلمي أميرا للحاج بأمر الخليفة ، ليحج الناس ، فسلموا في الطريق من بغداد الى مكة . فلحقهم أبو طاهر القرمطي بمكة يوم التروية أي قبل طلوعهم عرفات بساعات قليلة ، فقاتلهم أمير مكة ومن معه، ولم يكن الا القليل حتى هزمهم[3]، وأعمل فيهم السيف، ونهب الحجيج وقتل الحجاج حتى في المسجد الحرام ؛ وفي البيت نفسه ، ورمى القتلى في بئر زمزم حتى امتلأت بجثث القتلى ، وخلع باب الكعبة ووقف يلعب بسيفه على باب الكعبة وينشد ويقول :

أنـا بالله وبالله أنـا　　　يخلق الخلق وأفنيهـم أنا

وأصعد رجلا ليخلع ميزاب البيت ، فوقع صريعا ميتا ، ودفن باقي القتلى في المسجد الحرام بدون تكفين ، ولا صلى عليهم ، وأخذ كسوة الكعبة فقسمها بين أصحابه ، ونهب دور أهل مكة ، وخلع الحجر الاسود من البيت « فوضعه على

---

(١) جاء اسمه في نص النويري ص ٥٩٦ « صافي النصري » .
(٢) سورة القصص ـ الاية : ٥ .
(٣) اي ابو طاهر القرمطي .

سبعين جمل[1] فسيرهم به ، وهم يضرطون من ثقله الى هجر »[2] . فلما بلغ ذلك المهدي أبا محمد عبد الله[3] العلوي الفاطمي بافريقية ، كتب اليه ينكر عليه فعله ، وقال له : سجلت علينا في التاريخ نقطة سوداء لا تمحوها الليالي والايام ، ويلومه ويلعنه ، ويقول له : قد حققت على دولتنا وشيعتنا ودعاتنا اسم الكفر والزندقة والالحاد بفعالك الشنيعة هذه ، وان لم ترد على أهل مكة والحجاج ما نهبته منهم . وترد الحجر الى موضعه ، وترد كسوة الكعبة كما كانت ، والا أتيت اليك بجنود لا قبل لك بها ، وأنا بريء منك كما برئت من الشيطان الرجيم في الدنيا والآخرة ، وأعوذ بالله من فعالك السوء،وان لم تفعل ما آمرك به لا يكن بيني وبينك الا السيف والبراءة منك يا عدو الله والناس أجمعين .

فرد الحجر الى مكانه « فرجع به جمل واحد بدلا من سبعين جملا وكان يمر به مر السحاب في رجوعه الى مكة ، وقيل ان الجمل كان مهزولا ومريضا فعوفي عند مسيرة بالحجر الى مكة »[4] واستعاد ما أمكنه من الاموال الى أهل مكة ، وقال يعتذر للامام العلوي : « ان الناس اقتسموا كسوة الكعبة وأموال الحجاج ولا أقدر على ردها منهم » .

وفي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة :

خرج الناس للحج ، فلما بلغوا القادسية ، اعترضهم أبو طاهر القرمطي ثاني عشر [ذي] القعدة ، فلم يعرفوه ، فقاتلهم جند الخليفة وأعانهم الحجاج ، ثم التجؤوا الى القادسية فخرج جماعة من العلويين بالكوفة ، الى أبي طاهر ، فسألوه أن يكف عن

---

(1) كذا في الاصل ، والصواب « جملا » بالنصب .
(2) لم ترد هذه الجملة في اي اصل آخر ويبدو انها اقحمت في الاصل .
(3) في الاصل عبيد الله ، وهو المتداول عند كتاب المشرق ، وهو خطا متعمد ، فاسمه بالاصل عبد الله ، بعدما طعنوا في نسبه ، لان في التصغير تحقير ، وقد ورد اسم المهدى « عبد الله » في الكتابات الاسماعيلية ، وقد رايت في القيروان دينارين من دنانيره تاريخ أولهما ٣٠٢ هـ والثاني ٣٠٤ هـ ، وجاء اسمه عليهما « عبد الله » ، انظر أيضا كتاب عيون الاخبار وفنون الاثار للداعي ادريس . خاصة السبع الخامس منه .
(4) لم ترد هذه الجملة في اي اصل آخر ويبدو انها حشيت في الاصل .

الحجاج ، فكف عنهم وشرط عليهم أن يرجعوا الى بغداد ، فرجعوا ولم يحج في هذا العام أحد .

وسار أبو طاهر الى الكوفة فأقام فيها أياما ورحل عنها .

وفي سنة ست وعشرين وثلاثمائة :

اختل أمر القرامطة ، وبدأ فساد حالهم ، وقتل بعضهم بعضا « يخربون بيوتهم بأيديهم »[1] . وسبب ذلك أن رجلا منهم يدعى ابن سنبر من خواص أبي سعيد [والمطلعين على سره][2] له عدو من القرامطة اسمه أبو حفص الشريك ، فقصد ابن سنبر الى أصبهان[3] لصاحب له هناك يدعى الصفوي ذو النور ، فتكلم معه وقال له: بما إني واقف على أسرار أبي سعيد، وغوامض أحوال القرامطة وعلومهم واشاراتهم، أريد أن أرشدك الى ذلك كله ، حتى أجعلك سيدا عليهم يطيعونك فيما تأمر وينتهون بنهيك ، بشرط أن تقتل عدوي أبا حفص الشريك ، فأجابه الى ذلك فجلس اليه يعلمه ويرشده ، حتى اذا أتم وصار أستاذا ماهرا في دلائل القرامطة وأحوالهم ومعارفهم ، وعلامات كان يذكرها في صاحبهم الذي يدعون اليه ، فحضر عند أولاد أبي سعيد ، وذكر لهم ذلك وأشار اليهم بما يعرفونه من علامات وعلوم ومعارف ، وارشادات عالية في علومهم ، وأحوالهم الباطنة ، فقال أبو طاهر : هذا الذي ندعو اليه ، فأطاعوه ودانوا اله ، حتى كان يأمر الرجل بقتل أخيه فيقتله ، وكان اذا كره أحدا يقول إنه مريض ـ يعني قد شك في عقيدتهم ـ[4] ويأمر بقتله .

وبلغ أبا طاهر أن الصفوي يريد يأمر بقتله لينفرد بالملك بعده ، فجمع اخوته وتشاور معهم في أمره وقال : لقد أخطأنا في اعتمادنا هذا الرجل ، وجعلنا له السلطة المطلقة في أمرنا ، ولا بد من أن أكشف أمره ، وأقف على حقيقة حاله ، فأحضره وقال له : ان لنا مريضا فانظر اليه ليبرأ فحضروه الى منزلهم ، وكانوا مدبرين حيلة له ،

---

(1) سورة الحشر ٥٩ : ٢ .

(2) الاضافة من الكامل : ٢٦٣/٨ . هذا وقام بنو سنبر بوظيفة الوزراء في دولة قرامطة الاحساء .

(3) في الكامل : ٢٦٤/٢ ـ فعمد ابن سنبر الى رجل من اصفهان ـ ولم يورد ابن الاثير الخبر بالتفاصيل التي جاءت هنا .

(4) في الكامل : ٢٦٤/٨ ـ في دينه ـ .

وهو أنهم أضجعوا والدتهم ، وغطوها بإزار ، فلما دخل ورآها على هذه الصورة ، نظر نحو المريض ، وقال : ان المريض لا يبرأ بنظري ، فاقتلوه ، فقالوا : قد كذبت ، وهذه والدتنا ، وقاموا اليه وأوثقوه وقتلوه بعد أن أهلك منهم خلقا كثيرا من عظمائهم وفرسانهم،وكان هذا سبب تمسكهم بهجر وترك قصد البلاد والافساد فيها.

وفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة :

أعادوا الحجر الاسود الى مكة بعد مكثه عندهم اثنتين وعشرين حجة . وقد بذلت لهم الاموال في رده فلم يجيبوا الى ذلك لولا تهديد المهدي العلوي لأبي طاهر . ويروى أنهم علقوه في مسجد في الكوفة ، فرآه الناس فحملوه الى مكة وكانوا خلعوه من ركن البيت الحرام في سنة سبع عشرة وثلاثمائة[1] .

وفي سنة ستين وثلاثمائة :

في ذي القعدة وصل القرامطة الى دمشق ، ونصبوا على أسوارها السلالم ، وتعلقوا بها وفتحوها قصدا، وأوقعوا بأهلها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، وشنعوا بأهلها وقتلوا واليها جعفر بن فلاح ، وسبب ذلك أنهم لما رأوا أن جعفرا استولى على الشام أهمهم أمره وأزعجهم وقلقوا ، لانهم كانوا قرروا مع ابن طغج أن يحمل اليهم في كل عام ثلاثمائة ألف دينار ، فلما ملكها جعفر علموا أن المال يفوتهم ، فعزموا على المسير الى الشام،وصاحبهم وقتئذ الحسن بن أحمد بن بهرام القرمطي فأرسل الى عز الدولة بختيار يستمد منه المعونة بالسلاح والمال ، فأجابه الى ذلك واستقر الحال أنهم اذا ساروا الى الكوفة سائرين الى الشام حملوا الذي استقر ، فلما وصلوا الكوفة أوصل اليهم ذلك وساروا الى دمشق ، وبلغ خبر وصولهم الى جعفر ، فاحتقرهم واستهان بهم « ولم يدر المخبأ له ولم يصل اليه قول القائل : اذا كان عدوك نملة

---

(1) جاء في مرآة الزمان ــ مخطوطة احمد الثالث ــ ٣١/١١ــو : وفيها ــ٣٣٩ هـ ــ رد الحجر الاسود الى موضعه الى مكة من البيت،بعث به اخو ابي طاهر الجنابي، مع محمد بن سنبر الى المطيع ، وكان بجكم قد دفع فيه خمسين الف دينار ، وما اجابوا ، وقالوا : اخذناه بأمر ، وما نرده الا بأمر ، فلما كان في هذه السنة ردوه وقالوا : رددناه بامر من اخذناه بأمره ، وقد ذكرناه في سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، فاقام عندهم اثنتين وعشرين ، فأعطاهم المطيع مالا ، وبعث به الى مكة ، وحج الناس وتمت مناسكهم .

فلا تنام له ، وقد تقتل النملة الثعبان والاسد »[1] ولم يحتط [2] ويحترز منهم ولم يعمل لهم حسابا ، فكبسوه بظاهر دمشق[3] وقتلوه من حيث لا يشعر بهم وغنموا ماله وأنعامه من ناطق وصامت[4] .

---

(١) يبدو أن هذه الجملة حشيت في الاصل .

(٢) في الاصل ـ يحتاط ـ .

(٣) في مرآة الزمان ـ مخطوطة احمد الثالث ـ ١/٨٨ ـ و : وفيها [٣٦٠هـ] توفي جعفر بن فلاح ، احد قواد المصريين ، وأول امير ولي لهم دمشق ، وكان فيمن خرج مع جوهر من المغرب ، وشهد معه فتوح مصر ، ثم بعثه جوهر الى الشام ، فتغلب على الرملة سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، واقام بدمشق .
ولخمس خلون من صفر من هذه السنة ، أمر المؤذنين بجامع دمشق ان يؤذنوا بحي على خير العمل ، وكذا بالمساجد ، وكان ينزل بمكان يقال له الدكة بين نهري يزيد وتورا ، وقيل هي فوق يزيد تقريبا من دير مران ، فجاء أبو محمد الحسن ابن احمد القرمطي الى دمشق ويلقب بالاعصم ، وكان جعفر مريضا ، فخرج فقاتله فقتله القرمطي في ذي القعدة وقيل في شوال .

(٤) اصطدم الفاطميون اثناء فتحهم لدمشق بجماعات الاحداث فيها ، الذين شكلوا نوعا من انواع المليشيات الشعبية البلدية ، وكان محمد بن عصودا من بين زعماء احداث دمشق الذين تصدوا لجعفر بن فلاح ، وعندما اخفق بالمقاومة غادر دمشق الى الاحساء حيث استنجد بقرامطتها ، ومن حسن الحظ أن المقريزي حفظ لنا في كتاب المقفى تراجم لجعفر بن فلاح والحسن الاعصم زعيم القرامطة ، وترجمة الاعصم بين نصوص هذا الكتاب . أما ما جاء عن علاقة جعفر بن فلاح بالقرامطة فهاكم هو : (من مخطوطة مجلد برتو باشا في استانبول : ٣٠١ ـ ٣٠٢) .
.... واما محمد بن عصودا فانه لما انهزم ، سار الى الاحساء ، هو وظالم بن مرهوب العقيلي ، وحثا القرامطة على المسير الى الشام ، فوافق ذلك منهم الفرض ، لان الاخشيدية كانت تحمل في كل سنة الى القرامطة مالا ، فلما اخذ جوهر مصر ، انقطع المال عن القرامطة فاخذوا في الجهاز للمسير الى الشام ... وكثرت الاخبار بمسير القرامطة الى الشام ، وانهم نزلوا على الكوفة ، وكتبوا الى الخليفة ببغداد ، فانفذ اليهم خزانة سلاح ، وكتب لهم باربعمائة الف درهم على ابي تغلب عبد الله بن ناصر الدولة بن حمدان ، من مال الرحبة ، وانهم ساروا من الكوفة الى الرحبة واخذوا من ابن حمدان المبلغ ، فكتب جعفر الى غلامه فتوح وهو على انطاكية يأمره بالرحيل فوافاه الكتاب مستهل شهر رمضان ، فشرع في شد احماله ، ونظر الناس اليه فجفلوا ورموا خيمهم ، واراقوا طعامهم ، واخذوا في السير مجدين الى دمشق ، فلما وافوا جعفر اراد ان يقاتل بهم

وبعد ملكهم لدمشق أمنوا من بقي من أهلها ، وعزموا المسير الى الرملة واستولوا على جميع ما بينهما ، فلما سمع من بها من المغاربة خبرهم ساروا منها الى يافا ، فتحصنوا بها ، وملك القرامطة الرملة بعد قتال شديد وخسائر جمة . وبعد استتباب الامر لهم قصدوا المسير الى مصر وتركوا على يافا من يحصرها .

وعند دخولهم مصر اجتمع عليهم خلق كثير من العرب وغيرهم من الجند والاخشيدية والكافورية ، فنزلوا بفناء مدينة الشمس على مقربة من مصر قريبا من قرية البلسم أو البيلسان وتعرف (بعين) شمس ، واجتمع جند جوهر الصقلبي قائد

القرامطة ، فلم يقفوا ، وطلب كل قوم موضعهم ، ولم يبالوا بالموكلين على الطرق.
وعندما نزل القرامطة على الرحبة اكرمهم ابو تغلب ، وبعث الى الحسن بن احمد ابن ابي سعيد الجنابي ، المعروف بالاعصم ، كبيرهم يقول له : هذا شيء أردت ان اسير فيه بنفسي لكني مقيم في هذا الموضع الى أن يرد الي خبرك، فان احتجت الى سيري سرت اليك ، ونادى في عسكره من اراد السير من الجند الاخشيدية وغيرهم الى الشام مع الحسن بن احمد فلا اعتراض لنا عليه ، وقد اذنا له في المسير والمعسكران واحد ، فخرج الى القرامطة كثير من الاخشيدية الذين كانوا بمصر وفلسطين ، ممن فر من جوهر وجعفر بن فلاح ، وكان جعفر لما اخذ طبرية بعث الى ابي تغلب بن حمدان بداع يقال له ابو طالب التنوخي ، يقول له إنا سائرون اليك فتقيم لنا الدعوة ، فلما قدم الداعي على ابي تغلب وهو بالموصل ، وادى الرسالة ، قال له : هذا ما لا يتم لاننا في دهليز بغداد ، والعساكر منا قريبة ، ولكن اذا قربت عساكركم من هذه الديار ، أمكن ما ذكرته ، فانصرف بغير شيء .
ثم ان الحسن بن احمد القرمطي ، سار عن الرحبة الى ان قرب من دمشق ، فجمع جعفر خواصه واستشارهم ، فاتفقوا على أن يكون لقاء القرامطة في طرف البرية قبل ان يتمكنوا من العمارة ، فخرج اليهم ولقيهم ، فقاتلهم قتالا شديدا، فانهزم عنه عدة من اصحابه ، فولى في عدة ممن معه ، وركب القرامطة اقفيتهم ، وقد تكاثرت العربان من كل ناحية ، وصعد الغبار ، فلم يعرف كبير من صغير ، ووجد جعفر قتيلا لا يعرف له قاتل ، وكانت هذه الوقعة في يوم الخميس لست خلون من ذي القعدة سنة ستين وثلاثمائة .
فامتلأت ايدي القرامطة بما احتووا عليه من المال والسلاح وغيره ، وخرج محمد ابن عصودا الى جثة جعفر بن فلاح ، وهي مطروحة في الطريق . فاخذ رأسه وصلبه على حائط داره ، اراد بذلك أخذ ثار اخيه اسحق بن عصودا ، وملك القرامطة دمشق،وورد الخبر بذلك على جوهر القائد، فاستعد لحرب القرامطة.

المعز لدين الله ، وخرجوا اليهم ، فاقتتلوا غير مرة فلم يظفروا بهم في جميع تلك الايام، وما حصل منهم من الفظائع من قطع الطريق والنهب والسلب وسطوهم على القرى وهتكهم الاعراض يعجز القلم عن وصفه لعنهم الله .

ثم انهم تقدموا وزحفوا وحصروا عسكر جوهر وضايقوهم وحصروهم حصارا شديدا ، ثم ان جند جوهر خرجوا يوما من مصر وحملوا على القرامطة من الميمنة فانهزم من بها من العرب وغيرهم ، وقصدوا خيام القرامطة فنهبوها وكبسوهم فيها فاضطروا الى الهزيمة ، وولوا الأدبار راحلين الى الشام ، فنزلوا الرملة ثم حصروا يافا حصارا شديدا وضيقوا على من بها،فسير القائدجوهر نجدة من عسكره لأصحابه المحصورين بها ، ومعهم ميرة في خمسة عشر مركبا ، فأرسل القرامطة مراكبهم اليها فأخذوا مراكب جوهر ولم ينج منها غير مركبين ، فغنمهما مراكب الروم .

وللحسن بن بهرام زعيم القرامطة شعر فمنه في المغاربة أصحاب المعز لدين الله العلوي الفاطمي الافريقي يقول :

زعمت رجال الغرب أني هبتها ... فدمي اذا ما بينهم مطلول

يا مصر ان لم أسق أرضك من دمي ... يروي ثراك فلا سقاني النيل

وفي صباح الغد أخذ جند جوهر يرمون القرامطة بقوارير النفط ، وأعملوا فيهم السلاح حتى اضطروهم الى الجلاء عن الحصار ، ورحلوا الى الشام فتبعوهم ، وواصلهم المعز وجوهر بالنجدات حتى أجلوهم عن بعض القرى والمدن(١) .

وفي سنة ثلاث وستين وثلاثمائة تقوى القرامطة ، وعزموا أن يعودوا لمحاربة

---

(١) جاء في ترجمة جوهر الصقلبي ، في كتاب المقفى للمقريزي ـ مجلد برتو باشا : ٣١١ ، مزيدا من التفاصيل هاكم هي :

... ورد الخبر بقدوم الحسن بن الاعصم القرمطي الى دمشق ، وقتل جعفر بن فلاح ، واستيلاء القرامطة على دمشق ، وقصدهم مصر ، فتاهب جوهر لقتالهم، وحفر جوهر خندقا، وعمل عليه بابين من حديد، وبنى القنطرة على الخليج ظاهر القاهرة ، وحفر الخندق السري بن الحكم ، وفرق السلاح على العساكر ، فوجد رقاعا في الجامع العتيق فيها التحذير منه فجمع الناس ووبخهم ، فاعتذروا له فقبل عذرهم، ونزل القرامطة عين شمس في المحرم سنة احدى وستين، فاستعد جوهر وضبط الداخل والخارج .

المعز الفاطمي العلوي صاحب مصر وافريقية؛ فتجمعت جموعهم،وساروا من الاحساء، وفي مقدمتهم زعيمهم الحسن بن أحمد قاصدين ديار مصر فنزلوا بها وحصروهـا . فلما سمع المعز لدين الله قصد القرامطة قبل وصولهم الى مصر ، كتب اليهم كتابا[1] ، يذكر فيه فضل نفسه وأهل بيته ، وأن دعوة القرامطة كانت له وآبائه من قبلـه ، وتوعدهم وهددهم وسير الكتاب اليهم ، فكتبوا اليه[2] جوابك : وصل الذي قل تحصيله ، وكثر تفصيله ، ونحن حاضرون اليك على أثره والسلام . وساروا حتى وصلوا عين شمس فخيموا بهـا ، وأنشب القتال ، وحصروا مصر حصرا شديدا ، وأفسدوا ونهبوا القرى وقطعوا السبيل ، وكثرت جموعهم، والتف حولهم من العرب وقطاع الطريق جمع كبير ، وكان ممن حضر معهم وانضم اليهم الأمـير حسان بن الجراح الطائي أمير العرب ببادية الشام ، ومعه جمع عظيم ، فلما رأى ذلك المعـز استعظم الامر ، وتحير وارتبك في أمره ، فجمع حاشيته ووزراءه وعقد مجلسا خاصا، فأشار عليه وزيره ابن غنام بأنه ليس حيلة أعظم من العمل على تفريق هذه الجموع من حوله ، وذلك يأتي بالسعي في تفريق كلمتهم ووقوع الخلاف بينهم ، ولا يكون ذلك الا بواسطة أمير العرب ابن الجراح . فراسله المعز لدين الله واستماله بالمال ، وبذل له مائة ألف دينار ، ووعده بأكثر منها اذا تم له النصر على القرامطة ، فأجابه ابن الجراح الى ما طلب منه ، وعاهده على ذلك ، فحلف اليمين أنه اذا وصل اليـه المـال المقرر انهزم بالناس ، وأوقع بالقرامطة الفشل ، فأحضروا المال فلمـا رأوه استكثروه ، فسكبوه من صفر وألبسوه الذهب ، ووضعوها في أسفـل الأكياس وجعلوا الذهب الخالص على وجوهها وحملوها اليه ، فأرسل الى المعز أن يخـرج بعسكره يوم كذا ، ويقاتلونه فسينهزم بمن معه وهو في الجهة كذا ، فخرج المعز على

وفي مستهل ربيع الاول التحم القتال بين القرامطة وبينه على باب القاهرة ، فقتل من الفريقين جماعة واسر كثير ، ثم استراحوا في ثانيه ، والتقوا ثالثه ، فاقتتلوا قتالا كثيرا قتل فيه ما شاء الله من الخلق ، وانهزم القرمطي يوم الاحد ثالث ربيع الاول ، ونهب سواده ، ومر على طريق القلزم ــ السويس حاليا ــ ونودي في مدينة مصر : من جاء بالقرمطي او براسه فله ثلاثمائة الف درهم وخمسون خلعة وخمسون سرج محلى على دوابها ، وثلاث جوائز . . .

(1) انظره في نص المقريزي في اتعاظ الحنفا .

(2) كذا في الاصل والاحسن : وصل جوابك .

حسب اشارته ، فانهزم وتبعه العرب وكافة من تطوع معهم،فلما رآه الحسن القرمطي منهزما تحير في أمره ، وثبت وقاتل بعسكره ، الا أن جند المعز تابعوا الهجمات عليه من كل جانب فأرهقوه فولى منهزما ، فاتبعوه وأخذوا ، أثره وظفروا بمعسكره ، وأخذوا من فيه أسرى ، وكانوا نحو ألف وخمسمائة أسير ، فضربت رقابهم وأخذوا ما في معسكره غنيمة لهم ، وأرسل المعز لدين الله القائد أبا محمود بن ابراهيم بن جعفر[1] في عشرة آلاف مقاتل ؛ وأمره باقتفاء أثر القرامطة ، واستئصال شأفتهم وقتلهم ، وتخريب ديارهم واخراجهم من أرض الشام ، وضمها لمصر ، فاقتفى أثرهم وتثاقل في سيره خوفا أن ترجع القرامطة اليه •

وأما القرامطة فان من بقي منهم ساروا الى بلدهم الاحساء ، ويظهرون أنهم يعودون ، فكتب أبو محمود القائد للخليفة المعز لدين الله الفاطمي يخبره بانهزام القرامطة من الشام ، وعودتهم الى بلادهم ، فأمر المعز بتجهيز جيش تحت قيادة ظالم ابن موهوب[2] العقيلي ، وولاه دمشق فسار اليها ودخلها وعظم أمره وكثرت جموعه وأمواله وعدته،لأن ابن أبي المنجا وابنه صاحبي القرمطي كانا بدمشق ومعهما جماعة، فأخذهم ظالم وحبسهم وغنم أموالهم وجميع ما يملكونه ، ثم ان القائد أبا محمود الذي كان سيره المعز يتبع القرامطة وصل الى دمشق بعد وصول ظالم اليها بأيام قليلة ، فخرج ظالم متلقيا له مسرورا به لأنه كان شاعرا بعودة القرامطة ، « فطلب منه أن ينزل بعسكره بظاهر دمشق،فسلم اليه أبا المنجا وابنهورجلا آخر يعرف بالنابلسي، وكان هرب من الرملة وتقرب الى القرمطي وأسر بدمشق أيضا ، فحملهم أبو محمود الى مصر فسجن أبا المنجا وابنه ، وقيل للنابلسي : أنت الذي قلت : لو معي عشرة أسهم لرميت تسعة في عسكر المعز ، وواحدا في الروم ؟ فاعترف ، فسلخ جلده ، وحشوه تبنا وصلبوه •

ولما نزل أبو محمود بظاهر دمشق ، امتدت أيدي أصحابه بالعبث والفساد وقطع الطريق ، فاضطرب الناس وخافوا ، ثم ان صاحب الشرطة أخذ انسانا من أهل البلدة فقتله ، فثار به الغوغاء والاحداث وقتلوا أصحابه ، وأقام ظالم بين الرعية

---

(1) وقع هذا الاسم في الاصل عدة مرات — كأبي محمد — واخرى — كأبي محمود وهو الذي جاء في الكامل : ٨/٤٧٠ — ٤٧٢ — لذلك أثبتناه بهذه الصورة .

(2) يقع أحيانا في المصادر « مرهوب » ولا نملك من المصادر ما يمكن من الترجيح .

بداريهم ، وقد نزح أهل القرى منها لشدة نهب المغاربة أموالهم وظلمهم لهم ودخلوا [البلد][1]، فلما كان نصف شوال من السنة وقعت فتنة كبيرة بين عسكر أبي محمود وبين العامة ، وجرى بين الطائفتين قتال شديد ، وظالم مع العامة يظهر أنه يريد الاصلاح ، ولم يكاشف أبا محمود وانفصلوا، ثم ان أصحاب أبي محمود أخذوا قفلا من الغوطة من حوران ، وقتلوا منه ثلاثة نفر ، فأخذهم أهلوهم وألقوهم في الجامع ، وأغلقت الأسواق وزحف الناس وزحف بعضهم الى بعض ، فقوي المغاربة وانهزم العامة الى سور البلد ، فصبروا عنده وخاف الناس ، وأرادوا القتال فنصحهم عقلاؤهم ، ثم ان المغاربة أرادوا نهب قينية واللؤلؤة[2] ، فوقع الصائح في أهل البلد فنفروا وقاتلوا المغاربة في السابع عشر من ذي القعدة ، وركب أبو محمود في جموعه، فخرج للعامة من تخلف عنهم ، وكثر النشاب على المغاربة فأثخن جراحهم فعادوا وحملوا على العامة فانهزموا وتبعوهم الى البلد ، فخرج ظالم من دار الامارة ، وألقى المغاربة النار من ناحية باب الفراديس وحرقوا تلك الناحية ، فأخذت النار الى القبلة فأحرقت من البلد كثيرا ، وهلك فيها كثير من الناس وما لا يحد من الاثاث والرجال والاموال ، وبات الناس في اضطراب وقلق شديد على أقبح صورة ، ثم اصطلحوا هم وأبو محمود ، ثم انتقضوا ولم يزالوا كذلك الى ربيع الاخر سنة أربع وستين وثلاثمائة ، ثم استقر الرأي بين الدمشقيين والقائد أبي محمود على اخراج ظالم من البلد ويخلفه جيش بن الصمصامة وهو ابن أخت أبي محمود واتفقوا على ذلك ، وخرج ظالم ووليه جيش وسكنت الفتنة .

ثم ان المغاربة بعد أيام عاثوا وأفسدوا باب الفراديس، فثار الناس عليهم وقاتلوهم وقتلوا من لحقوه منهم، وصاروا الى القصر الذي فيه جيش، فهرب منه هو ومن معه من الجند المغاربة ولحق بالعسكر ، فلما كان من الغد وهو [أول جمادى الاولى من السنة][3] زحف الى البلد ، وقاتل أهلها وأعمل فيهم السيف وهزمهم ، وشنع بهم أكثر مما جرى لهم من القرامطة ، وحرق ما سلم منها ، ودام القتال بينهم أياما كثيرة وذلك في جمادى الاولى ، فاضطرب الناس ودب فيهم الخوف وانزعجوا وهرب

(1) الاضافة من الكامل : ٤٧١/٨ .
(2) من محلات دمشق .
(3) في الاصل وهو راكب وزحف والاضافة والتقويم من الكامل : ٤٧٢/٨ .

بعضهم وهاجروا ، وخربت المنازل ، وانقطعت المواد وانسدت المسالك ـ اللهم نجنا من المهالك يا مالك الممالك ـ وبطل البيع والشراء والاخذ والعطاء ، وقطع الماء عن البلد وبطلت القنوات والحمامات ومات كثير من الفقراء على قارعة الطريق من شدة الهلكة والضيق والضنك ، ومن عناء ألم الجوع وشدة البرد ، فأتاهم الفرج بعزل أبي محمود .

ولما وصل الخبر الى الخليفة المعز الفاطمي بما حصل أنكر ذلك ، وقال : ان هذه أعمال جنون واستعظم الامر « ورمى بطيلسانه على الارض وأرغى وأزبد وزمجر ووعد »[1] وأصدر أمره بانصراف أبي محمود عن دمشق و [أن] يصحب جيشا[2] معه،وأرسل أمره الى ريان الخادم والي طرابلس بالتوجه الى دمشق لاستتباب الامن فيها ومواساة أهلها ورد المظالم عنهم ، فدخل ريان دمشق وصرف أبا محمود وجيشا عنها ، وعمل بما أمر امتثالا لأمر الخليفة ، وكشف أمور أهلها وأمنهم وواساهم ، وعوض عليهم ما أخذ منهم وبدل مكان السيئة الحسنة ، وكتب للخليفة بما ذكر واستتب له الامر الى سنة أربع وستين وثلاثمائة ، فوافاه ألبتكين[3] التركي مولى معز الدولة ابن بويه من مولاه بختيار بن معز الدولة حينما انهزم في فتنة الاتراك ، فسار في طائفة صالحة من الجند والترك ، فنزل بظاهر دمشق ، وكان الاحداث تغلبوا عليها ، وليس للاعيان عليهم حكم ولا للسلطنة عليهم طاعة ، فخرج أشرافها وشيوخها اليه ، وأظهروا له السرور بقدومه ، وطلبوا منه أن يقيم عندهم ، وله منهم الطاعة ويملكوه بلدهم ويزيل عنهم حكم المغاربة ، فانهم لا طاقة لهم بهم [لأنهم] يجبرونهم على التشيع ، ولمخالفتهم عقيدة أهل السنة ، ولما هم فيه من الزيغ والضلال والكفر والزندقة والالحاد ولظلم عمالهم،ويكف عنهم الاحداث فأجابهم الى ذلك واستحلفهم على الطاعة والمساعدة « وحلف لهم على الحماية وكف الأذى عنهم منه ومن غيره » ، ودخل .

---

(١) يبدو ان هذا مما حشي بالاصل .

(٢) اي جيش بن الصمصامة .

(٣) يرد رسم هذا الاسم في المصادر باشكال مختلفة منها : هفتكين، والفتكين، بفتكين وغير ذلك ، والصحيح ما اثبتناه « الب تكين اي عبد جلد » انظر الكاشغري ، ديوان لغات الترك : ١/٣٤٦ ـ ٣٤٧ . من ط الاستانة ١٣٣٣ هـ .

فدخل البلد وأخرج منها ريان الخادم،وقطع خطبة المعز ، وأعاد الخطبة للخليفة الطائع لله في شعبان ، وقمع أهل العيث والفساد ، وملأ البلد عدلا وقسطا ورفع عنها المظالم ، وهابه كافة الناس ، وأصلح كثيرا من أمورهم ، فقد كانت العرب استولت على سواد البلد وما يتصل به ، فقصدهم وأوقع بهم ، ورد جميع ما أخذوه « وأبان عن شجاعة وقوة نفس ، وحسن تدبير ، فأذعنوا له وأقطع البلاد ، وكثر جمعه وتوفر ماله وثبت قدمه .

وأرسل للمعز بمصر يداريه ويظهر له الانقياد والطاعة ، فأرسل اليه يشكره وطلب منه الحضور اليه ليخلع عليه ويعيده واليا من عنده ، فلم يثق بقوله وامتنع من المسير اليه، فتجهز المعز وجمع العساكر لقصده ، فمرض ومات على ما نذكره في سنة خمس وستين وثلاثمائة ، وولي بعده ابنه العزيز بالله فأمن ألبتكين

ثم ان ألبتكين قصد بلاد العزيز التي بساحل الشام ، فعمد الى صيدا فحصرها وبها ابن الشيخ ومعه جماعة من رؤساء المغاربة وظالم بن موهوب ، فقاتلهم وكانوا في كثرة ، نطمعوا فيه وخرجوا اليه ، فاستجرهم حتى أبعدهم ، ثم عاد عليهم فقتل منهم أكثر من أربعة آلاف رجل ، وطمع في أخذ عكة ، فوجه جيشه اليها ، وقصد طبرية ففعل فيها من القتل والنهب مثل صيدا ، ورجع الى دمشق .

فلما بلغ العزيز ذلك استشار وزيره يعقوب بن كلس فيما يفعل ، فأشار اليه بارسال جوهر يقود العسكر [الى][1] الشام . فجهزه وسيره فلما بلغ ألبتكين ذلك، جمع أهل دمشق وتكلم معهم ، وقال : أنا وليت أمركم برضاكم ، وطلب كبيركم وصغيركم لي ، وانما كنت مجتازا ، وأنا سائر عنكم لئلا ينالكم أذى بسببي ، فقالوا: لا نمكنك من فراقنا فاننا ما نجد خيرا منك يولى علينا ، ونحن نبذل كل غال من الاموال والانفس في نصرتك ونقوم معك فاستوثق منهم فحلفوا له وأقام معهم .

ووصل جوهر الى البلد في سلخ شوال[2] سنة خمس وستين وثلاثمائة فحصر دمشق ، وقد رأى من قتال ألبتكين وأصحابه ما استعظمه ودامت الحرب أكثر من شهر قتل فيها خلق كثير من الطائفتين . فلما رأى أهل دمشق ذلك ، وطول حصار

(١) الاضافة من الكامل: ٢/٨٤٤ .

(٢) في الكامل : ٨/٨٤٤ ـ ذي القعدة ـ .

المغاربة لهم عقدوا مجاسا وشاوروا ألبتكين بمكاتبة الحسن بن أحمد القرمطي لينجدهم ، ففعل ذلك فسار القرمطي اليه من الاحساء ، فلما قرب منه رحل جوهر عن دمشق، وذلك في مستهل [ذي] القعدة، خوفا من الوقوع بين عدوين وبين نارين.

ووصل القرمطي واجتمع هو وألبتكين ، وساروا في اثر جوهر ، فلحقوه وقد نزل بالرملة، وسير أثقاله الى عسقلان . وكان رجال[1] ألبتكين والقرمطي كثير العدد نحو من خمسين ألف فارس ، فنزلوا على نهر الطواحين ، وقطعوا الماء عن البلد فاضطروا جوهر للشرب من ماء الصهاريج ، وهو قليل لا يكفيه ، فاضطر الى التوجه الى عسقلان ، فتبعاه : ألبتكين والقرمطي ، وحاصراه حصارا شديدا ، وطال الحصار وقلت الميرة وغلت الاقوات واضطروا الى أكل الميتة ، وارتفع سعر الخبز الى دينار ، وراسل جوهر ألبتكين يعده ويمنيه ويستجلب رضاه ويبذل له العطاء ، ويعده اذا وافقه الى الطاعة بالبذول الكثيرة ، فهم أن يفعل فمنعه القرمطي وأخافه عاقبة الامر ، فاشتد على جوهر ومن معه فعاينوا الهلاك ، وكان الوقت شتاء ولا يقدر على حمل الذخائر في البحر من مصر وغيرها ، فأرسل الى ألبتكين يطلب منه أن يجتمع بـه ، فتقدم اليه واجتمعا راكبين ، فقال جوهر : قد علمت ما يجمعنا من عصمة الاسلام وحرمة الدين ، وقد طالت هذه الفتنة ، وأريقت فيها الدماء ، ونهبت الاموال ، ونحن المؤاخذون بها عند الله تعالى ، وقد دعوتك للصلح والطاعة والموافقة[2] ..

---

(1) في الكامل ٨/٤٨٥ ــ جمع ــ .

(2) ترجم المقريزي في كتاب المقفى ــ مجلد برتو باشا : ٣٠٦ ــ ٣١٢ ، ترجمة وافية لجوهر الصقلبي ، وقد جاء بها عن علاقته بالبتكين ما يلي :

واقام ــ جوهر ــ بالقاهرة حتى مات المعز في ربيع الآخر سنة خمس وستين ، واستخلف بعده ابنه العزيز بالله ابو منصور نزار ، فانتدبه للخروج الى الشام ، وحول اليه خزائن السلاح والاموال ، وسار من القاهرة في عسكر لم يخرج الى الشام قبله مثله ، بلغت عدتهم عشرين الفا .

فبلغ البتكين الشرابي ، وهو على عكا مسير جوهر ، والقرامطة على الرملة، فولت القرامطة منهزمين عجزا عن مقاومته ، وسار البتكين الى دمشق ، وجوهر في اثره الى ان نزل بين داريا وبين الشماسية ، ظاهر دمشق يوم الاحد لثمان بقين من ذي القعدة سنة خمس وستين ، وحفر على عسكره خندقا عظيما ، وجعل له ابوابا ، وبنى البيوت من داخل الخندق ، وكان قد انضم اليه ظالم بن موهوب

• •

العقيلي ، فانزله خارج الخندق ، وجمع البتكين الدعار ، وحمال السلاح من عوام دمشق ، وقدم عليهم قسام السناط التراب « السناط : الذي لا لحية له » واجرى له الارزاق ، واخرجه الى قتال جوهر ، فاستمرت الحرب بين جوهر والبكتين من يوم عرفة ، فجرى بينهم اثنتا عشرة وقعة الى سلخ ذي الحجة ، ولم تزل الحرب الى يوم الخميس حادي عشر ربيع الاول سنة ست وستين وثلاثمائة ، فانهزم البتكين ، وعزم على الفرار الى انطاكية ، ثم ثبت عندما بلغه قدوم الحسن بن أحمد القرمطي اليه فاستظهر .

وبلغ ذلك جوهر فدعا الى الصلح ، وكان الشتاء قد هجم عليه ، وهلك اكثر ما معه من الكراع ، وصار معظم أصحابه رجالة بغير خيل ، وقلت الغلات عنده ، واشتد وقوع الثلوج ، فامتنع البتكين من اجابته ، ثم اذعن وانفذ الى جوهر بجمال ، ورحل عن دمشق بعدما احرق ما عجز عن حمله من الخزائن والاسلحة، وسار يوم الخميس ثالث جمادى الاولى مجدا لخوفه ان يدركه القرمطي ، فهلك كثير من عسكره لشدة الثلج ، واخذ القرمطي يسير خلفه من طبرية الى الرملة ، فتحصن جوهر بزيتون الرملة ، وخرج البتكين من دمشق ، ولحق بالقرامطة ، واجتمعوا على قتال جوهر ، فجرت بينهم حروب طويلة شديدة آلت الى التجاء جوهر الى عسقلان ، وقد فني معظم عسكره ، ونهبت القالبه ، فنزل البتكين وحصره حتى بلغ منه الجهد الشديد ، وغلت عنده الاسعار بعسقلان ، فبلغ قفيز القمح أربعين دينارا ، وتنكر عليه من معه من الكتامسيين ، واحتقروه وتنقصوه وشتموه ، وكانوا قبل ذلك تخاذلوا ولم يصدقوا في القتال ، وكايدوا القائد جوهر ، فضاقت بجوهر ومن معه الارض ، ولاذ الى الصلح ، فبعث اليه البتكين : ان اردت الخروج بمن معك فأنا أؤمنك حتى تنصرف الى صاحبك ، فتعاقدوا على ذلك ، وصالح البتكين على مال ، وخرج وقد علق البتكين سيفه على باب عسقلان حتى يخرج جوهر ومن معه من تحت سيفه ، فسار الى القاهرة ، وقد بلغ العزيز ما هو فيه من الجهد ، فبرز يريد السفر الى الشام فسار معه، وكانت مدة قتال القرامطة والبتكين لجوهر على الزيتون ظاهر الرملة وعلى عسقلان سبعة عشر شهرا ، فلما قدم جوهر على العزيز ، وبلغه تخاذل الكتاميين غضب من ذلك غضبا شديدا ، وعذر جوهر ، واظهر له انه قد تنكر له ، وعزله عن الوزارة ، وصير مكانه يعقوب بن كلس .

والى هنا انقطع المؤلف لمرضه وتوفي في هذه السنة تغمده الله برحمته آمين والحمد لله رب العالمين .

تم نسخ هذه النسخة من نسخة منقولة عن مسودة المؤلف برسم الشريف أبي القاسم العلوي في سلخ جمادى الاولى سنة سبع وسبعين وخمسمائة .

وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة في سلخ شوال سنة ألف وسبع وخمسين على يد كاتبها الضعيف الفاني أحمد بن عمر بن خطاب بن رمضان الخاني ، أدخله الله دار التهاني وبلغه في الدارين الاماني وغفر له . آمين . آمين[1] .

---

(1) اذا كان تاريخ ثابت بن سنان قد جاء على شكل ذيل على تاريخ الطبري ، فقد قام ـ كما سلف ـ بعض آل الصابىء بالتذليل على تاريخ ثابت ، وأهم هؤلاء : هلال ابن المحسن ثم ابنه محمد بن هلال ، ولم يصلنا من هذه الذيول الا قطعة نشرت منسوبة الى عبد الملك الهمذاني الذي ذيل ايضا على تواريخ آل الصابىء ، لكن فقد ما كتبه هو وبقي بعض ما نقله ، ولحسن الحظ نجد سبط ابن الجوزي ، قد اعتمد في كتابه مرآة الزمان على تواريخ آل الصابىء ، ونقل منها الكثير حتى انه نقل تاريخ محمدبن‌هلال كاملا،وقد حقق باشراقي وقدم رسالة لنيل الماجستير في دمشق .

ومما نقله سبط ابن الجوزي عن موضوع القرامطة من تاريخ هلال بن المحسن في حوادث سنة ٣٦١ هـ ما يلي : « مخطوطة احمد الثالث المجلدات ١١ ـ ١٣ » .

ومن ها هنا نبتدىء بشيء مما ذكره أبو الحسين هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابىء ، فانه ذكر « مع ابنه » تاريخا من اول سنة احدى وستين وثلاثمائة الى سنة أربع وسبعين واربعمائة ، سلك فيه أسلوب خاله ثابت بن سنان .

قال ابن الصابىء : في جمادى الآخرة ، ورد الخبر ، بأن ابا علي الحسن بن ابي منصور احمد القرمطي ، سار الى مصر ، ونزل بعين شمس ، وجرت بينه وبين جوهر القائد وقعة ، وكان الاستظهار فيها لجوهر ، وانهزم القرمطي .

قال ابن الصابىء : لما دخل جوهر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، ووطىء الامور للمعز ، واقام له الخطبة ، سير القائد جعفر بن فلاح الى الشام ، فأسر الحسن ابن عبيد الله بن طغج ، وبعث به الى مصر ، ونهب الرملة ، وقصده النابلسي الزاهد ، واستكف جعفرا عن النهب فكف ثم استخلف ابنه على الرملة ، وسار الى طبرية ، وبلغه ان ابن ابي يعلي الشريف قد اقام الدعوة بدمشق للمطيع ، فسار الى دمشق فعصوا عليه ، وقاتلوه ، فظهر عليهم ، وهرب ابن أبي يعلي الى البرية ، وجيء به اليه ، فاحسن اليه ، وبعث به الى مصر مع جماعة من الاحداث الذين قاموا معه .

وعرف القرامطة استيلاء المغاربة على الشام ، واخذهم ابن طفج ، فانزعجوا من ذلك ، لما يفوتهم من المال الذي كان قرره ابن طغج لهم ، وهو في كل سنة ثلاثمائة الف دينار ، فبعثوا ابا طريف عدي بن محمد بن الغمر صاحبهم الى عز الدولة بختيار الوزير ، والوزير يومئذ ابو الفرج محمد بن العباس ، يطلبون المساعدة على المغاربة بالمال والرجال، فاستقر ان عز الدولة يعطيهم الف الف دينار، والف جوشن ، والف سيف ، والف رمح ، والف قوس ، والف جعبة ، وقال : اذا وصل ابو علي الجنابي الى الكوفة ، حمل اليه جميع ذلك .

ولما وصل الجنابي الى الكوفة ، وكان في عدد كثير من اصحابه ، ومن الاعراب ، فبعثوا اليه بالمال والسلاح ، وسار يريد الشام ، وبلغ جعفر بن فلاح خبرهم ، فاستهان بأمرهم ، ثم لم يشعر بهم حتى كبسوه بدمشق بمكان يقال له الدكة ، فقتلوه ، واحتووا على سواده وامواله وكراعه ، وملك ابو علي دمشق ، وامن اهلها ، واحسن السيرة فيهم ، وغلب على الشام ، واجتمعت اليه العرب، وسار الى الرملة ، وبها سعادة بن حيان ، فخرج الى يافا . وتحصن بحصنها ، ودخل ابو علي الرملة ، وقتل من وجد من المغاربة ، ثم رحل طالبا مصر ، وخلف بالرملة ابا محمد عبد الله بن عبيد الله الحسيني، ومعه دغفل بن الجراح الطائي، وجماعة من الاخشيدية والكافورية ، وجاء فنزل عين شمس على باب مصر .
واقتتلوا اياما ، وظهر القرمطي على المغاربة ، وقتل منهم زهاء خمسمائة رجل ، وغنم اموالهم وأسلحتهم ، ودوابهم .

فلما كان يوم الاحد لثلاث خلون من ربيع الاول وقف الهجري على الخندق ، وحملوا على الهجري ، فاندق عسكره لا يلوي على احد ـ وجعل يردهم ، وهم منهزمون ، فما وقفوا الى الرملة ، وظن جوهر ان هزيمة القرمطي مكيدة ، فلم يتعرض لما كان في عسكره الى ثلاثة أيام ، حتى تحقق الخبر ، فاستولى على الجميع ، ونادى جوهر في الاخشيدية ، ثم قبضهم وقيدهم وحبسهم ، وكانوا الفا وثلاثمائة مقاتل ، وقال القرمطي في هذه الوقعة :

زعمت رجال الغرب اني هبتها ... فدمي اذا ما بينهم مطلول
يا مصر ان لم اسق ارضك من دم ... يروي ثراك فلا سقاني النيل

وقال :

زعموا انني قصير لعمري ... ما تكال الرجال بالقفزان
انما المرء باللسان وبالقلـ ... ـب وهذا قلبي وهذا لساني

ثم عاد الهجري الى بلده ، وتفرقت الاعراب في البرية . . . وفيها عاد الهجري الى الشام ، فلما وصل الازرق ، انصرفت المغاربة الى مصر ، ونزل الهجري الى الرملة في آخر شعبان ، وصرف عنه اهل البادية ، واقام في اصحابه الهجريين . .

• •

وفي وفيات حوادث سنة ٣٦٦ هـ :

الحسن بن احمد بن ابي سعيد

ابو علي ، وقيل ابو محمد القرمطي الجنابي ، ولد بالاحساء في رمضان سنة ثمان وسبعين ومائتين وغلب على الشام سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، وقتل جعفر ابن فلاح،واستخلف على دمشق ظالم بن موهوب المقيلي ثم عاد الى الاحساء،وفي سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ، توجه الى مصر ، ونزل بميسول الطواحين ، ذلك ان المعز كان يصافيه لما كان بالمغرب،ويهاديه فلما وصل الى مصر قطع ذلك عنه، فوافى القرمطي بغداد ، وسأل المطيع على لسان عز الدولة أن يمده بمال ورجال، ويوليه الشام ومصر ، ليخرج المعز منها ، فامتنع المطيع ، وقال : كلهم قرامطة ، وعلى دين واحد، اما المصريون فأماتوا السنن ، وقتلوا العلماء، واما هؤلاء فقتلوا الحاج ، وقلعوا الحجر الاسود ، وفعلوا وفعلوا ، فقال عز الدولة للقرمطي : اذهب فافعل ما تراه ، وذكروا انه أعطاه سلاحا ومالا ، فسار الى الشام ، ومعه أعلام سود ، واظهر أن المطيع ولاه وعلى الاعلام اسم المطيع ، وتحته مكتوب : « السادة الراجعين الي الحق » وملك الشام ، ولعن المعز على منبر دمشق وآباءه ، وقال : هؤلاء من ولد القداح كذابون ممخرقون ، أعداء الاسلام ، ونحن اعلم بهم ، من عندنا ظهر القداح . ثم اقام الدعوة لبني العباس ، وسار الى مصر ، وحصر المعز في القاهرة فارضاه بمال ، فرجع الى الاحساء ، ثم عاد الى الشام فنزل الرملة ، فمات بها في رجب ، وهو يظهر بطاعة عبد الكريم الطائع وجده ابو سعيد الجنابي اول القرامطة ، وقد ذكرناه .

وكان ابو علي الحسن صاحب هذه الترجمة شاعرا فصيحا ، قال الحسين ابن عثمان الحرمي الحنبلي ، كنت بالرملة سنة ست وستين وثلاثمائة فوردها ابو علي الحسن القرمطي القصير الثياب، ويلقب بالاعصم، فاستدعاني، فحضرت عنده ليلة ، واحضر الفراشون الشموع ، فقال لكاتبه ابي نصر بن كشاجم : يا ابا نصر ما يحضرك في صفة هذه الشموع فقال : ان من يحضر مجلس الامير يستفيد منه ، فقال القرمطي بديها :

ومجدولة مثل صدر الفتاة ... تعرت وباطنها مكتسي
لها مقلة هي روح لها ... وتاج على هيئة البرنس
اذا غازلتها الصبا حركت ... لسانا من الذهب الاملس
وان رنقت لنعاس عرا ... رقطت من الراس لم تنعس
وتنتج في وقت تلقيحها ... ضياء يجلي دجى الحندس
فنحن من النور في اسعد ... وتلك من النار في انحس

فقام ابن كشاجم ، فقبل الارض بين يديه ، وساله أن ياذن في اجازتها ، فأذن ، فقال :

وليلتنا هذه ليلة ... تشاكل أشكال اقليدس
فيا ربة العود حثي الغنا ... ويا حامل الكاس لا تحبسي

فخلع عليه وعلى الحاضرين ، ووصلهم بصلات ، ومن شعر القرمطي :

يا ساكن البلد المنيف تعززا ... بقلاعه وحصونه وكهوفه
لا عز الا للعزيز بنفسه ... وبخيله وبرجله وبسيوفه
وبقبة بيضاء قد ضربت الى ... جنب الخيام لجاره وحليفه
قرم اذا اشتد الوغى أردى العدى ... وشفى النفوس بضربه ووقوفه
لم يرض بالشرف التليد لنفسه ... حتى أشاد تليده بطريفه

وقال لما فل جيشه بعين شمس :

ولو اني ملكت زمام امري ... لما قصرت في طلب النجاح
ولكني ملكت فصار حالي ... كحال البدن في يوم الاضاحي
يقدن الى الردى فيمتن كرها ... ولو يستطعن طرن مع الرياح

وقال :

له مقلة صحت ولكن جفونها ... مراض بها تسبي القلوب وتتلف
وخد كلون الورد يجنى بأعين ... وقد عز حتى أنه ليس يقطف
وعطفه صدغ لو تعلم عطفها ... لكان على عشاقه يتعطف

وقال : وكتب بها الى جعفر بن فلاح والي دمشق قبل لقائه :

الكتب معذرة والرسل مخبرة ... والحق متبع والخير موجود
والحرب ساكنة والخيل صافنة ... والسلم مبتذل والظل ممدود
وان انبتم فمقبول انابتكم ... وان ابيتم فهذا الكور مشدود
على ظهور المطايا او يردن بنا ... دمشق والباب مهدوم ومردود
اني امرؤ ليس من شاني ولا اربي ... طبل يرن ولا ناي ولا عود
ولا اعتكاف على خمر ومجمرة ... وذات دل لها دل وتغنيد
ولا أبيت بطين البطن من شبع ... ولي رفيق خميص البطن مجهود
ولا تسامت بي الدنيا الى طمع ... يوما ولا غرني فيها المواعيد

وفي وفيات حوادث سنة ٣٦٨ هـ

ذكر حال البتكين الى ان توفي

وحقيقة شرح الجملة التي ذكرنا بها حصوله بدمشق ، واستقراره فيها وكان يكاتب المعز ويطيعه ، فلما مات المعز كاتبه العزيز ، ووعده الاصطناع ورفع المنزلة ، والبقاء على ما هو عليه ، ان وطيء بساطه ، فكتب اليه هذا البلد اخذته بسيفي ، وما ادين لاحد فيه بطاعة ، فغاظ العزيز جوابه واستشار يعقوب بن كلس وزيره ، فأشار عليه بأن يجهز القائد جوهر في العساكر الى الشام ، وبلغ البتكين، فجمع وجوه الدماشقة وشيوخها، وقال لهم: قد عرفتم انكم سألتموني ان اتولى امركم ، وما تصرفت الا على وفق مرادكم . وقد طلبني من لا طاقة لي به ، وانا داخل بلاد الروم ، وابصر مكانا اكون مقيما فيه لئلا يلحقكم بسببي ضرر ممن يقصدني ، وكان الدمشقيون يكرهون المغاربة ، لمخالفتهم اياهم في الاعتقاد ، ولاجل ما عاملهم به امراؤهم وولاتهم فقالوا له : اقم ونفوسنا [نبذلها في نصرتك] .

وسار جوهر في عسكر كثيف بعد أن أخذ من العزيز امانا لالبتكين وخاتما من ثيابه ، وكتابا اليه بالعفو عنه ، فلما حصل جوهر بالرملة كاتب البتكين بالرفق والملاطفة ، ودعاه الى السلم والطاعة ، ووعده أن يبلغه ما يريد ، واعلمه بما معه من الامان، فأجابه بالجميل والشكر على مابذله وغالطه بأن أحال على اهل دمشق، وسار جوهر ، وقرب من دمشق ، فخرج اليه البتكين في اصحابه ومن معه من العرب ، واقامت الحرب بينهم شهرين ، وقتل من الفريقين عدد كثير ، وظهر من شجاعة البتكين والغلمان الذين معه ما عظموا به في النفوس ، وتقررت لهم الهيبة في القلوب،واشار عليه اهل دمشق بمكاتبة الحسن بن احمد القرمطي واستدعائه وعرف جوهر خبره ، فعلم انه متى حصل بين عدوين خيف عليه ، فرجع الى طبرية ، ووصل القرمطي الى البتكين ، واجتمعا وتعاهدا على قتال جوهر،وسارا خلفه من طبرية الى الرملة ، فاقام بها ، وبعث باثقاله الى عسقلان ، وكتب الى العزيز يعرفه الصورة ، ويستأذنه أن دعته الضرورة قصد عسقلان ، ووافى البتكين والقرمطي ، فنزلا على الرملة ونازلا جوهرا ، وكان معهما خمسون الفا

من الفرسان والرجالة ، وكان القتال على نهر الطواحين ، بينه وبين الرملة ثلاثة فراسخ ولا ماء لهم الا منه نقطعاه عن جوهر ، فتضرر عسكره ، فسار الى عسقلان في اول الليل ، فوصل اليها في آخره ، فدخلها واغلق ابوابها ، وتحصن بها ، وتبعه البتكين والقرمطي، وحاصراه فيها، وضاقت به الميرة، وغلت الاسعار وكان الوقت شتاء ، فلم يمكن حمل الاقوات في البحر ، واشتدت الحال بجوهر، وأكل اصحابه الدواب والميتة، وكان يخرج فيقاتل، فاذا وجد فرصة من البتكين دعاه الى الطاعة وارغبه، فيسترجح البتكين شجاعته، ويهم أن يقبل منه، فيثنيه القرمطي، وكاتب البتكين رجلا يقال له ابن الجمار، وكان يخالف اعتقاد المصريين، ويقول : هؤلاء كفار ويجب قتالهم .

واشتد الامر بجوهر، فاحتال في الخلاص ، فراسل البتكين، وساله القرب منه، فأجابه ووقفا على فرسيهما سرا ، وقال له جوهر : قد علمت ما يجمعني واياك من عصمة الاسلام ، وحرمة الدين ، وهذه فتنة قد طالت واريقت فيها دماء ، نحن المؤاخذون بها عند الله ، وقد دعوتك الى الصلح والموادعة ، وضمنت لك ما أردت فأبيت ، فقال : معي في الراي القرمطي ، وبيني وبينه ايمان ، فقال : اذا كان الامر كذا ، فانا التمس منك أن تأذن لي في الخروج من عسقلان الى مصر بمن معي ، ونسير تحت ذمامك ، وسوف ترى ما أفعل ، فقال بشرط ، وهو أن اعلق سيفي على باب عسقلان ورمح القرمطي، وتخرج انت واصحابك من تحتهما، فقال جوهر : جزاك الله خيرا ، قد تفضلت واحسنت لآخذن به وعاد البتكين فأخبر القرمطي ، فقال : ما فعلت مصلحة ، ارجع عن هذا فانها خديعة ، ودعهم يموتون جوعا ، أو تأخذهم بالسيف ، فانما جوهر صاحب مكر وخديعة، فقال : قد كان وحلفت له ، وما اغدر به ، واصبح جوهر واصحابه ، فخرجوا من تحت سيف البتكين ورمح القرمطي ، وساروا الى مصر، واجتمع جوهر بالعزيز وشرح له الحال ، فقال له : ما الراي ؟ فقال : أن تخرج بنفسك والا فانهم واردون على اثري .

ففتح العزيز بيوت الاموال ، وبرز بالعساكر واستصحب الذخائر ، وتوابيت آبائه وسار جوهر على مقدمته الى الرملة، والبتكين والقرمطي بها، فنزل العزيز، وبينهما مقدار فرسخ ، والتقى الصفان ، والبتكين يلعب بين الصفين بسلاحه ، فقال العزيز لجوهر : ارني البتكين ، فأراه اياه ، وعليه كزاغند أصفر ، وهو تارة يضرب بالسيف ، وتارة باللت ، وتارة يطعن بالرمح ، والناس يتحامونه ،

فاعجب العزيز ما رآه من فروسيته فانفرد العزيز وصعد على رابية، وعلى راسه المظلة ، وارسل ركانبيا الى البتكين ، وقال له : انا العزيز ، وقد ازعجتني من سرير ملكي واحوجتني الى مباشرة الحرب ، وقد عفوت عنك ، فاترك ما انت عليه ، ولك علي عهد الله وميثاقه ان اصطنعك وأجملك اسفهسلار عسكري ، وأهب لك الشام بأسره ، فجاء الركابي اليه وادى الرسالة ، فخرج من العسكر بحيث يراه الناس ، وترجل ، وقبل الارض مرارا ، ومرغ خديه ، وقال : قل له : ياмولاي لو تقدم هذا القول منك لسارعت الى أمرك، فالان فليس الا ماترى، فابلغه ذلك ، فاعاد الركابي اليه ، وقال : قل له : يقرب ، يقرب مني بحيث أراه ويراني ، فان استحققت منه ان يضرب وجهي بالسيف ، فليفعل ؟ فقال : قل لمولاي : ما كنت ممن اشاهد طلعته وانابذه الحرب ، وقد خرج الامر عن يدي ، ثم حمل على ميسرة العزيز فهزمها ، فارسل العزيز الى الميمنة فامرها بالحملة، وكان هو في القلب ، وحمل وعلى راسه المظلة، فانهزم البتكين والقرمطي وقتل من اصحابهما نحوا من عشرين الفا ، وقال من جاءني بالبتكين والقرمطي ، فله مائة الف دينار .

وكان البتكين يميل الى المفرج بن دغفل بن الجراح الطائي ، وكان امردا وضيء الوجه ، فاتفق أن البتكين لما انهزم ، قصد ساحل البحر ومعه ثلاثة انفس ، وقد اجهده العطش ، فلقيه المفرج في سرية من الخيل ، فسقاه ماء ، فقال له: احملني الى أهلك ، فجاء به الى قرية يقال لها يبنى(١) ، فاجلسه هناك ووكل به جماعة ، وجاء الى العزيز ، فتوثق منه في المال ، ثم اخبره أن البتكين قد حصل في يده ، ومضى وجاءه به، فأمر العزيز بأن يضرب له مضرب من مضاربه الخاص، وفرش فيها فرشة ، واحضر جميع ما يحتاج اليه ، وانزله في المضرب ، ولم يشك انه مقتول ، وامر بأصحابه الاسرى ، فضربت لهم المضارب وحملت اليهم فنون الفرش والاطعمة ، وبعث له العزيز دستا من دسوته ، فقام وقبل الارض، وبكى وعفر خديه في التراب ، وقال : ما استحق الا القتل ، ولكن يأبى مولانا الا ما تقتضيه اعرافه الشريفة ، ولم يقعد في الدست ، وبعث له الخلع والثياب والتحف مع الخدم ، واعلموه أن العزيز قد عفا عنه ، فلما كان الليل جاء العزيز الى مضربه بنفسه ، فقام وقبل الارض ، وحثا التراب على راسه ، وجعل يبكي

(١) بلدة قرب الرملة ـ معجم البلدان .

وينتحب ، فقال له العزيز : ما نقمت عليك الا كوني دعوتك الى مشاهدتي لعلك ان تستحي مني ، فأبيت ، والان فقد عفوت عن ما جرى ورضيت عنك ، وسوف ترى ما افعل معك ، ثم انزل اصحابه على مقاديرهم واسنى ارزاقهم ورفع منازلهم ،واستحجبه العزيز ، وجعله من خاصته ثم بعث العزيز النجائب بالكتب ، فلحقوا الحسن بن احمد القرمطي بطبرية ، فأعادوا عليه الرسائل ، وان العزيز قد عفا عن ما جرى ، ويسأله أن يطأ البساط ، فامتنع ، وتقرر الحال على انه يدخل في طاعة العزيز ، وان يحمل اليه في كل سنة سبعون الف دينار ، فرضي ، وعجل له برزق سنة ، فأخذه وعاد الى هجر ، ورجع العزيز الى القاهرة ،وانزل البتكين في دار عظيمة ،ونقل اليها الآلات والمال والتحف ، وسلم اليه بابه وحجابه ، وشرع البتكين في التكثير على وزير العزيز يعقوب ، ولم يلتفت عليه ، فدس اليه الوزير من سقاه السم ، فمات فحزن عليه العزيز ، واعتقل الوزير نيفا واربعين يوما ، فانكسرت الاموال فاطلقه .

وفي حوادث سنة ٤٥٨ هـ

[قال غرس النعمة محمد بن هلال بن المحسن الصابىء]

وورد الخبر بانه قد ملكت جزيرة اوالي ، المسماة بالبحرين ، وهي من اعمال القرامطة ، غلب عليها اهلها ، وامروا عليهم ابا البهلول ، عوام بن محمد بن يوسف ابن الزجاج ، فخطب بها للقائم ، وكان يخطب بها لصاحب مصر ، وبعث اليهم القرامطة جيشا فهزموه .

وكان ابو البهلول ، واخوه ابو الوليد من اهل الدين ، فانفوا من القرامطة ، واجتمع اهل الجزيرة عليهما ، وبذلوا للقرامطة ثلاثة آلاف دينار حتى يمكنوهم من بناء جامع يأوي اليه المسافرون ، والغرباء ، ويصلون فيه الجمعة ، فاجابوهم ، فلما تكامل الجامع ، صعد ابو الوليد المنبر ، فخطب للخليفة القائم ، فقال من يهوى القرامطة : هذه بدعة ، ويجب أن نمنع بني الزجاج من الخطبة ، ويصلون بغير خطبة ، وتقدموا اليهم بذلك ، فقالوا : ما بذلنا ما بذلنا الا ليجلب الينا التجار والمسافرون فان كرهتم ذلك ، فادفعوا الينا ما بذلناه ، فمعيشتنا من هذا الباب ، وكوتب القرامطة بذلك ، فجاء الجواب بأن لا يعترض عليهم ، فمال اليهم اهل تلك النواحي ، فلما اخرج الخليفة من بغداد نوبة البساسيري(١) قال

(١) انظر كتابي مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية : ٩٦ ــ ١٢٠ .

• •

المخالفون لهم : الخليفة الذي كنتم تخطبون له زالت ايامه ، والخطبة لصاحب مصر ، فلم يمتنعوا من الخطبة للقائم[1] ، وبعثوا الى القرامطة هدية وسالوهم ان لا يعترضوا عليم ، فجاء جوابهم أن يجروا على عادتهم في الخطبة لمن أرادوا ، وقوي امر ابي البهلول ، ثم كتب القرامطة الى نائبهم بأن يصادر أهل البلد، وكان عاقلا ، فامتنع ، وعلم بنو الزجاج بذلك فولوا عليهم ابا البهلول ، وكانوا ثلاثين الفا ، وقدم وال جديد فعزم على القبض على ابي البهلول ، ومن وافقه ، فبادروه بالقتال ، وكان بالجزيرة رجل يقال له ابن ابي العريان ، كبير القدر ، فوافقهم ، وانحاز الى ابي البهلول ، وزحفوا الى الوالي الجديد، فقتلوا من اصحابه جماعة، وهرب، وكان الوالي العتيق الذي لم يصادرهم يقال له ابن عزهم ، فجاء الجواب بأن لا نرده والعساكر واصلة ، وبعث ابو عبد الله بن سنبر وزير القرامطة ، احد اولاده ، لحمل مال وسلاح منها ، وعرف ابو البهلول ، وابن أبي العريان ذلك ، فكتماه ، وكمنا له في الطريق عند عوده ، فقتلاه واربعين رجلا معه صبرا ، واخذا ما كان معه ،وهو خمسة آلاف دينار ، وثلاثة آلاف رمح ، ففرقا المال والسلاح على أصحابهما ، وبلغ الخبر ابن سنبر ، فمال الى ابن أبي العريان ، وكاتبه سرا وبذل له الاموال ، وان يوليه الجزيرة ، فمال الى قوله ، واجابه الى الفتك بأبي البهلول ، وانه اذا بعث عسكرا في البحر الى الجزيرة ، وقرب منها ، وثب على ابي البهلول فقتله ، وقتل اصحابه ، ثم قال لاهله وعشيرته : هذا الذي نحن فيه امر لا يتم ، وما لنا بالقرامطة قدرة ، ويجب ان ندبر أمرنا معهم ، فقالوا : افعل ما تراه فنحن نتبعك ، وبدأ في نقض ما اتفقوا عليه .

وعرف ابو البهلول ذلك ، فانزعج وجمع اهله وعشيرته ، واطلعهم على الحال ، وقال : ما لنا قدرة بابن ابي العريان ، هو أقوى ، وأكثر رجالا ومالا ، فاطلبوا قتله فيلة بوجه لطيف ، والا يتقرب بنا الى القرامطة ، فرصدوه حتى نزل الى عين ، تسمى عين ثور ، يغتسل ، فنزل اليه رجل فقتله ، وقيل بل قتله احد بني اعمامه ، وجاء اصحابه فرأوه قتيلا ، فجاؤوا الى ابي البهلول واتهموه بقتله ، فحلف لهم انه ما قتله ، فصدقوه .

---

(1) امتدت خلافة القائم من سنة ٤٢٢ وحتى ٤٦٧ هـ/١٠٣١ ـ ١٠٧٥ م ، وقد شاب هذه الفترة الطويلة توقف لمدة سنة بعدما سيطر البساسيري على بغداد ، وأعلن الغاء الخلافة العباسية ، ودعا للمستنصر الفاطمي .

وجاء ابن سنبر ، وزير القرامطة بالعسكر ، على ما كان استقر بينه وبين ابي العريان ، في مائة وثمانين شداه(١) ، من عامر وربيعة وغيرهم فخرج اليهم ابي البهلول في مائة شداه ، وجاء على فرسه ، فوقع فانكسرت ساقه ، فاقسم عليه اخوه ابو الوليد،ان يرجع، فابى، ونزل على حاله في شداه، وامر بضرب الدبادب والبوقات ، ونشر الاعلام ، واتفق لابن سنبر من السوء انه ان كان معه في الشداة خمسمائة غلام وفرس ، لعامر وربيعة، تصوروا منه ان يدخل البلد من غير حرب، ولم يشعر بقتل ابن ابي العريان ، فلما ضربت البوقات والطبول ، وسمعتهما الخيل ، ورات المطارد نفرت وغرق بعض الشداه، ووقع العرب في البحر، وهرب ابن سنبر الى الساحل ، واستولى ابو البهلول على باقي الشداه ، فاخذ منها نحو مائتي فرس وسلاحا كثيرا ، واستأمن اليه من كان فيها من اهل السواد ، وحلفوا أن ابن سنبر اخذهم قهرا ، وظفر باربعين رجلا من القرامطة ، فقتلهم صبرا ، وعاد وقد برئت ركبته ، وقوي أمره ، وانتظم حاله ، واستوزر اخاه ابا الوليد ، وكتب الى بغداد بالفتح ، وشرح الحال الى ابي منصور بن يوسف .

وقال محمد بن هلال الصابيء : حدثني ابو حفص الريحاني أحد المتفقهة حديث القرامطة ، وكان قد اجتاز بهم ، قال : ان جزيرة اوالي ثلاثة عشر فرسخا ضياعا ، ومزارعا ونخيلا واشجارا، ونفس البلد لطيف، وعدد قراه مائة وثلاثون قرية ، منها قرية تشتمل على مائة وثلاثين مسجدا، تسمى تستر، وهم يخطبون قديما لبني العباس .

والقرامطة من بعدهم في بلد يعرف بالقطيف ، على ساحل البحر ، وجميع السواد الى الاحساء ، ولا يخطب فيها لاحد ، ولا يصلى فيها جمعة ولا جماعة ، الا صلاة التراويح تعظيما لابي سعيد الجنابي المدفون بها ، وفيها قوم يعرفون بالسادة ، من اولاد القرامطة ، من ظهر ابي سعيد ، كلما نقص من عددهم واحد ، اقاموا واحدا مكانه ، وهم على سنن من العدل يقيمون الحدود ، ويحافظون على الصلوات ، ويبطلون المذاهب الفاسدة ، ولهم ستة وزراء من [بني] سنبر ، ولا يستبدلون بهم ، لان ابا سعيد لما ظهر عاضدوه ، وشرطوا عليه ان تكون الوزارة فيهم ، والرئاسة فيه .

ومن مذهبهم اسقاط الجزية عن اهل الذمة، ويصلون على ابي سعيد، ولايصلون على النبي ﷺ ، وان صلى احد عليه صفعوه ، وقالوا : لا تاكل رزقنا ورزق ابي سعيد ، وتصلي على ابي القاسم ، واعتقادهم ان ابا سعيد يعود اليهم ، ويخرج من قبره عليهم اذا طار طائر من حصن معمول في راس قبة على ضريحه من دارهم بالاحساء، وعند القبر فرس مشدود،وخلعة ثياب، ودست سلاح معد لخروجه.

---

(١) من انواع السفن .

السنة التاسعة والستون والاربعمائة :

وفيه [ربيع الآخر] سار ارتق بك التركماني وأبوه اكسك فقطع حلوان الى القطيف ومر على البصرة فنهب مامروا به فاغلقت أسواقها وسدت أبواب دروبهما وعدم الناس الماء ثلاثة أيام وخرج اليها اعيان اهلها وقبحوا عليه ما فعل وطلب منهم الجمال والروايا والزاد والمال ليذهب الى الاحساء فأعطوه بعض ما طلب وسار منها في رجب الى القطيف فوجد يحيى بن العباس الخفاجي صاحبها قد اخلاها ومضى الى جزيرة أوال وتجشم ارتق الى الاحساء فنهبها وكان بقلعتها جماعة من القرامطة فراسلوه وخدعوه وقالوا : نحن نعطيك عشرة آلاف دينار ونخطب للخليفة والسلطان فاجابهم، فقالوا : ابعد عنا مدة قريبة ليتراجع الناس ونجمع المال واعطوه رهائن فرحل عنهم فخرجوا الى آبار غامضة في بساتينهم مملوءة طعاما فنقلوها الى البلد وعلم ارتق انهم خدعوه فعاد اليهم وقتل من الرهائن عدة واحتبس منهم من رأى عنده رأيا واخرب السواد ونهب القرى وامتلأت أيدي من معه من النهب ، وقاسوا من شدة الحر ما حملهم على طلب نفورهم وكان هناك رجل يقال له عبد الله بن علي الغنوي عدوا للقرامطة فأخذ ارتق ولده معه رهينة ورتب معه مائتي فارس من التركمان واقام على حصار الاحساء وكان للغنوي في تلك الارض حصن يعرف بالمحصنة وهو من بني أبي البهلول المتغلب على جزيرة أوال ؛ والحصن قريب من الجرعاء ، وقلت الغلال بها ولا يعرف اهلها القوت الا من التمر والسمك ويطعمون بهائمهم ذلك والحنطة متعذرة عندهم ، فاشتد الغلاء ، وبلغ رطل السمك الجرعاني مائتي درهم رصاصا ، ومعاملتهم بالرصاص يبلغ الدينار الى ثمانية عشر الف درهم والى عشرين الفا بدينار ، وعاد باقي التركمان الى البلاد .

سـيرة الهـادي الى الحـق

يحيى بن الحسين عليـه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبالله أستعين ، وبرسوله وآله الطاهرين •

سنة اربع وتسعين ومائتين :

ومما كان من أخبار الهادي الى الحق صلوات الله عليه ـ يحيى بن الحسين بن رسول الله صلى الله عليه وعلى أهل بيته وسلم :

انه لما كان في سنة الاربع وتسعين ومائتين : ظهر الفساد بنجران وظهر القرامطة، وهمت بنو الحارث بالخلاف على عامل الهادي، محمد بن عبيد الله العلوي،وساعدهم في ذلك الباميون[1] ، وكان القائم في ذلك الحارث بن حميد الخثيمي ، ومرزوق بن محمد المري ، وعلي بن الربيع المداني، ويزيد بن الاسود الكعبي، ومنصور بن هشام الدهمي.والذي حمل ياما على الدخول مع بني الحارث ماكان من قتلهم لرجل مصري وفد على الهادي الى الحق عليه السلام ، فلما ظهر اجتماعهم على الحدث والفساد ، كتب محمد بن عبيد الله الى الهادي الى الحق ـ أعزه الله تعالى ـ يعلمه بالخبر ، ويحضه على الخروج الى البلد لاصلاحه ، واصلاح أهله ••• [٧٥ ـ ظ] •

ثم أمر الهادي الى الحق عليه السلام محمد بن عبيد الله بأخذ القرامطة، وطلبهم في كل موضع ، فركب علي بن محمد ، وأخوه القاسم بن محمد ، من الغد في السحر، ومعهم مائة من العرب ، فتوجه علي بن محمد الى موضع يقال له محضر[2] ، وكان فيه كل من تنسب اليه القرامطة وكان داعيهم رجل يقال له حسين بن حسن من حاشد، من موالي بني أمية ، وكان نازلا بقرية من نجران يقال لها رجلاء ، فمضى القاسم بن محمد ، فأحاط بمنزله ، فلم يجده هناك وأحاط على بن محمد بمحضر ، فأخذ خمسة عشر من القرامطة ، وانصرف هو وأخوه الى الهادي الى الحق ـ أعزه الله ـ ووجدا

---

(١) ما تزال يسام حيث كانت في الماضي وهي ايضا محتفظة بعقائدها القرمطية او الموروثة عنها .

(٢) من اوطان قبائل بلحارث في منطقة نجران ـ صفة الجزيرة : ٣١٨ .

أباهما محمد بن عبيد الله ، وقد أخذ نفرا من القرامطة ممن بقرية الهجر[1] ، منهم رجل يقال له ابن غبراء من آل حاشد ، من كبار القرامطة ودعاتهم ، فأخذ ابن بسطام نفرا من أهل قرية ميثان[2] ، من بني عمه ومواليه ، وصار بهم الى الهادي الى الحق عليه السلام فأمر بهم فصيروا في الحبس ، ثم عزم الهادي الى الحق أيده الله على الخروج الى صعدة ، وأمر خمسين فارسا ، ومائة راجل فيهم سعيد بن موسى بن أبي سورة ، وأمرهم بالمقام مع محمد بن عبيد الله بنجران ، وأمر بقبض الجباية الحسن بن أحمد البغدادي ، ومحمد بن أبي سعيد العصار ، وأمر محمد بن عبيد الله بتقوى الله، وايثار طاعته ، والقيام في بلده ، والاحسان الى رعيته ، مع الشدة على السفيه ،والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأخذ القرامطة ، وأوصاه بوصايا غير ذلك مما يحتاج اليها ، وخرج الهادي الى الحق يوم الثلاثاء ... [٧٧ ــ ظ] .

ثم بلغ أبا جعفر [محمد بن عبيد الله] أن نفرا من القرامط بحصن ثلا[3] عند نفر من بني الحارث ، يقال لهم بنو قطن يأوون اليهم ، ويبيتون عندهم ، فلما كان مع طلوع الفجر أمر العسكر فحضروا الى بابه ، فلما اجتمعوا أمر ابنيه عليا والقاسم ابني محمد بالمسير الى حصن ثلا عند طلوع الشمس ، فظفر برجلين من القرامطة ، يقال لأحدهما محمد بن عبد الله ، فأخذهما وانصرف الى الهجر ، ثم ذكر له من بعد ذلك أن نفرا آخرين بموضع يقال الموفجة[4] ، من قرى نجران ، فأمر ابنه علي بن محمد بالمسير اليهم ، فسار حتى هجم على الموفجة ... [٧٨ ــ ظ] .

وكانت القرامطة قد ظهرت باليمن وملكوا الشرف[5] وطمام[6] ، وجبل

---

(١) الهجر بلغة حمير والعرب العاربة القرية ، وهجر نجران هي المعنية هنا .

(٢) من قرى قبائل بلحارث في منطقة نجران ــ صفة الجزيرة : ٣١٨ .

(٣) قرية وحصن للمراثيين من همدان ، عامرة فيها ينابيع نبغ فيها عدد من العلماء . صفة الجزيرة : ٢٣٣ .

(٤) عدها الهمداني في صفة الجزيرة : ٣١٨ بين أوطان بلحارث .

(٥) الشرف هو الموضع العالي الذي يشرف على ما سواه ، وحين يطلق عاما بالنسبة لليمن يقصد به شرف حجة، وقد قال عنه الهمداني في صفة الجزيرة: ١١٣ــ١١٤: « جبل الشرف المطل على تهامة ، وهو جبل واسع وفيه قرى كثيرة » ومفيد ان نلاحظ أن العرب حملوا هذا المصطلح معهم الى الاندلس فاطلقوه على سواد اشبيلية، وهو عند الاسبان Ajarafe انظر الروض المعطار ــ ط. بيروت . مادة شرف .

(٦) كان سوقا شهيرا في منطقة لاعة . انظر صفة الجزيرة : ١١١ ، ٢٤٨ .

مسور[1].وحاربوا جعفر بن ابراهيم المناخي،وأخرجوه من بلدهم، وملكوها في النصف من شهر ربيع الاول سنة اثنين وتسعين ومائتين ، وهرب هو وولده وأهل بيته الى موضع يقال له القرتب[2] بناحية زبيد ، فسأل ابراهيم بن محمد على أن ينصره فلم يفعل ، فعاد الى طرف بلاده خشية واتقاء أن يكون آويا عند أحد من الناس ، فصار الى موضع يقال له وادي نخلة ، فحاربهم ، وعامل عليه بعض من كان معه ، وأدخل عليه الحصن الذي كان فيه ، فهزم عسكره وقتل هو وابن عمه أبو الفتوح بن أبي سلمة .

وثبتت القرامطة في بلده ، حتى اذا كان مستهل المحرم مدخل سنة ثلاث وتسعين ومائتين خرج علي بن فضل وكان مولده الجند وأصله من الرحبة[3] من رقيق الاحماس ، وقد استجاش[4] بأهل المخاليف ممن صار معه وأعانه على كفره ، حتى صار بمنكث[5] ، أو بالقرب منها ، وكان اليافعي بذمار[6] مقيما بها ، فوجه عساكره في وجوههم ، فانهزم أصحاب اليافعي ، واستأمن ابنه الى ابن فضل ، وساروا يريدون اليافعي فانهزم وجميع من كان معه الى صنعاء واستأمن اليافعي عيسى بن المعان الى القرمطي، وصاروا قصد صنعاء فنزلوا بظبوة[8] ، وخرج اليهم أسعد بن أبي يعفر ، فحاربهم وهم نيف على أربعين ألفا ، وذلك ليوم الثلاثاء لست ليال خلت من المحرم ، هذا وقاتلهم قتالا شحيحا ، وقتل منهم أربعمائة رجل ، وانصرف أسعد آخر يومه الى صنعاء ، وسار القرامطة في ليلتهم حتى لزموا جبل نقم[9] ، فأقاموا بنقم ثلاثة

(١) مسور المنتاب،يطل على بلاد حجة وتهامة. صفة الجزيرة:١١١.الاكليل :٢/٨٠ .
(٢) بلدة في الضاحية الجنوبية لزبيد . صفة الجزيرة : ١٢٠ .
(٣) انظر صفة الجزيرة : ١٥٦ . الاكليل : ١٥٣/٢ . معجم البلدان : رحبة صنعاء على ستة ايام منها .
(٤) في ص « وقد كان استجاش » .
(٥) في حاشية الاصل : « عروج علي بن فضل الى منكث » . وتقع منكث الى الشرق من يحصب بحيث تبعد عن بلدة يريم حوالي ٢٠ كم . صفة الجزيرة : ٧٩ .
(٦) من مدن اليمن المعدودة ، تقع الى الجنوب من صنعاء . صفة الجزيرة : ٧٩ . تاريخ المستبصر : ١٩٠ .
(٧) في شرقي صنعاء . صفة الجزيرة : ١٥٣ .
(٨) جبل مطل على صنعاء . معجم البلدان .
(٩) جبل مطل على صنعاء . معجم البلدان .

أيام لا ينزلون ، فلما كان يوم الجمعة احتركوا ، وبان عسكرهم ، وخرج اليهم أسعد ابن أبي يعفر فلم ينزلوا ؛ فلما كان ليلة السبت سار علي بن فضل في خمسة آلاف من مقاتلتهم ورجالتهم ، فدخلوا صنعاء ليلا من ناحية سكة الشهابيين أدخله مهلب الشهابي ، فأصبحوا قد أموا غمدان ، ومسجد الجامع ، وذلك يوم عاشوراء ، فقاتلهم أسعد في عسكره ونفر من أهل صنعاء ، وهرب أهل صنعاء لما داخلهم من الفشل والخوف ، بحرمهم وصبيانهم ، وخلوا منازلهم وأموالهم[1] ؛ فلم يزل أسعد يقاتلهم الى بعد صلاة العصر يوم السبت .

ثم خرج من صنعاء واستباح القرامطة صنعاء ، فنهبوا جميع الاموال والاثاثات، واستخرجوا ما كان تحت الارض ، فأقاموا خمسة عشر يوما وكفوا عن القتل ، فلم يقتل الا نفر قليل،وفر[2] أهل صنعاء ، وكان أسعد قد صار الى شبام[3] عند خروجه من صنعاء ، وصار ابن كياله الى ظهر ، وكاتب ابن فضل ، واستأمن اليه ، وتحرك القرمطي الكوفي[4] من ناحية بيت ذخار ، فخاف أسعد فخرج من شبام بحرمه الى بلد همدان وخلى ابن عمه من الحبس ، ومضى معه ، فأقاموا عند الدعام بن ابراهيم بغرق ونواحيها[5] .

ثم كف ابن فضل أصحابه يوم الاحد لخمس باقية من المحرم عن النهب ،وخرج من صنعاء في ذلك اليوم الى بلد قدم[6] ، فأقام في حربهم نيفا وخمسين يوما لم يظفر بهم ، ولم يقربوه ، وقتل ابن اليافعي[7] ومعه جماعة بها (٨٨ ــ ظ) وصار الى

---

(١) في « ص » نسخة صنعاء : وصبيانهم .

(٢) في « ص » : وقهر .

(٣) شبام حمير هو الان موضع قرية في الشمال الغربي من صنعاء . كان يعرف باسم جبل ذخار ، فيه حصن كوكبان . تاريخ اليمن لعمارة : ٦٥ ــ ٦٦ ، ابن المجاور: ١٨٤ ــ ١٨٥ . صفة الجزيرة : ٢٣١ ــ ٢٣٤ . تاريخ صنعاء : ٥٦٦ .

(٤) اي المنصور الذي قدم مع علي بن الفضل ، وسيأتي ذكره .

(٥) غرق موضع بالجوف الاعلى ، عرف باسم سوق الدعام ، انظر صفة الجزيرة : ١٦١ . الاكليل : ١٠/١٧٧ ــ ١٨٦ .

(٦) قدم قبيلة معروفة من حاشد ، وبلدها شرقي حجة ، ولعله قصد بلدة الكلابح ، ففيها كان القتال . صفة الجزيرة : ١١٢ ــ ١١٣ .

(٧) في حاشية الاصل : قتل اليافعي في بلد قدم .

شبام ، فالتقى هو وصاحبه ، وأقام عنده نحو شهر ، ثم صار الى المغرب ، ونزل ببيت خولان[١] ، واستباحوا المغرب ، فنهبوه ، وسبوا النساء ، وأخذوا الاموال .

ثم خرج في عساكره يوم الاثنين لثلاث ليال من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين ومائتين يريد الى تهامة ، فلما صار في نقيل السود[٢] تخلف عنهم ابن كيالة وعاد الى صنعاء وصعد غمدان،وأرسل الى محمد بن الحسين الحسني يسأله المظافرة على الوثوب بالقرامطة ، على أن الدعوة للهادي الى الحق صلوات الله عليه ، فظافره، وقاتلوا من كان بصنعاء من دعاة القرامطة ، وقتلوا منهم ، وأخذوا ما كان لهم ،وذلك في يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من هذا الشهر ، وحبسا أيدي الناس ، وكتبا الى الدعام، فبعث ابنه الحسين اليهم في عسكره ، وكتبوا الى الهادي صلوات الله عليه يعلمونه بما كان منهم ، ويستدعونه ، ويسألونه النصر لهم ، فأجابهم ، وبعث ابنه القاسم صلوات الله عليه فصار الى صنعاء في جمادى الاولى ، وخرج جماعة من أهل صنعاء الى الهادي الى الحق صلوات الله عليه ، يستنهضونه ، فخرج معهم ، ودخل صنعاء يوم الاربعاء لاربع ليال من جمادى الآخرة ، سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، ودخل معه آل يعفر والدعام ، وولده وابنا الروية ، وولد جعفر بن ابراهيم ، ووجوه اليمن مطيعين له ، وكان ابن جعفر محمد بن الحسين وابن كيالة قد حاربا القرامطة في قلعة ظهر[٣] ، ودخلا عليهم ، وحارباهم بشبام ، ودخلا وأخذا ما كان بها .

وبعث الهادي الى الحق صلوات الله عليه ابنه أبا القاسم عليه السلام الى ذمار وولي القضاء أحمد بن يوسف الحداقي ، فكان محمد بن يحيى صلوات الله عليه يحارب القرامطة في تلك الناحية ، وصار ابن فضل الى جبل واقر[٤] يحارب ابراهيم

---

(١) ما زال معروفا بهذا الاسم في اليمن في جبل حضور الذي يعرف باسم جبل النبي شعيب ، وذلك الى الغرب من صنعاء . انظر صفة الجزيرة : ١٠٨ . الاكليل : ٢٥٨/١ - ٢٨٦ . تاريخ اليمن لعمارة : ١١١ - ١١٣ .

(٢) على بعض يوم من صنعاء الى ما بين جنوبها ومغربها ، والنقيل عند اهل اليمن العقبة . صفة الجزيرة : ١٢٢ . تاريخ صنعاء : ١٨٩ .

(٣) في ص جبل ظهر ، ويعرف اليوم جبل الظهرة . صفة الجزيرة : ١٢٢ - ١٢٣ .

(٤) ليس ببعيد من زبيد بينه وبين الكدراء القديمة قرابة ٣٠كم . صفة الجزيرة : ١٢٢ - ١٢٣ .

ابن محمد بن علي على نحو شهرين ، ثم انهزم عنه ابن علي فصار الى بلد حكم[1] في جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، ودخل الكدراء[2] والمهجم[3] واستباحهما .

وخرج في حرب أحمد بن محمد بن علي الى زبيد ، فأجلى عنه ، فدخلها القرمطي، وخالفه ابن علي الى الكدراء، فقتل من كان بها من أصحابه، وقتل القرمطي من ظفر به بزبيد ، وانصرف غضب الله عليه ولعنه الى المذيخرة[4] ، وعاد ابن علي الى زبيد ، وعاد أخوه الى الكدراء، وقوي أمر القرامطة، وأعانهم عيسى اليافعي،وساروا يريدون الى ذمار، فخرج محمد بن يحيى صلوات الله عليه فلحق بأبيه الهادي صلوات الله عليه الى صنعاء .

وصار أبو العشيرة أحمد بن محمد بن الروية الى ثات[5] ورداع ، والتفت اليه جماعة من عشيرته ، وانحاز معه عسكر كثير من أهل البلد، فسار اليه ابن ذي الطوق وعيسى اليافعي وحاربوه بثات ، وقتل أبو العشيرة بن الروية ، واستبيح البلد ، وانحاز الناس الى المسجد وأحرق[6] بمن كان فيه من الرجال والنساء والاطفال ،على القرمطي والقرامطة لعنهم الله ، وكان ذلك لتسع ليال خلت من ذي الحجة سنة ثلاث وتسعين ومائتين .

وكان أسعد قد خرج الى بلد همدان ، فأقام بورور[7] ، فلما كان يوم عاشوراء من المحرم مدخل سنة أربع وتسعين ومائتين ، وثب ابن كيالة على الهادي الى الحق صلوات الله عليه يحاربه ، فلم يقاتله يحيى بن الحسين صلوات الله عليه ، وخرج عنه

---

(1) انظر صفة الجزيرة : ٣٤٦ . تاريخ اليمن لعمارة : ٥٢ .
(2) مدينة كانت ذات مكانة وشهرة. انظرها في صفة الجزيرة : ٧٤. الاكليل ٢: ٢٣٨/٢.
(3) انظرها في صفة الجزيرة : ٢٥٨ ـ ٢٥٩ . معجم البلدان .
(4) كانت مقر الملوك المناخبين من حمير ، ثم غدت مقر ابن الفضل . انظرها في صفة الجزيرة: ١٠٢-١٠٣. تاريخ اليمن لعمارة : ٦٤. تاريخ ابن المجاور: ١٨٣-١٨٤.
(5) مخلاف رداع وثات من مخاليف اليمن المعروفة . صفة الجزيرة : ٢٢٠ .
(6) في ص : واحدق .
(7) شعاب وواد مشهور في الجوف . صفة الجزيرة : ١٥٧ .

من صنعاء الى صعدة[1] ، وأقام ابن كيالة بصنعاء ، وكان جراح بن بشر [2] بشبام فأخرجه القرمطي الكوفي عنها ، وانهزم الى صنعاء وكتب جراح وابن كيالة الى أسعد ابن أبي يعفر أن تقدم[3] الى صنعاء ، ففعل ، وأقاموا بها جميعا ، وأقروا أحمد بن يوسف الحداقي على القضاء .

وصار ابن ذي الطوق القرمطي ، وعيسى اليافعي (٨٩ ــ و) الى المغرب ، فأقاموا بمجيب ومسيب[4] وخرج اليهم جراح وابن كيالة في أهل صنعاء وعسكرهم فقاتلوهم ، وانهزموا عنهم ، وقتل من أهل صنعاء ومن غيرهم أربعمائة .

وعادوا الى صنعاء والقرامطة في المغرب ، فلما كان يوم النصف من هذه السنة وثب ابن ذي الطوق على عيسى اليافعي فقتله ، وجماعة من أصحابه غدرا ، واستأمن أصحاب اليافعي الى صنعاء ثم نهض ابن فضل من المذيخرة في آخر جمادى ، فسار يريد صنعاء حتى صار بحرير[5] فخرج اليه أسعد ومن معه فقاتلوه ، وقتلوا من أصحابه نحو ستين رجلا وأرجأ عليه جراح ومن معه الى صنعاء فالتقى ابن فضل وصاحبه ابن ذي الطوق ، وبعث عسكرا الى جبل نقم ، فلم يكن للقوم بهم طاقة[6] فخرجوا من صنعاء وخرج أهلها[7] الا نفرا[8] أقاموا في منازل العلويين ، ودخل القرامطة صنعاء أول يوم من رجب سنة أربع وتسعين ومائتين يوم السبت ، فاستباحوها : وقتلوا جميع من كان بها في دور العلويين وغيرهم ، وأنالوا من أهلها منالا عظيما ، وصار أسعد وابن كيالة الى بلد قدم ، وجراح الى عثر[9] ، وأقام

---

(١) في ص « من صنعاء هذا اليوم الى صعدة » .
(٢) في حاشية الاصل : جراح وابن كياله من موالي بني يعفر ، واسم كيالة الحسن.
(٣) في ص « يقدم » .
(٤) قريتان متجاورتان من منطقة حضور في مخلاف بني عياش . صفة الجزيرة : ١٥٥ ــ ١٥٦ .
(٥) جبل كبير عداده من الجنوب اليمني فيه قرى ومزارع . صفة الجزيرة : ١٤١.
(٦) في ص « طريق » .
(٧) في س « اليهما » .
(٨) في ص « فأقاموا » .
(٩) لعلها عثر محرم التي سترد في نصي كشف اسرار الباطنية ، والمسجد المسبوك . وهي في جبل شبام . انظر تاريخ ابن المجاور : ١٨٤ .

القرامطة بصنعاء، ونواحيها ثلاث سنين الا أحد عشر يوما، يخربونها ويقتلون الناس، وأصابتهم علة فمات منهم من لا يحصى ، والحمد لله كثيرا .

فلما كان في صفر سنة سبع وتسعين ومائتين ، نهض القرمطي من المذيخرة ، ونهض ابن ذي الطوق يريدون الى زبيد ، فظفروا بابن حاج وانهزم عنهم الى المهجم واستباحوا زبيد وقتلوا بها خلقا عظيما ، وسبوا منها فيما بلغنا خمسة وثلاثين ألف امرأة ، وأقاموا بزبيد سبعة أيام ، ثم عادوا الى المذيخرة وخلفوا أحمد بن علي بزبيد، فسار اليه ابن حاج فأخرجه منها ولحق بالقرامطة ، فلما صاروا الى المذيخرة أظهر ابن فضل لعنه الله المجوسية ، وأمرهم بنكاح الامهات والاخوات ، وشرب الخمر وحرم جميع الحلال ، وأحل جميع الحرام وكفر بمحمد ﷺ ، وبما جاء به من عند الله عز وجل ، وتسمى برب العالمين ، عليه سخط الله ، ولعنة اللاعنين ، وأمر من كان معه أن يسلموا الاموال والحرم ، ويخرجوا اليه من جميع ما في أيديهم ، فشذ منهم جماعة ، ولحقوا ببلدانهم ، وثبت هو ومن أقام معه على كفرهم فكان جميع من عنده من النساء في دار .

فاذا كان ليلة الجمعة جمع الرجال فأرسلهم على النساء فتقع الام للابن والاخت مع الاخ فيفجروا بهن في ليلتهن تلك ، فمن امتنع من ذلك قتله ، وأباح حرمته لمن كان معه ، تمردا وكفرا وجرأة على الله عز وجل[1] وعتوا وفجورا

فلما كان ذلك بعث الهادي الى الحق أعزه تعالى رجلا عباسيا ، من ولد العباس ابن علي عليه السلام يقال له علي بن محمد بن عبيد الله في جماعة من أصحابه ، وكتب الى الدعام أن يخرج معه ، ففعل ذلك ، وساروا حتى أتوا الى صنعاء ، وكان بها صاحب للقرامطة في عسكر فحاربوهم ، وأخرجوهم من صنعاء ، ودخلوها يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة باقية من شهر رجب سنة سبع وتسعين ومائتين ، فأقاموا بها أياما ، وآمن أهلها .

ثم بعث الهادي الى الحق عليه السلام ابنه أبا القاسم عليه السلام الى صنعاء

---

(١) في حاشية الاصل اظهار ابن فضل المجوسية ، وأمرهم بنكاح الامهات ، لعنة الله عليه . ولعل ما فعله ابن فضل هو اعلان للقيامة وهو أمر سنزيده تعريفا فيما يلي من نصوص .

في جماعة من خولان وهمدان ، فدخلوا صنعاء يوم الاثنين ، لعشر ليال خلت من شعبان سنة سبع وتسعين ومائتين ، فأقام بصنعاء ، وبعث الى مقراء وألهان وحراز وهوازن ، فدخلت جميعا ، وقتلت من دعاة القرامطة جماعة ، وأمنت العشائر وتألفت الرعية ، وبلغ ابن كيالة الخبر وهو بتهامة مع مظفر بن حاج ، فقدم حتى صار الى ألهان[1] ، فمال اليه كثير من الناس رغبة (٨٩ ــ ط) في الشراب والفساد،وانصرف محمد بن يحيى اليه ، فأرسل ابن كيالة الى حزار[2] من أخرج من أصحاب محمد بن يحيى منها ، وقبضها ، فكتب أبو القاسم الى أبيه الهادي الى الحق عليهما السلام يعلمه بما كان منه ، وتقدم ابن كيالة ومن مال اليه ، فكتب الهادي الى الحق الى ابنه أبي القاسم يأمره بالانصراف عن البلد ولا يحارب ابن كيالة ، فيجمع عليه حرب ابن كيالة وحرب القرامطة ، فخرج من صنعاء ، وخرج معه جميع من كان بها يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من شوال سنة سبع وتسعين ومائتين ، حتى اذا صار بورور نهض الى صعدة ، ولحق بأبيه صلوات الله على أرواحهما ، وتخلف عنه من خرج من صنعاء معه ، وأتى من كان بشبام من القرامط ، فدخلوا صنعاء ، وأقاموا بها أربعة عشر يوما ، ولم يجدوا بها أحدا .

ثم قدم جراح بن بشر من تهامة لما بلغه خبر ابن كيالة، فوافق خروج محمد بن يحيى عليهما السلام من صنعاء ومصير القرامط بها ؛ فوصل الى ناحية منها ، وخرج القرامط عنها لانهم كانوا قليلا ، وذلك في آخر شوال ، وعاد اليها كثير من أهلها ، ثم نهض أسعد بن يعفر من بلد قدم[3] ، فدخل صنعاء ليلة النحر من ذي الحجة سنة سبع وتسعين ومائتين ، وولى القضاء والخطبة أبا القاسم عبد الاعلى بن محمد بن الحسن بن عبد الاعلى بن ابراهيم بن عبد الله الانباري في هذا الشهر ، وكان معه جراح في صنعاء ، ومخالفيها بيده ، وابن كيالة بذمار وبيده مخالفيها ثم خرج أسعد في حرب القرمطي الذي كان بشبام في شهر ربيع الاول من سنة ثمان وتسعين ومائتين، فوقع بينهم حرب شديد على درب شبام وانهزم عنه القرامطة ودخل شبام، وأقام أياما

---

(١) من جبال حمير كان كثير السكان انظره في صفة الجزيرة : ١٠٧ .
(٢) سيأتي التعريف بها . انظر صفة الجزيرة : ١٥٨ .
(٣) بلاد قدم نسبة الى قدم من حاشد ، هي الآن مقاطعة غربي حجة . صفة الجزيرة: ١١٢ .

ثم أتى القرامط فنزلوا عليهم في بيت ذخار ، فخرجوا عنهم ، وقتل عبد القهار بن أحمد بن يعفر ، وقدم ابن كيالة مادة لاسعد بن أبي يعفر ، فعادوا الى شبام فدخلوها وصعدوا عليهم الجبل وطردوهم عن الناحية ، وأقام ابن كيالة أياما ، ثم انصرف وثبت أسعد بن أبي يعفر ومعه جراح يحارب القرامط في الجبل وقتا، وتوفي مظفر بن حاج بزبيد في شهر ربيع الآخرفي هذه السنة وحمل في صندوق حتى دفن بمكة ، وتولى الامر بعده ابنه محمد بن مظفر ، وأقام بزبيد ، وانصرف أسعد من الجبل الى صنعاء من غير حرب ولا هزيمة ، وعاد القرامط الى شبام فخربوها ، وأقام أسعد بصنعاء ومعه جراح بن بشر ، ثم قدم ابن كيالة الى صنعاء يوم الاثنين لعشر باقية من شعبان من هذه السنة فأخرج جراح بن بشر عنها طردا ، فصار الى بلد قدم فأقام باري[1] ، وانصرف ابن كيالة الى ذمار . وأقام ابن أبي يعفر بصنعاء، ثم عزل محمد ابن مظفر عن تهامة ، وشخص الى عمه عج بن حاج الى مكة ، وتولى الامر قائد كان مع أبيه يقال له ملاحظ بن عبد الله الرومي ، وذلك في شوال من هذه السنة ، فأقام بزبيد ثمانية عشر يوما، ثم قدم اليه ابراهيم بن محمد بن علي في ذي القعدة، فاستأمن اليه العسكر ، ودخل زبيد فانهزم عنه ملاحظ ، فصار الى عثر الى بني طريف ،وكاتب علي القرمطي ابن الفضل فأمده بالمال والرجال ، وأقام بزبيد .

وتوفي الهادي الى الحق ، يحيى بن الحسين صلوات الله عليه ، بصعدة يوم الاحد لعشر باقية من ذي الحجة ، آخر سنة ثماني وتسعين ومائتين ، ودفن يوم الاثنين قبل الزوال[2] ، وبايع الناس لابنه أبي القاسم محمد بن يحيى صلوات الله عليه يوم الخميس مستهل المحرم ، مدخل سنة تسع وتسعين ومائتين ، وأقام بصعدة وفي يده بلد همدان ، وخولان ونجران .

ثم خرج أسعد بن أبي يعفر من صنعاء الى شبام في حرب القرامطة يوم الخميس لثمانية أيام باقية من ذي الحجة سنة ثمان وتسعين ومائتين ، فدخلها وصعد عليهم[3]

---

(1) كتب فوقها في الاصل بادي ، والصواب ماأثبتناه. انظرها في صفة الجزيرة:١١٣ .
(2) في حاشية الاصل : وفاة الهادي الى الحق صلوات الله عليه .
(3) في الاصل « عليها » والتقويم من ص .

الجبل فطردوهم ، ودخل (عليهم)[١] حصن شريب[٢] قهرا ، وأقـام أياما ، فبلغه أن ابن فضل (٩٠ ــ و) قد نهض من المذيخرة يريد صنعاء ، وانصرف[٣] ابن كيالة من ذمار ، فدخل صنعاء يوم السبت لثلاث ليال خلت من المحرم مدخل سنة تسع وتسعين ومائتين ، وقدم ابن فضل لعنه الله يوم الخميس لتسع من المحرم ، فانهزم عنه الناس، ودخل صنعاء ليلة الجمعة ليلة عاشوراء فأقام بها أحد عشر يوما ، وصار أسعد وابن كيالة الى الكلابح[٤] من بلد قدم ، فأقاما بها أياما ، وخرج ابن فضل من صنعاء ، فصار الى مدر[٥] ، فأقام بها أياما ، ثم عاد الى شبام ، وطلع بيت ذخار ، وأظهر حرب صاحبه الكوفي ، فدخل شريب فأقام فيه أياما ، ثم سار يريد حرب صاحبه ، فنهب تلك البلد ، وصار الى موضع يقال له الظلمة يحارب صاحبه ، ويحاصره في جبلـه ثم نهض أسعد من قدم ، ومعه ابن كيالة يوم الجمعة لثمانية أيام باقية من صفر من تلك السنة ، فصار الى ذمار ، فقام بها ، ولقيه ابن الروية وجميع مذحج ، ووعدوه المناصرة على حرب القرامطة ، وأصيب ابن كيالة ، لا رحمه الله تعالى ، ولعنه لعنة الدرك الاسفل من النار ــ فما كان أشد عداوته لله ولرسوله ولاهل بيته[٦] ــ بذمار يوم الثلاثاء لعشر ليال خلت من شهر ربيع الاول لسنة تسع وتسعين ومائتين ، وثبت أسعد في البلد ، وفرق عماله في النواحي ، وأقام بذمار .

ثم نهض ملاحظ من عثر في شهر ربيع الآخر في هذه السنة ، ونهض معه القاسم ابن طريف في رجال بلد حكم ، وصار اليه جراح بن بشر[٧] ، وسار حتى دخل المهجم والكدراء وطرد من كان فيها لابن علي ، ثم سار بمن معه الى زبيد ، فطرد عنهـا ابراهيم بن علي ، وقتل بها خلقا كثيرا ، ونهبت البلد ، وصار ابن علي الى المعافر هاربا .

---

(١) زيد ما بين الحاصرتين من ص .
(٢) هو احد جبلي كوكبان . صفة الجزيرة : ١٢٣ .
(٣) في ص « وانهزم » .
(٤) سبق ذكرها . انظرها في صفة الجزيرة : ١١٣ .
(٥) أكثر بلاد همدان قصورا . انظرها في صفة الجزيرة : ١٥٨ .
(٦) في ص « بيت نبيه » .
(٧) في الاصل « ابن جراح بن بشر » والتقويم من ص .

ثم خرج أسعد من ذمار الى قلعة كحلان[1] ، وذلك أنه بلغه أن نفرا من أهل البلد كاتبوا ابن ذي الطوق (واستدعوه)[2] ، فأخذهم وأقام بكحلان وقتل هؤلاء النفر المفسدين ، ثم عاد الى ذمار في آخر جمادى الآخرة ، وصنعاء في هذه المدة خالية ، والقاضي عبد الأعلى بن محمد يحضر لاقامة الخطبة والصلاة والتشديد في الاوقات ، ويخرج الى قرية آدكة في بلد خولان .

وولي ملاحظ جراح بن بشر الكدراء ، فصار اليها ، ثم خالف على ملاحظ ، وخرج الى المهجم ، فطرد واليا كان بها لملاحظ ، ونهبها في جمادى الآخرة من هذه السنة ، وبعث أسعد جماعة من الفرسان مع قائد من قواده ، فأقاموا بصنعاء ، ثم بعث علي بن الحسن الاقرعي ، واليا على صنعاء ، فقدم من ذمار في آخر رجب من هذه السنة ، ثم انصرف ابن فضل عن صاحبه لما لم يقو[3] عليه في حصنه ، فكاتبه وجامله ، والتقيا وبعث معه الكوفي ابنه ، فدخل صنعاء وبها الاقرعي ونفر يسير من أهل صنعاء يوم الاثنين لسبع[4] ليال خلت من شهر رمضان من هذه السنة، فلم يعترض بأحد منهم ، ونزل المسجد الجامع فذبحوا وشربوا الخمر في رمضان[5] .

ثم سار يريد المذيخرة فانتزح عنه أسعد الى عامل[6] ، ثم صار الى المذيخرة مقيما على كفره وفجوره ، وأظهر في أسعد قولا جميلا ، وكتب اليه في حوائج ،

---

(١) حصن في مخلاف ذي رعين ، اتخذه أسعد بن ابي يعفر مقرا لملكه واستمر في ايدي اسرته حتى زالت . صفة الجزيرة : ٢١٦ ــ ٢١٧ .

(٢) زيد ما بين الحاصرتين من ص .

(٣) في الاصل « يقيم » والتقويم من ص. وصاحب ابن فضل كما راينا هو المنصور ابو القاسم الحسن بن فرح بن حوشب بن زادان الكوفي ، وقد قدم المنصور هذا مع علي بن الفضل الى اليمن . انظر رسالة افتتاح الدعوة للقاضي النعمان بن محمد . تحقيق وداد القاضي ، بيروت ١٩٧٠ ص ٣٢ ــ ٥٤ ، وانظر ايضا نص العسجد المسبوك لابي الحسن علي بن الحسين الخزرجي الزبيدي المتوفى سنة ٨١٢ (نسخة مكتبة الحرم المكي ص ٣٦ ــ ٤٨ مع نسخة الجامع الكبير في صنعاء) .

(٤) في ص « لتسع » .

(٥) زاد في ص « من هذه السنة » .

(٦) بلد على فرسخين من ذمار الى الجنوب منها . صفة الجزيرة : ٢٤٣ .

فرأى أن يدفع شره ، ويداري عن الاسلام وأهله ، ثم صار أسعد الى صنعاء يوم الاربعاء لسبع[1] باقية من هذا الشهر ، فأقام بها ، وأثبت عماله في جميع مخاليفه ، ولم يعترض له ابن فضل ، ولا أحد ممن تحت يده ، وأصيب البرعي بن خيار ومن كان معه من بني عمه يوم الأحد لسبع عشرة ليلة خلت من شوال من هذه السنة ، ولما كان يوم الخميس لاحدى وعشرين ليلة خلت من ذي القعدة من هذه السنة جمع أبو القاسم محمد بن يحيى بن الحسين صلوات الله عليهم وجوه العشائر قبله ، فبعث[2] عليهم أسبابا كرهها منهم ، وتخلى عن[3] الامر وصرف عماله من بلد نجران وهمدان وغيرهما ، ولزم منزلة بصعدة وأقام الامر على حاله ببلد خولان ، لم يظهروا له خلافا ولا كراهية ، لأمره ، وأقام بصعدة بعض بني عمه يصلح بين الناس

حتى اذا كان آخر ذي الحجة (٩٠ ــ ظ) من سنة ثلاثمائة ، قدم أحمد بن الهادي الى الحق صلوات الله عليه من الحجاز ، فأقام مع أخيه الى أن كان يوم الاحد لثمان ليال خلت من صفر من سنة احدى وثلاثمائة[4] ، اجتمع اليه وجوه خولان ، فاستعانوا به على أخيه أن يقوم فيهم معه ، فكره ذلك ، فسألوا أحمد بن يحيى صلوات الله عليه القيام فيهم على ما كان والده ، فأجابهم الى ذلك ، وأقام فيهم ، وأعطوه على طاعتهم له العهود والمواثيق ، وعلى القيام معه لكل من نابذه ، وقام بالامر وتولاه ، وأتاه رجال همدان وأهل نجران فبايعوه على ذلك ، وبعث قواده وعماله الى[5] جميع مخاليفه .

وبعث ابن فضل صاحبه ابن ذي الطوق الجيشاني وكان عظيم البلاء مظهرا للكفر والردة ، فظفر به عبد الله بن أبي الغارات المحتدى بأخيه المعافى[6] فقتله يوم الجمعة لثلاث عشر خلت[7] من ذي الحجة سنة تسع وتسعين ومائتين ، فبعث ابن

---

(١) في ص : لتسع .
(٢) في ص « فنعى عليهم أشياء » . وهذا اقوم .
(٣) في ص « من » .
(٤) في حاشية الاصل : ذكر قدوم الناصر لدين الله احمد بن يحيى الهادي الى الحق عليهما السلام من الحجاز الى صعدة .
(٥) في الاصل « على » والتقويم من ص .
(٦) في ص « ناحية المعافر » .
(٧) في ص « عشر ليلة خلت » .

فضل عسكره الى أبي الغارات يحاربونه فهزمهم[1] ونصره الله عليهم ، وقتل منهم جماعة كثيرة ، وذلك في صفر من سنة ثلاثمائة .

وبعث ابن فضل محمد بن درهم الجيشاني وحسن بن أبي الملاحف الصنعاني الى مكة، فظفر بهما عج بن حاج، فضربهما بالسياط حتى ماتا ، وصلبهما ولله الحمد.

وبعث ابن فضل عبد الرحمن بن درهم الرا[2] وابن هارون الى بلد بني حبيش ليفسدا أهلها فقتلا جميعا، ثم ان ابن فضل خرج يريد ملاحظ قصد زبيد وكان جراح قد جرى بينه وبينه مراسلة ، ودخل في كفره ، فبعث اليه ابن فضل أن يخرج في لقائه[3] ؛ فخرج جراح من الشرف حتى صار الى موضع يقال له المور[4] بتهامة ، وصار ابن فضل الى زبيد ، فخرج ملاحظ من زبيد بجميع من معه ، وبأهل البلد ، فافترقوا بتهامة وصار ملاحظ الى المهجم ، ودخل القرمطي زبيد ، فلم يجد بها مالا ولا أحدا .

وخرج ملاحظ في حرب جراح بن بشر ، فظفر به ملاحظ فقتله ومعه أخ له يقال له محمد بن بشر ، وجماعة ممن كان معه ، وذلك يوم الثلاثاء ليومين باقيين من شهر ربيع الاول سنة ثلاثمائة ، وانصرف ابن فضل الى المذيخرة ليوم بقي من هذا الشهر . وعاد ملاحظ الي زبيد وخلف بالمهجم والكدراء من يقوم فيهما .

وانتثرت النجوم ليلة الاربعاء لثمانية أيام باقية من جمادى الآخرة من هذه السنة ، وكثر ذلك ، حتى أشفق الناس[5] .

وبعث أسعد بن أبي يعفر في عسكر من صنعاء في أول يوم حتى صار الى ثاث ورداع ، وقبضهما ، والولي[6] في هذه المدة عبد الاعلى بن محمد .

وخرج ابن فضل من المذيخرة يوم الخميس لست باقية من شوال من هذه

---

(١) في الاصل وفي ص « فهزموهم » وهو خطأ صوابه ما اثبتناه .
(٢) كذا في الاصل وفي ص ولم تسعف المصادر المتوفرة في معرفة المقصود .
(٣) في ص « امانة » .
(٤) انظر صفة الجزيرة ص : ٧٢ .
(٥) في حاشية الاصل « ذكر انتشار النجوم » .
(٦) في ص « والموالي » .

السنة حتى صار الى جيشان وهو يظهر أنه يريد حرب مذحج،ثم سار الي السرو[1] وتزل في قلعة صناع[2] ، وبها كان مقامه أول مرة ، وحاربه رزام المذحجي ومن أجابه من مذحج ، ثم جرت بينهم هدنة على أنه لا يطأ لهم بلدا ، وأقام حتى اذا كان آخر صفر من سنة احدى وثلاثمائة بلغ ابن فضل أن ملاحظا قد جهز عسكرا يريد المذيخرة فخرج من السرو سرا في الليل ، ولم يعلم به غـير عسكره ، فسار يريد المذيخرة ، فوجد القوم قد نهبوا القرية وما حولها وافترقوا ، ولم يصب الا خمسة نفر وأقـام بالمذيخرة على كفره وردته .

وقتل محمد بن الدعام بغرق قتله ابن عمه ابراهيم بن ابراهيم على شراب ليلة السبت لثلاث عشرة ليلة باقية من ذي الحجة سنة ثلاثمائة .

وهلك القرمطي المقيم بجبل مسور يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت مـن جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثمائة وثبت ابنه أبو الحسن في موضعه هو واخوته لم ينازعهم أحد فيما كان في أيديهم[3] .

وتوفي ملاحظ بزبيد في أول شهر ربيع سنة ثلاث وثلاثمائة (٩١ ـ و) وأقام من بعده عبد الله بن أبي الغارات ، فأقام بزبيد خمسين يوما .

ثم تولى الامر ابراهيم بن محمد الحرملي ، وهو من قواد السلطان مع ملاحظ، فأقام بزبيد ، وانصرف الى بلده في آخر شهر ربيع الآخر من هذه السنة .

وأصاب ابن فضل لعنه الله مرض في بدنه ، فتفجر من أسفل بطنه ، وأماته الله على أسوأ حال لعنه الله ، وكانت وفاته يوم الاربعاء للنصف من شهر ربيع الآخر من هذه السنة[4] ، وقام من بعده ابنه لعنهما الله تعالى بالمذيخرة ، وقتل نفرا كثيرا من أصحاب أبيـه .

---

(١) كتب الى جانبها في حاشـية الاصل «بلاد يافع» . انظر تاريخ اليمن لعمارة: ٤٧ـ٥١ .

(٢) من قلاع يافع . صفة الجزيرة : ٢٠١ .

(٣) ذكر الخزرجي أن الامور آلت بعد المنصور الى رجل من اصحابه يقال له عبد الله الشـاوري ، انظر تفصيلات ذلك فيما يأتي .

(٤) في حاشـية الاصل : ذكر وفاة علي بن الفضل لا رحمه الله . ولقد اورد الخزرجي في العسـجد المسبوك كما أورد غيره من المؤرخين ان ابن فضل مات غيلة بالسـم اثناء فصده . انظر تفصيلات ذلك فيما يأتي .

ثم خرج أسعد بن أبي يعفر من صنعاء يوم الخميس لتسع من رجب من هذه السنة حتى صار الى ذمار وكاتبه أهل المخلاف واستدعوه ، وقدم اليه وجوه أهل البلد ، ثم نهض من ذمار الى كحلان ، فأقام بها أياما قبل أن يبني فيها شيئا ، ثم سار الى مخلاف جعفر[١] ، واجتمعوا اليه ، وحلفوا له ، ونهض في حرب الكفر مجـدا مجتهدا ، فكان الحرب بينهم سجالا ، ولزموا الحصون ، وأقاموا ، وهو يحاربهـم ويحاصرهم ، وجعل يدخل حصونهم وهو يبذل نفسـه ومن أطاعه ، وأعطى الظفر ، فدخل جميع[٢] الحصون ، وقتل بشرا كثيرا ، وألجأهم الى دار المذيخرة ، وحصرهم فيها ، وفيها غيرهم .

فلما كان يوم الخميس لتسع من رجب سنة أربع وثلاثمائة ، دخل الدار قهرا ، وأخذ الكفرة أسرا واستولى على جميع ما كان هنالك ولله الحمد ، وأجاز أسعد أصحابه ومن معه الجوائز الكثيرة ، وانصرف فدخل صنعاء يوم الفطر مستهل شوال سنة أربع وثلاثمائة ، واستخلف في البلد ابراهيم بن اسماعيل بن العباس المخائي .

ولما كان في ذي القعدة من هذه السنة أمر أسعد بابن علي بن فضل وأخيه ومن كان أسر من الكفرة فضرب أعناقهم جميعا ، وبعث برؤوسهم الى العراق ، وكانوا نيفا وعشرين رجلا ، ووقع بين أهل مسور وبين القدميين حرب شديد ، حتى دخلت الكلابـح وحرقت ونهبت ، واستغاثوا بأحمـد بن الهادي صلوات الله عليهمـا ، واستنصروه ، فوجه معهم[٣] قائدا له مع عسكر ، حتى لزموا[٤] باري ، وانحازت القرامط ، فانهزموا عنهم ، وعادوا الى جبل مسور ، وذلك في شهر ربيع الاول من هذه السنة ، وصارت بلدة قدم في يده الى الشرف والجريب[٥] ، وبعث اليهم من قام فيهم وذلك في جمادى الآخرة من هذه السنة ، وكان أسعد بن أبي يعفر عند وصوله الى كحلان أمر بعمارتها وتحصينها ، ثم صار[٦] اليها في شوال سنة ست

---

(١) المخلاف هو المنطقة، ومخلاف جعفر معروف باليمن. انظر تاريخ عمارة: ٤٨-٤٩.

(٢) في ص « الحصون » .

(٣) في ص « اليهـم » .

(٤) في ص « نزلوا ».

(٥) كانت مدينة عظيمة شهرت بزراعة الموز . صفة الجزيرة : ١١٤ .

(٦) في ص « صاروا » .

وثلاثمائة ، واستخلف أخاه عبد الله بن أبي يعفر بصنعاء ، وأقام أسعد بكحلان حتى توفي يوم الاحد لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة .

ولما كان في شعبان من سنة سبع وثلاثمائة وجه أحمد بن يحيى بن الحسين صلوات الله عليهم عسكرا في حرب القرامط ...[1] وكان من أهل مسور فالتقوا في الظاهر في موضع يقال له نعاش يوم الثلاثاء مستهل شهر رمضان ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، ووقعت الدائرة على القرامط فقتل منهم ألف وخمسمائة رجل ، وهزموهم هزيمة عظيمة ، وأخذوا ما كان معهم والحمد لله ، واستأمن اليه كبير بلدهم وبعث القواد معهم وبث العساكر في وجوههم ، وحاربوهم في حصنهم حتى أيقنوا بالهلكة ، فكاتبوا الحرملي ، وأرسلوا اليه بمال ، فبعث عسكرا في نصرتهم ، فلما بلغ ذلك أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما ، كره حربه لئلا يقع عند السلطان أنه مُحارب قائده[2] ، فينقطع الموسم عمن في بلده من التجار ، وأخل عليه بعض البلد فصرف عساكره (٩١ ـ ظ) وخلى البلد وعاد الى بلده سنة ثمان وثلاثمائة .

وتوفي أبو القاسم محمد بن يحيى صلوات الله عليهما بصعدة يوم الاحد لسبع[3] ليال خلت من المحرم مدخل سنة عشر وثلاثمائة[4] ، ودفن يوم الاثنين ضحى النهار .

وقام أحمد بن يحيى صلوات الله عليهما بالامر ، وتولاه[5] ، وطلب القرامطة الهدنة ، وكتبوا الى جماعة من همدان ، فوقعت الهدنة بينهم في شعبان من سنة عشر وثلاثمائة .

---

(١) فراغ في الاصل وفي ص ، وفي غاية الاماني ١/٢١١ : وفي هذه السنة كانت وقعة نعاش المشهورة ، وسببها ان القرامطة لما اشتدت شوكتهم في ناحية مسور ، وعم منهم على من حولهم الضرر ، اجمع الناصر ـ احمد بن يحيى بن الحسين ـ اجناده ، وحشد قواده ... واجتمعت القرامطة الى قائدهم عبد الحميد بن محمد المسوري (وكان من اهل مسور) فنهض بهم .. الخ .

(٢) في ص « يحارب قائده » واراد بالسلطان اسعد بن ابي يعفر .

(٣) في ص « لتسع » .

(٤) في حاشية الاصل : ذكر وفاة المرتضى محمد بن يحيى الهادي الى الحق عليهما السلام .

(٥) في الاصل « وتولي » والتقويم من ص .

ودخل القرمطي[1] صاحب البحرين مكة في موسم سنة سبع عشرة وثلاثمائة يوم الاثنين لست [ليال خلون] من ذي الحجة، فقتلوا في المسجد الحرام من المسلمين خلقا، وفي مكة، وسبوا النساء، وأخذوا الاموال، وقلعوا الركن وكسوة البيت وباب الكعبة، وحملوا ذلك، وأسروا من المسلمين خلقا عظيما وأقاموا بمكة ثمانية أيام، ثم انصرفوا يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة .

وقد كان في أيام أسعد بعد موت ابن فضل رجلان من ناحية السرو من دعاة القرامط وتبعهما خلق[2] ، وصارا الى قلعة تسمى شكم[3] فقتل داعيي الكفر ، وأخذت رؤوسهما[4] « وحملت » الى كحلان ، وغنم المسلمون ما كان معهم ، وذلك يوم الجمعة ليومين باقيين من شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة ...[٩٢ — و].

وقد كان في أيام أسعد خرج بالسرو رجل يدعي النبوة ، كاذبا ، عليه لعنة الله ، فمال اليه من بقي من أصحاب ابن فضل ، فوجه الامير أسعد العساكر والقواد الى رداع ، وكاتب العساكر فاستأمن اليه الناس ، وعمل في المدعي النبوة حتى أخذوه أسيرا من غير عهد ولا أمان ، فأتى به اليه أسيرا ذليلا ، قد أخلف الله أمله ، وأذهب حيله ، يوم الفطر سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ، فصيره في الحبس ، فهلك بالنعط[5] [٩٢ — ظ] .



---

(1) ابو طاهر الجنابي مضى ذكره وسياتي المزيد عنه .
(2) في الاصل « وتبعها خلق وصار » والتقويم من ص .
(3) حصن وقرية من يافع السلفى . صفة الجزيرة : ١٤٢ .
(4) اضيفت « وحملت » من ص .
(5) النعط هو الشبق .

كتـــاب

استتـــار الإمـام عليـــه السلام

وتفرق الدعاة في الجزائر لطلبه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كثيرا كما هو أهله ومستحقه ، وصلى الله على سيدنا محمد سيد رسله وأبرار عترته الطاهرين وسلم كثيرا .

اعلم علمك الله الرشد أنه أول ما فقد الامام عايه السلام ، بقي الدعاة متحيرين فاجتمع وجوههم بمدينة عسكر مكرم ، وهم سبعة نفر : منهم أبو غفير ، وأبو سلمة، وأبو الحسن بن الترمذي ، وجياد بن الخثمي وأحمد بن الموصلي ، وأبو محمد الكوفي،وهو والد أبي مهزول،الذي قتل موالي موالينا أهل البيت صلوات الله عليهم.

ولما اجتمع هؤلاء النفر المذكورون قالوا : قد فقدنا امامنا ، ولا صلاة لنا ولا صوم الا بامام ، ولا نعرف من نعطي زكاتنا ، واجتمعوا مع الاولياء والمحبين ، فجمعوا نفقات ، وقالوا لهؤلاء الدعاة المذكورين في صدر الكتاب : أمضوا فافترقوا على عمل خراسان ، والعراق وجزيرة حران ، واليمن ، واطلبوه . فخرجوا فتفرقوا مع كل واحد صفته وحليته ، وخرجوا في هيئة الطوافين على دوابهم ، وأخرجوا فيها الفلفل والريحان والمغازل والمرايا واللبان ، وما يصلح للنساء من أصناف البقط[1] ، وجعلوا بينهم موعدا يجتمعون فيه في كل اقليم على أقسام ، لكل واحد منهم قسم يمضي اليه ، فاذا فرغوا من الاقليم أتوا الى الميعاد ويسأل بعضهم بعضا : هل أصبتم شيئا ، فاذا لم يجدوا في ذلك الموضع شيئا انتقلوا الى اقليم آخر ، فيتواعدوا الى موضع آخر يجتمعون فيه .

وكان اذا اجتمع عليهم النساء والصبيان يسألونهم : هل وقع عندكم رجل في صفته كذا وكذا ؟ وكان هذا حالهم في كل موضع دخلوه ، فداروا حلب واقليم الجزيرة وغيرها فلم يجدوا شيئا ، فدخلوا اقليم حمص فنزلوا بمعرة النعمان وجعلوا

---

(1) البقط : قماش البيت ، وجميع المتاع . القاموس .

الميعاد بينهم في الجامع ، وكان الامام ع م قد وقع في معرة النعمان في جبل السماق في دير يقال له دير عصفورين عند كفر قوم[1] .

فخرج أبو غفير ومعه جياد الى معرة النعمان في جبل السماق ، وهو ينادي مغازل لبان مرايا ، فاجتمع اليه النساء والصبيان فسألهم : هل وقع عندكم رجل صفته كذا وكذا ؟ فقال له صبي وامرأة هب لنا مما معك ونحن ندلك على هذه الصفة ، فوهب لهم مصطكا[2] ولبان وما يصلح للنساء والصبيان وقالوا له : الساعة جزنا بدير عصفورين وغلامه واقف على رأسه ، فقال لهم أبو غفير : الله الله دلوني على الطريق الى هذا الدير ، فركب حماره ومضى حتى وصل الدير ، وأخرج الكتاب الذي معه فيه الصفة والحلية ، ولم يكن له به معرفة قبل ذلك ، ولما وقف عليه عرفه بالصفة ، فنزل وخر لله ساجدا شكرا له ، اذ وقع عليه وقبل الأرض بين يديه ، فقال له : من تكون ؟ فقال : أنا فلان بن فلان ونحن سبعة من الدعاة ، لنا اليوم سنة ندور عليك لما فقدناك ، ودعاتك في جميع البلدان افتقدوك وبقوا حائرين . فقال له : يا هذا انما جئت الى هذا الموضع لأستر نفسي فيه ، فجئتم لتكشفوني ، ولكنك بعد اذ جئت واجتمعت معي فارجع وعرف أصحابك ليجيئوا الي بأجمعهم ، فاجتمع معكم لأعقد عليكم ما ترجعون به ان شاء الله تعالى .

فخرج أبو غفير فرحا مسرورا، فاجتمع مع أصحابه وفرحوا بذلك فرحا شديدا، فمضوا بجماعتهم الى دير عصفورين ، فاجتمعوا معه صلوات الله عليه . فقال لهم : ارجعوا وقولوا لدعاتي : انا قد أصبناه في موضع كذا ، فمضى هؤلاء السبعة فاعلموا جميع الدعاة في جميع الافاق، وقدم اليه جماعة منهم بعد برهة فسلموا عليه، وحمدوا الله عز وجل اذ جمع بينهم وبينه . فالتفت الى الدعاة المذكورين فقال لهم : سكنت هذا الموضع فلا أجد فيه دواءا ولا فصدا في أوانه ، ولا حماما ، فداروا مدينة شيزر ومدينة حماة وكفر طاب[3] ، ثم أتوا الى سلمية وكانت مدينة محدثة بناها محمد بن

---

(1) في هذه المنطقة الآن قريتان واحدة اسمها : كفر جوم ، والاخرى : كفر حوم . انظر التقسيمات الادارية للجمهورية العربية السورية . ط . دمشق ١٩٦٨ ص: ٢٦٥ ، ٣٠٧ .

(2) علك رومي له منافع طبية ــ القاموس .

(3) تقع خرائبها على بعد حوالي ثلاثة كيلومتر الى الغرب من خان شيخون الواقعة الى شمالي حماه على الطريق الواصل بين حماه والمعرة .

عبد الله بن صالح لما أخرجه الخليفة من بغداد[1] وقال له : ارحل عني واطلب لنفسك مدينة تبني بها وتسكن بها . وكان بها أربعة وعشرون ديرا للنصارى ، فبنى عليها رسوما وسكن بها مع عبيده وأخرج أهلها منها ، وبعث الى الخليفة ابن عمه ببغداد وقال له : اني قد وقعت في مدينة في طرف الدنيا ، ولكن أحب عمارتها فتأمر لي بالنداء في الامصار والتجار أن يحضروا سوقها ـ يعني سلمية ـ حتى تعمر فجعل السوق يعمر ثلاثة أشهر لا يفتر عنه كل يوم ، فكان التجار يأتون اليه ويتسوقون فيه ، وهي مدينة كثيرة الخيرات ، وكان التجار اذا أتوها لا يحبون الزوال منها ، ويسألون صاحبها أن يسكنوا بها ويأذن لهم ، فيقيمون ويوجهون بياعهم وعبيدهم يحملون اليهم بضائعهم ويسألون المقام معه ، فحصلت سلمية قطائع لاولئك التجار . فقال لهم اختطوا ، فاختط أهل بلخ ، وأهل مدينة الرسول ﷺ ، وأهل حلب ، وأهل الرقة ، وأهل كل ناحية .

وأتى هؤلاء الدعاة الى محمد بن عبد الله بن صالح ، فقالوا له : ان ها هنا رجلا بصريا من التجار يسألك فيما يسألك به هؤلاء التجار ، فأمرهم أن يطلبوا موضعا يصلح له ، وفرح به ، وأنزله في مجرى المدينة في ناحية سوقها فاشتروا له دار أبي فرحة ونزل ع م بسلمية كسائر التجار ، فلما نزل بها زاد دورا كثيرة وهدم وبنى وتأهل وأتى اليه طوائفه ، ودعاته وأحدث قصرا شامخا .

وهو عبد الله الاكبر[2] ، وبعث دعاته الى جميع البلدان سرا ، وعزل وولى على أنه رجل تاجر ، وولد له بها أحمد وابراهيم ، وتوفي وكانت الامامة بعده لأحمد دون ابراهيم ، وولد لاحمد بن عبد الله الامام الحسين وهو والد المهدي ، وسعيد الخير ، وأقام الحسين الى أن ولد له المهدي ع م ، فلما أتت نقلته استودع له أخاه سعيد الخير اذ كان ولده يومئذ في حال الطفولية ، واستبد سعيد بالامامة ونص بها على ولده فهلك الولد ، ثم نص على ولده الثاني فهلك ، وكان له عشرة أولاد فلم يزل ينص على كل واحد منهم الى أن هلكوا بأجمعهم ، فعلم حينئذ سعيد الخير أن الحق لا يفارق أهله ، فتاب وأناب الى الله تبارك وتعالى، وجمع دعاته وأعلمهم أنه مستودع للمهدي صلوات الله عليه ، وسلم الامامة واعترف له بالوديعة ، وتنصل اليه مما

---

(١) في معجم البلدان لياقوت : اتخذها صالح بن علي بن عبد الله بن عباس منزلا ، وبنى هو وولده فيها الابنية ، ومن المعتقد أن ذلك كان في عصر الرشيد .

(٢) يتوافق هذا مع ما ذكره الداعي ادريس القرشي ـ انظر عيون الاخبار ٤/٣٦٥ـ٣٦٦ .

تقدم منه قبل ذلك ، وصارت الامامة الى المهدي ع م فقال الشاعر :

الله أعطـاك التي لا فوقهـا وكـم أرادوا منعهـا وعوقها
عنك ويأبى الله الا سوقها اليك حتى طوقوك طوقهـا

فأول ما عمل المهدي ع م بعث في طلب أبي الحسين بن الاسود الى مدينة حماة، وكان رجلا عاقلا ، فقال : يا أبا الحسين قد قدمتك على جميع الدعاة ، فمن قدمت فهو المقدم ، ومن أخرت فهو المؤخر ، وأنت على طريق النصر . وكان الدعاة يأتون الى أبي الحسين ويؤدون اليه زكواتهم وهداياهم ، فيوجه بها أبو الحسين الى المهدي بالله صلوات الله عليـه .

فأول ما عمل أبو الحسين من تغيير الاحوال لما مات أبو محمد داعي الكوفة ، وكان قد خلف ثلاثة أولاد، هم : أبو القاسم، وأبو مهزول، وأبو العباس، وكان معهم زوج أختهم فقتلوه ، وقالوا له : أنت مبغض لنا ، ومخالف على مولانا ، وصاحت أختهم وقالت : قتلتم زوجي، فقالوا : نعم لانه منافق ، فخلع أبو الحسين، أبا القاسم ابن أبي محمد عن دعوة الكوفة ، فغضب أبو القاسم وأخوته غضبا شديدا ، وكتبوا الى المهدي صلوات الله عليه كتابا يقولون فيه : لم نزع منا أبو الحسين دعوة الكوفة بلا ذنب ولا خيانة ؟ فلم يرد عليهم المهدي جوابا ، واجتمع الاخوة الثلاثة وتحالفوا وتعاقدوا على أنهم ينحدرون الى سلمية فيقتلون ابن البصري[1] هذا الذي كلف أبا الحسين أن يفعل بنا هذا الفعل ، ولا نتركه ، وقالوا حتى ينقطع ذكر علي بن أبي طالب من الدنيا ، ونقتل بعده أبا الحسن ان قدرنا عليـه ، والا وشينا بذلك الى عمـال الشام .

فاتصل ذلك بدعاة بغداد وهم : حامد بن العباس وابن عبد وجماعة من الشيعة، فكتبوا الى المهدي ع م : إن بني أبي محمد قد عزموا على قتلك وقتل أهلك ، فان كنت قاعدا فقم ، فانهم قد زحفوا اليك ، وهم عازمون على قتلك فان لم يجدوا الى ذلك سبيلا وشوا بك الى أحمد بن طولون ، وهم يقولون انك مخالف للمذهب ، ويشهرون أمرك ، فاعمل على خلاص نفسك ولا تقم ساعة واحدة .

فأمر المهدي ع م في الوقت الذي وصل اليه هذا الخبر بالرحيل ، فأخذ معـه أبا القاسم ولده وجعفر الحاجب وابن بركة الحاضن لا غير ، وترك القصر كما هو

---

(١) اي الامام المهدي لان اباه عندما استقر في السلمية ادعى انه تاجر من اهل البصرة.

بفرشه وستوره وأمواله وعبيده وبني عمهوبني أخيه الذكور والاناث وأولاد ابراهيم وأوصى على جميع ماخلفه في القصر من النعمة والرباع والمتاع والمستغلات حسن بن معاذ ، وخرج وقت صلاة العصر ، ولم يعرف به أحد ، وأسلم جميع الاشياء .

فلما خرج وصار الى ظاهر المدينة قعد ساعة يشاور نفسه ويستخير الله ربه ، فبعث الى غيلان الرياحي، وكان رجلا من العرب مذكورا كان في قرية يقال لها سلهب ، وكان مطاعا في بني عمه ، فقام اليه غيلان ، ومعه ثلاثون فارسا ، فمشى معه الليل كله حتى وصل الى حمص صلاة الغداة ، ورجع عنه غيلان ، وتمادى هو يومه ذلك حتى وصل طرابلس الشام ، فأقام بها يوما واحدا ، ثم توجه الى فلسطين الرملة فأقام بها ثم اتصل به أن أولاد أبي محمد وصلوا الى سلمية وطلبوه فلم يجدوه .

فبعد سنة كاملة قاموا يدورون عليه ، فجاؤوا الى أخيه محمد ، فقالوا : هو صاحبنا ، فقال لهم أهل سلمية : ليس هو صاحبكم وقد خرج صاحبكم وهو هربة ، وهو مستخف بالرملة، فاستقصوا على ذلك فأصابوا الخبر صحيحا حقا،وأنه بالرملة، فرجع واحد من أولاد أبي محمد وهو محمد الى العراق ، وبقي أبو القاسم ، وأبو مهزول بسلمية ، وكانا يكثران الاختلاف الى أبي الحسين الى حماة سرا يستقصون عليه ؛ ويرجعون الى سلمية ، فلما يئسوا منه ، وعلموا أنهم لا يجدونه ، وأنه قد فاتهم ، خرج أبو القاسم وكان معه دفاتر وكان غلاما شيطانا ، وبقي أبو مهزول بسلمية . فتوجه أبو القاسم بن أبي محمد الى العليصيين[1] ووقع اختياره عليهم دون القبائل ، وكانت الدعاة تدعو فيهم وكانوا من دعوة أبي الحسين ، قد دعا مشايخهم سعدون بن دعلج من بني مالك ، وبني معرش ، وبني هجيني ، وبني البلوي ، وبني فخداش ، وبني هذيل ، وبني زياد ، فعاقده هؤلاء القبائل وحالفوه ، وثاروا معه الى طغج والي دمشق[2] ، وكان طغج قد طغى وجار في دمشق جورا عظيما ، فبعثهم الله نقمة عليه وقاتلوه بقرية يقال لها مزة الافاعي ، فهزموا طغج هزيمة فاضحة ، وقتلوا رجاله وحصروه بدمشق . ثم اجتمعوا أيضا مرة أخرى بموضع

---

(١) من قبيلة كلب .

(٢) في هذا اشارة لثورة صاحب الجمل زعيم قرامطة الشام ، انظر ترجمة صاحب الخال فيما يلي .

يقال له المزة على باب المدينة ، فهزموه أيضا ، وردوه الى دمشق وضيقوا عليه، فبعث طغج الى بدر الحمامي الى مصر يستنصره ، وقال له : ان هذا الرجل قد ضيق علي ، فجاءه بدر الحمامي بعسكر مصر فدخل بدر الحمامي دمشق، ولم يعرف به القرامطة.

وكان أبو مهزول اللعين قد خرج من سلمية حتى وصل الى الرملة، وأبو القاسم اخوه مقيم على دمشق ، والقتال في كل يوم ، فلما وصل أبو مهزول الى الرملة رأى جعفر الحاجب في السوق يشتري حوائج،فقال له انسان ممن يعرفه هذا غلام صاحبك الذي تسأل عنه ، فتبع جعفرا حتى دخل الدار معه ، وقعد له في الدهليز ، وقال له : أبلغ مولانا السلام ، وقل له اني قد جئت أنا أبو مهزول بن أبي محمد ، ولا بد لي من الاجتماع به ، والا صحت وأشهرت أمره ، فدخل اليه جعفر الحاجب ، وعرفه بذلك ، فقال له المهدي عم : بعد أن رآك ، ووصل الينا فاصعد به والا فهو يشهرنا .

وكان المهدي عم يسكن بالرملة دورا كثيرة يستتر من دار الى دار ، فصعد اليه فلما رآه قبل الارض بين يديه ، فرحب به وعظم شأنه ، فقال : يا مولانا خرجنا من بلدنا واخوي ندور عليك، فالحمد لله الذي جمع بيننا وبينك، أخي قدم بالعسكر وحصر دمشق وتركته على أخذها فارجع فقد استقام لك الامر ، فما جئنا من بلدنا الا لترضى عنا ولا تكن ساخطا علينا ، وهذا من فعال أبي الحسين الذي أقلقنا وأقلقك، فان كنت لا تمضي أنت فاكتب كتابا الى أخي ليرضى عني، فانه ساخط علي.

فكتب له كتابا الى أخيه أن ارض عنه، ولا تؤذه بشيء، وأنا قادم في اثر كتابي، وكتب له الى أبي الحسين كتابا ، وأمره أن يدفع اليه خمسمائة دينار من المال الذي له عنده ، فخرج أبو مهزول من عند مولانا المهدي عم ، فمضى حتى وصل الى أبي الحسين فدفع اليه الكتاب ، وقال له : ادفع الي ما أمرك به ، فقال أبو الحسين يا ملعون وأين أصبته فقال : بالرملة ، فدافعه ولم يعطه شيئا .

ورجع أبو مهزول الى أخيه ، وهو على بلد دمشق ، فقال له : جئت يا ملعون والله لأقتلنك، فدفع اليه الكتاب ، فلما رآه قبله وقرأه وقال له: أين أصبته يا ملعون؟ فقال له : بمدينة الرملة ، واجتمعت معه ، فقال : أو رأيته ؟ قال : نعم ، وكتب لي هذا الكتاب الى أبي الحسين بدفع خمسمائة دينار ، وأوصلته اليه فلم يدفع الي شيئا ، وجئت اليك لأعرفك .

فعند ذلك جمع مشايخ العليصيين من بني زياد ، وقال لهم : هذا أخي قد قدم ، ونحن بالغداة نلتقي للقتال على باب المزة ، فبايعوا لأخي فاني غدا أطلع الى السماء أقيم بها أربعين يوما ، وآتي اليكم ، فبايعوا له على أربعين يوما لا غير ، وقال: أعطوا أخي خمسمائة فارس يكمن في هذا الجنان ، فاذا وقع القتال خرج عليهم ، فعقدوا ذلك ، وباتوا عليه وأصبحوا بالغداة الى القتال ، ومضى أبو مهزول بالكمين الى الجنان وزحف طغج وبدر الحمامي ، فقال أبو القاسم ، لا يتحرك أحد من العسكر للقتال حتى تروني ركبت ناقتي ، وأقعد ناقته وأوقف عساكره يمينا وشمالا ، وهو ينظر في دفتر وأبو محمدين الداعي يختلف اليه ، ويقول له العدو قد أشرف علينا وتقارب منا ، فيقول له : اصبر حتى أقوم ، فلما ألح عليه بالكلام ، وتقارب العدو منه دق التراب[1] ، وقال يا رب أحرق بالنار أبصارهم ، ثم قدمت اليه ناقته ، ثم قال: يا أحمد ، يا محمد ، يا نصر الله انزل ، فحمل العسكران بعضهما على بعض ، فما كان الا ساعة حتى ضرب بحربه ، ضربه بها رجل من عسكر بدر الحمامي ، فانقلب ، فصاح بدر الحمامي : انزلوا جزوا رأسه ، فهو يجز رأسه حتى جاءت زراقة نفط فأحرقت القاتل والمقتول والناقة ، فخرج أبو مهزول لعنه الله بالكمين فرد الهزيمة حتى رجع بدر الحمامي وطغج ، فقتلا قتلا عظيما .

فلما رجعوا ، اجتمعت جميع العساكر فقالوا : صاحبنا صعد الى السماء ، فافترقوا ، فقال لهم شيخهم أبو محمد الداعي : قد بايعنا لأخيه أربعين يوما ، فان هو نزل فنحن قادرون على أن نفترق ، فصبرهم أربعين يوما ، وكتب أهل حمص الى أبي مهزول أن اقدم علينا ، ودع دمشق ، فانا في طاعتك ، فقدم الى حمص بالعساكر وخلى عن دمشق .

ومولانا المهدي ع‍م في هذا كله مقيم بالرملة ، والاخبار تتصل اليه فلما قدم أبو مهزول الى حمص أطاعوه وسمعوا له ، وقدم اليه أبو الحسين من حماة للسلام عليه مع مشايخ البلد ، فلما رأى أبا الحسين نظر اليه نظر مغضب ، ففزع وهرب واختفى عند رجل من أصحابه ، فلما أصبحوا دخل المشايخ اليه وسلموا عليه ، فافتقد أبا الحسين فلم يره ، فسأل عنه فقالوا : هرب ، فأمر بالنداء ، فنادوا : من

---

(1) يتشبه بفعله هذا بما كان النبي ﷺ يفعله في بعض مغازيه .

آوى أبا الحسين فقد حل ماله ودمه . فأقام المنادي ينادي سبعة أيام حتى ظهر أبو الحسين فجاؤوا به ، فقال : يا أبا الحسين قد تكاملت ذنوبك ، فقال أبو الحسين : لا يكون مع الله الا خيرا ، وضيق عليه وأركبه جملا مع ولده وشهرهما ، ونادى عليهما وأنزلهما بعد المناداة عليهما في فازته[1] مكبلين فأتاه مشايخ العليصيين ، فقالوا له : ان هذا الرجل الشيخ نحن من دعوته فلا تحدث فيه حدثا ، فقال لهم : ما يناله منا مكروه،ولا يرى الاخيرا ثم رحل من حمص الى سلمية ، ومعه أبو الحسين وولده .

فنزل بهما بقرية يقال لها فياحة ، ونزل العسكر بها ، وأمر الفراش أن يحفر في وسط الفازة حفرة ليدفن فيها أبو الحسين حيا ، فلم يمكن له في هذا المقام شيء ، فأصبح العسكر راحلا حتى وصل الى سلمية ، ونزل العسكر وأبو الحسين معه لم يحدث فيه حدثا ، وكان نزوله بالعسكر على باب الخندق فأقام بها ثلاثة أيام ، ثم قتل أبو الحسين

وخرج مشايخ الهاشميين فسلموا عليه ومعهم حسن بن معاذ وطوائف المهدي عم وأهل بيته وقراباته ، وكان أبو محمد أخو المهدي عليلا فتوفي ذلك اليوم الذي نزل فيه أبو مهزول لعنه الله ، فأقام فيها أياما كثيرة، ثم أخذ مشايخ الهاشميين فكبلهم وأخرجهم من دورهم الى العسكر ، وخلى طوائف المهدي لم يعترض لهم ، فلما رأى مشايخ العليصيين ما فعله بالهاشميين ، اجتمعوا اليه ، وقالوا : هؤلاء الهاشميين قرابة الخليفة ببغداد ، أطلق سبيلهم ، ففعل ذلك ، ثم رحل بالغداة الى حماة والى دار أبي الحسين ودور بني عثمان بن حجاز ، فنهب جميع ما كان فيها للمهدي عم ولابي الحسين ، ، وكانت دار أبي الحسين خزانة المهدي عم .

ثم أتى الخبر أبا مهزول لعنة الله عليه وهو بحماة أن أبا الاغر السلمي خرج بالعسكر من بغداد يريد اليه ، فعبأ عساكره وأخرج عليها عميطر المكنى بالمطوق فتوجه العسكر الى أبي الأغر ، فوافاه على شاطىء الفرات فالتقوا هناك فانهزم أبو الاغر ، وأخذت فازته ، فاحتووا على جميع ما كان له ، وقتل ولد أبي الاغر ، ووجد في فازته ، كتب الهاشميين الذين بسلميه، كتبوها الى المعتضد ينتصرون به، ويقولون له : الحق اطفاء النار قبل أن تشتعل .

---

(1) كلمة بربرية يقصد بها الخيمة ، وفي استخدام هذه العبارة ما يوحي بان هذا النص كتب في تونس .

فلما أتوا الى أبي مهزول وبشروه بهزيمة أبي الاغر ونهب ما كان له في فازته فأخبروه بما أخذوا من الكتب فأصاب كتب الهاشميين ، وجمع مشايخ العليصيين وأوقفهم على ما فيها وقال لهم : هؤلاء الذين شفعتم فيهم هذه كتبهم كتبوها الى المعتضد[1] ليبرزوا علينا وعليكم العساكر فيقتلونا ويقتلوكم معنا .

وفي ذلك كله المهدي ع م مقيم بالرملة ، وطيب الحاضن يختلف اليه من سلمية الى الرملة يعرفه الاخبار ، ووصلت اليه أم علي الى الرملة اذ كان أبو القاسم طلبها وبكى عليها ، فوصلت اليه ، وامرأة أخرى ، فوصلتا جميعا الى الرملة . وكان بالرملة ينتظر ما يكون من أخبار اللعين أبي مهزول وما يكون من فعله بعد رجوعه من دمشق ، ووصوله الى سلمية واتصل به ما فعل بأبي الحسين وولده ونهب ماله واحراق داره .

ولما وصلت كتب الهاشميين التي كانت مع ابن أبي الاغر على أنه يوصلها الى المعتضد ، قال له جميع الدعاة : اذا كان الامر على هذا ، وقد فعلوا ما فعلوا فشأنك بهم . فوجه في طلبهم الخيل فأتوا بهم وهم أحمد بن محمد ، وابراهيم بن محمد ، وصالح بن محمد ، وفضل بن عبد الله ، وعباس بن عبد الله ، وبلهجة بن عبد الله وجماعة الهاشميين ، وكان جملة عددهم خمسة وتسعين شيخا ، فوقفوا بين يديه ، وقالوا له : لأي شيء وجهت في طلبنا ؟ فدفع اليهم الكتب ، وقال : أليس هذه كتبكم وخطوطكم بأيديكم كتبتم بها الى المعتضد تنتصرون به يوجه الينا بالعساكر فقال أحمد بن محمد ، وكان لسان القوم : قد فعلنا ذلك ، ولكن عفوك يلحقنا ، قال أبو مهزول لعنه الله : لا عفا الله عني ان عفوت عنكم ، وأمر بهم أن يجروا بكبولهم الى باب اليهود ، وأمر رجلا كان يهوديا أسلم على يديه من أهل تدمر أن يضرب رقابهم ، ولما كان من الغد بعث خيل العسكر الى دورهم فأحرقوا النساء والصبيان والبنات والاطفال ، وكان عدد من فعل ذلك به مائة واحدى وأربعين نفسا ، فقتلوا كلهم ، ونادى في جميع أهل سلمية أن لا يدفن منهم أحد ولا يستر ، ومن سترهم أو غطاهم لزمه عقوبة ، فبقوا كذلك حتى أكلتهم الكلاب والطير .

---

(1) توفي المعتضد سنة ٢٨٩ هـ/٨٠٢ م ، وخلفه المكتفي ، وهو الذي سير أبا الاغر ثم تولى القضاء على صاحب الخال المنعوت بابي مهزول هنا .

واجتمع أهل سلمية ، ومشى بعضهم الى بعض ، فقالوا : هذه الفعلة التي فعلها هذا الرجل في الهاشميين ، ولم يحدث في قصر المهدي ولا رجاله شيئا ، فهذا انما له قام ، فجعلوا أكثر قنيتهم ، وأكثر ماكان لهم في قصر المهدي ليستروا ويصونوا أموالهم .

وكان من مناظرة القرمطي مع الهاشميين ، قبل قتلهم ، أن قال لهم : انكم السبب في خروج ابن البصري من هذه المدينة ، وأخليتم قصره منه وتركتم أولاده وأولاد أخيه يتامى منه ، فلما سمع أهل سلمية كلامه معهم أيقنوا أنه لا يفعل في أهل بيت المهدي الا خيرا ، واطمئنوا ، وأخفوا أموالهم ، وأمتعتهم في القصر ، فعند ذلك بعث الى المهدي كتابا سرا يقول له : اني قتلت أعداءك الذين عملوا على خروجك ، ودفع ابن عمك وولده الى العراق في الأول ، فأقدم ولا تتأخر .

وكان في ذلك مكيدة منه ليطمئن المهدي اليه حتى يرجع ، فلما قرأ المهدي عم الكتاب ، كتب اليه قد أحسنت فيما عملته ، ولو لم تفعل هذا ما كنت من شيعتنا وأوليائنا ، وأنا قادم على أثر كتابي هذا ان شاء الله ، فلما قرأ الفاسق كتابه فرح به وأطمعه فيه ، وأبى الله أن يتم للفاسق أمله ، وأن يبلغ المهدي عم ما هو أهله .

وقرأ أبو مهزول اللعين كتاب الامام على جميع الدعاة وقال لهم ان صاحبكم قادم الى بلده وقصوره ونعمه التي أخرجه منها هؤلاء الفسقة ، ففرح الدعاة وسرهم ذلك . وأقام الفاسق منتظرا لقدوم المهدي عم أربعة أشهر من أول سنة احدى وتسعين ومائتين ، وهو منتظر لقدومه حتى وصل اليه الخبر أن محمد بن سليمان قد خرج من بغداد قادما اليه ، فأمر تلك الساعة بخروج العسكر في ثمانية آلاف فارس ، وستة عشر ألف راجل ، وقدم عليه عطير بن الكرش وقرميز بن السهم من بني الاحم ، فالتقوا عسكر محمد بن سليمان بموضع يعرف بقرية السيل ، وبقي الفاسق مقيما بسلمية . وكان الرجال الذين أخرجهم في العسكر محبين للمهدي عم وكانوا من دعوة أبي الحسين ودهمهم خروجهم ، فبقي مع جماعة منهم لم يخرجوا في العسكر .

وقال لأولئك الدعاة الذين بقوا معه : اني أحببت أدخل الحمام في مدينة سلمية ، ولم يكن دخل المدينة الا ذلك اليوم ، وانما كان نازلا بظاهرها ، وكان ذلك حيلة منه لعنه الله لما مضى عنه أولئك المحبون وأيس أن المهدي لا يصل ، وخاف أن يفوته ما يريده ، وحذر من محمد بن سليمان أن يخرجه من البلد ، ولم يخرج أهل بيت

المهدي عم ومن في قصره • فأمر له أن يطيب له الحمام فدخل على المدينة على بغلة مزورة من باب الشرقي ومعه نحو ألف فارس ، وكان طريق الحمام على باب المهدي عم ، فدخل الحمام ، وخرج وأرى أنه خارج الى العسكر حتى جاز ووقف على باب القصر • وكانت جارية المهدي عم معها ولد يقال له محمد ، فهربت مع داية هـذا الصبي لما أحست أن الفاسق دخل من باب القصر الكبير وخرجت من الخوخة بولدها ، وكانت هذه الجارية يقال لها لعب ، قديمة بالقصر لأنها كانت للشيخ محمد بن أحمد ، ثم صارت للمهدي عم من بعده • فهربت فرآها محمد بن عزيزة وكان عارفا بهـا ، فقال للذي معه : هذه جارية الشيخ هاربة خائفة ، فتبعها ومعه خمسة نفر • فقال لها : أين تريدين يا لعب ؟ فقالت له : يا محمد انا ربيناك أنت وأباك ودخلت علينا ، وهذا الرجل قد دخل قصرنا وليس نعلم ما يريد منا ، فاسترنا فانه لم يعرف بي أحد غيرك فقال : هاتي جميع ما معك من الحلي وامضي لشغلك ، فأعطته جميع ما معها مـن الحلي ، ومضت حتى دخلت دار رجل من التجار يعرف بابن أبي مصحف ، فقالت له : يا محمد استرني ، فقال لها : ادخلي ان كان لم يرك أحد ، وعرفته أن الفاسق قـد دخل القصر • وكان قد تبعها أحد الخمسة فعاد الى أصحابه فخبرهم الموضع ، فلما دخل اللعين القصر نصب له كرسي جديد في فستقيته ، فقال الدعاة الذين كانوا في عسكر الفاسق لأبي محمد الداعي : أنت مدل على هذا الرجل ، فاعرف ما يريد بهذا القصر ، وعرفه أن صاحب هذا القصر له في رقابنا بيعة وأبو الحسين دعانا لهذا القصر ، ودخل اليـه أبو محمد فسلم عليه ، فقال له : يا هذا الرجل : أنا رسول الجماعـة اليك ، انهم يقولون لك : ان صاحب هذا القصر له في رقابنا بيعة ، فلا تحدث فيـه حدثا ولا تؤذهم بشيء ، فقال له الفاسق : لا يا أبا محمد لا نحدث فيه حدثا ، فاخرج وامض الى العسكر ، وأنا خارج خلفكم •

فخرج أبو محمد فعند خروجه أمر الصقالبة بطلب لعب لأنها أقدم من في القصر ، وأعلم بمخابئه وأسبابه ، فداروا فلم يجدوها ، ووقعت الصيحة : لعب لعب ، فقال لهم محمد بن عزيزة : أنا أعرف موضعها وأنا أجيء بها ، فأدخلوه الى القرمطي ، فقال له : امض وجيء بها الساعة ، فمشى ابن عزيزة الى دار ابن أبي مصحف ، فدق الباب وقال أخرجي فانا قد أخذنا بك ، وأخرجها صاحب الدار خوفا على نفسه ، فأخذها محمد بن عزيزة مع ولدها ودايته حتى أوصلها الى القرمطي • فسلم عليها

سلام مودة ، ورحب بها وسألها عن مولاها ، فقال : كيف غبت عنا ونحن لا نستغني عنك ، وما بلغك عن مولاك الهارب منا ؟ فقالت له : هو قادم عن قريب ان شاء الله ، ولا يتأخر أكثر من هذا . ثم قال لها لما فرغ من كلامه معها : وأين مال محمد ، وأين مال مولاك الهارب منا ؟ وأقبل يتجنى عليها قليلا قليلا ، فقالت له : ما أعرف أين أموالهم وأنا محدثة في هذا القصر ، ثم قالت له : كم تطيل الخطاب وتتجنى علينا ، انما دخلت لتقتلنا وتلحقنا بالهاشميين ، وتقتل الصبيان والله بيننا وبينك ، ثم قالت : يا عدو الله ، يا لعين ، نسيت فضل مولاي عليك وعلى أبيك من قبلك ، وهجمت علينا ، وروعت أولادنا ، كفرا بما أنعم الله عليك ، وتفاقا على أوليائه ، وأسمعتـه ما يكره لما علمت أنه يريد قتلهم ــ لعنه الله ــ ثم قالت : يا عدو الله ، وعدو أوليائه ان عزمت على قتلنا ــ قتلك الله ولعنك ، ولا بد من ذلك فـلا تدعنا كما تركت الهاشميين مكشوفين ، فليس نحن مثلهم ، واسترنا ولا تكشفنا . فقال لها : ان أنا قتلتك أين تريدين أدعك ؟ قالت : استرنا في هذا الصهريج ، وكان قدامه صهريج ، فأمر الصقالبة أن يدخلوا اليه ابن النداف السياف التدمري ، فدخل اليه وسيفه مجرد في يده ، فقال اضرب عنق هذه وارمها في هذا ، فرميت في ذلك الصهريج ، وقتل ولدها ومن كان معها . وفرق الصقالبة فأتوا اليه بجميع من في ذلك القصر من صغير وكبير من الرجال والنساء ، فقتلهم كلهم ورمى بهم في ذلك الصهريج ، وكانوا ثمان وثمانين نفسا ، فلما أتى عليهم قدموا اليه بغلته فركب ، ووكل بالقصر من يحفظه ويحوط ما فيــه .

ومضى الى الاخبية فأقام بها سبعة أيام ، ففي اليوم الثامن جاءه عسكره منهزما هزمه محمد بن سليمان ، وقتل جميع من في عسكره من الرجالة وأكثر الخيل . فقيل له : قد قتل عسكرك ، وجاءنا ما لا قوام لنا به ، فارحل معنا ولا تقم ، فان محمد بن سليمان يأخذك ، فقال لهم : اقعدوا ، فقالوا له : لك في رقابنا ذمة ، وقد عرفناك ، فان كنت ترحل معنا فارحل ، والا فاقعد وحدك . فلما رأى الجد منهم رحل معهم ولم يرده راد عن ساقية تدمر ، ونزلوا ورحل من تدمر الى الأرك[1] .

(1) الارك ــ الورك ــ ذكرها ياقوت في معجمه . وما زالت تعرف بهذا الاسم ، حيث تقع في منطقة تدمر ، وتبعد عن حمص مسافة ١٩٥ كم انظر التقسيمات الادارية للجمهورية العربية السورية ط . دمشق ١٩٦٨ . ص : ٨١ .

فبعد هزيمته لستة أيام وافى محمد بن سليمان بعسكره الي مدينة سلمية فقال لهم : أين القرمطي ؟ فقالوا : قد رفع ، فقال قد أمرني المعتضد[1] اذا انهزم القرمطي أنَ أضع السيف في الحضر والبدو ، فقالوا : اتق الله قتلنا القرمطي وتقتلنا أنت أيضا ؟ فقال لهم : ما الدليل على هذا ، قالوا له تدخل الينا من تثق به لنوقفه على قتلانا ، فلما سمع ذلك منهم أشفق عليهم فقال : أغلقوا أبوابكم وحصنوا أنفسكم فان العسكر مقبل عليكم وأخاف أن ينهبكم ، وأنا أدخل اليكم من ينظر قتلاكم أن كان حقا ما قلتم فأدخل اليهم محمد بن الديرجي وكان شيخا ثقة فأوقفوه على القتلى، فنظر الى الاطفال والنساء فقال : قتل الله من فعل هذا . وسأل محمد بن سليمان : أين توجه القرمطي ؟ فقالوا له: الى ناحية تدمر ، فوجه في طلبه ألف فارس، فقالوا : انه دخل الصحراء فافترق عسكره عنه ، ونهبوا جميع ما معه ، وقال له مشايخ العليصيين : أنت مشؤمنا، فهرب على دابته ومعه مال ودخل في سواد العراق، على أنه يدخل موضعا لا يصاب فيه .

فكتب محمد بن سليمان الى المعتضد : ان القرمطي قد انهزم عسكره وقتل رجاله وهرب من كان معه وتفرقوا عنه ، وبقي وحده هاربا ، فمر بأمرك ، فكتب اليه يأمره بالرجوع الى بغداد ، فرجع بعد ذلك ، وكان بعده بأربعة أشهر أخذ اللعين القرمطي أبو مهزول على شاطىء الفرات في موضع يقال له قرقيسيا[2] ، وأخذ معه غلامان ، فرفع الى المعتضد الى بغداد .

واتصل بالمهدي ما فعل بالقصر وقتل جميع من كان فيه ، ثم انه اتصل به أن القرمطي وصل الى المعتضد ، فرحل من الرملة الى مصر فأقام مدة، ولما رجع القرمطي الى بغداد شهر ونودي عليه ونصبت الدكة للمعتضد ، وفرش له الزينة حتى يشرف على قتله ، وهو يضرب بالسوط ، فقد يقولون : من أنت ، وايش أصلك ، ولمن كنت تدعو؟ فقال لهم: ما أنا من أهل الرياسة ، ولا من أهل القرامطة ، انما أمرني بالخروج رجل وهو فلان بن فلان من مدينة سلمية يعني المهدي عم، وهو من صفته كذا وكذا بصفته وحليته ، وكتبت صفته على ما وصف الملعون ، ثم مات لعنه الله بالعذاب وأحرق بالنار .

---

(1) كذا والاصح : المكتفي .

(2) قرقيسياء هي البصيرة حاليا في سورية،حيث يلتقي الخابور بالفرات، ومشهورا أن اعتقال القرمطي كان قد تم في منطقة الرقة .

وفرق حينئذ المعتضد البريد في جميع الافاق وأمر العمال أن يطلبوا هذه الصفة فلم يجدوه ، وكان قد خرج مع تجار بغداد ومع أبي العباس أخي أبي عبد الله الى طرابلس الغرب، فقطع عليهم الطريق بالطاحونة، وضرب أبو العباس أخو أبي عبد الله بسيف على وجهه ، فوصلوا الى طرابلس على ماحق البريد وهو فيها ، فلما وصل الكتاب داروا على الصفة ، ودخل التجار الذين قدموا من مصر ، ثم دخلوا عليه الدار التي كان بها ، فلما رأوه قالوا : هذه الصفة صفتك وأنت المطلوب لا شك ، ولكنا نخليك عن الغفلة ، فارحل عن بلدنا ولا تقم فيه ، وكان أبو القاسم بن حسان بها ، فرحل معه حتى وصل الى قسطيلية[1] ودخل الى سجلماسة[2] فأقام بها ثلاثة أشهر حتى لحقته الحرم مع يوسف القهرمان وطيب الحاضن ؛ ومع ذلك كتب أبي عبد الله تترى بطلبه حيث ما نزل ، فكتب اليه أن أقدم فقد استقامت لك العساكر ، فتأخر حتى قدم اليه أبو عبد الله سجلماسة ، وخرج المهدي عم وولده أبو القاسم محمد الامام عم وجعفر الحاجب وجميع من كان معه ، وكان من أمره ما هو مدون معروف . والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله الطاهرين .



(١) في بلاد الجريد من المغرب الاوسط ـ معجم البلدان .

(٢) عاصمة دولة بني مدرار ، شغلت دورا كبيرا في تاريخ المغرب الاقصى خرائبها الآن قائمة في اقليم الراشدية في المملكة المغربية .

كتـــاب التراتيب

وهـــي

سبع تراتيب على التمـــام والكمـــال

بسم الله الرحمن الرحيم

اعلم يا أخي : الحمد لله المتعالي عن العلة والمعلول والمبدع بأمره جواهر النفوس والعقول ..

وقد جرى في مثل ذلك دور محمد ﷺ من انتساب الائمة عليهم السلام بالنبوة له لما أراد تشريفه وتعظيمه ، وذلك مثل جعفر الصادق عليه السلام، فانه قام بالامامة، وكان زمانه زمان فترة [مثل] دور الرسول عليه السلام ، وكان في عصره ضد عظيم وشيطان رجيم ، وهو المعروف بأبي جعفر الدوانيقي[1] ، وكان هذا الضد يدس على جعفر الصادق عليه السلام ليقتله ، وأراد أن يطفيء نور الله ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ، وكان له عيون عند جعفر الصادق عليه السلام ، يطالعونه بخبره يوما بيوم وساعة بساعة ، فعلم الصادق عليه السلام ما في نفسه ، وما أضمره من كفره ونفاقه ، فأوجب ذلك أن يظهر منه تسليم الامامة الى ولده اسماعيل ، كيما تخمد نيران هذا اللعين ، فأحضر الصادق عند ذلك حججه ودعاته وأهل شيعته ، ومن يلوذ به ، وسلم الى ولده اسماعيل ، بمحضر منهم ، وأمرهم بالدعاء له في جميع الجزائر[2] والاقاليم، وأن يأخذوا العهود ، وأن أمر الدعوة بيده ، وكلها له .

فقام اسماعيل بذلك ، ورتب الدعاة ، ونصب الحجج ، وأمرهم بالدعاء لـه ، ورفع الاعمال والزكوات ، والفطر اليه ، ففعل الدعاة والحجج ذلك ، فانتشر خبره في جميع البلاد ، وعلم بتسليم الامر اليه عيون أبي جعفر الدوانيقي ، [فرفعوا اليه] بأن الصادق عليه السلام سلم الى ولده اسماعيل وأن الصادق قد صار صفرا من الامامة ، وأن الدعوة وأمرها كلها الى اسماعيل فلما بلغه الخبر ، قصد بالأذية الى اسماعيل عليه السلام ، ودس عليه من يقتله، كما أراد أن يفعل بالصادق عليه السلام،

---

(١) المقصود ابو جعفر المنصور ، وصف بهذا لشدة بخله .

(٢) قسم الاسماعيليون العالم الى عدة جزائر ، وكل جزيرة الى عدة اقاليم .

فأوجب ذلك نقلة[1] اسماعيل ، وأشهد الصادق عليه السلام بنقلته ، ولم يدفنه الى ثلاثة أيام ، وهو يأخذ خطوط جميع الحاج بموته ، وأنه بعد ثلاثة أيام دفنه ، ونزل ليلحده ، فقال عند لحده : ما أسفي على اسماعيل ، بل انما أسفي على وديعة أودعته اياهـا .

فعند ذلك أيضا كتبت عيون أبي جعفر الدوانيقي كتابا يخبروه به عن موت اسماعيل ، فعندما بلغه ذلك انسر سرورا عظيما ، واطمأن قلبه ، وسكن روعه ، وظن بجهله أن أمر أولاد الحسين قد انقطع ، وأنه لا بقية لهم ، فما قليل بلغه ممن يتولاه ويركن اليه أن اسماعيل قد ظهر في البصرة ، وأنه مر بمزمن له أربعون سنة بتلك الزمن ، وهو في محفل من الناس ، وهم يسمونه ويكنونه ، فقال له : خذ بيدي يا بن بنت رسول الله أخذ الله بيدك ، فأقبل عليه ، وأخذه بيده ، وأقامه فبري من ساعته ، وفاق من علته ، فكان ذلك المزمن يقول لكل من سأله : من أبراك من علتك ؟ فيقول: هو أبراني ــ اسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام ــ وان أبا جعفر الدوانيقي لما بلغه ذلك ــ من ظهور اسماعيل ، وفعله ذلك الفعل ــ هاله وكبر عليه ، وبعث وراء الصادق عليه السلام ، فأحضره ، فلما حضر عنده قال له : تكتب لي بأن اسماعيل قد مات ، وأنك أخذت خطوط جميع الحاج بموته ، وبعد ذلك يبلغني أنه قد ظهر ، فكيف هذا الامر ؟ فعند ذلك أحضر الصادق عليه السلام الاوراق ، فيها شهادات جميع الحاج بموت ولده اسماعيل ، وكان في مجلسه من حضر ذلك ، ولـم يزل الصادق عنده الى أن سكن ما به ، ولم يدر عدو الله كيف يجري سر الله في أوليائه ، ولا كيف سياستهم للعالـم !

وبيان ذلك أيها الاخ الفاضل أن الامامة المرضية ، والكلمة الالهية قام بصورتها الامام الحق اسماعيل[2] في حياة الصادق ، وهو الظاهر بالبصرة ، والمبرىء لذلك

(1) اي وفـاة اسماعيـل .

(2) جـاء عرض هـذا النص في سرده لاسماء الائمة بعـد جعفر الصادق مضطربا ، فاقتضى الحال ان يقرأ بشكل تأويلي ، ثم ان قائمة الائمة فيه تختلف عن غيرها مما جاء في غالبية المصادر الاسماعيلية وغير الاسماعيلية . انظر عيون الاخبار للداعي المطلق ادريس ــ السبع الرابع ــ ط بيروت ١٩٧٣ ص ٣٣٢ ــ ٤٠٤ . أصول الاسماعيلية لبرناد لويس الترجمة العربية ص : ٢٠٧ .

المزمن ، وأن موسى الكاظم نسب هذه الفضيلة لابن[1] أخيه اسماعيل ، وأضافها اليه لكيما يرد كيد الضد العين وبيان عجزه وضعفه وكثرة جهله ، وأن اسماعيل عليه السلام ستر على نفسه حجابا لعظم الفترة ، وتغلب الضد ، وانتسب الامام الحق [بعد][2] اسماعيل الى ابن أخيه ، وهو محمد لشدة تعاظم الفترة وظهور الاضداد، وأن محمدا لما حضرته النقلة سلم الامر لولده الرضي عليه السلام ، وهو أول الائمة المستورين ؛ فقام أحمد[3] عليه السلام بالامامة ، وكان حجابه الذي احتجب بـه ، وستره الذي ستره ، والذي نصبه ، وأقامه مقامه ميمون القداح ، وأمره الامام عليه السلام أن يأخذ العهود لنفسه ، أعني لميمون القداح ، ففعل ما أمره به الامام ، ولم يزل قائما بالامر الى أوان نقلة أحمد عليه السلام ، فلما حضرته النقلة أحضر ولده محمدا عليه السلام وسلم الامامة له بمحضر من خواص الدعاة البالغين في الدين ، وعندهم علم من الكتاب ، فقام محمد عليه السلام [بالامر] ، وأمر الامام ابن ميمون القداح أن يقوم مقامه ، ويأخذ العهد لنفسه كفعل أبيه ميمون القداح ، ولم يـزل قائما بالامر عن اذن الامام عليه السلام الى أن حضرت محمد النقلة ، فعند ذلـك أحضر ولده أحمد عليه السلام، وأكابر الدعاة، وخواص الحجج ، وسلم اليه بمحضر منهم كفعل من تقدم من آبائه عليهم السلام .

فأمر الامام أحمد أخاه أن يقوم مقام ولده ، ويأخذ العهـد لنفسـه ، وحجابا لولده ، محمد المهدي عليه السلام ، وأنه اذا حضرته النقلة يسلم الامر اليه بمحضر من الدعاة والحجج ويعلمهم أنه كان خليفة الامام مستودعا لا مستقرا ، فقام محمد المهدي عليه السلام بالامامة ، وقام عمه بالخلافة ، وانتسب محمد المهدي عليه السلام بالبنوة لعمه كما جرى ذلك فيما تقدم ، كيما تثبت فضيلته ويتم أمره ، وأن هـذا الخليفة كان له عشرة أولاد ذكور ، فطمع في الامر، وأراد أن يكون في عقبه ،ويخرج ابن أخيه منه ، فلما قام ذلك في وهمه أحضر بعض أولاده ممن ارتضاه لذلك الامر ،

---

(١) اي محمد بن اسماعيـل .

(٢) أضيف ما بين الحاصرتين ليمكن استقامة تأويل السـياق .

(٣) اسم الامام الرضي عند الداعي ادريس ص٣٥٧«عبد الله بن محمد بن اسماعيل».

وأضاف مقاليد الدعوة ليده ، فما كان الا قليلا حتى مات ذلك الولد الذي سلم اليه الامر ، ولم يزل يسلم الى ولد بعد ولد وهو يموت حتى مات جميع أولاده ، وانبتر الامر من يده ، فلما أيس ، رجع بالامر الى مستحقه ، وهو محمد المهدي ابن أخيه أحمد عليهما السلام ، وهو القائل هذين البيتين شعرا في حقه :

الله أعطاك التي لا فوقها لما أرادوا منعها وعوقها
عنك ويأبى الله الا سوقها اليك حتى طوقك في طوقها

فكان هذا من كلام المهدي له هذين البيتين ، وبحمد الله يا عم ليس بحمدك[1] فقام المهدي بالامامة ، واشتهر بها ، وكان أمر الظهور قد اقترب بأوان طلوع الشمس من مغربها ، فحضرته النقلة دون الظهور الكلي ، فعندها أحضر المهدي ولده القائم ، وسلم اليه بمحضر من خواص الدعاة ، وأكابر الحجج ، وأمر أخاه عبد الله أيضا بأن يقوم مقامه ـ أي، الامام محمد المهدي أبو القائم ـ وينوب منابه ، ويتسمى باسمه، وينعت نفسه بنعته ، وينسب القائم عليه السلام أنه ولده كيما تعلو كلمته وتثبت دعوته ، لانه صاحب الكشف ، على يده يكون الظهور والفرج ، وبروز كل أمر من الدين مستور .

وقام القائم عليه السلام بصورة الجود الكلي ، والفيض الالهي ، وقام عمه عبد الله بالخلافة والنيابة ، وتلقب بالمهدي كما أمره الامام على ذكره السلام ، ودعا لنفسه ، وبسط الدعاة والحجج في الجزائر والاقاليم من قبله والدعاء له والطاعة لأمره ، وأنه الامام المقصود الذي دلت الحدود على طاعته، وعلى يده يكون الظهور، وبروز كلام من الدين المستور ، فلم يزل كذلك حتى ظهرت الدعوة باليمن على يد بعض دعاته ، وهو الملقب بمنصور اليمن، فظهرت الدعوة بالغرب على يد أبي عبد الله

---

(١) من المرجح أن هذه القصة برواياتها المتباينة هي ترداد لصدى الانشقاق الكبير الذي أصاب بيت الامامة الاسماعيلي في فترة استقراره في السلمية ، ومع بداية نشاط القرامطة في الشام، وربما يجد الباحث فيها تعليلا او مخرجا لادعاء زعماء القرامطة في الشام النسب الاسماعيلي ، هذا وهناك خلاف في المصادر حول رواية البيتين وقائلهما . انظر عيون الاخبار ـ السبع الرابع ـ ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣ . ثم انظر نص استتار الامام السابق من نصوص كتابنا هذا .

الشيعي، واستقام أمره ، وتم المراد ، وظهر بالامامة والملك ، وخطب لـه على المنابر في جميع الامصار ، وسائر الاقطار ، وشد عند ذلك ما كان ضعف من شريعة جده محمد ﷺ ، وبتر ما كان من غيرها ، وأقام أركانها ، وشد بنيانها ، وكشف علم التأويل ، وأبان حقائق التنزيل ، وجاهد في الله حق جهاده ، ولم يزل كذلك الى أوان نقلته وحضور أجله، فعند ذلك أحضر حججه وحدود دعوته، وسلم الامر الى صاحبه وهو القائم محمد بن المهدي ، والامام الحقيقي بمحضر منهم ، فأشهدهم على نفسه أنه أدى ما وجب عليه من الخدمة والخلافة ، وسلم الامر لصاحب الامر[1] .

وكان المهدي أبو القائم [هو أخو] المنتقل الى سجلماسة ، وكان المهدي صاحب الكشف هو المولود بسلمية ، المنتقل بالمهدية كما جاء بالتواريخ[2] ، ومن هذه الجهة أنكر أبو العباس أخو أبي عبد الله الشيعي امامة المهدي الظاهر من سجلماسة ، لأنه عارف بالمهدي أبي القائم ، فلما رأى الامر وسوس لأخيه أبي عبد الله الشيعي ، وقال : ان هذا الذي يدعي بأنه الامام ، وسلمت مقاليد الملك الذي بيدك اليه ، وقلت أنه المهدي المنتظر ، ما هو كما قلت ولا الامر كما توهمت، ولا هو صاحب الامر ، ولقد كنت أنت أحق بالخلافة منه ، وأولى بالنيابة .

وكان من أمر أبي عبد الله الشيعي ، وأخيه أبي العباس ما هو مسطور[3] ...



---

(١) جهدت المصادر الاسماعيلية الفاطمية في العمل على طمس هذه الواقعة ، والقول بأن القائم هو ابن المهدي: لكن على الرغم من ذلك يمكن استخلاص الحقيقة بشكل غير مباشر ، فقد أشار القاضي النعمان في كتابه المجالس والمسايرات ـ ط . تونس، ص ٥٤٢ ـ ٥٤٣ ، وعنه نقل الداعي المطلق ادريس في عيون الاخبار ـ السبع الرابع ـ ص ٤٠٢ ـ ٤٠٣ ، السبع الخامس ص ١٦٦ ـ ١٦٧ . بأن المهدي ولد له بالمهدية غلام ذكر دعاه بأبي الحسن ، ففكر بجعله وليا لعهده ، لكن هذا الغلام جدر فذهب بصره ، وهكذا بقيت ولاية العهد للقائم ، وكانت أم الوليد المجدور تقول دائما: «والله لقد خرج هذا الامر من هذا القصر ـ تعني قصر المهدي بالله ﷺ ـ فلا يعود اليه ابدا ، وصار الى ذلك القصر ـ تعني قصر القائم بامر الله ـ فلا يزال في ذرية صاحبه ما بقيت الدنيا» وكانت فيما بعد اذا رأت احدى نساء قصر القائم تقول لها : « قد ولدت اماما » .

(٢) في الاصل : أجابت التواريخ وهو تصحيف لعل صوابه ما اثبتنا .

(٣) قتلهما المهدي بتهمة التآمر عليه .

كتـــاب

تثبيت دلائل نبـــوة سيدنـــا محمـــد

صلى الله عليـــه وسلـــم

[في احوال الباطنية في زمن صاحب الكتاب](*) :

... ألا ترى أن من بالاحساء من القرامطة والباطنية ، لما غلبوا شتموا الانبياء، وعطلوا الشرائـع وقتلوا الحجاج والمسلمين حتـى أفنوهم ، واستنجوا بالمصاحف والتوراة والانجيل ، وجاءوا بذكيرة الاصفهاني المجوسي[1] ، وقالوا : هذا هو الاله في الحقيقة ؛ وعبدوه ، وكان لهم معه ما هو مذكور معروف .

ومثل هذا صنع أبو القاسم الحسن بن حوشب بن زاذان الكوفي النجار حين ظهر بجبال لاعة من أرض اليمن ، وكذا صنع من كان معهم بالجَنَد وعدن من أرض اليمن ، وسبوا العلويات ، وكل هؤلاء كانوا في أول أمرهم يخدعون الناس بأنهم شيعة ، وأن المهدي أرسلهم[2]

وكذا صنع من كان منهم برقادة[3] والقيروان من أرض المغرب ، الى أن قـام أبو يزيد مخلد بن كيداد[4] بمن معه ، وحاربهم خمس سنين وضيق عليهم كمـا صنع الاصفر[5] بأهل الاحساء فلما انكشف أمر أبي يزيد عمن بالمغرب ، كفوا عن المكاشفة للعامة بشتم الانبياء وتعطيل الشرائع ، وصاروا يخدعون الناس سرا ، وينقلونهم عن الاسلام بالحيل والايمان من حيث لا يشعرون شيئا شيئا ، وانبثوا

---

* أضيف هذا العنوان للايضاح .

(١) لقد سلف وذكر خروج ذكرويه في نص ثابت بن سنان وسيرد ذكره ايضا فيمـا يلي في النصوص المقبلة .

(٢) انظر ما تقدم ثم ما يلي من نصوص، خاصة ما اورده الحمادي والخزرجي .

(٣) تبعد خرائب رقادة ــ عاصمة الاغالبة ــ عن القيروان قرابة عشرة اميال .

(٤) هو من الخوارج الاباضية النكارة ــ الذين أنكروا امامة عبد الوهاب بن رستم صاحب تاهرت ــ وثورته مشهورة اشتدت أيام القائم واخمدت ايام المنصور ، ومع انها كانت خارجية كانت ذات ارتباطات سياسـية مهمة بقرطبة .

(٥) من زعماء قبيلة المنتفق حاصر الاحساء سنة ٣٧٨ هـ . انظر المنتظم : ١٧٠/٧ . الكامل لابن الاثير ــ ط. القاهرة ١٣٥٣ هـ : ١٣٦/٧ . وانظر ايضا ما ذكره المقريزي في آخر نصه المقبل عن القرامطة .

وانبسطوا ، وبثوا ذلك في ممالكهم ، ويقصدون بدعوتهم الديلم والاعراب ، وكل من يقل بحثه ونظره ، وله رغبة بالدنيا ، وشغل بها ، ثم يقطعونهم عن البحث والنظر بالعهود والأيمان المغلظة، ومن دخل بلدانهم وشاهد عساكرهم، وتأمل سيرتهم يعرف ذلك من قصدهم، بل من سأل واستبحث يعلم ذلك، وان لم يصر اليهم ، وقد صاروا حرما للملاحدة والزنادقة والدهرية ، وجميع أعداء الاسلام ، فمن هاجر اليهم أمن في إلحاده ، وقال ما شاء كيف شاء ، فيالها مصيبة بذهاب الاسلام ، وموت أهله ، وقلة العارفين به وبحقوقه ، فان من بقي ممن يظن أنه من أهله ، فمنهم من يشبه الله بخلقه، ومنهم [٥١ ــ و] من يجوره في حكمه[١] ، والى غير ذلك ..



(١) مرد هذا الى كون القاضي عبد الجبار كان من أهل الاعتزال .

في ابتداء ظهور الباطنية وهم القرامطة (١) :

وتأمل أحوال هؤلاء الباطنية الذين قد تستروا بالاسلام ، وبقراءة القرآن وبالصلاة والصيام والحج ، واظهار الالتحاق بأهل البيت ، وقد أوثقوا أمورهم بالكتمان، وبأخذ الأيمان والعهود على من أجابهم، وتجنبوا استدعاء الادباء والعلماء والفقهاء ، وسلكوا الواسطة ، وقصدوا الاطراف البعيدة التي قد استولى على أهلها الغفلة والجهل والقوة ، وقصدوا أهل الترفه والعجب والشغل بالدنيا والملك ، وتسموا بالاسم الحسن ، من أنهم الشيعة ، وغروا المسلمين ، فانظر الى فضائحهم ، مع هذه الامور كلها[٢] .

فان أبا القاسم بن الفرج بن حوشب بن زاذان الكوفي النجار ، عرف أهل عدن لاعة وجبال من أرض اليمن ، وأنهم شيعة ، فصار اليهم مع أبي الحسين محمد بن علي بن الفضل من أهل جيشان والجَنَد والمذيخرة من أرض اليمن[٣] . وكان هذا أحد المياسر والرؤساء من الشيعة من أهل تلك البلاد فمكن لابن حوشب ، وتساعدا على الدعوة ، وكل واحد منهما بمكانه ، وتسمى ابن حوشب بالمنصور من آل أحمد[٤] ، وتسمى الاخر بالولي . ومكثا مدة يتستران باقامة الشريعة ، ثم ظهر

---

(١) نقل هذا العنوان من حاشية الاصل .

(٢) على الرغم من ان القاضي عبد الجبار اعتبر هذا منقصة ، لا شك انه يدل على عبقرية دعوية ، حيث سايرت الحركات الاسماعيلية العقائد الشعبية الرائجة ، ولبت رغبات الطبقات العليا .

(٣) كذا والصحيح علي بن الفضل ، انظر خبره وترجمته فيما يلي في نص الخزرجي صاحب العسجد المسبوك .

(٤) كذا في الاصل، ولعل الاصح «منصور آل محمد» هذا وتصر المصادر الاسماعيلية على أنه دعي بهذا اللقب على الرغم من كراهيته لذلك، ومعروف ان لقب المنصور له معان مهدوية ، وهو مرتبط باليمن ، اي ان حامله اما يماني الاصل او له صلة ما باليمن ، ولمزيد من المعلومات يراجع ما كتبه الامام نعيم بن حماد ــ ت ٢٢٨ هـ ــ في كتابه الملاحم والفتن، وهو كتاب حققته وسادفعه الى المطبعة قريبا ان شاء الله .

منهما الاباحة، وليلة الافاضة، وأولاد الصفوة، ونكاح الامهات والاخوات والبنات[1] والمشاركة في الزوجات ، وتعطيل الشرائع ، وشتم الانبياء عند التمكن والقدرة ، ثم ظهر بين ابن حوشب وبين ابن الفضل من المشاتمة وبرىء كل واحد من صاحبه ، ودعا كل واحد منهما الى نفسه ، بأنه إله ورب ، وغزا ، وقصد العلويين بالمكاره والقتل وسبي الذرية •

وقد كان نصب هذين ، الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح[2] الذي زعم أنه الامام ، وهو خليفة محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وقال لهذين وغيرهما ممن خرج معهما الى اليمن : اذا ملكتم وغلبتم خرجت اليكم ، وجعلنا الملك باليمن ، والمهدي يظهر باليمن ، وهكذا روينا عن أهل البيت ، فلما تمكنوا باليمن ، أخرج اليهم ابن ميمون القداح الحسين الاهوازي الداعية من قبله ، فطلب منهم مالا يحملونه اليه ، فأعطوه مرة بعد مرة ، ثم رجع اليهم ، وعرفهم أن الحجة خليفة محمد ابن اسماعيل يخرج اليهم لينصروه ، فشتموه وردوه ، فقالوا : قد عرفنا أن هذا كله مخرقة ، وهو عرفنا بهذا فلم تسلم الملك اليه ، فقال لهم : على كل حال هو عرفكم هذا ، وخلصكم من الشرائع والاسلام ، فاشكروا له وأطيعوه ؛ فشتموه وشتموا من وجهه به • فرجع الرسول الى الحسين بن أحمد وعرّفه أن القوم قد أظهروا الباطن، وعملوا به وفطنوا له ، وتشاتموا وتفاضحوا بينهم ، ثم صمد يحيى بن الحسين العلوي[3] رضي الله عنه لجهادهم ، وقد كان ابن حوشب هلك وبقي الفضل ، فهلك

---

(١) هذه تهمة الصقت بجميع الحركات ذات المضامين الاجتماعية والاهداف الاقتصادية في الاسلام ، وقد ورثها الكتاب المسلمون من التراث الساساني حول المزدكية ، وتم الترويج لها بسبب ربط الاخلاق في الشرق بالجنس ، وتثبت الابحاث الحيادية الموثقة بطلان هذه التهمة .

(٢) من اجل دور آل القداح في الحركة الاسماعيلية ينصح القارىء الكريم بالعودة الى كتاب أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص١٢٣-١٦٤ من الترجمة العربية، منشورات مكتبة المثنى بغداد .

(٣) هو الهادي الى الحق ، وقد سبق لي نشر سيرته ، وهي تحوي في ثناياها اخبار صراعه مع القرامطة وقد اوردنا ذلك من قبل بين نصوص كتابنا هذا .

هو وابنه أمام يحيى بن الحسين العلوي كما هو مذكور ، وفضائحهم مشهورة عند أهل العلم •

ومن عند ابن حوشب انبثت دعوتهم باليمن والمغرب[1] •

ثم تأمل فضيحتهم بالبحرين ، فان داعية لهم خرج الى من بها من الشيعة وقال: أنا رسول المهدي اليكم ، وقد قرب خروجه ، فأعدوا واستعدوا ، واحملوا اليه زكواتكم وأعشاركم ، وفضول أموالكم ، فاجتمعوا وكانوا نحو ثمانمائة ، وأعطوه ما طلب ، وغاب عنهم ورجع اليهم وأخبرهم عن المهدي : أن للاشياء كلها بواطن ، وأن خاصة المهدي لا يحرم عليهم شيء ، وأن المهدي قد أحل لكم كل شيء ، وأنه يحل للمؤمن أن يشارك أخاه في ماله وأهله ، وأن علامة ايمانه أن تطيب نفسه بذلك كله • وكان فيمن أجابهم : أبو سعيد الحسين بن بهرام الجنابي ، وكان يبيع الطعام والدقيق بالزارة[2] من أرض البحرين ، وكان شريرا فاسقا جاهلا لا يعرف من كتاب الله شيئا ، ولا من سنة نبيه ، ولا شيئا من الادب ، ولا شغل له الا بالمعاش •

وكان له صديق منهم يعرف بابراهيم الصائغ داعية لهم ، قد وجهوه غير مرة الى ناحية فارس والاهواز ، وكان يظنهم شيعة ، فجاء يوما الى أبي زكريا يحيى بن نبهان ، فقال له : اعلم أن هؤلاء القوم على ضلال ، كنت مع أبي سعيد الجنابي وقد جاءه رجل من أهل جنابة[3] يقال له يحيى بن علي ، فأكلنا عنده فلما فرغنا قام فأخرج امرأته ثم أدخلها مع يحيى هذا في بيت وقال لها : ان أرادك هذا الولي فلا تمنعيه نفسك ، فانه أحق بك مني • فمضى يحيى بن نبهان بابراهيم الصائغ هذا الى الامير علي بن مسمار فأخبره بما وقف عليه ، فرصده علي بن مسمار لذلك وتعرفه ، فأخذ الرجل فضربه بالسوط وحلق رأسه ولحيته ، ثم خلى سبيله ، وطلب أبا سعيد فهرب الى جنابة ، وبحث عنهم وعن أحوالهم فاذا هم يتسترون بالتشيع ويعطلون الشريعة ، وبقي أولاد أبي سعيد وأصهاره في البحرين ، فبحث الناس عن أحوالهم وأحوال بني سنبر[4] وأمثالهم فاذا هم على هذه الحال •

---

(١) يقصد بهذا توجيه مركز الدعوة في اليمن لابي عبد الله الداعي الى المغرب .
(٢) عين الزارة ، قرية كبيرة من قرى البحرين . انظرها في معجم البلدان .
(٣) بلدة صغيرة كانت قائمة على الجانب الايراني من الخليج . انظرها عند ياقوت .
(٤) وزراء دولة قرامطة الاحساء ، وسيرد ذكرهم فيما يلي كثيرا .

ثم تمكنوا وعاد أبو سعيد بعد أن صار الى النيل[1] وسواد الكوفة ، ومعه الدعوة ورجالها ، مثل حمدان بن الاشعث ، وهو المعروف بقرمط ، واليه ينسب القرامطة، وخال ابن أبي المليح القرني وخال عبدان.وقد كان بالبحرين يحيى الطمامي داعية لهم : فلما تمكن أفسد وغدر وأظهر الاباحة ، وكان شريك أبي سعيد الجنابي في الدعوة ، فوثب عليه أبو سعيد وغدر به وقتله واستولى على الامر وغرر بالناس لما ملكهم ، وأظهر من الاباحة وتعطيل الشرائع ما هو مذكور ، وقال انه رسول الامين الامام حجة الله على خلقه ، وهو محمد بن عبد الله بن الحنفية[2] ، وهو مقيم في بعض هذه الجبال ، وهو المهدي في سنة ثلاثمائة للهجرة يخرج ويملك الأرض كلها. وكان هذا القول والوعد من أبي سعيد في سني نيف وثمانين ومائتين للهجرة ، وكان يقسم قصور بغداد على أصحابه ، ويحلف لهم أنه يدخل بهم اليها ، ويملكها ، فلما كان في سنة ثلاثمائة ، قتل أبا سعيد خادم كان لأبي الفضل العباس بن عمرو الغنوي في الحمام[3] ، وكذبت أخباره ، وظهرت فضائحه ، فخجلوا لذلك خجلة يا لها من خجلة ، وتحيروا .

وقد كان علي بن عيسى بن داود بن الجراح[4] وزير المقتدر بالله كاتب أبا سعيد يقول له : « زعمت أنك رسول المهدي ، وقد قتلت العلويين وسبيت آل الأخيضر العلويين ، ومن باليمامة ، واسترققت العلويات ، وغدرت بأهل البحرين » ، وقد كان حاصر أهل هجر[5] أربع سنين ومنعهم الاقوات ، وحبس عنهم الماء ، ثم وصل اليهم

---

(١) بلدة في سواد الكوفة قرب حلة بني مزيد ، انظرها في معجم البلدان .

(٢) كذا ، وهو خطأ اساسه احدى روايات الطبري ، ومن المؤكد ان الاسماعيلية غير الكيسانية .

(٣) العباس بن عمرو الغنوي واحد من قادة الجيش العباسي ، ولاه المعتضد اليمامة والبحرين وامره بقتال القرامطة ، توفي سنة ٣٠٥ هـ ، يرد ذكره في كتابنا هذا أكثر من مرة ــ الاعلام للزركلي .

(٤) علي بن عيسى بن داود بن الجراح ابو الحسن البغدادي وزير المقتدر العباسي والقاهر ، توفي ببغداد سنة ٣٣٤ ، له كتب ورسائل متعددة ، كما تمتع بشهرة كبيرة ووصف بالزهد والاستقامة ــ انظره ومصادر حياته في أعلام الزركلي .

(٥) الهجر بلغة حمير : القرية ، وفي بلاد العرب أكثر من هجر ، وهجر البحرين قاعدتها ــ معجم البلدان .

وما بهم رمق فأتى عليهم ، وقتلهم عن آخرهم ، وقد كان صنع بأهل القطيف شبيها بذلك ، وغدر بهم أقبح غدر .

فأجاب ولد أبي سعيد علي بن عيسى عن كتابه بأن أهل البحرين بغوا علينا ، وغدروا بنا ، ورمونا ، وقالوا : انا نشترك في أزواجنا ، وترى الاباحة وتعطيل الشريعة ، وقد كذبوا علينا ، ونحن قوم مسلمون، وما نحل من اتهمنا بغير الاسلام.

فكتب اليهم علي بن عيسى : « ان كنتم صادقين فأطلقوا من في أيديكم من أسارى المسلمين » فأطلقوا منهم نحو ثلاثين ألفا ، وأظهروا الاسلام والصلاة وقراءة القرآن ، وخجلوا من الفضيحة[1] .

ومما كانوا يقولونه ويقوله أبو سعيد عن خروج المهدي في سنة ثلاثمائة لحقهم الخجل والفضيحة . وكان بنو بسطام ، وبنو القاسم بن عبد الله ، وآل الفرات وأمثالهم يستولون على دولة المقتدر بالله[2] ، وكانوا يتشيعون فراسلوا أولاد أبي سعيد وقالوا لهم: أنتم خرجتم أيام المعتضد والمكتفي فلما صار الامر الى هذا الصبي المقتدر بالله قعدتم ، قوموا فنحن كتابه وأصحابه ، والدولة لكم ، ولا يوحشنكم قتل أبي سعيد وما كان منه ، فان الناس قد تناسوا ذلك . فقالوا : هذا الرجل علي ابن عيسى رجل صالح ، وما دام هو الناظر فما نختار مخالفته ، فلما قبض السلطان على علي بن عيسى أطلق من ببغداد والكوفة من الشيعة الطيور الى البحرين بذلك ، فغزوا البصرة على غفلة وغدروا بهم أقبح غدرة ، ثم غزوا الكوفة ، وسر بهم الشيعة وقالوا : أبو طاهر بن أبي سعيد ، ولي الله وحجة الله ، والمهدي بالبحرين ، يخرج عن قرب ، وأبو طاهر خليفته ، وهو الذي يأخذ الارض له ، ويكون ملكه بالبحرين . فبادر من أهل الكوفة وسوادها خلق كثير ، وقالوا : نهاجر الى بلد المهدي قبل ظهوره ، فنقلوا أموالهم وعيالهم ومن منهم ببغداد والكوفة وسوادها يراعون أمر المقتدر ، وينقلون أخباره الى أبي طاهر بن أبي سعيد .

---

(١) في هذا اشارة الى التقارب بين قرامطة البحرين وبغداد ، اثر قيام الخلافة الفاطمية وما سبق ذلك ولحقه من انشقاقات داخل الحركات الاسماعيلية .

(٢) هو جعفر بن المعتضد بن ابي احمد المتوكل ، وهو اخو المكتفي ، وقد قتل سنة ٣٢٠ هـ . اما المكتفي فقد توفي سنة ٢٩٥ ، بينما توفي أبوهما سنة ٢٨٨ هـ ، ومن اجل عصره انظر الكامل لابن الاثير ط. القاهرة ١٣٥٣ : ١١٨/٦ ـ ٢٢٠ .

وقد كان حصل لأبي طاهر من أموال الحجاج والخراسانية والكوفة والبصرة بيوت كثيرة ، وأطمعه الشيعة ببغداد في السلطان ، وعرّفوه ضعفه ، وأن النجوم تدل على أن أبا طاهر يغلب السلطان ، وأنه يدخل بغداد ويستولي على الملك ، فتجمل أبو طاهر ، وحمل أهله وعياله ، وسار يريد بغداد ، وقال : أنا أدخلها وأدخل دار الخلافة على هذا الحمار ، وأشار الى حمار أسود كان في كراعه . وسار ونزل ظهرا بالكوفة ، ولقيه ابن أبي الساج فهزمه ، ونادى مناديه انه سيكون لنا وقعة مع مؤنس الخصي برصافة الكوفة ونهزمه ويستغني أهل الكوفة من ذلك النهب ، وأسير فأدخل بغداد في يوم الثلاثاء ، وفي يوم طش[1] ، واستكتب علي بن عيسى ، واستعمل على الشرطة أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان . وجلس بظهر الكوفة يقسم قصور بغداد ونزل بطباطبا[2] ، وهي من بغداد على فراسخ يسيرة .

وطال انتظار أبي طاهر له ، وكان من ببغداد من الشيعة قد راسلوا أبا طاهر أنه ما بقي عند السلطان الا مؤنس الخصي ، وهو الذي يلقاك وهو أضعف من ابن أبي الساج بألف طبقة ، وأنت تهزمه وتدخل بغداد ، فصبر مؤنس ولم يبرح من طباطبا ، وأبو طاهر يراسله : ما انتظارك ؟ وان كنت رجلا فابرز ، ومؤنس لا يبرح . فسار أبو طاهر وعبر الفرات ، وجاء فنزل بالقرب من مؤنس ، فانقلبت بغداد ، وعبر الكثير من أهل الجانب الغربي الى الجانب الشرقي ، الا من كان من الشيعة ، وانحدر كثير منهم وأحدروا عيالهم الى البصرة ، وخرج الى أبي طاهر من أهل بغداد [جماعات] من الشيعة وغيرهم من الكتاب سرا ، وبشروه بضعف السلطان ، وأنهم قد قلبوا له بغداد بالاراجيف ، وقالوا له : بغداد بلد عظيم ، وان لم ترهب أهله بالقتل لم تملكه ، فقال : نبيح المؤمنين القتل فيه ثلاثة أيام ، قالوا : لا تصنع هذا ، ولكن سبعة أيام ، وتنظم جانبي دجلة بالطالبيين من بني هاشم ، والقراء ، والفقهاء — الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر — فقال : كذا تفعل .

وأظهر من بالكوفة لعن بني العباس والسلف ، وخرج أبو الغيث بن عبيدة العجلي في ثلاثين ألفا ، وأقام أبو القاسم عيسى بن موسى ختن عيدان في البقية من

---

(١) يوم طش : يوم ممطر مطرا خفيفا ـ اللسان .

(٢) انظر الكامل لابن الاثير : ١٨٦/٦ ـ ١٨٨ .

أصحابه ، وأظهروا الخلاف ، وقالوا : ظهر الحق وقام المهدي ، وانقضت دولة بني العباس والفقهاء والقراء وأصحاب الحديث ، وقال قائلهم: ما بقي شيء ينتظر وماجئنا لاقامة دولة ، ولكن لازالة شريعة ، فقيل لهم : ان الخصي[1] قد قطع قنطرة نهر طباطبا ، فقالوا : قد عبر أبو طاهر الفرات أفلا يعبر نهر طباطبا ، وانما هو كالساقية بالاضافة الى الفرات .

فسار أبو اسحاق ابراهيم بن ورقاء الشيباني الامير ، وكان رجلا صالحا لايعين السلطان الا فيما يحل ويحسن ، فسار الى الفرات في السماريات[2] ومنع القرامطة من العبور ومن ورود الماء ، فضاق صدر أبي طاهر من تأخرهم عنه ، فرحل عن مؤنس ورجع الى الفرات ، وصاعد نحو الرقة يقتل وينهب من ظفر به ، وقد ظن بعض الناس أنه كان يتوقع من بالمغرب[3] من القرامطة أن يوافيه لوعد بينهم ، فما جاءه أحد ، فرجع الى الاحساء،وكذبت أخباره تلك كلها،وكانت لهم من الفضائح مالايكاد يحصى.

وكان أصحابه ومن بالكوفة وسوادها له على أحسن طاعة ، لا يشكون أنه ولي الله وحجة الله ، فلما رجع بتلك الخيبة ، وقد كذبت أخباره وأقاويله ، أخذ خواصه يلقون الى من معه من البوادي اذا قالوا لهم : قتلنا عيالنا ، واقتسمنا قصور بغداد ، ثم رجعنا خائبين ، وقد قتل ابن أبي الساج صناديدنا وعيون من بقي منا ، فيقولون مرة : لهذا القول وهذه المواعيد باطن . ومرة يقولون: ان في كتب الحدثان والملاحم أنا نرجع ، ومرة يقولون : سرنا بأمر ، وأمثال هذا من الحيل والمخاريق .

ثم سار من البحرين الى مكة ، فوصل اليها في عشر ذي الحجة ، وبها الحجاج من أهل الدنيا كلها ، والاسلام أكثر ما كان ، فمنعه من بمكة من الحجاج وغيرهم من دخولها ، ونقلوا صناديق البيت الى ناحية دار ابن داوود وحاربوه أياما ، فلما لم يطقهم ، أظهر أنه جاء حاجا ومتقربا الى الله ، وأنه لا يحل لهم أن يمنعوه من بيت الله ، وانه أخوهم في الاسلام ، وأظهروا أنهم محرمون ، ونادوا بالتلبية ، واستدعى من قريش من أهل مكة من راسلهم بها ، هو أبو الامام بها والقاضي في يومنا هذا ،

---

(١) اي مؤنس .
(٢) نوع من انواع السفن .
(٣) اي من في الشام فكل بلد وقع غربي الفرات مغرب .

فقالوا : كيف تكون حاجا وأنت في عشية ورودك الحرم قد قتلت المسلمين ؟ فقال : هذا كان بغير أمري ولا رضاي ، وقد يكون مثل هذا من الاتباع ، ومن معرة العساكر ، ووجه اليه بخاتمه وسوطه ليؤمنهم ، وحلف لهذا القرشي بالايمان الغليظة أنه قد أمنهم على دمائهم وأموالهم وحرمهم ، وأنه لا يؤذي أحدا منهم وأنه ما جاء الا ليحج ، الا أصحاب الجند والسلطان فانه لا يؤمنهم وقال : أنا لا أغدر ولا أغر من نفسي ، ولو أردت ذلك لأمنت أصحاب السلطان ثم غدرت بهم ، لكن لا أؤمنهم، لأنهم يشربون الخمر ، ويلبسون الحرير ، ويعينون السلطان الذي يحجب عنه الرعية، ويظلم اليتيم والارملة ، ويشرب الخمر . ويسمع القيان . فازداد الناس به اغترارا، وقبلوا أمانه ، وأفرجوا له حتى دخل ، ووضعوا السلاح .

فلما دخل وتمكن وسكن الناس ، وثب بهم أغر ما كانوا، وقال لأصحابه ضعوا السيف واقتلوا من لقيتم ، ولا تشتغلوا الا بالقتل ، فلم يزل كذلك ثلاثة أيام ، ولاذ المسلمون بالبيت وتعلقوا بأستار الكعبة ، فما نفعهم ذلك وقتلوهم في المسجد الحرام وفي البيت ، وما زالوا يقتلونهم ويقولون لهم : « ومن دخله كان آمنا »[1] أفآمنون أنتم يا حمير ، أما ترون كذب صاحبكم ، وأمروا من يصعد لقلع الميزاب ، فصعد وهو يقول مستهزئا : هو في السماء وبيته في الارض ، وسلب البيت وقلع الحجر الاسود ، وأبو حفص عمر بن زرقان صهر أبي سعيد واقف حذاء البيت والسيف يأخذ الناس ، وهو على فرسه يضحك ويتلو : « لايلاف قريش » حتى [وصل][2] الى قوله : « وآمنهم من خوف » قال : ما آمنهم من خوفنا ، ظهر الباطن يا أهل مكة، حجوا الى البحرين ، وهاجروا الى الاحساء من قبل أن نطمس وجوها ، فنردها على أدبارها .

ثم أمر أصحابه بالنهب ، فجمع شيئا عظيما من العين[3] والورق والجوهر والطيب ، ومن متاع مصر واليمن والعراق وخراسان وفارس وبلدان الاسلام كلها ، وحمل مقدار مائة ألف جمل وأحرق الباقي . وسبى من العلويات والهاشميات وسائر الناس نحو عشرين ألف رأس ، وسار الى الاحساء، فكانت حادثة في الاسلام لم يكن

---

(١) آل عمران : ٩٧ .
(٢) زيد ما بين الحاصرتين كيما يستقيم السياق .
(٣) العين : الذهب ، والورق : الفضة .

مثلها قط، وأحصوا القتلى عند الدفن فكانوا عشرين ألف وثمانمائة، ولعلك تستكثر مائة ألف جمل لما ترى في زمانك من سوء حال الاسلام والمسلمين. واذا تأملت الحال في ذلك الزمان استقللتها ، فان الاسلام اذ ذاك قد كان من السعة ما كان ، مستوليا على الدنيا الا القليل ، وكان يسار أهله على حال عظيمة ، واذا تصورته استقللت ذلك ، واذا تأملت خراسان وحدها ، والمسلمون يصلون من نواحي الصين ، ثم من نواحي الهند ، وكابل ثم عمان ، وشحر عمان[1] ، ثم اليمن وجزيرة العرب وهي أوسع من بلاد الروم ، ثم المغرب من الاندلس والقيروان ، والمغرب تشبه لكثرة رجالها وجمالها وبلدانها بخراسان. وأما أذربيجان فتشبه من السعة بما يقارب فارس أو العراق . وانما ذكرت ذلك لأنّا أردنا ألا نخلي ما نقوله من حجة ، وان كان الناس قد ذكروه .

فلما صار أبو طاهر الى البحرين ، سلم الامر الى ذكيرة الاصفهاني المجوسي[2] وجمع الناس بالبحرين وقال : معشر الناس انا كنا ندخل عليكم بحسب أهوائكم ، مرة بمحمد ومرة بعلي ، ومرة باسماعيل بن جعفر ، ومرة بمحمد بن اسماعيل ، وبالمهدي . وهذا الهنا والهكم ، وربنا وربكم ، يعني ذكيرة الاصفهاني ، فان عاقب فبحق ، وان عفا فبفضل ، أظهروا اللعن على الكذابين : آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد معشر الاجمعين يعني بالاجمعين مسلمين وذمة[3]،وعرج على من كان عندهم بالبحرين من سواد الكوفة وأهل الكوفة . وقال : معشر الدعاة والخاصة ، اذكروا ما عندكم ، فذكروا معنى ما جرى بين عبد الله بن ميمون بن ديصان بن سعيد الغضبان وبين محمد بن الحسين بن جهار بختار المعروف ببندار[4] من أعمال الحيلة على المسلمين والتستر بالتشيع والدعاء الى المهدي ، فاذا وقع التمكن وصاروا في

---

(١) الشحر : الشط ، خاصة الضيق منه ــ معجم البلدان .

(٢) انظر أصول الاسماعيلية : ١٨٥ ــ ١٨٧ حيث عالج لويس هذه القضية ووازن بين مختلف الروايات حولها .

(٣) العبارة في الاصل غير واضحة ، لعل وجه الصواب ما اثبتناه ؟

(٤) كذا في الاصل ، وفي المصادر المتوفرة « محمد بن الحسين المعروف بدندان او بزيدان » انظر الفهرس للنديم ــ ط . طهران : ٢٣٨ ــ ٢٣٩ . أصول الاسماعيلية : ١٣٤ ــ ١٣٦ ، ١٥٧ ــ ١٦٠ .

ملك وسيف أظهروا تكذيب الانبياء وتعطيل الشرائع ، وقتلوا المسلمين ، مما هو مذكور في كتاب ابن زرام ، وكتاب عطية ، وغيرهما من العلماء[1] .

فأخذهم ذكيرة بلعن الانبياء جهارا في الاسواق،وتقدم باحراق المصاحف وبراءة الذمة ممن ترك عنده شيئا من المصاحف أو التوراة والانجيل وجمع هذا كله . وأمر بطرحه في الحوش ، والاستنجاء به ، ونادى بنكاح الامهات والبنات والاخوات وذوات المحارم ، وبإباحة اللواط ، وبأن تطعن البهائم في خواصرها الى أن تموت ثم تموت ، وبأشياء كثيرة يطول شرحها ، وهي مذكورة في كتب العلماء ، وقال لهم : تأهبوا فاني سائر الى العراق لاستئصال دين محمد وقتل أتباعه ، فقد انقضت دولته وقد أحييته ثلاث مرات واستتبته من اضلال الناس فما تاب . فالعنوه والعنوا الكذابين ــ يعني الانبياء ــ فكانت الاصوات ترتفع بذلك في الاسواق وقتل بني زرقان وبني سلمان ، ومن وجوه عسكره في مدة ثمانين يوما سبعمائة رجل ، وأمرهم بأن يعرضوا عليه نساءهم من بيت أبي سعيد وغيره فعرضوهن فاختار منهن من أراد، فكان فيمن اختار زينب بنت أبي سعيد امرأة عمر بن زرقان وقد كان قتل زوجها ، وكان له منها ابن ، فأمر ذكيرة أبا طاهر بذبحه فأخذه أبو طاهر خاله فذبحه .

ثم بعد مدة ، قال أبو دلف لأم أبي طاهر : ان ذكيرة الاصبهاني قد عزم على قتل ابنك واخوتك ، وكان لأبي طاهر خمسة اخوة . وهم ولد أبي سعيد . فاتفق قتلهم له نهارا . فماج القصر لذلك . فقال لهم الحسن بن سنبر : أغلقوا باب القصر، فأغلق ، وأشرف على الناس ، فقال : مالكم اجتمعتم ؟ قالوا : بلغنا أنكم قتلتم الاله ، قال : قد فعلنا ذلك ، قالوا له : ولم قتلتموه ، قال : ما نريد أن نذكر لكم السبب في ذلك فأمسكوا ، وقال لهم ابن سنبر : ان شئتم أن تذهبوا فاذهبوا ، فما نعرفكم السبب ، ثم قال لهم : يا قوم لا تفضحونا وأنفسكم ، ولا تشمتوا بنا المسلمين وبكم، وارجعوا عن جميع ما قاله لكم أبو طاهر الى ما كنتم عليه وكنا من قبل ذلك ، من أنا أصحاب المهدي ، والدعاة الى المهدي ، والمؤمنون الشيعة ، فانه كنا نحدث أن ستكون للمؤمنين زلة ، وهي هذه ، فالله الله في أنفسنا وأنفسكم ، فما أدخلناكم في

---

(1) ابن رزام هو أبو عبد الله ، عاش تخمينا في اوائل القرن الرابع للهجرة ، ولعل عطية قد عاصر المعز لدين الله الفاطمي، ونقل عن ابن رزام، انظر الفهرس للنديم: ٢٣٨ . اصول الاسماعيلية : ٥٦ ــ ٥٩ .

شيء الا بعد أن دخلنا فيه • قالوا : نريد أن نراه مقتولا ، وخافوا أن لا تكون حيلة من جملة حيلهم وكذبهم الذي كان لأبي طاهر ، ففتحوا الباب وأدخلوهم ، فرأوا ذكيرة مقتولا ، وجاءت زينب بنت أبي سعيد امرأة ابن زرقان ، فشقت جوفه . واستخرجت كبده فأكلتها ، وكانت فضيحة عظيمة ، فقال ابن سنبر لأبي طاهر : فرق المال في الرؤساء وأرضهم ، فان هذه سقطة عظيمة سقطناها ، فوجه أبو طاهر في الليل الى الرؤساء وتلافاهم ، وخضع لهم ، ولم تكن عادته •

ثم انه غزا بعد قتل ذكيرة ونهب ، وجاء الى الكوفة ، فصار أصحابه لا يمتثلون أمره كما كان ، وقد كانوا لا يخالفونه في شيء البتة ، وكان أي شيء نهبوه أو غنموه يسلموه اليه ولا يخونونه في شيء منه ، لأنه حجة الله ، وأن المال يجبيه للمهدي ، فصار بعد قصة ذكيرة لا يعطونه ما ينهبونه ، وصاروا يشربون ، ويسمعون القيان ، ويطلبون المواخير ، واذا جاءهم العرفاء ، وقالوا لهم : هاتوا ما غنمتم ، لم يعطوهم ، واذا قالوا لهم : السيد يأمركم بكذا ، قالوا : ناك السيد آمه ، وفي است أم السيد فرحل بهم راجعا الى البحرين، فقال العويمل العقيلي وغيره لبني عمهم[1] : ياويحكم اعتزلوا هذا الكذاب بن الكذاب فانه يصير بكم الى البحرين ويسترهن عيالاتكم ، ويطالبكم بما غنمتم ، ويأخذه منكم ويستعبدكم ، فبلغه قوله ، فأخذه وقيده ، ورجع الى الاحساء ، فقتل من أصحابه وثقاته نحو أربعمائة ، وأقام بالاحساء وقال : قد نهيت عن الغزو ، وأمرت بعمارة الاحساء ، فأخذ المسلمين الذين أسرهم واستبعدهم بالعمارة ، وأقام مدة ، ثم غزا وأقام ناحية من الكوفة ، ووكل بالعسكر من يراعيه لئلا يدخل اليه غريب ، وطمع أن يعود أصحابه كما كانوا ، فما فعلوا ، ودخل على أهل السواد من الكوفة ، ومن كان يلتجيء اليه من المتشيعين من الحزن والفضيحة، وشماتة الاعداء ما قتلهم حزنا •

وكان مثل عيسى بن موسى ختن عبدان وأصحابه وأمثاله ، يعاتبون أبا طاهر وأصحابه بينهم سرا ، فيقول لهم : ما الحيلة ، ما اخترنا هذا لأنفسنا ، وقولوا لنا من كان من أهل هذه الدعوة لم تكن له سقطة وفضيحة •

---

(١) يلاحظ أن قرامطة البحرين وسواهم اعتمدوا على القبائل العربية،وكان لحركاتهم الاثر الكبير في هجرة العديد من القبائل الى الشام والعراق والجزيرة ، وكانت قبائل عامر بن صعصعة من كلاب وعقيل ونمير وقشير على راس القبائل المهاجرة. ولا شك أن طباع القبائل ومفاهيمها كان بعيد الاثر على خطط القرامطة .

ألم يفتضح المنصور بن حوشب بعدن لاعة ، ألم يفتضح علي بن الفضل بجيشان[1] ، ألم يفتضح سعيد[2] بسجلماسة ، حتى شيخ المشايخ أبو موسى هرون وهو شيخ الشيعة[3] ، قال لسعيد في وجهه : ويلك ، أنت الغاوي لا المهدي ، تزني ، وتلوط ، وتشرب الخمر ، وتكذب ، وتغدر ، وتسفك الدم ، ويلك ، أي شيء أنت ، وابن من أنت ؟ قال : قد قال لكم أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الكوفي[4] الداعية أني أنا المهدي ، فجاؤوا بأبي عبد الله ، فقالوا له:هذا هو المهدي؟ فقال : لا ، فقال له سعيد : ألم تقل لأهل العسكر بسجلماسة : هذا هو المهدي الذي كنت أدعو اليه ، فأقبل أبو عبد الله على أبي موسى والجماعة فقال : يا هؤلاء غلطت كما يغلط الناس ، أنا رجل من أهل الكوفة من الشيعة ، وكنا نذهب الى امامه موسى ابن جعفر وولده ، فرجع ابن حوشب ورجعنا لما مات الحسن العسكري[5] ، ووقع علينا من دعانا الى امامة محمد بن اسماعيل بن جعفر ، ولقيت الامام من قبل محمدبن اسماعيل بالكوفة ، وودعته وخرجت الى ابن حوشب باليمن ، وبين يدي الامام بالكوفة غلامان، فقال لي حين ودعته : يا أبا عبد الله ، هذان اماماك، فمن دعاك منهما فأجبه ، فخرجت الى اليمن ، ومنها الى مكة ، ومنها اليكم الى المغرب .

وبلغنا أن الامام قد مات وخلفه ولده ، وكانت الكتب تأتيني من هذين ، وفيها بعض العلامات التي كانت بيني وبين الامام ، فظننته المهدي وما هو بالمهدي ، ولكنه رجل سوء ، كذاب ، شرير ، عدو الله ، وعدو رسوله ، وعدو أهل بيته ، وعدو

---

(١) سنأتي على ذكرهما في النصوص المقبلة .

(٢) يريد به المهدي عبد الله اول خلفاء الفاطميين .

(٣) المشهور ان هذه الحادثة وقعت للمعز لدين الله ، بعد انتقاله الى مصر ، ثم ان الحديث عن شيخ مشايخ للشيعة في المغرب هو ضرب من الوهم . انظر نهاية الارب للنويري قسم اخبار الخلافة الفاطمية نسخة مصورة لدي : ٤٣ . اخبار الدول المنقطعة لعلي بن ظافر الازدي ــ نسخة مصورة لدي : ٤٨ .

(٤) كذا وهو مشهور بالصنعاني اكثر من الكوفي . انظر رسالة افتتاح الدعوة ط . بيروت : ٥٩ ــ ٦٣ . عيون الاخبار للداعي ادريس:٥/٤٤ ــ ٤٦ . اتعاظ الحنفا : ٥٥/١ .

(٥) الامام الحادي عشر لدى الشيعة الامامية الاثني عشرية وكانت وفاته سنة ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م .

الشيعة ، وعدو المهدي ، فواقف سعيد أبا عبد الله على غدراته وأكاذيبه وما كان له في كتامة ، وتشاتما وانفرد سعيد ومعه الاموال ، وأعمل الحيلة • وقتل أبا عبد الله وشيخ المشايخ •

وقام أبو العباس زكريا محمد بن أحمد بن زكريا اخو أبي عبد الله ، وكان أجل منه وأخص بسعيد وأعلم بالدعوة ، فنادى على سعيد بأنه كذاب عدو لرسول الله ﷺ واهل بيته ، وواقفه وتشاتما ، وما زال ينادي عليه برقادة وأرض المغرب الى أن دس عليه من قتلــه •

وقام أبو زاكي تمام بن معارك[1] ، وكان آخص الناس بسعيد وأوثقهم عنده ووجها في الشيعة ، فما زال ينادي : احذروا هذا المشرقي الكذاب فانه لا دين لــه الى أن بذل سعيد الاموال في العبيد والجهال الى آن قتل أبا زاكي وأصحابه •

أو ليس حين مات سعيد وقام ابنه[2] قد رجع عنه خاصته ، وقالوا هذا أكفر من آبيه ، أو ليس قد أظهروا بأرض المغرب شتم نبي العرب وأصحابه فقالوا : العنوا الغار ومن حوله ، العنوا عائشة وبعلها ، ولعنوا جميع الانبياء وأظهروا الباطن كله ، وبعثوا الدعاة ، فدعوا الى سعيد أنه اله حق ، وأنه خالق رازق ، وأنه هو الذي فتق ورتق وأمات وأحيا ونكحوا البنات ، حتى كان مثل أبي الاسود وأبو طلحة من الدعاة قد نكحوا بناتهم ، حتى ذهبت الشيعة الى أبي يزيد مخلد بن كيداد ، وهو من الشراة[3] وشكوا اليه ذهاب الاسلام بهؤلاء المشارقة[4] ، وقالوا : هــذا وان كان من الشراة فليس ينكر الربوبية ولا يكذب الرسل ولا يلعن الانبياء ومعه حفظ الاموال ، فساروا معه الى ابن سعيد بعد موت أبيه فأنفذ اليه ابن سعيد عسكرا بعد عسكر ، فما زال يهزمهم الى أن وافى باب المهدية فأغلق بابه دونه ، فأخذ الحلقة

---

(١) كذا وهو يتعارض مع الروايات المتداولة من اسماعيلية وغير اسماعيلية . انظر رسالة افتتاح الدعوة : ٢٥٩ ـ ٢٦٥ . عيون الاخبار : ١١٦/٥ ـ ١٢٤ اتعاظ الحنفا : ١ / ٦٧ ـ ٧٠ .

(٢) المقصود هنا القائم ، انظر ما سلف وذكرناه عن العلاقة بين القائم والمهدي .

(٣) من اسماء الخوارج ، وسبق ان ذكرنا انه كان من اباضية إفريقية النكاريين .

(٤) عرف أبو عبد الله الداعي ، والمهدي وآله ومن انضم الى الفاطميين من المشرق باسم المشارقــة .

بيده وهو شيخ كبير لا يمكنه لعجزه وكبره أن يركب فرسا ، فكان يركب حمارا[1]. فحاصر ابن سعيد في المهدية مع عساكره فمات في حصاره فرقا منه .

وقام اسماعيل ابنه من بعده ، وحاصرهم صاحب الحمار حتى أكلوا براذينهم وحتى ذلوا وخضعوا ، وقد دوخهم خمس سنين ، واستولى مع عجزه وضعفه على أكثر ممالكهم ، الى أن تمت حيلته عليه .

وأعان أبو الحسين بن عمار اسماعيل[2] ــ القائم الثالث منهم ــ على أبي يزيد حتى ظهر عليه ، فلما خرج أظهر اسماعيل الرجوع الى الاسلام وقتل الدعاة ، ونفى بعضهم الى أرض الاندلس وغيرها . فقال للعامة : من سمعتموه يلعن الانبياء فاقتلوه وأنا من ورائكم ، وأذن للفقهاء والمحدثين ، وخضع للعامة ، وزعم أن الذي كان من الدعوة ومن النائحة[3] والمنشدين كان بغير علم أبي ولا علم جدي ، وخفف الخراج، وأظهر الشغل بالفقه .

فسقطات غيرنا من أهل هذه الدعوة أكثر من سقطاتنا ، أم تظنون أنا بالبحرين لا نعرف أخبار اخواننا وأهل دعوتنا بالمغرب واليمن والعراق ، فكانوا يحتجون بمثل هذا على من عذلهم من اخوانهم في اظهار الباطن ، وكان الدعاة مثل أبي القاسم عيسى بن موسى ، وأبي مسلم بن حماد الموصلي وأبي بكر أخيه ، وأبي حاتم أحمد ابن حمدان الرازي الكلابي[4] وغيرهم يحدثون أسفا وحسرة بما أتاه أبو طاهر من كشف الدعوة ، حتى سقطت هيبته واستخفت العرب به بعد ذلك التعظيم ، وحتى كان أبو طالب بن عيسى بن موسى وأمثاله يقولون اذا ذكروا هتيكة أبي طاهر : لعنك الله ويلك ، لم سلمت الامر الى ذكيرة الاصبهاني . ويلك ، ألا مضيت على غرتك ــ وقد ظن الناس أنك المهدي ، وفيهم من ظن أنك فوق المهدي ، ويلك ــ الى بخارى قدما ما يردك أحد . لعنك الله ، وصلى الله عليك يا محمد .

---

(١) كذا وفيه ما فيه .

(٢) كذا في الاصل ، وعرف اسماعيل بلقب المنصور وهو ابن القائم وآل عمار امراء صقلية .

(٣) النوح والانشاد يتم في مناسبات شيعية كثيرة مثل ذكرى كربلاء وسواها ، هذا وفي رواية القاضي عما كان من المنصور مما لا يمكن تصديقه . انظر أصول الاسماعيلية : ١٨٤ .

(٤) توفي حوالي سنة ٣٢٢ هـ « وهو صاحب كتاب الزينة ، منشور » .

لا يلعنون أبا طاهر براءة منه ، ولا يصلون على النبي ﷺ موالاة له وتصديقا بنبوته ؛ ولكن يذهبون الى أنه وان كان كذابا محتالا مثل أبي طاهر والذين بالمغرب ـ وحاشاه ﷺ من قولهم ـ فما افتضح مثـل فضائحهم ، ولقـد رجع أبو الغيث العجيلي عنهم ، وكان نابا من أنيابهم ، ومطاعا في عشيرته ، وكانوا نحو ثلاثين ألفا ، وكتب في ذلك كتابا بين فيه أنه تموه أمرهم عليه ، وظنهم شيعة وأصحاب المهدي ؛ ورجع غيره من رؤسائهم ممن قد ذكره ابن رزام من المراتب الخمس ، وفي الكتاب الكبير ، وذكرهم غيره •

ولقد بلغ الامر بأبي طاهر أنه كان بعد ذكيرة يغير على الحاج ، وعلى بلدان المسلمين ، ثم يجهد بالعرب أن يعطوه شيئا مما يأخذونه ، كما كانوا يفعلون من قبل ، ويقول : هذا مال المهدي ، فان لم تعطونا كله ، كما كنتم ، فهاتوا بعضه ، فيقولون له : أتأمنا ان أعطيناك مغانمنا وقد عرفناك ؟ فلما رأى استخفافهم به ، بعد الكرامة ، قال : لا وجه لما أنا فيه ، أقتل المسلمين وأنهبهم ويذهب هؤلاء بالمال ، فجاء الـى الكوفة وآمن الناس ، ووجه الى الراضي بعد المقتدر وبعد القاهر[1] ، وكان هذا الراضي من الضعف وحجر بجكم والاعاجم عليه على حال قبيحة[2] ، وقد تفرقت الجنود عنه ، وأخذت الاموال منه ، فوجه اليه يطلب منه مالا يعطيه ليخدمه ويبذرق الحاج[3] ؛ ففعل الراضي ذلك ، وأعطاه مالا معلوما وقال أبو طاهر هذا أربح لي ، آخذ هذا المال وأعطي بعض أصحابي وأعواني وأفوز ببعض • وكان العقلاء يعجبون ويعتبرون ، ويقولون عظم أمر أبي طاهر حتى ادعى قوم أنه اله ، وادعى آخرون له أنه نبي ، وادعى قوم أنه المهدي ، وأقل ما ادعى له أنه ثقة المهدي ؛ وسيف المهدي ، واستقلوا له ملك الارض ، وما شك الشيعة أنه يملكها ، وأظهروا الروايات له بذلك ، وأنه مذكور في الملاحم ، وفي كتاب الحدثان وأنه حجة الله وصاحب حجة الله والمهدي المنتظر الذي يملك الارض كلها ، وطمع في ذلك أشد الطمع ، وكان السلطان في زمانه

---

(١) بويع للراضي بالخلافة بعد خلع القاهر في ٥ جمادى الاول سنة ٣٢٢ هـ/٩٣٤ م ولم يزل خليفة الى ان توفي في ربيع الاول سنة ٣٢٨ هـ / ٩٤٠ م

(٢) بجكم الديلمي من امراء الجند أيام الراضي ، ومن كبار الذين تحكموا بالخلفاء .

(٣) البذرقة : فارسي معرب ، بمعنى الخفارة ؛ يقال : بعث السلطان بذرقة مـع القافلـة ـ اللسان .

مقصرا لا يعرف من التدبير قليلا ولا كثيرا ، وقد قلد الخلافة وله اثنتا عشرة سنة مختليا بالنساء ، كتابه وعماله وخاصته تغلب عليهم التشيع يظنون أبا طاهر من الشيعة ، فكانوا أعوانه على السلطان فخذله الله حتى صنع مع ذكيرة ما صنع ففضحه الله بلسانه ، ثم عاد فقتل ذكيرة ورجع عما كان عليه ، ثم لم يزل خذلان الله به حتى جاء الى الراضي وتلك حاله يطلب بذرقة الحاج منه ، وسأله أن يستخدمه في ذلك ، وضمن كل ما يجري على الحاج ، وخرج اليه الى الكوفة ابن مقاتل[1] صاحب ابن رائق[2] ووافقه على بذرقة الحاج بعد أن وبخه على ما كان منه ، فأنكر أن يكون ما جرى باختياره ، وأن البوادي كانت تفتات عليه ولا تعطيه ، وان السلطان قصر في أمره ، وقد كان ينبغي له أن يعرف مكانه ويعطيه ما يرضي البوادي ، ويستخدمه ويجعله أحد صنائعه ، فقال الحجاج : لا نسير معه ولا نثق به ولا كرامة له . فأقام السلطان أبا علي عمر بن يحيى العلوي أميرا عليهم ، يسير أبو طاهر مع أصحابه بسيره وينزل بنزوله ، ولا يكون له على أحد من الحاج أمر ولا نهي . واذا تصورت حال أبي طاهر وكيف كانت وإلى أي شيء صارت ، حتى يرغب الى الراضي — وهو أول من زالت دولة بني العباس على يده ، وأخذت الاموال منه ، وأجرى له مقدار الكفاية ، وزال أمره عن تدبير الجند وعن الولايات ، وهو أول من حجر عليه منهم — في أن يستخدمه في بذرقة الحاج بشيء يعطيه، علمت أن ذلك آية من آيات الله العظام، فقد كان أثخن في الاسلام ، وأخرب منازل الحاج ، وقد كانت في الامن والعمارة كالاسواق القائمة ، ولعل قتلاه أكثر من قتلي بابك[3] وصاحب الزنج[4] ، وكانت

---

(١) هو محمد بن علي بن مقاتل ، وقد أعطى القرامطة المال سنة ٣٢٧ . انظر اخبار الراضي من اوراق الصولي : ١١٩ .

(٢) هو محمد بن رائق ، أبو بكر ، ولاه الراضي امرة الامراء والخراج سنة ٣٢٤ هـ وتوجه الى الشام فحارب الاخشيديين ثم عاد الى بغداد فشارك في الصراع السياسي ، ثم اضطر الى الهرب فالتجأ الى ناصر الدولة الحمداني صاحب الموصل ، وقد قام ناصر الدولة بقتله غيلة . انظر كتابي تاريخ العرب والاسلام: ٣٦١ .

(٣) بابك الخرمي ، خرج في اواخر عهد المامون وقضي على حركته في أيام المعتصم . انظر تاريخ العرب والاسلام : ٣٠٨ — ٣١٠ .

(٤) من أجل ثورة صاحب الزنج انظر تاريخ العرب والاسلام : ٣٠٨ — ٣١٠ .

هيبته قد ملأت القلوب حتى كتب ملك الروم الى السلطان كتابا يظهر له الشماتة بأن أبا طاهر القرمطي قد أبادكم وأفناكم وشغلكم عن غزونا وأراحنا منكـم ، وقصد بيت عبادتكم فقتل زواره ومن يعظمه ، وأنزل بدينكم كل هوان ، وكان العامة ومن ليس هو من الدعوة اذا سألوا أصحاب أبي طاهر عما أتاه في باب ذكيرة لا يجيبون بل يقولون انما سلم الامر اليه ليمكر به ولينظر ما عنده ، وصبر عليه وعلى ما أتاه ليعرف آخر أمره ، فكان لتسليمه باطن غير ما ظهر للناس ، وهذا أعجب ما يكون من فضائح المبطلين وبهتهم ، وهذا ما لا يعجز عن ادعائه أحد ، فانه قد افتضحوا وتقطعوا ندما ، وانصرفت عنهم عقيل لهذه الفضائح ، وهانوا على جندهم بعـد الكرامة ، وسقطت أقدارهم البتة ، ثم يبهتون هذا البهت .

وهذا كقولهم لو قالوا : ان خادم العباس بن عمرو الغنوي ما وثقنا به ولاسكنا اليه ولا وثق به أبو سعيد ، ولا ائتمنه ولا سكن اليه وانما تركناه وقتل أبي سعيد وتلك الجماعة الذين قتلهم في الحمام لننظر ما عنده وليظهر آخر أمره[1] على علـم منا بما سيأتيه ويفعله ، وأن ما أتاه الاصفر[2] من قتل رجالنا ومنعنا من التصرف في البلاد والخروج لأخذ ضريبة الحاج وحصاره ايانا في الاحساء ليس عن عجز منا ولا لجهل منا بما كان منه قبل أن يكون وانمـا تركناه على علم وقدرة ليظهر كـل ما عنده ولكل أمر باطن .

أو كمن قال : ان الاصفر لم يصنع بهم هذا الصنيع عداوة لهم ، فكذا ماصنعه ابن أبي الساج ، وانما أراد الاصفر أن يمتحنهم بذلك ، ولهذا باطن وهـذا خلق لأهل الدعوة حيث كانوا من مشرق الارض ومغربها ، فانهم متى افتضحوا ومتى بان كذبهم قالوا : لهذا باطن .

فقد كان سعيد أنفذ الجيوش في سنة اثنتين وثلاثمائة الى مصر وقال : تفتحونها وأنا في اثركم ، وكانت خالية ليس فيها الا القاسم بن الاخشيد الفرغاني في سبعـة

---

(١) في هذا اشارة الى احدى الروايات عن مقتل ابي سعيد الجنابي . انظر أيضـا الكامل لابن الاثير : ٦/١٧٤ ـ حوادث سنة ٣٠١ هـ .

(٢) سلفت الاشارة الى أن الاصفر كان من زعماء المنتفق وقد حاصر القرامطة سنة ٣٧٨ هـ ، وجدير بالملاحظة ان الاصفر نعت وليس باسم ، والمنعوت بهذا الاسم هو نوع من انواع المهديين في الاسلام .

آلاف ، وعسكر ابن سعيد الذي ورد به الى مصر في نحو مائتي ألف فهزمهم القاسم وردهم ، فرجعوا في سنة سبع وثلاثمائة في ثلاثمائة ألف ، وقال : تفتحونها ، فرجعوا منهزمين وكان ابن سعيد رئيس الجند ، وغزويه بن يوسف الكبير المدبر، وهو يعجب من رجوعهم وقد قال تفتحون فقال:لهذا القول باطن فأخذ ابن يوسف هذا وقتله[1].

وقد كان الرابع منهم لما ملك مصر والشام قال : الآن أملك الدنيا كلها وكان له برذون أشهب يقال له عين الفضة ، فقال : على هذا أدخل قسطنطينة وقال : أنا لا أعطي أهل الاحساء عن الحاج ضريبة ، كما كان كافور الخصي الاسود قبلي يعطيهم ، فان خالفوني وجهت بكتامة فشدوا براذينهم على أبوابهم بالاحساء، وساوم صاحبه وصاحب جيشه في ثياب بياض ، ثم قال : وهذه تجلب من نيسابور ، والي هناك نصير ، فنشتريه من معدنه ، فجاءه ولد أبي سعيد[2] ، وأخذوا الرايات السود من بغداد ، وعليها الامام المطيع لله أمير المؤمنين ، وكانوا في جيش قايل ، وأخذوا الشام منه ، وقتلوا ابن فلاح صاحبه[3] ، وقالوا لـه : ما تحتاج أن تنفذ بكتامة الى الاحساء فقد جئناك ، فراسلهم وداراهم ، وقال لهم : لم رضيتم لأنفسكم أن تسيروا تحت الرايات السود وتقيموا الدعوة لبني العباس ؟ قالوا له : قد كان ينبغي ألا تمخرق علينا ولا تتكلم فينا ، ونحن نعرفك ونعرف أباءك ، فما زال يراسلهم ويتضرع اليهم ويقول : الدعوة واحدة وهذا البيت وبيت أبي سعيد سواء ، فساروا اليه الى مصر وضيقوا عليه ، فخندق على نفسه وبذل الاموال ، وبذل المال للبوادي، فأخذوا سوادهم وانهزموا من باب مصر ، وأسر ابن المنجا[4] وجماعة منهم ، فأكرمهم وصانهم وخلع عليهم وردهم الى الاحساء وأعطاهم أكثر مما كان يعطيهم كافور ، وقتل من كان في عسكرهم من السوقة والباعة وهم ألوف كثيرة ، وقال لولد أبي سعيد : أنا ما منعتكم انما منعكم هذا العبد جوهر ، وتقرب اليهم ، وذكرهم أن الدعوة واحدة وما ينبغي أن نختلف فيشمت بنا المسلمون ، وما زال هو ومن بعده

---

(١) انظر اتعاظ الحنفا : ٦٩/١ .
(٢) اي الحسن الاعصم واصحابه ، وقد سلف ذكره وسيلي كثيرا .
(٣) اي جعفر بن فلاح ، وقد سلف حديث مقتله .
(٤) من أعوان الاعصم المقربين انظر ترجمته فيما يلي من نصوص .

يحمل اليهم المال الكثير ، والبر الكثير الى أن حاصرهم الاصفر ومنعهم ، ووافى ملك الروم لعنه الله فنزل الشام[1] .

واتفق موت البرذون عين الفضة ، ونما الخبر الى ابن الزيات[2] وهو بالشام فكتب اليه : قلت انك تدخل القسطنطينية على عين الفضة ، وقد مات وبينك وبين القسطنطينية مسيرة ستة أشهر ، وملك الروم فقد نزل بالشام وبينك وبينه مسيرة عشرين يوما ، وقد قرب الامر عليك فالحق ، فترك الجواب عن هذا وكتب الى ابن الزيات · أنت رجل فاضل كامل ، أضعتك وأسأت اليك ، وأنكرت فضلك ، وماأدري كيف أعتذر اليك ، وأنا من أحوج الناس اليك ، وما هذا سبيله من الملاطفة . واذا طالبت خاصته والدعاة لـه بتلك الاقوال وبينت لهم كذبها وخلفها قالوا : تلك الاقوال لهـا باطن .

وعند الخامس[3] منهم من أهل خوارزم والمولتان[4] وغيرهما زوار كثير قد جاءوا بالأموال والهدايا ، وهم محجور عليهم وموكل بهم ، ومع هذا فقد تبلغهم ما هناك من الفواحش والاباحات ، فربما استفهم الواحد بعد الواحد من هؤلاء الزوار ، فيقال له : لهذا باطن ، وربما قيل لبعضهم : انما يفعل هذا مولاكم عمدا ليريكم ويمتحن صبركـم ، فأمسكوا ولا تتكلموا ثـم لا يؤذن بالرجوع لأهل الفطنة منهم .

وقد كان سعيد وهو بالمغرب ، قد جعل الرصد على من يرد ويصدر بباب البلد فيعرف أخبارهم ، فمن كان من الرسل والدعاة الذين يريدهم فلا يدخلهم الا ليلا ملثمين في هوادج وان كانوا جماعة، فرق بينهم ، وأنزلهم ووكل بهم ثقاته، وأخرجهم

---

(١) في هذا اشارة الى حملة الامبراطور البيزنطي يوحنا تزيكمس (ابن الشمشقيق) على الشام سنة ٣٦٣ هـ ، والتي وصل بها الى أحواز دمشق . انظر ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي : ١٢ ـ ١٣ .

(٢) ابـو بكر بن الزيات زعيم مدينـة طرسوس الثغرية ، وقـد صالح الامبراطور البيزنطي وسار معه الى الشام . ابن القلانسي : ١٢ .

(٣) اي العزيز حكم ما بين : ٣٦٥ هـ/٩٧٥ م ـ ٣٨٦/٩٩٦ .

(٤) المولتان بلد في بلاد الهند على سمت غزنة ـ معجم البلدان .

كذلك ، لئلا يقفوا على شيء من أمره ، ويدس اليهم من يحدثهم من أخباره بما يرد، ويبرهم ويصلهم ويخلفهم ويخرجهم في الاستخفاء كما دخلوا ، ويردهم الى النسفي وأبي حاتم الرازي وابن حماد[1] ، فتأمل حال هؤلاء وهم في الاطراف : وقد تستروا بدين الاسلام وأقاموا المؤذنين ، فكل من يستدعونه في أول أمره يقولون له : لسنا كالامامية أصحاب موسى بن جعفر الذين يقولون : الصلاة احدى وخمسين ركعة ، الذي يجب عليك عافاك الله ثلاث وسبعون ركعة في اليوم والليلة . وتؤدي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ، وتؤدي الامانة ، وتحصن فرجك ، وما تحل لك المتعة كما تحله الرافضة ، وتجتنب الكذب والزنا والربا واللواط ، ولا تشرب شيئا من المنكر ، ومالك في شيء من هذا رخصة البتة ، واذا كان عند الداعية أحد من المريدين ممن لا يعرف حقيقة الدعوة يصلي الداعية بحذاءه الليل والنهار . ومع هذا فقد عرف أهل العلم حقيقة الدعوة فكيف بأمر النبوة وهو من الامور المكشوفة . ولو أخذت تحصي فضائح هؤلاء في كل زمان مع هذا التحفظ لطال ، وينبغي أن تعنى بأمورهم ، فليس ها هنا من يطعن في النبوات سواهم كما تقدم لك ودعاتهم اليوم مثل جابر المنوفي ، وابن جبلة ، وابن الكميت ، والحسن بن محمد الميمذي[2]، يقولون لمن قد بلغوا به أما ترون أتباع هذا الفاعل الصانع ــ يعنون رسول الله ﷺ ــ اليوم أربعمائة سنة ، قد أقاموا على شريعته ما يفارقونها ، ماذا يرون فيها الحمير ، وقد كدهم بالصلاة والصوم والحج والجهاد ، أما يتطنون أما يفيقون[3] .

والعجب ممن ذهب عنه ﷺ مع ظهور أعلامه وانكشاف براهينه ، ولو كان لهؤلاء فطنة ، ومعهم تدبر لكنفتهم أنفسهم وأحوالهم في معرفة صدقه ، فانهم مع اعتصامهم به وتسترهم باقامة شريعته ، والانتساب الى أهل بيته ، ومع الايمان والمواثيق ، يفتضحون في كل طرفة عين ، وهو ﷺ قد جاء ذلك المجيء وأعداؤه منذ

---

(1) انظرهم في الفهرس للنديم : ٢٤٠ ــ ٢٤١ .

(2) لا نملك في المصادر المتوفرة معلومات عن هؤلاء الدعاة ، ولاشارة انقاضي لهم اهمية كبيرة بسبب المعاصرة .

(3) يمكن أن نرى في هذا مقدمات ما حصل في ايام الحاكم بامر الله من اعلان قيامه عظمى ــ اي الغاء الشرائع القائمة ــ لاستبدالها بديانة جديدة هي التي ستعرف باسم الدرزية . انظر الحاكم بامر الله في كتابي مائة اوائل من تراثنا ص: ٤٦١ .

أربعمائة سنة يطلبون عثرة له وزلة فلا يجدونها ، وهو كما يقال : قد كان ينبغي أن يكون أصحاب الطب من أخشى خلق الله وأعرفهم به لكثرة ما يرون من الشدائد النازلة بالناس وبأنفسهم ثم قل ما يغني طبهم عن أنفسهم وأعزتهم ، ولكن قد سبقوا الى الاعتقادات الباطلة والتقليد للرجال ، فتركوا النظر ، وقلت عبرتهم فتبلدوا وتحيروا، فتاهت عقولهم ، وماتت فطنهم، فنعوذ بالله من طول الغفلة وموت على غرة، وقدوم على حسرة ...



[في ذكر كبار ائمة الشيعة في زمان صاحب الكتاب] [*]

وفي هذا الزمان منهم مثل أبي جبلة ابراهيم بن غسان ؛ ومثل جابر المنوفي ، وأبي الفوارس الحسن بن محمد الميمذي وأبي الحسين أحمد بن غسان بن الكميت، وأبي محمد الطبري ، وأبي الحسن الحلبي ، وأبي يتيم الرلباي ، وأبي القاسم النجاري ، وأبو الوفا الديلمي ، وابن أبي الديس ، وخزيمة ، وأبي خزيمة ، وأبي عبد الله بن محمد بن النعمان ، فهؤلاء بمصر وبالرملة وبصور وبمكا ، وبعسقلان ، وبدمشق ،وببغداد ، وبجبل السماق . وكل هؤلاء بهذه النواحي يدعون التشيع ومحبة رسول الله ﷺ وأهل بيته ، فيبكون على فاطمة وعلى ابنها المحسن الذي زعموا أن عمر قتله[1] ، ويذكرون لهم تبديل القرآن والفرائض ، ويذكرون ما قد تقدم ذكره ، وما دعواتهم في التشيع ومحبة الرسول ﷺ وأهل بيته وما قولهم : من أن خلافهم له وقتالهم انما هو لعدواته ﷺ وللشك في نبوته ، ويقيمون المنشدين والمناحات في ذلك ، ويأخذون على الناس العهود ، ويحلفونهم بالايمان الغليظة ، فاذا حصلوا كذلك قالوا لهم : اياكم ومجالسة الفقهاء ، واستماع الحديث من أصحاب الحديث ، واستماع القرآن من العامة ، وعليكم برواية الخاصة ، فقد قال جعفر بن محمد كتابة : حديث العامة يعمي القلب، واياكم وفقه أبي حنيفة ، ومالك، والثوري،

---

* استعير هذا العنوان من حاشية الاصل .

(1) تذهب المصادر الشيعية ، خاصة الاسماعيلية منها ، الى ان فاطمة الزهراء كانت حاملا حين استخلف أبي بكر ، وأنها حرضت زوجها على الامتناع عن البيعة ، لهذا جاء عمر بن الخطاب مع عدد من أعوانه واقتحم بيتها ، وضربها مما سبب اجهاضها ؛ ثم كان ذلك سببا لوفاتها ، وفي هذا يقول القاضي النعمان في الارجوزة المختارة ط . مونتريال ـ ٧٩ :

فجاءهم عمر في جماعة ... إذ لم يروا لمن اقام طاعة
حتى أتوا باب البتول فاطمة ... وهي لهم قالية مصارمة
فوقفت عن دونه تعذلهم ... فكسر الباب لهم أولهم
فاقتحموا حجابها فعولت ... فضربوها بينهم فاسقطت

والحسن البصري ، وأمثالهم فانهم كفرة وأعداء أهل البيت ، والرشد كله في خلافهم، واذا عمي على أحدكم الصواب فلينظر ماعليه الفقهاء،فيعمل بخلافه فانه يصيب الحق.

ثم يأخذونهم في مجلس يسمى مجلس التغذية بأن لكل شيء باطنا علمه عند مولاكم العزيز بالله ، يظهره لكم اذا ترقيتم الدرجات في طاعته ، ثم يأخذونهم بأن يقولوا لهم : لم صلاة الصبح يجهر بها والظهر لا يجهر فيها ، ولم خرصة سعفة النخلة طويلة ، وورقة الكرم مستديرة ، وورقة الموز طويلة عريضة ؟ فاذا سألوهم الجواب قالوا لهم : أنتم من غير المجربين ومن المبتدئين ، والمبتدىء كالطفل يغذى باللبن ، ثم بعد اللبن بما هو أقوى منه ، ويقولون لهم : أليس قد قال الله : « حرمت عليكم الميتة »[1] ونحن وأنتم لا نأكل الذبيحة حتى تموت ، ولا نأكل السمك حتى يموت وانما معنى هذا أن النبي ﷺ قد مات وحرام أن تقام شريعته ، وينبغي أن يمتثل أمر العزيز مولانا الذي هو حجة الله ، وهذا علم الخاصة ، ولكن الفقهاء الحمير وأهل الظاهر لا يعرفون هذا ، لذهابهم على امامهم ولي الله وحجة الله على خلقه .

ويقولون لطائفة أخرى : ما عليكم صلاة ما دام في الدنيا لكم عدو يمنعكم من التمكن في الارض ، فان الله يقول : « الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر »[2] ويقولون لآخرين : الصلاة شخص، والصلاة عذاب على أهل الظاهر، ويرقون بالناس بحسب طبقاتهم واحتمالهم للشك والحيرة ، وهذه مجالس الترقية كما هو مذكور لهم ، ومرسوم في البلاغ السابع والناموس الاعظم ثم يرقون بمن يثقون به : بأنه لا يحرم عليه أمه ولا بنته ولا أخته ، ولا خمر ، ولا خنزير ، ولا زنا ، ولا لواط ، ولا شيء البتة ، وأنه لا يحل لك أن تمنع أخاك ، ومن هو مثلك في البلاغ السابع والعلم الباطن من زوجتك فانها تحل له كما تحل لك ، والاشتراك في الزوجات كالاشتراك في الطعام والكريم هو

---

(١) المائدة : ٣ .
(٢) الحج : ٤١ .

الذي[1] تنكح زوجته بحضرته كما يؤكل طعامه بحضرته[2] ، وقد قال أفلاطن : الغيرة شح في الطبيعة .

فيقال لهؤلاء الدعاة : قد ادعيتم على رسول الله ﷺ وعلى اخوانه من الانبياء أنهم كذابون محتالون طلاب دنيا ورئاسة ، ونحن فقد ذكرنا لكم مجيئه وسيرته وطرفا من آياته وأعلامه ، وأن أهل الارض بأسرهم قد خاصموه وطلبوا عثرة تكون له فما وجدوا ، ولو كان كما قد ادعيتم لكانت سبيله سبيل أئمتكم ، فقد علمتم حال سعيد[3] ، الذي زعم أنه ابن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح بن ديصان بن سعيد الغضبان الخرمي ، وأبو القاسم بن الابيض العلوي ، وغيره من أهل هذه الدعوة يزعمون أن سعيدا هذا ليس هو ابن الحسين ، وانما هو ابن امرأة الحسين هذا ، وأبوه يهودي حداد من أهل سلمية من أرض الشام وأن الحسين لما تزوج بأمه حظيت عنده ، فأحب ولدها سعيدا هذا ، وانما رغب فيها لفرط جمالها وكمالها .

وكان سعيد ابنها هذا يشبهها في الجمال ، وكان له ذكاء وفطنة ، فتولى الحسين زوج أمه تربيته وتعليمه ، وتخريجه على ما يحب ويختار ، فقبل منه وأخذ عنه ، فعرفه حال هذه الدعوة ورجالها وأسرارها ودعاتها ، وأين هم وكم هم ، وكيف كان أولها وابتداؤها ، وزوجه الحسين — زوج أمه — بنت أبي الشلعلع ، وأبو الشلعلع هذا من ولد عبد الله بن ميمون القداح ، وكان ذلك ، فولدت لسعيد ابن فسماه عبد الرحمن[4] .

---

(١) جاء في الاصل بعد كلمة الذي « هو » وقد حذفناها لانها زائدة .

(٢) وصلنا عدد لا بأس به من كتب التاويل وعلم الباطن ، فيها نذر يسير مما ذكره القاضي عبد الجبار هنا ، لكن قطعا ليس فيها ما قاله من شتائم وحملات على النبي كما انها خلوة من أمور تحليل الزوجات والاصول وغير ذلك ، مما لا شك فيه أنها تهم باطلة ، حمل القاضي على قولها شدة تعصبه، فالتعصب يلغي العقل، ويزيل المنطق ، ويعمي البصر والبصيرة ..

(٣) جاء في حاشية الاصل : « ابتداء ظهور الفاطميين في المغرب بدعوى التشيع » .

(٤) عالج اكثر السلف مشكلة نسب الفاطميين ، وتميل الابحاث الحديثة الى التسليم بصحة هذه الانساب أو تعليل المسالة تعليلا قائما على عقيدة الابوة الروحانية لدى الاسماعيلية . انظر اصول الاسماعيلية : ١١٧ — ١٣٣ .

ثم صار سعيد الى سجلماسة من أرض المغرب ، وتسمى بعبيد الله[1] واكتنى بأبي محمد، وادعى أنه من نواحي الاهواز ومن تنائها ورؤسائها وأنه هرب هو وأبوه من جور عمرو بن الليث[2] ، وان ضياعهم بكور الاهواز كثيرة ولهم بها [وكلاء][3] وان المواد تأتيه منها ، وكان يقول لمن يثق به ويأنس به في ابنه عبد الرحمن[4] أنه يتيم في حجره ، وأنه وصي أبيه ، وأن أباه من أهل البيت ، وكان يحتال على اليسع ابن مدرار أمير سجلماسة وعلى أهل بيته بالدعاوى .

فلما تمكن وأمكنته الحيلة بأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن زكريا الكوفي الداعية غدر ببني مدرار ، وقد كانوا أجاروه وأحسنوا اليه ، فغدر بهم ذلك الغدر الفاحش ، فقال له أبو عبد الله : قد كانت كتبك ورسائلك تأتيني بأنك مع بني مدرار بكل خير ، وأنك ما نزلت بأكرم منهم ، وقد قتلتهم فما أبقيت منهم رجلا ، حتى قتلت صبيا من صبيانهم واستبحت أموالهم ونساءهم ؟! فقال له : هو كما كتبت اليك ، ولكن اليسع ما ألعقني لعقة عسل الا ومعها لعقة صبر ، وأما هذا الصبي ، فانه جاءني برسالة من عمه، أحمد بن مدرار جافية،فكانت هذه أول فضائحه ولها تفصيل طويل.

وسمى ابنه عبد الرحمن الحسن ، ثم لما تمكن وملك قال : هو ابني ، وسماه محمدا ، وكناه بأبي القاسم .

ولما أراد الرحيل من سجلماسة الى القيروان في إفريقية من أرض المغرب دخل المغاربة أصحاب أبي عبد الله لاخراج رحله، فوجدوا ملابس الحرير والديباج وأواني الذهب والفضة وخصيان رومه وآثار الانبذة ، فأنكروا ذلك في أنفسهم مع بلادة البربر ، وسألوا أبا عبد الله الداعية عن ذلك ، وانما أنكروا ذلك ، لان أبا عبد الله هذا كان مقيما سنين كثيرة في كتامة يدعوهم الى المهدي ، الذي هو حجة الله ويزعم

---

(١) في الحقيقة تسمى بعبد الله ، لكن الدعاية العباسية المضادة سمته عبيد الله لان في التصغير تحقير .

(٢) الصفاري ، انظر من اجل حركة الصفارين كتابي تاريخ العرب والاسلام : ٣٤٥ ـ ٣٤٦ .

(٣) زيد ما بين الحاصرتين كيما يستقيم السياق .

(٤) يقصد به القائم ، وسلف لنا البحث في العلاقة بين المهدي والقائم .

(٥) أمير سجلماسة اوان تفجر الحركة الاسماعيلية في إفريقية ، ودولة بني مدرار كانت احدى دول الخوارج في المغرب .

أنه صاحبه ، وكان أبو عبد الله يتقشف ويلبس الخشن ويأكل العشب ويعدهم عن المهدي بمثل ذلك ، فلهذا أنكروا وسألوا ، فقال لهم أبو عبد الله هذه الاثار لاصحابه وأتباعه ، وكان معه أتباع كثير .

ثم ان عبيد الله بعد قتل أبي موسى هرون بن يونس شيخ المشايخ وأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن زكريا الداعية ، وأخيه أبي العباس محمد بن أحمد بن زكريا ، وأبي زاكي تمام بن معارك وكان من كبار الشيعة ، بعد قتله لهؤلاء وتمكنه بالمغرب ، استصفى أهل الثروة وأخذ أموالهم كلها ، وأرسل ابنه وجعله ولي العهد بعده والخليفة ، وسماه القائم ، فكان ينزل في العساكر على بلد فيستصفي أمواله ، ويهدم حصونه وقلاعه ، ويأخذ ما فيه من الاسلحة والامتعة ، ويقتل الرؤساء والوجوه والفقهاء وأصحاب الحديث، ويتخذ جهالهم ويجعل لهم الاحوال والاموال، ويسلطهم على أهل الفضل ، ويضع المكوس والضرائب ، ويتوصل الى ازالة النعم ، والتضييق على المسلمين بكل ما يقدر عليه وما يطول شرحه .

وكان يرسل على الفقهاء والعلماء فيذبحون في فرشهم ، وأرسل الى الروم وسلطهم على المسلمين . وكان الشيعة ببغداد ، مثل بني بسطام ، وبني أبي البغل ، وآل الفرات[1] ، يرجفون أن المهدي قد ظهر بالمغرب وهو هناك يحيي الموتى ، ويقف على المقبرة فينادي الموتى فيقومون من قبورهم ، وكان أبو الحسن محمد بن أحمد النسفي صاحبهم بخراسان ، فذكر لنصر بن أحمد مثل ذلك[2] وأبو حاتم أحمد بن حمدان يذكر مثل ذلك بالري لاسفار بن شيرويه[3] .

وكثرت الروايات عن رسول الله ﷺ وأهل بيته في أن المهدي يظهر بالمغرب ويملك الارض كلها من أولها الى آخرها ، وينفذ أمره فيها ، وأحكامه على أهلها في

---

(1) ابرز اسر الوزارة والادارة العباسية في اواخر القرن الثالث وبداية الرابع ، انظر تحفة الامراء في تاريخ الوزراء لهلال بن المحسن الصابيء ـ ط . القاهرة ١٩٥٨ ص : ١٨ ـ ٢٤٥ ، ٢٨٥ ـ ٣٠٤ .

(2) السامانى : ٣٠١ هـ/٩١٤ م ـ ٣٣١ هـ/٩٤٣ م . انظر كتابي تاريخ العرب والاسلام : ٣٤٧ ـ ٣٤٨ .

(3) من زعماء الديلم الاوائل ، واعماله هي مقدمة أولى لظهور اسرة بني بويه قتل سنة ٣١٤ هـ . انظر تجارب الامم لمسكويه : ١٦١/١ ـ ١٦٢ ـ العيون والحدائق ـ ط . دمشق ١٩٧٢ : ٢٣٣/٢ ـ ٢٣٤ .

سنة ثلاثمائة للهجرة ، وهو معنى ما جاء في الحديث من طلوع الشمس من مغربها ، وكم كان لهم من الخطب المنسوبة الى أمير المؤمنين بأن ولده المهدي يظهر من المغرب، ويملك الارض في سنة ثلاثمائة للهجرة ، وان هذا موجود في الملاحم •

وصدرت رسل بني بسطام وغيرهم من الشيعة الى المغرب : بادر فان الارض كلها لك والخليفة ببغداد يومئذ جعفر المقتدر[1] ، وهو صبي ونحن أجلسناه ، وله اثنتا عشرة سنة ، وأولياؤه ومن حوله شيعته ، من آل الفرات وآل بسطام وآل القاسم بن عبدالله وآل أبي البغل والكرخيين وآل نوبخت، فسير ابنه في سنة ثلاثمائة في عساكر عظيمة في البر والبحر وعنده انه يظهر على الارض كلها بسبب ما تقدم ذكره ، ولاجل من بخراسان والبحرين من أهل هذه الدعوة •

فقدم مصر ونزل عليها في سنة اثنتين وثلاثمائة ، واذا أبو سعيد الجنابي قد قتل بالبحرين ، وقد ظهرت الفضيحة بها ، ولقيه بظاهر مصر القاسم بن سيماء الفرغاني في سبعة آلاف فرد تلك العساكر كلها ورجع ابن عبيد الله الى أبيه بالمغرب بالخيبة والهزيمة ، وذهبت تلك الاموال ، وجاءت جواسيسه الى الشيعة المقدم ذكرهم بالعراق تعنفهم فيما كان من اطماعهم له ، وما كان من القاسم بن سيماء الفرغاني • فاعتذروا اليه وقالوا له : ارجع • فرد ابنه في سنة سبع وثلاثمائة بأكثر من تلك الجيوش في البر والبحر ، فنزل على مصر سنين متوالية ، ونزل على عسكره في الماء ثمل الخادم من طرسوس في ثمانية عشر مركبا فهزمهم ، فرجع الى أبيه بالخيبة والهزيمة ، ثم رد العسكر الى مصر ، وقد قتل المقتدر ، فرجع بالخيبة والهزيمة • وكان مع هذه الحال يشتد على أهل القيروان وما يملكه من أرض المغرب بالجور وقتل الرجال واستصفاء الاموال ، وقصد الفقهاء والعلماء ، وقد كان بث دعاته يدعون الناس اليه والى طاعته ، ويأخذون عليهم العهود ، ويلقون الى الناس من أمره بحسب عقولهم واحتمال كل طبقة منهم ، فمنهم من يلقون اليهم أنه المهدي ابن رسول الله ، وحجة الله على خلقه ، ومنهم من يلقي انه رسول الله وحجة الله ، ومنهم من يلقي انه الله الخالق الرازق ، فكان اذا ضج الناس من هذا ، وظهر منهم الانكار، يأخذ الدعاة فمرة يحبس بعضهم ومرة يقتلهم ، ويقول : ما آمرت بهذا ، ويقول الدعاة : هو أمرنا وبأمره فعلنا ، وله أن يمتحننا • وكان من جوره وكذبه وفضائحه ما يطول فانه مكث في ملكه نيفا وعشرين سنة •

---

(1) بدات خلافته سنة ٢٩٥ هـ / ٨٠٨ وانتهت سنة ٣٢٠ هـ/٩٣٢ م •

ولما هلك ، قام ابنه الذي قد تقدم ذكره مقامه ، وتسمى بالقائم أمير المؤمنين، وزاد شره على شر أبيه أضعافا مضاعفة ، وجاهر بشتم الانبياء ، فكان ينادي في أسواق إفريقية والمهدية ، وهي مدينة كان بناها أبوه وحصنها ، فكان يقال : العنوا عائشة وبعلها، العنوا الغار ومن حوى، وقتل الفقهاء والعلماء القتل الذريع، واستولى من بلدان المغرب على أكثر ما استولى عليه أبوه ، فان بلدان المغرب واسعة عظيمة وهي تشبه بخراسان في السعة وكثرة الرجال وهي في يد عدة من الملوك ، وكان يقول في هذا أنه هو الذي يظهر ويملك الارض ، وأنه هو الحجة والمهدي ، وكتب الى أبي طاهر القرمطي المقيم بالبحرين البلاغ السابع ، والناموس الاعظم ، وهو سر الدعوة وحقيقتها ، وحثه على قتل المسلمين ، واحراق المساجد والمصاحف ، وكان قد كتب هذا الكتاب في حياة أبيه ، وكان أبوه في أول أمره يقول : ان هذا يتيم في حجري وهو علوي من ولد اسماعيل بن جعفر بن محمد ، وكان في أول أمره يظن أنه لا يتم له أمر الملك ، فلما تمكن وفعل هذا قال : هذا ابني وهو علوي ، وشرح ظلم هذا القائم وقسوته وفجوره يطول ، وهو أكثر مما أتى أبوه .

وكان لهذا الذي يسمى بأمير المؤمنين القائم بن المهدي ، ابن يقال له القاسم ، وكان قد تأدب وقال الشعر ، وكان فارسا ، فاستخلفه ونص عليه ، وقال : هذا القائم الامام الذي آمر باستخلافه عليكم ، وهو القائم بعدي ، فاسمعوا له وأطيعوا، فمات هذا القاسم في حياة أبيه ، فكان يقال بالقيروان ما أكثر كذب هؤلاء المشارقة.

ولكثرة ما كان من جور هذا وقتله للناس واستصفائه الاموال ، اجتمع قوم من أهل الجبل بالمغرب على رجل من الاباضية يقال له أبو يزيد مخلد بن كيداد فبايعوه ، وكان شيخا كبيرا ضعيفا لا يمكنه لضعفه أن يستمسك على فرس ، فكان يركب حمارا ، وكان له وزيره يستشيره أعمى فأنفذ اليه هذا الذي تسمى بالقائم بن المهدي بعسكر فكسره ورده ، وتسامع به الناس ، وأنه ينكر المنكر ، فاجتمعوا اليه وأتوه ، وسار من الجبل الى الامصار، ولقيته العساكر فكسرها كلها، ودخل إفريقية، وأزال الظلم والمكوس ، وملك كل ما كان في أيدي هؤلاء القرامطة من أرض المغرب الا المهدية ، فانه حاصرهم فيها ، والا صقلية وطرابلس من أرض المغرب ، ومات هذا المسمى بالقائم بن المهدي في الحصار ، وعرض له وسواس ، وزال عقله مما نزل به من الذل ، وقتل الرجال ، وزوال الملك ، وجوع من بقي معه بالمهدية بالحصار .

وقام بعده ابنه أبو طاهر اسماعيل ، وضمن للناس تغيير سيرة أبيه وجده ، وأنه لا يتعرض لدياناتهم ، وحلف على ذلك ، وأكد واشهد ، واستعان بأبي الحسين بن عمار ، فأشار عليه بهذه الأمور • وقد كان أبو يزيد مخلــد بن كيداد ملك خمس سنين ، وكثرت عساكره ، فانتشر عليه أمره ، وأظهر أصحابه دين الاباضية ، فكرهه الناس، وخرج أبو طاهر اسماعيل وحاربه وكبسه في صحراء، وأخذه وسلخه وصلبه؛ ووفى للناس بما وعد ، وعدل وأنصف وأخذ الدعاة الذين كانوا لهم فحلق لحاهم ، ونفاهم ، وقال لاهل القيروان : من سمعتموه ينال من أصحاب رسول الله ﷺ فاقتلوه فاني معكم ومن ورائكم ، وأطلق المحدثين في الحديث ، والناس في اقامة التراويح ، وأطلق الناس في غزو الروم وأذلوهم ، وأعز المسلمين والثغور على يدي أبي القاسم ابن أبي الحسين بن عمار ، والثغور في يد أولاده الى هذه الغاية ؛ وهم قوم مسلسون فيهم خير كثير ، والشرك مقموع بهم هناك ، ولهم سيرة حسنة طويلة مذكورة •

واشتغل اسماعيل بأهل الجبال يقتلهم ويشردهم ، خوفا من أن يثور عليه ثائر مثل أبي يزيد مخلد بن كيداد ، وتقدم اسماعيل الى الفقهاء بأن يتركوا له حلقة في الجامع خاصة له يقعد فيها أصحابه تكون حلقة لجعفر بن محمد ، فجلس فيها جماعة لا يختلطون بالفقهاء ، وكانوا يتذاكرون في حلقهم ذكر أفلاطن وبطليموس وأرسطو، فقال الناس : هؤلاء ملحدة وزنادقة وأعداء الانبياء ، فكيف تكون هذه الحلقة حلقة جعفر بن محمد ؟! واذا نية اسماعيل غير صافية في الاسلام ، وانما أظهر الرجوع عن سيرة أبيه وجده خوفا مما جرى •

وكان لاسماعيل أخ يقال له يوسف ، وكان ينظر في الكتب ويسأل العلماء ، وكان فيه فضل ، وكان يقول : انا أولاد النبي ، ولا نعظم الا أعداء الانبياء مــن الفلاسفة ، ودعاتنا كل سفلة كذاب ، ركاب لكل فاحشة ، ولو كنا من أولاد الانبياء، ونحب الانبياء ، ما كانت هذه حالنا ، ثم يسمي الدعاة واحدا واحدا ويذكرهم بمــا فيهم ، فقد كان فيهم أبو الاسود وكان ينكح بنته • وقصة يوسف هذا معروفة ومات بأجدابية[1] في مصيره الى مصر ، وفيما أظن أن ولده بمصر الى هذه الغاية • ثم ان اسماعيل استخلف ابنه أبا تميم معدا وجعله ولي عهده ، وسماه بالمعز لدين [الله][2]•

---

(1) بلد بين برقة وطرابلس الغرب ـ معجم البلدان .

(2) زيادة اقتضاها السياق .

ومات اسماعيل في سنة احدى وأربعين وثلاثمائة وقام أبو تميم بعده ، وسار سيرته، ورفق بالناس وتمكن ، وصفت له المغرب فما تحرك عليه أحد ، واتسع ملكه وجبى الاموال • ثم تغير وقرب الدعاة : فقالوا : هذا هو المهدي ، وهو الذي يملك ، وهو الشمس التي تطلع من مغربها • واتفق أن الروم أخذت ثغور المسلمين من طرسوس وأذنة والمصيصة وعين زربة وغيرها في أيامه ، واحتوت فاشتد طمعه في الاسلام ، وسره المصائب التي نزلت بالمسلمين ، وبلغه أنه قد كتب على المساجد ببغداد لعن خلفاء رسول الله ﷺ ، فطار سرورا بهذا وطغى وتجبر ، وهمّ بغزو مصر لأن فيها شيعة كثرا ، وانما سلطانها خصي أسود[1] مولى لموالي بني العباس وقال : عقله عقل امرأة والذين معه من الجند أسوأ حالا منه ، وقد اعتادوا الترفه والاكل والشرب ، وليست لهم بالحرب عادة ، ومن بها من الشيعة يكاتبنا ويهون أمر هذا الخصي ، والثغور فقد ذهبت ، وما بقي للاسلام سلطان ولا ملك ، والديلم الذين بالعراق والجبال شيعة لنا ومن قبلنا • فكان يقول له من حوله مثل ولد أبي الحسين بن عمار وجعفر بن فلاح بن مرزوق ، ومحمد بن سليمان : يا أمير المؤمنين ، مصر قد أفنت رجالكم وفرغت بيوت أموالكم ، وقد طمع فيها آباؤك مرة بعد مرة فما تم ما أرادوا، وكان الدعاة يقولون : اذا زال الحجر الاسود ملك مولانا المعز لدين الله الارض كلها ، وبيننا وبينكم الحجر الاسود وليس هذا كغيره ، فان لم نملك هذه الارض كلها فكلما نقول لكم باطل،يعنون بالحجر الاسود كافورا الخصي الاسود،أمير مصر•

فمات كافور في سنة ست وخمسين وثلاثمائة ، واختلف العسكر بمصر وكان أميرهم ابن عبد الله بن الاخشيد وكان شيعيا قد دخل في الدعوة ، وكان رخوا مخنثا، فقال له أبو جعفر بن نصر : أيها الامير ، أمير المؤمنين أبو تميم المعز لدين الله هو لك كالوالد ، والجند قد طمعوا فيك فان شئت أن تدع الامر له حتى يدبره لك ، فانه أبصر بتدبير الجند وأقدر ، فقال : إي والله أريد الراحة منهم ، وأقبل على أبي يعقوب ابن الازرق الكاتب الانباري[2] فقال له : يا أبا يعقوب ، قد جعل هؤلاء الجند في فؤادي كل دودة مثل هذه ، وأشار الى اصبعه ، وأخذ ابن نصر كتابه الى أبي تميم بذلـك •

---

(١) المقصود هو كافور الاخشيدي كما سيأتي •
(٢) لعله الذي ذكره ابن ميسر في تاريخه في حوادث سنة ٣٥٧ هـ : ٢/٦١ •

فأرسل أبو تميم صاحبه ، وهو عبد كان لهم من الروم ، يقال له جوهر ، فخرج في مائة ألف ، فوافى مصر ودخلها بلا حرب ولا قتال ، ولا خلاف ، في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، واستولى على الكنوز وبيوت الاموال، وخرج أميرها أبو محمد الحسن بن عبيد الله بن الاخشيد فأقام بالرملة ، فخرج اليه جعفر بن فلاح في عسكره فكبسه وأنفذه الى جوهر ، فأنفذه الى المغرب ، الى أبي تميم ، فلما حصل عنده أظهر له البشر والبشاشة وقال له ، أنت ولدي ومن لحمي ودمي ، وانما أنفذت جوهرا لنصرتك وطاعتك ، والله يا بني ما حصل جوهر بقلشانة[1] حتى لزمني عليه أربعة آلاف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار،وقلشانة هو منزل بالقرب من إفريقية . فظن ابن عبيد الله أن الامر كما قال ، فقعد يسعى بجوهر والقواد الذين استأمنوا اليه من المصريين ، مثل نحرير الازغلي ، ونحرير شويزان ، وشمول ، وغيرهم من القواد والامراء وكان كل واحد منهم كقارون في الغنى ، فكتب المعز الى جوهر فقبض عليهم وغدر بهم أجمعين ، وحملهم الى المغرب وقبض نعمهم وكنوزهم ، وحصلوا بالمغرب مع ابن عبيد الله بن الاخشيد فما يعرف لهم خبر الى هذه الغاية ، ووافى أبو تميم معد بن اسماعيل مصر في سنة اثنتين وستين وثلاثمائة[2] .

وقد كان للقرامطة الذين بالاحساء عليه أتاوة وجزية يأخذونها منه عن أعماله وما في يده ، فأخرها عنهم واستطال عليهم وعلى الناس كلهم بملكه مصر ، وقال جوهر ، وقد ذكرت له قرامطة الاحساء والجزية التي لهم عليهم فقال : من هؤلاء الكلاب ، الان أنفذ كتامة الى الاحساء فيشدون براذينهم على أبوابهم ويسبونهم .

واحتجب المعز بمصر ، فكان لا يصل اليه الا الواحد بعد الواحد من خواصه من الجند والعامة ، ويأتون بها ، ويلقون من الاراجيف في الناس ما يوصيهم به . وبث جواسيسه وعيونه وثقاته من الرجال والنساء في الناس يتعرفون له أخبارهم ، وطال استتاره حتى أرجف الناس بموته ، وهو متوفر على التنعم والاغذية التي تشحم وتسمن ، والاطلية التي تنقي البشرة ، وتحسن اللون والصورة ، ثم ظهر

---

(١) من مدن تونس ـ إفريقية ـ معجم البلدان .

(٢) ترجم المقريزي في كتابه المقفى ترجمة وافية لجوهر ، واورد تفاصيل اخذه مصر وحوادثها حتى ما بعد قدوم المعز اليها ، وقد نشرت هذه الترجمة في ملاحق كتابي : مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية ـ ط . دمشق : ٣٢١ ـ ٣٤٤ . وانظر ايضا ترجمة جعفر بن فلاح في الكتاب نفسه : ٣١٣ ـ ٣٢٠ .

للناس بعد مدة طويلة[١] ، وجلس لهم في حرير فائق رائق أخضر مذهب وعمامته منه ، وعلى وجهه الجواهر واليواقيت ، وهي تلمع كالكواكب ، وأوهم أنه كان غائبا في السماء ، وأن الله رفعه اليه ، وكان يتحدث بما كان يأتيه به أصحاب أخباره في حال استتاره ، ويوهم أن الله أطلعه على تلك الغيوب ، ويعرض بالجمل دون التفصيل ، ويقول: قوم قالوا : كذا ، وقوم قالوا : كذا ، وقوم عزموا على كذا ، وبث الجواسيس بالاراجيف ، بأنه كان في السماء ، وأن الله استزاره ورفعه اليه ، فامتلأت قلوب العامة والجهال منه ، وظنوا ذلك ، وان كل ما يتوعد به ويعد به من تلك الأرض كلها حق .

ووافى العراق أبو علي الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنابي من الاحساء في عسكر ، والسلطان ببغداد أبو منصور بختيار بن معز الدولة ، فسأله أبو علي ــ هذا القرمطي ــ ان يأخذ له عهدا ولواءا من الخليفة المطيع لله وولاية على مصر والشام ، وقال لهم : أنا أعرف بهذا الممخرق أبي تميم منكم ، وأعرف أصله وأبوته ، ومخاريق عبد الله بن ميمون القداح وأولاده ، وأنا أبلغ به أقصى المغرب وأرده من حيث جاء فقال الخليفة المطيع لله لبختيار ، وقد سأله ذلك : لا أفعل هذا ، هؤلاء كلهم قرامطة ، وهؤلاء قتلوا الحجاج بمكة ، فان تابوا من ذلك وبرئوا ممن فعله وتركوا التسمي بالسادة[٢] وليتهم ، والا لم أفعل . فثقل على أبي علي هذا ، وكان يعرف بالقصير[٣] وبريء من فعل اخوته وبني عمه ، ومن أبي سعيد وأبي طاهر وغيرهما من آبائه ، وأخذ يعتذر لما صنعوا بمعاذير طويلة ، وانهم مافعلوا ذلك عداوة للاسلام ولا خروجا عن طاعة الخلفاء من بني العباس ، فما قبل ذلك المطيع ، وأقام على منعهم ، وطال خضوع أبي علي هذا ، فما أجابهم المطيع ، فأشار عليه بختيار وغيره بأن يذهب ويدعي أن المطيع قد ولاه ، وقيل له : العسكر الذين معك جندك وأهلك وأصحابك ومن مالك تنفق عليهم ، ولست تطمع في أن يعطيك المطيع شيئا من مال ولا جند ، فقبل ذلك[٤] .

(١) هذه غيبة صغرى ، وفي العقيدة الاسماعيلية هناك انواع من الغيبة منها ما يكون لشهور ومنها ما يمتد عبر دهور ، ولعل أصل الفكرة استعير مما جاء في القرآن وغيره من الكتب الدينية عن غيبة النبي موسى ، وتطور الامر مع تطور عقيدة الامامة ومسالة المهدي المنتظر .

(٢) كان كل واحد من زعماء قرامطة الاحساء من آل الجنابي ينادي بلقب « سيد » .

(٣) شهر بالاعصم ، والاعضم هو القصير .

(٤) كذا وقد مر معنا ، وسيتكرر بشيء اكبر من التفاصيل بانه احيل على ابي تغلب الغضنفر الامير الحمداني للموصل ، فأخذ منه مالا ورجالا .

وما كان رغبته في تقليد المطيع الا لتقبله العامة بالشام ومصر ، فلما لم يجبه المطيع الى ذلك اتخذ هو لنفسه أعلاما سودا ورايات ، وكتب عليها المطيع لله أمير المؤمنين ، وتحته : « السادة الراجعين الى الحق » ، ثم سار الى الشام . فلقي عساكر أبي تميم وواقعهم وقتلهم ، وقتل أميرهم ابن فلاح ، وقتل أصحابه ، واستولى على الشام ، وأقام الدعوة للمطيع ولخلفاء بني العباس ، وأظهر تعظيمهم ووجوب طاعتهم، وأخذ في لعن أبي تميم ، وذكر آبائه واحدا واحدا ، وأنهم ولد القداح ، وأنهم ما كانوا قط الا كذابين ممخرقين أعداء الاسلام ، يذهبون مذاهب الزنادقة ، وأبو تميم قد انحجز مع عساكره بمصر ، ومع هذا فيبذل له من الجزية والاتاوة أكثر مما كان يأخذ قبل هذا ، والحسن هذا يقرأ كتبه على الناس ويبين فيه عيه ومخاويفه ، وبلغ بأبي تميم الخوف منه الى أن حصن مدينته بمصر، وهي التي يسمونها بالقاهرة، وشيد سورها وأوثقه وحفر خندقها وعمقه ، والحسن يبلغه ما ينادي به أبو تميم من فضائحهم تحريضا للناس عليه ، فيقوم بالشام وينادي بفضائحهم وعداوتهم للاسلام، كما هو مذكور في كتبه وأشعاره فيهم .

ولكثرة ما قال وبين ، قال أبو بكر النابلسي[1] رئيس الفقهاء بالشام : جهاد هؤلاء أولى من جهاد الروم ، وغزو هؤلاء أولى من جهاد الروم ، اذ الروم أهل كتاب ، وهؤلاء كفار مشركون ، ليسوا أهل كتاب ، بل هم أعداء جميع الانبياء وجميع الكتب التي أنزلها الله ، والروم لا تكتم دينها بل تضج بما تدعو اليه ، وهؤلاء يضمرون الشرك ويخدعون الناس باظهار التشيع .

وسار الحسن هذا حتى نزل على خندق القاهرة وحاصر أبا تميم ، وأشرف على أخذه ، فبذل أبو تميم الاموال لابن الجراح[2] الطائي هذا الذي هو حي، وهو كثير العشيرة ، فغدر بالحسن هذا ، وأخذ سواده من ورائه وشغله بنفسه ، وأفسد تدبيره ، فانصرف عن الخندق ، وانهزم بمن معه ، ولحق أبو تميم المنهزمين من أصحاب الحسن ، فأخذهم وأخذ أتباع العسكر، وأهل التسوق في العسكر، وأرسل الى الشام وأخذ أبا بكر النابلسي الفقيه، وسأله عما بلغه عنه ، وما أفتى فيه ، فاعترف به وقال له ما هو أغلظ منه ، فأمر بسلخه حيا فسلخ، وهذه عادة لهم في سلخ المسلمين

---

(١) اعتقل فيما بعد وتم قتله بصورة وحشية للغاية ، كما سيرد بعد قليل .

(٢) سيرد ذكر هذا فيما بعد في ترجمة الاعصم .

أحياء[1] ، قد فعل ذلك سعيد وغيره ، وأخذ من ظفر به من قرامطة الاحساء فأكرمهم ووصلهم وخلع عليهم وعاتبهم وردهم مكرمين الى الاحساء .

وضمن أبو تميم لابن المنجا القرمطي ، صاحب الحسن ، الاموال له خاصة الى أن أصلح بينه وبين الحسن وبين أهل الاحساء ، فضمن ابن المنجا ذلك كله ، وكان من المأسورين فأطلقه وأطلق غيره من الاسارى فذهبوا وأصلحوا بينهم ، وقبلوا الاموال والاتاوة من أبي تميم وأجراها لهم في كل سنة ، فكفوا عنه ، وأخذوها منه في حياته الى أن مات وأخذوها من ابنه هذا المتسمي بالعزيز ، وهو نزار أبو المنصور ابن معد الى أن حاصر الاصفر العقيلي القرامطة بالاحساء ، وقتل من يخرج منهم فهم الى هذه الغاية ما تخرج لهم سرية خوفا من الاصفر[2] .

وبادر نزار[3] بن أبي تميم هذا فهادى الاصفر بهدايا كثيرة نفيسة ، وحمل اليه أموالا عظيمة ، وسأله أن يرسل اليه ثقة له ، فأرسل الاصفر ابن أخته ، فأكرمه نزار الكرامة التامة ، وحمل على سرج من ذهب ، وقاد بين يديه الخيول ، وأعطاه الاموال على أن يدعو خاله للدخول في دعوتهم على أن يقطعه البلدان العظيمة من أرض الشام ، فمنع الاصفر من ذلك رجل معه من أصحاب أبي حنيفة يقال له أبو بكر محمد بن محمد النيسابوري ، فقال له : لا تغتر بما يظهر نزار من أنه من المسلمين وأنه يدعو الى الاسلام والى الحق ، فانه شر من هؤلاء القرامطة الذين بالاحساء وهم الاصل في الفساد الذي وقع في الاسلام ، وخذ الاموال التي أعطوك فانما هي هدايا أهدوها لك ، وابتداؤك بها ، فأرسل الاصفر الى نزار في جواب الرسالة : اني لست أجيبك الى قبول ما بذلت من الاقطاع بالشام الى أن أفرغ من الاحساء وأهلها وأعرفك ما عندي ...

---

(1) هذا صحيح ، وحفظ لنا التاريخ اخبار عدة احداث من هذا القبيل ، من اشهرها نهاية علاقة الملاح الصوري حيث اعتقل وحمل « واصحابه الى مصر ، فسلخ حيا ، وصلب بظاهر المنظر بعد ان حشي جلده تبنا ، وقتل اصحابه » . ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي : ٥٠ ـ ٥١ .

(2) سبقت الاشارة الى ان هذا كان سنة ٣٧٨ هـ ، وان الاصفر كان من المنتفق ، وهم وعقيل يعودون الى جد واحد ، والمفيد هنا ملاحظته هو تاريخ تصنيف القاضي لكتابه ، وانه كان شاهد عيان يصور لنا انفعالات اهل عصره .

(3) هو العزيز : ٣٦٥ هـ/٩٧٥ م ـ ٣٨٦ هـ/٩٩٦ م .

کتاب سفرنامه

وصــف الاحســاء

والحسا مدينة في الصحراء ، ولبلوغها ، عن أي طريق ، ينبغي اجتياز صحراء واسعة ، والبصرة أقرب البلاد الاسلامية التي بها سلطنة الى الحسا، وبينهما خمسون فرسخ ، ولم يقصد سلطان من البصرة الحسا قط .

والحسا مدينة وربض أيضا ، وبها قلعة ، ويحيط بها أربعة أسوار قوية متعاقبة من اللبن المحكم البناء ، بين كل اثنتين منها ما يقرب من فرسخ ، وفي المدينة عيون ماء عظيمة ، تكفي كل منها لادارة خمس سواق ، ويستهلك كل هذا الماء بها ، فلا يخرج منها ، ووسط الحصن ، مدينة جميلة بها كل وسائل الحياة التي في المدن الكبيرة ، وفيها أكثر من عشرين ألف محارب ، وقيل ان سلطانهم كان شريفا ، وقد ردهم عن الاسلام ، وقال اني أعفيتكم من الصلاة والصوم ، ودعاهم الى أن مرجعهم لا يكون الا اليه ، واسمه أبو سعيد ، وحين يسألون عن مذهبهم يقولون : إنا أبو سعيديون ، وهم لا يصلون ولا يصومون ، ولكنهم يقرون بمحمد ﷺ وبرسالته ، وقد قال لهم أبو سعيد : اني أرجع اليكم ، يعني بعد الوفاة ، وقبره داخل المدينة وقد بنوا عنده قبرا جميلا ، وقد أوصى أبناءه قائلا : « يرعى الملك ويحافظ عليه ستة من أبنائي يحكمون الناس بالعدل والقسطاس ، ولا يختلفون فيما بينهم ، حتى أعود » ، ولهؤلاء الحكام الآن قصر منيف ، هو دار ملكهم[1] ، وبه تخت يجلسون هم الستة عليه ويصدرون أوامرهم بالاتفاق ، وكذلك يحكمون ، ولهم ستة وزراء[2]، فيجلس الملوك على تخت والوزراء على تخت آخر ، ويتداولون في كل أمر وكان لهم في ذلك الوقت ثلاثون ألف عبد زنجي وحبشي ، يشتغلون بالزراعة وفلاحة البساتين ، وهم لا يأخذون عشورا من الرعية ، واذا افتقر انسان أو استدان يتعهدونه حتى يتيسر عمله ، واذا كان لأحدهم دين على آخر لا يطالبه بأكثر من رأس المال الذي له ، وكل غريب ينزل في هذه المدينة وله صناعة ، يعطى ما يكفيه من المال حتى يشتري ما يلزم

(١) تهدم هذا القصر ، وبقي منه آثار ، ويسميه أهل تلك الجهة « قصر قريمط »
(٢) وزراء القرامطة كانوا من آل سنبر

صناعته من عدد وآلات ، ويرد الي الحكام ما أخذ حين يشاء ، واذا تخرب بيت أو طاحون أحد الملاك ، ولم تكن لديه القدرة على الاصلاح ، أمروا جماعة من عبيدهم بأن يذهبوا اليه ويصلحوا المنزل أو الطاحون ، ولا يطلبون من المالك شيئا .

وفي الحسا مطاحن مملوكة للسلطان ، تطحن الحبوب للرعية مجانا ، ويدفع فيها السلطان نفقات اصلاحها وأجور الطحانين ، وهؤلاء السلاطين الستة يسمون السادات ، ويسمي وزراؤهم الشائرة ، وليس في مدينة الحسا مسجد جمعة ، ولاتقام بها صلاة أو خطبة ، الا أن رجلا فارسيا اسمه علي بن أحمد بنى مسجدا ، وهو مسلم حاج غني كان يتعهد الحجاج الذين يبلغون الحسا ، والبيع والشراء والعطاء، والاخذ يتم هنالك بواسطة رصاص في زبيل يزن كل منها ستة آلاف درهم ، فيدفع الثمن عددا من الزنابيل ، وهذه العملة لا تسري في الخارج ، وينسجون هناك فوطا جميلة ، ويصدرونها للبصرة وغيرها .

واذا صلى أحد فانه لا يمنع ، ولكنهم أنفسهم لا يصلون ، ويجيب السلاطين من يحدثهم من الرعية برقة وتواضع، ولا يشربون[1] مطلقا، وعلى باب قبر أبي سعيد حصان مهيأ بعناية ، عليه طوق ولجام ، يقف بالنوبة ليلا ونهارا ، يعنون بذلك أن أبا سعيد يركبه حين يرجع الى الدنيا ، ويقال انه قال لأبنائه: « حين أعود ولاتعرفونني اضربوا رقبتي بسيفي فاذا كنت أنا حييت في الحال » ، وقد وضعت هذه الدلالة حتى لا يدعي أحد أنه أبو سعيد .

وقد ذهب أحد هؤلاء السلاطين بجيش الى مكة أيام خلفاء بغداد ، فاستولى عليها ، وقتل من كان يطوف بالكعبة ، وانتزع الحجر الاسود من مكانه ونقله الى الحسا ، وقد زعموا أن هذا الحجر مغناطيس يجذب الناس اليه من أطراف العالم ، ولم يفقهوا أن شرف المصطفى ﷺ وجلاله هما اللذان يجذبان الناس ، فقد لبث الحجر الاسود في الحسا سنين عديدة ، ولم يذهب اليها أحد ، وأخيرا اشتري منهم الحجر الاسود ، وأعيد الى مكانه .

وفي الحسا تباع لحوم الحيوانات كلها : من قطط ، وكلاب ، وحمير ، وبقر ، وخراف ، وغيرها ، ويوضع رأس الحيوان وجلده بقرب لحمه ، ليعرف المشتري ماذا

---

(1) اي الخمور

يشتري ، وهم يسمنون الكلاب هناك كما تعلف الخراف حتى لا تستطيع الحركة من سمنها ، ثم يذبحونها ويبيعون لحمها •

والبحر على مسيرة سبعة فراسخ من الحسا الى ناحية الشرق ، فاذا اجتازه المسافر وجد البحرين ، وهي جزيرة طولها خمسة عشر فرسخا ، والبحرين مدينة كبيرة أيضا ، بها نخل كثير ، ويستخرجون من هذا البحر اللؤلؤ ، ولسلاطين الحسا نصف ما يستخرجه الغواصون منه ، واذا سار المسافر جنوب الحسا يبلغ عمان ، وهي في بلاد العرب ، وثلاثة جوانب منها صحراء لا يمكن اجتيازها ، وولاية عمان ثمانون فرسخا في مثلها ، وهي حارة الجو، ويكثر بها الجوز الهندي المسمى نارجيل، واذا أبحر المسافر من عمان نحو الشرق يبلغ شاطىء كيش ومكران ، واذا سار جنوبا يبلغ عدن ، فاذا سار في الجانب الاخر يبلغ فارس •

وفي الحسا تمر كثير ، حتى أنهم يسمنون به المواشي ، ويأتي وقت يباع فيه أكثر من ألف من[1] بدينار واحد ، وحين يسير المسافر من الحسا الى الشمال سبعة فراسخ يبلغ جهة القطيف ، وهي مدينة كبيرة بها نخل كثيرة ، وقد ذهب أمير عربي الى أبواب الحسا ، ورابط هناك سنة ، واستولى على سور من أسوارها الاربعة ، وشن عليها غارات كثيرة ، ولكنه لم ينل من أهلها شيئا ، وقد سألني حين رآني عما تنبىء به النجوم ، قال : أريد أن أستولي على الحسا فهل أستطيع أم لا ، فان أهلها قوم لا دين لهم ؟ فأجبته بما طيب خاطره •

وعندي أن كل البدو يشبهون أهل الحسا ، فلا دين لهم ، ومنهم أناس لم يمس الماء أيديهم مدة سنة ، أقول هذا عن بصيرة ، لا شيء فيه من المغالاة ، فقد عشت في وسطهم تسعة أشهر دفعة واحدة لا انقطاع بينها ، ولم أكن أستطيع أن أشرب اللبن الذي كانوا يقدمونه الي كلما طلبت ماء لأشرب ، فحين أرفضه وأطلب الماء يقولون : اطلبه حيثما تراه ، ولكن عند من تراه ؟ وهم لم يروا الحمامات أو الماء الجاري في حياتهم[2] •

---

(١) المن وزن مائتين وسبعة وخمسين درهما وسبعة دراهم مفاتيح العلوم للخوارزمي ط القاهرة ١٣٤٢ هـ ص : ١١

(٢) انظر سفرنامة ط. بيروت ١٩٧٠ ترجمة يحيى الخشاب ـ ص : ١٤٢ـ١٤٥ .

الأستاذ الدكتور سهيل زكار





كتـــاب

الفــرق والتواريــخ

والدليل على صحة ذلك ما روي أنه كان باليمن رجل من أهله يقال له علي بن فضل ، من ولد خنفر بن سبأ ، وكان مولده ومنشأه في قرية من قرى آل رُعين يقال لها جيشان ما بين عدن أبين وصنعاء اليمن ، وكان أهل بيت هذا الرجل أهل تشيع . فرغب في علم الأدب ، وكان لسنا جريء القلب صبورا نظارا ، فانتحل مذهب الاثنى عشرية ، ثم انه حج ذات سنة ، وزار قبر النبي ﷺ فدعته نفسه بعد ذلك الى زيارة قبر أمير المؤمنين وقبر ابنه الحسين بكربلاء رضي الله عنهما ، فخرج مع الصادرين من حاج العراق الى هنالك فلما وصل الى الكوفة وزار قبر الحسين رضي الله عنه رأى عنده زوارا كثرة ، فاجتهد في البكاء والجزع ، وفي أولئك الزوار شيخ ينظر اليه ويراعيه ، قيل أنه ميمون القداح الذي تقدم ذكره في باب الامامة . وهو أول من أظهر هذه المقالة،فنظر الشيخ اليه وراعاه مدة مقامه هناك،فرآه مجتهدا في التوجع والبكاء ، فخلا به وتشطه من نفسه ، وألقى عليه من مقالته ، فركن اليه ولازمه وبحث عما عنده ، فوجده على ما يحب فذهب الى موضعه ، وأخذ عليه العهود في كتم سره ، ومضى به الى الامام المستور الذي وهَّم به أنه من أهل البيت ، وهو ولد نفسه، دعا اليه، ونسبه من ذرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه (كما قال مخالفوهم)، والله أعلم بذلك ، فقال له الشيخ : اعلم أن البيت يماني والركن يماني والدين يماني، وليس يقوم هذا الدين الذي نحن فيه الا من ناحية اليمن ، وكان عند هذا الامام المستور الذي ذكروه رجل يقال له [أبو القاسم رجل مواظب معه على مراده فقال له:] يا أبا القاسم هذا الرجل الذي كنا نطلبه من نهج اليمن ، فما رأيك بالخروج معه الى بلده ، وتدعوان الناس الى هذه المقالة ؟ فقال له : يا مولاي ، ان الامر اليك فأمرني بما شئت ، فقال : أعزم على بركة الله ، وجهزهما داعيين له ، وقال : انما تصدران الى عدن فان منها يظهر أمرنا وتعز دولتنا ، ولقب أبو القاسم منصور اليمن ، فمضيا وكان مضيهما في سنة سبع وستين ومائتين ، فدخلا مع الحاج مكة حرسها الله تعالى، وخرجا الى اليمن في سنة ثمان وستين ومائتين ، فلما وصلا اليمن افترقا ، فمضى علي ابن فضل الى بلده من جيشان وأبو القاسم الى عدن لاعة موضع عند جبل مسور بلاد ــ حراز ــ . فمكثا يدعوان الناس سرا ويخدعان من انخدع لهما ، ثم ظهرت مقالتهما سنة سبعين ومائتين ، فأجابهما خلق كثير ، فلم يزل أبو القاسم يحتال في طلوع جبل مسور حتى أدرك ذلك وأخرج منه عبد الحميد المسدري ، وبنى فيه دارا

سماها دار ريب وجمع أصحابه اليه وكثر عدده ، واستجاب أيضا لعلي بن فضل يافع وشرذمة من رعين وبنى حصنا في جبل السرو ، كما بنى منصور اليمن مسور ، فلما استقام لهذا علي بن فضل مراده جمع الجموع وسار بهم الى مخلاف خدير ، فحارب أبا المفلس أحمد بن منصور بن اسحق ، أمير تلك الناحية ، وهو اذ ذاك في حصن الدملوه فاستنزله منه وحبسه ثم قتله في الحبس واستعمل على البلد ، ومضى الى المذيخرة ، بلد ذي مناخ الامير جعفر بن ابراهيم المناخي ، الذي ينسب اليه مخلاف ابن جعفر الى هذه الغاية ، وحاصره في قلعة ريمة واستنزله منها واستولى على البلد، ثم إن جعفر مضى الى زبيد واستنجد معه الاشاعر وغيرهم والتقوا في وادي نخلة فهزم علي بن فضل الامير جعفر بن ابراهيم ومن معه ، وقتل جعفر وابنه ومن معه وابن عم له يقال له أبو الفتوح ، واستعمل علي بن فضل على البلاد ، وسار الى أبين وأميرها يومئذ محمد بن أبي العلاء الاصبحي وهو في خنفر مدينة أبين ، فحاربه فانهزم علي بن فضل وأصحابه الى بلد يافع ، فلما استقروا بها ودخل الليل ، قال لهم علي بن فضل : ان محمد بن أبي العلاء وأصحابه قد أمنوا واغتبطوا بالظفر ، فعودوا بنا اليهم فرجع هو ومن صبر معه ، فلم يشعر أهل خنفر ، حتى طرقوهم ليلا، فدخلوها وأضرموها بالنيران ، وخرج الامير ومن معه فوقع فيه سهم فقتله ، واحتزوا رأسه ، وقصد علي بن فضل داره فغنم أموالا عظاما ، قيل ان مبلغ النقد منها ثمان مائة كيس غير الامتعة والاموال الجليلة والفرش والدواب ، وغير ذلك ثم سير جيشا مع بعض أصحابه الى معافر ، فاستفتحها ، فلما دخل وظفر بما ظفر ، سار الى صنعاء اليمن في نحو عشرين ألفا ، فدخلها وقتل فيها بشرا كثيرا واستباح هو وعسكره ماكان فيها ، وكان أميرها أسعد بن أبي يعفر الحوالي ، فانهزم الى بعض بلد همدان ثم ان علي بن فضل استعمل عليها وخرج بمن معه الى قريب الشبام ، ولقيهم الى هنالك أصحاب منصور اليمن ، من مسور • لأن أمرهم كان واحدا في اقامة هذه الدعوة ، ثم ساروا جميعا لحرب ابن الخطاب الحوالي وهو في المغرب فاستباحوا بلاده وهرب منهم •

ثم ان علي بن فضل خرج الى تهامة فتلقاه أمير سرود ابراهيم بن محمد بن علي الازدي ، فهزمه ومر هاربا الى بلد حكم ، ودخل ابن فضل المهجم والكدراء ، واستباح ما فيها ، ثم قصد الى مدينة زبيد وفيها الامير ابن محمد الازدي وترك

بعض عسكره بالمهجم والكدراء ، ونقله فخلف على المهجم والكدراء أخو الامير أحمد بن محمد ، فقتل الازدي من كان فيها ، فبلغ علي بن فضل الخبر ، فانهزم الى طريق وادي نخلة حتى سار الى مستقره بالمذيخرة ، ثم ندب عسكرا مع ذي الطوق وعيسى اليافعي لحرب أبي المشيرة أحمد بن محمد بن الروية وهو اذ ذاك براداع ، فحارباه فقتلاه وجماعة معه ، واستولى على بلاده ، فلما استقام لعلي بن فضل الامر، وشاع ذكره وجبى الاموال وقتل الرجال ، واستمكن من البلاد ، وأمن الغدر ، أظهر ما أبطنه أهل هذه المقالة ، وأشاع ما كتموه ، وقال لاصحابه : أنا الامام المهدي الذي كنت دعوتكم اليه فاحلقوا رؤوسكم ، فحلق منهم قدر مائة ألف نفس يظنون أن ذلك شيء من الدين ، وأباح لهم ما حرم عليهم ، وقال : انما الجنة التي ذكرها الله في كتابه هي الدخول في اللذات المكتومات عن هذا الخلق المنكود ، ولهذا سميت الجن جنا لاستتارهم من أعين الناس ، وقد أبحت لكم اظهارها فصدقوه ، وانتهكوا المحارم،ونسخ لهم الشرائع وادعى بعد ذلك أنه نبي نسخ الله تعالى به نبوة محمدﷺ بتحليل ما حرم الله عليه وتحريم ماأحل الله له ، وقال لهم : اني بعثت بالراحة السمحة، والاستباحة المحضة ،يعني بالراحة « ترك العبادات » والاستباحة « ترك المحظورات» فتبعه على ذلك خلق كثير ، وسار الى صنعاء وأظهر بها ذلك ، ثم مضى لقتال صاحب زبيد المظفر بن حاج أمير المقتدر بالله ، فانهزم عنه ودخلها هو وأصحابه وعملوا فيها المنكرات ، ثم سار الى الجند وأمر جواريه أن يضربن الدفوف على المنبر ويغنين بشعر قاله أوله :

خذي الدف يا هذه واضربي ... وغني هزارك ثم اطربي
تولى نبي بني هاشم ... وهذا نبي بني يعرب
فقد حط عنا فروض الصلوة ... وحط الصيام فلم تتعب

فأقام على ذلك حتى احتالوا على سمه فسموه فمات لا رحمه الله .

ثم قام من بعده محمد بن علي وأعطى لأصحابه الاموال ، فلما علم المسلمون ذلك تكاتبوا وتراسلوا في حرب هذا محمد وساروا الى الامير أسعد بن يعفر الحوالي ، منهم عبد الله بن أبي ثرمة السكسكي وابن الهرامس ، وزياد بن محمد وعبد الله بن يحيى بن أبي الغارات الجندي ، وأحمد بن محمد بن اسماعيل الزبيدي

ويزيد بن موسى البكري الكلاعي ونظرائهم ، وجمع كل من عشيرته ما اقتدر عليه، وسار الامير الحوالي لحرب هذا محمد بن علي بالمذيخرة فظفر به ، وكان ذلك في سنة أربع وثلاثمائة ، وقتل أصحابه وأخذ أمواله وسبى حريمه وفيهن أختين، وأسروا عدة من أصحابه ، فوهب الامير أسعد احدى أختيه لابن أخيه قحطان والاخرى لابن أخيه خطاب بن عبد الرحيم ، ثم مضى بهذا محمد وأصحابه القرامطة الى صنعاء موكبا فحبسهم وأمر بهم بعد ذلك ، وقتلوا وأخذت رؤوسهم وطليت بالصبر وجعلها في صناديق ، ومضى هذا وأمر بها الى أمير مكة حرسها الله تعالى فنصبت بمنى يوم التروية ، ثم نصبت بعرفات يوم عرفة ، ثم نصبت على باب المعلاة وباب المسفلة بمكة حرسها الله تعالى وقطع دابرهم، وأظهر فسقهم وقرمطتهم فتحابى أهل العقول مذمتهم وعرفوا باطن مقالتهم وأنها الكفر الصراح ألبسوها بالاسلام ، والكتمان والترحم على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو بضد ذلك، فمن استتم على كتمان بدعتهم سموه مؤمنا ، ومن رجع الى الاسلام سموه منافقا جنبا لا ترفع جنابته الا بالعود اليهم وتجديد العهود المؤكدة ، ومن تظاهر في الذي أباحوه وانتهاك المحارم سموه قرمطيا ، وسبوه أقبح سب ، وإن كانت قرمطتهم ثابتة لكنها مكتومة والله تعالى مجازيهم بما اخترعوه ولبسوه على ضعفاء العقول .

قال صاحب الكتاب أيده الله : ومن جملة دعاتهم الذين أظهروا مكتومهم واستحلوا ماحذره الاسلام عليهم، وبانت قرمطتهم ، رجل يقال له ذو الشامة[1]،خرج بالشام وكانت أنصاره كلب بن وبرة ، فغلب على دمشق وعاث في الشام فقتل ، وكان داعيا ، ثم قام بعده أخ له فكان أعظم منه بطشا وقتل الرجال وأخذ الاموال ودعا الى نفسه بالامامة فخرج له المكتفي بالله فأسره وقوما من أصحابه فقتلوا ببغداد صبرا وأحرقوه ، ثم قام أيضا داع منهم يقال له زكرويه بن مهرويه ، فعاث بالمسلمين وقتل وسبى وأظهر المنكرات وأحل المحرمات فقتله أيضا المكتفي بالله ، ومن جملة دعاتهم المظهر لقرمطتهم أبو سعيد الحسن بن بهرام الجنابي ، قام بحقوق دعوتهم وانتهج طريق التشيع ، فكان أنصاره من ناحية رجال البحرين من الازد ، وتنوخ ،

(١) وهم المصنف فالذي خرج اولا صاحب الجمل ثم خلفه اخوه صاحب الخال .

فأظهر ما كتموه من اباحة المحرمات ، فملك البحرين واليمامة[1] وفتح الفلج[2] وقتل آل أبي سمرة ورجال عبد القيس وبكرو عقيل ، وضرب أعناق بشر كثير غير مسن سمروه بالجدر ، والخشب ، ممن اقتدر عليه ، وهم أحياء بالمسامير ، فأقام على ذلك الى أن قتله غلامان غيلة وهو في الخلاء ، فأقام بعده ابنه أبو طاهر ، لا طهر الله قلبه، ولا غفر ذنبه ، يدين بدين أبيه وزندقته وقرمطته ، وتبعه خلق كثير ، فسام المسلمين بسوم الخسف . وأذاقهم العذاب الاليم ، وأمرهم بترك الصوم والصلاة وأباح لهم ارتكاب المحرمات ، وكان يأمر أحدهم أن يقتل أباه وأخاه وابنه ، بزعمه تقربا الى الله تعالى فيفعلوا ذلك ، ثم يسير بهم كل يوم الى بلد من البلدان فيذبح الاطفال ويقتل الرجال ، ويسبي النسوان ، ويأخذ الاموال ويسترق الاحرار ، ثم سار بهم نحو البصرة فقتلوا أميرها ، وحملوا وقر عشرة آلاف جمل من الامتعة ، وقتلوا بشرا كثيرا ، ثم اعترض الحاج فاعترض قواد المقتدر بالله الذين كانوا معهم ، وكبار بني العباس وبني علي بن أبي طالب رضي الله عنه والقراء والفقهاء وعظماء التجار لا يحصيهم الا الله تعالى وأسر ناسا ، وانفلت آخرون فماتوا في سائر الفلوات ، ظمئا وجوعا ، وسبى كل امرأة وجدها من المحصنات اللائي خرجن لأداء الحج والزيارة ، وغنم أموالا عظيمة وأخذ شمسة البيت الحرام فلم يحج تلك السنة أحد ، ثم خرج الحاج في السنة الثانية من جميع البلدان في العدد العظيم والقوة القوية ، فاعترضهم أيضا ، وقتل رجالهم وسبى نساءهم وغنم أموالهم ، فبعث المقتدر بالله جيشا عظيما كثيفا الى الكوفة ، فلما سمع أبو طاهر بمضيهم تلقاهم بمن معه اليها ، فتلقتهم تلك الجيوش عن الخندق . فاقتتلوا يومهم ذلك ثم اليوم الثاني فانهزم جيش المقتدر بالله ، ودخل أبو طاهر ومن معه الكوفة من فورهم وغلبوا عليها ، وقتلوا فيها بشرا كثيرا ، وخرج من بقي هاربا على وجهه ، فورد الخبر الى بغداد فخاف منه الناس خوفا شديدا ، وخافوا أن يقصد أبو طاهر بغداد فانزعج الناس انزعاجا شديدا ، وخرج القرامطة من الكوفة بعد أن أقاموا فيها سبعة أيام يعملون المحرمات، وحملوا ما كان فيها من الامتعة ما يجاوز الحد ، ومضوا الى مستقرهم من البحرين ، وشاع

---

(١) اليمامة وهو بلد كبير فيه حصون وعيون ونخل في شبه جزيرة العرب ــ معجم البلدان .

(٢) الفلج بفتح اوله وثانيه مدينة بأرض اليمامة لبني جعدة ــ معجم البلدان .

الخبر الى البلدان فلم يجسر أحد أن يحج في السنة الثانية خوفا منهم ، ثم سار عدو الله قاصدا نحو العراق من البحرين بخلق كثير والاثقال ، وزعموا أن من كان معه في تلك الرحلة أربعون ألف جمل ، منها ستون تحمل المال والباقي الاثقال ، وكانت في سنة خمسة عشر وثلاثمائة ، فورد الخبر الى بغداد أنــه قاصد لهم ، فانصرفوا انصرافا شديدا ، فكتب المقتدر بالله الى بعض قواده بواسط أن يتقدم بالجيش الى الكوفة ، فتقدم في أربعة وعشرين ألفا ومائتين فارس وراجل فتلقاهم القرمطي بخيله ورجله ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فانهزم جيش الخليفة ، وقتلوا القائد وأخذوا ما كان في العسكر ، فقويت شوكتهم ، في ذلك فلم يزل عدو الله يقود الجيوش بتلك البلاد، حتى أباد أهلها ودخل الانبار ، وهيت[1] ، والرحبة[2] ، وغير ذلك ، وهدم المساجد حيث كانت ، وانقطع الحاج من خوفه سبع سنين .

ثم قصد مكة في أيام الحج في جموعه فأتى وادي الأبطح غداة يوم السابع من ذي الحجة ، فالتقى هو وأهل مكة في الأبطح ، واصطفوا للقتال وما كانت الا ساعة حتى انهزم المكيون ، وهرب أميرهم وقتل منهم خلق كثير ، وهرب الباقون علــى وجوههم ، وضرب أبو طاهر قبابه بالأبطح ، ودخل طائفة من أصحابه مكة ، فقصدوا المسجد الحرام فقتلوا من وجدوا فيه من الناس ، وسبوا النساء والصبيان ، وأخذوا الامتعة والاموال ، وجاء قوم الى المسجد الحرام فدخلوا عليهم ، فقتلوهم وكان عدد من قتل في المسجد ، ألفي رجل وفي سائر المدينة نحو عشرة آلاف ، وأقاموا بالأبطح ومكة خاوية ، وهم لعنهم الله تعالى يدخلونها فيقتلون ما فيها ، فلما فرغوا من ذلك دخلوا المسجد الحرام وفتحوا الكعبة واقتلعوا جميع ما فيها من الذهب والفضــة والمحاريب المذهبة التي كانت أحدثت فيها في أيام المقتدر ، والمنطقة الفضة المنقوشة التي كانت ضربت عليها، واقتلعوا بابي الكعبة فأخذوا ماعليها من صفائح الذهب، ثم عادوا الى الحجر الاسود فاقتلعوه بالمناقير ، وارتحلوا من مكة وساقوا معهم جميع ما أخذوه منها بعد أن كان مكثهم بها ثمانية أيام ، ثم تراجع من سلم من الناس الى مكة بعد رحيل القرامطة لعنهم الله ، فنظروا منظرا قبيحا وأمرا فظيعا ودخلوا المسجد

---

(١) هيت بلدة على الفرات فوق الانبار .

(٢) بلدة بقاياها على الفرات على مقربة من بلدة الميادين السورية .

الحرام فوجدوا القتلى فيه مصرعين في موضع الطواف والحجر ، وفي سائر المسجد قد انتفخوا وجيفوا ، فاجتمع رأي من حضر من الناس على أن يحفروا لهم خندقا عميقا بالمسجد ، ويجروا القتلى فيطرحوهم فيه ، ويضعوا التراب عليهم رضي الله عنهم ، وأخرجوا من سقط في بئر زمزم ونزحت حتى صفا ماؤها ، وغسلوا جوانبها، وغسلوا الدماء من جدار الكعبة والحجر وغير ذلك ، وبقي موضع الحجر الاسود مجوفا لا شيء فيه يتمسح الناس بداخله لا غير ، فأقاموا على ذلك الى أن استنقذ الخليفة الحجر ، بخمسين آلف مثقال وأعاده حيث كان ، وأقامت القرامطة مصرين على كفرهم متظاهرين بفسقهم الى أن أبادهم الله بالموت والقتل بأخبار يطول شرحها، فهذا أيدك الله بعض حكايات دعاة أهل هذه المقالة الذين أظهروا ما ندبوا الناس الى كتمه وأخذوا العهود المؤكدة عليه ، ليقع عند كل عاقل موفق أن الذي أبطنوه هو الذي أظهروه ، فتجانب محالهم ولا تغتر بما زخرفوه ولبسوه على ضعفاء العقول من كتم بدعتهم واحتجاجهم، انه الدين القويم، والصراط المستقيم وما كتموه الا لشرفه، فلا يبلغ اليــه الا الخواص الموفقون والمؤمنون المخلصون ، وايم الله لقــد كذبوا وما كتموه الا من قبحه ، ولا أخذوا عليه العهود الا من شهر له ، ولقد سعد مــن جانبهم وغوى من خالطهم ، فرحم الله امرأ وفق وحليما سدد ، والله المستعان على ما يصفون .



كتـــاب

كشف اسرار الباطنية وأخبار القرامطة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال محمد بن مالك ــ رحمة الله عليه : اعلموا أيها الناس المسلمون ــ عصمكم الله بالاسلام ، وجنبنا واياكم طرق الاثام ، وأصلحكم وأرشدكم ووفقكم لمرضاته ، وسددكم ــ اني كنت أسمع ما يقال عن هذا الرجل الصليحي[1] كما تسمعون ، وما يتكلم به عليه من سيء الاذاعة، وقبح الشناعة فاذا قال القائل : هو يفعل ويصنع، قلت : أنت تشهد عليه غدا ؟ فيقول ما شهدت ولا عاينت ، بل أقول كما يقول الناس، فكنت أتعجب من هذا أولا ، ولا أكاد أصدق ولا أكذب ما قد أجمع عليه الناس ، ونطقت به الألسن ، فتارة أقول هذا ما لا يفعله أحد من العرب والعجم ، ولا سمع به فيما تقدم في سالف الامم ، انما هذه عداوة له من الناس للمآل الذي بلغه من غير أصل ولا أساس[2] ، وكنت كثيرا ما أسمعه يقول : « حكم الله لنا على من يظلمنا ويرمينا بما ليس فينا » .

فرأيت أن أدخل في مذهبه لأتيقن صدق ما قيل فيه من كذبه ولأطلع على سرائره وكتبه ، فلما تصفحت جميع ما فيها وعرفت معانيها رأيت أن أبرهن على ذلك ليعلم المسلمون عمدة مقالته ، وأكشف لهم عن كفره وضلالته، نصيحة لله وللمسلمين، وتحذيرا ممن يحاول بغض هذا الدين ، والله موهن كيد الكافرين .

فأول ما أشهد به وأشرحه ، وأبينه للمسلمين ، وأوضحه أن له نوابا يسميهم : الدعاة المأذونين ، وآخرين يلقبهم المكلبين، تشبيها لهم بكلاب الصيد، لأنهم ينصبون للناس الحبائل ويكيدونهم بالغوائل ، وينقبضون عن كل عاقل ، ويلبسون على كل

(١) هو ابو الحسن علي بن محمد الصليحي ، أصله من أحواز صنعاء ، خرج سنة ٤٣٩ هـ/١٠٤٨ م فأسس الدولة الصليحية الاسماعيلية ، وظل يحكمها حتى سنة مقتله ٤٥٩ هـ/١٠٦٨ م .

(٢) بدأ الصليحي حياته دليلا للحاج على طريق جبال السراة ، واستمر على ذلك مدة خمس عشرة سنة . انظر تاريخ اليمن لعمارة بن علي : ٨٥ ــ ١٣٦ .

جاهل ، بكلمة حق يراد بها الباطل يحضونه على شرائع الاسلام من الصلاة والصيام والزكاة ، كالذي ينثر الحب للطير ليقع في شركه ، فيقيم أكثر من سنة يمنعون به ، وينظرون صبره ، ويتصفحون أمره ، ويخدعونه بروايات عن النبي ﷺ محرفة ، وأقوال مزخرفة ، ويتلون عليه القرآن على غير وجهه ، ويحرفون الكلم عن مواضعه فاذا رأوا منه الانهماك والركون والقبول والاعجاب بجميع ما يعلمونه ، والانقياد بما يأمرونه ، قالوا حينئذ : اكشف عن السرائر ولا ترض لنفسك ، ولا تقنع بما قد قنع به العوام من الظواهر ، وتدبر القرآن ورموزه واعرف مثله وممثوله ، واعرف معاني الصلاة والطهارة ، وما روي عن النبي ﷺ ، بالرموز والاشارة دون التصريح في ذلك في العبارة ، فانما جميع ما عليه الناس أمثال مضروبة لممثولات محجوبة : فاعرف الصلاة وما فيها ، وقف على باطنها ومعانيها ، فان العمل بغير علم ، لا ينتفع به صاحبه ، فيقول : عم اسأل ؟ فيقول قال الله تعالى : « أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة »[1] فالزكاة مفروضة في كل عام مرة ، وكذلك من صلاها مرة في السنة فقد أقام الصلاة بغير تكرار ، وأيضا فالصلاة والزكاة لهما باطن ، لأن الصلاة صلاتان ، والزكاة زكاتان ، والصوم صومان والحج حجان ، وما خلق الله سبحانه من ظاهر الا وله باطن يدل على ذلك « وذروا ظاهر الاثم وباطنه »[2] و « قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن »[3] ألا ترى أن البيضة لها ظاهر وباطن ، فالظاهر ما تساوى به الناس ، وعرفه الخاص والعام ، وأما الباطن فقصر علم الناس عن العلم به ؟ فلا يعرفه الا القليل ومن ذلك قوله : « وما آمن معه إلا قليل[4] » وقوله « وقليل ما هم »[5] وقوله « وقليل من عبادي الشكور[6] » فالاقل من الأكثر الذين

والصلاة والزكاة سبعة أحرف ، دليل على محمد وعلي صلى الله عليهما لأنهما سبعة أحرف ، فالمعنى بالصلاة والزكاة ولاية محمد وعلي ، فمن تولاهما فقد أقام

(١) في اكثر من سورة ، انظر مثلا البقرة : ٤٣ .
(٢) سورة الانعام : ١٢٠ .
(٣) سورة الاعراف : ٣٣ .
(٤) سورة هود : ٤٠ .
(٥) سورة ص : ٢٤ .
(٦) سورة سبا : ١٣

الصلاة وآتى الزكاة ، فيوهمون على من لا يعرف لزوم الشريعة والقرآن ، وسنن النبي ﷺ ، فيقع هذا من ذلك المخدوع ، بموقع الاتفاق والموافقة ، لأنـه مذهب الراحة والاباحة ، يريحهم مما تلزمهم الشرائع من طاعة الله ، ويبيح لهم ما حظر عايهم من محارم الله ، فاذا قبل منهم ذلك المغرور هذا ، قالوا له : قرب قربانا يكون لك سلما ونجوى ونسأل لك مولانا يحط عنك الصلاة ، ويضع عنك في هـذا الأصر فيدفع اثني عشر دينارا ، فيقول ذلك الداعي : يا مولانا ان عبدك فلان قـد عرف الصلاة ومعانيها ، فاطرح عنه الصلاة ، وضع عنه هذا الأصر وهذه نجواه اثنا عشر دينارا ، فيقول اشهدوا أني قد وضعت عنه الصلاة ويقرأ له « ويضع عنهم أصرهم والاغلال التي كانت عليهم »[1] ، فعند ذلك يقبل اليه أهل هذه الدعوة يهنئونـه ، ويقولون الحمد لله الذي وضع « عنك وزرك • الذي أنقض ظهرك[2] » ثم يقول له ذلك الداعي الملعون ، بعد مدة : قد عرفت الصلاة ، وهي أول درجة ، وأنا أرجو أن يبلغك الله الى أعلى الدرجات ، فاسأل وابحث ، فيقول : عم اسأل ؟ فيقول له سل عن الخمر ، والميسر الذي نهى الله تعالى عنهما : أبو بكر ، وعمر لمخالفتهما على علي وأخذهما الخلافة دونه ، فأما ما يعمل من العنب والزبيب والحنطة ، وغير ذلك فليس بحرام ، لأنه مما أنبتت الارض ، ويتلو عليه « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق[3] الى آخر الاية •

ويتلو عليه « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا[4] الى آخر الاية، والصوم : الكتمان، فيتلو عليه « فمن شهد منكم الشهر فليصمه[5]» يريد كتمان الائمة في وقت استتارهم خوفا من الظالمين ويتلو عايه « انـي نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا[6] » فلو كان عني بالصيام ترك الطعام لقـال : فلن أطعم اليوم شيئا ، فدل على أن الصيام الصمت •

(1) سورة الاعراف : ١٥٧ •
(2) سورة الشرح : ٢ ــ ٣ •
(3) سورة الاعراف : ٣٢ •
(4) سورة المائدة : ٩٣ •
(5) سورة البقرة : ١٨٥ •
(6) سورة مريم : ٢٦ •

فحينئذ يزداد ذلك المخدوع طغيانا وكفرا ، وينهمك الى قول ذلـك الداعي الملعون ، لأنه أتاه بما يوافق هواه ، والنفس أمارة بالسوء •

ثم يقول له ادفع النجوى ، تكون لك سلما ووسيلة حتى نسأل مولانا يضع عنك الصوم ، فيدفع اثني عشر دينارا فيمضي به اليه ، فيقول يامولانا ، عبدك فلان قد عرف معنى الصوم على الحقيقة ، فأبح له الاكل برمضان ، فيقول له : قد وثقته وأمنته على سرائرنا ؟ فيقول له : نعم ، فيقول : قد وضعت عنه ذلك مدة فيأتيه ذلك الداعي الملعون فيقول له : قد عرفت ثلاث درجات ، فاعرف الطهارة ما هي ، ومعنى الجنابة ما هي في التأويل ، فيقول : فسر لي في ذلك ، فيقول له : اعلم أن معنـى الطهارة طهارة القلب ، وأن المؤمن طاهر بذاته، والكافر نجس لا يطهره الماء ولا غيره، وأن الجنابة هي موالاة الاضداد ، أضداد الانبياء والائمة ، فأما المني فليس بنجس، منه خلق الله الانبياء والاولياء وأهل طاعته ، وكيف يكون نجسا ، وهو مبدأ خلق الانسان وعليه يكون أساس البنيان ، فلو كان التطهير منه ، من أمر الدين ،لكان الغسل من الغائط والبول أوجب ، لأنهما نجسان ، وانما معنى « وان كنتم جنبـا فاطهروا »[1] ، معناه فان كنتم جهلة بالعلم الباطن فتعلموا واعرفوا العلم الذي هـو حياة الارواح ، كالماء الذي هو حياة الابدان قال الله تعالى « وجعلنا من الماء كل شيء حي[2] » • وقوله « فلينظر الانسان مم خلق • خلق من ماء دافق[3] » فلما سماه الله بهذا دل على طهارته ، ويوهمون ذلك المخدوع بهذه المقالة ، ثم يأمره ذلك الداعي أن يدفع اثني عشر دينارا ، ويقول : يا مولانا عبدك فلان قد عرف معنى الطهارة حقيقة، وهذا قربانه اليك، فيقول : اشهدوا أني قد حللت له ترك الغسل من الجنابة•

ثم يقيم مدة فيقول له هذا الداعي الملعون : قد عرفت أربع درجات وبقي عليك الخامسة ، فاكشف عنها ، فانها منتهى أمرك ، وغاية سعادتك ويتلو عليه « فلا تعلم

---

(١) سورة المائدة : ٦ •

(٢) سورة الانبياء : ٣ •

(٣) سورة الطارق : ٥ ــ ٦ •

نفس ما أخفي لهم من قرة أعين[1] » فيقول له : ألهمني اياها ، ودلني عليها فيتلو عليه « لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد[2] » ، ثم يقول له : أتحب أن تدخل الجنة في الحياة الدنيا ؟ فيقول : وكيف لي بذلك ؟ فيتلو عليه « وان لنا للاخرة والاولى »[3] ، ويتلو عليه « قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة»[4] والزينة هاهنا ما خفي على الناس من أسرار النساء التي لايطلع عليها الاالمخصوصون بذلك،وذلك قوله«ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن[5]»،والزينة مستورة غير مشهورة ثم يتلو عليه « وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون[6] » ، فمن لم ينل الجنة في الدنيا ، لم ينلها في الاخرة ، لأن الجنة مخصوص بها ذوو الالباب ، وأهل العقول دون الجهال ، لأن المستجن من الاشياء ما خفي ، ولذلك سميت الجنة جنة لأنها مستجنة، وسميت الجن جنا لاختفائهم عن الناس، والمجنة المقبرة لأنها تستر من فيها، والترس المجن لأنه يستتر به ، فالجنة ها هنا ما استتر عن هذا الخلق المنكوس ، الذين لا علم لهم ولا عقول ، فحينئذ يزداد هذا المخدوع انهماكا ، ويقول لذلك الداعي الملعون : تلطف في حالي ، وبلغني الى ما شوقتني اليه ، فيقول ادفع النجوى اثني عشر دينارا تكون لك قربانا وسلما ، فيمضي به فيقول : يا مولانا ان عبدك فلان قد صحت سريرته ، وصفت خبرته ، وهو يريد أن تدخله الجنة ، وتبلغه حد الاحكام وتزوجه الحور العين ، فيقول له : قد وثقته وأمنته ؟ فيقول يا مولانا قد وثقته وأمنته وخبرته فوجدته على الحق صابرا ولأنعمك شاكرا فيقول علمنا صعب مستصعب ، لا يحمله الا نبي مرسل ، أو ملك مقرب أو عبد امتحن الله قلبه بالايمان فاذا صح عندك حاله ، فاذهب به الى زوجتك ، فاجمع بينه وبينها ، فيقول سمعًا وطاعة لله ولمولانا ، فيمضي به الى بيته ، فيبيت مع زوجته ، حتى اذا كان الصباح ، قرع عليهما الباب ، وقال : قوما قبل أن يعلم بنا هذا الخلق المنكوس ، فيشكره ذلك المخدوع،

---

(١) سورة السجدة : ١٧ .

(٢) سورة ق : ٢٢ .

(٣) سورة الليل : ١٣ .

(٤) سورة الاعراف : ٣٢ .

(٥) سورة النور : ٣١ .

(٦) سورة الواقعة : ٢٢ .

ويدعو له ، فيقول له : ليس هذا من فضلي ، هذا من فضل مولانا ، فاذا خرج من عنده تسامع به أهل هذه الدعوة الملعونة ، فلا يبقى منهم أحد الا بات مع زوجته ، كما فعل ذلك الداعي الملعون ، ثم يقول له : لا بد لك أن تشهد المشهد الاعظم عند مولانا ، فادفع قربانك ، فيدفع اثني عشر دينارا ، ويصل به ويقول يا مولانا ، ان عبدك فلان يريد أن يشهد المشهد الاعظم ، وهذا قربانه ، حتى اذا جن الليل ودارت الكؤوس ، وحميت الرؤوس وطابت النفوس، أحضر جميع أهل هذه الدعوة الملعونة حريمهم ، فيدخلن عليهم من كل باب ، وأطفأوا السرج والشموع ، وأخذ كل واحد منهم ما وقع عليه في يده ، ثم يأمر المقتدي زوجته أن تفعل كفعل الداعي الملعون ، وجميع المستجيبين ، فيشكره ذلك المخدوع على ما فعل له فيقول : ليس هذا من فضلي ، هذا من فضل مولانا أمير المؤمنين فاشكروه ولا تكفروه ، على ما أطلق من وثاقكم ووضع عنكم أوزاركم ، وحط عنكم آصاركم ووضع عنكم أثقالكم ، وأحل لكم بعض الذي حرم عليكم جهالكم « وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم[1] » .

قال محمد بن مالك رحمه الله تعالى : هذا ما اطلعت عليه من كفرهم وضلالتهم، والله تعالى لهم بالمرصاد ، والله تعالى علي شهيد بجميع ما ذكرته ، مما اطلعت عليه من فعلهم وكفرهم وجهلهم ، والله يشهد عليّ بجميع ما ذكرته ، عالم به ومن تكلم عليهم بباطل فعليه لعنة الله ، ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين ، وأخزى الله من كذب عليهم بباطل له جهنم وساءت مصيرا ، ومن حكى عنهم بغير ما هم عليه فهو يخرج من حول الله وقوته الى حول الشيطان وقوته ، فأديت هذه النصيحة الى المسلمين حسب ما أوجبه الله علي من حفظ هذه الشهادة ، فان الله سبحانه أمر بحفظ الشهادة ، ومراعاتها وأدائها الى من يسمعها ، قال الله سبحانه وتعالى : « ستكتب شهادتهم ويسئلون[2] » ، والله أسأله أن يتوفانا مسلمين ، ولا ينزع عنا الاسلام بعد اذ آتانا الله بمنه ورحمته .

---

(١) سورة فصلت : ٣٥ .

(٢) سورة الزخرف : ١٩ .

المقالة في أصل هذه الدعوة الملعونة ومبدئها :

وقد رأيت أيها الناس ــ وفقنا الله واياكم للصواب ، وجنبنا واياكم طرق الكفر والارتياب ــ أن أذكر أصل هذه الدعوة الملعونة ، لئلا يميل الى مذهبهم مائل ، ولا يصبو الى مقالتهم لبيب عاقل ، ويكون في هذا القدر من الكلام في هذا الكتاب انذارا لمن نظره ، وأعذارا لمن وقف عليه واعتبره .

باب : اعلموا يا أخواني في الاسلام أن لكل شيء من أسباب الخير والشر والنفع والضر والداء أصولا ، وللاصول فروعا وأصل هذه الدعوة الملعونة التي استهوى به الشيطان أهل الكفر والشقوة ظهور « عبد الله بن ميمون القداح » في الكوفة ، وما كان له من الاخبار المعروفة والمنكرات المشهورة الموصوفة ، ودخوله في طريق الفلسفة واستعماله الكتب المزخرفة وتمشيته اياها على الطغام ، ومكيدته لأهل الاسلام .

وكان ظهوره في سنة ست وسبعين ومائتين ، من التاريخ للهجرة النبوية، فنصب للمسلمين الحبائل وبغى لهم في الغوائل ولبس الحق بالباطل « ومكر أولئك هو يبور[1] » ، وجعل لكل آية من كتاب الله تفسيرا ولكل حديث عن رسول الله ﷺ تأويلا وزخرف الاقوال ، وضرب الامثال ، وجعل لآي القرآن شكلا يوازيه يضاهيه، وكان الملعون عارفا بالنجوم،معطلا لجميع العلوم« يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون »[2] ، فجعل أصل دعوته التي دعاها ، وأساس بنيته التي بناها الدعاء الى الله والى رسوله، ويحتج بكتاب الله ومعرفة مثله وممثوله، والاختصاص لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بالتقديم والامامة ، والطعن على جميع الصحابة بالسب والاذى وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لعن الله من سب أصحابي » ، وقال عليه السلام « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » وقال ﷺ « من سب أصحابي فقد سبني ومن سبني فقد سب الله ومن سب الله كبه الله على وجهه في النار[3] » فأفسد بتمويهه قلوب الجهال ، وزين لهم الكفر والضلال ، وله شرح يطول فيه الخطاب ، غير أني أختصر ، وفيما أشرحه كفاية واعتبار لأولي الالباب والابصار .

---

(1) سورة فاطر : ١٠ .
(2) سورة الصف : ٨ .
(3) انظر سنن أبي داود ــ ط. دار احياء السنة النبوية : ٤/١٢٩ ، ٢١٤ ــ ٢١٥ .

وكان هذا الملعون يعتقد اليهودية ، ويظهر الاسلام ، وهو من اليهود من ولد الشلعلع من مدينة بالشام يقال لها سلمية[1] ، وكان من أحبار اليهود ، وأهل الفلسفة الذين عرفوا جميع المذاهب ، وكان صائغا يخدم اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، وكان حريصا على هدم الشريعة المحمدية لما ركب الله في اليهود من عداوة للاسلام وأهله ، والبغضاء لرسول الله ﷺ ، فلم ير وجها يدخل به على الناس ، حتى يردهم عن الاسلام ، ألطف من دعوته الى أهل بيت رسول الله ﷺ ، وكان قد خرج في أيام قرمط البقار ، وكان اسمه أو لقبه لأنه كان يقرمط في سيره اذا مشى ، ولذلك نسب أهل مذهبه ومذهب ابن ميمون الى قرمط ، لأنهما اجتمعا وعملا ناموسا يدعوان اليه ، وكانا يعرفان النجوم ، وأحكام الأزمان فدلهما الوقت على تأسيس ما عملاه ، فخرج ميمون الى الكوفة ، وأقام بها مدة ، وله أخبار يطول شرحها ، مما كان منه ومن علي بن فضل ، والمنصور صاحب مسور ، وأبي سعيد الجنابي، وأنا أشرح ذلك عند انتهائي اليه ان شاء الله تعالى ـ وأما قرمط البقار فانه خرج الى بغداد ، فقتل هنالك لا رحمه الله .

باب ذكر ما كان من القداح وعقبه لعنه الله ومن تعلق بسببه ودخل في ضلالته ومذهبه :

وكان أول أولاده عبيد[2] وهو المهدي ثم « محمد » وهو القائم[3] ، ثم اسماعيل المنصور[4]، ثم «المعز»[5] ثم «العزيز»[6]، ثم «الحاكم»[7] ثم «الظاهر»[8]

(١) معروفة الى الشرق من حماة بينهما ٢٣ كم ، وكانت وما تزال تتمتع بموقع ممتاز ، فهي بالاضافة لخصبها وثيقة الصلة بالبادية واهلها ، ووقع اختيار الدعوة الاسماعيلية عليها لهذه المزايا .

(٢) كذا ، وهو خطأ ، وصوابه عبد الله ، وهذه مسالة سنعود لها فيما بعد في ترجمة علي بن الفضل .

(٣) ٣٢٢ هـ/٩٣٤ م ـ ٣٣٤ هـ/٩٤٦ م .

(٤) ٣٣٤ هـ/٩٤٦ م ـ ٣٤١ هـ/٩٥٣ م .

(٥) ٣٤١ هـ/٩٥٣ م ـ ٣٦٥ هـ/٩٧٥ م .

(٦) ٣٦٥ هـ/٩٧٥ م ـ ٣٨٦ هـ/٩٩٦ م .

(٧) ٣٨٦ هـ/٩٩٦ م ـ ٤١١ هـ/١٠٢١ م .

(٨) ٤١١ هـ/١٠٢١ م ـ ٤٢٧ هـ/١٠٣٦ م

ثم « معد المستنصر »[1] هؤلاء الذين ينسبون اليه الى عصرنا هذا ، فانتسبوا الى ولد الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وانتحالهم اليه انتحال كاذب وليس لهم في ذلك برهان وأهل الشرف ينكرون ذلك فانهم لم يجدوا لهم في الشرف أصلا مذكورا ، ولا عرفوا لهم في كتاب الشجرة نسبا مشهورا ، بل الكل يقصيهم عن الشرف وينفيهم عن النسب الا من دخل معهم في كفرهم وضلالتهم فانه يشهد لهم الزور ويساعدهم في جميع الامور،وقد زعموا أنهم من ولد محمدبن اسماعيل بن جعفر الصادق وحاشى لله ماكان لمحمد بن اسماعيل من ولد ولا عرف ذلك من الناس أحد بل هم « كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض مالها من قرار »[2] .

الدليل على ذلك وعلى بطلان ما ذكروه أنهم يقولون معدا المستنصر بن الظاهر ابن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي وهو عبيد[3] بن ميمون ، ثم يقولون ابن الائمة المستورين من ولد اسماعيل بن جعفر الصادق ، فاذا سألهم سائل عن هؤلاء المستورين[4] حادوا عن الجواب وكان للسائل لهم الارتياب، وقالوا : هم أئمة قهروا فتستروا ولم يؤمروا باظهارهم ولا ذكرهم لأحد ، وهذا من أعظم الشواهد على بطلان ما ذكروه وانتسبوا اليه .

والدليل على أنهم من ولد اليهود ، استعمالهم اليهود في الوزارة والرئاسة وتفويضهم اليهم تدبير السياسة،ما زالوا يحكمون اليهود في دماء المسلمين وأموالهم، وذلك مشهور عنهم يشهد بذلك كل أحد .

باب خروج ميمون القداح من سلمية الى الكوفة :

وقد ولد له عبيد وهو الذي يسمونه عبيد الله المهدي ، فأقاما بالكوفة مدة طويلة حتى تهيأ لهما ما كانا يطلبان ، والى أن أجابهما الى ذلك تسعة رهط، يفسدون

---

(١) ٤٢٧ هـ/١٠٣٦ م — ٤٨ هـ/١٠٩٤ م ، وهذا دليل على أن الكتاب صنف في عصر المستنصر .

(٢) سورة ابراهيم : ٢٦ .

(٣) كذا ، وهو مخالف لجميع المصادر على تباين رواياتها ومواقفها . انظر اصول الاسماعيلية : ١٣٣ — ١٥٦ .

(٤) المصادر الاسماعيلية غير متفقة على سلسلة الائمة المستوردين ، انظر اصول الاسماعيلية : ١١٥ — ١٣٣ .

في الارض ولا يصلحون منهم علـي بن فضل الجدني اليماني ، وأبو القاسم بـن زاذان الكوفي المسمى المنصور عند كونه في اليمن في مسور ، وأبو سعيد الجنابي صاحب الاحساء والبحرين ، وأبو عبد الله الشيعي صاحب كتامة في الغرب ، والحسن ابن مهران المسمي بالمقنع الخارج فيما وراء النهر من خراسان ، ومحمد بن زكريـا الخارج في الكوفة، ولابد أن أذكر أصح خبر كل واحد منهم مختصراً ان شاء الله تعالى .

باب ذكر ابي سعيد الجنابي لعنه الله :

كان فيلسوفا ملعونا ملك البحرين واليمامة والاحساء وادعي فيها أنه المهدي القائم بدين الله فاستفتح[1] ... ودخل مكة وقتل الناس في المسجد الحرام ، ومنع الناس من الحج واقتلع الركن وراح به الى الاحساء وقال في ذلك شعرا :

ولـو كـان هـذا البيت لله ربنـا ... لصب علينـا النـار من فوقنا صبا
لأنـا حججنـا حجـة جاهليـة ... مجللـة لـم نبق شرقـا ولا غربـا
وانـا تركنا بـين زمـزم والصفـا ... جنائـز لا تبغي سوى ربهـا ربـا

وله لعنه الله أشعار بالقدر في ذلك تركتها اختصارا وكان دخوله مكة سنة سبع عشرة وثلاثمائة وقتل فيها ثلاثة عشر ألفا عليه لعنة الله .

باب ذكر الحسن بن مهران المعروف بالمقنع :

خرج فيما وراء النهر وله أخبار شنيعة وكان حكيما فيلسوفا متمكناً ذكروا أنه عمل قمرا بالطلسم يطلع في السنة أربعين ليلة ، ولقد كنت أكذب ذلك حتى صححه لي جماعة من أهل خراسان ، وذكروا أنه بنى حصنا وعمل فيه لولبا ، فكان المسلمون اذا أتوا لقتاله قذفوا بالحجارة ولا يدرون من أين يقذفون ، فمال اليه خلق كثير حتى بعث الله عليهم غلاما حكيما ، فأمر المسلمين أن يحفروا حول الحصن فوقعوا علـى اللوالب فأخرجوها ، ودخلوا عليه فقتلوه وقيل إنه أحرق نفسه قبل دخولهم عليه فأمكن الله سبحانه وتعالى منه[1] .

---

(١) سقط في الاصل حوى اخبار ابي سعيد الجنابي حتى وفاته ، ومطلع اخبار ابي طاهر من بعده حتى دخول مكة انظر ما سبق بيانه في نص ثابت بن سنان وغيره .
(٢) انظر اخباره في تاريخ الطبري : ٨/١٣٥ ـ ١٤٨ .

باب ذكر محمد بن زكريا لعنه الله :

أحسب أن اسمه زكرويه بن مهرويه القرمطي وكان قد خرج بالكوفة فخرج اليه المكتفي أمير المؤمنين من بني العباس فقتله لعنه الله ولا رحمه .

باب ذكر علي بن فضل الجدني لعنه الله(١) :

من ذرية ذي جدن والاجدون من سبأ صهيب ، وأصله من جيشان ، وكان في أوله ينتحل الاثني عشرية ، فخرج للحج ثم زار قبر النبي ﷺ ثم مضى الى الكوفة لزيارة قبر الحسين بن علي رضي الله عنه ، فلما وصل الكوفة وزار قبر الحسين رضي الله تعالى عنه بكى على القبر بكاء شديدا وجعل ينوح ويقول : بأبي أنت يا ابن الزهراء المضرج بالدماء الممنوع من شرب الماء ، وكان ميمون القداح على القبر ، وولده عبيد فلما بصرا به سرهما وطمعا به وعلما أنه ممن يميل اليهما ويدخل في ناموسهما ، فقال ميمون : أيها الشاب ما كنت تفعل لو رأيت صاحب هذا القبر ؟ قال : اذا والله أضع له خدي وأجاهد بين يديه حتى أموت شهيدا فقال له ميمون : أتظن أن الله قطع هذا الامر ؟ قال له علي بن فضل : لا ولكني لا أعلم ذلك ، فهل عندك منه خبر أيها الشيخ ؟ فقال : أخبرك به ان شاء الله ، عند الامكان ، ثم قام ميمون فتعلق به ، فقال ميمون : تقف بهذا المسجد الى غد فوقف أياما فلم يرد له خبرا ، فودع أصحابه ، وقال لهم أما أنا فلا أبرح ها هنا حتى أتنجز وعدا قد وعدته فأخذ له من المؤونة ما يكفيه فوق أربعين يوما وميمون وولده يرمقانه من حيث لا يعلم بهما ، فلما رأى ميمون صبره أعجبه وعلم أنه لا يخالفه في شيء من دعوته والميل الى كفره وضلالته ، فأتاه عبيد فوثب اليه فاعتنقه وقال سبحان الله يا سيدي وعدني الشيخ وعدا فأخلفني ، فقال : لم يخلفك وانما قال:أنا آتيك غدا ان شاء الله، وله في هذا مخرج على ضميره ، ثم جلسا وجرى بينهما الكلام وقال له : يا أخي اعلم أن ذلك الشيخ أبي ، وقد سره ما رأى من صبرك وعلو همتك ، وهو يبلغك محبوبك ان شاء الله ، ثم أخذ بيده فأوصله الى الشيخ ، فلما رآه قال : الحمد لله الذي رزقني رجلا نحريرا مثلك أستعين به على أمري ، وأكشف له مكنون سري ، ثم كشف له أمر مذهبه لعنهما الله فأصغى اليه ، واشرأب قلبه وتلقى كلامه بالقبول ،

---

(١) ستأتي ترجمته مفصلة في آخر هذا الكتاب ، وانظر ايضا ما سبق تقديمه من اخباره في النصوص السابقة .

وقال له علي : والله ان الفرصة ممكنة باليمن ، وان الذي تدعو اليه جائز هنالك ، وناموسا يمشي عليهم ، وذلك لما أعرف فيهم من ضعف الاحلام ، وتشتيت الرأي وقلة المعرفة بأحكام الشريعة المحمدية ، فقال له ميمون أنا موجهك والمنصور الحسن ابن زاذان ، وكان ينسب الى ولد مسلم بن عقيل بن أبي طالب ، وكان أبوه ممن ينتحل مذهب الشيعة الاثني عشرية ، وكان من أهل الكوفة ، فلما دخل ميمون الكوفة ظفر بالحسن بن زاذان وعلم أنه مسعود ، وانه ينال ملكا وشرفا ، وذلك من طريق معرفته بالنجوم والفلسفة ، فجعل ميمون يلطف به ويرفق ، فيكشف له مذاهب الفلسفة ومقالهم ، فلم يزل به حتى قبل منه ، وركن الى قوله وما زال به حتى مال الى معتقده وصار من دعاته الذين يدعون اليه والى ولده ، فعند ذلك قال ميمون : يا أبا القاسم ان الدين يماني ، والحكمة يمانية[1] ، وكل أمر يكون مبدؤه من قبل اليمن فانه يكون ثابتا لثبوت ذلك النجم ، وذلك أن اقليم اليمن أعلى الاقاليم الدنيا، ولا بد من خروجك الى هنالك أنت وأخوك علي بن فضل اليماني ، فسيكون لكما شأن وملك وسلطان في اليمن ، فكونا على أهبة فقال له : الامر اليك يا سيدي ، قال المنصور : فكنت أنا وعلي بن فضل ، وعبيد لا نزال نكثر المذاكرة في مجلس الشيخ، وكان يقول عند تمام الوقت ومضي ستة أدوار من الهجرة المحمدية أبعثكما الى اليمن تدعوان الى ولدي هذا ، فسيكون له ولذريته عز وسلطان ، وأخذ علي ، وعلى علي ابن فضل ، العهود والمواثيق لولده ، فلما كان أوان خروجنا قال لنا ميمون : هذا هو الوقت الذي كنا ننتظر ، فأخرجنا في هذا الموسم ، ثم وجهنا الى اليمن نتظاهر بالحج ، وعهد الينا ، ثم خلا بي وأوصاني بالاستتار حتى أبلغ مرادي ، وقال لي : الله الله بصاحبك ، وقره واعرف له حقه ، ولا تخالفه فيما يراه لك ، أنه أعرف منك وانك ان خالفته لم ترشد .

قال المنصور : فلما صرت في بعض الطريق ، لحقني كمد عظيم لحال الغربة واذا بحاد يحدو ويقول :

يا أيها الحادي المليح الزجر بشر مطاياك بضوء الفجر

تدرك ما أملته من أمر

---

(1) انظر تاريخ صنعاء ـ ط. دمشق ١٩٧٤ : ٦ ـ ٩ .

قال : فلما سمعت ذلك سررت به ، واستبشرت ، فوصلت مكة مع الحاج وذلك في أيام محمد بن يعفر الحوالي[1] ، ثم أقبلنا نسأل عن أخبار اليمن ، فقيل لنا : ان الامير محمد بن يعفر رد المظالم ، واعتزل عن الناس ، ورجع الى التنسك والعبادة ، فقلنا : ولم فعل ذلك ؟ فقيل لنا : انه قيل له ان في هذه السنة يخرج عليه خارجي ، فيكون زوال أمره على يديه ، ويقال انه رد في يوم واحد ألف دينار ، وقام في بني حوال رجل يقال له ابراهيم فقال :

يـا ذا حـوال يا مصابيح الافـق   تداركـوا عزكـم لا ينفتـق
فتطلبون رتـق ما لا ينرتـق   فأيكـم قـام بهـا فقـد سـبق

فقام ولد محمد بن يعفر .

قال محمد بن مالك الحمادي رحمه الله :

فلما خرج علي بن فضل مع الحاج هو والمنصور وصارا في غلافقة[2] افترقا ، وقال كل واحد منهما لصاحبه : أعلمني بأمرك وما يكون منك ، فوصل المنصور الى الجند[3] وصاحب الامر يومئذ جعفر بن ابراهيم المناخي وخرج علي بن فضل الى ناحية جيشان . فأما المنصور فان ميمونا كان قال له : لا يظهر أمرك الا من موضع يقال له « عدن لاعة »[4] فانه أقوى لأمرك وأمضى لناموسك « وانما دله على ذلك الفلسفة وعرف ما سطره في كتبهم من تسمية الاقاليم والبلدان وتقويم الكواكب السبعة » ، فلما صار المنصور الى الجند سأل عن « عدن لاعة » فقالوا : لا نعرف الا « عدن أبين »[5] فدخل « عدن أبين » بتجارة تصلح لعدن ، كما يفعل التجار فأقام أياما فيها يسأل عن « عدن لاعة » مدة مقامه هنالك ، فبصر به شيخ من تجار عدن ،

---

(١) ربما سنة ٢٦٨ انظر رسالة افتتاح الدعوة : ٤٤ . وانظر غاية الاماني في أخبار القطر اليماني ــ ط. القاهرة ١٩٦٨ : ١٦٤/١ ــ ١٦٥ . اعلام الزركلي .

(٢) مدينة على ساحل اليمن مقابل زبيد ، وهي مرسى زبيد ، تعرف الان بغليفقة معجم البلدان .

(٣) من أشهر مدن اليمن الى الجنوب من صنعاء . معجم البلدان .

(٤) هي اليوم أطلال في الشمال الغربي من صنعاء على مسافة ثلاثة أيام منها . تاريخ اليمن لعمارة اليمني : ٦١ ــ ٦٢ .

(٥) عدن الحالية في اليمن الجنوبي .

فأنكره فسأله عن حاله ، فقال : أنا رجل من أهل العراق ، وكنت حاجا في هذه السنة، قال : فهل عندك خبر[1] ؟ قال : لست صاحب أخبار ، وعما تريد أن أخبرك عنه ؟ قال له العدني : هل حدث في الشام حدث ؟ قال : لا علم لي بشيء ، فلم يزل به حتى أعلمه ما في ضميره ، فعاهده المنصور على كتمان سره ، وسأله عن « عدن لاعة »فقال هي معروفة ، ولا يزال أهلها من التجار يصلون الينا ، وأنا أعلمك بهم اذا وصلوا ، ويقال ان هذا العدني جد بني الوزان[2] فاسدي المذهب ، وبنو الوزان الى اليوم رافضة شيع ، فلما وصل التجار من « عدن لاعة » ، ومنغزان[3] فسألهم عن الموضع فأخبروه عنه ، وأنه في ناحية بلادهم ، وهي قرية صغيرة ، [قالوا :] فمن أعلمك بها؟ قال : الناس يسمعون بذكر البلدان ، فلما عزموا على الرحيل تأهب للخروج معهم ، وقال : أنا رجل من أهل العلم ، وقد رغبت بالخروج معكم الى بلدكم ، ففرحوا به وأكرموه وقالوا : مرحبا بك نحن أحوج الى من يبصرنا في أمر ديننا ، ونحن نكفيك المؤونة ، ونحملك ، فأثنى عليهم وشكرهم ، وقال : لا حاجة لي عندكم ، وانما أردت وجه الله تعالى ، فارتحل معهم ، فكان يسامرهم ، ويروي لهم أحسن الاخبار، فأحبوه وأصغوا اليه والى قوله فكانوا يحدقون به اكراما وتبجيلا حتى قدموا « لاعة » ، فادعى الفقه ومذهب السنة والجماعة فتسامع به الناس وأقبلوا اليه من كل ناحية ، وهو مستعمل للورع وحسن السيرة حتى مالت اليه مخاليف المغرب «لاعة، وأقيان[4] وحجة وعزان ، وبلدان البياض[5] » فأمرهم بجمع زكاة أموالهم فاستعمل عليها منهم ثقات وعدولا يقبضون أعشار أموالهم على ما يوجبه الفقه فأقام سنتين بعد قتل « محمد بن يعفر »[6]واختلاف بني حوال فيما بينهم ، فقال لهم : قد رأيت أن تبنوا موضعا منيعا يكون لبيت مال المسلمين ، فعزموا على ذلك ولم يخالفوه فيما أمرهم

---

(١) في رسالة افتتاح الدعوة : ٤٤ « معك من علم آل محمد شيء » .
(٢) في رسالة افتتاح الدعوة : ٤٤ « بنو موسى » .
(٣) انظر تاريخ اليمن لعمارة : ٨٧ ــ ٨٨ . معجم البلدان ــ مادة مزان ــ
(٤) قرية كان بها ملك بني حوال ــ صفة الجزيرة : ٢٣١ ، وقد صحف الاسم في الاصل ، ولعل وجه الصواب ما اثبتنا .
(٥) معظم هذه البلدان ما تزال معروفة بذات الاسماء في منطقة حجة . انظر صفة الجزيرة : ٢٣١ ــ ٢٣٤ .
(٦) انظر الاكليل للهمداني : ١/١٧٧ ــ ١٨٦ من ط القاهرة : ١٣٨٦ هـ .

به فأجمعوا على بناء موضع يقال له « عثر محرم »[1] وهو جبل تحت مسور[2] وهو موضع بني العرجاء قوم من سلاطين ـ المغرب ـ همدان، فلما بنى الجبل، وحصنه، حمل اليه كل ما يحتاج اليه بعد أن ساعده الى ارادته خمسمائة رجل ، وأخذ عليهم العهود والمواثيق ، ثم انه بعد ذلك ارتكب الحصن هو وأصحابه ونقلوا حريمهم وأموالهم ، وذلك بعد أن أخرج الحوالي عسكرا في جنح الليل الى مواضع كانوا فيه يقال له « الحيفة » في ناحية « لاعـة » فقتل من أصحاب المنصور اثني عشر وارتكب « عثر محرم » بمعاملة لبني العرجاء وأنكر الناس أمره وأضرموا النيران لحربه فكتب اليهم اني ما طلعت هذا الجبل الا لأحصن به نفسي من السلطان ، فلم يقبلوا منه ، وجاءوا اليه فقاتلوه ، وقتل منهم بشرا كثيرا فعظم حينئذ شأنه ، وشاع الى جميع العشائر ذكره ، وبلغ الامير ذلك فكتب الى جميع العشائر حوله يحرضهم على قتاله ، فقاتلوه مرارا وهو ينتصر عليهم ، ثم استنجدوا عليه رجلا من سلاطين شاور يقال له أبو اسماعيل وبالحوالي[3] صاحب صنعاء فأمدوهم بالعساكر الكثيرة فهزمهم وقتل منهم قتلا كثيرا ، فازداد بذلك ذكره وعظم أمره ودخل في طاعته من كان حوله طوعا وكرها ، واستعمل الطبول والرايات وأظهر مذهبه ودعا الى عبيد بن ميمون ، وكان يقول والله ما أخذت هذا الامر بمالي ولا بكثرة رجالي وانما أنا داعي المهدي الذي بشر به ﷺ ، فانهمك اليه عامة الناس ودخلوا في بيعته ومذهبه ثم سمت به همته الى ارتكاب حصن في جبل مسور يقال له «فايز»[4] فيه خمسمائة رجل وأمور للحوالي ، فلم يزل الملعون يتلطف حتى عامل مع عشرين رجلا منهم ، فارتكب الجبل بالليل ، فأصبح في رأسه وقصد من كان في « بيت فايز » ، وفتح له العشرون الذين

---

(١) في الاصل « عبر » وفي غاية الاماني : ١/٢٢٠ « عين » ولم نعثر لاي منهما على ذكر ، فقدرنا انه تصحيف صوابه ما اثبتنا . انظر صفة الجزيرة : ٢٤٨ ـ معجم البلدان . تاريخ ابن المجاور : ١٨٤ . سيرة الهادي الى الحق : ٣٩٤ ـ ٣٨٨ .

(٢) انظره في صفة الجزيرة : ٣٤٩ تاريخ اليمن لعمارة : ٢٣٤ ـ ٢٣٥ . معجم البلدان . تاريخ ابن المجاور : ١٨٣ ـ ١٨٤ .

(٣) اي آل يعفر ، انظر الاكليل : ١٠/ ١٧٩ ـ ١٨٦ غاية الاماني ١/١٦٤ ـ ١٦٥ .

(٤) هو فائس عند الهمداني . صفة الجزيرة : ٢٦٧ ، الاكليل : ٨٢/٢ . وهو يعرف اليوم باسم « فائز » ومخرج حرف السين مقارب لمخرج حرف الزاي كما هو معلوم لذلك يختلف الرسم عند اصحاب المصنفات .

عاملوه، وقال: «ادخلوها بسلام آمنين[1]»، فقال المنصور: اخرجوا منها فانا داخلون، وسأله صاحب الحصن الامان على نفسه ومن معه، فأمنهم، فلما رأى المنصور صاحب الحصن مقبلا نزل عن دابته ومشى اليه واعتنقه فزال عنه الرعب، وقال له: ان معي مالا للسلطان فمن يقبضه، فقال ــ المنصور لعنه الله ــ: لسنا ممن يرغب في مال السلطان، وما طلعت هذا الجبل لأخذ أموال الناس، وانما طلعت لاصلاح الاسلام والمسلمين، خذ مال صاحبك فأده اليه، فذكروا أنه لعنه الله طلع جبل مسور في ثلاثة آلاف رجل، ومعه ثلاثون طبلا، فكانت طبوله اذا ضربت سمعت الى المواضع البعيدة من المغرب، ثم انه حصّن الحصن ودربه وبنى فيه دار الإمرة وهو بيت ريب[2] وهو أول من أسسه وجعل فيه من يثق به من أهل مذهبه، ثم بنى بيت ريب ودرب الجبل من كل ناحية وجعل له بابين، وبنى في بيت ريب قصرا وسماه دار التحية، فعند ذلك أحل ما حرم الله، وكان يجمع أصحابه في ذلك القصر ونساءهم يرتكبون الفواحش وأقام يحارب من حوله من القبائل ويبعث اليهم بالعساكر فأبادهم وأخذ أموالهم وقتل رجالهم حتى دخلوا في طاعته كارهين ذلك واستولى على جميع مخاليف المغرب قهرا واستعمل عليهم رجلا من أهل مذهبه يقال له أبو الملاحف[3] فأقام بناحية جبل تيس[4] واليا للمنصور وخرج بنفسه وعساكره الى بلاد « شاور » فاستفتحها وحاصر صاحبها أبا اسماعيل الشاوري سبعة أشهر حتى استنزله من حصنه ورجع الى مسور ثم خرج الى ناحية « شبام حمير[5] » فأقام يحاربهم مدة طويلة وخرجت عساكره الى ناحية المصانع من بلد حمير فأقام وهناك في مراكز لحمير، فتحموا عليه وقتلوا جماعة من عسكره فانهزموا الى مسور فغفل عنهم أياما يسيرة

---

(١) سورة الحجر: ٤٦ .

(٢) انظره ووصفه في صفة الجزيرة: ٣٤٥ ــ معجم البلدان .

(٣) ذكر القاضي النعمان في رسالة افتتاح الدعوة: ٦١، وعنه نقل الداعي المطلق ادريس القرشي في عيون الاخبار وفنون الاثار: ٥/٤٤ ــ ٤٥، ما يظن انه ولد أبي الملاحف واسمه عبد الله، وانه وجه من اليمن في البداية برفقة أبي عبد الله الداعي ليتوجها نحو المغرب. انظر ما سبق في ص: ١٠٤ .

(٤) انظره في صفة الجزيرة: ١٢٣ .

(٥) شبام حمير الان موضع فيه قرية يقع الى الشمال الغربي من صنعاء، وكان يعرف أيضا باسم جبل ذخار، فيه حصن كوكبان الشهير، وفي سفحه مدينة شبام وذلك من الشرق انظر تاريخ اليمن لعمارة: ٦٥ ــ ٦٦ . ابن المجاور: ١٨٤ ــ ١٨٥ . تاريخ صنعاء: ٥٦٦ . صفة الجزيرة: ٢٣١ ــ ٢٣٤ .

وعامل رجلا يقال له الحسين بن جراح وكان في الضلع « ضلع شبام » واليا على أن يعضده على شبام ويكون أمرها اليه فعاقده على ذلك ، وخرج بنفسه وعساكره وقام الحسين بن جراح ففتح « شبام الاهجر » فأخرج منها بني حوال ، وحمل الى مسور جميع ما غنمه من ممالك بني حوال وأموالهم وأقام هناك شهرا ، وندم ابن جراح على ما كان منه من معاملته،وخاف على نفسه، وحالف رجلا يقال له ابن كيالة من قواد بني حوال ، كان واليا على صنعاء فجاش ابن كيالة[1] بقبائل حمير وهمدان وخالف ابن جراح القرمطي فصار فيوجهه وابن كيالة يقابله على درب شبام، فضاق حال الملعون القرمطي وخرج منهزما بالليل هو وأصحابه الى مسور ، فذكروا أنه ما خرج الا بنفسه وترك خيله وأقاما في شبام حتى رجع لهما القرمطي ثانية[2] وذلك عند دخول علي بن فضل صنعاء ، وأنا أذكر ما كان منهما لعنهما الله •

وقد كان المنصور كتب قبل أن يختلف هو وعلي بن فضل الى ميمون وولده يخبره بما فتح من البلاد ووجه اليهما بهدايا وطرف من طرف اليمن وكان ذلك في سنة وتسعين ومائتين ، فلما وصلت هديته الى القداح وولده سرهما ذلك ، وقال لولده : هذه دولتك قد أقبلت •

ثم ان المنصور أقام في مسور الى أن جرى بينه وبين علي بن فضل الجدني اختلاف ومحاربة ، وأنا أشرح ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى •

وكان موت المنصور لعنه الله سنة اثنتين وثلاثمائة وولي الامر من بعده عبد الله ابن عباس الشاوري[3] •

---

(١) الحسن بن كياله من موالي بني يعفر . انظر سيرة الهادي : ٣٨٠ — ٣٩٣ •

(٢) انظر غاية الاماني : ١/١٩٢ •

(٣) انظر عيون الاخبار : ٥/٤٤ ، هذا وذكر الخزرجي في العسجد المسبوك — انظره فيما بعد — أن منصورا أوصى الى ابنه الحسن والى عبد الله الشاوري ، وبين ان منصور توجه الى المهدية ، حيث يبدو انه مكث هناك فترة من الزمن وشارك في العديد من الاحداث ، كما يبدو انه كان شاعرا، وقد ذكر له الداعي ادريس عددا من القصائد في عيون الاخبار ٥/٢٠٦ ، ٢٧٤ ، ٣١٩ ، ٣٢٩ ، وخلال اقامة الحسن في افريقية اوكلت المهدية امور الدعوة في اليمن الى الشاوري ، لكن بعدما عاد حسن بن المنصور الى اليمن اغتال الشاوري واستبد بامور الدعوة .

باب ذكر علي بن فضل بن احمد الجدني لعنه الله :

كان من خبره أنه لما افترق هو المنصور بغلافقة ، خرج الى اليمن أيضا وفيها جعفر بن ابراهيم المناخي ، وخرج الى جعفر[1] من « أبين » وفيها رجل من الاصابح يقال له محمد بن أبي العلاء فخرج القرمطي الى جيشان ثم خرج الى « سرويافع »[2] فتفرسهم فعلم أنهم أسرع الناس الى اجابته فطلع رأس جبل وبنى فيه مسجدا وأخذ بالنسك والعبادة فكان نهاره صائما وليله قائما فأنسوا اليه وأحبوه وافتتنوا به ، ثم انهم قلدوه أمرهم ، وجعلوا حكمهم اليه فسألوه أن ينزل من ذلك الجبل ويسكن بينهم فقال لا أفعل هذا ولست أسكن بين قوم جهال ضلال الا أن تعطوني العهود والمواثيق أن لا تشربوا الخمر ، ففعلوا له ذلك ، وأنهم ينكرون المنكر ، وينكرون على أهل المعاصي بأجمعهم ، فلم يزل يخدعهم بعبادته حتى بلغ ارادته ، وأمرهم ببناء حصن في ناحية « سرو يافع » فأطاعوه وسمعوا لأمره ، ثم أنه أنهبهم أطراف بلدان ابن أبي العلاء وأراهم أن ذلك جهاد لأهل المعاصي حتى يدخلوا في دين الله طوعا وكرها ، وأمرهم أن يتخطفوا بلاد ابن أبي العلاء فاشتد بأسهم ، وكانوا لا يلقون جمعا الا هزموه وظفروا عليهم ، وذلك لما سبق من علم الله من فتنة المسلمين على يديه لعنه الله ، فلما شاع ذكره وسمع به جعفر بن ابراهيم[3] ، كاتبه وفرح به ، وذلك لشحناء كانت بينه وبين ابن أبي العلاء لقرب القرمطي اليه فكاتبه جعفر على مطابقته على حرب ابن أبي العلاء ، ووجه من عنده عسكرا الى القرمطي وتعاقدا أن يكون جميع ما يفتح من بلدان ابن أبي العلاء بينهما نصفين فخرج القرمطي لحرب ابن أبي العلاء بقبائل يافع وعسكر جعفر ، فهزمهم ابن أبي العلاء وقتل منهم قتلا كثيرا وانهزم القرمطي الى « سبأ صهيب »[4] فلما كان الليل جمع أصحابه ، وقال اني أرى رأيا صائبا ، ان القوم قد أمنوا منا ، وقد علمتم ما فعلوا بنا وأرى أن نهجم عليهم ، فانا نظفر بهم ، فأجابوه الى ذلك ، وهجم عليهم الى « خنفر »[5] فقتل ابن

---

(١) اي مخلاف ــ منطقة ــ جعفر . انظر تاريخ اليمن لعمارة : ٤٨ ــ ٤٩ .

(٢) انظر تاريخ اليمن لعمارة : ٤٧ ــ ٥١ .

(٣) المناخي . انظر صفة الجزيرة : ١٣١ . الاكليل : ٢/٩٣ ــ ٩٥ .

(٤) انظر صفة الجزيرة : ٧٩ .

(٥) بلدة كانت تقوم وسط وادي ابين هي الان انقاض . صفة الجزيرة : ٧١ الاكليل : ٢/١١١ .

أبي العلاء وعسكره واستباح ما كان له وأخذ من خزائنه تسعين ملحما في كل واحد عشرة آلاف[1] ، فلما رجع الى بلاد يافع ، عظم شأنه ، وشاع ذكره ، وأجابته قبائل مذحج بأسرها ، وزبيد ، ومالا يحصى عدده ، فلما بلغ ذلك جعفرا اغتم غما شديدا وسفر اليه ينظر ما عنده ، فسأله أن يقسم ما أخذ من « خنفر » فجمع القرمطي القبائل والعساكر ولقى السفير في أعظم زي من العدة والعدد ، فلما عرف السفير بما جاء به ، جمع العساكر ، وقال : ان جعفرا أرسل الي لما بيني وبينه من العهد بقسمة ما غنمت ، وقد أحضرتكم شهودا على تسليمه اليه لأني لا رغبة لي في المال ، انما قمت لنصرة الاسلام ، فشكروه على ذلك ثم أحضر المال فقسمه شطرين وسلم الى السفير ، وقال : انصرف الى صاحبك ليلتك ، وقل له يستعد لحربي ، وكتب معه كتابا اليه ، يذكر فيه : انه بلغني ما أنت عليه من ظلم المسلمين ، وأخذ أموال الناس وانا قمت لأميت المظالم ، وأرد الحق الى أهله ، فان أردت تمام ما بيني وبينك فرد الظلامات الى أهلها ، وادفع لأهل دلال دية[2] ما قطعت من أيديهم ، وذلك أن جعفرا قطع أيدي ثمانمائة رجل من أهل دلال على حجر المذيخرة ، يقال ان أثر الدم على الحجر الى اليوم ، فلما بلغه كتابه علم أنه منابذه الحرب فقطع مكاتبته

فلما كان العام المقبل خرج القرمطي بالجمع الكثير ، فدخل المعافر فأمر جعفر بلزوم نقيل بردان عند التعكر[3] وخرج في لقائه أكثر من ألف فارس فانهزم القرمطي موليا الى بلاد يافع فجمع جموعا كثيرة ، ورجع فهزم جموع جعفر الى المذيخرة ، فتبعه القرمطي ، فدخل المذيخرة وانهزم جعفر الى تهامة ، فأقام القرمطي في مذيخرة فاستنجد جعفر بصاحب تهامة ، فأنجده بعسكر عظيم فطلع حتى صار في موضع يقال له الرواهد بناحية « نخلة » فلما سمع به القرمطي خرج اليه في جنح الليل فظفر به وقتل جعفرا في الجوالـة بنخلة[4] .

---

(1) من الدنانير ، ذلك أن خنفر شهرت بذهبها . صفة الجزيرة : ٧١ .

(2) انظر صفة الجزيرة : ١٣٣ .

(3) من معاقل اليمن الشهيرة والمتناهية القدم . انظر صفة الجزيرة : ٢٠١ ـ ٢٠٤ ، ١٩١ ، ٤١٩ .

(4) لا زال وادي نخلة يحتفظ باسمه ، وجوالة حصن : ذكره الهمداني في صفة الجزيرة : ١٣١ ، وقال : « قتل فيه جعفر بن ابراهيم المناخي » وقد ذكر الهمداني بقية المواقع هذه في صفة الجزيرة : ١٣٠ ـ ١٣٤ . كما ذكر نسب المناخي وبعض اخباره في الاكليل : ٩٥/٢ ـ ٩٦ ، ١٧٧/١ ـ ١٨٦ . وكان مقتل المناخي سنة احدى وتسعين ومائتين او في السنة التالية . انظر سيرة الهادي الى الحق : ٣٨٩ . غاية الاماني : ١٩٤ ـ ١٨٥ .

قال محمد بن مالك الحمادي رحمه الله تعالى : وكان هـذا جعفر بن ابراهيم ظلوما ، غشوما سفاكا للدماء ، وانه قال في شعر له طويل قدر مائتي بيت في حرب كانت بينه وبين أبي جعفر الحوالي ، وظفر جعفر على الحوالي ، في [شبام آخر المحرم سنة تسع وسبعين ، و] من شعره[1] :

اذا ما تجعظروا[2] بطشنا بقدرة ونفعل ما شئنا وما تجعظر
فما قبلنا ولا بعد بعدنا لمفتخر فخرا اذا عد مفخر
سوى الطيبين الطاهرين الذين هم من الرجس والعاهات والسوء طهر
سلالة اسماعيل ذي الوعد والوفا ودعوة ابراهيم والبيت يعمر
محمد الهادي النبي وصنوه علي وسبطاه شبير و[3] شبر
ونسلهم الهادين بالحق والتقى بطاعتهم رب السماوات يأمر
ومولاتي الزهراء التي عدل مريم وصهر رسول الله مولاي حيدر
رويدك عني بالملامة انني بها وبهم أزهو وأعلو وأفخر
ألا كل مجد ما خلا مجد أحمد وعترته من دون مجدي يقصر
وكل امرىء والى سوى آل أحمد فذاك الذي الدنيا مع الدين يخسر
بهم زادني الرحمن عزا ومفخرا فأحمده حمدا كثيرا واشكر
أنا ابن اسحاق منصور حمير وفارسها والشمشمان المظفر
فلولاي لم يخلق سرير ممهد ولولاي لم ينصب على الارض منبر
أنا قمر الدنيا وعمي سراجها وجدي الذي كانت به الارض تعمر
هم أنزلوني منزل العز حيث لا يراني الا دوني الطرف يحسر

---

(١) بالاصل : في شيء من شعره ، والزيادة والتقويم عن العسجد المسبوك للخزرجي نسخة الجامع الكبير في صنعاء : ٣٣ .

(٢) الجعظري : الفظ الغليظ ، المتنفخ بما ليس عنده ـ القاموس .

(٣) (Shafra) (Shafira) وقد جاء في سيرة ابن اسحق : ٢٤٧ « ... عن علي قال : لما ولد علي سميته حربا ، قال : فجاء رسول الله ﷺ ، فقال أروني ابني ، ماذا سميتموه ؟ فقلت حربا فقال رسول الله ﷺ : لا ولكن اسمه حسن ، فلما ولدت حسينا سميته حربا ، فجاء رسول الله ﷺ فقال: أروني ابني ماسميتموه؟ فقلت : سميته حربا ، فقال : لا ولكن اسمه حسين ... ثم قال : اني سميتهما بِبني هرون شبره وشبيرا ، يقول حسن وحسين » .

أصول ولا يعدى علي وأعتدي ... وأخمد نيران الحروب وأسعر
وطعمي للاعداء مر وعلقم ... وطعمي لأهل السلم شرب معنبر
ألم تر أن البغي مهلك أهله ... وان الذي يبغى عليه سينصر

رجع الحديث الى علي بن فضل القرمطي ــ لعنه الله ــ أنه لما قتل جعفرا أظهر كفره ، وادعى النبوة ، وأحل البنات والاخوات[1] ، وفي ذلك يقول شاعرهم على منبر الجامع في الجند :

خذي الدف يا هذه والعبي[2] ... وغني هزاريك ثم اطربي
تولى نبي بني هاشم ... وهذا نبي بني يعرب
لكل نبي مضى شرعة ... وهذي شرائع هذا النبي
فقد حط عنا فروض الصلاة ... وحط الصيام ولم يتعب
اذا الناس صلوا فلا تنهضي ... وان صوموا فكلي واشربي
ولا تطلبي السعي عند الصفا ... ولا زورة القبر في يثرب
ولا تمنعي نفسك المرسين ... من أقربي ومن أجنبي
فكيف تحلي لهذا الغريب ... وصرت محرمة للأب
أليس الغراس لمن ربه ... وسقاه في الزمن المجدب
وما الخمر الا كماء السماء ... حلالا فقدست من مذهب

والشعر طويل وكله تحليل محرمات الشريعة والاستهانة بها .

ثم خرج يريد الحوالي[3] ، وخرج قبل ذلك الى بلاد « يحصب »[4] فدخل « منكث »[5] فأحرقها ثم خرج يريد الحوالي صاحب صنعاء ، فلما بلغ بلد «عنس»[6]، وكان للحوالي مأمور في وهران[7] فأرسل اليه القرمطي ليدخل فيما هم

---

(١) يمكن رؤية ما صنعه ابن الفضل على أنه اعلان للقيامة ، العقيدة الاسماعيلية المعروفة . انظر الدعوة الاسماعيلية الجديدة : ٨٧ ــ ٨٩ .
(٢) في روايات أخرى : واضربي .
(٣) أي أسعد بن يعفر . انظر الاكليل للهمداني : ١/١٨٥ ــ ١٨٦ . تاريخ اليمن السياسي لمحمد يحيى الحداد . ط. القاهرة : ١٩٦٨ : ٢/٥٣ ــ ٥٦ .
(٤) مخلاف من مخاليف اليمن فيه قصر ريدان الشهير . صفة الجزيرة : ٢٧٨ . تاريخ اليمن لعمارة : ٧٤ ــ معجم البلدان .
(٥) تقع الى الشرق من يحصب، وتبعد عن بلدة يريم بحوالي ٢٠ كم . صفة الجزيرة: ٧٩.
(٦) في الشمال الشرقي من ذمار . انظر صفة الجزيرة : ٤٠٦ .
(٧) حصن في شمال ذمار ــ صفة الجزيرة : ١٤٩ .

عليه ، فأجابه الى ذلك ، فنزل اليه ودخل في ملته وقرمطته ، وكان معه خمسمائة فارس رجع منهم الى صنعاء الى الحوالي مائة وخمسون ، وخرج القرمطي يريد صنعاء فلما سمع به الحوالي ، وبالجموع التي معه ، وعلم أنه لا طاقة له به خرج من صنعاء هاربا الى الجوف ، فدخل القرمطي صنعاء ، فأقام فيها وأظهر فيها الفحشاء وأمر الناس بحلق رؤوسهم ، ثم التقى هو وصاحب مسور الحسن بن منصور الى شبام[1] فأقاما هنالك أياما ، وعلي بن فضل يكبر المنصور ، ويقول انما أنا سيف من أسيافك ، والمنصور يهابه ، ويخافه على نفسه لما يرى من شهامته واقدامه ، فعزم على الخروج الى مخاليف « البياض »[2] فتهاه المنصور ، وقال له : قد ملكنا اليمن بأسره ، ولم يبق الا الاقل فعليك بالتأني والوقوف في صنعاء سنة ، وأنا في « شبام » فيصلح كل واحد ما استفتح ثم بعد ذلك يكون لنا نظر ، فانك ان خرجت من صنعاء خالف أهلها وفسد علينا ما ملكناه،فلم يقبل منه وقال : لا بد من الخروج ، واستفتح تهامة فخرج الى مخاليف البياض ، وهي بلاد وعرة فلما توسط بينهم ومعه قدر ثلاثين ألفا أحاطوا به ، وقطعوا عليه الطرق ، ولم يقدر على التخلص ، فلما سمع المنصور خاف عليه ، وأغار اليه ، واستنقذه فرجع الى شبام ، وعاد الى صنعاء ، وخرج الى جبال حضور ثم الى حراز[3] ثم الى ملحان[4] ونزل المهجم[5] وقتل صاحبها وهو ابراهيم بن علي رجل من عك واستفتح الكدراء[6] ورجع الى ملحان وسرى بالليل الى زبيد وفيها المظفر بن حاج ومعه ستمائة فارس وهجم عليهم في

---

(١) شبام كوكبان غربي صنعاء ، بينهما يوم وليلة ، وهو جبل صعب المرتقى كان يسكنه آل يعفر ، والان عامر بالابنية الحديثة ـ صفة الجزيرة : ٨٦ ، ١٧٢ ، الاكليل : ٧١/٢ ـ معجم البلدان .

(٢) في سيرة الهادي : ٣٩١ ، حدث هذا سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وانه خرج يريد تهامة ، وهذا ما ذكره الخزرجي في العسجد المسبوك ، والبياض حصن قريب من صنعاء ـ معجم البلدان .

(٣) مخلاف قرب زبيد . معجم البلدان .

(٤) انظر صفة الجزيرة : ١٤٤ ـ ١٤٥ . معجم البلدان .

(٥) انظر صفة الجزيرة : ٢٥٨ ـ ٢٥٩ . معجم البلدان .

(٦) مدينة كانت ذات مكانة على شط وادي سهام ، كان « يسكنها خليط عك » القبيلة اليمانية المشهورة . صفة الجزيرة : ٧٤ . الاكليل : ٢٣٨/٢ .

أربعين ألفا فأحاط بعسكره ، فقتل المظفر بن حاج ، وكان المظفر مأمورا لصاحب بغداد[1] وسبى القرمطي من زبيد أربعة آلاف عذراء ، ثم خرج منها الى الملاحيط ، وأمر صائحه وعسكره : يا جند الله فلما اجتمعوا اليه قال : قد علمتم أنا مجاهدون وقد أخذتم من نساء الحصيب[2] ما قد علمتم وان نساء الحصيب تفتن الرجال فيشغلنكم عن الجهاد فليذبح كل رجل منكم من في يده فسميت الملاحيط المشاحيط[3] لذلك ، ثم رجع الى مذيخرة دار مملكته ، وأمر بقطع الحج[4] وقال : حجوا الى الحرف ، واعتمروا الى الثاني ، موضعان معروفان هنالك .

فلما أصبحت اليمن بيده وقتل الاضداد مثل المناخي وجعفر بن الكرندي[5] والرؤساء ، وطرد بني (زياد) وكانوا رؤساء مخلاف جعفر ، ولم يبق له ضد يناوئه، عصا المنصور وخلع عبيد بن ميمون[6] الذي كان يدعو اليه فكتب اليه المنصور

---

(1) اي الخليفة العباسي المكتفي : ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م — ٢٩٥ هـ / ٨٠٨ م .

(2) الحصيب هي قرية زبيد . صفة الجزيرة : ٧٣ .

(3) شحطه تشحيطا: ضرجه بالدم، فتشحط : تضرج به، واضطرب فيه.القاموس.

(4) ذكر صاحب غاية الاماني في حوادث سنة ٣٠٠ هـ : ٢٠٢ بأن ابن الفضل بعث قائدين من قواده وهما محمد بن درهم الجنابي،وحسن بن محمد بن ابي الملاحف الصنعاني الى مكة انظر ما تقدم .

(5) بنو الكرندي قوم من زعماء المعافر من حمير . انظر تاريخ عمارة : ٨٧ ، ١٢٧ .

(6) يستخلص من المصادر الاسماعيلية : ان مركز الدعوة في السلمية عاني قبيل ومع بداية حركة القرامطة من انقسامات خطيرة للغاية،اسهمت في الصراعات القرمطية الاسماعيلية في الشام ، ودفعت المهدي الى مغادرة السلمية نحو الرملة فمصر عاقدا النية في البداية على السفر الى اليمن ، لكنه عدل عن رايه في مصر وقرر التوجه غربا . وفي الطريق من الشام الى مصر رافق المهدي عدد من اهله وبعض اعوانه ، على راسهم رجل عرف باسم فيروز ، وصفه الحاجب جعفر الذي كان من حاشية المهدي بانه كان«داعي الدعاة واجل الناس عند الامام واعظمهم منزلة، والدعاة كلهم اولاده ومن تحت يده ، وهو باب الابواب الى الائمة » وفي مصر وبسبب قرار التوجه غربا ولاسباب اخرى لا نعلمها فارق فيروز المهدي، ورفض البقاء معه ، وتوجه نحو اليمن ، فالتحق اولا بالمنصور الذي لقيه بالتبجيل والتعظيم،ذلك لان المنصور كان ـ كما قيل ـ قد انضم الى الدعوة الاسماعيلية على يدي فيروز وبوساطته ، وكتب المهدي الى منصور اليمن يساله قتل فيروز ، وعلم فيروز بالامر فغادره والتحق بعلي بن الفضل « ففتنه وافسده » وكان سبب الخلاف بين ابن الفضل ومنصور . انظر سيرة الحاجب جعفر نشرت في مجلة كلية الاداب لجامعة القاهرة عام١٩٣٦:٤/١١٠ــ١١٥ .عيون الاخبار:٥/٩٢ــ٩٦.

يعاتبه ويذكر ما كان من احسان القداح وقيامه بأمرهما وما أخذ عليهما من العهد لابنه فلم يلتفت الى قوله ، وكتب اليه انما هذه الدنيا شاة من ظفر بها افترسهـا ، ولي بأبي سعيد الجنابي أسوة ، لأنه خلع ميمونا وابنه ، ودعا الى نفسه ، وأنا أدعو الى نفسي ، فاما نزلت على حكمي ودخلت في طاعتي والا خرجت اليك وقد كان [أبو طاهر بن أبي] سعيد الجنابي[1] دخل مكة في ذي الحجة سنة سبـع عشرة وثلاثمائة ، وقتل فيها ثلاثة عشر ألفا وقطع الركن يوم النحر ، وهو القائل لعنه الله :

فلـو كـان هـذا البيت لله ربنـا | لصب علينـا النار من فوقنا صبـا
لأنـا حججنـا حجـة جاهليـة | مجللـة لـم تبق شرقـا ولا غربـا
وانـا تركنـا بـين زمـزم والصفا | كتائب لا تبغي سوى ربهـا ربـا
ولكن رب العـرش جـل جلالـه | ولـم يتخذ بيتـا ولـم يتخذ حجبا

في شعر طويل . وقد كان الخليفة[2] ببغداد كتب اليه يذكر له ما فعل ويتوعده على ما استحل فأجابه أبو [طاهر بن أبي][3] سعيد القرمطي :

« بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين .

من أبي [طاهر سليمان بن][3] الحسـن الجنابي ، الداعي الى تقوى الله القائم بأمر الله ، الآخذ بآثار رسول الله ﷺ ، الى قائد الارجاس المسمى بولد العباس .

أما بعد ـ عرفك الله مراشد الامور ، وجنبك التمسك بحبل الغرور ـ فانه وصل كتابك بوعيدك وتهديدك ، وذكرك ما وضعته من نظم كلامك ، وقمت به من فخامة اعظامك ، من التعلق بالاباطيل ، والاصغاء الى فحش الاقاويل مـن الذين يصدون عن السبيل ، فبشرهم بعذاب أليم على حين زوال دولتك ، ونفاد منتهـى طلبتك ، وتمكن أولياء الله من رقبتك ، وهجومهم على معاقل أوطانك ، ظفـرا ، وسبيهم حرمك قسرا ، وقتل جموعك صبرا ، أولئك حزب الله « الا أن حزب الله هم

---

(1) اضيف ما بين الحاصرتين كيما يصح الخبر لان وفاة ابي سعيد جاءت قبل هذا .
(2) المقتدر : ٢٩٥ هـ/٩٠٨ م ـ ٣٢٠ هـ/٩٣٢ م .
(3) زيد ما بين الحاصرتين تقويمـا .

المفلحون »[1] وجند الله هم الغالبون . هذا وقد خرج عليك الامام المنتظر كالاسد الغضنفر في سرابيل الظفر ، متقلدا سيف الغضب ، مستغنيا عن نصر العرب ، لاتأخذه في الله لومة لائم ، « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم[2] » وقد اكتنفه العز من حواليه ، وسارت الهيبة بين يديه ، وضربت الدولة عليه سرادقها ، وألقت عنه قناع بوائقها[3] ، وانقشعت طخاء[4] الظلمة ، ودجنة الضلالة ، وغاضت بحار الجهالة ، ليحق الحق ويبطل الباطل ، ولو كره المجرمون .

تالله غرتك نفسك ، وأطمعتك فيما لست نائله ، وسولت لك ما لست واصله ، فكتبت لي بما أجمعت عليه أذهان كتابك ، ذكرتني بالعيوب الشنيعة ، وقذفتني بالمثالب السمجة، تالله «ولتسألن عما كنتم تعملون»[5] فأما ما ذكرت من قتل الحجيج، واخراب الامصار ، واحراق المساجد فوالله ما فعلت ذلك الا بعد وضوح الحجة كايضاح الشمس ، وادعاء طوائف منهم أنهم أبرار ، ومعاينتي منهم أخلاق الفجار ، فحكمت عليهم بحكم الله « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون »[6] .

خبرني أيها المحتج لهم ، والمناظر عنهم ، في أي آية من كتاب الله أو أي خبر عن رسول الله ﷺ اباحة شرب الخمور ، وضرب الطنبور ، وعزف القيان ، ومعانقة الغلمان ، وقد جمعوا الاموال من ظهور الايتام ، واحتووها من وجوه الحرام .

وأما ما ذكرت من احراق مساجد الابرار ، فأي مساجد أحق بالخراب من مساجد اذا توسطتها ، سمعت فيها الكذب على الله تعالى ، وعلى رسوله ﷺ ،بأسانيد عن مشايخ فجرة ، بما أجمعوا عليه من الضلالة ، وابتدعوا من الجهالة .

وأما تخويفك لي بالله ، وأمرك بمراقبته ، فالعجب من بهتك وصلابة حدقتك، أترى اني أجهل بالله منك ، وصرفك أموال المسلمين للصفاعنة والضراطين ، ومنعها

---

(1) سورة المجادلة : ٢٢ .
(2) سورة المائدة : ٥٤ .
(3) البائقة : الداهية ، جمع بوائق . القاموس .
(4) الطخاء : السحاب المرتفع . القاموس .
(5) سورة النحل : ٩٣ .
(6) سورة المائدة : ٤٨ .

عن مستحقيها ، يدعى على المنابر للصبيان ويخطب للخصيان « آلله أذن لكم أم على الله تفترون[1] » •

وأما ما ذكرت أني تسميت بسمة عدوان ، فليس بأعظم من تسميك بالمقتدر بالله[2] أمير المؤمنين أي جيش صدمك ، فاقتدرت عليه ، أم أي عدو ساقك فابتدرت اليه ؟! لأنت أمير الفاسقين أولى بك من أمير المؤمنين وانك لتقلد بعض خدمك شيئا من أمرك،فيكاتبه الشريف والرئيس بالسيد والمولى،فأي الامرين «أقرب للتقوى»[3] أوما علمت أنه من انقاد له نفر من عشيرته ، وعصابة من بني عمه وأسرته فقد سادهم وعـلا فيهم •

وبعد : فمالك وللوعيد والابراق والتهديد ، اعزم على ما أنت عليه عازم واقدم على ما أنت عليه قادم ، والله من ورائي ظهير ، وهو نعم المولى ونعم النصير ،والحمد لله وصلى الله على خير بريته وآله وعترته » •

قال محمد بن مالك الحمادي ــ رحمه الله تعالى : يرجع الحديث الى قصـة صاحب مسور ، وعلي بن فضل لعنهما الله تعالى •

وذلك أن صاحب مسور لما علم أن علي بن فضل غير تاركه ، كما ذكر في كتابه، عمد الى جبل مسور فحصنه ، وأعد فيه جميع ما يحتاج اليه للحصار ، وقال لأصحابه اني لأخاف هذا الطاغية ، ولقد تبين لي في وجهه الشر حين واجهته في « شبام » ، فلم يلبث علي بن فضل أن خرج لحرب المنصور ، واختار لحربه عشرة آلاف مقاتل من يافع ومذحج وزبيد وعنس وقبائل العرب ، فدخل قرية « شبام » ، وأخرج المنصور للقائه ألف مقاتل الى موضع يقال له المصانع[4] من بلد حمير فضبطوا ذلك الجبل فزحف اليه فاقتتلوا من أول النهار الى الليل فخرج علي بن فضل على طريق العضد[5] ودخل « لاعة » مصعدا الى جبل الجمجمة[6] مقاتلا للمنصور فضرب فيها ورجع الى

---

(١) سورة يونس : ٥٩ .
(٢) المقتدر حكم : ٢٩٥ هـ/٨٠٨ م ــ ٣٢٠ هـ/٩٣٢ م .
(٣) سورة المائدة : ٨ .
(٤) انظر صفة الجزيرة : ١٢٢ ، ٢١٧ ، ٣٢٢ . تاريخ اليمن لعمارة : ٩٠ .
(٥) جبال العضد من اعمال شبام . صفة الجزيرة : ١٢٣ .
(٦) من جبال اليمن الشاهقة . صفة الجزيرة : ٦٥ ، ٢٦٨ .

أصحاب حضور المصانع فلزموا بيت ريب[1] وضبطوا الجبل ، فأقسم أن لا يبرح حتى يستنزل المنصور ، فحاصره ثمانية أشهر وقيل ان المنصور حمل من سوق لمام[2] خمسمائة حمل ملح قبل وصول علي بن فضل وعق[3] لـه في الجبل عقا واسعا في موضع كثير التراب ، وأوقدوا فوقه الحطب أياما حتى استملح الجبل فصار ملحا كله ، ثم نقله الى الخزائن .

ثم ان علي بن فضل مل المقام ، فلما علم منه المنصور ذلك ، دس عليه في أمر الصلح ، فقال : لست أبرح وقد علم أهل اليمن قصدي لمحاصرته الا أن يرسل الي بعض ولده ، فيكون ذلك لي مخرجا عند الناس ، ويعلمون أنه قد دخل في طاعتي ، فأرسل اليه ولده ودفعه بالتي هي أحسن ، فرجع الى « مذيخرة » فأقام عنده ولد المنصور سنة ثم رده الى أبيه وبره وطوقه بطوق من ذهب ، ثم أقام بمذيخرة يحل المحرمات ويرتكب الفواحش وأمر الناس باستحلال البنات والاخوات ، وكان يجمع أهل مذهبه في دار واسعة يجمع فيها الرجال والنساء بالليل ، ويأمر باطفاء السرج وأخذ كل واحد من وقعت يده عليه ، وروي أن عجوزا محدودبة الظهر ، وقعت مع رجل منهم فلما تبنى[4] بها خلاها فتعلقت بثيابه وقالت « دوبد من ذي حكم الامير »[5] فجرت مثلا .

ويقال ان أيامه لعنه الله كانت سبع عشرة سنة ، ومات مسموما سنة ثلاث وثلاثمائة

وكان سبب موته لعنه الله أن رجلا من أهل بغداد يقال انه شريف وصل الى الأمير أسعد بن أبي يعفر الحوالي ، وكان في ذلك الوقت هاربا من القرمطي في

---

(1) لا يزال يحمل هذا الاسم ، وقال عنه الهمداني في صفة الجزيرة : ٣٤٥ : وبيت ريب حصن ذو عرقة منقطعة عليها قصور آل المنصور وحرمهم وأموالهم ،لامسلك لها غير باب واحد .

(2) سوق شهير للغاية كان في منطقة لاعه . صفة الجزيرة : ١١١ ، ٢٤٨ .

(3) عق : شق ــ القاموس .

(4) الابتناء والبناء : الدخول بالزوجة ــ النهاية لابن الاثير .

(5) « دو » في احدى لهجات اليمن « لا » وعلى هذا « دوبد » : « لابد » ومعنى الجملة « لابد من الذي حكم به الامير » أو ما يقارب هذا .

الجوف من بلد همدان مستجيرا ببني الدعام[1] ، وأن ذلك البغدادي وهب نفسه لله وللاسلام ، وقال للامير تعاهدني وأعاهدك أني اذا قتلت هذا القرمطي كنت معك شريكا فيما يصل اليك ، فعاهده على ذلك ، وكان طبيبا حاذقا فخرج الى مذيخرة ، فكان مع كبار أهل دولة القرمطي ، يفتح لهم العروق ويسقيهم الدواء ويعطيهم المعجونات ، حتى وصفوه للقرمطي بالحذق بالطب وفتح العروق ، وقالوا : ان مثلك لا يستغني أن يكون في حضرته مثله ، ثم انه احتاج الى اخراج الدم فأمره أن يفصده فعمد الى السم فجعله على شعر رأسه ، فدخل على القرمطي ، فسلم عليه فأمره أن ينزع ثيابه ، ويلبس غيرها ، ثم أخرج المبضع ، ثم مصه ، وعلي بن فضل ينظر اليه ، ثم مسحه برأسه فتعلق به من السم حاجته ، ثم فصده وخرج من ساعته ، فركب دابته ، وخرج هاربا ، فلما أحس عدو الله بالموت آمر بقتل الطبيب ، فلم يوجد فلحقوا به دون « نقيل صيد[2] » بازاء قينان[3] فقتلوه هنالك رحمه الله تعالي ومات القرمطي[4] لا رحمه الله .

---

(1) انظر الاكليل : ١٠/١٧٧ ـ ١٨٦ حيث قال الهمداني « الدعام بن ابراهيم ، سيد همدان في عصره ، والزائد على من تقدمه نجدة وفروسية وجودا وحلما ودهاء وثباتا ووفاء وصبرا وصونا » هذا وللدعام ذكر طويل في سيرة الهادي الي الحق: ٩١ ـ ٣٩٥ .

(2) النقيل عند أهل اليمن العقبة أي الاكمة المرتفعة ، ونقيل صيد اوعر نقطة على الطريق الذي يعتبر حدا فاصلا بين اليمن الاعلى واليمن الاسفل . صفة الجزيرة: ٣٤٤ . تاريخ اليمن لعمارة : ٧٤ .

(3) تقع قينان في سافلة يحصب السفل من بطن السحول ليس بعيدا عن اب بجوار رفود وشمال مركز المخادر ـ صفة الجزيرة : ١٠٤ . الاكليل : ٢/٢٣٤ .

(4) تتفق رواية الخزرجي مع هذه الرواية مع زيادة بالتفاصيل ، انما جاء في سيرة الهادي ٤٠٣ « واصاب ابن فضل ـ لعنه الله ـ مرض في بدنه ، فتفجر من اسفل بطنه ، وأماته الله على اسوا حال ـ لعنه الله ـ وكانت وفاته يوم الاربعاء للنصف من شهر ربيع الاخر » لسنة ٣٠٣ هـ/٩١٥ م . هذا وذكر الداعي المطلق ادريس القرشي في كتابه عيون الاخبار : ٥/٤٣ ـ ٤٤ ، انه بعدما قامت الخلافة الفاطمية أمر المهدي «رجلين من اهل دعوته» وممن في حضرته حتى وصلا الى مدينة صنعاء، وتسميا انهما طبيبان ، حتى دخل احدهما على ابن فضل ـ لعنه الله ـ ففصده وجعل في مفصده سما قاتلا وخرج من عنده ، وبادر الهرب هو وصاحبه ، ومات

وولي الامر من بعده ولده الفأفاء(١) وشاع موته في الناس ووصل الى الحوالي جماعة من رؤساء الناس : بنو المحابي والانبوع وغيرهم فزحف بالعسكر الغليظ لحرب القرامطة فدخل التعكر(٢) ثم تقدم الى جبل التومان(٣) ، فحاصر القرامطة ، وسلط الله سبحانه وتعالى عليهم سيف النقمة ، لا يخرج لهم جمع الا هزموا ، أو قتلوا ، وأيد الله سبحانه وتعالى المسلمين بنصره .

قال الله تعالى « انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون(٤) فأقام يحاصر القرامطة سنة ويقال ان من شدة عزمه وحزمه وتقصيه أنه ما حل عدته ولا سلاحه بل يصلي وعليه عدته وسلاحه حتى فتح الله عليه(٥) وقتل القرامطة وأحيا الاسلام .

ابن الفضل لعنه الله ، وعجل الله بروحه الى النار ، ولحق بأمثاله من الكفار والفجار ، واخذ اصحاب ابن الفضل في طلب الرجلين اللذين فصداه ، ومازالوا يتبعوهما ويسألون عنهما حتى انتهيا الى موضع تحت نقيل صيد فادركا هنالك، وقتلا رحمة الله عليهما » وبرغم مـا ذكره الداعي ادريس مع المصادر المتأثـرة بالروايات الاسماعيلية نجد صاحب غاية الاماني : ٢٠٨/١ يذكر في حوادث سنة ٣٠٣ هـ : « وفي هذه السنة اراح الله العباد ، وطهر البلاد ، بهلاك قائد العاصين ورئيس المفسدين علي بن فضل ــ لعنه الله ــ وكانت وفاته الى عذاب الله في يوم الاربعاء منتصف شهر ربيع الاخر ، بعد الم الم به ، وطرف من تعجيل عقوبته ، « ولعذاب الاخرة اخزى وهم لا ينصرون » ــ فصلت : ١٦ ــ ودفن بالمذيخرة » .

(١) كذا في الاصل ، وفي النفس شيء منه ، فلعله تصحيف « فضل » هذا ولم تذكر المصادر التي تعرضت لعلي بن الفضل وما جرى بعده اسم ابنه ، بل تحدثت منه دون تبيان اسمه .

(٢) سبق ذكره بانه من امنع حصون اليمن واقدمها ــ انظر صفة الجزيرة : ١٠٤ .

(٣) في الجنوب الشرقي من جبل المذيخرة فيه عسكر اسعد بن ابي يعفر ، لحصار القرامطة وكان ذلك سنة ٣٠٤ هـ . انظر صفة الجزيرة : ٢١٣ .

(٤) سورة الصافات : ١٧٢ ــ ١٧٣ .

(٥) وصفه الهمداني ، وهو من معاصريه ، في الاكليل : ١٨٤/٢ ــ ١٨٦ ، بقولـه : « واسعد هو أبو حسان ، ملك عصرنا ، وذهب على من قبله بالصوت، وهو الذي اجتث مرقاة القرامطة باليمن ، وهو فارس حمير في عصره ، والقائل : اذا تم لي مقدم الحصان فياكل مؤخره الذئب ، وجوادها ومهيبها ، وله تواقيع معجزة لا يجارى فيها مع حسن السياسة ، وعظم الدهاء ، وبعد الغور ، وكتمان ما في النفس ، واذا غضب غضب ، واذا رضي رضي ، لا بعدة له على قومـه ولا عصبية له ، ولا ولد له ، فدرج ، وتوفي يوم السبت لثمان خلون من شهر رمضان من سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة ، واخباره وسيره تكثر » .

ليس كولاة الامر من أهل زماننا الذين غرقوا في اللذات ، واتبعوا الشهوات ولم يرغبوا في المكارم والنجدات ، وعظوا فلم يتعظوا وناموا فلم يستيقظوا ، ونظروا ما حل بغيرهم فلم يعتبروا ، وقد قيل في المثل السائر .

واذا رأيت أخـوك يحلق رأسـه أوشكت بعـد أخيك تصبح أصلعا

ومن عجز عن رعاية رعيته ، وجار عليها في حكمه وقضيته ، دل علـى زوال مملكته وتعجيل منيته ، وقد قال الاول :

ومن رعـى غنمـا في أرض مسبعة ونـام عنهـا تولى رعيهـا الاسد

واذا فرط الراعي في أمر رعيته ، وطاوع نفسه الدنية ، وذهبت عنه الانفـة والحمية ، فقد عظمت عليه البلية ، وقال الافوه الاودي :

لا يصلح القوم فوضي لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهـم سادوا
تهدي الامور بأهل الرأي ما صلحت فـان تولت فبالاشرار ينقـادوا[1]

رجع الحديث الى محاصرة الحوالي،فروي أنه نصب المنجنيقات فهدم المذيخرة بعد سنة ، ودخل على القرامطة فقتلهم ، وأخذ من الغنائم ما لا يحصى ، وسبى بنات القرمطي وكن ثلاثا ، فصارا اثنتين في رعين وواحدة وهبها الامير لابن أخيه قحطان، وأباد الله القرامطة على يد الامير الحوالي بمنه وسعادته ، وجعل لا يسمع بأحد منهم الا قتله ، ورجع الى صنعاء وقد أطفأ جمرة الشرك ، وملك جميع البلاد ، وزالت الفتنة ، وأراح الله من القرامطة ، وطهر منهم البلاد ، وأمن منهم العباد ، وسار الامير في الناس بأحسن سيرة ، وعدل في الرعية ، ورد بني المحابي[2] الى مخلاف جعفر ، وجرت المكاتبة بين الامير الحوالي ، والامير ابراهيم بن زياد[3] والناصر احمد بن

(1) هو صلاة بن عمرو من مذحج ، ويكنى أبا ربيعـة ، انظره وأبياته في الشعـر والشعراء لابن قتيبة ــ ط. ليدن ١٩٠٢ م : ١١٠ ــ ١١١ .

(2) بنو المحابي من الكلاع ، منهم ابو يعقوب وهو الذي عاصر اسعد الحوالي ، وفي النفس شيء من قوله : ردهم الى مخلاف جعفر . انظر الاكليل : ٢/١٩٥ . تاريخ عمارة : ٤٦ ــ ٥٨ .

(3) حول تاريخ ملوك بني زياد في تهامة وزبيد . انظر تاريخ اليمن لعمارة : ٤٦ــ٥٨ تاريخ ثغر عدنــط. بريل ١٦٣٦ : ٢ــ١٦٣ــ١٧ . تاريخ اليمن السـياسي: ٤٥ــ٥١

يحيى الامام الهادي صاحب صعده[1] وتعاقدوا على المعاضدة والمناصرة وقتل القرامطة حيث ما وجدوا ، وذكروا أنه كان يوجد عنوان : كنتم بركة في بركة ونعمة مشتركة ، والارض فيما بيننا قد حصلت في شبكة ، وكان الخارج اذا خرج من بلد أحدهم لذنب أذنبه كاتب فيه ، وسأل الصفح عنه ، وصفت لهم المعيشة ، واستقامت لهم الدولة ، ولزم كل واحد منهم بلده ، ولم يطمع واحد على صاحبه ، وألف الله بين قلوب المسلمين ، ولم يبق من القرامطة الا شرذمة قليلة من أولاد المنصور في ناحية مسور ، وأبادهم الله تعالى على يد الدعام بن ابراهيم ، والناصر بن يحيى ، وأنا أذكر ذلك في موضعه ان شاء الله تعالى •

باب ذكر اولاد المنصور :

مات لعنه الله سنة اثنتين وثلاثمائة واستخلف على أهل دعوته رجلا يقال له عبد الله بن عباس الشاوري [وأوصى اليه] والى ولده أبي الحسن المنصور ، وقال : « قد أوصيتكما بمبدأ الامر فاحفظاه ولا تقطعا دعوة بني عبيد بن ميمون ، فنحن من غرسهم ، ولولا ناموسهم وما دعونا به اليهم ما صار الينا من الملك ما قد نلناه ، ولا تم لنا في الرئاسة حال ، فعليكما بمكاتبة القائم منهم ، واستيراد الامر منهم ، فأوصيكما بطاعة المهدي يعني عبيد بن ميمون حتى يرد أمره بولاية أحدكما، ويكون كل واحد منكما عونا لصاحبه » •

وقد كان لعبد الله بن عباس ، عند عبيد بن ميمون سابقة ومعرفة ، لأن المنصور قد كان ـ لعنه الله ـ بعثه مع أبي عبد الله الشيعي الخارج بكتامة من بلاد الغرب على ما أذكره فيما بعد •

ثم ان عبد الله بن عباس كتب الى عبيد بن ميمون المسمى بالمهدي ، بموت المنصور ، وهو يومئذ بمدينة بناها وسماها المهدية[2] بالغرب،وأنه قام بمذهبه من بعد

---

(١) بعد وفاة الهادي الى الحق خلفه ابنه الامير المرتضى ، لكن هذا الامير تخلى عن الحكم سنة ٢٩٩ هـ/٩١٢ م ، وبعد تخليه جاء أخوه الناصر احمد الى صعدة لانه كان غائبا في الحجاز ، وفي صعدة بويع خلفا لاخيه . انظر سيرة الهادي : ٤٠٠ ـ ٤٠٧ . تاريخ اليمن السياسي : ٦٣ ـ ٦٨ .

(٢) معروفة في الجمهورية التونسية ، ما تزال تحوي العديد من آثار الفاطميين .

المنصور ، ودعا اليه ، وأنه لم يبق الا استيراد الامر ، ويسأله الولاية لنفسه وعزل أولاد المنصور وخرج ولـد المنصور بنفسه الى القيروان يسأل الولاية لنفسه ، ولا ينزع الامر منهم بعد أبيهم وقد كانت وصلت هدايا ابن عباس وكتابه ، وولاه الامر ، وكتب له ، فاما وصل ابن المنصور أمره بطاعة ابن عباس وبعث لابن عباس بسبع رايات : فرجع ولد المنصور الى مسور ، وقد يئس مما كان يرجو من الولاية، فلقيه عبد الله بن عباس بنفسه وأهل دعوته فبجله وعظمه ، ولقيه أخوه جعفر وأبو الفضل وبقية أولاد القرمطي لعنه الله ، فسألوه بما ورد به الامر فعرفهم بصرف الامر عنهم الى عبد الله بن عباس دونهم ، فتبين لجعفر في وجه أخيه أبي الحسن الشـر والعداوة لابن عباس والحسد ، فنهاه عن ذلك ، وقبح عليه وزجره ، وقال له : أنت تعلم أنه غرس أبينا ، وأنه لا يقدم علينا سوانا في هذا الامر ، قال : والله لا تركته يتنعم في ملك عني به غيره ، ونحن أحق به منه ، فقال له أخوه جعفر : ان أمرنا اذاً يتلاشى ، ويزول ملكنا ، وتفترق هذه الدعوة ، ويذهب الناموس الذي نمسناه على الناس ، فلا تحدث نفسك بهلاكه فتهلك ، فلم يلتفت الى قوله وكتم السر نفسه ، وكان أولاد المنصور لا يحجبون عن أبي العباس ليلا ولا نهارا ، فوثب عليه أبو الحسن بن المنصور ، فقتله غدرا ، وولي الامر من بعده فولي ما كان أبوه يلي ، ورجع الى مذهب الاسلام ، وجمع العشائر من بلده وأشهد أنه رجع عما كان عليه أبوه ، فأحبه الناس ، فدخل عليه جعفر ، فقبح ما فعله ، وقال : قطعت يدك بيدك ، فلم يلتفت الى قوله وخرج جعفر الى ولد عبيد المسمى بالقائم[1] ، فكاتب أخاه يعيب عليه فعله بشعر طويل يقول فيه :

فكنتـم وأنتـم تهدمون وأبتنـي فشتـان من يبني وآخـر يهـدم

وتتبع أبو الحسن من كان على دين أبيه يقتلهم ، فأباد القرامطة ، وبقي منهم قوم يتكتمون منه ، وأقاموا ناموسهم برجل منهم ، وكان لا يقطع مكاتبة بني عبيد، ثم ان أبا الحسن خرج من مسور الى عثر محرم وفيه يومئذ رجل من بني العرجاء ، واستخلف أبو الحسن على مسور رجلا يقال له ابراهيم بن عبد الحميد السباعي وهو جد بني المنتاب فوثب ابن العرجي على أبي الحسن فقتله ، فلما انتهى الخبر الى

---

(١) حكم القائم الفترة : ٣٢٢ هـ/٩٣٤ م ــ ٣٣٤ هـ/٩٤٦ م .

ابراهيم بن عبد الحميد السباعي لزم مسورا ، وادعى الامر لنفسه وأخرج أولاد المنصور وحريمه من مسور الى جبل ذي عسب[1] فوثب عليهم المسلمون من أهل المغرب[2] فقتلوهم الصغير والكبير ، وسبوا حريمهم ولم يبقوا على وجه « الارض من الكافرين دياراً » ولم يبق للمنصور عقب يعرف بحمد الله ومنه .

ثم ان ابراهيم بن عبد الحميد اتفق هو وابن العرجي ، واقتسما بينهما نصفين، لكل واحد منهما ما يليه ، ورجع ابراهيم عن مذهب القرامطة وكان أبوه من كبار قواد المنصور وأصله من قدم من حمير وكان أبوه قتل في مخلاف البياض[3] لأن المنصور كان أخرجه الى هنالك بالعساكر ثم إن ابراهيم بنى في بيت ريب مسجدا ، ونصب منبرا وخطب لأمير المؤمنين من بني العباس ، وكاتب الامير آبا الحسن بن ابراهيم بن زياد ، وبذل له من نفسه السمع والطاعة ، والدخول في الخدمة ، وسأله أن يبعث اليه محاضر من قبله يكون عنده ، فأرسل رجلا يقال له السراج وقال له : اذا تمكنت قبضت على ابراهيم بن عبد الحميد ، فوصل من زبيد ، ولقيه ابراهيم بن عبد الحميد الى بيت ريب ، وطالع ابراهيم بن عبد الحميد الى حصن في رأس الجبل وكان ينزل اليه كل يوم يصحبه ويعظم حقه ، ثم ان السراج عامل على ابراهيم ناسا من أهل الجبل فنزل اليه يصحبه ، فلقيه رجل من المعاملين فأخبره بالمعاملة فرجع الى حصنه فضرب الطبول ، فاجتمع اليه الناس ، وكان فيه من أهل دولته فدخل على السراج ، فقبض عليه ، فأمر بحلق لحيته ، ونفاه عن بلده وانقطعت المكاتبة بينه وبين ابن زياد ، واستمر أمره ، وجعل يتتبع القرامطة يقتلهم ويسبي ذراريهم ، فبقي منهم قليل في ناحية جبل مسور ، فأقاموا قرمطيا منهم يقال له ابن الطفيل[4] ، فسمع به ابراهيم بن عبد الحميد ، فخرج اليه فقتله ، وتفرق من بقي من أصحابه الى نواحي عمان وقطابه[5] وانكتم أمرهم عن ابراهيم .

---

(١) انظر صفة الجزيرة : ١٨٧ .

(٢) اي مغرب اليمن .

(٣) سبق تعريفه ، حيث قال ياقوت : حصن باليمن من اعمال الحقل قرب صنعاء .

(٤) يوسف بن موسى بن الطفيل . صفة الجزيرة : ١١٣ .

(٥) قطابة واد وسوق شمال همل التي هي واد كثير الاشجار موبوء يقع اسافل مركز كحلان عفار . صفة الجزيرة : ١١٣ .

ثم إنهم أقاموا ناموسهم برجل يقال له ابن رحيم ، وذلك في أيام المنتاب ، بعد موت أبيه ابراهيم، وكان ابن رحيم هذا لا يستقر في موضع واحد ، خوفا من المنتاب ومن المسلمين ، وهو يكاتب ابن عبيد ، وذلك بعد خروج المعز من القيروان الى بلاد مصر عند بنائه القاهرة المنسوبة اليه ، فلم يزل ابن رحيم يكاتب أهل مصر المعز ومن بعده ، وينهي أخبار أهل اليمن حتى مات لا رحمه الله . واستخلف على من بقي من القرامطة لعنهم الله رجلا يقال له يوسف بن الاسد من أهل شبام حمير فأقام لعنه الله يدعو الى الحاكم ويبايع له على وجه السر حتى مات لعنه الله .

واستخلف على مذهبه رجلا يقال له سليمان بن عبد الله الزواخي[1] من حمير ، من ضلع شبام من موضع يقال له الخنن[2] فأقام يدعو الي الحاكم والى المستنصر ، وكان الملعون كثير المال عظيم الجاه فاستمال الرعاع والطغام الى مذهبه ، وكان في أيامه قد شهر نفسه بالمبايعة لأهل مصر من بني عبيد بن ميمون الملعون ، وقد عرف بذلك ونسب اليه فكل ما هم به المسلمون من حمير وشبام ، وما حوله من القبائل ، دفعهم بالجميل وقال لهم أنا رجل مسلم ، فكيف يحل لكم قتلي فينتهون عنه .

وكان فيه كرم نفس وكان يكرم الناس ويتلطف بهم فلم يزل كذلك حتى مات لا رحمه الله .

باب ذكر ابتداء دولة الصليحيين :

وكان هذا الصليحي المسمى علي بن محمد كثير الخلطة به والمعاشرة وكان أحظى من عنده ، وأطوع أهل مذهبه له ، وكان يأتيه من بلد الاخروج وهو سبع من أسباع حراز[3] وكان الصليحي الملعون شهما شجاعا مقداما ، فلما عرفه سليمان

---

(١) نسبة الى قرية الزواخي من اعمال حراز ، وقد ضبط كل من البكري في معجم ما استعجم وياقوت في معجم البلدان « الزواخي » بالخاء المعجمة ، في حين أن السيوطي في لب اللباب والاكوع في صفة الجزيرة : ١٠٣ ـ ١٥٤ وتاريخ اليمن لعمارة : ٩٥ « بالحاء المهملة » .

(٢) بلد وجبل غربي المذيخرة . صفة الجزيرة : ١٠٢ ـ ١٠٣ .

(٣) قال الهمداني في صفة الجزيرة ١٠٨ : « وارض حراز ، وهي سبعة اسباع : حراز ، وهوزن ، ولهاب ، ومجيح ، وكرار ، ومسار ، وحراز المستحرزة .

بذلك، وحضرته الوفاة لا رحمه الله أوصاه بأهل مذهبه ، وأمرهم بالسمع والطاعة ، وسلم اليه مالا كثيرا قد كان جمعه من أهل مذهبه ، ثم ان الصايحي الملعون أرسل الى القرامطة من أوطان كثيرة بعيدة ومواضع متباينة ووعدهم بالوصول اليه ليوم معلوم ، فلما وصلوا اليه طلع بهم مسار[1] وكان طلوعه ليلة الخميس للنصف من جمادي الاولى سنة تسع وثلاثين وأربعمائةوطليعته تسعمائة رجل وخمسون رجلا[2] فلما استقر بالجبل كتب[3] الى صاحب مصر ، وهو المستنصر من بني عبيد ووجه اليه بهدايا سبعين سيفا مقابضها عقيق ، واثني عشر سكينا نصبها عقيق لأن للعقيق عندهم قدرا ، لانه ، لا يكون الا في اليمن وخمسة أثواب وشي ، وجام عقيق ، وفصوص عقيق مع اهليلج كابلي[4] ومسك وعنبر .

فوجه معه المستنصر اليه برايات وألقاب ، وعقد له الولاية ، وكان سفيره خاله أحمد بن المظفر ، وأحمد بن محمد الذي انهدمت عليه الدار بعدن ، وهو أبو زوجة المكرم[5] المسماة بالسيدة بنت أحمد[6] .

فالحذر الحذر أيها المسلمون من مقاربته ومخالطته والركون الى قوله فانه وأهل مذهبه يستدرجون العقول ويضلون من ركن اليهم ، لقد سمعته مرارا وأسفارا وهو يقول لأصحابه قد قرب كشف ما نحن نخفيه ، وزوال هذه الشريعة المحمدية ، والله سبحانه أكرم من أن يبلغه مأموله من فساد الدين وهلاك المسلمين .

خلعت العذر ولم أستتر   وأظهرت ما ليس بالمظهر
وبحت بما كنت أسررته   من الغي والمذهب الأخسر
وتبت الى الله مستغفرا   منيبا انابة مستغفر

---

(١) مسار حصن عال عظيم الشأن فيه قرى ومزارع منه اعلن الصليحي ثورته . صفة الجزيرة : ١٠٨ . تاريخ اليمن لعمارة : ٩٤ ــ ١٢٨ . تاريخ ثغر عدن : ١٥٩ ــ ١٦٤ غاية الاماني : ١/٢٤٧ .
(٢) وقيل غير هذا . انظر تاريخ عمارة مع تعليقات الاكوع : ١٠١ ــ ١١٦ .
(٣) في تاريخ عمارة : ١١٨ ان هذا كان سنة ثلاث وخمسين .
(٤) ثمر . قال عنه صاحب القاموس « معروف » انظر المعرب للجواليقي .
(٥) هو احمد بن علي الصليحي خلف اباه بعد مقتله . تاريخ عمارة : ١٢٧ ــ ١٣٦ .
(٦) انظر تاريخ عدن : ١٩٤ .

وحرمت ما كنت حللته لقومك من كل مستنكر
وحذرت من فعلك العالـ ـين وعدت الى المنهج الأنور
فاني جئت نحوك مستغفرا فبالله بالله لا تغفر
أتحسبني انثني صبوة الى رائق اللون والمنظر
وحاشا لمثلي أن ينثني الى الكفر والمذهب الأغبر
فإن لم يكن غير هجر الملاح فلا زال ذاك الى المحشر

عباد الله اني لم أزل أتلطف بخاصته ، وأهل مذهبه ولم أقنع حتى خالطته وأطمعته بقبول ما هو عليه من مذهبه ، وضلالته وكفره وبدعته ، وأعماله الشنيعة ، وضلالته الفظيعة ، التي تنكرها القلوب ، وتشمئز منها النفوس •

وذلك أن الصليحي[1] ومن على مذهبه ، يدعون الى ناموس خفي ، كل جهول غبي ، بعهود مؤكدة ومواثيق مغلظة مشددة على كتمان ما بويع عليه ودعي اليه ، وأنه لا يكشف لهم سرا ، ولا يظهر لهم أمرا ، ثم يطلعه على علوم مموهة ، وروايات مشبهة يدعوه في بدء الامر الى الله ورسوله ـ كلمة حق يراد بها الباطل ـ ثم يأخذه بعد ذلك بالرفض والبغض لأصحاب رسول الله ﷺ ، فاذا انقاد له وطاوعه ، أدخله في طرق المهالك تدريجا ، ويأتيه بتأويل كتاب الله تحريفا وتعويجا ، بكتب مصنعة ، وأقوال مزخرفة الى أن يلبس عليه الدين، ويخرجه منه كما يخرج الشعرة من العجين، وقصارى أمره ابطال الشرائع ، وتحليل جميع المحارم ، فسارع اليه من لم يكن له بالشرع معرفة لأنه صادف أكثر الناس عواما فأجابه الى دعوته الرعاع والطغام ومن لم يكن له معرفة قبل بالاسلام ، من جنب وسنحان ويام[2] فحرم الحلال وأحل الحرام ، وناقض بجهده الاسلام وأبطل الصلاة والصيام والزكاة والحج الى بيت الله الحرام ، فأهلكهم الله بذنوبهم ، وما كان لهم من الله من واق •

«آخر رسالة محمد بن مالك رحمه الله رحمة الابرار ، ووقاه عذاب النار »

---

(١) جاءت وفاة الصليحي سنة ٥٤٩ هـ، ويبدو ان المصنف لم يدرك وفاة الصليحي.

(٢) جنب وسنحان من قبائل مذحج سكان السراة ، ويام من همدان تقطن نجران ما تزال تعرف باسمها ومعتقدها حتى يومنا هذا . انظر الاكليل : ١٠/٦٥ـ٩٠. تاريخ عمارة : ١٠٣ .

كتاب

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم

القرامطة

[سنة ٢٧٨ هـ]

وفيها وردت الاخبار ، بحركة قوم يعرفون بالقرامطة ، وهم الباطنية وهؤلاء قوم تبعوا طريق الملحدين ، وجحدوا الشرائع ، وأنا أشير الى البدايات التي بنوا عليها ، ثم الى الباعث لهم على ما فعلوا من نصب دعوتهم ثم الى ألقابهم ، ثم الى مذاهبهم وعلومهم، أما البدايات التي بنوا عليها فانه لما كان مقصودهم الالحاد تعلقوا بمذاهب الملحدين مثل زرادشت[1] ومزدك ، فانهما كانا ينتحلان المحظورات ، وقد سبق في أوائل هذا الكتاب شرح حالهما وما زال أكثر الناس مع أعراضهم،لايدخلون في حجر يمنعهم اياها ، فلما جاء نبينا ﷺ ، فقهر الملك ، ومنع الالحاد أجمع جماعة من الثنوية والمجوس والملحدين ، ومن دان بدين الفلاسفة المتقدمين ، فأعملوا آرائهم ، وقالوا : قد ثبت عندنا أن جميع الانبياء كذبوا وتمخرقوا على أممهم ، وأعظم الكل بلية علينا محمد فانه نبغ بين العرب الطغام ، فخدعهم بناموسه ، فبذلوا أموالهم وأنفسهم ونصروه ، وأخذوا ممالكنا ، وقد طالت مدتهم ، والآن قد تشاغل أتباعه ، فمنهم مقبل على كسب الاموال ، ومنهم على تشييد البنيان ومنهم على الملاهي ، وعلماؤهم يتلاعنون ويكفر بعضهم بعضا ، وقد ضعفت بصائرهم ، فنحن نطمع في ابطال دينهم ، الا انا لا يمكننا محاربتهم لكثرتهم ، فليس الطريق الا بانشاء دعوة في الدين ، والانتماء الى فرقة منهم ، وليس فيهم فرقة أضعف عقولا من الرافضة ، فندخل عليهم بذكر ظلم سلفهم الاشراف من آل نبيهم ، ودفعهم عن حقهم،

---

(١) ينسب اليه تأسيس الديانة الزرادشتية ، التي دانت الامبراطورية الساسانية بها حتى سقوطها، وقامت عقيدتها على اساس الصراع بين قوتين الهيتين،واحدة نورانية للخير ، واخرى مظلمة شريرة [اهورامزدا واهرمان] ومن صراعهما ولد الانسان المادي المظلم والروحاني المنير ، ومزدك قام في القرن السادس للميلاد يحاول اصلاح الديانة والمجتمع ، فكان اول اشتراكي في التاريخ ، وقد قضي على حركته من قبل كسرى انوشروان الاول .

وقتلهم وماجرى عليهم من الذل لنستعين بهؤلاء على ابطال دينهم،فتناصروا وتكاتفوا وتواثقوا وانتسبوا الى اسماعيل بن جعفر بن محمد الصادق ، وكان لجعفر أولاد منهم اسماعيل الأعرج ، ثم سول لهم الشيطان آراء ومذاهب أخذوا بعضها من المجوس ، وأخذوا بعضها من الفلاسفة ، وتمخرقوا على أتباعهم ، وانما قصدهم الجحد المطلق ، لكنهم لما لم يمكنهم توسلوا اليه ، فقد بان ذلك بما ذكرت ، ومن البدايات التي بنوا عليها ، الباعث لهم على ما فعلوا من نصب الدعوة .

وأما ألقابهم فانهم يسمون الاسماعيلية ، والباطنية ، والقرامطة ، والخرمية ، والبابكية ، والمحمرة ، والسبعية والتعليمية ، فأما تسميتهم بالاسماعيلية ، فبانتسابهم الى اسماعيل بن جعفر على ما ذكرناه ، وأما تسميتهم بالباطنية فانهم ادعوا أن لظواهر القرآن والاخبار بواطن تجري مجرى اللب من القشر ، وأنها توهم الأغبياء صورا وتفهم الفطناء رموزا واشارات الى حقائق خفية ، وأن من تباعد عن العرض على الخفايا والبواطن متعثر ، ومن ارتقى الى علم الباطن انحط عنه التكلف واستراح من أعبائه ، واستشهدوا بقوله تعالى « ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم[1] » ، قالوا : والجهال بذلك هم المرادون بقوله : « فضُرب بينهم بسور له باب »[2] وغرضهم فيما وضعوا من ذلك، ابطال الشرائع ، لأنهم اذا صرفوا العقائد عن موجب الظاهر حكموا بدعوى الباطن ، على موجب الانسلاخ عن الدين .

وأما تسميتهم بالقرامطة ففي سبب ذلك ستة أقوال :

احدها : أنهم سموا بذلك لأن أول من أشير لهم بتلك الجهة محمد الوراق المقرمط ، وكان كوفيا .

الثاني : أن لهم رئيسا من السواد ، من الانباط يلقب بقرمطويه فنسبوا اليه .

الثالث : أن قرمطا كان غلاما لاسماعيل بن جعفر فنسبوا اليه ، لأنه أحدث لهم مقالاتهم .

الرابع : أن بعض دعاتهم نزل برجل يقال له كرميته فلما رحل تسمى قرمط بن الأشعث ، ثم أدخله في مذهبه .

---

(1) سورة الاعراف : ١٥٧ .

(2) سورة الحديد : ١٣ .

الخامس : أن بعض دعاتهم يقال له كرميته ، فلما رحل تسمى باسم ذلك الرجل، ثم خفف الاسم فقيل قرمط .

قال أهل السير : كان ذلك الرجل الداعي من ناحية خوزستان ، وكان يظهر الزهد ، والتقشف ، ويسف الخوص ، ويأكل من كسبه ، ويحفظ للقوم ما صرموا من نخلهم في حظيرة ، ويصلي أكثر الناس ، ويصوم ، ويأخذ عند افطاره من البقال رطلا من التمر ، فيفطر عليه ، ويجمع نواه فيدفعه الى البقال ، ثم يحاسبه على ما أخذ منه ، ويحط من ذلك ثمن النوى فسمع التجار الذين صرموا نخلهم ، فوثبوا عليه ، وضربوه ، وقالوا : لم ترض بأن أكلت التمر حتى بعت النوى ، فأخبرهم البقال في الحال ، فندموا على ضربه ، وسألوه الاحلال ، فازداد بذلك نبلا عند أهل القرية ، وكان اذا قعد اليه انسان ، ذاكره أمر الدين وزهده في الدنيا ، وأعلمه أن الصلاة المفروضة على الناس خمسون صلاة في كل يوم وليلة ، ثم أعلم الناس أنه يدعو الى امام من أهل بيت رسول الله ﷺ ، ثم مرض ومكث مطروحا على الطريق ، وكان في القرية رجل يحمل على أثوار له ، وكان أحمر العينين ، وكان أهل القرية يسمونه كرميته لحمرة عينيه ، وهو بالنبطية حار العين ، فكلم البقال ـ كرميته هذا ـ في أن يحمل هذا العليل الى منزله ، ويوصي أهله الاشراف عليه ، والعناية به . ففعل فأقام عنده حتى برىء ، ثم كان يأوي الى منزله .

ودعا أهل القرية الى أمره فأجابوه ، وكان يأخذ من الرجل اذا دخل في دينه دينارا ، ويزعم أنه يأخذ ذلك للامام ، فمكث يدعو أهل القرى فيجيبونه ، واتخذ منهم اثني عشر نقيبا ، وأمرهم أن يدعو الناس الى دينه ، وقال لهم : أنتم كحواري عيسى بن مريم عليهما السلام ، فشغل أكره[1] تلك الناحية عن أعمالهم بما رسمه لهم من الخمسين صلاة التي ذكر أنها فرضت عليهم ، وكان للهيصم في تلك الناحية ضياع ، فوقف على تقصير اكرته في العمارة ، فسأل عن ذلك ، فأخبر أن رجلا قدم عليهم ، فأظهر لهم مذهبا من الدين،وأعلمهم أن الله عز وجل قد افترض عليهم خمسين صلاة في اليوم والليلة ، وقد اشتغلوا بها ، فوجه اليه فجيء به فسأله عن أمره فأخبره بقصته ، فحبسه في بيت ، وحلف بقتله وأقفل عليه ، وترك المفتاح تحت وسادته ،

---

(1) اي الاجراء والعمال .

فنام فرقت له جاريته فأخذت المفتاح ، وفتحت وأخرجته ، ثم أعادت المفتاح الى موضعه فلما أصبح الهيصم فتح الباب فلم يجده ، فشاع ذلك الخبر بين أهل تلك الناحية وقالوا : قد رفع ، ثم ظهر في موضع آخر ولقي جماعة من أصحابه ، فسألوه عن قصته فقال : ليس يمكن أحدا أن يؤذيني، ثم خاف على نفسه ، وخرج الى الشام، وتسمى باسم الرجل الذي كان في منزله ــ كرميته ــ ثم خفف فقيل قرمط ، وفشا أمره ، وأمر أصحابه ، وكان قد لقي صاحب الزنج فقال له : أنا على مذهب وورائي مائة ألف سيف فناظرني فان اتفقنا ملت بمن معي اليك، وان تكن الاخرى انصرفت، فناظره فاختلفا ففارقه .

السادس : أنهم لقبوا بهذا نسبة الى رجل من دعاتهم يقال له حمدان بن قرمط، وكان حمدان من أهل الكوفة يميل الى الزهد ، فصادفه أحد دعاة الباطنية في طريقه وهو متوجه الى قريته وبين يديه بقر يسوقها فقال حمدان لذلك الراعي ، وهو لا يعرفه : أين تقصد ؟ فسمى قرية حمدان ، فقال له : اركب بقرة من هذه البقر لتستريح من المشي ، فقال : اني لم أؤمر بذلك ، قال : كأنك لا تعمل الا بأمر ؟ قال : نعم فقال حمدان : وبأمر من تعمل؟ قال بأمر مالكي ومالكك؟ ومالك الدنيا والآخرة، فقال : ذلك الله عز وجل ، قال : صدقت : وما غرضك في هذه البقعة ؟ قال : أمرت أن أدعو أهلها من الجهل الى العلم ، ومن الضلال الى الهدى ، ومن الشقاوة الى السعادة وأستنقذهم من ورطات الذل والفقر ، وأملكهم مالا يستغنون به عن التعب والكد ، فقال له حمدان : أنقذني أنقذك الله ، وأفض علي من العلم ما تحييني به ، فما أشد حاجتي الى ذلك ، فقال : ما أمرت أن أخرج السر المكنون الى كل أحد الا بعد الثقة به ، والعهد اليه ، قال : فاذكر عهدك فاني ملتزم به ، فقال : أن تجعل لي وللامام على نفسك عهد الله وميثاقه أن لا تخرج سر الامام الذي ألقيه اليك ، ولا تفشي سري أيضا ، فالتزم حمدان عهده ، ثم اندفع الداعي في تعليمه فنون جهل ، حتى استدرجه واستغواه ، واستجاب له في جميع ما دعاه اليه ، ثم انتدب للدعوة ، وصار أصلا من أصول هذه البدعة ، فسمي أتباعه القرمطية .

وأما تسميتهم بالخرمية فان خرم لفظ أعجمي ينبيء عن الشيء المستلذ الذي يشتهيه الآدمي ، وكان هذا لقبا للمزدكية وهم أهل الاباحة من المجوس ، الذين نبغوا

في أيام قباذ، على ماذكرنا[1] فأباحوا المحظورات فلقب هؤلاء بلقب أولئك لمشابهتهم اياهم في اعتقادهم ومذهبهم .

وأما تسميتهم بالبابكية فان طائفة منهم تبعوا بابك الخرمي ، وكان قد خرج في ناحية أذربيجان في أيام المعتصم ، فاستفحل أمره ، فبعث اليه المعتصم الافشين ، فتخاذل عن قتاله ، وأضمر موافقته في ضلاله ، فاشتدت وطأة البابكية على المسلمين الى أن أخذ بابك ، وقتل على ما سبق شرحه[2] ، وقد بقي من البابكية جماعة يقال : ان لهم في كل سنة ليلة يجتمع فيها رجالهم ونساؤهم ، فيطفئون المصابيح، ويتناهبون النساء ، ويزعمون أن من أخذ امرأة استحلها بالاصطياد .

فأما تسميتهم بالمحمرة فيذكر عنهم أنهم صبغوا الثياب بالحمرة أيام بابك ، وكانت شعارهم .

وأما تسميتهم بالسبعية فانهم زعموا أن الكواكب السبعة مدبرة للعالم السفلي.

وأما تسميتهم بالتعليمية فان مبدأ مذاهبهم ابطال الرأي، وافساد تصرف العقل، ودعوة الخلق الى التعلم من الامام المعصوم ، وأنه لا مدرك الا بالتعليم .

فصـــل

وأما الاشارة الى مذاهبهم ، فان مقصودهم الالحاد وتعطيل الشرائع وهم يستدرجون الخلق الى مذاهبهم بما يقدرون عليه ، فيميلون الى كل قوم بسبب يوافقهم ، ويميزون من يمكن أن يخدعهم ممن لا يمكن ، فيوصون دعاتهم فيقولون للداعي اذا وجدت من تدعوه فاجعل التشيع دينك ، ادخل عليه من جهة ظلم الامة لعلي عليه السلام ، وقتلهم الحسين وسبيهم لأهله ، والتبرىء من تيم وعدي وبني أمية ، وبني العباس ، وقل بالرجعة[3] وأن عليا يعلم الغيب ، فاذا تمكنت منه ،

---

(١) ما زال النصف الاول من المنتظم مخطوطا لم ينشر بعد ، ولا املك مصورة له .

(٢) انظر كتابي تاريخ العرب والاسلام : ٢٧٢ — ٢٧٣ .

(٣) في حاشية الاصل : « يعني أن عليا يرجع الى الدنيا لان المراد من دابة الارض علي رضي الله عنه كماهو مذهب بابر الجعفي الرافضي الشيعي» —لمحرره عفي عنه —.

أوقفته على مثالب علي وولده ، وبينت له بطلان ما عليه أهل ملة محمد عليه السلام وغيره من الرسل عليهم السلام ، وان كان يهوديا ، فادخل عليه من جهة المسيح ، وأن المسيح هو محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وهو المهدي واطمن في النصارى والمسلمين، وان كان نصرانيا فاعكس ، وان كان صابئيا فتعظيم الكواكب ، وان كان مجوسيا فتعظيم النار والنور ، وان وجدت فيلسوفيا ، فهم عمدتنا ، لأنا تنفق ، وهم ، على ابطال النواميس والانبياء ، وعلى قدم العالم ، ومن أظهرت له التشيع فأظهر له بغض أبي بكر وعمر ، ثم أظهر له العفاف والتقشف وترك الدنيا والاعراض عن الشهوات ، ومر بالصدق والامانة والامر بالمعروف ، فاذا استقر عنده ذلك فاذكر له مثالب أبي بكر وعمر، وان كان سنيا فاعكس، وان كان مائلا الى المجون والخلاعة فقرر عنده أن العبادة بله ، والورع حماقة ، وانما الفطنة في اتباع اللذة والوطر من الدنيا الفانيـــة .

وقد يستحبون من له صوت طيب بالقرآن فاذا قرأ ، تكلم داعيهم ووعظ ، وقدح في السلاطين وعلماء الزمان وجهال العامة ، ويقول : الفرج منتظر ببركة آل الرسول ﷺ،وربما قال ان لله عز وجل في كلماته أسرارا لا يطلع عليها الا من اجتباه.

ومن مذاهبهم أنهم لا يتكلمون مع عالم ، بل مع الجهال ، ويجتهدون في تزلزل العقائد بالقاء المتشابه ، وكل ما لا يظهر للعقول معناه ، فيقولون : ما معنى الاغتسال من المني دون البول ؟ ولم كانت أبواب الجنة ثمانية وأبواب النار سبعة ؟ وقولـــه : « عليها تسعة عشر »(1) ضاقت القافية ! ما بطن هذا الا لفائدة لا يفهمها كثير مـــن الناس ، ويقولون : لم كانت السموات سبعا ، ثم يشوقون الى جواب هذه الاشياء، فان سكت السائل ، سكتوا ، وان ألح قالوا : عليك بالعهد والميثاق على كتمان هذا السر ، فانه الدر الثمين ، فيأخذون عليه العهود والميثاق على كتمان هذا ويقولون في الأيمان : « وكل مالك صدقة وكل امرأة لك طالق ثلاثا ان أخبرت بذلك » ، ثـــم يخبرونه ببعض الشيء ويقولون هذا لا يعلمه الا آل رسول الله ﷺ ، ويقولون هذا الظاهر له باطن ، وفلان يعتقد ما نقول ، ولكنه يستره ويذكرون له بعض الافاضل ، ولكنه ببلـــد بعيد

---

(1) سورة المدثـــر : ٣٠ .

فصـــل

واعلم أن مذهبهم ظاهره الرفض ، وباطنه الكفر، ومفتتحه حصر مدارك العلوم في قول الامام المعصوم ، وعزل العقول أن تكون مدركة للحق لما يعترضها مـن الشبهات ، والمعصوم يطلع من جهة الله تعالى على جميع أسرار الشرائع ، ولا بد في كل زمان من امام معصوم يرجع اليه ، هذا مبدأ دعوتهم ، ثم يبين أن غاية مقصدهم نقض الشرائع ، لأن سبيل دعوتهم ليس متعينا في واحد بل يخاطبون كل فريق بما يوافق رأيهم ، لأن غرضهم الاستتباع ، وقد ثبت عنهم أنهم يقولون بإلهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان الا أن أحدهما علة لوجود الثاني ، واسم العلـة السابق ، واسم المعلول التالي ، وأن السابق خلق العالم بواسطة التالي لا بنفسه ، وقد يسمون الاول عقلا والثاني نفسا، والاول تاما والثاني ناقصا، والاول لايوصف بوجود ولا عدم ، ولا موصوف ولا غير موصوف ، فهم يومون الى النفي لأنهم لو قالوا معدوم ما قبل منهم ، وقد سموا هذا النفي تنزيها .

ومذهبهم في النبوات قريب من مذهب الفلاسفة ، وهو أن النبي عبارة عـن شخص فاضت عليه من السابق بقوة التالي قوة قدسية صافية ، وأن جبريل عبارة عن العقل الفائض عليه لا انه شخص وان القرآن هو تعبير محمد عن المعارف التي فاضت عليه من العقل فسمي كلام الله مجازا لأنه مركب من جهته ، وهذه القـوة الفائضة على النبي لا تفيض عليه في أول أمره ، وانما تتربى كنطفة .

واتفقوا على أنه لا بد في كل عصر من امام معصوم قائم بالحق يرجع اليه في تأويل الظواهر وحل الاشكال في القرآن والاخبار ، وأنه يساوي النبي في العصمة ، ولا يتصور في زمان واحد امامان بل يستظهر الامام بالدعاة ، وهم الحجج ولا بد للامام من اثني عشر حجة ، أربعة منهم لا يفارقونه .

وكلهم أنكر القيامة وقالوا: هذا النظام وتعاقب الليل والنهار وتولد الحيوانات لا ينقضي أبدا ، وأولوا القيامة بأنها رمز الى خروج الامام ، ولم يثبتوا الحشر ولا النشر ، ولا الجنة ولا النار ، ومعنى المعاد عندهم عود كل شيء الى أصله ، قالوا :

فجسم الآدمي يبلى والروح ــ ان صفت بمجانبة الهوى ، والمواظبة على العبادات ، وغذيت بالعلم ــ استعدت بالعود الى وطنها الاصلي وكمالها بموتها ، اذ به خلاصها من ضيق الجسد .

وأما النفوس المنكوسة المغموسة في عالم الطبيعة المعرضة عن طلب رشدها من الائمة المعصومين فانها أبدا في النار،على معنى أنها تتناسخ في الابدان الجسمانية، وكلما فارقت جسدا تلقاها آخر ، واستدلوا بقوله تعالى « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها[1] » .

وأكثر مذاهبهم يوافق الثنوية ، والفلاسفة في الباطن ، والروافض في الظاهر ، وغرضهم بهذه التأويلات انتزاع المعتقدات الظاهرة من نفوس الناس ، حتى تبطل الرغبة والرهبة .

ثم انهم يعتقدون استباحة المحظورات ، ورفع الحجر ، ولو ذكر لهم هذا لأنكروه ، وقالوا : لا بد من الانقياد للشرع على ما يفعله الامام فاذا أحاطوا بحقائق الأمور انحلت عنهم القيود،والتكاليف العملية اذ المقصود عندهم من أعمال الجوارح تنبيه القلب ، وانما تكليف الجوارح للغمر الذين لا يراضون الا بالسياقة[2] ، وغرضهم هدم قوانين الشرع .

قالوا : وكلما ذكر من التكاليف فرموز الى باطن ، فمعنى الجنابة مبادرة المستجيب[3] بافشاء سر اليه قبل أن ينال رتبة الاستحقاق لذلك ، ومعنى الغسل تجديد العهد على من فعل ذلك ، والزنا القاء نطفة العلم الباطن الى نفس معه عقد العهد ، والاحتلام أن يسبق اللسان الي افشاء السر في غير محله ، والصيام الامساك عن كشف السر ، والمحرمات عبارة عن ذوي السر[4] ، والبعث عندهم الاهتداء الى

---

(1) سورة النساء : ٥٦ .

(2) توضح هذه الفقرة ما كتبه الغزالي في كتابه فضائح الباطنية : ٤٧ « وانما تكليف الجوارح في حق من يجري بجهله مجرى الحمر التي لا يمكن رياضتها الا بالاعمال الشاقة » .

(3) من أدنى المراتب في الدعوة الاسماعيلية ، انظر فضائح الباطنية : ٥٥ ــ ٥٦ .

(4) كذا في الاصل ، وفي فضائح الباطنية : ٥٦ « المحرمات عبارة عن ذوي الشر من الرجال وقد تعبدنا باجتنابهم » .

مذاهبهم.ويقولون « للذكر مثل حظ الانثيين »[1] الذكر : الامام ، والحجة الانثى.

وقالوا : « يوم يأتي تأويله »[2] أي يظهر محمد بن اسماعيل ، وفي قوله : « حرمت عليكم الميتة »[3] ، قالوا : الميتة الحامل على الظاهر الذي لا يلتفت الى التأويل .

وقالوا : ان الشاة والبقر هم الذين حضروا محاربة الانبياء والائمة ، يترددون في هذه الصور،ويجب على الذابح أن يقول عند الذبح اللهم اني أبرأ اليك من روحه وبدنه ، وأشهد له بالضلالة ، اللهم لا تجعلني من المذبوحين ، ولهم من هذا الهذيان ما ينبغي تنزيه الوقت عن ذكره وانما علمت هذه الفضائح من أقوام تدينوا بدينهم ، ثم بانت لهم قبائحهم فتركوا مذهبهم .

فان قال قائل : مثل هذه الاعتقادات الركيكة ، والحديث الفارغ ، كيف يخفى على من يتبعهم ، ونحن نرى أتباعهم خلقا كثيرا ؟ فالجواب : ان أتباعهم أصناف ، فمنهم قوم ضعفت عقولهم ، وقلت بصائرهم وغلبت عليهم البلادة والبله ، ولم يعرفوا شيئا من العلوم ، كأهل السواد والاكراد وجفاة الاعاجم ، وسفهاء الاحداث ، فلا يستبعد ضلال هؤلاء فقد كان خلق ينحتون الاصنام ويعبدونها .

ومن أتباعهم طائفة انقطعت دولة أسلافهم بدولة الاسلام كأبناء الاكاسرة والدهاقين[4] ، وأولاد المجوس ، فهؤلاء موتورون قد استكن الحقد في صدورهم، فهولاء كالداء الدفين فاذا حركته مخائيل المبطلين اشتعلت نيرانه .

ومن أتباعهم قوم لهم تطلع الى التسلط والاستيلاء ، ولكن الزمان لايساعدهم، فاذا رأوا طريق الظفر بمقاصدهم سارعوا .

ومن أتباعهم قوم جبلوا على حب التميز عن العوام ، فزعموا أنهم يطلبون الحقائق وأن أكثر الخلق كالبهائم ، وكل ذلك لحب النادر الغريب .

---

(١) سورة النساء : ١١

(٢) سورة الاعراف : ٥٣

(٣) سورة المائدة : ٣ .

(٤) جمع دهقان ، وهم رؤساء القرى وجباة الضرائب والتجار الكبار في العهد الساساني ، واستمر حالهم في بداية الاسلام . انظر المعرب للجواليقي .

ومن أتباعهم الملاحدة[1] الفلاسفة والثنوية الذين اعتقدوا الشرائع نواميس مؤلفة،والمعجزات مخاريق مزخرفة فاذا رأوا من يعطيهم شيئا من أغراضهم مالوا اليه.

ومن أتباعهم قوم مالوا الى عاجل اللذات ، ولم يكن لهم علم ولا دين ، فاذا صادفوا من يرفع عنهم الحجر مالوا اليه ، على أن هؤلاء القوم لا يكشفون أمرهم الا بالتدريج على قدر طمعهم في الشخص .

وانما مددنا النفس في شرح حالهم،وان كنا ذكرنا بيتا من قصيدة لعظم ضررهم على الدين وشياع كلمتهم المشوبة ، وانما اجتمعت لهم الاسباب التي ذكرناها في وسط أيامهم ، والا فمعاندوا الشرائع خلق كثير ، وقد نبغ منهم قوم أظهروا امامة محمد بن الحنفية وقالوا : ان روح محمد انتقلت اليه ، ثم انتقلت منه الى أبي مسلم صاحب الدعوة ، ثم الى المهدي ثم الى رجل يعرف بابن القصري ثم خمدت نارهم .

ثم نبغ لهم في أيام المأمون رجل ، فاحتال فلم تنفذ حيلته ، ثم تناصروا في أيام المعتصم وكاتبوا الافشين[2] وهو رئيس الاعاجم ، فمال اليهم واجتمعوا مع بابك ، ثم زاد جمعهم على ثلاثمائة ألف فقتل المعتصم منهم ستين ألفا وقتل الافشين أيضا ، ثم ركدت دولتهم .

ثم نبغ منهم جماعة وفيهم رجل من ولد بهرام جور ، وقصدوا ابطال الاسلام ورد الدولة الفارسية ، وأخذوا يحتالون في تضعيف قلوب المؤمنين وأظهروا مذهب الامامية ، وبعضهم مذهب الفلاسفة .

---

(١) في الاصل « المخلدة » وهو تصحيف ، صوابه ما اثبتنا . انظر فضائح الباطنية ٣٦ ، ويلاحظ أن ابن الجوزي قام بالاعتماد المطلق على كتاب الغزالي هذا . انظر : ٢٨ ــ ٣٦ .

(٢) اختلف حول تورط الافشين في قضية بابك ، وقد جرت له محاكمة ايام المعتصم قتل اثرها . انظر مروج الذهب : ٣٠٥/٣ . وراجع ما كتبه قاسم العزيز في اطروحته عن بابك ــ ط. بيروت دار الفارابي .

وجعل لهم رأس يعرف بعبد الله بن ميمون بن عمرو، ويقال ابن ديصان القداح، الاهوازي وكان مشعبذا ممخرقا ، وكان معظم ممخرقته باظهار الزهد والورع ، وأن الارض تطوى له ، وكان يبعث خواص أصحابه الى الاطراف معهم طير ، ويأمرهم أن يكتبوا اليه الاخبار عن الاباعد ، ثم يحدث الناس بذلك فيقوى شبههم ، وكانوا يقولون : ان المتقدمين منهم، يستخلفون عند الموت، وكلهم خلفاء محمد بن اسماعيل ابن جعفر الطالبي وان من الدعاة الى الامام معد بن تميم وابنه اسماعيل ، وهم المتغلبون على بلاد المغرب ، ومن استجاب لهم عرفوه آنهان عمل ما يرضيهم صار اماما ونبيا ، وأنه يرتقي المبتدي منهم الى الدعوة ، ثم الى أن يكون حجة ، ثم الى الامامة[1] ، ثم يلحق مرتبة الرسل ، ثم يتحد بالرب فيصير ربا ، ولا يجوز لأحد أن يحجب امرأته عن اخوانه .



(١) نجد مصداق هذافي سيرة حمزة بن علي هادي المستجيبين وقيام الدعوة الدرزية.

كتـــاب

أخبـــار الـــدول المنقطعـــة

الدولــة العلويــة بافريقية ومصر والشام

قال الفقيه جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر جامع أخبارها ، وعليه عهدة ما نقلــه : ...

المعز لدين الله ابو تميم معــد

وبعث جوهر بجعفر بن فلاح الى الشام بجيش كثيف ، فلقي الحسن بن عبيدالله ابن طغج ، وهو يومئذ صاحب الشام ، بالرملة ، فهزمه ، وأسره ، وبعث به الى مصر ، وسار الى دمشق فملكها بعد حرب شديد من أهلها ، وفتن عظيمة ، وملك الساحل أجمعه ، وأقام بدمشق الى أن سار الحسن الاعصم القرمطي ، من هجر والاحساء بأمر الامام المطيع لله[1] ، له بذلك ، فوصل الى الرحبة[2] ، واجتمع عليها بالامير عدة الدولة أبي تغلب الغضنفر بن ناصر الدولة بن حمدان[3] ، ثم سافر الى دمشق ، فلقيه جعفر بن فلاح دونها ، فلم يكن الا كرجع الطرف أو دونه ، حتى انهزمت المغاربة وقتل جعفر .

وملك القرمطي الشام أجمعه ، وسار الى مصر ، فلم يكن لجوهر طاقة بــه ، فقاتله من وراء خندق القاهرة ، حتى كاد القرمطي أن يأخذه ، ثم رجع القرمطي عنــه بغير سبب يعرف ، وقيل انه كان معه خمسة عشر ألف جمــل وبغل تحمل صناديق الاموال ، وأواني الذهب ، والفضة ، والسلاح سوى ما يحمل المضارب والخيــم والبنود ، وغير ذلك من الاثقال .

---

(1) ٣٣٤ هـ/٩٤٦ م — ٣٦٣ هـ/٩٧٤ م .

(2) في أحواز الميادين الحالية على الفرات في سورية على مقربة من الحدود السورية العراقيــة .

(3) ٣٥٨ هـ/٩٦٨ م — ٣٦٩ هـ/٩٧٩ م ، في الموصل .

وكتب عند ذلك جوهر الى سيده يستنهضه للمسير الى مصر ، ويخبره أنه أكله القرامطة ، فسار المعز من المهدية ، ووصل الى قصره بالقاهرة يوم الثلاثاء لخمس ليال خلون من شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة وقيل لسبع .

وكتب الى القرمطي كتابا كبيرا يهدده فيه ، لا يكتبه الا مارق عن الاسلام ، من بعض فصوله : « أما علمت بأني نار الله الموصدة التي تطلع على الافئدة ، أعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور » وهو كتاب كبير محشو بأنواع الكفر ، والمعاتبة للقرمطي ، يحضه فيه على اقتفاء آبائه وعمومته في موالاته وموالاة بنيه ، ويقول فيه: ان آباءك كانوا أتباع آبائي لا يخرجون عن مراسمهم في جميع تصرفاتهم »[1]،... ولم ينفع هذا الكتاب بل كان نص جواب القرمطي له : « وصل كتابك الذي كثر تفصيله ، وقل تحصيله ، والجواب : ما تراه دون ما تسمعه »

وسار عقب ذلك الى مصر ، وملك الصعيد ، وأسفل الارض ، ثم عاد على نية العود ، فبادر المعز برسله اليه ، وقرر معه حمل المال الذي كان كافور الاخشيدي يحمله الى آبائه وعمومته في كل سنة،فأجاب القرمطي الى ذلك،وخرج لهم عن الشام.



---

(١) انظر نص الكتاب في المقتبس من اتعاظ الحنفا فيما يلي .

الامير يوسف بن ابي الساج

وتولى يوسف بن ديواداذ بلاد أذربيجان ، وارتفع شأنه فيها ارتفاعا عظيما ، وملك ملكا كبيرا ، وأقام واليا سنة خمس وثلاثمائة ... وأقام يوسف رضي البال الى أن أتته قاصمة الظهر ، وغاية العمر في سنة خمس عشرة ، وذلك أن آبا طاهر سليمان بن الحسن الجنابي القرمطي صاحب هجر والاحساء ، لما طغى على البصرة وأخربها ، وهزم جيوش الخليفة وكسرها استدعى الخليفة يوسف من أذربيجان ، ورسم له بمحاربته ، فسار يوسف الى نواحي الكوفة ، وبلغ الجنابي خبره ، فسار اليه فالتقوا على مكان يعرف بالخندق بين الحيرة والنيل في يوم السبت لعشر خلون من شوال سنة خمس عشرة ، وكان يوسف في نحو أربعين ألف فارس وراجل ، والجنابي في نحو أربعة آلاف ، وبات الناس ليلة الاحد ، فهرب أكثر من مع يوسف ، وباكر العسكران القتال ، فرأى القرامطة من قتال أصحاب يوسف وغلمانه ما لم ير مثله حتى هموا بالفشل ، ثم انهزم أكثر من معه ، وبقي هو في نحو خمسمائة مملوك ، فحار في أمره وقال : أروني صاحب أمرهم لعلي أحمل عليه فأموت به ، فقيل له : هو من جملة أصحاب الخيل الذين شعارهم البياض ، وكان ذلك زي سليمان وأخوته لا يعرف بعضهم في الحرب من بعض ، فحمل عليهم ، وهزم القرامطة حتى انتهى اليهم ، فضرب أحدهم فصرعه عن دابته ، ثم رجع ، وجعل يحمل عليهم وغلمانه ينقصون ، وشملهم القتل والاسر والانهزام ، حتى حمل فلم يرجع ، وأسر وقتل بعد ذلك بأربعة أيام ... وكان عمره خمسا وستين سنة ، وكان شجاعا صارما، لا يملأ قلبه شيء ، مع لين في كلامه ، وفتور في ألفاظه ، وكان كثير اللجاج ، ومن لجاجته وقعته مع القرمطي ...



كتــاب

بغيــة الطلب في تاريــخ حلب

القرمطي صاحب الخـال

أحمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب • صاحب الخال • نسب نفسه هكذا • وقيل أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن اسماعيل (١٢٩ ـ ظ) وقيل ان اسمه الحسين بن زكرويه بن مهرويه • وقيل ابن مهري الصواني • من أهل صوان من سواد الكوفة • وهو المعروف بصاحب الخال • أخو علي بن عبد الله القرمطي ، نسب نفسه الى محمد ابن اسماعيل بن جعفر • وتسمى بالمهدي ، وبايعته القرامطة بعد قتل أخيه بنواحي دمشق • وصار الى السخنة[1] والاركة ، والزيتونة وخناصره من الاحص من أعمال حلب ، ودخل هذه المواضع عنوة ، ونهب ما فيها مـن الاموال والسلاح ، وأفسد بالشام وعاث في بلادها • وغلب على أطراف حمص ، وخطب له على منابرها وفتحوا له بابها ، وسار الى حمـاة ومعرة النعمان وغيرهما مـن البلاد فقتل أهلها والنساء والاطفال • ثم جاء الى سلمية فمنعوه ، ثم أعطاهم الامان ففتحوا له بابها فدخل وقتل الهاشميين أجمعين بها ، ثم قتل الرجال ، ثم البهائم ، ثم الصبيان ، ثم خرج منها وليس بها عين تطرف •

وجهز جيشا كثيفا بخيل ورجالة مع بعض دعاته ويعرف بعميطر المطوق الـى ناحية حلب ، فأوقعوا بأبي الاغر خليفة بن المبارك[2] بوادي بطنان[3] ، وقتلوا خلقا عظيما وانتهبوا عسكره وأفلت أبو الاغر في ألف رجل لا غير ، فدخل الى حلب ، ووصلوا خلفه الى حلب ، فأقاموا عليها على سبيل المحاصرة • وتسرع أهل حلب في يوم الجمعة سلخ شهر رمضان من سنة تسعين ومائتين وطلبوا الخروج لقتالهم ،

---

(١) في بادية الشام ما تزال تعرف بنفس الاسـماء .

(٢) قال الطبري في حوادث سنة ٢٩٠هـ، ص٢٢٢٢ من ط. ليدن، ولثلاث عشرة بقيت من ربيع الآخر خلع على ابي الاغر ووجه به لحرب القرمطي بناحية الشام فمضى الى حلب في عشـرة آلاف رجل .

(٣) بطنان حبيب واد ما بين حلب ومنبج ـ معجم البلدان .

فمنعوا من ذلك ، فكسروا قفل باب المدينة، وخرجوا الى القرامطة ، فتحاربوا،ونصر الله الرعية من أهل حلب عليهم ، وقتل من القرامطة جماعة كثيرة ، وخرجوا يوم السبت يوم عيد الفطر مع أبي الاغر الى مصلى العيد ، وعيد المسلمون ، وخطب الخطيب على العادة ، ودخل الرعية الى مدينة حلب في أمن وسلامة وأشرف أبو الاغر على عسكر القرامطة فلم يخرج اليه أحد منهم .

فلما يئسوا من فرصة ينتهزونها من حلب ساروا ومضوا الى صاحب الخال ، ولما انتهى الى المكتفي بالله هذه الامور خرج نحوه وجهز اليه عسكرا قويا في المحرم سنة احدى وتسعين ومائتين . فقتل من أصحاب القرمطي خلق كثير ، وانهزم نحو الكوفة فقبض بالدالية من سقي الفرات وحمل الي الرقة الى المكتفي بالله ، فحمل الى بغداد وشهر وطيف به على جمل ، وقيل على فيل . ثم بنيت له دكة فقتل عليها هو وأصحابه في شهر ربيع الاول سنة احدى وتسعين ومائتين .

وكان لعنه الله أديبا شاعرا ، وكثيرا ما يقع الاختلاف في اسمه ونسبه واسم أخيه الذي قتله قبله علي بن عبد الله،وبعضهم يسمي أخاه محمد بن عبد الله بن يحيى. والصحيح أن الذي ثبت عليه في اسمه ونسبه أبو العباس أحمد بن عبد الله،وهو دعي.

وانما سموا القرامطة : زعموا أنهم يدعون الى محمد بن اسماعيل بن جعفر بن علي ، ونسبوا الى قرمط . وهو حمدان بن الاشعث . كان بسواد الكوفة . وانما سمي قرمطا لأنه كان رجلا قصيرا ، وكان رجلاه قصيرتين ، وكان خطوه متقاربا ، فسمي بهذا السبب قرمطا . وكان قرمط قد أظهر الزهد والورع وتسوق به على الناس مكيدة وخبثا .

وكانت أول سنة ظهر فيها أمر القرامطة سنة أربع وستين ومائتين وذكر بعض العلماء أن لفظة قرامطة انما هو نسبة الى مذهب يقال له : القرمطة خارج عن مذاهب الاسلام ، فيكون على هذه المقالة عزوه الى مذهب باطل لا الى رجل ، وانما قيل لهذا القرمطي صاحب الخال لأنه كان على خده الايمن خال ، ويعرف بابن المهزول زكرويه ابن مهري الصواني من أهل صوان من سواد الكوفة . وقيل هو وأخوه من قيس من بني عبادة بن عقيل من بني عامر ثم من بني قرمطي بن جعفر بن عمرو بن المهيأ بن يزيد بن عبد الله بن يزيد بن قيس بن جوثة بن طهفة بن حزن بن عبادة بن عقيل بن

كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكـر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان • فادعى أنه من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر ، فعلى هذا يكون منسوبا الى جدهم قرمطي ، ولا يبعد أن يكون الامران جميعـا والله أعلـم •

وقرأت في رسالة أبي عبد الله محمد بن يوسف الانباري الكاتب الى أخيه أبي علي في ذكر أخبار هذا القرمطي أنه ادعى أنه أحمد بن عبد الله بن جعفر بن محمد ، وأنه المهدي • وأنه نظر محمد بن اسماعيل في النسب فلما وقف على بعد هذا النسب ادعى « بعد وقعة السطح في الكسوة[1] » أنه محمد بن عبد الله بن جعفر ، وكتب بذلك كتابا بخطه الى المعروف بابن حوي السكسكي ممن يسكن في بيت لهيا • فصار ابن حوي بالكتاب الى أبي نصر حمد بن محمد كاتب طغج •

ثم نزع عن هذا النسب الى عبد الله بن ادريس الحسني القادم من الحجاز الى مدينة أذرعات من جهة دمشق •

وقيل ان القرمطي من يهود نجران وأنه دعي •

وذكر أبو محمد عبد الله بن الحسين الكاتب القطربلي ، ومحمد بن أبي الازهر في التاريخ الذي اجتمعا على تأليفه في حوادث سنة تسع وثمانين قالا : وفي آخر هذه السنة ظهر رجل يقال له : محمد بن عبد الله بن يحيى ولد اسماعيل بن جعفر العلوي بنواحي دمشق يدعو الى نفسه • واجتمع اليه خلق كثير من الاعراب وأتباع الفتن ، فسار بهم الى دمشق وكان بها طغج بن جف مولى أمير المؤمنين من قبل هارون بن خمارويه عامل أمير المؤمنين على مصر والشام ، فلما بلغه خبره استعد لحربه وتحصن طغج بدمشق ، فحصره هذا العلوي بها ، وكانت بينهما وقعات وانقضت •

قالا : وفي هذه السنة ــ يعني سنة تسعين ومائتين ــ : جرت بين طغج بن جف وبين القرمطي حروب كثيرة كلها على طغج ، فكتب الـى هارون (١٣١ ظ) يستنجده فوجه الى مصر جيشا بعد جيش ، كل ذلك يهزمهم القرمطي ، ثم وجـه هارون بن خمارويه ببدر الحمامي ، وكتب الى طغج في معاضدته وضم اليه وجوه

---

(١) إنظر ما سياتي ، خاصة رواية ابن المهذب بعد عدة صفحات ، والسطح قرية من قرى الكسوة على مقربة من دمشق ذكرها ياقوت في معجمه .

القواد بمصر والشام ، فخرج الى القرمطي فكانت بينهم حروب كثيرة أتت على أصحاب بدر الحمامي ، وكان هذا القرمطي قد جعل علامته ركوب جمل من جماله ، وترك ركوب الدواب ولبس ثيابا واسعة وتعمم عمة أعرابية ، وأمر أصحابه أن لا يحاربوا أحدا ، وان أتي عليهم حتى ينبعث الجمل من قبل نفسه من غير أن يثيره أحد ، فكانوا اذا فعلوا ذلك لم يهزموا ، وكان اذا أشار بيده الى ناحية من النواحي انهزم من يحاربه ، واستغوى بذلك الأعراب •

فخرج اليه بدر يوما لمحاربته ، فقصد القرمطي رجل من أصحاب بدر يقال له زهير بزانة ، فرماه بها فقتله ، ولم يظهر على ذلك أصحاب بدر الا بعد مدة ، فطلب في القتلى فلم يوجد ، وكان يكنى أبا القاسم •

قال ابن أبي الأزهر : وحدثني كاتبه المعروف باسماعيل بن النعمان ، ويكنى بأبي المحمدين ، وسبب هذه الكنية أنه وافى مع جماعة من القرامطة بعد الصلح وقبولهم الامان من القاسم بن سيماء ـ وكان على طريق الفرات ـ ومن عبد الله بن الحسين بن سعود ـ وكان على القابون ـ فكان القاسم بن سيماء ، يكنى أبا محمد، وعبد الله بن الحسين يكنى أبا محمد ، وصاحب البريد المعروف بابن المهلبي يكنى أبا محمد ، وصاحب الخرائط قرابة أبي مروان يكنى أبا محمد ، فكنى اسماعيل هذا أبا المحمدين ، فبقي معروفا بذلك ، فحدثني اسماعيل عن هذه الوقعة ، قال : فصرت اليه مرة وهو راكب على نجيبه وعليه دراعة ملحم ، فقلت له : قد اشتد الامر على أصحابنا ، وقد قربوا منك ، فتنح عن هذا الموضع الى غيره ، فلم يرد علي جوابا ، ولم يثر نجيبه ، فعدلت اليه ثانية فقلت له : قم ، فانتهرني • ولم يرم الى أن وافته زانة ، أو قال حربة ، فسقط عن البعير ، وكاثرنا من يريد أخذه فمنعنا منه ، وقتل زهاء مائة انسان في ذلك الموضع ، ثم أخذناه وتنحينا بأجمعنا •

فقلت : الذي أقمتموه مقامه أهو أخوه ؟ فقال : لا ، والله ما نعلم ذاك ، غير أنه وافانا قبل هذه الحادثة بيومين ، فسألناه من أنت من الامام ؟ فقال : أنا أخوه، ولم نسمع من الشيخ شيئا في أمره ، يعني المكتنى أبا القاسم • وكان هذا المدعي أخاه يكنى أبا العباس ، واسمه أحمد بن عبد الله•فعقد لنفسه البيعة على القرامطة ودعاهم الى مثل ما كان أخوه يدعوهم اليه ، فاشتدت شوكته • ورغبت البوادي في النهب ، وانثالت عليه انثيالا ، وذلك في آخر شهر ربيع الآخر من هذه السنة •

ثم صار الى دمشق فصالحه أهلها على خراج دفعوه اليه فانصرف عنهم ، ثم سار الى أطراف دمشق ، وحمص ، فتغلب عليها ، وخطب له على منابرها ، وتسمى بالمهدي ، ثم صار الى مدينة حمص فأطاعه (١٣٢ ظ) أهلها ، وفتحوا له بابها فدخلها، ثم صار الى : حماة ، وسلمية وبعلبك ، فاستباح أهلها ، وقتل الذراري ، ولم يبق شريفا لشرفه ، ولا صغيرا لصغره ولا امرأة لحرمها ، وقتل أهل الذمة ، وفجروا بالنساء .

حدثني من كان معهم قال : رأيت عصاما سيافه ، وقد أخذ من بعلبك امرأة جميلة جدا ، ومعها طفل لها رضيع ، فرأيته والله وقد فجر بها، ثم أخذ الطفل بعد ذلك فرمى به نحو السماء ، ثم تلقاه بسيفه ، فرمى به قطعتين ، ثم عدل الى أمه بذلك السيف بعينه ، فضربها به فبترها .

فلما اتصل عظيم خبرهم واقدامهم على انتهاك المحارم ودام، خرج أمير المؤمنين المكتفي بالله متوجها نحوه يوم الثلاثاء لتسع خلون من شهر رمضان في قواده ومواليه وغلمانه وجيوشه ، وأخذ على طريق الموصل ثم صار الى الرقة وأقام بها وأنفذ الجيوش نحو القرامطة،وقلد القاسم بن عبيد اللهبن سليمان تدبير أمر هذه الجيوش.

فوجه القاسم محمد بن سليمان الكاتب ، صاحب الجيش خليفة له على جميع القواد ، وأمرهم بالسمع والطاعة ، فنفذ عن الرقة في جيش ضخم وآلة جميلة وسلاح شاك ، وكتب الى جميع القواد والامراء في النواحي بالسمع له والطاعة لامره ، وضم محمد بن سليمان القواد بعضهم الى بعض وصمد نحو القرمطي ، فلم يزل يعمل التدبير ويذكي العيون (١٣٣ و) ويشاور ذوي الرأي ويتعرف الطرقات الى أن دخلت سنة احدى وتسعين .

قال : وفي أول هذه السنة : كتب أمير المؤمنين الى محمد بن سليمان والى سائر القواد في مناهضة القرمطي ، فساروا اليه فالتقوا على اثني عشر ميلا من حماة في موضع بينه وبين سلمية[1] ، فاشتدت الحرب بينهم ، وصدقوهم القتال ، فتجمع

---

(١) ذكر الطبري ٢٢٣٩ أن اسم المكان (تمنع) ولعله مكان قرية التمانعة الحالية والتابعة اداريا لخان شيخون، في منطقة معرة النعمان. انظر التقسيمات الادارية في الجمهورية العربية السورية ـ ط. دمشق ص ٢٨ .

القرامطة وحملوا على الميمنة حملة رجل واحد، فثبت الأولياء فمروا صادفين وجعلوها هزيمة ، ومنح الله من أكتافهم ، وقتل منهم وأسر أكثر من عشرة آلاف رجل ، وشرد الباقون في البوادي ، واستمرت بهم الهزيمة ، وطلبهم الأولياء الى وقت صلاة عشاء الآخرة من ليلة الاربعاء لسبع خلون من المحرم ، ولما رأى القرمطي ذلك ، ورأى من بقي من القرامطة ، قد كاعوا عنه ، حمل أخا له يكنى أبا الفضل مالا ، وتقدم اليه الى أن يظهر في موضع آخر فيصير اليه .

وتجمع رؤساء القرامطة ، وهم الذين كانوا صاروا الى رحبة مالك ابن طوق[1] فطلبوا الامان ، وهم : أبو المحمدين ، والنعمان بن أحمد ، وأحمد بن النعمان أخو أبي المحمدين ، ووشاح ، وعطير ، وشديد بن ربعي وكليب من رهط النحاس ، وعصمة السياف[2] وسجيفة رفيقه ، ومسرور وغشام . فقالوا للقرمطي ، وهو صاحب الخال : قد وجب حقك علينا ، وقد رأيت ما كان من جدنا واجتهادنا ، (١٣٣ ظ) ومن حقك علينا أن ندعك ، وانما يطلبنا السلطان بسببك.فانج بنفسك. فأخذ ألف دينار فشدها في وسطه في هميان[3] ، وأخذ معه غلاما روميا يقال له لؤلؤ، كان يهواه ويحل منه محل بدر من المعتضد بالله ، وركب معه المدثر ، وكان يزعم أنه ابن عمه ، والمطوق غلامه ، ومع كل واحد منهم هميان في وسطه .

فأما المطوق ــ وهو اتخذ له سخاب وقت دخوله الى مدينة السلام[4] ــ فاني سألت عنه أبا المحمدين ، فذكر أنه رجل من أهل الموصل ، وأنه صار الى الامام بزعمه ، فجعل يورق له ويسامره . ولم يعرف قبل ذلك الوقت .

وأخذوا دليلا ، وسار يريد الكوفة عرضا في البرية ، فغلط بهم الدليل الطريق، وأخرجهم بعوضع بين الدالية والرحبة يقال له بنو محرز فلما صاروا الى بني محرز،

---

(١) قرب مدينة الميادين الحالية على الفرات في سورية .

(٢) ذكر في ص ٧٥ ان اسمه (عصاما) .

(٣) الهميان ــ فارسية معربة ــ شداد السراويل أو تكته وما يجعل فيه الدراهم ويشد على الحقو ، وشهر باتخاذ الهميان وما زال صابئة العراق .

(٤) في اللسان وتاج العروس ــ السخاب . قلادة ــ وجاء في الطبري ــ٢٢٤٣ــ٢٢٤٤ انه لما دخل الرقة كان يشتم الناس اذا دعوا عليه ويبزق عليهم فاتخذ له مايشبه اللجام لئلا يفعل ذلك .

نزلوا خارج القرية ، في بيدر عامر ، فأخرجوا دقيقا كان معهم في مزود ، واقتدحوا نارا واحتطبوا ليخبزوا هناك ، وكان وقت مغيب الشمس ، فعلا الدخان وارتاب الموكلون ببني محرز، من أصحاب المسالح، بما رأوه ، فأموا الموضع ، فلقوا الدليل، فعرفه بعضهم ، فقال : ما وراءك ؟ قال : هذا القرمطي وراء الدالية . فشدوا عليهم فأخذوهم ، وكتبوا الى أبي خبزة وهو في الدالية يعلمونه بهذا، فأتاهم ليلا ، فأخذهم وصار بهم الى الدالية ، وأخذ من وسط غلام له هميانا فيه ألفا دينارا (١٣٤ و) ومن وسط المدثر مثل ذلك وأخذ الهميان الذي كان مع القرمطي ، ووكل بهم في دار بالدالية ، وكتب الى أحمد بن محمد بن كشمرد وهو بالرحبة يخبره ، فأسرع السير اليهم[1] ، فلما وافى احتبس القرمطي في بيت لطيف في مجنب الحيري .

فحدثني بعض أهل الدالية ، قال : لما وافى ابن كشمرد ، سأل القرمطي : ماأخذ منك ؟ قال : ما أخذ مني شيء ، فقال له المطوق : أتبغي من الامام ما لا يحسن منه الاقرار به ، ودعا بالبزاز ، فأخذ ثيابا ، ثم دعا بالخياط ليقطع للقرمطي تلك الثياب ، فقال الخياط للقرمطي : قم حتى أقدر الثوب عليك ، فقال المطوق للخياط : أتقول يابن اللخناء للامام : قم ! اقطع ثكلتك أمك على سبعة أشبار ، وصار ابن كشمرد وأبو خبزة بالقرمطي الى الرقة ، ورجعت جيوش أمير المؤمنين ، بعد أن تلقطوا كل من قدروا عليه من أصحاب القرمطي ، في أعمال حمص ونواحيها .

وورد كتاب القاسم بن عبيد الله ، بأن القرمطي أدخل الرقة ظاهرا للناس على جمل فالج ، وعليه برنس حرير ، ودراعة ديباج ، وبين يديه المدثر والمطوق ، على جملين ، في يوم الاثنين ، لأربع ليال بقين من المحرم ، سنة احدى وتسعين ومائتين، حتى صير بهم الى دار أمير المؤمنين بالرقة ، فأوقفوا بين يديه ، ثم أمر بهم فحبسوا ، واستبشر الناس والاولياء بما هناه الله في أمر هذا القرمطي . وقرظ أمير المؤمنين القاسم بن عبيد الله في (١٣٤ ظ) هذا الوقت ، وأحمده فيما كان من تدبيره ، في أمر هذا الفتح ، وخلع عليه خلعا شرفه بها ، وقلده سيفا ولقبه بولي الدولة ، وانصرف الى منزله بالرقة . وخلف أمير المؤمنين عساكره مع محمد بن سليمان ، وشخص من الرقة في غلمانه ووجوه أصحابه وحرمه ، وشخص معه أبو الحسين القاسم بن عبيدالله

(١) انظر الطبري : ٢٢٣٨ .

الى بغداد ، وحمل معه القرمطي والمدثر والمطوق وجماعة ممن أسر في الوقعة مستهل صفر ، وقعد في الحراقات في الفرات ، ولم يزل متلوما في الطريق حتى وصل الى البستان المعروف بالبشري ليلة السبت لليلتين بقيتا من صفر، فأقام به ثم عبر من هنا الى الجانب الشرقي ، فعبأ الجيوش بباب الشماسية • وكان أمير المؤمنين قد عزم على أن يدخل القرمطي بغداد مصلوبا على دقل[1] • والدقل على ظهر فيل ، وأمر بهدم الطاقات التي يجتاز بها الفيل ، اذ كانت أقصر من الدقل • ثم استسمج ذلك ، فعمل له دميانة غلام يازمار[1] كرسيا ، ارتفاعه ذراعان ونصف ، وأجلسه عليه ، وركب الكرسي على ظهر الفيل • فدخل أمير المؤمنين مدينة السلام صبيحة يوم الاثنين مستهل ربيع الاول في زي حسن وتعبئة وجيش كثيف ، وآلة تامة وسلاح شاك ، وقدم الاسرى على جمال مقيدين عليهم دراريع حرير • وبرانس حرير ، ثم قدم المدثر بين يدي القرمطي على جمل فالج وعليه دراعة حرير (١٣٥ ـ و) وبرنس ، ثم القرمطي على الكرسي على ظهر الفيل ، وعليه دراعة ديباج وبرنس حرير ، ثم دخل أمير المؤمنين خلفه حتى اشتق مدينة السلام الى قصره المعروف بالحسني ، والقاسم بن عبيد الله خلفه • وأمر بالقرمطي والمدثر فأدخلا الحبس بالحسني ، ووجه بالاسرى الى الحبس الجديد بالجانب الغربي • ومضى المكتفي من ساعته من الحسني الى الثريا ، بعد أن خلع على أبي الحسين القاسم بن عبيد الله ، وانصرف الى منزله •

ووافى محمد بن سليمان بعد اصلاحه الامور، وتلقطه جماعة من قواد القرمطي وقضاته وأصحاب شرطه فأخذهم وقيدهم وانحدر والقواد الذين تخلفوا معه الى مدينة السلام ، فوافى بغداد الى الباب المعروف بباب الانبار ليلة الخميس لاحدى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول ، وكان قد أمر القواد جميعا بتلقي محمد بن سليمان ، والدخول معه الى بغداد ، ففعلوا ذلك ، ورحل محمد بن سليمان صبيحة يوم الخميس وبين يديه نيف وسبعون أسيرا ، غير من أسميناه ، والقواد معه حتى صاروا الى دار أمير المؤمنين بالثريا ، فدخلوا عليه • وأمر أن يخلع على محمد بن

---

(١) هو خشبة يمد عليها شراع السفينة ، وتسميتها البحرية : الصاري ــ النهاية في غريب الحديث والاثر لابن الاثير .

(٢) في الطبري : ٢٢٤٣ ، غلام يازمان .

سليمان ويطوق بطوق ذهب ، ويسور بسوارين ، وخلع على جميع القواد القادمين معه، وطوقوا وسوروا، وانصرفوا الى منازلهم . وأدخل الاسرى الى الحبس الجديد بمدينة السلام في الجانب الغربي منها .

فلما كان في يوم السبت (١٣٥ ــ ظ) لعشر بقين من شهر ربيع الاول بنيت دكة في المصلى العتيق ، من الجانب الشرقي ، الذي تخرج اليه الثلاث الابواب ، ومن باب خراسان ، تكسير ذرعها عشرون ذراعا في عشرين ذراعا ، وجعل لها أربع درج يصعد منها اليها ، وأمر القواد جميعا بحضور هذه الدكة ، ونودي كذلك في الناس أن يحضروا عذاب القرامطة ، ففعلوا ، وكثر الناس في هذا الموضع وحضر القواد ، والواثقي المتقلد للشرطة[1] بمدينة السلام ، وحضر محمد بن سليمان ، فقعدوا جميعا عليها ، وأحضروها ثلاثمائة ونيفا وعشرين انسانا ممن كان أسر قديما ، ومن جاء به محمد بن سليمان ، وأحضر القرمطي والمدثر فأقعدا ، وقدم نيف وثلاثون انسانا من هؤلاء الاسارى من وجوههم ، فقطعت أيديهم وأرجلهم ، وضربت أعناقهم . ثم قدم القرمطي فضرب مائتي سوط ، ورش على الضرب الزيت المغلي وكوي بالجمر، ثم قطعت يداه ، ورجلاه وضربت عنقه . فلما قتل انصرف القواد وأكثر الناس ممن حضر للنظر الى عذاب القرمطي ، وأقام الواثقي الى وقت العشاء الآخرة في جماعة من أصحابه ، حتى ضرب أعناق باقي الاسارى ، ثم انصرف .

فلما كان يوم الاربعاء لست بقين من هذا الشهر ، صير ببدن القرمطي الى باب الجسر الاعلى من الجانب الشرقي فصلب هناك ، وحفر لأجساد القتلى آبار الى (١٣٦ ــ و) جانب الدكة ، فطرحوا فيها وطمت ، فلما كان بعد ، أمر بهدم الدكة ، وتعفية أثرها ففعل ذلك .

قال ابن أبي الازهر في التاريخ في حوادث سنة ثلاث وتسعين ومائتين : وفيها ورد الخبر بأن أخا الحسين بن زكرويه المعروف بصاحب الشامة ظهر بالدالية من طريق الفرات ، في نفر ، واجتمع اليه جماعة من الاعراب ، وسار بهم الى نحو دمشق، فعاث في نواحيها ، فندب للخروج اليه حسين بن حمدان ، فخرج في جماعة ، وورد الخبر برجوعه الى الدالية . فحدث محمد بن داود بن الجراح أن زكرويه بعد قتل

---

(١) هو أحمد بن محمد الواثقي كما ذكره الطبري : ٢٢٤٥ .

صاحب الشامة ، أنفذ رجلا كان معلما للصبيان يقال له عبد الله بن سعيد ، فتسمى نصرا ـ ليخفي أمره ـ فدار في أحياء كلب يدعوهم الى رأيه ، فاستجاب له جماعة من صعاليكهم وسقاطهم العليصيين ، فسار فيهم الى بصرى وأذرعات من كورتي حوران والبثنية ، فقتل وسبى وأخذ الاموال •

وقال : وأنفذ زكرويه رجلا يقال له القاسم بن أحمد داعية ، فصار الى نحو رستاق نهر ملخانا[1] • قال : فالتفت به طائفة ، فساروا الى الكوفة حتى صبحوها غداة يوم النحر وهم غارون ، فوافوا باب الكوفة عند انصراف الناس من المصلى ، فأوقعوا بمن قدروا عليه وسلبوا وقتلوا نحوا من عشرين رجلا ، وكان رئيسهم هذا قد حملوه في قبة يقولون : هذا ابن رسول الله ، وهو (١٣٦ ــ ظ) القاسم بن أحمد داعية زكرويه ، وينادون، ياثارات الحسين ـ يعنون الحسين صاحب الشامة ـ وشعارهم يا محمد يا أحمد ـ يعنون ابني زكرويه ، ويموهون بهذا القول على أهل الكوفة ـ ونذر بهم الناس ، فرموهم بالحجارة من المنازل •

وانما ذكرت هذا الفصل من قول ابن أبي الازهر لأن فيه ما يدل على أن صاحب الخال ، كان يسمى الحسين بن زكرويه ، وأنه يسمى أيضا أحمد بن زكرويه• وعاش زكرويه بعد ولديه القرمطين في زعمه •

أنبأنا تاج الامناء أبو الفضل أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله الدمشقي ، قال : أخبرنا عمي أبو القاسم علي بن الحسن الحافظ قال : أخبرنا أبو غالب بن البناء قال : أخبرنا أبو الحسين بن الابنوسي قال : أخبرنا عبيد الله بن عثمان بن يحيى الدقاق قال : أخبرنا أبو محمد اسماعيل بن علي بن اسماعيل الحطمي قال : قام مقامه ـ يعني مقام صاحب الجمل ـ أخ له في وجهه خال يعرف به ، يقال له صاحب الخال • فأسرف في سوء الفعل وقبح السيرة ، وكثرة القتل حتى تجاوز ما فعله أخوه، وتضاعف قبيح فعله ، وقتل الاطفال ونابذ الاسلام وأهله ، ولم يتعلق منه بشيء ، فخرج المكتفي الى الرقة ، وسير اليه الجيوش ، فكانت له وقائع ، وزادت أيامه على أيام أخيه في المدة والبلاء حتى هزم ، وهرب فظفر به في موضع يقال له الدالية

---

(١) في الطبري : ٢٢٦٠ ، نهر تلحانا .

(١٣٧ ـ و) بناحية الرحبة ، فأخذ أسيرا ، وأخذ معه ابن عم يقال له المدثر ، كان قد رشحه للامر بعده ، وذلك في المحرم سنة احدى وتسعين ، وانصرف المكتفي بالله الى بغداد وهو معه .

فركب المكتفي ركوبا ظاهرا في الجيش والتعبئة وهو بين يديه على الفيل ، وجماعة من أصحابه على الجمال مشهرين بالبرانس ، وذلك يوم الاثنين غرة ربيع الاول من سنة احدى وتسعين ، ثم بنيت له دكة في المصلى وحمل اليها هو وجماعة أصحابه ، فقتلوا عليها جميعا في ربيع الآخر ، بعد أن ضرب بالسياط وكوي جميعه بالنار ، وقطعت منه أربعته ، ثم قتل ، ونودي في الناس فخرجوا مخرجا عظيما للنظر اليه ، وصلب بعد ذلك في رحبة الجسر .

وقيل أنه وأخوه من قرية من قرى الكوفة يقال لها الصوان ، وهما فيما ذكر : ابنا زكرويه بن مهرويه القرمطي،الذي خرج في طريق مكة في آخر سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وتلقى الحاج في المحرم من سنة أربع وتسعين ، فقتلهم قتلا ذريعا لم يسمع قط بمثله ، واستباح القوافل وأخذ شمسة البيت الحرام ، وقبل ذلك ـ ما ـ دخل الكوفة يوم الاضحى بغتة وأخرج منها ، ثم لقيه جيش السلطان بظاهر الكوفة بعد دخوله اياها وخروجه عنها ، فهزمهم وأخذ ما كان معهم من السلاح والعدة فتقوى بها ، وعظم أمره في النفوس (١٣٧ ـ ظ) وهال السلطان، وأجلبت معه كلب وأسد، وكان يدعى السيد .

ثم سير اليه السلطان جيشا عظيما ، فلقبوه بذي قار ، بين البصرة والكوفة في الفراض[١] فهزم وأسر جريحا ، ثم مات ، وكان أخذه أسيرا يوم الاحد لثمان بقين من ربيع الاول ، وشهرت الشمسة بين يديه ، ليعلم الناس أنها قد استرجعت ، فطيف به ببغداد . وقيل أنه خرج يطلب ثأر ابنه المقتول على الدكة .

ذكر ابن أبي الازهر في تاريخه أنه لما خرج على قافلة الحاج أن أصحابه أكبوا على الحاج فقتلوهم كيف شاؤوا واحتووا على جميع ما كان في القافلة وسبوا النساء الحرائر ، وجمع القرمطي لعنه الله أجساد القتلى فعمل منها دكة تشبيها بالدكة التي قتل عليها أصحابه .

---

(١) قال ياقوت : الفراض جمع الفرضة وهي المشرعة . والاصل في الفرضة الثلمة في النهر . والفراض موضع بين البصرة واليمامة قرب فلبج .

وسير الى بعض الشراف الهاشميين بحلب تاريخا جمعه أبو غالب همام بن الفضل[1] بن جعفر بن علي بن المهذب ذكر أنه تذكرة كتبها مما وجده في التواريخ المتقدمة ومما وجده بخط جد أبيه الشيخ أبي الحسين علي بن المهذب بن أبي حامد محمد بن همام بن أبي شهاب وغيره ، قال فيه :

سنة تسعين ومائتين :

فيها : نجم بالشام قرمطي بأرض دمشق انتسب الى العلوية .

قال : وذكر الشيخ أبو الحسين علي بن المهذب أن أباه المهذب أخبره أن (١٣٨ ـ و) هذا القرمطي أول من وقع عليه هذا اللقب ، وكان خرج في بطن من بني عدي من كلب ، يقال لهم بنو العليص ، فخرج اليه طغج بن جف ، والي دمشق من قبل الطولونية ، محتقرا له في غير عدة ولا عدة . وكان هذا القرمطي في بادية كلب ، فأوقع بطغج ، ودخل الى دمشق مهزوما ، ثم رجع فجمع عسكره ، وحشد وخرج اليه فكان الظفر للقرمطي أيضا ، وقتل خلقا كثيرا من أصحاب طغج، ونهبوا عسكره . وعاد طغج الى دمشق فقوي القرمطي . وكتب طغج الى مصر فوجه اليه جماعة من الفرسان والرجالة ، وأمدهم من في الشام . فصار جيشا عظيما فخرج ، وهو غير شاك في الظفر به ، فأوقع القرمطي به وكانت الوقعة في موضع يعرف بالكسوة[2] ، وسار القرمطي الى بعلبك ففتحها وقتل أهلها ونهب وأحرق ، وسار منها الى حمص فدعا لنفسه بها وبث ولاته في أعمالها ، وضرب الدنانير والدراهم وكتب عليها : « المهدي المنصور ــ أمير المؤمنين » . وكذلك كان يدعى له على

---

(١) من مؤرخي المعرة في القرن الخامس للهجرة ، وقد ورد ذكره بين تلامذة ابي العلاء المعري ، ولم يصلنا تاريخه بل وصلنا نقول كثيرة منه بثها ابن العديم في ثنايا كتابه بغية الطلب . هذا وقد اشار حاجي خليفة لهذا الكتاب ، ولا ندري ارآه او قرا عنه فتحدث عنه في كشفه ، ويتبين من بغية الطلب ان ابن المهذب قد اكمل أو ذيل على كتاب في التاريخ كتبه جده ثم ان اسامة بن منقذ مع واحد من اخوانه قاما فيما بعد ايضا بالتذييل على كتاب ابن المهذب ، وان الكتاب في هذه المرحلة بات يعرف باسم « البداية والنهاية » .

(٢) تتمة الحديث تتعلق بصاحب الخال لا بصاحب الجمل ، ويبدو ان مرد هذا الى سقط لحق بأصل ابن المهذب وان ابن العديم تابع نسخ الخبر دون ان يلاحظ ذلك.

المنابر ، وأنفذ سرية الى حلب فأوقع بأبي الاغر خليفة بن المبارك السلمي ، وعادت السرية وجبى الخراج ، وحمل اليه مال جند حمص • فأنفذ الامير أبو الحجر المؤمل ابن مصيبح ــ أمير برزويه والبارة والروق[1] وأفامية وأعمال ذلك ، وبقي والي هذه المواضيع من قبل الخلفاء ببغداد أربعين سنة،فيها ــ رجلين من أهل معرة النعمان اسم أحدهما (١٣٨ ــ ظ) أحمد بن محمد بن تمام ، والاخر ابن عاص القسري ، وجاءا الى القرمطي يرفعان على أهل معرة فمضيا اليه وقالا له: ان أهل معرة النعمان، قد شقوا العصا ، وبطلوا الدعوة ، وغيروا الأذان ، ومنعوا الخراج • وكان أهل معرة النعمان قد أرسلوا معهما الخراج « فأخذ منهما في الطريق » فلما قالا له ذلك ، التفت الى كاتبه ، وقال له : اكتب « وشهد شاهدان من أهلها » فسار اليها ، وقال لأصحابه : ان أغلقوا الباب فاجعلوا غارة على الدارس[2] فخرج أهل معرة النعمان ولا علم لهم بما قد جرى ، وأصحاب القرمطي يقولون لهم القوا مولانا السيد ، فبلغ كثير من الناس الى قرب حناك[3] ، وأخذ الابواب أصحاب القرمطي على الناس ، وقتل خلق كثير ، ودخلها يوم الاربعاء النصف من ذي الحجة ، فأقام يقتل المشايخ والنساء والرجال والاطفال ، ويحرق وينهب خمسة عشر يوما ، فذكر أن القتلى كانوا بضعة عشر ألفا •

وخرج المكتفي الى الرقة ، وأنفذ عساكره مع محمد بن سليمان الكاتب الأنباري وكان شهما شجاعا مدبرا ، فحصل في حلب في جيش فيه ثلاثون ألفا مرتزقة، فيما ذكر غير واحد ، وكان جهير بن محمد ، يقول له : تخرج اليه فقد أهلكوا عشيرتي • فيقول له ابن الأنباري الكاتب : لو أخذوا بلحيتي ما خرجت اليهم حتى يهل هلال المحرم ــ يريد سنة احدى وتسعين •

قال أبو غالب (١٣٩ ــ و) بن المهذب :

سنة احدى وتسعين :

فيها : سار محمد بن سليمان الكاتب الأنباري الى القرامطة ، فأوقع بهم في قرية تعرف بالحسنية فقتلهم وبدد شملهم •

---

(١) كتب ابن العديم في حاشية الاصل : الروق هو الذي يقال له الروج كورة معروفة وهذه المناطق واقعة في منطقة حلب معروفة .
(٢) كذا في متن الاصل وكتب ابن العديم الحاشية : لعله الدراري .
(٣) حصنا كان في مشارف المعرة ــ معجم البلدان .

ولما تصور القرمطي ، ورأى أنه لا طاقة له بعساكر الخلافة ، هرب قبل الوقعة بأصحابه فحصل في قرية شرقي الرحبة ، تعرف بالدالية في نفر يسير من خواص أصحابه ، فتستروا وبعث بعض أصحابه متنكرا ، ليمتار لهم ما يحتاجون اليه ، فأخذ وأنكر وأتي به الى رجل كان يتولى معونة الدالية ، يعرف بأبي خبزة ، لأحمد بن محمد بن كشمرد ، وكان ابن كشمرد والي الرقة، وكان صغير الشأن حقيرا في الجند، فسأله أبو خبزة عن خبره وقصته ، فتبين منه قولا مختلفا فألح عليه أبو خبزة ، فأقر ذلك الرجل بأنه من رجال القرمطي ، ودل عليهم في أي موضع هم ، فخرج أبو خبزة فيمن جمعه من الاجناد والرجال الى الموضع الذي فيه القرمطي وأصحابه ، فظفر بهم وبالقرمطي ، وكان معهم حملان من المال ، فأخذهم والمال معهم وحملهم الى ابن كشمرد والي الرقة ، فأخذهم وكتب بخبرهم الى المكتفي ، فبعث اليه من تسلمه منه، وأوردهم الرقة ، وانحدر المكتفي الى مدينة السلام بغداد ، وهم معه ، فبنى له دكة عظيمة بظاهر القصر المعتضدي وعذبوا عليها بأنواع العذاب •

أخبرنا أبو البركات بن محمد بن الحسن ـ كتابة (٣٩ ـ ظ) قال : أخبرنا أبو علي بن أبي محمد الدمشقي ، قال : قرأت على منصور بن خيرون عن أبي محمد الجوهري ، وأبي جعفر بن المسلمة ، عن أبي عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني قال : أحمد بن عبد الله الخارج بالشام في أيام المكتفي بالله ، وكان ينتمي الى الطالبيين ، وهو المعروف بصاحب الخال ، وقتل بالدكة في سنة احدى وتسعين ومائتين ، يروى له ولأخيه علي بن عبد الله شعر يشك في صحته ، فمما يروى لأحمد:

متى أرى الدنيا بلا كاذب ولا حروري ولا ناصبي
متى أرى السيف على كل من عادى علي بن أبي طالب
متى يقول الحق أهل النهى وينصف المغلوب من غالب
هل لبغاة الخير من ناصر هل لكؤوس العدل من شارب

قال : ويروى له :

نفيت من الحسين ومن علي وجعفر الغطارف من جدودي
وخيب سائلي وجفوت ضيفي وبت فقيد مكرمة وجود
وأعطيت القياد الدهر مني يمين فتى وفي بالعهود

لئن لـم أعط مـا ملكت يمينـي لحـرب من طريف أو تليـد
وافتتحنهـا حربـا عـوانـا تقحـم بالبنود علـى البنود
فامـا أن أروح بروح عـز وجـد آخـذ ثـأر الجدود
وامـا أن يقـال فتى أبيٌ تخرم في ذرى مجـد مشيد
تهـددنا زعمت شبوب حرب تقحـم بالبنود علـى البنود

بقصيدة منهـا :

فكان السيف أدنى عنـد ورد الى ودجيك مـن حبـل الوريـد

قرأت بخط أبي بكر محمدبن يحيى الصولي،وأخبرنا به أبو القاسم عبدالصمد ابن (١٤٠ ــ و) محمد بن أبي الفضل ، فيما أذن لنا بروية عنه ، قال : كتب الينا أبو القاسم زاهر بن طاهر الشحامي ، أن أبا القاسم البذار أنبأهم ، عن أبي أحمد بن أبي مسلم ، عن أبي بكر الصولي قال : وأجلس القرامطة مكان علي بن عبد الله أخا له يقال له أحمد بن عبد الله وزعموا أنه عهد اليه، وصار أحمد بن عبد الله الى حمص، ودعي له بها وبكورها ، وأمرهم أن يصلوا الجمعة أربع ركعات ، وأن يخطبوا بعد الظهر ، ويكون أذانهم : أشهد أن محمد رسول الله • أشهد أن عليا ولي المؤمنين • حي على خير العمل • وضرب الدراهم والدنانير وكتب عليها « الهادي المهدي » لا إله إلا الله محمد رسول الله «وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا»[1] وعلى الجانب الآخر « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى »[2] •

ووجه أحمد بن عبد الله هذا برجل يعرف بالمطوق أمرد ــ فرأيته بعد ذلك ــ فكبس أبا الأغر ، ثم خرج المكتفي بالله اليه ، وأقام بالرقة وأنفذ الجيوش اليه مـع محمد بن سليمان ، وأنفذ غلامه سوسنا معه في جيش عظيم ، فورد الخبر بأنه قتل، ذكر ذلك الصولي في سنة احدى وتسعين ومائتين •

قال : ثم أتى الخبر للنصف من المحرم من الدالية بأن فارسين من الكلابيـين أحدهما من بني الاصبغ والآخر من بني ليلى نزلا بالسقافية (١٤٠ ــ ظ) فأخذا ، فأقرا أنهما من القرامطة ، وأن القرمطي بالقرب ، فركب محمد بن علي أبـو خبزة

---

(١) سـورة الاسراء : ٨١ •
(٢) سورة الشورى : ٢٣ •

وأحمد بن محمد بن كشمرد من الرحبة فظفرا بالقرمطي ، وأخذ معه رجل يقال له المدثر، وكاتبه، وغلام أمرد حدث يقال له المطوق، وحمل الى الرقة،وقد ذكرنا خبره.

قال الصولي ومما يروى من شعر أحمد بن عبد الله :

متى أرى الدنيا بلا كاذب

وذكر الأبيات الأربعة وقال : ومنه :

ثأرت بجدي خير من وطىء الحصا ... وأنصاره بالطف قتلى بني هند

فأفنيت من بالشام منهم لأنهم ... بقصدهم جاروا عن المنهج القصد

على أنهم جاشوا لنا وتجمعوا ... وكادوا وكان الله أعلم بالقصد

فجاهدتهم بالله منتصرا به ... فأفنيتهم بالبيض والسمر والجرد

قال الصولي : ولعلي بن عبد الله وأخيه أحمد بن عبد الله شعر ، أظن بعض من يميل اليهم ، ويكره السلطان ، عمله ، أو أكثره ، وحمله عليهما .

أنبأنا أبو الفضل أحمد بن محمد بن الحسين الدمشقي ، قال : أخبرنا عمي الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله قال : أحمد بن عبد الله ، ويقال عبدالله ابن أحمد بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كما زعم . وهو صاحب الخال أخو علي بن عبد الله القرمطي . بايعته القرامطة بعد قتل أخيه بنواحي دمشق وتسمى (١٤١ ـ و) بالمهدي ، وأفسد بالشام ، فبعث اليه المكتفي عسكرا في المحرم سنة احدى وتسعين ومائتين ، فقتل من أصحابه خلق كثير ، ومضى هو في نفر من أصحابه يريد الكوفة ، فأخذ بقرية تعرف بالدالية من سقي الفرات ، وحمل الى بغداد وأشهر وطيف به على بعير ، ثم بنيت له دكة فقتل عليها هو وأصحابه الذين أخذوا معه يوم الاثنين لسبع بقين من شهر ربيع الاول من سنة احدى وتسعين ومائتين ، وكان شاعرا وله في الفخار أشعار من جملتها :

سبقت يدي يده لضربة هاشمي المحتد

وأنا ابن أحمد لم أقل كذبا ولم أتزيد

من خوف بأسي قال بد ر : ليتني لم أولد

يعني بدر الحمامي الطولوني ، أمير دمشق . هكذا قال الحافظ أبو القاسم . ولا أعلم أحدا قال في صاحب الخال عبد الله بن أحمد غيره . والمعروف بهذا الاسم

ابن عمه المعروف بالمدثر ، وكان سار الى الشام فلقيه شبل الديلمي ، مولى المعتضد بالرصافة في سنة أربع وثمانين ومائتين فقتله القرامطة ، وقتلوا أصحابه . ودخلوا الرصافة فأحرقوها وجاؤوا مسجدها ونهبوها ، وساروا نحو الشام . فالظاهر أنه اشتبه عليه بصاحب الخال وأكد عنده ذلك هذه الابيات الثلاثة التي عزاها (١٤١ ــ ظ) اليه ، وقوله فيها :

وأنا ابن أحمد لم أقل كذبا ولم أتزيد

على أن هذه الابيات ليس مراد صاحب الخال منها أن أحمد أبوه ، بل أراد بقوله : « وأنا ابن أحمد » ، أنه من نسل أحمد النبي ﷺ .... (١٤٢ ــ و) .

خليفة بن المبارك :

أبو الأغر السلمي قائد مذكور مشهور،ولي حلب في سنة تسع وثمانين ومائتين، ولاه اياها المكتفي حين تولى الخلافة ، وتوجه اليها لمحاربة القرمطي صاحب الخال ، وقدمها في عشرة آلاف فارس ، فأنفذ القرمطي سرية اليه الى حلب في سنة تسعين ومائتين ، فخرج أبو الأغر فنزل وادي بطنان فلما استقر وافاهم جيش القرمطي يقدمه المطوق غلامه فكبسهم ، وقتل منهم خلقا عظيما ، فانتهب العسكر ، وأفلت أبو الأغر ، فدخل حلب ومعه ألف رجل لا غير ، وصار القرمطي الى باب حلب فحاربهم أبو الأغر فيمن بقي معه من أصحابه ، وأهل البلد ، فذهبوا وانصرفوا عنه ، ثم عزل عن ولاية حلب بعد ذلك .

ذكر أبو عبد الله محمد بن يوسف في رسالته الى أخيه بخبر القرمطي ، أن القرمطي وجه بخيل كثيرة ورجاله : كثيفة مع المعروف بعميطر،وهو أحد دعاته وثقاته الى ناحية حلب ، فلما كان يوم الاربعاء لعشر ليال بقين من رمضان ــ يعني سنة تسعين ــ وقعوا بخليفة بن المبارك المعروف بأبي الأغر وهو على غاية الطمأنينة ، وما يقدر أن خيل المارقة تبلغ اليه لأنه لم يكن وصل الى حلب ، وكان ابنه بها فقتل القرامطة عامة من كان في عسكره من الاولياء والبياع والتجار ، فأبيد خلق من الناس، وسلم أبو الأغر ، فصار الى قرية من قرى حلب ، وخرج اليه ابنه من المدينة في جماعة من الاولياء والرجالة،فأقاموا على مدينة حلب على سبيل المحاصرة لأهلها،فلما كان يوم الجمعة سلخ شهر رمضان، تسرع أهل مدينة حلب الى الخروج للقاء عدوهم، فمنعوا

من ذلك فكسروا قفل الباب وخرجوا الى الفسقة ، فدامت الحرب بين الفريقين ، ورزق الله الرعية النصر عليهم ، وخرج السلطان فأعانهم ، فقتل من القرامطة جماعة كثيرة ، ولما كان يوم السبت يوم العيد خرج أبو الأغر خليفة بن المبارك الى المصلى، وعيد المسلمون ، وخطب الخاطب ، ثم عادت الرعية على حال سلامة وانصرف عنهم، فلما أيسوا رحلوا في النصف من ليلة الاحد عن معسكرهم ، وصاروا الى صاحبهم الخائـن .

أنبأنا أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي . قال : كتب الينا أبو عبد الله بن علي العظيمي ، قال : سنة تسعين ومائتين خلـع على أبي الاغر ، ووجه لحرب القرمطي بناحية الشام ، فمضى الى حلب في عشرة آلاف .

قال: وللنصف من شهر (٢٣٢ ــ و) رمضان مضى أبو الاغر الى حلب، ونزل وادي بطنان ، قريبا من حلب ، ونزل معه جميع أصحابه فنزع ــ فيما ذكر ــ جماعة من أصحابه ثيابهم ودخلوا يتبردون بمائة ، وكان يوما شديد الحر ، فبينا هم كذلك ، اذ وافاهم جيش القرمطي المعروف بصاحب الشامة، مقدمهم المعروف بالمطوق . فكبسهم على تلك الحال ، فقتل منهم خلقا كثيرا ، وانتهب العسكر ، وأفلت أبو الأغر وجماعة من أصحابه ، فدخل حلب وأفلت معه مقدار ألف رجل ، وكان في عشرة آلاف رجل ما بين فارس وراجل ، وقد كان ضم اليه جماعة ممن كان على باب السلطان ، من قواد الفراغنة ورجالهم ، فلم يفلت منهم الا اليسير ، ثم صار أصحاب القرمطي الى باب حلب فحاربهم أبو الأغر ، ومن بقي معه من أصحابه، وأهل البلاد فانصرفوا عنه.

قرأت في حوادث سنة سبع وتسعين ومائتين من تاريخ ثابت بن سنان بن قرة ، قال : في أيام المقتدر ، وفيها قدم أبو الأغر خليفة بن المبارك السلمي من الرقة بغير اذن ، فقبض عليه ، وعلى جماعة من أهله ، وكسر سيفه وخرق سواده ، وحبس .

وقال في حوادث سنة اثنتين وثلاثمائة : وفي يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من رجب، أطلق أبو الأغر خليفة بن المبارك السلمي من الاعتقال في دار السلطان ، وخلع عليه خلع الرضا في يوم الخميس مستهل شعبان .

أخبرنا القاضي أبو نصر محمد بن هبة الله بن الشيرازي ، أذنا ، قال : أخبرنا (٢٣٢ ــ ظ) الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن الدمشقي قال : خليفة بن المبارك ،

أبو الأغر ، ولاه المعتضد قتال الاعراب بطريق مكة ، فقتل منهم جماعة وأسر رأسهم صالح بن مدرك بالحيلة ، وقدم بغداد في المحرم سنة سبع وثمانين ومائتين ، فخلع عليه وطوق بطوق ذهب ، ثم ولي حلب ، وقدم دمشق مع محمد بن سليمان ، وغيره من الامراء الذين وجههم المكتفي لحرب الطولونية بمصر، وغزا بلاد الروم مع مؤنس الخادم في ذي القعدة سنة ست وتسعين ومائتين ، ثم خالف على السلطان ، فأخذ وأدخل بغداد هو وأولاده ، فقيدوا يوم الاثنين لأربع بقين من شوال سنة سبع وتسعين ومائتين ، ثم أطلق في يوم الخميس ، وخلع عليه يوم الخميس مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثمائة . فمات فجأة يوم الأربعاء لثمان خلون من ذي الحجة من سنة ثلاث وثلاثمائة .

قرأت بخط ثابت بن سنان الصابي في كتاب وقع الي يتضمن وفاآت من توفي في كل سنة من سنة ثلاثمائة الى السنة التي مات فيها قال : سنة اثنتين وثلاثمائة ، أبو الأغر خليفة بن المبارك السلمي مات لسبع خلون من ذي الحجة فجأة .... (٢٣٣ ــ و) .



كتـــاب

نهايـــة الأرب في فنون الأدب

ذكر اخبار القرامطة وابتداء امرهم وما كان من اخبارهم وما استولوا عليه من البلاد وغير ذلك من اخبارهم .

والقرامطة منسوبون الى قرمط ، وقد اختلف فيه : فمن الناس من يقول انه حمدان بن الاشعث ، وأنه انما سمي قرمطا لأنه كان رجلا قصيرا ، قصير الرجلين ، متقارب الخطو ، فسمي بذلك ، وقيل قرمط : ثور كان لحمدان بن الاشعث هذا ، وأنه كان يحمل غلات السواد على أثوار له بسواد الكوفة ، والله تعالى أعلم .

قال ابن الاثير في تاريخه[١] الكامل في حوادث سنة ثمان وسبعين ومائتين :

وفيها تحرك بسواد الكوفة قوم يعرفون بالقرامطة ، وكان ابتداء أمرهم : أن رجلا يقال له حمدان يظهر الدين والزهد والتقشف ، ويأكل من كسبه ، وأقام على ذلك مدة ، فكان اذا جالسه رجل ذاكره الدين وزهده في الدنيا ، وأعلمه أن الصلاة المفروضة على الناس خمسون صلاة في كل يوم[٢] ، حتى فشا ذلك بموضعه ، ثم أعلمهم أنه يدعو الى امام من أهل بيت رسول الله ﷺ ، فاستجاب له جمع كثير وكان يقعد الى بقال هناك ، فجاء رجل الى البقال يطلب منه من يحفظ له ما صرم من نخله، فدله عليه وقال لعله يجيب ، فكلموه في ذلك فاتفق معهم على أجرة معلومة ، فكان يحفظ لهم ويصلي أكثر نهاره ، ويصوم ويأخذ عند افطاره من البقال رطل تمر ، يفطر عليه ويجمع نواه ويعطيه للبقال،فلما حمل التجار تمرهم جلسوا عند البقال وحاسبوه وأعطوه أجرته ، وحاسب هو البقال على ما أخذ من التمر وحط ثمن النوى فضربوه، وقالوا ألم يكفك أن تأكل تمرنا حتى تبيع نواه ؟! فأوقفهم البقال على الخبر فاعتذروا واستحلوا منه ، وازداد بذلك عند أهل القرية ، ودعا أهل تلك الناحية الى مذهبه فأجابوه ، وكان يأخذ من الرجل اذا أجابه دينارا واحدا ، ويزعم أنه للامام ، واتخذ منهم اثني عشر نقيبا أمرهم أن يدعو الناس الى مذهبه وقال : أنتم كحواري عيسى

---

(١) الكامل ــ ط. المنيرية القاهرة ١٣٥٣ : ٦٩/٦ ، ومصدر ابن الاثير الاساسي هو تاريخ الطبري . ونقل النويري هنا عن ابن الاثير باختزال .

(٢) في ابن الاثير : ٦٩/٦ « كل يوم وليلة » .

ابن مريم ، فاشتغل أهل تلك الناحية عن أعمالهم[1] ، وكان للهيصم في تلك الناحية ضياع ، فرأى تقصير الأكارة في عمارتها ، فسأل عن ذلك فقيل له خبر الرجل فحبسه، وحلف ليقتلنه لما اطلع على مذهبه ، وأغلق عليه الباب ليقتله في غد ، وجعل المفتاح تحت رأسه ، فسمع بعض جواريه خبره فرقت له ، فسرقت المفتاح وأخرجته وأعادت المفتاح الى موضعه ، فلما أصبح الهيصم فتح الباب ليقتله فلم يجده[2] ، فشاع ذلك في الناس فافتتنوا به وقالوا رفع ، ثم ظهر في ناحية أخرى ، ولقي جماعة من أصحابه فسألوه عن قصته فقال : لا يمكن أن ينالني أحد بسوء ، فعظم في أعينهم ثم خاف على نفسه فخرج الى ناحية الشام ، فلم يوقف له على خبر ، هذا ما حكاه عز الدين ابن الاثير الجزري في تاريخه الكامل .

وحكى الشريف أبو الحسين محمد بن علي بن الحسين بن أحمد بن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـ وهو المعروف بأخي محسن ـ في كتاب[1] الفه ذكر فيه عبيد الله الملقب بالمهدي[2] ، الذي استولى على بلاد المغرب واستولى بنوه من بعده على الديار المصرية والشام وغير ذلك ، وذكر الشريف أصل عبيد الله هذا ونفاه عن النسب الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه،واستدل على ذلك بأدلة يطول شرحها أجاد في تبيانها، وقال في أثناء ما حكاه أنه لما صار الامر الى أحمد بن عبد الله بن ميمون بن ديصان بعد أبيه ـ وأحمد هذا هو جد عبيد الله الملقب بالمهدي ـ بعث ـ وهو بسلمية ـ الحسين الأهوازي داعية العراق ، فلقي حمدان بن الاشعث قرمطا بسواد الكوفة

---

(١) زاد ابن الاثير : ٦٩/٦ « بما رسم لهم من الصلوات ».

(٢) ان يكون الصدام الاول في تاريخ القرامطة مع واحد من الملاكين الكبار ، امر له دلالات عظيمة .

(٣) كان من أشراف دمشق وقادتها ، يبدو أنه اعتزل في بيته وتزهد بعد ما صارت دمشق تحت السلطان الفاطمي ، ترجم له ابن عساكر ، وقال : « وله تصانيف » واوضح ان وفاته كانت « في يوم الثلاثاء لثلاث وعشرين ليلة خلت من جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة » تاريخ دمشق ـ الظاهرية (٣٣٧٨) : ٣٦١/١٥ . وانظر أيضا أصول الاسماعيلية : ٥٧ .

(٤) سبق أن أوضحت أن اسمه عبد الله .

ومعه ثور ينقل عليه ، فقال له الحسين الاهوازي : كيف الطريق الى قس بهرام[١] ؟ فعرفه حمدان أنه قاصدا اليه ، وسأله الاهوازي عن قرية تعرف ببانبوا[٢] من قرى السواد ، فذكر أنها قريبة من قريته وكان حمدان هذا من قرية تعرف بالدور على نهر هد من رستاق مهرود من طسوج فرات بادولي[٣] ، قال : فتماشيا ساعة فقال له حمدان : اني أراك جئت من سفر بعيد ، وأنت معي فاركب ثوري هذا ، فقال لـه الحسين : لم أومر بذلك ، فقال له حمدان : كأنك تعمل بأمر أمر لك ؟ قال نعم ، قال : ومن يأمرك وينهاك ؟ قال : مالكي ومالكك ومن له الدنيا والآخرة ، قـال : فبهت حمدان قرمط مفكرا ، وأقبل ينظر اليه ثم قال له : يا هذا ما يملك ما ذكرته الا لله تعالى ! قال : صدقت ، والله يهب ملكه لمن يشاء ، قال له حمدان . فما تريد في القرية التي سألتني عنها ؟ قال : دفع الي جراب فيه عام ، سر من أسرار الله تعالى ، وأمرت،أن أشفي هذه القرية وأغني أهلها وأستنفذهم وأملكهم أملاك أصحابهم[٤] .

وابتدأ يدعوه فقال له حمدان : يا هذا نشدتك الله الا دفعت الي من هذا العلم الذي معك وأنقذتني ينقذك الله !! قال له : لا يجوز ذلك أو آخذ عليك عهدا وميثاقا أخذه الله تعالى على النبيين والمرسلين وألقي عليك ما ينفعك ، قال : فما زال حمدان يضرع اليه حتى جلسا في بعض الطريق وأخذ عليه العهد ، ثم قال له : ما اسمك ؟ قال : قرمط ، ثم قال له قرمط : قم معي الى منزلي حتى نجلس فيه ، فان لي اخوانا أصير بهم اليك لتأخذ عليهم العهد للمهدي ، فصار معه الى منزله ، فأخذ على الناس العهد هناك ، وأقام في منزل حمدان وأعجبه أمره وعظمه وكرمه ، وكان على غاية ما يكون من الخشوع ، صائما نهاره قائما ليله ، وكان المغبوط من أخذه الى منزله ليلة ، وكان ربما خاط لهم الثياب وتكسب بذلك ، وكانوا يتبركون به وبخياطته . قال : وادرك التمر فاحتاج أبو عبد الله محمد بن عمر بن شهاب العدوي الى عمل تمره ، وكان من وجوه أهل الكوفة ومن أهل العلم والفضل والتوحيد ، فوصف له

---

(١) في مصادر اخرى « ساباط نوح » ولم اقف لهما على تعريف في مصادر المكتبة الجغرافية العربية ، ويرجح انها قريبة من الكوفة .
(٢) في ناحية الحيرة من ارض العراق ــ معجم البلدان .
(٣) الطسوج : النواحي ، وجميع هذه المواضع هي من سواد بغداد . انظر مواد . مهزود ، بادولي ، الدور ، في معجم البلدان .
(٤) هذه من الاشارات الهامة الى اهداف القرامطة الاقتصادية .

هذا الرجل فنصبه لحفظ تمره[1] والقيام في حظيرته ، فأحسن حفظها واحتاط في أداء الامانة ، وظهر منه من التشديد في ذلك ما خرج به عن أحوال الناس في تساهلهم في كثير من الامور ، وذلك في سنة أربع وستين ومائتين ، فاستحكمت ثقة الناس به ، وثقته بحمدان قرمط وسكونه اليه ، فأظهر له أمره وكشف له الغطاء .

قال : وكل ماكانهذا الداعية يفعله من الثقة والامانة واظهار الخشوع والنسك انما كان حيلة ومكرا وخديعة وغشا ، قال : فلما حضرت هذا الطاغية الوفاة جعل مقامه حمدان بن الاشعث قرمطا ؛ فأخذ على أكثر أهل السواد وكان ذكيا خبيثا ، قال : وكان ممن أجابه من أصحابه الذين صار لهم ذكر زكرويه بن مهرويه السلماني وجلندي الرازي ، وعكرمة البابلي ، واسحاق النوراني ، وعطيف النيلي وغيرهم ، وبث دعاته في السواد يأخذون على الناس ، وكان أكبر دعاته عبدان متزوجا أخت قرمط أو قرمط متزوجا أخته ، وكان عبدان رجلا ذكيا خفيفا فطنا خبيثا ، خارجا عن طبقة نظرائه من أهل السواد ذا فهم وحذق ، فكان يعمل عند نفسه على حد قد نصب له ، ولا يرى أنه يجاوزه الى غيره من خلع الاسلام ، ولا يظهر غير التشيع والعلم ويدعو الى الامام من آل رسول الله ﷺ ، محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وكان أحد من تبع عبدان زكرويه بن مهرويه ، وكان زكرويه شابا فيه ذكاء وفطنة ، وكان من قرية بسواد الكوفة يقال لها المسانية[2] تلاصق قرية الصوان ، وهاتان القريتان على نهر هد ، نصبه عبدان على اقليم نهر هد وطسوج السالحين واقليم نهر يوسف داعية، ومن قبله جماعة دعاة متفرقون في عمله ، يدور كل واحد منهم في عمله في كل شهر مرة ، وكل ذلك بسواد الكوفة ، ودخل في دعوته من العرب من بني ضبيعة بن عجل ــ وهم من ربيعة ــ رجلان ، أحدهما يعرف برباح والآخر بعلي بن يعقوب القمر ، فأنفذهما دعاة الى العرب في أعمال الكوفة وسورا وبربسما وبابل ، ودخل في دعوته من العرب أيضا رفاعة ومن بني يشكر ، ثم من بكر بن وائل رجل يعرف بسند وآخر يعرف بهارون، فجعلهما دعاة نخيلة[3] وما والاها في العرب خاصة الى حدود واسط،

---

(١) يلاحظ وجود تطابق بين مواد النويري وما رواه المقريزي ويتميز النويري بذكر مصادره ، بينما يغفل المقريزي ذلك .

(٢) لعله نسبة الى ميسان وهو اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط ــ معجم البلدان .

(٣) موضع قرب الكوفة على سمت الشام ــ معجم البلدان .

فمال اليه هذان البطنان ودخلا في دعوته فلم يكد يتخلف رفاعي ولا ضبعي ، ولم يبق من البطون المتصلة بسواد الكوفة بطن الا دخل في الدعوة منه ناس كثير أو قليل ، من بني عابس وذهل وغيره وبني عنزة وتيم الله وتعل وغيرهم ، وفيهم نفر يسير من بني شيبان ، فقوي قرمط بهم وزاد طمعه فأخذ في جمع أموالهم .

ذكر ما فرضه قرمط

على من دخل في دعوته واستجاب له وكيف نقلهم في استئصال اموالهم من اليسير الى الكثير حتى استقام له امرهم .

كان أول ما ابتدأ به أن فرض عليهم وامتحنهم بتأدية درهم واحد ، وسمى ذلك « الفطرة » من كل رأس من الرجال والنساء والصبيان ، فسارعوا الى ذلك ، فتركهم مديدة ثم فرض عليهم « الهجرة » ، وهو دينار على كل رأس أدرك الحنث ، وتلا عليهم قوله تعالى(خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم)[1] ، وقال : هذا تأويل هذا ، فدفعوا ذلك مبادرين به اليه ، وتعاونوا عليه فمن كان فقيرا أسعفوه، فتركهم مديدة ثم فرض عليهم «البلغة»، وهي سبعة دنانير ، وزعم أن ذلك هو البرهان بقوله تعالى (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين)[2] . وزعم أن ذلك بلاغ من يريد الايمان والدخول في السابقين السابقين — « أولئك المقربون »[3] ، وصنع لهم طعاما طيبا حلوا لذيذا وجعله على قدر البنادق ، يطعم كل من أدى اليه سبعة دنانير واحدة منها ، وزعم أنه طعام أهل الجنة نزل الى الإمام ، واتخذ ذلك كالخواتيم ينقل الى الداعي منها مائة بلغة ويطالبه بسبعمائة دينار ، فلما توطأ له هذا الأمر فرض عليهم أخماس ما يملكون وما يتكسبون ، وتلا عليهم قوله تعالى : (واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه ...الآية[4]) فقوموا جميع ما يملكونه من ثوب وغيره وأدوا خمسه اليه،حتى كانت المرأة تخرج خمس ما تغزل ، والرجل خمس ما يكسب ، فلما تم ذلك له

---

(١) سورة التوبة : ١٠٤ .

(٢) سورة البقرة : ١١١ .

(٣) سورة الواقعة : ١٠ .

(٤) سورة الانفال : ٤١ .

واستقر فرض عليهم «الألفة »،وهو أن يجمعوا أموالهم في موضع واحد وأن يكونوا في ذلك أسوة واحدة ، لا يفضل أحد منهم صاحبه وأخاه في ملك يملكه ، وتلا عليهم قوله تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعـداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا)[1] ، وتلا عليهم قوله تعالى (لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم)[2] ، وعرفهم أنه لا حاجة بهم الى أموال تكون معهم ، لأن الارض بأسرها ستكون لهم دون غيرهم ، وقال لهم ، هذه محنتكم التي امتحنتم بها ليعلم كيف تعملون ، وطالبهم بشراء السلاح واعداده ، وذلك كله في سنة ست وسبعين ومائتين •

وأقام الدعاة في كل قرية رجلا مختارا من ثقاتها ، يجمع عنده أموال أهل قريته من بقر وغنم وحلي ومتاع وغيره ، فكان يكسو عاريهم وينفق عليهم ما يكفيهم ، ولا يبقي فقيرا بينهم ولا محتاجا ضعيفا ، وأخذ كل رجل منهم بالانكماش في صناعته والتكسب بجهده ، ليكون له الفضل في رتبته ، وكانت المرأة تجمع اليه كسبها من مغزلها ، والصبي أجر نطارته الطير ، فلم يملك أحد منهم الا سيفه وسلاحه ، فلما استقام له ذلك كله وصبوا اليه وعملوا به ، أمر الدعاة أن يجمعوا النساء ليلة معروفة ويختلطن بالرجال ، وقال : إن ذلك من صحة الود والالفة بينهم فربما بذل الرجل لأخيه امرأته متى أحب ، فلما تمكن من أمورهم ووثق بطاعتهم وتبين مقدار عقولهم أخذ في تدريجهم الى الضلالة ، وأتاهم بحجج من مذهب الثنوية فسلكوا معه في ذلك ، حتى خلعهم من الشريعة ونقض عليهم ما كان يأمرهم به في مبدأ أمرهم من الخشوع والورع والتقى ، وأباح لهم الاموال والفروج والغنى عن الصوم والصلاة والفرائض ، وأن ذلك كله موضوع عنهم وأن أموال المخالفين ودماءهم حلال لهم ، وأن معرفة صاحب الحق الذي يدعو اليه يغني عن كل شيء ، ولا يخاف معه اثم ولا عـذاب •

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٣ .

(٢) سورة الانفال : ٦٣ .

ذكر دعوة القرامطة وعهدهم الذين كانوا يأخذونه على من يغرونه ، ويستميلونه الى مذهبهم ، وكيف ينقلونه من مرتبة الى اخرى ، حتى ينسلخ من الدين ويخلع ربقة الاسلام من عنقه .

قال الشريف أبو الحسن محمد بن علي : أول الدعوة بعد عمل الداعي بالرزق وقوة اجابة المدعو من سائر الامم أن يسلك به في السؤال عن المشكلات ، مسلك الملحدين والشكاك ، ويكثر السؤال عن تأويل الآيات ومعاني الامور الشرعيات ، وشيء من الطبائع ووجوه القول في الامور التي تكثر فيها الشبه ، ولا يصل اليها الا العالم المبرز ومن جرى مجراه ، فان اتفق له مجيب عارف ممارس جدل سلم اليه الداعي وعظمه وكرمه وحشمه وصوب قوله ، وداخله بما يحب من علم شريعته التي يومي اليها ، وكل ذلك ليقطع كلامه لئلا يتبين ما هو عليه من الحيلة والمكر ، وما يدخل به على الناس من أمر الدعوة ، وان اتفق مغرور مغفل غليظ الحواس ألقي اليه ما يشغل به قلبه ، مثل قوله : ان الدين لمكتوم وان الاكثر له لمنكرون وبه جاهلون ، ولو علمت هذه الامة ما خص الله به الائمة من العلم لم تختلف ، ويوهم من سمع كلامه أن عنده علوما خفية لم تصل اليهم،فتتطلع نفس المستمع الى معرفة بيان ماقال، وربما وصل أمره مع من يجالسه ــ واحدا كان أو جماعة ــ بشيء من معاني القرآن، وذكر شرائع الدين وتأويل الآيات وتنزيلها وكلام لا يشك المسلم العارف في حقيقته، ويوهم المستمعين منه أنه قد ظفر بعلم ، لو صادف له مستمعا لكان ناجيا منتفعا ، وقرر عندهم أن الآفة التي نزلت بالامة وحيرت في الديانة وشتتت الكلمة وأورثت الاهواء المضلة ذهاب الناس عن أئمة نصبوا لهم ، وأقيموا حافظين لشرائعهم يؤدونها على حقائقها ، ويحفظون عليهم معانيها وبواطنها ، وأنهم لما عدلوا عنهم ونظروا من تلقاء عقولهم ، واتباعهم لما حسن في رأيهم وسمعوه من أسلافهم وعلاتهم ــ اتباع الملوك في طلب الدنيا ــ وحاملي الغنى ومسمعي الإثم ، وأجناد الظلمة ، وأعوان الفسقة الطالبين العاجلة ، والمجتهدين في الرئاسة على الضعفاء ، ومن يكايد رسول الله ﷺ في أمته ، وغير كتابه ، وبدل سنته ، وقتل عترته وخالف دعوته وأفسد شريعته وسلك بالناس غير طريقته ، وعاند الخلفاء من بعده ، وخلط بين حقه وباطل غيره فتحير وحير من قبل منه ، وصار الناس الى أنواع الضلالات به وبأتباعه ، وقالوا لهم

حينئذ ـ كالنصحاء الحكماء ـ : ان دين محمد لم يـأت بالتحلي ولا بالتمري ، ولا بأماني الرجال ولا شهوات الخلق ، ولا بما خف على الالسنة وعرفته دهمـاء العامة ، وانما الدين صعب مستصعب ، أمر مستثقل وعلم خفي غامض ، سيره الله في حجبه وعظم شأنه عن ابتذال الاشرار له ، فهو سر الله عز وجل المكتوم وأمـره المستور ، الذي لا يطيق حمله ولا ينهض بأعبائه وثقله الا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للايمان ، في أمثال هذا الكلام ، ويموه على من لا يعلم بأنهم لو أظهروا ما عندهم من العلم لأنكره من يسمعه ، وتعجب منه وكفر أهلـه ، وهذه مقدمة يجعلونها في نفوس المخدوعين ، ليواطئوهم على ألا ينكروا ما يسمعونه منهم ولا يدفعوه ، فيجعلوا ذلك تأنيسا وتأسيسا لينخلع من الشرائع وترتيب أصولها والحرص على طلبها ، وربما قالوا لهم شيئا يموهون به أن له تفسيرا ، وانما هو تقليد في الديانة .

فمن مسائلهم : ما معنى رمي الجمار ؟ والعدو بين الصفا والمروة ؟ ولم قضت الحائض الصيام ولم تقض الصلاة ؟ وما بال الجنب يغتسل من ماء دافق لشيء طاهر منه البشر ، ولا يغتسل من البول النجس الكثير القذر ، وما بال الله تعالـى خلق الدنيا في سبعة أيام[1]؟ أعجز عن خلقها في ساعة واحدة؟ وما معنى الصراط المضروب في القرآن مثلا ؟ والكاتبين[2] الحافظين ؟ وما لنا لا نراهما ؟ أيخاف ربنا أن يكابره ونجاحده فأذكى[3] العيون وأقام علينا الشهود ؟ وقيد ذلك بالقرطاس والكتابة ؟! وما تبديل الارض[4] غير الارض ؟ وما عذاب جهنم ؟ وكيف يصح تبديل جلـد[5] مذنب بجلد لم يذنب يعـذب ؟! وما معنى : « ويحمل عرش ربك فوقهم يومئـذ

---

(١) كذا في الاصل ، ومرده الى كون القرامطة كانوا سبعية ، علما ان الله تعالى ذكر في القرآن الكريم « ستة ايام » .

(٢) سورة المطففين : ١٠ ــ ١١ : (وان عليكم لحافظين ، كراما كاتبين) .

(٣) اذكي عليه العيون : ارسل عليه من يستطلع خبره .

(٤) سورة ابراهيم : ٤٨ (يوم تبدل الارض غير الارض والسماوات وبرزوا لله الواحد القهـار) .

(٥) سورة النساء : ٥٦ (ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلمـا نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما) .

ثمانية »[1] ؟ وما ابليس ؟ وما ذكرته الشياطين ؟ وما وصفوا به : ومقدار قدرهم ؟ وما يأجوج ومأجوج ؟ وهاروت وماروت ؟ وما سبعة أبواب النار ؟ وما ثمانية أبواب الجنة ؟ وما شجرة الزقوم النابتة في الجحيم ؟ وما دابة الارض ؟ ورؤوس الشياطين ؟ والشجرة الملعونة في القرآن ؟ والتين والزيتون ؟ وما الخنس؟ وما الكنس؟ وما معنى ألم ، وألمص ؟ وما معنى كهيعص ؟ وما معنى حم عسق ؟ وأمثال هذا من الكلام ، ولم جعلت السماوات سبعا والارضون سبعا ؟ والمثاني من القرآن سبع آيات ؟ ولم فجرت العيون اثنتي عشرة عينا ؟ ولم جعلت الشهور اثني عشر شهرا ؟ وأمثال هذا من الكلام والامور ، مما يوهمون أن فيه معاني غامضة وعلوما جليلة .

وقالوا للمغرورين : ما يعمل محكم الكتاب والسنة ومعاني الفرائض اللازمة ؟ وأين أرواحكم ؟ وكيف صورها ؟ وأين مستقرها؟ وما أول أمرها ؟ والانسان ما هو؟ وما حقيقته ؟ وما فرق بين حياته وحياة البهائم ؟ وفرق ما بين حياة البهائم وحياة الحشرات ؟ وما بانت به حياة الحشرات من حياة النبات؟ وما معنى قول رسول الله ﷺ « خلقت حواء من ضلع آدم »؟ وما معنى قول الفلاسفة : الانسان هو العالم الصغير؟ ولم جعلت قامة الانسان منتصبة دون الحيوان ؟ ولم جعل في أربع أصابع من يديه ثلاثة شقوق وفي الابهام شقان ؟ ولم جعل في وجهه سبعة ثقب وفي سائر بدنه ثقبان ؟ ولم جعل في ظهره اثنتا عشرة عقدة وفي عنقه سبع ؟ ولم جعل رأسه في صورة ميم ويداه حاء وبطنه ميما ورجلاه دالا حتى صار لذلك كتابا مرسوما يترجم عن محمد ؟ ولم جعلت أعداد عظامكم كذا وأعداد أسنانكم كذا ؟ ولم صارت الرؤساء من أعضائكم بكذا وكذا ، وسألوا عن التشريح والقول في العروق وفي الاعضاء ووجوه منافع الاعضاء ، ويقولون لهم : ألا تفكرون في حالكم وتعتبرون ؟ وتعلمون أن الذي خلقكم حكيم غير مجازف ، وأنه فعل جميع ذلك بحكمة ، وله في ذلك أغراض باطنة خفية ، حتى جمع ما جمعه وفرق ما فرقه ، وكيف الاعراض عن هذه الامور ، وأنتم تسمعون قول الله عز وجل : (وفي أنفسكم أفلا تبصرون)[2] وقوله : (وفي الارض

---

(١) سورة الحاقة : ١٧ (والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) .
(٢) سورة الذاريات : ٢ .

آيات للموقنين)[1] ويقول :(ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون)[2] ويقول (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)[3] فأي شيء رآه الكفار في أنفسهم وفي الآفاق فعرفوا أنه الحق ؟ وأي حق عرفه من جحد الديانة ؟ أو لا يدلكم هذا على أن الله عز وجل أراد أن يدلكم على بواطن الامور الخفية وأمور وأمور في باطنه ، ولو عرفتموه لزالت عنكم كل حيرة وشبهة ، ووقعت لكم المعارف السنية ، أولا ترون أنكم جهلتم أنفسكم ؟ التي من جهلها كان حريا بأن لا يعلم غيرها ، أو ليس الله تعالى يقول (ومن كان في هذه أعمى فهو في الاخرة أعمى وأضل سبيلا)[4] ، وأمثال الامور يسألون عنه ويعرضون به من تأويل القرآن وتفسير ألفاظ كثيرة من ألفاظ السنن والاحكام ، والجواب معان يفسر بها وضع الشرائع السمعيات فيما رفع منها وما[5] نصب ، وكثير من أبواب التعليل والتحوير مما يأتي في المقالة الثانية ان شاء الله تعالى ، فان أوجب ذلك للمسؤول عنه شكا وحيرة واضطرابا وتعلقت نفسه بالجواب عنه ، وتشوق الى معرفته فسألهم عنه عاملوه بمثل ما يفعل به صاحب الفأل والزراق والقصاص على العوام عند امتلاء صدورهم بما يفخرون به أولا عندهم من أحوال قد عرفوها من أحوالهم ، فهم الى معرفتها أكثر الحاحا وعلقوا بمعرفتها أنفسهم ، وعند بلوغ القصاص الى ما يبلغون اليه يقطعون الحديث ، لتعلق قلوب المستمعين بما يكون بعده ، وهذه صفة الدعاة وحالهم ، يقدمون على الكلام والمسائل ثم يقطعون فتتعلق أنفس المغرورين ، بما قد تأخر من القول الذي قدموا له مقدمة ، فاذا خاطبهم على علم معرفته تأويل البيان قالوا له : لا تعجل ، فان دين الله أجل وأكبر من أن يبذل لغير أهله ، ويجعل عرضا للعب وما جانسه ، ويقولون : قد جرت سنة الله جل وعز في عباده عند شرع من نصبه من النبيين أخذ

---

(١) سورة الذاريات : ٢٠ .

(٢) سورة ابراهيم : ٢٥ .

(٣) سورة فصلت : ٥٣

(٤) سورة الاسراء : ٧٢ .

(٥) في كنز الدرر للدواداري ص ١٠٢ : والجواب عن نصف معاني تفسيرها واضع الشرائع السمعيات فيما وقع منها وما نصب .

الميثاق ، كما قال تعالى : (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا)[1] وقال تعالى : (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)[2] ، وقال جل ذكره : (يا أيهـا الذين آمنوا أوفوا بالعقود)[3] وقـال : (ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ماتفعلون. ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا)[4] وقال تعالى : (لقد أخذنا ميثاق بني اسرائيل ...)[5] ، في أمثال هذا خبر الله عز وجل فيه أنه لم يملك حقـه الا لمن أخذ عهده ، فأعطنا صفقة يمينك بالتوكيد من أيمانك وعقودك ، ألا تفشي لنا سرا ، ولا تظاهر علينا أحدا ولا تطلب لنا غيلة ، ولا تكلمنا الا نصحا ولا توال علينا عدوا ، في أمثال لهذا ، وانما غرضهم في ذلك كله أمور : منها أن يستدلوا بها بظاهر ما يعطيهم المخدوع من انقياده وطاعته ، على باطن أمره من شكه واضطرابه ، وكيف موقع ذلك منه ، ومنها التوثق بالامن من كشف أحوالهم وانتشار أمورهم ، الا بعد توطئه ما يريدونه حالا فحالا ، ومنها أن يرسموه بالذل والطاعة لهم والرضى منه بأن يكون منقادا ، تابعا لهم ومكبرا ، والا فال نكث الايمان وقلة الاكتراث بهـا والفكر فيها والاعتداد بها ، هو دينهم عند البلوغ الى غايتهم التي يجرون اليها ، وانما يجعلون ذلك مانعا لأهل هذه الطبقات ، ما داموا مستشعرين للعمل بالديانات ، فان سمح المدعو باعطاء عهده وتصاغر لهم بقوة اضطراب قلبه وشكه ، قالوا لـه حينئذ : أعطنا جعلا من مالك ، وغرما نجعله مقدمة أمام كشفنا لك الامور وتعريفك اياها ، وكان ذلك مما يستظهرون به عليه بالاستدلال به أيضا على قوة شكه وتعلق نفسه ، وظهريا لهم على الاستعانة على أمرهم وتمكينهم لدعوتهم ، ثم رسموا في مبلغ ذلك رسما بحسب ما يراه الداعي في أمره صلاحا ، وان امتنع عليهم المخدوع في رتبة العهد واعطائه الداعي ، أو في رتبة العزم وعطيته أمسكوا عنه وزادوه أبدا في شكه وحيرتـه .

فهذا حال الدعوة الاولى ووصفها وما تدرج به الدعاة المخدوعين .

---

(1) سورة الاحزاب : ٧ .

(2) سورة الاحزاب : ٢٣

(3) سورة المائدة : ١

(4) سورة النحـل : ٩١ ـ ٩٢ .

(5) سورة المائدة : ١٠ .

ذكر صفة الدعوة الثانية

قال الشريف رحمه الله : فاذا قبل المخدوع الرتبة الاولى وحصل عليها اعتقد تهمة الامة ، فيما نقلته عمن كان قبلها من علماء المسلمين ، وقوي شكه في ذلك ثم تقرر في نفسه أن الله تعالى لم يرض في اقامة حقه وما شرعه لعباده الا بأخذ ذلك عن أئمة نصبهم لهم وأقامهم لحفظ شرائعه على مراده ، وسلكوا به في تقرير هذه الامور عنده والدلالة على صواب قولهم ، وجعلوا على قولهم وبرهانهم طريقا يسلكون به مسلك أصحاب الامامة ، في تعاطي اتيانها من جهة السمع والعقل حتى يتأثر، ذلك عند من يأخذون عليه،ويقرره في نفسه فيكون ذلك منزلة ثانية ، ودعوة مرتبة بعد الدعوة الاولى التي قدمنا ذكرها .

ثم ينقلوه الى الدعوة الثالثة .

ذكر صفة الدعوة الثالثة

قال : وأما الدعوة الثالثة فهي أن يقرر الداعي عند المخدوع أن الذي ينبغي أن يعتقده في عدد الائمة أنهم سبعة ، عظموا في أنفسهم وأعدادهم ، ورتبوا سبعة كما رتبت جلائل الامور ، وأصول الترتيب كالنجوم السيارة والسماوات والارضين ، ثم يعدد له ماقي ذلك جار على هذا العدد، مما سنذكره في المقامة الرابعة ونبينه ونذكر مذهبهم فيه ان شاء الله تعالى .

قال : ثم يقرر عند المخدوعين أمر الائمة وعددهم ، فيقول : أول هؤلاء الائمة علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ابناه ، ثم علي بن الحسين زين العابدين ، ثم محمد[1] بن علي الجليل الرضي ، ثم أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق ، ثم السابع وهو عندهم القائم وصاحب الزمان الآخر . وقد كان منهم من يجعل القائم محمد بن اسماعيل بن جعفر ، ولا يبتدىء باسماعيل بن جعفر قبله ، ومنهم من يجعل اسماعيل ثم القائم محمد بن اسماعيل ، فمن فعل هذا خرج من أعداد السبعة ، فاذا قرر الداعي عند المخدوع : أن الائمة سبعة ، أسقط ستة لم يجعل لهم امامة وهم : موسى بن

---

(١) هو الباقر .

جعفر ، وعلي بن موسى ، ومحمد بن علي ، وعلي بن أحمد والحسن بن علي[1] ، ومحمد المنتظر ، فاذا قبل منه المغرور ما يلقى اليه من هذا القول استقر عقله ، وأخذ في صرفه عن طريق الامامة ، ويقع في أبي الحسن[2] موسى بن جعفر ويثلبه بما ليس فيه ، ثم يقول له : ان امامية الذين يقولون باثني عشر اماما ليس لهم حقيقة بما يعتقدونه ، يريد بهذا أن يسهل عليه طريق المخالفة لأهل الامامة ، كما سهل عليه التهمة لما عليه سائر الامة من الاعتقاد ـ كما تقدم في الدعوة الاولى ، يصدون عن طريق الإمامة في أبي الحسن ، ويقال ان موسى بن جعفر يكنى أبا ابراهيم ، يقولون: انا وجدنا صاحبنا محمد بن اسماعيل بن جعفر عنده علوم المستورات وبواطن المعلومات ، وفقدنا ذلك عند كل أحد سواه ، وربما أتوا بروايات في الطعن على أبي الحسن موسى بن جعفر ورموه بالعظائم ، ويقولون : ليس له امامة ، وقد أجمعت الشيعة ــ التي اجماعها أولى بالاتباع والحجة ــ أنه لا يستحق الامامة بعد مضي الحسين بن علي الا في ولد الامام ، وقد اتفقنا وهم على صحتها وترتيبها الى جعفر بن محمد ، ثم اختلفنا في أي أولاده أحق بها ، فوجدنا عن صاحبنا علم التأويل وتفسير ظاهر الامور ، وسر الله جل وعز في وجه تدبيره المكتوم ، واتفاق دلالته في كل أمر يسأل عنه ، في جميع المعدومات وتفسير المشكلات وبواطن الظاهر كله والتأويلات وتأويل التأويلات ، فنحن الوارثون لذلك من بين طبقات الشيعة المعبرين عنه أخذناه من جهته ورويناه ممن لا نجد من خالفنا ، يمكنه أن يساوينا فيه ، ولا يتحقق به ويدعيه ، فصح بذلك أن صاحبنا أولى بالامامة من جميع ولد جعفر بن محمد ،وربما قالوا : وجدنا فلانا من ولد جعفر بن محمد من شأنه كذا ، وفلانا من قصته كذا، في فروق لهم كاذبة بأقاويل لا تليق بهم ، ثم يقولون : فلم يبق من سلم من الطعون المعروفة الا صاحبنا ، فوجب أن يكون هو صاحب الامر دون كل أحد، وليس غرض هؤلاء ــ أصحاب هذه الدعوة الخبيثة ــ أن يؤخروا موسى بن جعفر ، ولا يقدموا

---

(1) هو الامام العسكري الحادي عشر لدى الشيعة الاثني عشرية .

(2) سبب ذلك أن الانشطار بين الاسماعيلية واثني عشرية حدث عند توليه الامامة بعد ابيه الصادق .

اسماعيل بن جعفر ولا ابنه محمد ، وانما جعلوا هذا كأداة الصانع التي لا يتم الصنعة الا بها ، فاذا انقاد لهم المغرور وسمع قولهم تيقنوا أنهم قد تمكنوا من عقله، وسلكوا به أي مسلك أرادوه . فهذه الدعوة الثالثة .

ذكر صفة الدعوة الرابعة

قال الشريف : اعلم أن الدعوة الرابعة أن تقرر عند المدعو بأن عدد الانبياء الناسخين للشرائع المبدلين لها أصحاب الادوار وتقليب الاحوال الناطقين على الامور سبعة بعدد الائمة سواء ، كل واحد منهم له صاحب يأخذ عنه دعوته ، ويحفظها على أمته ، ويكون معه ظهريا في حياته وخليفة له من بعد وفاته ، الى أن يؤديها الى آخر، يكون سبيله معه سبيله هو مع متبعه الذي هو تابعه ، ثم كذلك لكل مستخلف خليفة ، الى أن يمضي منهم على تلك الشريعة سبعة ، ويسمون هؤلاء السبعة الصامتين ، لثباتهم على شريعة اقتفوا فيها أثر واحد هو أولهم ، ويسمون صاحب الاول سوسه ، وربما عبروا عنه بغير ذلك ، ثم يزعمون أنه لا بد عند انقضاء هؤلاء السبعة واستنفاد دورهم بشرعهم من استفتاح دور ثان ، ينسخ به شرع من قبله ، ويكون خلفاؤه بعده يجري أمرهم كأمر من كان قبلهم ، ثم يأتي بعدهم ناسخ ، ثم اتباع سبعة صمت أبدا الى أن يأتي السابع ، فينسخ لجميع ما قبله ، ويكون صاحب الزمان الاخير الناطق .

ثم يرتبون هؤلاء بالتسمية لهم والاوصاف ، فيقولون : أول هؤلاء النطقاء آدم ، وصاحبه وسوسه شيث ، ويقال بابه في موضع سوسه ويسمون بعده تمام سبعة صمتوا على شريعة آدم ، ثم نوح فانه ناطق ناسخ وسام سوسه ، ثم تمام السبعة ، ثم الثالث ابراهيم وسوسه اسماعيل ، ثم تمام السبعة ، ثم الرابع موسى وسوسه هارون ، ثم مات هارون في حياته فصار سوسه يوشع بن نون ، ثم تمام السبعة بعده ، ثم الخامس المسيح عيسى بن مريم أخذها عن يحيى ، وهو أحد السبعة بعده ، ثم السادس محمد بن عبد الله ﷺ، وسوسه علي بن أبي طالب رضي‌الله عنه ثم ستة ثم السابع قائم الزمان محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وهو المنتهى اليه علوم من قبله ، والقائم يعلم بواطن الامور وكشفها ، واليه تفسيرها ، والى أمره أجري ترتيب سائر من قبله ، في أمور سيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى .

فهذه درجة أخرى قررها الداعي عند المدعو ، نبوة نبي بعد محمد ﷺ ، وسهل بها النقل عن شريعته ، وأخرج بها المدعو اليهما عما هو معلوم عند كل سامع لدعوة رسول الله ﷺ من أن من دينه وما علم من مذهبه ونحلته أنه خاتم الرسل وأنه لا نبي بعده ، وأن دولته مبقاة وشريعته مفترضة أبدا ، الى أن يرث الله الارض ومن عليها . فالعلم بذلك من دياناته وما عرف من مذهبه ، وأن أمته بلغت عنه ذلك وفهمته ، وأن من مفهوم شريعته أنه لم يكن يجوز لأحد نبوة غيره ، في وقته ولا فيما بعده ، فكانت هذه الدعوة أول ما أخرج الداعي بها المدعو عن شريعة رسول الله ﷺ وأدخله في جملة الكفار المرتدين عن شريعته ، وهو مع هذا لا يعلم ما خرج منه ولا دخل فيه .

ذكر صفة الدعوة الخامسة

قال : اعلم أنه من يحصل على ما قدمنا ذكره يحصل عليه ، وقد مهد له بطريق تعظيم الاعداد ، ووكد بذكر الطبائع في أبنية العالم ، وأمور كثيرة سيأتي ذكرها في المقالة الثامنة ، كلها مبنية ، على مذاهب مدخولة ، وأمور فاسدة مرذوله ، مذاهب كثير من الملحدين المتفلسفة ، مع اطراح ما نقلت الامة ، والاستخفاف بحال الشريعة ، والاعتقاد لتعظيم الشيعة ، والانتظار لفسخ ما ورث عن النبوة ، وتوقع أمور باطنة بخلاف ما ألف من علم الظاهر ، وقلة احتفال بدلالة ظاهر القرآن وغيره من الكلام ، على الامور بحقائق اللغة العربية واقتفاء أثر العرب في أوضاع كلامهم ، مع تمقيت العرب ، ومع تحبيب دناءة العجم ، ويوهم أن العرب للعجم أعداء وظالمون وأنهم لملكهم مغتصبون ، هذا يقال للمدعو اذا كان أعجميا ، فان كان أعرابيا خوطب في حال دعوته : بأن العجم غلبوا على دعوته وفازوا بمملكته ، وأن له الاسم ولهم الدنيا ، وأنه أحق بذلك منهم وأولى ، في أمور من هـذا يطول وصفها بحسب ما يتخرج للداعي فيها .

ثم يمكن عنده طرفا من الهندسة في الاشكال ، ويعرف ان طبائع الاعداد في النظام ، لأمر يستخرج منه علوم الائمة ، والطريق الى علم الإله والنبوة ، ويقرر عنده أن مع كل امام حججا متفرقين في الارض وأن عددهم في كل زمان اثنا عشر رجلا ، كما أن عدد الائمة سبعة ، وأن دلالة ذلك ظاهرة وحجته قاهرة ، بأن تعلم

بأن الله جل وعز لا يخلق الامور مجازفة على غير معان توجبها الحكمة ، والا فلم خلق النجوم ، التي فيها قوام العالم سبعة ؟ وجعل السماوات والأرضين سبعة ؟ وأمثال هذا وبالغوا ، وكذلك الاثنا عشر حجة ،عدد البروج المعظمة ، وعدد الشهور المعروفة ، وعدد النقباء من بني اسرائيل ، ونقباء النبي ﷺ من الانصار ، وفي كف الانسان أربعة أصابع في كل اصبع ثلاثة شقوق تكون اثني عشر شقا ، وفي كل يد ابهام فيها شقان بها قوام جميع كفه ، وسداد أصابعه ومفاصله ، فالبدن كالارض ، والاصابع كالجزائر الاربع ، والشقوق كالحجج فيها ، والابهام كالذي يقوم الارض بعد ما فيها ، والشقان فيها الامام وسوسه لا يفترقان ، ولذلك صار في ظهر الانسان اثنتا عشر خرزة كالحجج ، وفي عنقه سبعة عالية كالانبياء والائمة ، وكذلك حال السبعة الانقاب في وجه الانسان العالية على بدنه، في أمثال لهذا كثيرة ، يحصلون بها المدعو على الانس بتمهيد طريق للخروج عن أحوال الانبياء وشرائعهم والعدول عن ذلك الى أمور الفلاسفة في ترتيب شبههم أبدا ، ما رأوا أن هناك بقية من دين .

ذكر صفة الدعوة السادسة

قال الشريف رحمه الله : اعلم أنهم اذا مكنوا ما وصفنا وأحكموه ووثقوه لمساكنة المدعو أخذوا في تفسير معاني الشرائع بغير ما يدين به أهلها وسهلوا عليه العدول عنها ، فرتبوا له معاني الصلاة والزكاة والحج والاحرام والطهارة وسائر الفرائض ، على أمور سيأتي وصفها في المقالة الثامنة ، على أن ذلك يكون تفسيره على احكام وتمهيد بغير مجازفة ولا استعجال ، فيحصل أولا على معنى : أن ذلك وضع دلالة على أمور نذكرها وننبه عليها ، فاذا قوي الانسلاخ من جملة الامة في نفسه ، وسهل عليه طريق العدول عما هي عليه ، لم يحتشم حينئذ أن يجعل ذلك موضوعا على جهة الرموز ، الى فاسقة من الانبياء والائمة ، وسياسة للعامة للجياشة الى منافعهم في ذلك، وفي شغل بعضهم عن البغي على بعض أو عن الفساد في الارض، مع اظهار تعظيم الناصبين لذلك ، وأنهم أهل الحكمة فيما رتبوه منه ، واذا تمكن أيضا في نفسه ما بدأنا بذكره ــ نقلوه الى التمييز بين الانبياء وبين أفلاطن وأرسطوطاليس وغيرهما ، وحسنوا عنده أشياء من حكمهم ، وعادوا على ناصب هذه الشرائع بالاستخفاف والمذمة والاستحقار والطعن واللائمة ، فيأتي ذلك على قلوب قد فرغت له ، وسهل عليها فلم تنكره ، ورأته مما بدأت به في تأنيسها .

قال رحمه الله : اعلم أنه متى أنس المدعو ، بما ذكرناه كله أو بكثير منه، وقوي في نفس الداعي أنه يصلح لما بعد هذا ، ان كان الداعي بالغا ، وبأغراض الدعوة عالما، والى التبليغ بمن يدعوه الى هذه الامور قاصدا — أتى بما نذكر ، وأما ان كان الداعي مخدوعا ومتخذا كالآلة ليتوصل به الى التكسب ، ويمهد به الطريق ويرتب، وهو غير بالغ الى أعلى الرتبة في دعوة دون ذلك ، فانه غافل لا يدري كيف قصته ، ولا يظن أن الامر الذي يراد به الا ما عرفه وبلغه ، أو ما يجانسه ويقاربه ، فاذا أراد الداعي أن يسلك بالمدعو فوق ما وصفنا قال له : قد صح لك أن صاحب الدلالة الناصب للشريعة لا يستثني بنفسه ، ولا بد له من صاحب معه يعبر عنه ، ليكونا اثنين أحدهما هو الاصل والآخر عنه كان .

واعلم أن ذلك لم يحصل في العالم السفلي الا وقد يحصل مثله في العالم العلوي ، فمذ بدء العالم اثنان هما أصل الترتيب وقوام النظام ، أحدهما هو الاعلى والمفيد ، والآخر هو الآخذ عنه المستفيد ، وربما أنسوه في ذلك بأن يقولوا له : هذا هو الذي أراده الله بقوله (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)[١] ، و « كن » هو الاكبر في الرتبة ، وأما الثاني فهو « القدر » الذي قال الله فيه : (انا كل شيء خلقناه بقدر)[٢] ، وربما قالوا : هذا معنى ما تسمعه مما جاءت به الملة، من أن أول ما خلق الله اللوح والقلم ، وقال للقلم اكتب ما هو كائن ، واللوح والقلم هما ما ذكرنا ، وربما قالوا : هذا معنى قول الله تعالى (وهو الذي في السماء إلـه وفي الارض إلـه)[٣] ، فسلك به في هذا الطريق العدول عن التوحيد ، وأن الصانع اثنان ، وان كان عندهم صنع الاجسام على جهة المثل والنظام، لا على معنى الاختراع والاحداث ، وسيأتي ذلك وبيانه ، وانما قدم هذا تمهيدا له .

---

(١) سورة يس : ٨٢ .
(٢) سورة القمر : ٤٩ .
(٣) سورة الزخرف : ٨٤ .

قال الشريف أبو الحسين رحمه الله تعالى : اعلم أنهم اذا رتبوا ما ذكرنا قرروا عند المدعو أن أحد المدبرين أسبق من الآخر في الوجود وأعلى منه في الرتبة ، وأن الآخر مخلوق منه وكائن به ، ولولاه لم يكن وأنه كونه من نفسه ، وأن السابق أنشأ الأعيان ، والثاني صورها وركبها ، ثم ذكروا له منزلة السابق ، وأن السابق كان عمن كان منه ، كما كان الثاني عن السابق ، الا أن الذي كان عنه السابق لا اسم له ولا صفة ولا ينبغي لأحد أن يعبر عنه ولا أن يعبده ، فاذا بلغ هذه الرتبة سألوا : إلا أن في الاسباب التي كان لها عندهم السابق عمن كان منه ممن لا اسم له ولا صفة ، ما هو ؟ وهل هو باختيار أم بغير اختيار ؟ وكذلك الحال التي كان لها الثاني عن السابق اختلافا ، فذهب بعضهم الى أن ذلك كان لفكرة عرضت لمن كان عنه السابق، فجاء منها السابق ، ثم عرضت فكرة للسابق فجاء منها الثاني ، على نحو ما يقولـه بعض المجوس في توليد ، أهورا وأهرمن[1] الذي هو الشيطان ـ عن القديم ، وأن ذلك بفكرة وقعت ردية ولدته، وربما قال بعضهم ان تلك الفكرة ، لأن الذي لا صفة له فكر : أقدر أخلق مثلي أم لا ؟ وكان من ذلك أن تصور التالي ، ثم فكر التالي في ذلك فلم يأت بمثله ، في أنحاء من هذه الامور التي سيأتي وصفها ، مما يخرج بـه قائلوه عن كل ديانة دان بها أحد من أهل الشرائع ، التي ينعقد معها نبوة وشريعـة ولا يكون الا مع دهرية أو ثنوية .

ثم رتب هؤلاء أن التالي يدأب في أعمال منه ، حتى يلحق بمنزلة السابق ، وأن الناطق في الارض يدأب في أعماله حتى يلحق بمنزلة التالي ، فيقوم مقامه فيكون بمنزلته سواه ، وأن السوس يدأب في أعماله حتى يصير بمنزلة الناطق سواء ، وأن الداعي يدأب في أعماله حتى يبلغ منزلة السوس وحاله سواء ، وأن هكذا تجري أمور العالمين في أدواره وأكواره ، في أمثال لهذا .

---

(١) أهورا هو إلـه النور ، وأهر من إله الظلام، قال الشهرستاني عن المجوس في الملل والنحل (هامش الفصل جـ٢ ص ٣) : (وقالوا أن يزدان فكر في نفسه انه لـو كان له منازع كيف يكون . وهذه الفكرة رديئة غير مناسبة لطبيعة النور فحدث الظلام من هذه الفكرة وسمى هرمن ...) .

ثم قرر عنده أن القول في معنى النبي الصادق الناطق ليس يجري على ما يقوله أهل الشرائع ، من أنه جاء بمعجزات ودلالات خارجة عن أحوال العادات ، وأن معنى ذلك انما هو يأتي بأمور تنتظم بها السياسة ووجوه الحكمة ، وترتب بها الفلسفة ، ومعان تنبيء عن حقائق ابتداء السماوات والارض ، وبدأتها على حقائق الامور اما برموز واما بافصاح ، وتنظيم ذلك شريعة يقتفى عليها الناس •

ورتب له أمر القرآن ،وما معنى كلام الله ، بخلاف ما يدين به أهل الكتب ، ورتب له أمر القيامة وتقضي أمر الدنيا ، وحصول الجزاء من الثواب والعقاب ، على أمور ليست مما يعتقده الموحدون في شيء ، بل ذلك على معان أخـر ، من تقلب الامور وحدوث الادوار عند انقضاء الكواكب وعوالم جماعتها ، والقول في الكون والفساد على ترتيب الطبائع ، على أمور كلها سيأتي شرحها أن شاء الله تعالى •

ذكر صفة الدعوة التاسعة

قال : اعلم أنه اذا حصل المدعو على ما ذكرنا أحيل حينئذ على طلب الامور وتحقيقها وحدودها والاستدلال عليها من طرق المتفلسفة وادراكها من كتبهم،وجعلوا ما قدموه سابقا له على طرائقهم ، واستنباط ما خفي عنهم وبنوه على علم الاربع طبائع ، التي هي استقصات وأصول الجواهر عندهم ، وعلى ترتيب القول في الفلك والنجوم والنفس والعقل وأمثال ذلك فيما هو معروف ، فيحصل الآن البالغون الى هذه الرتب على أحد هذه الوجوه ، التي يعتقدها بعض أهل الالحاد ممن يدين بقدم أعيان الجواهر ، ويصير ما قدم من ذكر الحدث والاصول رموزا الى معاني المبادىء، وتقلب الجواهر وحدوث الامور التي يكون لها على أحوال وأحكام ، وعلى نحو تنزيل كثير منهم لحال العقل من حال النفس ، وحال الفلك من حال العقل ، وحـال الطبائع والاعراض من حال النفس والعقل ، وحال المنقلب بالكون والفساد ومايكون من حال الهيولي بتقلب الاعراض المختلفة وترتيب العناصر ، والقول في العلة : هـل تفارق المعلول أم لا ؟ واقرار بعضهم بصانع لم تزل معه العناصر والمبادىء أولا ، وما هي تلك الامور وكيف حدودها ، وما يصح من صفاتها والاسباب التي تعلم بها، فربما صار البالغ في النظر في هذا الى اعتقاد مذهب ماني وابن ديصان ، وربما صار

إلى مذهب المجوس ، وربما دان بما يحكي عن أرسطاطاليس ، وربما صار الى أمور تحكي عن أفلاطن ، وربما اختار من تلك معاني مركبة من هذه الامور ، كما يجري كثير من هؤلاء المتحيرين •

قال : وجميع ما وصفنا من التدريج بالمقدمات انما يحصل الانسلاخ من شرائع أهل الكتب والنبوة فقط ، وجميعها يصلح أن تجعل تمهيدا ورموزا الى جميع هذه المذاهب التي ذكرناها ، وتجتذب بألفاظها اليها بالتأويل بحسب ما يريد المعتقد ، لما شاء منها مما سنبين ذلك أن شاء الله تعالى •

قال : وأما سلخه من جميع ما قدم[١] عليه من أمر الامامة والنبوة فانه أولا يجعل عنده منازل ، جميعهم منقوصة غير منزلة محمد بن اسماعيل صاحب الدور الآخر ، ويرتب له أن جميعهم لا يأتي بوحي من الله عز وجل ، ولا معجزة كما يقول الظاهرية ، وانما يختص بالصفا فيلقي في فهمه ما يريد الله ، فيكون ذلك كلاما ، ثم يجسده النبي ويظهره للخلق ، وينظم الشرائع بحسب المصالح في سياسات الناس ثم يؤمر بالعمل بذلك مدة ، ثم يترك الى أن يؤمر بذلك، يستدعي بها الناس ، لا لأنها تجب على أهل المعرفة بأعراضها وأسبابها ، ثم يقال له بعد ذلك انما هي آصار وأثقال حملها الكفار ، وكذلك سائر المحرمات ، ثم يلقن أن ابراهيم وموسى وعيسى ، وهؤلاء أنبياء سياسات وشرائع ، فأما أنبياء الحكمة فان هؤلاء أخذوا عنهم كأفلاطن وأمثاله من الفلاسفة ، فبنوا شرائعهم ليوصلوا بها العامة الى علومهم ، ثم يقال له : انظر أيهما أحكم، فلان النبي أو فلان؟ ثم يلقن أن في بعض أحكامهم اختلالا وفسادا، ثم يلقن البراءة منهم وسوء سيرتهم ، وأنهم قتلوا النفوس ، وأمثال هذا • ويلقن في محمد بن اسماعيل بن جعفر أنه سيظهر ، ثم يقال له بعد ذلك : انما يظهر في العالم الروحاني اذا صرنا اليه ، أما الآن فانما يظهر أمره على ألسن أوليائه ، ثم يلقن أن الله أبغض العرب لما قتلت الحسين بن علي ، فنقل خلافة الائمة عنهم كما نقل النبوة عن بني اسرائيل لما قتلوا الانبياء ، ولا يقوم بخلافة الائمة الا أولاد كسرى ، فيكون ذلك غاية ما يقدموه في هذا الباب كله متى استوى لهم ، فان لم يتم له ذلك مع الدعوة تركه في أي منزلة نزلها ، مستعبدا بهذه الوجوه •

---

(١) اي ما اعتاده قديما .

قال : ثم اعلم ـ رحمك الله ـ أن هذا الترتيب والتخريج والتنزيل انما كانت الدعاة عليه عند اجتماعها على مبتداء الدعوة ، والانعقاد على طلب الغوائل للمسلمين، فيها اتفقوا على جملة منها وأصولها ، وفتحوا بالفكر طريقها ، ومهدوه على معنى ما ذكرناه ، وتفرقوا في البلدان ، وتمهيدهم بحسب أفكارهم واجتهادهم في الحيلة على المستمع ، وتميزوا في ذلك وتمكنوا منه في طول الايام ، سيما مذ قويت أحوال الجنابي على ما نذكر ذلك ان شاء الله تعالى في أخباره •

قال : فقد بينا خبر هذه الدعوة وكيف جرى أمرها ، وكيف يسلك بالمخدوع كل مسلك ، حتى يصير الى التعطيل والاباحة ، فهذا أصل هذه الدعوة الملعونة وما أسست عليه قديما ، ثم تغيرت وتفرعت منذ انتشرت ببلاد المغرب ومصر والشام، وجعلوا منها طرقا وأبوابا ، فمنها علم القوت وعلم الكفاف وبلاغات مفصلة ، وبطل الترتيب الاول الذي وصفنا : من أن الدعوة كانت الى محمد بن اسماعيل بن جعفر، فصار موضعه من يكون من ولد عبيد الله بن ميمون القداح ، الذين ملكوا المغرب ومصر والشام ، على ما نذكر ذلك ان شاء الله تعالى في أخبارهم ، ولنصل هذا الفصل بذكر العهد الذي يحلفون به •

ذكر العهد الذي يؤخذ على المخدوعين في مبدا الدعوة الخبيثة

قال الشريف • يقول الداعي لمن يأخذ عليه العهد : جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمته، وذمة رسول الله ﷺ وأنبيائه وملائكته ورسله، وما أخذه على النبيين من عهد وعقد وميثاق أنك تستر جميع ما تسمعه وسمعته ، وعلمته ، وتعلمته ، وعرفته وتعرفه من أمري وأمر المقيم بهذا البلد لصاحب الحق الامام ، الذي عرفت اقراري له : ونصحي لمن عقد ذمته ، وأمور اخوانه وأصحابه وولده وأهل بيته المطيعين له على هذا الدين ومخالصته له ، من الذكور والاناث والصغار والكبار ، فلا يظهر من ذلك قليلا ولا كثيرا ولا بشيء يدل عليه ، الا ما أطلقت لك أنك تتكلم به ، أو أطلقه صاحب الامر المقيم بهذا البلد ، فتعمل في ذلك بأمرنا ولا تتعداه ولا تزيد عليه ، وليكن ما تعمل عليه قبل العهد بقولك وفعلك : أن تشهد أن لا إلــه إلا الله

وحده لا شريك له ، وتشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وتشهد أن الجنة حق وأن النار حق ، وأن الموت حق وأن البعث حق وأن الساعة حق آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وتقيم الصلاة لوقتها ، وتؤتي الزكاة بحقها ، وتصوم شهر رمضان ، وتحج البيت الحرام ، وتجاهد في سبيل الله حق جهاده ، على ما أمر الله به رسوله ﷺ ، وتوالى أولياء الله وتعادى أعداء الله ، وتقول بفرائض الله وسننه وسنن نبيه ﷺ وعلى آله الطاهرين ، ظاهرا وباطنا وعلانية وسرا وجهرا ، فان ذلك يؤكد هذا العهد ولا يهدمه ، ويثبته ولا يزيله ، ويقربه ولا يباعده ، ويشده ولا يضعفه ، ويوجب ذلك ولا يبطله ، ويوضحه ولا يعميه ، كذلك هو في الظاهر والباطن ، وسائر ما جاء به النبيون من ربهم صلوات الله عليهم أجمعين ، على الشرائط المبينة في هذا العهد .

وجعلت على نفسك الوفاء بذلك ــ قل نعم ، فيقول المغرور : نعم ، ثم يقول له : والصيانة له بذلك وأداء الامانة له على ألا تظهر شيئا أخذ عليك في هذا العهد ــ في حياتنا ولا بعد وفاتنا ، ولا على غضب ولا على حال رضى ، ولا على حال رغبة ولا رهبة ، ولا على حال شدة ولا على حال رخاء ولا على طمع ، ولا على حال حرمان ، تلقى الله على الستر لذلك والصيانة له ، على الشرائط المبينة في هذا العهد .

وجعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله ﷺ وعلى آله أن تمنعني وجميع من أسميه معي لك وأثبته عندك ، مما تمنع منه نفسك ، وتنصح لنا ولوليك ــ ولي الله ــ نصحا ظاهرا وباطنا ، فلا تخن الله ووليه ، ولا تخنا ولا أحدا من اخواتنا وأوليائنا ، ومن تعلم أنه منا بسبب ، في أهل ولا مال ولا رأي ولا عهد ولا عقد تتأول عليه بما تبطله .

فان فعلت شيئا من ذلك ــ وأنت تعلم أنك قد خالفته ، وأنت على ذكر منه ــ فأنت بريء من الله خالق السموات والارض ، الذي سوى خلقك وألف تركيبك وأحسن اليك في دينك ودنياك وآخرتك ، وتبرأ من رسله الاولين والآخرين وملائكته المقربين الكروبين والروحانيين ، والكلمات التامات ، والسبع المثاني ، والقرآن العظيم ، وتبرأ من التوراة والانجيل والزبور والذكر الحكيم ، ومن كل دين ارتضاه الله في مقدم الدار الآخرة ، ومن كل عبد رضي الله عنه ، وأنت خارج من حزب الله وحزب

أوليائه ، وخذلك الله خذلانا بينا ، فعجل لك بذلك النقمة والعقوبة والمصير الى نار جهنم ، التي ليس فيها رحمة وأنت بريء من حول الله وقوته ، ملتجأ الى حول نفسك وقوتها ، وعليك لعنة الله التي لعن بها ابليس ، فحرم عليه بها الجنة وخلده النار •

ان خالفت شيئا من ذلك لقيت يوم تلقاه وهو عليك غضبان ، ولله عليك أن تحج الى بيته الحرام ثلاثين حجة نذرا واجبا ، ماشيا حافيا ، لا يقبل الله منك الا الوفاء بذلك ، وان خالفت ذلك فكل ما تملكه في الوقت الذي تخالف فيه فهو صدقة على الفقراء والمساكين ، الذين لا رحم بينك وبينهم ، لا يأجرك الله عليه ، ولا يدخل عليك بذلك منفعة ، وكل مملوك لك ــ من ذكر أو أنثى ــ في ملكك وتستعبده الى وقت وفاتك ، ان خالفت شيئا من ذلك ، فهم أحرار لوجه الله عز وجل ، وكل امرأة لك وتتزوجها الى وقت وفاتك ــ ان خالفت شيئا من ذلك ــ فهن طوالق ثلاثا بته ، طلاق الحرج والسنة لا مثنوية لك فيها ولا اختبار ولا رجعة ولا مشيئة ، وكل ماكان لك من أهل ومال وغيرهما فهو عليك حرام ، وكل ظهار فهو لازم لك •

وأنا المستخلف لك لامامك وحجتك ، وأنت الحالف لهما وان نويت أو عقدت أو أضمرت خلاف ما أحملك عليه وأحلفك به ، فهذه اليمين من أولها الى آخرها محددة عليك لازمة لك ، لا يقبل الله منك الا الوفاء بها ، والقيام على ما عاهدت بيني وبينك ، قل نعم ، فيقول المخدوع : نعم •

فهذه اليمين التي يؤنس بها المخدوع من ذكر الصلاة والصيام والزكاة والحج وشرائع الاسلام ، فما ينكر شيئا مما يسمعه ، وكل ذلك تأنيس أن يتوصل به الى هذه الامور ، التي تقدم ذكرها على التدريج •

قال الشريف رحمه الله تعالى : ووجدت في كتاب من كتبهم يعرف بكتاب السياسة ما يشرح به ذكر ما تقدم من أمر الدعوة ، فيه وصايا الدعاة ، وهذا مختصر منه يقول فيــه :

من وجدته شيعيا فاجعل التشيع عنده دينك ، واجعل المدخل عليه من جهة ظلم الامة لعلي وولده ، وقتلهم الحسين وسبيهم البنات ، والتبري من تيم وعدي ومن بني أمية وبني العباس ، وما شاكل ذلك من الاعاجيب التي تسلك عقولهم ، فمن كان بهذه الصورة أسرع الى اجابتك بهذا الناموس ، حتى يتمكن مما يحتاج اليه ،

من وجدته صابئا فداخله بالاسابيع يقرب عليك جدا ، ومن وجدته مجوسيا فقد اتفقت معه في الاصل من الدرجة الرابعة ، من تعظيم النار والنور والشمس ، واتل عليهم أمر السابق فانه لهرمس الذي يعرفوله بالنور المكنون من ظنه الجيد والظلمة المكنونة من وهمه الرديء ، فانهم مع الصابئين أقرب الامم الينا وأولاهم بنا ، لولا يسير صحفوه بجهلهم به ، وان ظفرت بيهودي فادخل عليه من جهة المسيح ، يعني مسيح اليهود الدجال وأنه المهدي ، وأن عند معرفته تكون الراحة من الاعمال وترك التكليفات ، كما أمر بالراحة في يوم السبت، وتقرب من قلوبهم بالطعن على النصارى والمسلمين الجهال،وزعمهم أن عيسى لم يولد ولاأب له ، وقر في نفوسهم أن يوسف النجار أبوه ، وأن مريم أمه ، وأن يوسف كان ينال منها ما ينال الرجال من نسائهم وما يشاكل ذلك ، فانهم لا يلبثون أن يتبعوك ، وادخل على النصارى بالطعن على اليهود والمسلمين جميعا ، وبصحة عقدهم الصليب عندهم وعرفهم تأويله ، وأفسد عليهم ما قام لهم من جحد الفار قليط ، وقرر عندهم أنه جاء وأنك اليه تدعوهم ، ومن وقع اليك من المنانية فانه يحرك الذي منه تغترف ، فداخلهم بالممازجة من الباب السادس ، وأظهر من الدرجة السادسة من حدود البلاغ ، وامتزاج الظلمة بالنور الى آخر ما في الباب من ذلك ، فانك تملكهم به وتحليهم ، فان آنست من بعضهم رشدا كشفت له الغطاء ، ومن وقع اليك من الفلاسفة فقد علمت أن على الفلاسفة العهدة ، وانا قد اجتمعنا وهم على نواميس الانبياء وعلى القول بقدم العالم ، لولا ما يخالفنا بعضهم فيه من أن للعالم مدبرا لا يعرفونه ، فانه وقع الاتفاق على أنه لا مدبر للعالم فقد زالت الشبهة فيما بيننا وبينهم ، وان لك ثنوي فبخ بخ قد ظفرت، فالمدخل عليه بابطال التوحيد ، والقول بالسابق والتالي ووراثة أحدهما ، على ما هو مرسوم في أول درجة البلاغ وثالثه ، وان وقع لك سني فعظم عنده أبا بكر وعمر واذكر فيهما فضائل ، واثلب عليا وولده واذكر لهم مساوىء ، ولوح له أن أبا بكر وعمر قد كان لهما في هذا الامر ــ الذي تلقيه اليه ــ نسب ، فاذا دخلت عليه بهذا المدخل درجته الى ما تريد وملكته ، واتخذ غليظ العهود ووكيد الايمان وشديد المواثيق جنة لك وحصنا ، ولا تهجم على مستجيبيك بالاشياء التي تبهر عقولهم ، حتى ترقيهم الى المراتب حالا فحالا ، ودرجهم درجة درجة ، فواحد لا تزيده على التشيع والايمان لمحمد بن اسماعيل شيئا ، وأنه حي لا تجاوز به هذا الحد ، وأظهر

لهم العفاف عن الدرهم والدينار وخفف عليهم وطأتك ، ومره بالصلاة السبعين ، وحذره الكذب والزنا واللواط وشرب الخمـر ، وعليك في أمره بالرفق والتؤدة والمداراة يكن لك عونا على دهرك وعلى من يعاديك أو يتغير عليك من أصحابـك وينافسك ، فلا تخرجه عن عبادة الهه ، والتدبر بشريعته ، والقول بامامة علي وبنيه الى محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وأقم له دلائل الاسابيع فقط ، ودقه بالصلاة دقا ، فانك ان أومأت الى كرائمه يوما ــ فضلا عن ماله ــ لم يمنعك ، فان أدركته الوفاة وصى اليك بما خلف وورثك اياه ، ولم ير أن في العالم أوثق منك ، وأخر ترقيه من ذلك الى نسخ شريعة محمد ، وأن السابع هو الخاتم للرسل ، وأنه ينطق كما نطقوا ويأتي بأمر جديد ، وأن محمدا صاحب الدور السادس ، وأن عليا لم يكن اماما ، وحسن القول فان هذا باب كبير وعلم عظيم ، مرجى الارتقاء الى ما هو أكبر منه ، ويعينك على زوال ما جاء من قبله من وجود النبوات ، على المنهاج الذي هو عليه ، قليل من ترقيه من هذا الباب الى معرفة أم القرآن ومؤلفه وسننه •

واياك أن تغتر بكثير ممن لم يبلغ معك الى هذه المنزلة فترقيه الى غيرها ، الا من بعد طول المؤانسة والمداوسة واستحكام الثقة ، ان ذلك يكون عونا لك عنـد بلاغه على تعطيل الكتب ، التي يزعمون أنها منزلة من عند الله ، فيكون هذا نعم المقدمة ، وآخر ترقيه من هذا الى ما هو أعلى منه ، فان القائم قد مات ، وأنه يقوم روحانيا ، وأن الخلق يرجعون اليه بصور روحانية ، وأنه يفصل بين العباد بأمر الله عز وجل ، يشتفي من الكافرين للمؤمنين بالصور الروحانية ، فان ذلك يكون عونا لك عند بلاغه على ابطال المعاد ، الذي يزعمونه والنشور من القبور ، وآخر ترقيه من هذا الى ابطال الملائكة في السماء والجن في الارض ، فانه قبل آدم بشر كثير ، وتقيم على ذلك الدلائل المرسومة من كتب شيوخنا المتقدمين ، فان ذلك مما يعنيك في وقت بلاغه ، على تسهيل التعطيل لله ، والارسال بالملائكة الى الانبياء ، والرجوع به الى الحق ، والقول بقدم العالم ، وآخر ترقيه الى أوائل درج التوحيد ، وتدخل عليه بما تضمنه كتاب الدرس الشافي للنفس من أن لا إله ، لا صفة ولا موصوف ، فان ذلك مما يعينك على القول بالإلهية ، تستحقها عند البلاغ الى ذلك ، ومن رقيته الى هذه المنزلـة فعرفه حسب ما عرفناك حقيقة من أمر الامام ، وأن اسماعيـل ومحمدا ابنه من أبوابه ، وفي ذلك عون لك على ابطال امامة ولد علي بن أبي طالب،

عند البلوغ والرجوع الى القول بالحق لأهله ثم لا تزال شيئا فشيئا في أبواب البلاغ السبعة ، حتى تبلغ الغاية القصوى على تدريج ، وكل باب يأتي يشهد للمتقدم قبله ، والمتقدم يشهد للمتأخر •

واستعمل في أمرك الكتمان كما يوصي بنى القوم خاصته ، فقال : استعينوا على أموركم بالكتمان ، ولا تظهر أحدا على شيء مما تظهر عليه من هو فوقه بوجه ولا سبب ، وعليك باظهار التقشف للعامة والوقار عندهم ، وتجنب ما هو منكر عندهم ؛ ولا تنبسط كل الانبساط لإخوانك البالغين كما فعل من كان قبلك فانه أتى بالتشديد ثم حل الامور ، فاذا تدبرت بهذا التدبير وسلكت طريقته فقد سلكت طريق الانبياء وأخذت حدودهم ، وعليك بعد ذلك بالاجتهاد في معالجة خفة اليد ، والاخذ بالاعين والحذق بالشعبذة،فلن يخلو من الحاجة الى ذلك عند قوم ينسبونك بعمله الى اقامة المعجزات ، كما نسبوا قوما تقدموا ، وعليك بمعرفة أحاديث الاولين وقصصهم وطرائقهم ومذاهبهم ، لتكون بينة امرك في الاقاويل على قدر ما يصلح لأهل زمانك ، ترشد وتوفق ويقدم على الايام أمرك ، ويعلو ذكرك ، ويكون الداخل في أمرك بعد وفاتك أكثر من الداخل معك في حياتك ، فينفع لك ولمخلفيك من بعدك بك ، وعلى يديك ويدي أمثالك من آهل النجابة والعقل دعوة الحق ، وتملك لك ولعقبك وذريتك ملكا لا ينبغي لغيرك مثله •

فهذه وصيتي لك مشتملة على جمل من النواميس الطارقة للانبياء على قدر عقولهم •

قال الشريف رحمه الله تعالى:ووجدت في هذا الكتاب المعروف بكتاب السياسة أيضا فصلا فيه (ولشيخنا الجليل المقدس) ، وهذا مختصر منه يوصي دعاته في أهل الاديان ـ وذلك لأمة محمد خاصة : ـ

فابذل الآن سيفك فيهم اذا تمكنت منهم وصار لك حزب ، وظهرت بهذه الحيل التي قد وقفتك عليها ، واستملت الناس بها فاتهم أعداؤنا ، وصف أموالهم واستفره بناتهم وأولادهم ، ولا تحابي لهم ذمة ولا تحفظ لهم قربة ، ولا ترحم علويا ، فلو تمكن علوي كتمكن غيره من الانبياء للقينا منه جهدا ، وعبر بما يدعيه من حقوق جده على هؤلاء الحمير ما هو أكثر مما عبره جده ، واياك والاغضاء عمن تجده من ولد علي ، يعني اقتله اذا تمكنت منه ، واياك والرخصة لأحد من أسنانك في الثقة

بواحد منهم ، تهتدي وتوفق لا زلت بالعلم سعيدا ، والى الخير هاديا ومهديا ، وعلى جميع الاحوال الحمد لإلهنا على ما منحنا ، وصلواته على عباده المصطفين ، يعني إلهه الذي أباحه اللذات وأعماه عن الهدى ، وفتح له طرق الضلالة ، وعباده الذين اصطفى دعاته الذين بهم يضلون الناس .

هذا ما حكاه الشريف أبو الحسين من دعواتهم التسع،وعهدهم الذي يأخذونه ووصاياهم .

وحكى عز الدين بن الاثير الجزري رحمه الله تعالى في تاريخه الكامل ــ عند ذكره لأخبار القرامطة قال[1] :

وكان فيما يحكي عن مذهبهم أنهم جاءوا بكتاب فيه ــ يقول الفرج بن عثمان ــ وهو من قرية يقال لها نصرانة ، وهو داعية المسيح وهو عيسى ، وهو الكلمة ، وهو المهدي ، وهو أحمد بن محمد بن الحنفية ، وهو جبريل ، وذكر أن المسيح تصور له في جسم انسان وقال : انك الداعية ، وانك الحجة ، وانك الناقة ، وانك الدابة ، وانك يحيى بن زكريا ، وانك روح القدس، وعرفه أن الصلاة أربع ركعات ــ ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان قبل غروبها ، وأن الأذان في كل صلاة أن يقول :

الله أكبر ، أربع مرات .

أشهد أن لا إلـه إلا الله مرتين .

أشهد أن آدم رسول الله .

أشهد أن نوحا رسول الله .

أشهد أن ابراهيم رسول الله .

أشهد أن موسى رسول الله .

أشهد أن عيسى رسول الله .

أشهد أن محمدا رسول الله .

أشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية رسول الله .

---

(١) الكامل : ٦/٧٠ ــ ٧١ .

(٢) في الكامل : ٦/٧٠ « بعد غروبها » .

وأن يقرأ في كل ركعة الاستفتاح ، وهو من المنزل على أحمد بن محمد بن الحنفية ، والقبلة الى بيت المقدس ، والجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شيء ، والسورة التي يقرأها :

الحمد لله بكلمته وتعالى باسمه ، المنجد لأوليائه بأوليائه ، قل ان الأهلة[1] مواقيت للناس ظاهرها ، ليعلم عدد السنين والحساب والشهور والايام ، وباطنها ، أوليائي الذين عرفوا عبادي ، سبيلي : اتقوني يا أولي الالباب ، وأنا الذي لا أسأل عما أفعل ، وأنا العليم الحكيم ، وأنا الذي أبلو عبادي وأمتحن خلقي ، فمن صبر على بلائي ومحنتي واختباري أدخلته في جنتي وأخلدته في نعيمي ، ومن زال عن أمري وكذب رسلي أخلدته مهانا في عذابي ، وأتممت أجلي وأظهرت أمري على ألسنة رسلي ، وأنا الذي لم يعل علي جبار الا وضعته ، ولا عزيز الا أذللته ، وليس الذي أصر على أمره ودام على جهالته ، وقال : لن نبرح عليه عاكفين وبه موقنين ، أولئك هم الكافرون .

ثم يركع ويقول في ركوعه : سبحان ربي ورب العزة ، وتعالى عما يقول الظالمون يقولها مرتين ، فاذا سجد قال : الله أعلى مرتين ، الله أعظم مرتين[2] .

ومن شرائعه أن يصوم يومين في السنة،وهما المهرجان والنيروز[3]، وأن النبيذ حرام ، والخمر حلال ، ولا غسل من جنابة الا الوضوء كوضوء الصلاة ، وأن من حاربه واجب قتله ، ومن لم يحاربه ممن خالفه أخذ منه الجزية ، ولا يؤكل كل ذي ناب ولا ذي مخلب .

وقد أخذ هذا الفصل حقه من الاطالة والاسهاب ، فلنذكر مبدأ هذه الدعوة .

---

(١) انظر سورة البقرة ـ الاية ١٨٩ ، فقد تم التصرف بها وبعدد آخر من آيات القرآن الكريم .

(٢) ورد هذا النص اكثر من مرة في كتابنا هذا ، ومن المفيد المقارنة بينها لا سيما ما كان مرويا عن مصدر واحد ، كما ورد هنا ولدى المقريزي .

(٣) كان المهرجان من اعياد الفرس قديما ويوافق موسم جمع الغلات ، ووافق يوم النيروز يوم الاعتدال الربيعي ، وكان الفرس يتخذونه عيدا ايضا .

ذكـر ابتـداء دعـوة القرامطـــة

قال الشريف أبو الحسين رحمه الله تعالى : كان مبدأ هذه الدعوة الخبيثة الى محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وزعموا أنه الامام المهدي الذي يظهر في آخر الزمان ويقيم الحق وأن البيعة له ، وأن الداعي انما يأخذها على الناس له ، وأن ما يجمع من الاموال مخزون له الى أن يظهر ، ولم تزل هذه الدعوة الى محمد بن اسماعيل الى أن هرب سعيد المسمى بعبيد الله من سلمية الى المغرب ، وتلقب بالمهدي فصار هو الامام ، وانتسب الى أنه من ولد اسماعيل بن جعفر ، فنقلوا الدعوة اليه ، وكان القول في المبدأ : أن محمد بن اسماعيل حي لم يمت ، وأنه يظهر في آخر الزمان وأنه مهدي الامة .

قال : ولم يكن غرض هذا المحتال أن يرفع محمد بن اسماعيل ، ولا يأخذ له بيعة ، انما جعله بابا يستغل به عقل من يدخل فيه ويتبين له أنه قد تمكن من خديعته وبلغ المراد منه ، شيعيا كان أو سنيا . قال : ولما أظهر اللعين ما أظهر من هذه الاقوال كلها ، بعد تعلقه بذكر الائمة والرسل والحجة والامام ، وأنه المعول والقصد والمراد، وبه اتسقت هذه الامور ولولا هو لهلك الحق وعدم الهدى والعلم ، وظهر في كثير منهم الفجور، وبسط بعضهم أيديهم بسفك الدماء، وقتل جماعة ممن أظهر خلافا لهم، فخافهم الناس جدا واستوحشوا من ظهور السلاح بينهم ، فأظهر موافقتهم كثير من مجاوريهم ، مقاربة لهم وجزعا منهم .

ثم ان الدعاة اجتمعوا واتفقوا على أن يجعلوا لهم موضعا ، يكون وطنا ودار هجرة يهاجرون اليها ويجتمعون بها ، فاختاروا من سواد الكوفة في طسوج الفرات — من ضياع السلطان المعروفة بالقاسميات ، قرية تعرف بمهتماباذ ، فنقلوا اليها صخرا عظيما ، وبنوا حولها سورا منيعا عرضه ثمانية أذرع ، وجعلوا من ورائه خندقا عظيما ، وفرغوا من ذلك في أسرع وقت ، وبنوا فيها البنيان العظيم ، وانتقل اليها الرجال والنساء من كل مكان ، وسميت دار الهجرة وذلك في سنة سبع وسبعين ومائتين[1] .

---

(١) في كنز الدرر للدواداري ص ٥٣ (القاهرة ١٩٦١) تسع وتسعين ، وفي اتعاظ الحنفا للمقريزي ص ١١٣ : سبع وتسعين .

فلم يبق بعد هذا أحد الا خافهم ، ولا بقي أحد يخافونه لقوتهم وتمكنهم في البلاد ، وكان الذي أعانهم على ذلك تشاغل السلطان ببقية الخوارج وصاحب الزنج بالبصرة ، وقصر يد السلطان وخراب العراق وركوب الاعراب واللصوص وتلف الرجال وفساد البلدان وقلة رغبة من يلي الاعمال من ذوي الاصلاح والامانة من العمال وأصحاب الحروب ، فتمكن هؤلاء الدعاة ومن تبعهم بهذا السبب ، وبسطوا أيديهم في البلاد وعلت كلمتهم ، فغلبوا على ذلك سنين .

ذكر انتقاض الدعوة عن حالتها الاولى ومقتل عبدان وما كان من امر زكرويه بعده

قال الشريف : وكان قرمط يكاتب من بسلمية من الطواغيت فلما توفي من كان في وقته وجلس ابنه من بعده كتب الى حمدان قرمط كتابا ؛ فلما ورد عليه الكتاب وقرأه أنكر ما فيه ، وتبين فيه ومنه ألفاظا قد تغيرت ، وشيئا ليس هو على النظام الاول ، فاستراب به وفطن أن حادثة حدثت ، فأمر قرمط بن مليح ــ وكان داعيا من دعاته ــ أن يخرج فيتعرف الخبر ، فامتنع عليه واعتذر ، فأنفذ من أحضر عبدان الداعية من عمله ، فلما حضر أنفذه ليتعرف ما حدث من هذا الامر ، ويكشف عن سبب تغيره ، فسار عبدان لذلك ، فلما وصل عرف بموت الطاغية الذي كانوا يكاتبونه ، فاجتمع بابنه وسأله عن الحجة ومن الامام بعده ، الذي يدعو اليه، فقال الابن : ومن الامام ؟ قال عبدان : محمد بن اسماعيل بن جعفر صاحب الزمان الذي كان أبوك يدعو اليه ، وكان حجته ، فأنكر ذلك عليه وقال : محمد بن اسماعيل لا أصل له ، ولم يكن الامام غير أبي وهو من ولد ميمون بن ديصان ، وأنا أقوم مقامه ، فعرف عبدان القصة واستقصى الخبر وعلم أن محمد بن اسماعيل ليس له في هذا الامر حقيقة ، وانما هو شيء يحتالون به على الناس ، وأنه ليس من ولد عقيل بن أبي طالب ، فرجع عبدان الى قرمط فعرفه الخبر ، فأمره قرمط أن يجمع الدعاة ويعرفهم صورة الامر وما تبين منه ، ويقطع الدعوة، ففعل عبدان ذلك وقطعت الدعوة من ديارهم ، ولم يمكنهم قطعها من غير ديارهم ، لأنها كانت قد امتدت في سائر الاقطار وامتد شرها ، وقطعت الدعاة مكاتبة أصحابهم الذين بسلمية .

وكان رجل من أولاد القداح قد نفذ الى الطالقان يبث الدعاة ، ونزل بقرمط وهو بسواد الكوفة عند عبوره الى الطالقان ، وكانت الدعاة يكاتبونه ، فلما انقطعت المكاتبة عن جميع أولاد القداح قطعت عن هذا الذي بالطالقان ، فطال انتظاره ، فشخص عن الطالقان ليقصد قرمط ، وكان قرمط قد سار الى كلواذي ، فلما وصل الى كلواذي سأل عن قرمط ، فعرف أنه انتقل فلا يدري أين مضى وما عرف لقرمط بعد ذلك خبر ، ولا علمت وفاته ولا ما اتفق له ، فقصد ابن القداح سواد الكوفة ، فنزل على عبدان ، فعتب عليه وعلى جميع الدعاة في انقطاع كتبهم عنه ، فعرفه عبدان أنهم قطعوا الدعوة وأنهم لا يعودون فيها ، وأن أباه كان قد غرهم وادعى نسبه من عقيل بن أبي طالب كذبا ، ودعا الى المهدي ، فكنا نعمل على ذلك ، فلما تبينا أنـه لا أصل لذلك ، وعرفنا أن أباك من ولد ميمون بن ديصان وأنه صاحب الامر تبنا الى الله تعالى مما تحملناه ، وحسبنا ما كفرنا أبوك فتريد أن تردنا كفارا ؟! انصرف عنا الى موضعك .

قال : وكان عبدان قد تاب من هذه الدعوة حقيقة ، فلما أيس منه صار الى زكرويه بن مهرويه ، فعرفه خبر عبدان وما رد عليه ، فلقيه زكرويه بكل ما يحب ، وقدر أنه ينصبه داعيا مقام أبيه ، فيستقيم له أخذ الاموال وجمع الرجال ، وواطأه على ذلك ، وقال له : إن هذا الامر لا يتم مع عبدان ، لأنه داعي البلد كله ، والدعاة من قبله والناس من تحت يده ، وأنه لا يجيبه الا أهل دعوتـه خاصة . وشرعا في اعمال الحيلة على قتل عبدان ، واتفقا على ذلك ، ثم وجه زكرويه الى رجل من بني تميم بن كليب وأخ له كانا من أهل دعوته ، وأحضر جماعة من قراباته وثقاته فأظهرهم على ابن اللعين ، وعرفهم أنه ابن الحجة ، وأن الحجة توفي وأن ابنه هذا يقوم مقامه، فأجلوه وأعظموه وقالوا له : مرنا بأمرك ، فأمرهم بقتل عبدان ، وعرفهم أنه نافق وعصى وخرج عن الملة ، فساروا اليه من ليلتهم وبيتوه فقتلوه ، وكان زكرويه هذا من تحت يد عبدان ، وعبدان هو الذي أقامه داعية فلما شاع في الناس أن زكرويه قتل عبدان طلبه الدعاة والقرامطة ليقتلوه فاستتر ، وخالفه القوم بأسرهم الا أهل دعوته ، وخاف على نفسه ، ولم يتم له أمره الذي دبره ، فقال لابن اللعين : قد ترى ما حدث ، ولا آمن عليك وعلى نفسي ، فارجع الى بلدك ودعني ، فاني أرجو أن يتغير الامر ، فأتمكن من الناس وأدعوهم اليك ، فاذا تمكنت من ذلك أرسلت اليك

لتصير الي ، فانصرف الى الطالقان واستتر زكرويه وتنقل في القرى ، وذلك في سنة ست وثمانين ومائتين ، والقرامطة تطلبه وأصحاب عبدان يرصدونه ، وكان قد اتخذ مطمورة تحت الارض على بابها صخرة ، فاذا دخل قوم الى القرية في طلبه قامت امرأة في الدار التي هو فيها الى تنور ينقل ، فوضعته بقرب الصخرة ثم أشعلت النار، وأرت أنها تريد أن تخبز ، فيخفى أمره على من يطلبه ، فمكث كذلك سنة ست وسنة سبع وثمانين ومائتين[1] • فلما رأى انحراف أهل السواد عنه الا أهل دعوته وطال أمره ، أنفذ ابنه الحسن في سنة ثمان وثمانين ومائتين الى الشام ، وكان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى بعد ذكرنا لأخبار أبي سعيد الجنابي •

ذكر اخبار ابي سعيد الجنابي وظهوره بالبحرين

هو أبو سعيد بن بهرام من أهل جنابة ، وأصله من الفرس وكان يعمل الفراء وسبب دخوله في هذه الدعوة وظهوره ، أنه سافر الى سواد الكوفة ، فذكر أنه تزوج بقرية من سواد الكوفة ، الى قوم يقال لهم بنو القصار، وكانوا أصولا في هذه الدعوة الخبيثة فأخذها عنهم ، وقيل بل أخذ الدعوة عن نفسه ، وقد قيل انه تلقاها عن حمدان قرمط ، وسار داعية من قبله فنزل القطيف ، وهي حينئذ مدينة عظيمة ، فجلس بها يبيع الدقيق ولزم الوفاء والصدق ، ودعا الناس ، فكان أول من أجابه الحسين وعلي وحمدان بنو سنبر،وقوم ضعفاء مابين قصاب[2] وحمال وأمثال هؤلاء•

قال الشريف أبو الحسين : فلما دعا بتلك الناحية وقويت يده واستجاب له الناس وجد بناحيته داعيا يقال له أبو زكريا الطمامي[3] كان عبدان الداعي أنفذه قبل أبي سعيد الى القطيف وما والاه ، فلما تبين أمره أبو سعيد الجنابي عظم عليه أن

---

(١) يلاحظ ان الروايات الاخرى اوردت ان الاختفاء بعد اخفاق قرامطة الشام وفرارا من السلطات .

(٢) سنلاحظ أن عددا كبيرا من زعماء القرامطة كانوا حرفيين مما دفع الى الافتراض ان القرامطة قاموا ليس فقط بالانتشار بين الصناع والحرفيين بل اسسوا نظام النقابات والاصناف .

(٣) لعله من اصل يماني من طمام ، وكان سوقا شهيرا في منطقة لاعة ، صفة الجزيرة: ١١١ ، ٢٤٨ .

يكون داع غيره ، فقبض عليه وحبسه في بيت حتى مات هزلا ، قال : وقد ذكر أن هذا الداعي أخذ على بني سنبر قبل أبي سعيد ، وكان في أنفسهم حقد عليه لقتله أبا زكريا •

وحكى ابن الاثير الجزري في تاريخه الكامل ابتداء أمر القرامطة بناحية البحرين[٣] •

أن رجلا يعرف بيحيى بن المهدي قصد القطيف، ونزل على رجل يعرف بعلي بن المعلى بن حمدان ، وكان متغاليا في التشيع ، فأظهر له يحيى أنه رسول المهدي، وذلك في سنة احدى وثمانين ومائتين ، وذكر أنه خرج الى شيعته يدعوهم لأمره ، وأن خروجه قد قرب ، فجمع علي بن المعلى الشيعة من أهل القطيف ، وأوقفهم على الكتاب الذي أحضره يحيى بن المهدي من المهدي اليهم ، فأجابوه : انهم خارجون معه اذا ظهر أمره ، وأجابه سائر قرى البحرين بمثل ذلك ، فكان فيمن أجابه أبو سعيد الجنابي ، ثم غاب يحيى بن المهدي مدة ، ورجع بكتاب يزعم أنه من المهدي الى شيعته ، فيه : قد عرفني رسولي يحيى بن المهدي مسارعتكم الى أمري ، فليدفع اليه كل رجل منكم ستة دنانير وثلثي دينار ، ففعلوا ذلك ثم غاب وعاد بكتاب ، فيه ادفعوا الى يحيى خمس أموالكم ، فدفعوا اليه الخمس •

قال : وحكى أن يحيى بن المهدي جاء الى منزل أبي سعيد الجنابي فأكل طعاما ، وخرج أبو سعيد من البيت وأمر امرأته أن تدخل الى يحيى ، وأن لا تمنعه اذا أرادها ، فانتهى الخبر الى الوالي فضرب يحيى وحلق رأسه ولحيته ، وهرب أبو سعيد الى جنابة ، وصار يحيى الى بني كلاب وعقيل والحريش ، فاجتمعوا معه ومع أبي سعيد فعظم أمر أبي سعيد ، واشتدت وطأته وظهر أمره ، قال : وكان ظهوره بالبحرين في سنة ست وثمانين ومائتين •

ذكر استيلاء ابي سعيد الجنابي على هجر
وما كان من خلال ذلك من حروبه ووقائعه

قال الشريف أبو الحسين : كان من الاتفاق لأبي سعيد أن البلد الذي قصده بلد واسع كثير الناس ، ولهم عادة بالحروب ، ورجال شداد جهال غفل القلوب ،

---

(١) الكامل : ٦/٩٢ ـ ٩٣ •

بعيدون من علم شريعة الاسلام ومعرفة نبوة أو حلال أو حرام،فظفر بدعوته في تلك الناحية ، ولم يناوئه مناوىء ، فقاتل بمن أطاعه من عصاه حتى اشتدت شوكته جدا، وكان لا يظفر بقرية الا قتل أهلها ونهبها ، فهابه الناس وأجابه كثير منهم طلبا للسلم، ورحل من البلد خلق كثير الى نواحي مختلفة وبلدان شتى ، خوفا من شره ، ولم يمتنع عليه الا هجر ، وهي مدينة البحرين ومنزل سلطانها والتجار والوجوه ، فنازلها شهورا يقاتل أهلها ، فلما طال عليه أمرها وكل بها جل أصحابه من أهل النجدة ، ثم ارتفع فنزل الاحساء وبينها وبين هجر ميلان ، فابتنى بها دارا وجعلها منزلا ، وتقدم في زراعة الارض وعمارتها ، وكان يركب في الايام الى هجر هو ومن يحاصرها ، ويعقب من أصحابه في كل أيام قوما ، ثم دعا العرب فأجابه أول الناس ، بنو الاضبط من كلاب ، لان عشيرتهم كانوا أصابوا فيهم دما ، فساروا اليه بحرمهم وأموالهم فنزلوا الاحساء ، وأطمعوه في بني كلاب وسائر من يقرب منه من العرب، وطلبوا منه أن يضم اليهم رجالا ففعل ذلك ، فلقوا بهم عشيرتهم فاقتتلوا فهزمتهم القرامطة فأكثروا فيهم القتل ، وأقبلوا بالحريم والاموال والامتعة نحو الاحساء ، فاضطر المغلوبين الى أن دخلوا في طاعته وصاروا تحت أمره ، ثم وجه أبو سعيد بجيش آخر الى بني عقيل فظفر بهم ، فقصدوه ودخلوا في طاعته ، فملك تلك الفلاة ، وتجنب قتاله كل أحد الا بني ضبة ، فانها ناصبته الحرب ، فلما اجتمع اليه من اجتمع من العرب وغيرهم خوفهم ومناهم ملك الارض كلها ، فاستجاب بعضهم الى دعوته فرد اليهم ما أخذ منهم من أهل وولد ، وأجاب آخرون رغبة في دعوته ، ولم يرد على أحد ابلا ولا عبدا ولا أمة وأنزل الجميع معه الاحساء ، وأبى قوم دعوته فرد عليهم حرمهم ومن لم يبلغ من أولادهم أربع سنين وشيئا من الابل يحملون عليه ، وحبس ما سوى ذلك كله ، وجمع الصبيان في دور وأقام عليهم قواما ، وأجرى عليهم ما يحتاجون اليه ، ووسم جميعهم على الخدود لئلا يختلطوا بغيرهم ، وعرف عليهم عرفاء ، وعلم من صلح لركوب الخيل والطعان فنشأوا لا يعرفون غيره ، وصارت دعوته طبعا لهم، وقبض كل مال في البلد والثمار والحنطة والشعير ، وأنفذ الرعاة في الابل والغنم ، وقوما للنزول معها لحفظها والتنقل معها على نوب معروفة ، وأجرى على أصحابه جرايات فلم يكن يصل أحد الى غير ما يطعمه ، وهو لا يغفل مع ذلك عن هجر ، فلما

أضجروه وطال أمرهم وقد كان بلغ منهم الحصار كل غاية،وأكلوا السنانير والكلاب وكان حصارهم يزيد على عشرين شهرا، ثم جمع أصحابه وحشد لهم وعمل الدبابات، ومشى بها الرجال الى السور ، فاقتتلوا أشد قتال لم يقتتلوا مثله قبل ذلك ، ودام القتال عامة النهار ، وكل منتصف من الآخر ، وكثرت بينهم القتلى ، ثم رجع الى الاحساء ، ثم باكرهم فناوشوه فانصرف ، فلما قرب من الاحساء أمر الرجالة ومن جرح أن ينصرف ، وعاود في خيل فدار حول هجر ، وفكر فيما يكيدهم به ، واذا لهجر عين يجتمع ماؤها في نهر ويستقيم حتى يمر بجانب هجر ملاصقا ، ثم ينزل الى النخيل فيسقيها ، فكانوا لا يفقدون الماء في حصارهم ، فلما تبين له أمر العين انصرف الى الاحساء ، ثم غدا فأوقف على باب المدينة عسكرا ، ثم رجع الى الاحساء وجمع الناس كلهم وسار في آخر الليل فورد العين بكرة بالمعاول والرمل وأوقار الثياب الخلقان ووبر وصوف ، وأمر قوما بجمع الحجارة وآخرين ينفذون بها الى العين ، وأعد الرمل والحصى والتراب ، فلما اجتمع أمر أن يطرح الوبر والصوف وأوقار الثياب في العين ، وأن يطرح فوقها الرمل والحصى والتراب والحجارة ففعل، فقذفته العين ولم يغن ما فعلوه شيئا ، فانصرف الى الاحساء هو ومن معه ، وغدا في خيل فضرب في البر ، وسأل عن منتهى العين فقيل له انها تتصل بساحل البحر ، وأنها تنخفض كلما نزلت ، فرد جميع من كان معه وانحدر على النهر نحوا من ميلين ثم أمر بحفر نهر هناك ، ثم أقبل هو وجمعه يأتون في كل يوم ، والعمال يعملون حتى حفرة الى السباخ ، ومضى الماء كله عنهم فصب في البحر ، فلما تم له ذلك نزل على هجر وقد انقطع الماء عمن بها ، فأيقنوا بالهلاك فهرب بعضهم نحو البحر ، فركبوه الى جزيرة أوالي وسيراف وغيرهما ، ودخل قوم منهم في دعوته ، وخرجوا اليه فنقلهم الى الاحساء ، وبقيت طائفة لم يقدروا على الهرب ولم يدخلوا في دعوته ، فقتلهم وأخذ ما في المدينة ثم أخربها ، وصارت الاحساء مدينة البحرين •

ذكر الحرب بين القرامطة اصحاب ابي سعيد واهل عمان

قال : ولما استولى على هجر وخربها أنفذ سرية من أصحابه ستمائة فارس الى عمان ، فوردت على غفلة فقتلوا ونهبوا وأسروا في عمل عمان وأنفذ أهل عمان سرية اليهم في ستمائة رجل من أهل النجدة فأدركوهم فجعلت القرامطة ما غنموه وراء

ظهورهم ، وأقبلوا نحو أهل عمان فاقتتلوا ، حتى تكسرت الرماح وتقطعت السيوف وتعانقوا ، وتكادموا وتراضخوا بالحجارة ، فلم تغرب الشمس حتى تفانوا ، فبقي من أهل عمان خمسة نفر لا حراك بهم ، ومن القرامطة ستة نفر مجرحين الا أنهم أحسن حالا من العمانية،فركب القرامطة ست رواحل وعادوا الى أبي سعيد الجنابي، فأخبروه الخبر واعتذروا اليه ، فلم يقبل عذرهم وأمر بهم فقتلوا ، وقال : هؤلاء خاسوا بعهدي ولم يواسوا أصحابهم الذين قتلوا ، فأنزلت بهم ما كانوا له أهلا ، وتطير بهلاك السرية وأمسك عن أهل عمان[1] .

ذكر الحرب بين القرامطة وعسكر المعتضد بالله وانتصار القرامطة

قال : ولما كان من أمر أبي سعيد الجنابي ما كان، اتصلت أخباره بالمعتضد بالله، وكتب اليه أحمد بن محمد بن يحيى الواثقي ــ وهو اذ ذاك يتولى البصرة ــ يعلمه خبر أبي سعيد ، وأنه اتصل به أنه يريد الهجوم على البصرة ، فأمره المعتضد بالله أن يعمل على البصرة سورا فعمله ، فكان مبلغ ما صرف عليه أربعة عشر ألف دينار ، ثم كتب الواثقي الى المعتضد يسأله المدد ، فسير اليه ثلاثمائة رجل في سماريات ، وأنفذ المعتضد بالله العباس بن عمرو الغنوي في ألفي رجل ، وأقطعه اليمامة والبحرين وأمره بمحاربة القرامطة ــ وكان يتولى بلاد فارس ــ فسار الى البصرة فوردها وذلك في سنة سبع[2] وثمانين ومائتين ، وخرج منها نحو هجر ، وبينهما بضع عشرة ليلة في فلاة مقفرة ، وتبعه من مطوعة البصرة نحو من ثلاثمائة رجل من بني ضبة وغيرهم ، وعرف أبو سعيد خبرهم فسار نحوهم وقدم أمامه مقدمة ، فلما عاينهم العباس بن

---

(١) أورد الاصطخري ص ٩٠ (ط. ١٩٦١ القاهرة) ... ومنهم الحسن الجنابي ويكنى بأبي سعيد من اهل جنابه ، كان دقاقا اظهر مذهب القرامطة فنفي عن جنابه ، فخرج منها الى البحرين فاقام بها تاجرا ، يستميل العرب بها ويدعوهم الى نحلته حتى استجابوا له ، وملك البحرين وما والاها ، فكان من كسره عساكر السلطان ومينه وعدوانه على اهل عمان وسائر ما يصاب من بلدان العرب ما قد انتشر ذكره ، حتى قتل وكفى الله امره .

(٢) في كنز الدر للدواداري ص ٥٧ : تسع .

عمرو خلف سواده وسار اليهم فيمن خف من أهل العسكر وأدرك أبو سعيد مقدمته في باقي أصحابه ، فتناوشوا القتال فكانت بينهم حملات ، ثم حجز الليل بينهم فانصرفوا على السواء فلما جاء الليل انصرفت مطوعة البصرة ومن معهم من بني ضبة ، فكسر ذلك الجيش وفت في أعضادهم ، وأصبح العباس بن عمرو فعبأ أصحابه للقتال والتقوا ، فجعل بدرا غلام أحمد بن عيسى بن الشيخ في نحو مائة من أصحابه على ميمنة أبي سعيد فأوغل فيهم فلم يرجع منهم أحد ، وحمل أبو سعيد على العباس وأصحابه فانهزموا ، وأسر العباس بن عمرو ومعه نحو من سبعمائة رجل من أصحابه، واحتوى القرامطة على عسكره ، وقتل أبو سعيد من غد يومه جميع الأسرى ثم أحرقهم ، وترك العباس بن عمرو ومضى المنهزمون فتاه كثير منهم في البر وتلف كثير منهم عطشا ، وورد قوم منهم البصرة فارتاع الناس لهم ، حتى أخذوا في الانتقال عن البصرة فمنعهم الواثقي •

قال : ولما كان بعد الوقعة بأيام أحضر أبو سعيد الجنابي العباس بن عمرو ، وقال له : أتحب أن أطلقك ؟ قال : نعم قال : على أن تبلغ عني صاحبك ما أقول ، قال : أفعل ، قال : تقول الذي أنزل بجيتك ما أنزل بغيك ، هذا بلد كان خارجا عن يدك غلبت عليه وأقمت به وكان فيّ من الفضل ما آخذ غيره ، فما عرضت لما كان في يدك ولا هممت به ، ولا أخفت لك سبيلا،ولا نلت أحدا من رعيتك بسوء،فتوجيهك الي الجيوش لأي سبب ؟! اعلم اني لا أبرح عن هذا البلد ولا يوصل اليه وفيّ ، وفي هذه العصابة التي معي روح ، فاكنفني نفسك ولا تتعرض لما ليس لك فيه فائدة، ولا تصل الى مرادك منه الا ببلوغ القلوب الحناجر ، وأطلقه وأرسل معه من يرده الى مأمنه ، فأوردوه بعض السواحل فصادف مركبا فركب فيه الى الابلة ، ووصل الى بغداد في شهر رمضان من السنة •

قال : وقد كان الناس يعظمون أمر العباس ويكثرون ذكره ويسمونه قائد الشهداء ، فلما وصل الى المعتضد بالله عاتبه على تركه الاستظهار والتحرز وأنبه ، فاعتذر بهرب بني ضبة ومن كان معهم من المطوعة وهرب أصحابه عنه ، وأنه لو أراد الهرب لأمكنه ، فلم يبرح حتى رضي عنه وزال همه ، ثم سأله عن خبره فعرفه جميعه ، ووصف له أحوال القرامطة وما قاله أبو سعيد بعد أن استأذنه في ذلك فأذن له ، فقال : صدق ما أخذ شيئا كان في أيدينا ، وأطرق مفكرا ثم رفع رأسه ، فقال :

كذب عدو الله الكافر ، المسلمون رعيتي حيث كانوا من بلاد الله ، والله لئن طال بي عمر لأشخصن بنفسي الى البصرة وجميع غلماني ،ولأوجهن اليه جيشا كثيفا فان هزمه وجهت جيشا ، فان هزمه خرجت في جميع قوادي وجيشي إليه ، حتى يحكم الله بيني وبينه ، وشغله بعد ذلك أمر وصيف غلام ابن أبي الساج وأحفزه[1] ، فخرج في طلبه وهو عليل ، وذلك في شوال من هذه السنة ، فأخذه وعاد الى بغداد فدامت علته واستمر وجعه ومات •

قال القاسم بن عبيد الله : ما زال أمير المؤمنين المعتضد بالله يذكر أمر أبي سعيد في مرضه ويتلهف ، فقلت : ما هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : حسرة في نفسي كنت أحب أن أبلغها قبل موتي ، والله لقد كنت وضعت في نفسي أن أركب ، ثم أخرج الى باب البصرة متوجها نحو البحرين ، ثم لا ألقى أحدا أطول من سيفي الا ضربت عنقه ، واني أخاف أن يكون من هناك حوادث عظيمة •

قال : وأقبل أبو سعيد بعد اطلاق العباس على جمع الخيل واعداد السلاح واتخاذ الابل واصلاح الرجال ونسج الدروع والمغافر ونظم الجواشن وضرب السيوف والاسنة ، واتخاذ الروايا والمزاود والقرب وتعليم الصبيان الفروسية، وطرد الاعراب عن قربه ، وسد الوجوه التي يتعرف منها أمر بلده وأحواله بالرجال ، واصلاح مثل هذه الامور وتفقدها ، ونصب الامناء على ذلك ، واقامة العرفاء على الرجال ، والاحتياط على ذلك كله ، حتى بلغ من تفقده واحتياطه أن الشاة كانت تذبح فيسلم اللحم الى العرفاء ، ليفرقوه على من يرسم لهم ، ويدفع الرأس والاكارع والبطن الى العبيد والاماء ، ويجز الصوف والشعر من الغنم ويفرقه على من يغزله ثم يدفع الى من ينسجه عبيا وأكسية وغرائر وجوالقات ويفتل منه حبال ، ويسلم الجلد الى الدباغ ، فاذا خرج من الدباغ سلم الى خرازي القرب والروايا والمزاود ، وما كان من الجلود يصلح نعالا وخفافا عمل منه ، ثم يجمع ذلك كله الى خزائن ، فكان ذلك دأبه لا ينفك عنه ، ويوجه في كل مديدة بخيل الى ناحية البصرة ، فتأخذ من وجدت فتصير بهم اليه فيستعبدهم ،فزادت بلاده وعظمت هيبته في صدور الناس•

---

(١) انظر خبر ذلك في الكامل لابن الاثير : ٦/٩٤ .

قال الشريف أبو الحسين : وقد كان واقع بني ضبة عند طرده لهم عن قرب بلده ، فأصاب منهم وأصابوا منه ، ولم يتباعدوا عنه بعيدا ، فلما شخص مع العباس ابن عمرو منهم من شخص ــ في وقت مسيره لقتاله ــ ازداد بذلك حنقا عليهم ، فواقعهم وقائع مشهورة بالشدة والعظم ، ثم ظفر بهم فأخذ منهم خلقا ، وبنى لهم حبسا عظيما وجمعهم فيه وسده عليهم ، ومنعهم الطعام والشراب فصاحوا وضجوا فلم يغثهم ، فمكثوا على ذلك شهرا ثم فتح عليهم ، فوجد الاكثر منهم موتى ، ووجد نفرا يسيرا قد بقوا على حال الموتى ، وقد تغذوا بلحوم الموتى ، فخصاهم وخلاهم فمات أكثرهم •

ذكر مقتل أبي سعيد الجنابي

كان مقتله في سنة احدى وثلاثمائة بعد أن استولى على سائر بلاد البحرين ، وكان سبب مقتله أنه لما هزم جيش العباس بن عمرو كما تقدم، واستولى على عسكره، أخذ من عسكره خادما له صقلبيا[1] ، فاستخدمه وجعله على طعامه وشرابه ، فمكث كذلك مدة طويلة لا يرى أبا سعيد فيها مصليا لله عز وجل صلاة واحدة ، ولا يصوم في شهر رمضان ولا في غيره يوما واحدا ، فأضمر الخادم لذلك قتله ، فدخل معه الحمام يوما ــ وكان الحمام في داره ، فأخذ الخادم معه خنجرا ماضيا ــ ولم يكن معه في الحمام غيره ، فلما تمكن منه أضجعه فذبحه ، ثم خرج فقال : السيد يستدعي فلانا لبعض بني سنبر فأحضر فقال : ادخل فدخل ، فبادره فقبض عليه وذبحه ، ولم يزل يستدعي من رؤساء القرامطة واحدا واحدا حتى قتل جماعة من الرؤساء والوجوه ، الى أن استدعى بعضهم فنظر عند دخوله الى باب البيت الاول دما جاريا فاستراب بذلك وخرج مبادرا فلم يدركه الخادم وأعلم الناس ، وعمد الخادم الى الباب فأغلقه وكان وثيقا ، فاجتمع الناس ونقبوا نقوبا الى أن وصلوا اليه ، فأخذه ابنه سعيد فأمر بشده بالحبال ، ثم قرض لحمه بالمقاريض حتى مات رحمه الله تعالى •

---

(١) المثير للانتباه أن الغلمان الصقالبة كانوا غير منتشرين في المشرق ، بل في المغرب والاندلس ، والرقيق الابيض في المشرق كان جله من اصل تركي ، فهل يعني هذا ارسال هذا الغلام من الشمال الافريقي بطريقة ما ، وذلك من قبل الخلافة الناشئة هناك ؟

وخلف أبو سعيد من الاولاد : أبا القاسم سعيدا ، وأبا طاهر سليمان ، وأبا منصور أحمد ، وأبا العباس[1] ابراهيم ، والعباس محمد ، وأبا يعقوب يوسف ، وكان أبو سعيد قد جمع رؤساء دولته وبني[2] زرقان ، وكان أحدهم زوج ابنته ، وبني سنبر ، وكان متزوجا اليهم ، وهم أخوال أولاده وبهم قامت دولته وقوي أمره، فأوصى اليهم ان حدث به موت أن يكون القيم بأمرهم ابنه سعيدا الى أن يكبر أبو طاهر ، وكان سعيد أكبر من أبي طاهر سنا ، فاذا كبر أبو طاهر كان المدبر لهم ، فلما قتل جرى الامر على ما وصاهم به ، وكان قد أخبرهم أن الفتوح تكون لأبي طاهر ، فجلس سعيد يدبر الامر بعد مقتل أبيه الى سنة خمس وثلاثمائة ، ثم سلم الامر لأخيه أبي طاهر فدبره وعمل أشياء موه بها على عقول أصحابه فقبلوها وعظموا أمره ، وكان من أخباره ما نذكره ان شاء الله تعالى ، وكانت مدة تغلب أبي سعيد على البحرين وما والاها نحوا من ستة عشر سنة .

ذكر اخبار ابي القاسم الصناديقي ببلاد اليمن

وفي سنة ست وثمانين ومائتين استولى أبو القاسم النجار المعروف بالصناديقي على اليمين ، وكان ابن أبي الفوارس داعي عبدان قد أنفذه داعيا الى اليمن ، وكان هذا الصناديقي من موضع يعرف بالنرس ، وكان يعمل فيه الثياب النرسية ، وقيل انه كان يعمل في الكتان ، فلما صار الى اليمن أجابه رجل من الجند يعرف بابن الفضل ، فقوي أمره على اقامة الدعوة الخبيثة ، فدخل فيها خلق كثير ، فخلعهم من الاسلام ، وأظهر العظائم ، وقتل الاطفال وسبى النساء، وتسمى برب العزة وكان يكاتب بذلك، وأظهر شتم النبي ﷺ وسائر الانبياء ، واتخذ دارا سماها دار الصفوة ، وكان يأمر الناس بجمع نسائهم من أزواجهم وبناتهم واخوانهم ، ويأمرهم بالاختلاط بهن ليلا ووطئهن ، ويحتفظ بمن تحبل منهن في تلك الليلة وبمن تلد من بعد ذلك ، ويتخذهم لنفسه خولاً ويسميهم أولاد الصفوة . وعظمت فتنته باليمن ، وأجلى أكثر أهله عنه وأجلى السلطان ، وقاتل أبا القاسم محمد بن يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم

---

(١) في اتعاظ الحنفا ص ٢٢١ ، وكنز الدرر ص ٦٢ : أبا اسحاق ابراهيم .
(٢) في كنز الدرر للدواداري ص ٦٢ : بني زبرقان .

الحسني الهادي[1] وقلعه عن عمله بصعدة ، وألجأه الى أن هرب عياله الى الرس حذرا منه لقوته عليه ، ثم ان الله عز وجل رزقه الظفر به فهزمه ، وكان ذلك بلطف من ألطاف الله تبارك وتعالى ، وهو أن ألقى على عسكره وقد بايته بردا وثلجا ، قتل به أكثر أصحابه في ليلة واحدة ، وقل ما يعرف مثل هذا من البرد والثلج في ذلك البلد ، ولما طغى وبغى قتله الله بالاكلة وأنزل بالبلدان التي غلب عليها بثرا قاتلا ، كان يخرج على كتف الرجل منهم بثرة فيموت في سرعة ، فسمي ذلك البثر حبة القرمطي ، وأخرب الله تعالى أكثر تلك البلاد التي ملكها ، وأفنى أهلها بموت ذريع، واعتصم ابنه بعده بالجبال والقلاع،ولم يزل بها مقيما يكاتب أهل ملته ، ويعَنْوِن كتبه : من ابن رب العزة ، ثم أهلكه الله عز وجل وبقيت منهم بقية ، فاستأمنوا الى أبي القاسم محمد بن الهادي ، ولم يبق للنجار بقية ولا لمن كان على مذهبه •

ولنرجع الى أخبار زكرويه بن مهرويه وخبر من أرسله الى الشام •

ذكر ظهور القرامطة بالشام
وما كان من امرهم وحروبهم

قد قدمنا من أخبار زكرويه بن مهرويه واختفائه وحرص أصحاب عبدان على قتله، وأنه لما طال عليه الامر أرسل ابنه الحسن الى الشام وذلك في سنة ثمان وثمانين ومائتين •

قال الشريف أبو الحسين محمد بن علي الحسيني رحمه الله: ولما أرسل زكرويه ابن مهرويه ابنه الى الشام أرسل معه رجلا من القرامطة من أهل نهر ملحانا ، يقال له الحسن بن أحمد ويكنى بأبي الحسين ، وأمره أن يقصد بني كلب ، وينتسب لهم الى محمد بن اسماعيل بن جعفر ، ويدعوهم الى الامام من ولده ، فاستجاب له فخذ من بني العليص بن ضمضم بن عدي بن جناب بن كلب بن وبرة ومواليهم وانضاف

---

(1) في الاصل : « وقاتل القاسم بن أحمد بن يحيى » وهو تصحيف صوابه ما اثبتناه انظر ص ٢٦٦ ـ ٢٧٣ من كتابنا هذا .

اليه طائفة من بني الاصبغ من كلب ، ويسمى هؤلاء بالفاطميين وبايعوه ، وكان الخبيث لما رجع الى الطالقان يكتب الى زكرويه يستأذنه في القدوم عليه ، فيجيب بالتوقف ، فخرج نحو العراق ، فلما وصل الى السواد وجد زكرويه مختفيا ، فلم يزل حتى توصل الى المكان الذي هو فيه ، فلم يظهر له لوما على قدومه وبعث اليه بخبر من استجاب له بالشام ، فقال : أنا أخرج حتى أظهر فيهم هناك ، فوجه اليه : نعم ما رأيت ، فضم اليه ابن أخيه عيسى بن مهرويه ، ويسمى بالمدثر لقبا وبعبد الله اسما ، وغلاما من بني مهرويه فتلقب بالمطوق وكان سيافا[1] ، وأنفذهم الى الشام ، الى ابنه الحسن يعرفه أنه ابن الحجة ، ويأمره له بالسمع والطاعة ، فسار حتى نزل في بني كلب ، فلقيه الحسن بن زكرويه وسر به ، وجمع له الجمع وقال : هذا صاحب الامام فامتثلوا أمره ، وسروا به وقالوا له : مرنا بأمرك وبما أحببت ، فقال لهم استعدوا للحرب فقد أظلكم النصر ، ففعلوا ذلك ، واتصلت أخبارهم بشبل الديلمي مولى المعتضد ، وذلك في سنة تسع وثمانين ومائتين فقصدهم فقتلوه وقتلوا جماعة من أصحابه ، وكانت الوقعة بالرصافة من غربي الفرات ، ودخلوا الرصافة وأحرقوا مسجدها ونهبوها ، وأصعدوا نحو الشام ، واعترضوا الناس بالقتل والتحريق ونهب القرى، الى أن وردوا أطراف دمشق، وكان هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون رد أمر دمشق الي طغج بن جف الفرغاني ، فلقيتهم عساكره فانهزمت ، ولم تثبت ، وقتل كثير منهم وأخذوا منهم ما قدروا عليه .

قال : ولما هزم طغج نزل على دمشق وقاتل أهل البلد ، وكان يحضر الحرب على ناقة ويقول لأصحابه : لا تسيروا من مصافكم حتى تنبعث بين أيديكم ، فاذا سارت فاحملوا فانه لا ترد لكم راية اذ كانت مأمورة ، فسمي بذلك صاحب الناقة ، وحصر طغج بدمشق سبعة أشهر ، فكتب طغج الى مصر بخبر من قتل من أصحابه ، وأنه محصور وقد فني أكثر الناس وخرب البلد ،فأنفذوا اليه بدراً الكبير غلام ابن طولون — وهو المعروف بالحمامي — فسار حتى قرب من دمشق وخرج اليه طغج واجتمعوا على محاربة القرامطة، والتقوا واقتتلوا بقرب دمشق، فأصاب رئيس القرامطة — ابن القداح —

---

(١) مثير للانتباه أن زعيم قرامطة اليمن كان له مطوقه أيضا .

سهم فقتله، ويقال أصابه الزراقون بزراق فيه نفط فاحترق، وحمي أصحابه فقاتلوا عسكر بدر الحمامي وطغج حتى انحازوا عنهم وانصرفت القرامطة وكان صاحب الناقة هذا المقتول قد ضرب دنانير ودراهم، وكتب على السكة على أحد الوجهين: « قل جاء الحق وزهق الباطل[1] »، وعلى الوجه الآخر: لا إله إلا الله، « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى[2] » . قال: فلما انصرفت القرامطة عن دمشق بعد قتل الطاغية بايعوا:

الحسن[3] بن زكرويه بن مهرويه

فسمى نفسه أحمد وتكنى بأبي العباس وهو صاحب الشامة .

قال ابن الاثير: ولما بايعه القرامطة دعا الناس فأجابه كثير من أهل البوادي وغيرهم؛ فاشتدت شوكته وأظهر شامة في وجهه، وزعم أنها آية[4] .

قال الشريف أبو الحسين وسياقه أتم: ولما بايعوه ثار حتى افتتح عدة مدن من الشام، وظهر على جند حمص، وقتل خلقا كثيرا من جند المصريين، وتسمى بأمير المؤمنين على المنابر وفي كتبه، وذلك في سنة تسع وثمانين ومائتين وبعض سنة تسعين ومائتين، ثم سار بمن معه الى نحو الرقة، فخرج اليهم مولى الخليفة المكتفي بالله وكان عليها، فواقعهم فهزموه، وقتلوه واستباحوا عسكره ورجعوا يريدون دمشق، وجعلوا ينهبون جميع ما يمرون به من القرى، ويقتلون ويسبون ويخربون، فلما قربوا من دمشق أخرج اليهم طغج جيشا كثيفا أمر عليه غلامه بشيرا، فهزم القرامطة الجيش وقتل بشير في خلق من أصحابه، فلما اتصل بالمكتفي قتل غلامه الذي كان على الرقة وخبر قتل بشير ندب أبا الأغرّ السُلَمي، وضم اليه عشرة آلاف من الجند والموالي والاعراب، وخلع عليه لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة تسعين ومائتين وأنفذه، فسار حتى نزل حلب ثم خرج فنزل وادي بطنان، فتفرق الناس ودخل قوم منهم الماء يتبردون فيه وذلك في القيظ، ووافاهم القرامطة يقدمهم

---

(١) سورة الاسراء: ٨١ .

(٢) سورة الشورى: ٢٣ .

(٣) ورد اسمه في مصادر أخرى كالطبري: الحسين .

(٤) الكامل لابن الاثير: ٦/١٠٤ ـ ١٠٦ .

المطوق ، فكان كل انسان يحذر على نفسه وينجو بها ، وركب أبو الأغـــر المرسة وصاح بالناس ، فسار اليه جماعة لقي بها أوائل القوم ، فلم يلبث الا اليسير حتـــى الهزم ، وركبت القرامطة أكتاف الناس يقتلون وينهبون حتى حجز الليل بينهم ، وقد أتو على عامة العسكر وسلم منهم قليل ، ولحق أبو الأغر في جُميعيَّة معه بحلب ، ثم تلاحق به قوم حتى حصل في نحو ألف رجل ، ووافت القرامطة فنازلوا أهل حلب فحاربهم أبو الأغر ، فلم يقدروا منه على شيء فانصرفوا ، وجمع الحسن بن زكرويه أصحابه ، وكان قد اتصل به خلق كثير من اللصوص ومن بني كلب ، فسار حتى نزل أطراف حمص فخطب له على منابرها ، ثم نهض اليها فأعطاه أهلها الطاعة ، وفتحوا له البلـــد فدخلها ، ثم سار الى حمـــاة ومعرة النعمان وغيرهما فقتل الرجال والنساء والاطفال ، ثم رجع الى بعلبك فقتل عامة أهلها ، ثم صار الى سلمية فحاربه أهلهـــا وامتنعوا منه ، فأعطاهم الامان ففتحوا له ، فبدأ بمن كان فيها من بني هاشم ، وكان بها جماعة كثيرة ، فقتلهم أجمعين ، ثم كر على أهلها فأفناهم أجمعين وخربها ، وخرج عنها وما بها عين تطرف ، وكان مع ذلك لا يمر بقرية فيدع فيها أحد ، حتى أخرب البلاد وسبى الذراري وقتل الانفس من المسلمين وغيرهم ، ولم يقم له أحد .

قال الشريف : ووردت كتب التجار وسائر الناس من دمشق وغيرها بصورة الامر وغلظه ، وأن طغج قد فنيت رجاله وبقي في عدة يسيرة ، وأن القرامطة تقصد دمشق في أوقات فلا تقاتلهم الا العامة وقد أشرف الناس على الهلكة وكثر الضجيج بمدينة السلام ، واجتمعت العامة الى يوسف بن يعقوب القاضي وسألوه انهاء أخبار الناس الى الخليفة ، فوعدهم بذلك، ووردت كتب المصريين على المكتفي بالله يعرفونه ما قتل من عسكرهم الذي خرج الى الشام،فأمر المكتفي الجيش بالاستعداد واخراج المضارب الى باب الشماسية ، وخرج الى مضربه في القواد والجند ، ورحل لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة تسعين ومائتين ، وسلك طريق الموصل ومضى نحو الرقة بالجيوش حتى نزلها وانبثت جيوشه من حلب وحمص ، وقلد محمد بن سليمان حرب الحسن بن زكرويه ، واختار له جيشا كثيفا ، وكان محمد بن سليمان صاحب ديوان العطاء وعارض الجيش ، فسار نحو القرامطة بجيشه .

ذكر الحرب بين محمد بن سليمان وبين القرامطة وانهزام القرامطة والظفر بالحسن بن زكرويه صاحب الشامة واصحابه وقتلهم

قال الشريف أبو الحسين رحمه الله تعالى : ولما دخلت سنة احدى وتسعين ومائتين كتب القاسم بن عبيد الله وهو وزير المكتفي بالله الى محمد بن سليمان الكاتب يأمره بمناهضة القرامطة ، فسار اليهم والتقى الجمعان يوم الثلاثاء لست خلون من المحرم من هذه السنة ، بموضع بينه وبين حماة اثنا عشر ميلا ، فاقتتلوا قتالا شديدا حتى حجز الليل بينهم ، وقتل عامة رجالهم ، وورد كتاب محمد بن سليمان الكاتب الى القاسم بن عبيد الله الوزير ، يخبره بكيفية المصاف والقتال ومن كان في الميمنة والميسرة والقلب والجناحين من قواد عسكره ، وأن القرامطة اجتمعوا ستة كراديس ، وأن ميسرتهم كان فيها ألف وخمسمائة فارس ، وكمنوا خلفها أربعمائة فارس ، وفي القلب ألف فارس وأربعمائة فارس ، وفي ميمنتهم ألف فارس وأربعمائة فارس ، وكمنوا خلفها مائتي فارس ، وذكر كيف كانت حملاتهم وقتالهم، وكيف كانت هزيمتهم ، في كلام مطول تركناه اختصارا لطوله ، الا أن ملخصه أن القرامطة قتلوا قتلا ذريعا ، وذكر أن الكردوس الذي كان في ميسرة القرامطة قصده الحسين بن حمدان ، وكان في جناح ميمنة عسكر الخليفة ، واقتتلوا أشد قتال حتى تكسرت الرماح وتقطعت السيوف فصرع من القرامطة ستمائة في أول دفعة ، وأخذ أصحاب الحسين منهم خمسمائة فرس وأربعمائة طوق فضة ، وأن القرامطة ولوا مدبرين فاتبعهم الحسين بن حمدان ، فرجعوا عليه فلم يزل يحمل حملة بعد حملة — وهم في خلال ذلك يصرعون منهم الجماعة بعد الجماعة — حتى أفناهم الله تعالى ، فلم يفلت منهم الا أقل من مائتي رجل ، قال : وحمل الكردوس الذي كان في ميمنتهم على القاسم بن سهل ويُمْن الخادم فاستقبلوهم بالرماح فكسروها في صدورهم وعانق بعضهم بعضا ، فقتلوا من الكفرة جماعة كبيرة قال : وأخذ بنو شيبان منهم ثلاثمائة فرس ومائة طوق فضة ، وأخذ أصحاب خليفة بن المبارك منهم مثل ذلك ، وذكر في كتابه أنه حمل هو عليهم في القلب ، فما زال أصحابه يقتلون القرامطة — فرسانهم ورجالتهم — أكثر من خمسة أميال ، وذكر في كتابه أن الحسن بن زكرويه لم يشهد هذا المصاف وأنه يشخص اليه الى سلمية •

قال الشريف رحمه الله: وكان الحسن بن زكرويه ــ لما أحس بقرب الجيوش ــ عرض أصحابه ، وأخرج الاقوياء منهم عن الضعفة والسواد ، وأنفذ الجيش وتخلف هو في السواد والضعفة ، فلما انهزم أصحابه ارتاع لذلك ورحل لوقته وسار خوفا من الطلب ، وتلاحق به من أفلت من أصحابه ، فخاطبهم بأنهم أتوا من قبل أنفسهم وذنوبهم وأنهم لم يصدقوا الله ، وحرضهم على المعاودة الى الحرب فلم يجبه منهم أحد الى ذلك ؛ واعتلوا بفناء الرجال وكثرة الجراح فيهم ، فلما أيس منهم قال لهم : قد كاتبني خلق من أهل بغداد بالبيعة لي ، ودعاتي بها ينتظرون أمري ، وقد خلت من السلطان الآن ، وأنا شاخص نحوها لأظهر بها ، ومستخلف عليكم أبا الحسين القاسم ابن أحمد صاحبي ، وكتبي ترد عليه بما يعمل به فاسمعوا له وأطيعوا أمره فضمنوا له ذلك ، وشخص معه قريبه عيسى ابن أخت مهرويه[1] المسمى بالمدثر وصاحبه المطوق وغلام له رومي ، وأخذ دليلا يرشدهم الى الطريق وساروا يريدون سواد الكوفة، وسلك البر وتجنب المدن والقرى ، حتى اذا صار قريبا من الدالية نفذ زاده ، فأمر الدليل فمال بهم اليها ، ونزل بالقرب منها خلف رابية ، ووجه بعض من كان معه لابتياع ما يصلحه ، فلما دخلها أنكر زيه بعض أهلها وسأله عن أمره فورى وتلجلج. فاستراب به وقبض عليه وأتى به واليها، وكان يعرف بأبي خبزة يخلف أحمد بن كشمرد صاحب الحرب بطريق الفرات ، قال : والدالية قرية من عمل الفرات ، قال : فسأله أبو خبزة عن خبره ورهب عليه، فعرفه أن القرمطي، الذي خرج أمير المؤمنين المكتفي بالله في طلبه ، خلف رابية أشار اليها ، فسار أبو خبزة الى ذلك الموضع ومعه جماعة بالسلاح حتى أشرف عليهم ، فأخذهم وشدهم وثاقا وتوجه بهم الى صاحبه ابن كشمرد ، فسار بهم الى المكتفي وهو يومئذ بالرقة ، فأمر أن يشهروا بها ففعل بهم ذلك ، وألبس الحسن بن زكرويه دراعة ديباج وبرنس من حرير وهو على بختي ، والمدثر والمطوق على جملين عليهما دراعتا ديباج وبرانس حرير ، وهم بين يديه ، وذلك في يوم الاربعاء لأربع بقين من المحرم سنة احدى وتسعين ومائتين .

قال : وقدم محمد بن سليمان الكاتب الرقة والجيوش معه ، بعد أن تتبعوا ما بقي من القرامطة فأسروا وقتلوا، فخلف المكتفي بالله عساكره مع محمد بن سليمان

---

(1) سبق له في ص ٥٤٩ أن اورد اسمه « عيسى بن مهرويه » .

بالرقة ، وشخص في خاصته وغلمانه وتبعه وزيره القاسم بن عبيد الله الى بغداد ، وحمل القرمطي وأصحابه معه ومن أسر في الوقعة ، وذلك في أول يوم من صفر سنة احدى وتسعين ومائتين ، فلما صار الى بغداد عمل له دميانة غلام يا زمار كرسيا سمكه ذراعان ونصف ، وركبه على فيل وأركبه عليه ودخل المكتفي بالله وهو بين يديه مع أصحابه الاسرى ، عليهم دراريع الديباج والبرانس والمطوق في وسط الاسرى على جمل ، وهو غلام حدث قد جعل في فيه خشبة مخروطة قد شدت الى قفاه كاللجام ، وذلك أنهم في وقت دخولهم الرقة أكثر الناس الدعاء عليهم ، فكان هو يشتم الناس الذين يدعون عليهم ويبصق عليهم ، وكان دخولهم كذلك لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول من هذه السنة .

قال : فلما وصل المكتفي الى داره حبسهم ووكل بهم ، ووصل محمد بن سليمان بعد ذلك على طريق الفرات في الجيش ، وقد تلقط بقايا القرامطة من كل وجه ، فنزل بباب الانبار في ليلة الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول من السنة ، فأمر المكتفي القواد وأصحاب الشرط بتلقيه والدخول معه ، فدخل محمد بن سليمان في زي حسن ومعه بين يديه نيف وسبعون أسيرا ، وخلع الخليفة على محمد بن سليمان وطوقه بطوق من ذهب ، وسوره بسوار من ذهب ، وخلع على جميع القواد وطوقوا وسوروا ، وحبس الاسرى وكان المكتفي بالله وقت دخوله أمر أن تبنى له دكة في المصلى العتيق من الجانب الشرقي ، مربعة ذرعها عشرون ذراعا في مثلها وارتفاعها عشرة أذرع يصعد اليها بدرج ، فلما كان يوم الاثنين لأربع بقين من شهر ربيع الاول أمر المكتفي القواد وجميع الغلمان وصاحب جيشه محمد بن سليمان وصاحب شرطته أن يحضروا هذه الدكة ، فحضروها وصعد الوجوه ووقف الباقون على دوابهم ، وخرج التجار والعامة للنظر وحملوا الاسرى كلهم مع خلق كثير منهم كانوا بالكوفة وحملوا الى بغداد وغيرهم ممن حمل ممن كان على مذهبهم ، فأحضر جميعهم على الجمال وقتلوا جميعا وعدتهم ثلاثمائة وستون ، وقيل ثلاثمائة ونيف وعشرون ؛ وقدم الحسن بن زكرويه وعيسى ابن أخت مهرويه ، وهما زميلان ، على بغل في عمارية ، قد أرسل عليهما أغشية ، فأصعدا الى الدكة وأقعدا ، وقدم أربعة وثلاثون انسانا من الاسرى من وجوه القرامطة ، ممن عرف بالنكاية والعداوة

للاسلام والكلب على سفك الدماء واستباحة النساء وقتل الاطفال ، وكان كل واحد منهم يبطح على وجهه فتقطع يده اليمنى ويرمى بها الى أسفل ليراها الناس ، ثم تقطع رجله اليسرى ، ثم يده اليسرى ، ثم رجله اليمنى ويرمى بها الى أسفل ثم تضرب عنقه ويرمى به الى أسفل ، فلما فرغ منهم قدم المدثر ففعل به مثل ذلك ثم كوي ليعذب ثم ضربت عنقه ، ثم قدم الحسن بن زكرويه فضرب مائتي سوط ثم قطعت يداه ورجلاه وكوي وضربت عنقه، ورفع رأسه على خشبة ، وحملت الرؤوس فصلبت على الجسر ، وصلب بدن الحسن فمكث مصلوبا نحوا من سنة ، ثم سقط عليه حائط ودفنت أجساد الاسرى عند الدكة ، وهدمت بعد أيام .

قال الشريف : ومن كتب اللعين الحسن بن زكرويه الى بعض عماله :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله المهدي المنصور الناصر لدين الله ، القائم بأمر الله ، الداعي الى كتاب الله ، الذاب عن حريم الله ، المختار من ولد رسول الله ، أمير المؤمنين وامام المسلمين ، ومذل المنافقين ، وقاصم المعتدين ، ومبيد الملحدين ، وقاتل القاسطين ، ومهلك المفسدين ، وسراج المنتصرين ، ومشتت المخالفين ، والقيم بسنة المرسلين ، وولد خير الوصيين صلى الله عليه وعلى آله الطيبين وسلم — كتاب الى جعفر بن حميد الكردي ، سلام عليك ، فاني أحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلي على محمد جدي رسول الله ، أما بعد : فقد أنهي الينا ما حدث قبلك من أخبار أعداء الله الكفرة ، وما فعلوه بناحيتك من الظلم والعبث والفساد في الارض فأعظمنا ذلك ، ورأينا أن تنفذ الى هناك من جيوشنا من ينتقم الله به ، من أعدائنا الظالمين الذين يسعون في الارض فسادا فأنفذنا جماعة من المؤمنين الى مدينة حمص ونحن في أثرهم ، وقد أوعزنا اليهم في المصير الى ناحيتك ، لطلب أعداء الله حيث كانوا ونحن نرجو أن يجزينا الله فيهم على أحسن عوائده عندنا في أمثالهم ، فينبغي أن تقوي[1] قلبك وقلوب من اتبعك من أوليائنا ، وتثق بالله وبنصره الذي لم يزل يعودنا في كل من مرق من الطاعة وانحرف عن الايمان ، وتبادر الينا بأخبار الناحية وما يحدث فيها ، ولا تخف عنا شيئا من أمرها .

---

(١) في كنز الدرر ص ٧٨ واتعاظ الحنفا ص ٢٣١ : بان تشد قلبك .

« سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين »[1] ، وصلى الله على جدي رسوله وعلى أهل بيته وسلم كثيرا . وكان عماله يكاتبونه بمثل هذا الصدر .

قال ابن الاثير[2] : وكان قد نجا من أعيان القرامطة رجل من بني العليص يسمى اسماعيل بن النعمان في جماعة معه ، فكاتبه المكتفي بالله وبذل له الامان ، فحضر في نيف وستين نفسا ، فأحسن الخليفة اليهم وسيرهم الى رحبة مالك بن طوق مع القاسم بن سيماء ، فأقاموا معه مدة وعزموا على انشاء فتنة بالرحبة ، وكان قد انضم اليهم جماعة كثيرة ، فشعر بهم القاسم فقتلهم ، فارتدع من كان قد بقي من موالي بني العليص ، وذلوا ولزموا السماوة حتى جاءهم كتاب من زكرويه بن مهرويه ، يذكر لهم أن مما أوحي اليه أن صاحب الشامة وأخاه يقتلان ، وأن امامه الذي هو حي ، يظهر بعدهما ويظفر .

ذكر خبر ارسال زكرويه بن مهرويه محمد بن عبد الله الى الشام وما كان من امره الى ان قتل

كان الحسن بن زكرويه قد خلف القاسم بن أحمد المكنى بأبي الحسين خليفة على من بسلمية من أصحابه كما قدمنا ، فقدم سواد الكوفة الى زكرويه فأخبره بخبر القوم ، الذين استخلفه عليهم ابنه الحسن أنهم اضطربوا عليه ، وأنه خافهم وتركهم وانصرف ، فلامه زكرويه على قدومه لوما كثيرا ، وقال له : ألا كاتبتني قبل انصرافك الي ، ووجده على ما بـه تحت خوف شديد من طلب السلطان من وجهه ، وطلب أصحاب عبدان الذي كان قد تسبب في قتله من وجه آخر ،ثم ان زكرويه أعرض عن القاسم وأنفذ رجلا من أصحابه ، كان يعلم الصبيان بالزابوقة يقال له محمد بن عبد الله بن سعيد المكنى أبا غانم في سنة ثلاث وتسعين ومائتين فتسمى نصرا ، وأمره أن يتوجه الى أحياء كلب ويدعوهم ، فدار أحياء كلب ودعاهم فلم يقبله الا رجل من بني زياد يعرف بمقدام بن الكيال ، ثم استجاب له طوائف من الاصبعيين الذين

---

(١) سورة يونس : ١٠

(٢) الكامل : ٦/١٠٩ .

يعرفون بالفواطم ، وقوم من بني العليص وصعاليك من بني كلب ، فسار بهم نحو الشام ، وعامل المكتفي بالله يومئذ على دمشق والاردن أحمد بن كيغلغ ، وهم بنواحي مصر على حرب ابراهيم الخليجي ، وكان قد خالف كما قدمنا ذكر ذلك ، فاغتنم محمد بن عبد الله بن سعيد غيبته فصار الى مدينتي بصرى وأذرعات فحارب أهلها ثم أمنهم فلما استسلموا قتل مقاتليهم وسبى ذراريهم وأخذ جميع أموالهم ، وسار نحو دمشق فخرج اليه صالح بن الفضل خليفة ابن كيغلغ فيمن معه ، فأثخنوا فيهم وظفروا عليهم ثم غروهم ببذل الامان ، فقتلوا صالحا وعسكره وقصدوا دخول دمشق فدفعهم عنها أهلها فانصرفوا الى طبرية ، ولحق بهم جماعة من الجند ممن سلم بدمشق ، فواقعهم يوسف بن ابراهيم ، عامل ابن كيغلغ على الاردن ، فهزموه ، وبذلوا له الامان ثم غدروا به فقتلوه ونهبوا طبرية وقتلوا وسبوا النساء ، فأنفذ المكتفي الحسين بن حمدان في طلبهم مع وجوه من القواد ، فدخل دمشق وهم بطبرية ، فلما علموا بذلك عطفوا نحو السماوة ، وأتبعهم الحسين بن حمدان في البرية ، فأقبلوا ينتقلون من ماء الى ماء يغورون ما يرتحلون عنه من الماء ، فلم يزالوا على ذلك حتى وردوا المائين المعروفين بالدمعانة والحالة ، فانقطع عنهم لعدم الماء فمال نحو رحبة مالك بن طوق ، وأسرى عدو الله حتى وافى هيت وهم غازون وذلك لتسع بقين من شعبان سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، طلوع الشمس ، فنهب ربض هيت والسفن التي في الفرات ، وقتل نحو مائتي انسان ، وأقام هناك يومين والقوم متحصنون ، ثم رحل بما أخذه وبمائتي كر حنطة الى نحو المائتين وبقية أصحابه هناك ، فلما اتصل الخبر بالمكتفي أرسل الى هيت محمد بن اسحاق بن كنداجيق ومعه جماعة من القواد في جيش كثيف ، ثم أتبعه بمؤنس الخادم ، فنهض محمد بن اسحاق نحوهم فوجدهم قد غوروا المياه ، فأنفذ اليه من بغداد بالروايا والقرب والمزاد ، وكتب الى الحسين بن حمدان بالنفوذ اليهم من الرحبة ، فلما أحسوا بذلك ائتمروا بصاحبهم نصر ، فوثب عليه رجل من أصحابه يقال له الذئب بن القائم فقتله، وشخص الى بغداد متقربا بذلك ومستأمنا ، فأسنيت له الجائزة وكف عن قومه بقتل محمد هذا ، فمكث أياما ببغداد وهرب ، ثم ان طلائع محمد بن كنداجيق ظفرت برأس محمد المقتول هذا ، فحمل الى بغداد .

قال : ثم ان قوما من بني كلاب أنكروا ما فعله الذئب من قتل محمد ، ورضيه آخرون فتحزبوا أحزابا ، فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت القتلى بينهم ثم افترقوا ، فصارت الفرقة التي رضيت قتله الى ناحية عين التمر ، وتخلف من كره قتله على الماء الذي كانوا ينزلون عليه ، واتصل الخبر بزكرويه بن مهرويه فرد القاسم اليهم •

ذكر ارسال زكرويه بن مهرويه القاسم بن احمد ودخوله الكوفة وما كان من امره

قال : ولما اتصل الخبر بزكرويه كان القاسم بن أحمد عنده ، فرده اليهم لمعرفتهم به ، فلما ورد عليهم جمعهم ووعظهم ، وقال : أنا رسول وليكم وهو عاتب عليكم فيما أقدم عليه الذئب بن القائم ، وأنكم قد ارتددتم عن الدين ، فاعتذروا وحلفوا ما كان ذلك بمحبتهم ، وذكروا ما جرى بينهم وبين أهلهم من الخلف والقتل والبعد بهذا السبب ، فقال لهم : قد جئتكم الآن بما لم يأتكم به أحد تقدمني ، وليكم يقول لكم : قد حضر أمركم وقرب ظهوركم ، وقد بايع له من أهل الكوفة أربعون ألفا ومن أهل سوادها أكثر ، وموعدكم اليوم الذي ذكره الله ، يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى[1]،فأجمعوا أمركم وسيرو الى الكوفة،فانه لا دافع لكم عنها ، ومنجز وعدي الذي جاءتكم به رسلي •

فسربوا بذلك سرورا كثيرا وارتحلوا نحو الكوفة ، فلما وردوا الى القطقطانة، وهي قرية خراب في البر ، بينها وبين الكوفة ستة وثلاثون ميلا ، وذلك يوم الاربعاء قبل يوم عرفة بيوم من سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، خلفوا بها الخدم والاموال ثم أمرهم أن يلحقوا به في عين الرحبة على ستة أميال منا لقادسية •

ثم شاور الوجوه من أصحابه في أي وقت يأتي الكوفة ؟ فقال قائل ليلا فلا يتحرك أحد الا قتلناه ، ويخرج الينا واليها في قلة فنأخذه ونقتله ، وقال آخر : نسهل الى أن ندخلها عشاء في يوم العيد ، والجند سكارى والبلد خال ، فنقصد بـاب اسحاق وهو غافل فنأخذه ونقف على بابه ، فلا يأتينا أحد الا قتلناه ، فانهم لا يأتونا الا نفر بعد نفر ، وكانت شحنة الكوفة يومئذ سبعة آلاف رجل ، الا أن المقيم

---

(١) سورة طه : ٥٩ .

بالكوفة يومئذ أربعة آلاف من الدمانية والمصريين وغيرهم ، والناس فيها أحياء ، والبلد على غاية الاجتماع والحسن وكثرة الناس ، وقال آخرون : نسير ليلتنا ثم نكمن في النجف في شعابه فنريح الخيل والابل وتنام ، ونركب عمود الصبح فنشنها غارة على أهل المصلى ، وقد نزل الجند للصلاة وركب غلمانهم الدواب ، ونضع السيف وجل أهل البلد هناك ، فقال اللعين : هذا هو الرأي ، فركبوا وساروا حتى حصلوا في بعض المواضع فناموا ، فلم يوقظهم الا مس الشمس يوم العيد ، لطفا من الله تعالى بالناس ، قال : وقد كان أحد ما شغلهم أنهم اجتازوا بقوم من اليهود يدفنون ميتا لهم بالنخيلة ، فشغلهم قتلهم فلم يصلوا الى الكوفة الا وقد صلى اسحاق بن عمران بالناس العيد ، وانصرف والناس متبددون في ظاهر الكوفة ومنهم من قد انصرف ، ولاسحاق بن عمران طلائع تتفقد ، وكان ذلك لأمور قد أرجف الناس بها في البلد ، من فتن تحدث من غير جهة القرامطة ، وقيل كانت عدتهم ثمانمائة فارس ، وأربعمائة راجل : وهم يقاتلون على طمع وشبهة ، فأقبلوا يقدمهم هذا المكنى بأبي الحسين •

قال : وكان أحد الالطاف أن اسحاق بن عمران قد أحدث مصلى بالقرب من طرف البلد فصلى فيه ، وكان الرجوع منه الى البلد سهلا ، فقصدت القرامطة المصلى العتيق ، على ما كانوا يقدرون من اجتماع الناس فيه ، فلم يصادفوا فيه أحدا ، فأقبلت خيل منهم من تلك الجهة ، فدخلوا الكوفة من يمينها ، فوضعوا السيف حتى وصلوا الى حبسها ففتحوه ، وقتلوا كثيرا من الناس وأخرجوا خلقا، فارتجت الكوفة وخرج الناس بالسلاح ، وتكاثر الناس على من دخل الكوفة من القرامطة ، فقذفوهم بالحجارة فقتل منهم جماعة ، وأقبل جل القوم نحو الخندق فقتلوا ناسا ، وناوشهم طوائف من الجند تخلفوا بالصحراء وبعض ما كان أنفذ اسحاق بن عمران طليعة ، فقتلوا بعضهم وأفلت بعضهم الى البلد ، وكان اسحاق بن عمران قد انصرف في أحسن زي وأجمله ، فلما صار قرب داره تفرق الجيش عنه الا خواصا ، كان قد عمل لهم سماطا في داره ، فلما سار في بعض الطريق لحقه فارس من بني أسد على فرس له بلقاء ،قد طعنت في عنقها ودمها سائل على كتفها الى الحافر ، فشق الجند وزاحم غلمانه وجاوز اسحاق بن عمران ، ثم قلب رأس فرسه اليه فوقف له ، فقال : جاءتنا أيها الامير خيل من الاعراب ، فقتلت وسلبت وخرجت الى الصحراء ، فلما

رددناهم طعنت فرسي ، فقاب اسحاق بن عمران فرسه راجعا ، وأمر باخراج الجند نحو الخندق ، وبين يدي اسحاق بن عمران نحو من ستين راجلا ، ومعه غلمانه ونفر يسير من الجند ، حتى اذا صار قصر عيسى بن موسى ومعه أبو عيسى صالح بن علي بن يحيى الهاشمي يسايره فالتفت اليه ، وقال : خذ هؤلاء الرجالة وامض الى قنطرة بني عبد الوهاب ــ وهي احدى قناطر الخندق ــ فاكشفها ، فأخذهم ومضى، وتقدم الى عبد الله الحسين بن عمر العلوي أن يدور في البلد ويسكن الناس ، فدار وعليه السواد فسكن الناس ، وخرج كثير من الناس بالسلاح ، وتفرق من دخل الكوفة من القرامطة لما رماهم أهلها ، وقتل بعض القصابين رجلا منهم بشاطور ، وكان فيمن تفرق منهم رجل من كلب يعرف بالمقلقل ، وهو أحد رجالهم وشجعانهم في جمع معه ، فأفضى به الطريق الى دار عيسى بن علي ، فلقيهم أحد الفرسان من الجند يعرف بالورداني ، قد ركب لما سمع الصيحة ، فلم يشك أنهم من الجند لما رأى من كثرة الجواشن عليهم والدروع ، فقال لهم : سيروا يا أصحابنا ، فأمسكوا عنه حتى توسطهم ثم عطفوا عليه بالسيوف فقتلوه ، وأخذوا دابته وساروا نحو الخندق للقاء أصحابهم ، فلما صاروا بالصحراء من الكوفة نظر اليهم أبو عيسى ، فلم يشك أنهم من أصحاب السلطان ، ثم نظر اليهم وقد لقوا جماعة من العامة ، فأقبلوا يسلبونهم،فتبين أمرهم فحمل عليهم فعدلوا عن سلب أولئك، وحمل فارسهم المقلقل ــ وكان رجلا عظيما جسيما ــ وفي يده سيف عريض ، فالتقى هو وأبوعيسى فطعنه أبو عيسى تحت ثندوته[١] فصرعه ، فحذفه المقلقل بالسيف فأصاب جحفلة[٢] فرسه فعقره ، وأمر أبو عيسى بعض الرجالة فاحتز رأسه ووجه به الى اسحاق بن عمران ، وقد رفع رأسه ، فكان ذلك أحد ما كسرهم .

قال:واجتمعت الخيل والرجالة فقاتلهم اسحاق بمن معه ــ وليسوا بالكثيرين ــ قتالا شديدا ، في يوم صائف شديد الحر طويل الى الزوال ، وخرج الناس من العامة فانصرف القرامطة مكدودين فنزلوا الغدير على ميلين من الكوفة وارتحلوا عشيا نحو

---

(١) في لسان العرب قال ثعلب : الثندوة بفتح اوله غير مهموز مثال الترقوة والعرقوة على فعلوة وهي مغرز الثدي .

(٢) الجحفلة بمنزلة الشفة للخيل والبغال والحمير (القاموس المحيط) .

سوادهم ، واجتازوا بالقادسية ، وقد وصل اليهم رسول اسحاق بن عمران، فحذرهم أمرهم ، يعني حذر أهل القادسية ، وعرف يومئذ صبر اسحاق بن عمران على حملاتهم وتشجيعه لأصحابه .

قال : وأخرج اسحاق بن عمران مضاربه بظاهر الكوفة ، وخرج اليه أصحابه فعسكر ؛ وبات الناس بالكوفة على غاية الجزع والتحارس ونصب الحجارة على الأسطحة ، قال : ولما وصلت القرامطة الى عين الرحبة ، وكانوا قد خلفوا سوادهم هناك ، فرحلوا وساروا بهم فنزلوا عينا بسرة العذيب تعرف بعين عبد الله ، ثم رحلوا فنزلوا قرية تعرف بالصوان على نهر هد من سواد الكوفة ، ثم مضى أبو الحسين الى قرية تعرف بالدرنه[1] على نهر زياد من سواد الكوفة ، فخرج اليه بها زكرويه وكان من أمره ما نذكره .

ذكر ظهور زكرويه بن مهرويه وقتاله عساكر الخليفة واخذه الحاج وما كان من امره الى ان قتل

كان ظهور زكرويه بن مهرويه في سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، وذلك أنه لما وصل القاسم بن أحمد الى الدرنة خرج زكرويه اليه منها ، وكان بها مستترا كما ذكرنا فيما تقدم ، فقال القاسم للعسكر : هذا صاحبكم وسيدكم ووليكم الذي تنتظرونه ، فترجلوا بأجمعهم وألصقوا خدودهم بالارض ، وضرب لزكرويه مضرب عظيم وطافوا به وسروا سرورا عظيما ، واجتمع اليه أهل دعوته من أهل السواد فعظم جيشه جدا .

وكان اسحاق بن عمران قد كتب الى العباس بن الحسن — وزير المكتفي — يخبره خبر القرامطة ومهاجمتهم على الكوفة وما كان من خبرهم ، وأثنى على من عنده من الجند وذكر حسن بلائهم ، فلما وصل اليه الكتاب قلق له ، وشاور بعض أصحابه في لقاء الخليفة المكتفي بالله بذلك ، فأشار عليه بتعجيله بذلك ، فقال الوزير: كيف ألقاه بهذا مع ما يحتاج اليه من الاموال ولعهدي به ، وقد ناظرني منذ يومين في دينار واحد ، ذكر أنه فضل بقية نفقة رفعت اليه فقال له صاحبه : أيها الوزير

(1) درنه : قيل كانت بابا من ابواب فارس دون الحيرة بمراحل . معجم البلدان .

ان أسعفك والا ففي أموال خدمك وأسبابك فضل فوظفها علينا ، وتنفق فيها، فقال: فرّجت ، والله – عنى ، ثم لبس ثيابه وأتى الى المكتفي بالله فدخل عليه في غير وقت الدخول فعرفه الخبر ، فقال له المكتفي : كأنك يا عباس قد قلت : كيف أخبر أمير المؤمنين بمثل هذا وقد ناظرني في دينار فضل نفقة ! فقال : قد كان ذاك يا أمير المؤمنين ، قال : انما جرى ذلك لمثل هذا، فلا تبخل بمال في مثل هذا، وأباحه الاموال والانفاق في الرجال ليلا ونهارا ، فأنفذ الوزير جني الصفواني ومباركا القمي ونحرير العمري ورائقا وطائفة من الغلمان الحجرية وجماعة من القواد في جيش عظيم، فوصل أوائلهم في اليوم السادس من يوم النحر ، فركب اليهم اسحاق بن عمران وذكر لهم قوة من لقى من القرامطة ، وأنه قد مارسهم ، وحذرهم أن يغتروا بهم ، وقال لهم : سيروا الى القادسية فان بينكم وبينها مرحلة ، واذا صرتم بها فأريحوا واستريحوا وتجمعوا ، ثم سيروا اليهم وطاولوهم ونازلوهم فان الظفر يرجى بذلك فيهم عندي، ولا ترموا بأنفسكم عليهم فانهم صبر غير أنكال ، فقال له بشر الافشيني : ان رأيناهم كفيناك القول يا أبا يعقوب ، انما نخشى أن يهربوا ، فدعا لهم بالنصر ورحلوا نحو القادسية ، فباتوا بها ليلة في آخرها الى الصوان ، وبين الموضعين نحو العشرة أميال، ورحلوا بالاثقال والفهود والبزاة ، وهم على غير تعبئة مستخفين بهم ، فأسرعوا ووصلوا وقد تعب ظهرهم وقل نشاطهم وقد عمد القرامطة فضربوا بيوتهم الى جانب جرف عظيم لنهر هناك وأثقالهم مما يلي البيوت ، والرجالة في أيديهم السيوف ، وقتالهم من وجه واحد صفا واحدا قدام البيوت بقدر نصف غلوة، والفرسان جلوس خلف الرجالة ، فلما تراءى الفريقان ركب الفرسان وافترقوا فصاروا جناحين للرجالة، وحملوا على الناس فصدقوهم الحملة فانكفأوا راجعين، وتلاقى الرجالة من الفريقين، فأتت رجالة العسكر على رجالة القرامطة وألجأوهم الى البيوت ، وأقبلت الفرسان فنظروا الى الرجالة ينهبون بيوتهم ، فترجلوا وحملوا خيلهم الامتعة ، وكانت القرامطة في مجنبات الناس لما رأوا من صدق القتال ، فلما رأوا الناس قد حملوا الدواب والجمازات وتشاغلوا حملوا على الجمازات والبغال بالرماح، فأقبلت لايردها شيء عن الناس تخبطهم ، فانهزم الناس ووضع السيف فيهم ، وقتل الاكثر وتبع الاقل نحو القادسية وفيهم مبارك القمي ، فأقاموا ثلاثا يجمعون السلب والاسرى ،

وجمع زكرويه الآلة والمتاع والاثاث والجمازات ، فقيل انه أخذ ثلاثمائة جمل وخمسمائة بغل مما كان للسلطان سوى ما أخذ للقواد ، وقيل انه قتل ألفا وخمسمائة رجل ، فقوي أصحابه جدا ، ودخل الكوفة فلول الجيش عراة .

ورحل زكرويه يريد الحاج وبعث دعاته الى السواد ، فلم يلحق به فيما قيل الا النساء والصبيان ، قال : ولما وقف الخليفة على صورة الامر عظم عليه وعلى الناس ، وخافوا على الحجاج ، فأنفذ المكتفي بالله محمد بن اسحاق بن كنداج لحفظ الحاج وطلب زكرويه ، وضم اليه خلقا عظيما وجماعة من القواد ونحو ألفي رجل من بني شيبان واليمن وغيرهم ، وكان زكرويه قد نزل على عين[1] الهبير ، ثم نزل على أربعة أميال من واقصة ، فوافت القافلة لست أوسبع خلت من المحرم من سنة أربع وتسعين ومائتين ، فأنذرهم أهل المنزل بالقرامطة فلم ينزلوا وطووا ، فنجاهم الله عز وجل ، وكان معهم من أصحاب السلطان الحسن بن موسى وسيماء الابراهيمي ، فلما وافى زكرويه واقصة تعرف الخبر فعرف أنهم قد حذروهم ، فقتل جماعة من أهل المنزل ونهب وأحرق الحشيش وتحصن الباقون منه ، ورحل فلقيته الخراسانية من الحجاج على الارض البسيطة التي تخرج منها حجارة النار ، يوم الاحد لاحدى عشرة ليلة خلت من المحرم ، وليس معهم أحد من أصحاب السلطان ، فرشقوا القرامطة بالنشاب وقد أحاطوا بهم فانحازوا عنهم ، ثم تقدم الى الحاج جماعة منهم فسألوهم : هل فيكم سلطان ، فانا لا نريدكم ؟ فقالوا لهم : لا ، انما نحن قوم حجاج ، فقال لهم زكرويه : امضوا فرحلوا وأمهلهم حتى ساروا ثم قصدهم ، يبعج الجمال بالرماح حتى كسر بعضها بعضا واختلطت، ووضع السيف فقتل خلقا عظيما واستولى على الاموال .

وقدم محمد بن اسحاق بن كنداج الكوفة ثم رحل الى القادسية فلما وقف على خبر مسيرهم نحو واقصة أنفذ علان بن كشمرد في خيل جريدة ، حتى لقي فل الخراسانية فأشاروا عليه أن يلحق الحاج فان القافلة الثانية تنزل العقبة الليلة أو من غد ، فحث حتى تسبق اليها فتجتمع أنت ومن فيها على قتال الكفرة ، الله الله في الناس أدركهم ، فرحل راجعا نحو القادسية وقال : لا أغرر برجال السلطان للقتل ، فلقي

---

(1) من منازل طريق الحاج بين العراق والحجاز . معجم البلدان .

بعد ذلك من المكتفي شرا ، وورد زكرويه العقبة[1] يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من المحرم وفي القافلة مبارك القمي وأحمد بن نصر الديلمي وأحمد بن علي الهمذاني ، وقد كانت كتب المكتفي اتصلت الى أمراء القافلة الثانية مع رسله ،يأمرهم أن يتجنبوا الطريق ويرجعوا الى المدينة ، ويأخذوا على طريق البصرة أو غيرها فلم يفعلوا ذلك ، ولما التفتوا اقتتلوا قتالا شديدا فكانت الغلبة لأصحاب السلطان حتى لم يشكوا في ذلك ، ثم خرج اللعين زكرويه الى آخر القافلة وقد رأى خللا هناك ، فعمل في الجمال كما عمل في جمال الخراسانية ، وقتل سائر الناس الا يسيرا استعبدهم أو شريدا ، ثم أنفذ خيلا فلحقت من أفلت من أوائل القوم حتى ردوهم اليه ، فقتلهم وأخذ النساء وجميع ما في القافلة، وقتل مباركا القمي ومظفرا ابنه وأسر أبا العشائر[2] ، فقطع يديه ورجليه وضرب عنقه ، وأطلق من النساء ما لا حاجة له فيها ، ووقع بعض الجرحى بين القتلى حتى تخلصوا ليلا ، ومات كثير من الناس جوعا وعطشا ، وورد من قدم من الناس يخبرون أن نساء القرامطة كن يطفن بين القتلى فيقلن : عزيز علينا، من يرد ماء تسقيه، فان كلمهن جريح مطروح أجهزن عليه.

قال : ويقال أن جميع القتلى كانوا نحوا من عشرين ألفا ، وأخذ من الاموال ما لا يحصى كثرة .

قال : ولما اتصل خبر القافلتين بمدينة السلام جاء الناس من ذلك ما شغلهم ، وتقدم السلطان باخراج المال وإزاحة العلل ، وأخرج العباس بن الحسن ومحمد بن داود الجراح الكاتب المتولي دواوين الخراج والضياع بالمسير الى الكوفة لانقاذ الجيش منها ، وحمل معه أموالا عظيمة ، وقال : كلما قرب نفاذ ما معك كاتبني لأمدك بالاموال ، وخرج اليها يوم الثلاثاء لاحدى عشرة ليلة بقيت من المحرم، وقدم خزانة سلاح جعلها بالكوفة فما زالت بقاياها هناك الى أن أخذها الهجري .

قال : ثم رحل زكرويه يريد القافلة الثالثة فلم يدع ماء في طريقه الا طرح فيه جيف الموتى ، ونزل زبالة فقتل من بها من التجار ، ونهب الحصن وبث الطلائع من لحوق عسكر السلطان به ، فلما أبطأت القافلة عليه فنزل الشقوق ثم نزل في رمل

(1) عقبة فيد على منتصف طريق الحاج من الكوفة الى مكة . معجم البلدان .
(2) الحمداني .

يقال له الهبير والطليح ، وأقام ينتظر القافلة وفيها من القواد نفيس المولدي ، وعلى ساقتها صالح الاسود ومعه الشمسة[1] ، وكان المعتضد جعل فيها جوهرا نفيسا ومعه الخزانة ، وكان في القافلة من الوجوه ابراهيم بن أبي الاشعث ، ومعه كاتبه المنذر بن ابراهيم وميمون بن ابراهيم الكاتب وكان إليه ديوان الخراج ، والفرات بن أحمد بن محمد بن الفرات ، والحسن بن اسماعيل قرابة العباس بن الحسن ، وعلي بن العباس النهيكي وغيرهم من الرؤساء ، وخلق من مياسير التجار وفيها من المتاجر والرقيق ما يخرج عن الوصف ، وفيها جماعة من الأشراف منهم أبو عبد الله أحمد بن موسى ابن جعفر وجماعة من أهله ، فأصاب بعضهم جراحات وأسر بقيتهم ، فعرفهم بعض المولدين من وجوه عسكره فأخبره بهم ، فخلى لأبي عبد الله أحمد بن موسى وأهله الطريق ، ومكنهم من جمال تحملوا عليها، وكان أحمد بن موسى أحد من دخل بغداد وخبر السلطان بأمرهم وجلالة حالهم .

وأقاموا بفيد وقد اتصل بهم أنهم ينتظرون مددا من السلطان ففعل ابن كشمرد ما فعل من رجوعه الى القادسية ولم ينجدهم ، فلما طال مقامهم نفذ ما في المنزل وغلا السعر جدا ، وجلوا عن الاجفر والخزيمة ثم الثعلبية ثم الهبير ، فلم يستتم نزولهم حتى ناهضهم زكرويه فقاتلهم يومهم كله ، ثم باتوا على السواء ، ثم باكرهم فقاتلهم فبينما هم كذلك اذ أقبلت قافلة العمرة ، وكان المعتمرون يتخلفون للعمرة بعد خروج الحاج اذا دخل المحرم ، وينفردون قافلة واحدة وانقطع ذلك من تلك السنة ، فاجتمع الناس وقاتلوهم يومهم ، ونفذ الماء وعطشوا ولا ماء لهم هناك ، وباتوا وزكرويه مستظهر عليهم ، ثم عاودوهم القتال حتى ملك القافلة ، فقتل الناس وأخذ ما فيها من حريم ومال وغير ذلك ، وأفلت ناس قليل قتل أكثرهم العطش ، ثم سار مصعدا نحو فيد فتحصن منه أهلها ، فطاولهم فصبروا عليه ونزل منهم ثمانية عشر رجلا بالحبال من رأس الحصن، فقاتلوا رجالتهم قتالا شديدا وقد أسندوا ظهورهم بسور الحصن، ورمى أهل الحصن بالحجارة .

قال : سمعت داود بن عتاب الفيدي ــ وكان نبيلا صدوقا ــ قال : نزلنا اليهم نحو أربعين رجلا متزرين بالسراويلات ، وقد كان لحقهم ــ لا أدري ــ عطش قال

---

(1) كانت توضع فوق الحجر الاسود فوق باب الكعبة .

أو جوع ، قال : فطردناهم فمالوا الى حصن يقرب منا، قد كان بيننا وبين أهله عداوة قديمة ، فأخذوا منهم الامان ونزلوا ليفتحوا لهم ، فقال بعضنا لبعض : ان ظفروا به أخذوا منه ما يحتاجون اليه ، وعادوا اليكم ، قال : فطرحنا أنفسنا عليهم وأحس بذلك أهل الحصن فقويت قلوبهم ، وخرجوا فكشفناهم ، وتبعهم جماعة منا فسلبوا منهم جمالا ، وكان ذلك سبب صلاحنا مع أصحاب الحصن •

قال الشريف : ولم يبق دار بالكوفة وبغداد والعراق الا وفيها مصيبة وعبرة سائلة وضجيج وعويل ، حتى قيل ان المكتفي اعتزل النساء هما وغما •

قال : وخفي أمر زكرويه ، لا يعلم أين توجه ، وقد كان أخذ ناحية مطلع الشمس ، فتقدم المكتفي يتتبع أحواله وإشحان البلدان ـ التي يخاف مصيره اليها ـ بالرجال ، وأنفذ وصيف بن صوار تكين ولجيم بن الهيصم والقاسم بن سيماء في جيش عظيم بالميرة والزاد والمال والجمال ، لاستقبال الناس وازاحة عللهم ، وتقدم بطلب زكرويه حيث كان، الى أن وردت كتب أهل فيد بخبره، فكوتب عند ذلك[محمد بن] اسحاق بن كنداج بأن يلزم القادسية ونواحي الكوفة بجيشه ، وكوتب لجيم بالمسير الى خَفَّان ومعارضة زكرويه حيث كان،وأن ينفذ الطلائع والاعراب ويرغبوا في تتبع حاله حتى يعوف ، فجاءت الاخبار بما غلب على ظنهم ، أنه لم يخط ناحية البصرة وأنه يقصد الاجتماع مع أبي سعيد الجنابي وهو المقدم ذكره ، فاجتمع القواد وتشاوروا واستقبلوا طريقا يقال له الطريق الشامي ، ويقال له طريق الطف وهو بين الكوفة والبصرة ، وعملوا على المقام هناك ليكونوا بين الكوفة وواسط والبصرة ، فساروا مستدبري القبلة مستقبلي البصرة يرتحلون من ماء الى آخر ، حتى نزلوا يوم السبت لثمان بقين من شهر ربيع الاول سنة أربع وتسعين ومائتين ركيا فيه ماء بقرية خراب يقال لها صماخ ، كان يسكنها على قديم الدهر قوم من ربيعة يقال لهم بنو عنزة ، وبين هـذا الموضع وبين البصرة ثلاثة أيام ، فلقيهم قوم من الاعراب فخبروهم أن القرامطة بالثني ، وهو موضع من ذي قار الذي كانت فيه وقعة العرب مع العجم في أيام كسرى ، وهو واد كثير الماء العذب وبينه وبين صماخ عشرة أميال ، فبات الجيش بصماخ وتراءت الطلائع في عشي يومئذ ، ورحل زكرويه من غد وهو طامع بالظفر ، فالتقوا بقرية خراب يقال لها ارم ، بينها وبين الثني ثلاثة أميال ، وذلك

يوم الاحد لسبع بقين من شهر ربيع الاول ، فاقتتلوا قتالا شديدا صبر فيه الفريقان جميعا ، ثم انهزم زكرويه فقتل الجيش أكثر من معه ، وأسر خلق كثير منهم وأفلت صعاليك من العرب على الخيل مجردين ، ووصل الى زكرويه ــ وهو في القبة ــ في أوائل السواد ، فظنوا أنه في الخيل التي انهزمت ، فقذف رجل بنار فوقعت في قبته فخرج من ظهرها فألقى نفسه من مؤخرها ولحقه بعض الرجالة ــ وهو لايعرفه ــ فضربه على رأسه ضربة أثخنته ، فسقط الى الارض فأدركه صاحب للجيم كان يعرفه فأخذه وصار به اليه ، فأخذه لجيم وأركب الذي جاءه به نجيبا فارها ، وقال له : طر ــ أن أمكنك ــ حتى تأتي بغداد ، وعرف العباس بن الحسن الوزير أنك رسولي اليه ، واشرح له ماشاهدت وسلم اليه الخاتم، فسار حتى دخل بغداد وأعلمه بالخبر .

قال : ومضى لجيم الى وصيف والقاسم بن سيماء فعرفهما خبر زكرويه ، واجتمعوا جميعا وكتبوا كتاب الفتح ، ونهب الجيش عسكر القرامطة وأخذت زوج زكرويه واسمها مؤمنة وأخذ خليفته وجماعة من خاصته وأقربائه وكاتبه ، وانصرف العسكر نحو الكوفة فمات زكرويه بخفان من جراحات أصابته ، فصبر وكفن وحمل على جمل الى بغداد ، وأدخلت جثته وزوجته وحرم أصحابه وأولادهم والاسرى ورؤوس من قتل بين يديه وخلفه ونساؤه في الجوالقات[1] .

قال ابن الاثير[2] : وانهزم جماعة من أصحابه الى الشام ، فأوقع بهم أصحاب الحسين بن حمدان فقتلوا عن آخرهم ، وأخذ الاعراب رجلين من أصحاب زكرويه يعرف أحدهما بالحداد والآخر بالمنتقم وهو أخو امرأة زكرويه ، كانا قد توجها اليهم يدعوانهم الى الخروج الى صاحبهم ، فسيروهما الى بغداد ، وتتبع الخليفة القرامطة بالعراق فقتل بعضهم وحبس بعضهم ، وبادت هذه الطائفة منهم بالعراق مدة .

ذكر اخبار من ظهر من القرامطة بعد مقتل زكرويه بن مهرويه

قال الشريف أبو الحسين : ولما قتل زكرويه سكن أمر القرامطة وانقطعت حركاتهم وذكر دعوتهم ، فلما دخلت سنة خمس وتسعين ومائتين خرج رجل من

---

(١) اي الاوعية ــ القاموس .
(٢) الكامل : ١١٣/٦ .

السواد من الزط يعرف بأبي حاتم ، فقصد أصحاب البوراني خاصة ، وكان هـذا البوراني داعياً وأصحابه يعرفون بالبورانية ، فلما ظهر أبو حاتم حرم عليهم الثوم والكراث والفجل ، وحرم عليهم اراقة الدم من جميع الحيوان ، وأمرهم بأشياء لا يقبلها الا الاحمق السخيف من ترك الشرائع ، وهذه الطائفة من القرامطة تعرف بالبقلية .

وأقام أبو حاتم هذا نحو سنة ثم زال ، ثم اختلفوا بعده وكانوا أهل قرى بسواد الكوفة ، فقالت طائفة منهم زكرويه بن مهرويه حي ، وانما شبه على الناس به، وقالت فرقة منهم الحجة لله محمد بن اسماعيل .

ثم خرج رجل من بني عجل قرمطي يقال له :

محمد بن قطبة

فاجتمع له نحو من مائة رجل ، فمضى بهم الى نحو الجامدة من واسط ، فنهب وأفسد فخرج اليهم أمير الناحية فقتلهم وأسرهم .

ذكر اخبار
ابي طاهر سليمان بن ابي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي

قد قدمنا أخبار أبيه أبي سعيد وحروبه وما استولى عليه ، وذكرنا خبر مقتله وولاية ابنه سعيد ، وأنه سلم الامر الى أخيه أبي طاهر سليمان ، هذا في سنة خمس وثلاثمائة ، وقد قيل بل عجز سعيد عن الامر فغلبه عليه أخوه أبو طاهر سليمان . قال : وكان شهما شجاعا ، وكان الخليفة المقتدر بالله قد كتب الى أبي سعيد كتابا لينا في معنى من عنده من أسرى المسلمين ، وناظره وأقام الدليل على فساد مذهبه ، فلما وصلت الرسل الى البصرة بلغهم موته ، فكتبوا بذلك الى الخليفة فأمرهم بالمسير الى ابنه ، فأتوا أبا طاهر بالكتاب فأكرم الرسل وأطلق الاسرى وأجاب عن الكتاب، ثم تحرك أبو طاهر بعد ذلك في سنة عشر وثلاثمائة ، وعمل على أخذ البصرة فعمل

---

(١) الزرفين حلقة الباب ، وفي الحديث : كانت درع رسول الله ﷺ ذات زرافين ، اذا علقت بزرافينها سترت . اللسان .

سلاليم عراضا ، يصعد على كل مرقاة اثنان بزارفين ــ اذا احتيج الى نصبها وتخلع اذا أريد حملها ، ورحل بهذه السلالم المزرئنة يريد البصرة . فلما قرب منها أمهل الى أن جن الليل ، وأمر باخراج الاسنة وقد كانت وضعت في رمل كيلا تصدأ فركبت على الرماح ، وفرق الجنن[1] على أصحابه ، وحشيت الغرائر بالرمل وحملت على الجمال وحملت أشياء من حديد قد أعدت لما يحتاج اليه، ثم سار بأصحابه الى السور قبل الفجر ، فوضعوا السلالم وصعد عليها قوم من جلداء أصحابه ، وتقدم اليهم بقتل من يتكلم من الموكلين بالابواب ، ودفع للآخرين ما أعده لكسر الاقفال ، وقد كان التواني وقع في أرزاق الموكلين على الابواب ، فتفرقوا للمعاش الا بقية من المشايخ القدماء فان أرزاقهم كانت جارية عليهم ، فصادفوا بعضهم هناك تلك الليلة فتسوروا ونزلوا ووضعوا السيف عليهم ، وجاء الآخرون فكسروا الاقفال ودخل القرامطة ، فأول ما عملوا أن طرحوا الرمل المحمول معهم في الابواب نحو ذراع ، ليمنعوا غلقها الا بتعب ، وساروا ونذر بهم قوم فبادروا سبكا المفلحي وهو يومئذ الامير فأعلموه ، فركب وقد طلع الفجر ومعه بعض غلمانه فتلقوه وقتلوه ، وفزع الناس وركبت الخيل فقتل من تسرع منهم، وكانت العامة قد منعها السلطان أن تحمل سلاحا ، فاجتمعوا بغير سلاح ومعهم الآجر ، وحضر سبك واجتمعت الجند ووقعت الحرب ، فأصابت القرامطة جراحات والقتل في العامة كثير ، واستمر ذلك الى آخر النهار واختلاط الظلام ؛ ثم خرج القرامطة وقد قتلوا من الناس مقتلة عظيمة الى خارج البلد فباتوا خارج الدرب ، وخرج الناس بعيالاتهم فركبوا السفن ، وباكر أبو طاهر البلد فنزل دار عبد السلام الهاشمي ، وتفرق أصحابه في البلد يقتلون من وجدوا وينهبون ما يجدون في المنازل ، ويحمل ذلك الى موضع قد أمر بجمعه فيه .

وحكى ابن الاثير في تاريخه الكامل[2] : أن دخولهم البصرة كان في شهر ربيع الآخر سنة احدى عشرة وثلاثمائة ، وأنه وصل اليها في ألف وسبعمائة رجل ، وأقام بها سبعة عشر يوما يحمل منها ما يقدر عليه من الاموال والامتعة والنساء والصبيان ، وعاد الى بلده .

---

(١) الجنان والجنانة بالضم : الترس (اقرب الموارد) .

(٢) الكامل : ١٧٥/٦ .

قال الشريف : وتراجع الناس فاشتغلوا بدفن من قتل ، ولم يرد كثير منهم حريمه خوفا من عود القرامطة ، قال : ولما اتصل خبر هذه الحادثة بالسلطان أنفذ ابن نُفَيْس[1] في عِدة وعُدة فسكن الناس ، وولى البلد فشحن السور بالرجالة ، وتحرز الناس وأعدوا السلاح .

قال : وكان أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان قد قلد أعمال الكوفة وقصر ابن هبيرة والسواد وطريق مكة ، فجرى بينه وبين البوراني وقائع عظيمة حتى ردهم عن عمله بشجاعته واقدامه ، فعمرت البلاد وأمن الناس وصلحت الطرق واستقام عز السلطان ، فوقف القرمطي من ذلك على ما هاله ، وكانت جواسيس أبي طاهر لا تنقطع عن العراق في صور مختلفة ، واتصل به أن أبا الهيجاء يهون أمره ويتمنى أن ينتدب لحربه ، فخاف ذلك ولم يأمنه .

ذكر اخذ ابي طاهر الحاج

واسره ابن حمدان وما كان من امره في اطلاقه

كانت هذه الحادثة في سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة، وذلك أن أبا طاهر بن أبي سعيد الجنابي القرمطي أنفذ رجلا من جواسيسه الى مكة في سنة احدى عشرة وثلاثمائة ، وقد خرجت قوافل الحاج مع أبي الهيجاء بن حمدان في تلك السنة ، فكان الجاسوس يقوم على المحجة فيقول : يا معشر الناس ادعوا على القرمطي عدو الله وعدو الاسلام، ويسأل عن أمير الحاج وفي كم هو وكم أرزاقهم ، ويسأل عمن خرج من التجار وما معهم من الاموال ، فكان ذلك دأبه حتى قضى الحج ، ثم خرج في أول النفر فأسرع الى سواد باهلة ، ثم الى اليمامة وصار الى الاحساء في أيام يسيرة ، فأخبر سليمان القرمطي بصورة الامر ، فوجه سليمان من يثل[2] الآبار بينه وبين لَبْنَه[3] وبعض آبار لبنه ويسوي حياضها ، وورد بعض الاعراب الى أبي الهيجاء — وهو بعيد ينتظر رجوع الحاج وذلك في آخر ذي الحجة من السنة — فأخبره أن آبار لبنه

---

(١) هو بني بن نفيس .

(٢) ثل البئر : اخرج ترابها (اقرب الموارد) .

(٣) واد لعمر بن كلاب كثير النخل وليس لبني كلاب بشيء من بلادها نخل غيره . معجم البلدان .

قد ثلث فاستراب بذلك ، وجاء بعض الأعراب بجلة[1] فيها قطعة من تمر هجر فتيقن أمر القرامطة ، فشغل ذلك قلبه ، وجاءه ما لم يقدره ولا ظنه ، فاضطرب من ذلك اضطرابا شديدا ؛ وورد حاتم الخراساني بقافلة الحاج من مكة ثاني ذلك اليوم ، ومعه قافلة عظيمة ، فزاد ذلك في شغل قلب أبي الهيجاء لخوفه عليه ، ولم يظهر ذلك لحاتم ولا لغيره ثم ارتحل فلم يعترض عليه ، فلما صار حاتم بالثعلبية أنهى اليه شيء من أخبار القرامطة وأنهم بلبنه .

وكان القرمطي رحل من بلده في ستمائة فارس وألف راجل، وسار حاتم فاجتاز بالهبير ليلا فلم ينزله ، وسار حتى نزل الشقوق ، وأغذ السير وسلمه الله ومن معه ، ونزلت بفيد قافلة أخرى من غد رحيل حاتم من الخراسانية ، ثم ساروا عنها حتى اذا كانوا بالهبير ظهر لهم أبو طاهر سليمان القرمطي ، فقتل بعضهم وأفلت البعض حتى وردوا الكوفة ، فاشتد خوف الناس بالكوفة على الحاج واضطربوا ، الا أن نفوسهم قوية بمقام أبي الهيجاء بفيد ، وكان أبو الهيجاء قد أنفذ رجلا طائيا يعرف له أخبار القرامطة ، يقال له مسبع بن العيدروس من بني سِنْبس ـ وكان خبيراً بالبر ،وتقدم اليه أن يسرع اليه بالخبر ويعدل عن الطريق ؛ ومعه جماعة قد أزاح عللهم في الرزق والمحمل ، فساروا حتى قربوا من لبنه فنزل اليهم فارسان ؛ فركبوا خيولهم وتلقوهما فتطاردوا ، وقصرا في الركض وهبطا واديا خلفهما وخرجا منه ، ولحقتهم الخيـل فساروا على أرض جدب ، فدفع عليهم نحو من سبعين فارسا ، فلم ينته حتى طعنت فيهم وضربت ، فرجع القوم على خيل مطرودة وخيول القرامطة مستريحة ، فبالغوا في دفعهم بكل جهد فلم تك الا ساعة حتى قتلوا جميعا ، وأسروا مسبعا دليل القوم فحملوه الى لبنه، فسأله القرمطي وقال : ان صدقتني أطلقتك، فلما أخبره أمر بحفظه، قال : ولم يمض لأبي الهيجاء يومان بعد ارسال الطليعة حتى وردت قوافل الحاج وأصحاب السلطان معها ، وفيها من الوجوه أحمد بن بدر ، عم السيدة أم المقتدر بالله ، وشفيع الخادم ، وفلفل الأسود صاحب خزانة السلطان ، واسحاق بن عبدالملك الهاشمي صاحب الموسم وغيرهم ، فأعلمهم أبو الهيجاء الخبر فأجالوا الرأي ، فقال لهم : قد أنفذت رجالا أثق بهم طليعة ، وأخذت عليهم ألا يرجعوا حتى يشربوا من

---

(1) الجلة بالضم قفة كبيرة للتمر (اقرب الموارد) .

لبنه والصواب التوقف عن الرحيل لتنظر ما يأتون به ، فعملوا على ذلك وأقاموا بفيد ستة أيام ، ونزلت القافلة الوسطى فيد وكثر الناس وغلت الاسعار ، ولم يقدروا على حشيش للعلف ولا خبز ، فضج الناس وأجمعوا على الرحيل فرحلوا عن فيد يوم الاحد ، وخلف أبو الهيجاء ابن أخيه علي بن الحسين بن حمدان بفيد ، في خيل ينتظرون الحاج الذي مع قافلة الشمسة ، قال : وكان الحاج قبل ذلك يسيرون قافلة بعد قافلة لكثرتهم ، ومن أراد أن يسير بعد الحاج سار ، ومن أراد أن يتخلف ليعتمر في الحرم تخلف،وكان الامر يحملهم على ذلك فيسيرون قافلة بعد قافلة،قال: ثم وردت قافلة الشمسة فيد، فجاءهم بعض التجار بخبر ما اتصل بأبي الهيجاء، وكان في القافلة أبو عيسى صالح بن علي الهاشمي ، وجماعة من العباسيين ، وأبو محمد بن الحسن ابن الحسين العلوي وعمر بن يحيى العلوي وغيرهما من الطالبيين وتجار الكوفة ، فتجلت حقيقة الاخبار من أمر القرامطة ، فاجتمعوا في مضرب أبو عيسى وتشاوروا ، فاجتمع رأيهم على المقام بفيد الى أن ترتحل القافلة ، ثم ينظروا لانفسهم في عرب يخرجون معهم الى الكوفة ، فأقام الناس بفيد يومهم ثم رحلوا بكرة ، فلما جاوزوا المنزل افتقد علي بن الحسين بن حمدان من تخلف من القافلة ، فسأل عنهم فأخبر بتخلفهم فرجع الى فيد ومعه بعض أصحابه فاجتمع بهم ، وسألهم عن تخلفهم فقالوا بأجمعهم لا نحب سلوك هذه الطرق ، ودافعوا عن الاخبار بسبب تخلفهم ، وقالوا له : أنت وعمك بريان منا ، قال : اكتبوا إليَّ خطوطكم بذلك ، ففعلوا ، وانصرف فسار بالناس فلما وصل الى عمه أبي الهيجاء عرفه ذلك ، فلامه عليه وقال : وددت أن جميع من ترى كان معهم ، قال : ولما سارت القافلة مع علي بن الحسين بن حمدان أحضر هؤلاء الذين تخلفوا بفيد ابن نزار وابن توبة تاجرين من أهلها ، فعرفوهم حاجتهم الى من يسلك بهم الى الكوفة على غير طريق الحاج ، فجمعوا لهم جماعة من سنبس وتوصلوا بهم الى بني زبيد من الطائيين ، ثم أخذوا ينزلون على العرب يقاتلون من قاتلهم ، ويصلون من استرفدهم ويبرون ويخلعون ، فسلمهم الله حتى وردوا الكوفة ، وذلك بعد شدائد عظيمة وقتال في مواضع ، ولم يسلم من الحاج غيرهم والقافلة الاولى التي كانت مع حاتم .

قال : ولما وصل علي بن الحسين بن حمدان الى عمه أبي الهيجاء اجتمعت القوافل ، وكثر الناس ، وتجلى لهم خبر القرامطة وصح ، فسار أبو الهيجاء بالناس

الى الخزيمية ثم الى الثعلبية ، ثم ساروا يريدون البطان[1] ، واجتمع الناس من أصحاب السلطان والرؤساء فتشاوروا، فلم يدع الامير أبو الهيجاء الاستغاثة بالقوم يقول : ارجعوا ودعوني ألقى القرامطة في أصحابي ، فان أصبت فمعكم من تسيرون معه ، والا فامضوا الى وادي القرى والمدينة أو غير ذلك ، وان ظفرت وجهت اليكم فعدتم وقد زال المحذور ، ولم يزل يردد عليهم هذا القول من الاجفر الى الثعلبية ، فمنهم من أجاب ومنهم من أبى ذلك وقال : لا نفترق ، وكان أحمد بن بدر عم السيدة أبى ذلك وصمم على الملازمة،فعمل ابن حمدان بما أرادوه دون رأيه، وبات الناس على أميال بقيت من البطان والاحمال على ظهور الجمال ، وذلك ليلة الاحد لايام خلت من صفر ، فلما أضاء لهم الفجر ارتحلوا ، وقدم أبو الهيجاء ستمائة راجل من الاولياء ، كان السلطان أبعدهم لكثرة شغبهم ببغداد فكانوا بين يدي القوافل ، وقارب بين القطر ودخل بعض الناس في بعض ، وتقدم نزار بن محمد الضبي فكان في أول القافلة في أصحابه خلف الرجالة ، وسار أبو الهيجاء في التغالبة والعجم في ميمنة القافلة ، وألزم الساقة وميسرة القافلة جماعة من الاولياء مع بعض الامراء ، واحتاط بكل ما أمكن •

سار فلما أضحى النهار أقبلت عليهم خيل القرامطة ، والقافلة في نهاية العظم جدا ، فكان أول من لقيهم رجالة أبي الهيجاء ، فحملت القرامطة عليهم فخالطوهم فقتلوا جميعا الا نحوا من عشرين رجلا ، وحمل نزار في جيشه فضارب بعض خيل القرامطة بالسيوف ساعة ، فلحقته ضربة فهوى الى الارض واعتنق فرسه ، ومضى نحو المشرق وتبعه بقية أصحابه ، فاستقاموا حتى وصلوا الى زبالة وساروا الى الكوفة ، فلما سمع الامير أبو الهيجاء الصوت وعرف الخبر وكان في آخر القافلة أسرع في خيله نحو أول القافلة ، فوجد الامر قد فاته بقتل من كان أمامها ، وقويت القرامطة على حربه ووجد الحاج قد أخذوا يمنة ويسرة ، فحمل على القرامطة فاستقبلوه فقتل جماعة من أهل بيته صبروا معه ، وانهزم وضرب على رأسه ضربة لم تضره الا أنه قد نزف منها ، وأخذ أسيرا ونزل أبو طاهر القرمطي على غلوتين من القافلة ، ورجالته نحو من ستمائة على المطي فأنفذهم وفرسانا من فرسانه فأحاطوا

---

(١) منزل بطريق الكوفة بعد الشقوق من جهة مكة دون الثعلبية ـ معجم البلدان .

بالقافلة ، ومنعوا الناس من الهرب ، وكان قد هرب خلق منهم في وقت القتال ، فتلف كثير منهم في الطريق عطشا وأخذ بعضهم الاعراب فسلبوهم ، وسلم قوم منهم الى زبالة وساروا الى الكوفة ، وأتي بأبي الهيجاء الى سليمان فلما نظر اليه تضاحك ، وقال : قد جئناك جيد الله ولم نكلفك قصدنا ، فتلطف له أبو الهيجاء بفضل عقله ودهائه وسعة حيلته وقوة نفسه ، وألان له القول حتى أنس به ، فاستأمنه على نفسه فأمنه فخلص بذلك ناسا كثيرا ، وعمل في سلامة كثير من الحاج عملا كثيرا .

ثم أمر القرمطي بتمييز الحاج واخراجهم من القوافل ، وعزل الجمالين والصناع ناحية فظنوا أنه انما أخرجهم للقتل فارتاعوا لذلك ، وكانوا قد عطشوا عطشا شديدا ، فلما جنهم الليل ضجر الموكلون منهم ، فأخذوا ما معهم وخلوهم ، فورد من ورد منهم الكوفة بشر حال متورمي الاقدام في صور الموتى ، ورحل أبو طاهر من الغد بعد أن أخذ من أبي الهيجاء وحده نحوا من عشرين ألف دينار من الاموال التي لا تحصى كثرة ، وقدم كثير من الناس بخبر أبي الهيجاء ، وأنه راكب مع القرامطة يدور معهم ويسأل في خلاص أسرى كانوا معه ، منهم أحمد بن بدر عم السيدة وفلفل الاسود وأحمد بن كشمرد ونحرير الخادم صاحب الشمسة وبدر الطائي وأخوه وغيرهم .

قال : وزادت غلبة أبي طاهر لاصحابه فتنة ، وعظموا أمره وسلب عقولهم حتى قالوا فيه أقوالا مختلفة بحسب جهلهم .

قال : ولما مضى لأبي الهيجاء شهور وهو عندهم أخذ يحتال في الخلاص ، فمرة يعرض به ومرة يفصح به حتى أنس القرمطي بذلك وأجابه اليه، فسأله في ابن كشمرد وقال : هو ضعيف لكبره وعلته ، وهذا الخادم الاسود ممن لا يضر السلطان فقده ولا ينفعه اطلاقه ، وكلمه في أحمد بن بدر فامتنع عليه ، فضمن له عشرين ألف دينار وبزاة وفهودا وعبدانا وثيابا ، فاستحلفه وضمنه ، وتخلص منه ناس كثير من الحاج ؛ وأطلقه ، وصار الى بغداد فتباشر الناس بذلك وابتهجوا به .

ذكر دخول ابي طاهر القرمطي الكوفة ورجوعه

كان أبو طاهر قد كتب الى الخليفة المقتدر بالله ـ بعد اطلاق أبي الهيجاء بن حمدان ـ يطلب منه البصرة والاهواز ، فلم يجبه الى ذلك ، فسار من هجر في سنة

اثنتي عشرة وثلاثمائة يريد الحاج عند توجههم الى الحجاز ، وكان جعفر بن ورقاء الشيباني يتقلد أعمال الكوفة وطريق مكة،فسار مع الحاج خوفا عليهم من أبي طاهر، ومعه ألف رجل من بني شيبان ، وسار مع الحجاج من أصحاب السلطان ثمل صاحب البحر وغيره في ستة آلاف رجل ، فلقي أبو طاهر الجيش فانهزموا منه ، وردّت القافلة الاولى هم وعسكر الخليفة بعد أن انحدروا من العقبة ، وتبعهم أبو طاهر الى باب الكوفة وبها يومئذ جنى الصفواني ، كان الخليفة قد أنفذه في جيش عظيم الى الكوفة ، وبها أيضا ثمل في جيش عظيم .

وأقبل أبو طاهر حتى نزل بظاهر الكوفة في يوم الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة ، وأقبل جني الى خندق الكوفة في عشية هذا اليوم ، وأهل البلد والعامة منتشرون على الخندق ، وجعفر بن ورقاء في بني شيبان نازل على القنطرة التي على الخندق مما يلي دور بني العباس ، وثمل على القنطرة التي تليها ، وجني مما يلي ذلك من ناحية يمنة الكوفة ، فناوشه الناس ، وخرج أبو محمد الحسن بن يحيى بن عمر العلوي فطارد بعض فرسانه ، وانكفأ أبو طاهر راجعا ، وبات الناس على تلك الحال وقد قوي الطمع فيه ، فلما كان الليل ورد كتاب السلطان يخاطب أبا محمد بن ورقاء في تدبير الجيش ، فعمل على لقاء جني الخادم ليعرفه ذلك ، فأشير عليه ألا يفعل فأبى ذلك ، ثم ركب يعرف جنيا ما كتب به اليه ، فأنف جني أن يكون تابعا وأسر ذلك في نفسه ، وباكرهم القرمطي بالقتال بعد أن أضحى النهار، فدخلت الرجالة وراء الفرسان بجيش خرس عن الكلام صمت وحركات خفية ، والبارقة فيهم ظاهرة في ضوء الشمس ، وهم يزفون عسكرهم زفا ، حتى اذا وصلوا الى عسكر السلطان مالوا على جيش ابن ورقاء وهو في مسيرة الناس ، فما تمهل بنو شيبان حتى انهزموا راجعين ، فعبروا القنطرة التي على الخندق الى جانب الكوفة وتبعوهم ، فصاروا من وراء جني وثمل فوضعوا السيف في الناس ، وجني جالس قبل ذلك على كرسي حديد يبين أنه لا يقاتل وكأنه يريد قتاله بعد الناس فأسروه ، وقاتله ثمل وقاومه وهو منهزم على محامله ومدافعة ، الى أن تخلص وسلم جعفر بن ورقاء وكثير من أصحابه، وقتل كثير من العامة وغيرهم في الطرقات، ووصل أبوطاهر الى البلد فرفع السيف ونهب منازل الناس ، وأقام بالكوفة ستة أيام بظاهرها يدخل

البلد نهارا ويقيم بجامعها الى الليل ، ثم يخرج فيبيت بعسكره ، وحمل منها ما قدر على حمله ، ودخل المنهزمون بغداد ولم يحجوا في هذه السنة ، وخاف أهل بغداد وانتقل الناس الى الجانب الشرقي •

قال : ورحل أبو طاهر عن الكوفة في يوم الاثنين لعشر بقين من ذي القعدة ، وقتل يوم دخوله أبو موسى العباسي صاحب صلاة الكوفة ورحل مؤنس المظفر من بغداد بجيش السلطان عند اتصال الاخبار ببغداد ، فسار منها حتى دخل الكوفة ، فكان وصوله اليها بعد رحيل القرامطة عنها ، فأقام بها ثلاثة أيام ثم رحل عنها ، ثم عاد القرمطي في سنة خمس عشرة •

ذكر دخول ابي طاهر القرمطي الى العراق
وقتل يوسف بن ابي الساج

قال : وفي سنة خمس عشرة وثلاثمائة سار أبو طاهر من هجر الى الكوفة ، وكان المقتدر بالله قد استعمل يوسف بن أبي الساج على حرب القرامطة ، فاستصعب ابن أبي الساج المسير الى بلد القرامطة ، وثقل مسيره في أرض قفر لكثرة من معه من العساكر ، فاحتال على أبي طاهر وكتب اليه واطمعه في بغداد ، وأظهر له المواطأة والتزم بمعاضدته فغره بذلك ، حتى رحل بعيال وحشم واتباع وصبية ، وجيشه على أقوى عدة تمكنه ، وأقبل يريد الكوفة وعميت أخباره عن أهلها ، انما هي أراجيف ، ورحل يوسف بن أبي الساج بجيشه من واسط يريد الكوفة ، فسبقه أبو طاهر اليها ودخلها في يوم الخميس لسبع خلون من شوال من هذه السنة ، وأخذ ما يحتاج اليه ونزل عسكره خارج الكوفة ما بين الحيرة الى ناحية الخورنق، وأقبلت جيوش ابن أبي الساج تسيل من كل وجه على غير تعبئة ، وأقبل هو في جيشه ورجاله حتى نزل في غربي الفرات ، وعقد عليه جسرا محاذيا لأبي طاهر ، وعبر اليه مستهينا بأمره مستحقرا له لا يرى أنه يقوم به ، وذلك في يوم الجمعة ، فأرسل الى أبي طاهر يدعوه الى طاعة الخليفة المقتدر بالله أو الحرب في يوم الاحد ، فقال : لا طاعة الا لله والحرب غدا ، فلما كان يوم السبت لتسع خلون من شوال سنة خمس عشرة التقوا واقتتلوا قتالا شديدا عامة النهار ، وكثير من عسكر ابن أبي الساج لم يستتم نزوله، وهو جيش يضيق عنه موضعه ولا يملك تدبيره ،وقد تفرق عنه عسكره تفرقاً منتشراً

في فراسخ كثيرة ، وركبوا من نهب القرى وأذى الناس واظهار الفجور ما تمنى كثير من الناس هلاكهم ٠

قال الشريف أبو الحسين : ولما لقيه بظهر الكوفة ما بين الحيرة والخورنق والنهرين من الفرات اتفق له تلول وأنهار وموضع يضيق عن جيشه ولا يتمكن معه الاشراف عليه ، فقدم بين يديه رجالة بالرماح والتراس مع قائد يعرف بابن الزرنجي، فأقبل القرمطي نحوه في أربعة آلاف فقاومته الرجالة طويلا ، ثم دخلتها الخيل وتعطفت عليها واضطرب الناس ، فوضع فيهم السيف ٠

قال الشريف : وأخبرني بعض الجند قال : كنت والله قبل الهزيمة أريد أن أضرب دابتي بالسوط فلا يمكنني ذلك لضيق الموضع ، ووصل كثير من عسكر القرمطي الى ابن أبي الساج في مصافه على أتم عدة ، فلما التقوا اقتتلوا كأعظم قتال شوهد ، وكثرت القتلى والجراح في القرامطة جدا ، وقتل رجالة ابن أبي الساج ، وخلص اليه فانهزم الناس وقتلوا قتلا ذريعاً ، حتى صاروا في بساط واحد نحو فرسخين أو أرجح ، فلما كان عند غروب الشمس انهزم أصحاب ابن الساج بعد صبر عظيم ، وأسر هو وجماعة كثيرة من أصحابه ، وذلك في وقت المغرب من يوم السبت، فوكل به أبو طاهر طبيبا يعالج جراحه،واحتوى القرامطة على عسكر ابن أبي الساج، ولم تكن فيهم قوة على جمع ما فيه لضعفهم وقتل من قتل منهم ، فمكث أهل السواد من الاكرة وغيرهم ينهبون القتلى نحو أربعين يوما ، ووصل المنهزمون الى بغداد بأسوأ حال ، فخاف الخاص والعام ببغداد من القرامطة ٠

وكان أبو طاهر القرمطي يظن أن مؤنسا المظفر لا يتأخر عن حربه ، وكان على وجل منه ، فلما لم يخرج اليه اشتد طمعه وظن أنه لا يلقاه أحد ولا يقاومه ، وأن ما كان قد خدع به — من أن ببغداد من يظاهره على أمره ، وينتظر وصوله اليه من الرؤساء — حق ، فخرج يريد بغداد ،فلما قرب من نواحي الانبار وقصر ابن هبيرة وزل بسواده وكل بهم جندا ليست بالكثير ، وركب في جيشه فوافى الانبار واحتال الى أن عبر الفرات وصار من الجانب الغربي ، وتوجه بين الفرات ودجلة يريد مدينة السلام ، وعرف الناس ذلك فكثر اضطرابهم وجزعهم ، فبرز مؤنس المظفر الخادم من بغداد للمسير الى الكوفة ، فبلغه أن القرامطة قد ساروا الى عين التمر ، فأرسل

من بغداد خمسمائة سمارية فيها المقاتلة لتمنع من عبور الفرات ، وسير جماعة من الجيش لحفظ الانبار ، وقصد القرامطة الانبار فقطع أهلها الجسور ، فنزلوا غرب الفرات وأنفذ أبو طاهر أصحابه الى الحديثة ، فأتوه بسفن فعبر فيها ثلاثمائة من القرامطة ، فقاتلوا عسكر الخليفة وقتلوا منهم جماعة واستولوا على الانبار .

قال : ولما ورد الخبر بذلك الى بغداد خرج نصر الحاجب في عسكر جرار ، ولحق بمؤنس المظفر فاجتمعا في نيف وأربعين ألفا سوى الغلمان ومن يريد النهب ، وكان في العسكر أبو الهيجاء بن حمدان واخوته وأصحابهم ، فلما أشرف القرامطة على عسكر الخليفة هرب منه خلق كثير الى بغداد من غير قتال .

قال ابن الاثير[1] : كان عسكر القرامطة ألف رجل وخمسمائة رجل ، منهم سبعمائة فارس وثمانمائة راجل ، قال : وقيل كانوا ألفين وسبعمائة فارس .

قال الشريف : وسار مؤنس المظفر حتى نازل القرامطة على قنطرة نهر زبارا ، على نحو ثلاثة فراسخ من بغداد ، وشحن الموضع بالجيش ، وأشار أبو الهيجاء بن حمدان بقطع القنطرة خوفا من عبور القرمطي ، وان اتفق أدنى جولة مع امتلاء صدور الجيش من القرامطة فلا يملك البلد لشدة اضطرابه وكثرة أهله، ففعل مؤنس ذلك وقطعها وقاتل عليها نفر من القرامطة قتالا شديدا ، لا يمنعهم كثرة النشاب ولا غيره ، وشحن مؤنس الفرات ما بين بغداد الى الانبار بسماريات ، فيها رماة ناشبة تمنع أحدا من القرامطة من شرب الماء إلا بجهد ، فضلا عن تمكن من العبور ، وكان أحد من نصب لذلك اسحاق بن ابراهيم بن ورقاء ، وكان شيخا ذا دين وبصيرة ونية في الخير ، فأقام على حصاره لأبي طاهر وكان لا يقدر على مذهب لا الى وجهه ولا الى جوانبه ، ومتى دنا من الماء أخذته السهام .

قال الشريف : فحدثني من حضر يومئذ وقد ورد كتاب المقتدر بالله ، يأمر مؤنسا بمعاجلته القتال ويذكر ما لزم من الاموال الى وقت وصوله ، فكتب مؤنس كتابا ظاهرا — جواب كتاب الخليفة — يمليه على كاتبه والناس يسمعون ، يقول :

---

(١) في الاصل « الف فارس وسبعمائة فارس وثمانمائة راجل » وهو وهم بالنقل صوابه ما اثبتناه عن المصدر نفسه — الكامل : ١٨٨/٦ .

ان في مقامنا ، أطال الله بقاء مولانا نفقة المال ، وفي لقائنا نفقة الرجال ، ونحن اخترنا نفقة المال على نفقة الرجال •

قال : ثم أنفذ المظفر مؤنس رسولا الى القرمطي يقول : ويلك ! تظن أنني كمن لقيك، أبرز لك رجالي والله مايسرني أن أظفر بك بقتل رجل مسلم من أصحابي، ولكنني أطاولك وأمنعك مأكولا ومشروبا حتى آخذك أخذا بيدي ان شاء الله •

قال : وأنفذ المظفر حاجبه يلبق في ستة آلاف مقاتل الى القرامطة ، الذين بقصر ابن هبيرة مع سواده ، ليوقعوا بهم ويخلصوا يوسف بن أبي الساج ، فعلم أبو طاهر بذلك فاضطرب واجتهد في عبور الفرات فعجز • ثم اتفق له طوق حطب فعبر عليه في نفر يسير ، وصار الى سواده الذي خلفه ، وجاءه يلبق فواقعه أبو طاهر في نفر يسير ، فكر يلبق راجعا منهزما وسلّم السواد وذلك بعد قتال شديد •

ونظر أبو طاهر الى ابن أبي الساج ــ وقد خرج من الخيمة ، ينظر ويرجو الخلاص ، وقد ناداه أصحابه : أبشر بالفرج ، فلما تمت الهزيمة أحضره أبو طاهر وقتله وقتل من معه من الاسرى •

وقصد القرامطة مدينة هيت وكان المقتدر قد سير اليها سعيد بن حمدان وهارون بن غريب ، فسبقوا القرامطة اليها وقاتلوهم عند السور ، فقتل من القرامطة جماعة فعادوا عنها ، فرجع مؤنس الى بغداد وسار أبو طاهر الى الدالية من طريق الفرات ، فقتل من أهلها جماعة ، ثم سار الى الرحبة فدخلها في ثامن عشر المحرم سنة ست عشرة وثلاثمائة ، بعد أن حاربه أهلها فظفر بهم ووضع السيف فيهم ، فراسله أهل قرقيسيا يطلبون الامان فأمنهم على الا يظهر أحد منهم بالنهار ، فأجابوا الى ذلك ، وخافه الاعراب وهربوا من بين يديه ، فقرر عليهم آتاوة عن كل رأس دينار يحملونه الى هجر ، ثم صعد من الرحبة الى الرقة فدخل أصحابه الى نصيبين، وقتلوا بها ثلاثين رجلا وقتل من القرامطة جماعة ، وقاتلوا ثلاثة أيام ثم انصرفوا في آخر ربيع الاول ، وساروا الى سنجار ونهبوا فطلب أهل سنجار الامان فأمنهم ، ثم عاد الى الرحبة ، ووصل مؤنس الى الرقة بعد انصراف القرامطة عنها ، فاحتال مؤنس في ارسال زواريق فيها فاكهة قد جعل فيها سموما قاتلة ، فكانت القرامطة يلقونها فيأخذونها ، فمات كثير منهم وضعفت أبدان بعضهم ، وجهدوا وكثر فيهم الذرب

فكروا راجعين وهم قليلو الظهر مرضى، فلما بلغوا هيت قاتلهم أهلها من وراء السور فقتلوا منهم رئيسا كبيرا وانصرفوا عنهم مفلولين •

ثم رحل أبو طاهر فدخل قصر ابن هبيرة فنهب وقتل ، ثم دخل الكوفة على حال ضعف وعال وجراحات ، وأصحابه على ظهور حُمُرِ أهل السواد ، وكان دخوله إليها يوم الجمعة لثلاث ليال خلت من شهر رمضان سنة ست عشرة وثلاثمائة ، فأقام بها الى مستهل ذي الحجة من السنة ، ولم يقتل في البلد ولا نهب ، وساس أهل الكوفة أمرهم مع القرامطة ، ورحل أبو طاهر عن الكوفة في ذي الحجة سنة ست عشرة وثلاثمائة •

ذكر اخبار من ظهر من القرامطة بسواد العراق في اثناء وقائع ابي طاهر الجنابي

قال ابن الاثير[1] والشريف أبو الحسين ــ وقد لخصت من روايتيهما ما أورده، ودخل خبر بعضهم في خبر بعض ــ ولما كان من أمر أبي طاهر في سنة ست عشرة وثلاثمائة ما قدمناه ، اجتمع بالسواد ممن يعتقد مذهب القرامطة وكان يكتمه خوفا فظهروا واجتمع منهم بسواد واسط أكثر من عشرة آلاف ، وولوا عليهم رجلا يسمى حريث بن مسعود ، فخرج اليه الامير بواسط فنام عسكره في بعض المواضع، فكبسه القرامطة فقتلوا منهم خلقا ، واستولوا على سائر ما حواه العسكر من السلاح وغيره فقوي أمرهم •

واجتمعت طائفة أخرى بعين التمر في جمع كثير،فولوا عليهم رجلا يسمى عيسى ابن موسى[2] ، وكانوا يدعون الى المهدي، فسار عيسى بن موسى الى الكوفة ونزل بظاهرها ، وجبى الخراج وصرف العمال عن السواد وكان والي الكوفة قد هرب منها قبل دخولهم ، ووجهوا الى جميع السواد من يطالبهم بالرحيل اليهم ، فخرج اليهم من بين راغب وراهب ، ففرقوا العمال في الطساسيج ، وولوا المعاون لقوم من

(١) الكامل : ٦/١٩١ ـ ١٩٢ •
(٢) في صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد ص ١٣٧ (ط. اوروبا) انه : ابن اخت عبدان القرمطي •

وجوه عشائرهم ، وولوا ابن أبي البوادي الكوفي خراج الكوفة ، ونصبوا بعض بني ربيعة واليا لحربها ، وأقاموا في البلد أياما وراحوا الى الجمعة بأجمعهم، وأقاموا أبا الغيث بن عبدة خطيباً ، وأحدثوا في الأذان ما لم يكن فيه ، فركب اليهم أبو علي عمر بن يحيى العلوي وعيسى بن موسى نازل على شط الفرات في بعض الايام ، فأظهروا الاستطالة على أبي علي بن يحيى وأنقصوا رتبته ، وأقيم وحجب أوقاتاً طويلة ، فخرج أبو علي الى السلطان وذكر له صورة أمر القوم ، وقرر في نفسه أخذهم ، فأنفذ السلطان معه صافي النصري في جيش وضمن أبو علي معاونته ، وكان هؤلاء قد خرجوا من الكوفة وخلفوا واليهم عليها وصاحب خراجهم ، وقصدوا موضعا يعرف بالجامع وما يليه فنهبوا واستباحوا ، ووثب أهل الكوفة بعد خروجهم على من خلفوه عندهم ، فقتلوا منهم جماعة وأخرجوا من بقي ، واتصل الخبر بالقرامطة فانكفأوا راجعين يريدون الكوفة ليقاتلوا أهلها ، فاجتمع الناس وحملوا السلاح وحفظوا البلد وطافوا به ليلا ونهارا مدة أيام ، وجاءت القرامطة فنزلوا على الكوفة ولم يكن لهم فيها مطمع فساروا الى مسورا ، وقدم أبو علي العلوي وصافي النصري من بغداد ، فواقعهم على نهر بقرب اجهاباذ يعرف بنهر المجوس ، فلم يكن بينهم كبير قتال حتى هزمهم الله تعالى ، فقتل منهم ما لا يحصى وغرق منهم قوم وهرب الباقون ، وتفرقوا وأسر عيسى بن موسى وخلق كثير معه وأعمى كان من دعاتهم كان يقول الشعر يعرف بأبي الحسن الخصيبي ، ودار أبو علي في السواد فتلقط منهم قوما ، فسكن البلد وتفرق ذلك الجمع ولم يبق لهم بقية قائمة ، وحملت الاسرى والرؤوس الى بغداد فقتل الاسرى بباب الكناسة وصلبوا هناك ، وحبس عيسى بن موسى ثم تخلص بغفلة السلطان وحدوث ما حدث من اضطراب الجيش وكثرة الفتن في آخر أيام المقتدر ، وأقام ببغداد يدعو ويتوصل الى ناس استغرهم ، ويعمل كتبا يجمع فيها ما يأخذه من كتب يشتريها من الوراقين ، يمخرق فيها بذكر أمور ينسخها ويوهم أن له بذلك علما ، ورتب كتبا ينسبها الى عبدان الداعي، ليوهم أن عبدان كان أحد العلماء بكل فلسفة وغيرها ، وأنه يعلم ما يكون قبل كونه ، ومخرق بجهده على جهال فصاروا له أتباعا ، وأفسد فسادا عظيما ، قال الشريف : وادعى خلافته من مخرق بعده الى الآن .

وحكى ابن الاثير في تاريخه الكامل[1] : أن الخليفة المقتدر بالله أرسل الى حريث بن مسعود ، هارون بن غريب والى عيسى بن موسى صافي النصري ، فأوقعوا بهم وانهزمت القرامطة وقتل أكثرهم وأسروا وأخذت أعلامهم وكانت بيضاء وعليها مكتوب (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين)[2] فدخلت بغداد منكوسة ، واضمحل أمر القرامطة بالسواد .

نعود الى أخبار أبي طاهر

ذكــر مسير ابي طاهر الى مكــة شرفهــا الله ونهبها واخــذ الحجر الاسود واعادتــه وما كان مــن اخبــاره في خــلال ذلــك

وفي سنــة سبع عشرة وثلاثمائة حــج بالناس منصور الديلمي ، وسلموا في مسيرهم حتى أتوا مكة ، فوافاهم أبو طاهر القرمطي بمكة يوم التروية ، وهو يوم الاثنين لثمان خلون من ذي الحجة ، فنهب هو وأصحابه أموال الحجاج وقتلوهم حتى في المسجد الحرام والبيت ، وقلعوا الحجر الاسود وأنفذوه الى هجر ، وأخذوا كسوة الكعبة وباب البيت ، وطلع رجل منهم ليقلع الميزاب فسقط فمات ، وخرج أمير مكة ابن مجلب في جماعة من الاشراف الى أبي طاهر ، وسألوه في أموالهم فلم يشفعهم فقاتلوه فقتلهم جميعا وطرح القتلى في بئر زمزم ، ودفن الناس في المسجد الحرام حيث قتلوا من غير غسل ولا كفن ولا صلاة على أحد منهم ، ونهب دور أهل مكة .

قال الشريف أبو الحسين : ولما نهب القرامطة مكة ورجع أبو طاهر الى بلده لحقه كد شديد عند خروجه من مكة ، وحاصرته هذيل فأشرف على الهلكة الى أن عدل به دليل من الطريق المعروف الى غيره ، فوصل الى بلده بعد ذلك في المحرم سنة ثماني عشرة وثلاثمائة ، فأقام به ثم سار الى الكوفة فدخلها في شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة ، فاشتروا منها أمتعة وأسروا خلقا من السواد ، وعاثوا ورجعوا بعد خمسين يوما الى بلدهم ، فأقاموا به .

---

(1) الكامل : ١٨٦/٦ ـ ١٩٢ .

(2) سورة القصص : ٥ .

وأنفذ أبو طاهر سرية الى جنابة وسينيز ومهروبان في البحر فيها وجوه أصحابه في نحو أربعين مركبا ، فوافت ساحل سينيز فصعدوا من المراكب ، فحملوا على أهلها حملة واحدة فانكشف الناس عنهم ، فوضعوا فيهم السيف فمالقوا أحدا الا قتلوه من رجل وامرأة ، فما نجا الا من لحق بالجبال وسبوا النساء ، فترك الناس الديار وخرجوا يريدون الهرب ، فنادى أبو بكر الطرازي في الناس : لا يهرب أحد ، فانا نقاتل من ورد الينا ، وضرب بالبوق ووجه من حبس الناس عن سلوك الطرقات وردهم الى البلد ، وجمع الناس بالمسجد الجامع ورغبهم في الجهاد وأسعفهم بماله ، ورغبت المتطوعة في الاجتماع فقويت قلوب الناس ، وأنفذ أبو بكر سرية من وقته من خاصة غلمانه في نحو ثلاثمائة رجل في البحر ، ووجه سرية أخرى في البر ، وأنفذ الى مهروبان يخبر أنه على لقاء العدو ، وسألهم الإنجاد في المراكب لمعاونة أهل جنابه على قتال القرامطة ، فساروا والتقى الفريقان في البر والبحر من أهل جنابة وسينيز . ووافت قوارب مهروبان فأشعلوا النيران في القوارب ، فأحرقوا بعضها وتخلص منهم نحو عشرين قاربا ، وانتشبت الحرب فقتل الله منهم خلقا كثيرا ، وأسر جماعة ولحق بعضهم بالجبال ، وورد على أبي بكر الطرازي من أخبره بذلك ، فجمع الناس وغدا نحو الجبال ، وأرسل فارسا الى من بسينيز من أصحابه أن يلحقوا به ، وأنفذ الى جنابة ألا يتخلف عنه من فيه حراك لتكون الوقعة بهم من كل وجه ، فوافوا المنهزمين من القرامطة في بعض كهوف الجبال ، وذلك في يوم الاربعاء فلما رأوا الناس قد أقبلوا نحوهم كسروا جفون سيوفهم ، وحملوا عليهم فثبتوا لهم ، ولم تزل الحرب قائمة بينهم يوم الاربعاء والخميس الى نصف النهار ، ثم نادى أبو بكر الطرازي : من جاء برأس فله خمسون درهما ، فتنادى الناس بالشهادة وجدوا ونشطوا ، وقتلوا خلقا كثيرا وأخذوا جميع من بقي أسرى ، وحملوا مشهَّرين والناس يكثرون حمد الله عز وجل والثناء عليه ، ولم يفات منهم أحد .

وكتب الناس محضرا أنفذوه الى بغداد ، وحملت الاسرى والرؤوس معه .

قال الشريف : ونسخة المحضر :

بسم الله الرحمن الرحيم — حضر من وقع بخطه وشهادته آخر هذا الكتاب المحضر ، وقد حضر عندهم ثلاثة من القرامطة — لعنهم الله — ذكر أحدهم أنه يقال له — سيار بن عمر بن سيار ، والاخر ذكر أنه يقال له — علي بن محمد بن عمر ،

والاخر ذكرأنه يعرف بأحمد بن غالب بن جعفر الاحساوي ، فذكروا أنهم متى تفذ رسولهم الى صاحبهم سليمان بن الحسن القرمطي رد الحجر والشمسة وكسوة البيت وأطلق الاسارى الذين في قبضته، وهادن السلطان وارتدع عن السعي بالفساد والقطع على الحاج ، ولم يحفزهم ولم يعترض عليهم ، ويقول هؤلاء النفر من جملة الاسرى الذين في يد محمد بن علي الطرازي ــ وهم الذين ظفر الله بهم ــ فمتى ما وفى سليمان بن الحسن القرمطي بما بذلوه عنه أفرج السلطان عنهم وردهم اليه ، وذلك في يوم الجمعة لعشر خلون من جمادى الاخرة سنة احدى وعشرين وثلاثمائة، وأسفل ذلك خطوط أهل البلد بالشهادة .

وأحضر سيار بن عمر بن سيار وعلي بن محمد بن عمر المعروف بأبي الهذيل بن المهلب وأحمد العيار ، وهم من جملة الاسرى في الوقعتين بسينيز وجنابه ، فعرض عليهم رؤوس أصحابهم ممن قتل من القرامطة ، ليعرفوا بأسمائهم وأنسابهم فذكروا نحو المائة رأس ، ومن الاسرى نحوهم ، وحملوا الى بغداد فحبسوا وأجرى عليهم، ويقال انه قد كان فيهم من اخوة سليمان بن الحسين من كتم أمره .

وحدثني ابن حمدان أنهم كانوا بعد خلاصهم ومصيرهم الى أبي طاهر يتحدثون: أن كثيرا من الكبراء وغيرهم كانوا يرسلون اليهم ما يتقربون به الى قلوبهم ، وذكروا أنهم كانوا يكثرون الخشوع وذكر النبي ﷺ وتعظيمه واقامة الصلاة ، قال : ويضحكون من فعلهم هذا وخديعتهم الناس ، قال : ويضحك أبو طاهر واخوته مما يتحدثون به .

قال : وكان سبب تخلص هؤلاء الاسرى أن أبا بكر بن ياقوت كتب في المهادنة، وجرى بينهم خطوب في المراسلة الى أن وافقهم أن يردوا الحجر الاسود ويخلوا الاسرى ولا يعرضوا للحاج ، فجرى الامر على ذلك .

قال الشريف : وفي سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة دخل القرمطي الكوفة ، واستقبل لؤلؤا الامير خارجا بالحاج في ذي القعدة ، فرجع بهم لؤلؤ الى الكوفة وتفرقوا فيها ، بعد أن واقعته الخراسانية فلم يقدر على مقاومتهم وامتنعوا منه ، الا أن الناس تسربوا وافترقوا ، فظفر بمن ظفر منهم فلم يكثر القتل وأخذ ما وجد ، وأشار بعض أهل الكوفة على بعض أصحابه في هذه السنة ــ عند نزولهم بالكوفة ــ

أن يسار في الحاج بغير ما يجري فيهم ، فقال الرجل : الذي من أصحاب القرمطي : والله ما ندري ما عند سيدنا أبي طاهر ، من تمزيق هؤلاء الذين من شرق الارض وغربها ، واتخاذهم ومن وراءهم أعداء، وما يفوز بأكثر أموالهم الا الاعراب والشراد من الناس ، قال الكوفي : فلو أنه حين يظفر بهم دعاهم أن يؤدي كل رجل دينارا وأطلقهم وأمنهم لم يكره أحد منهم ذلك وخف عليهم وسهل ، وحج الناس من كل بلد لأنهم ظماء الى ذلك جدا ، ولم يبق ملك الا كاتبه وهاداه واحتاج اليه في حفظ أهل بلده وخاصته ، فجبى في كل سنة ما لا يصير الى سلطان مثله من الخراج ، واستولى على الارض وانقاد له الناس ، وان منع من ذلك السلطان اكتسب المذمة ، وصار عند الناس هو المانع من الحج ، فاستصوب رأيه وفرج عنه ، لأن أصحاب أبي طاهر كان قد ظهر منهم اضطراب عليه وقلت طاعتهم له ، قال : حتى لقد سمعت بعضهم وقد لحقه فارس من العرفاء يركض ويدور في الكوفة ويقول : ارجع الى العسكر فان السيد يأمرك بذلك،فذكر أمه بقبيح من الشتيمة بعد أن كانوا يعبدونه.

قال : ولما سمع رئيس القرامطة كلام الكوفي وما أشار به من أمر الحاج وما جرى من الكلام في ذلك دخل الى أبي طاهر فعرفه ما جرى ، فبادر من وقته ونادى في الناس بالامان ، وأحضر الخراسانية وقرر معهم أنهم يحجون ويؤدون اليه المال في كل سنة ، ويكونون آمنين على أنفسهم وأموالهم فلم يأمنوا له ، فسلم سياسة أمرهم الى أبي علي عمر بن يحيى العلوي ، واستقر للقرامطة ضريبة ورسم على سفر الحاج .

قال الشريف: ولما كان في سنة خمس وعشرين وثلاثمائة كبس أبو طاهر الكوفة عشية ، وفيها شفيع اللؤلؤي أمير ، فهرب من مجلسه والناس عنده ، ورمى بنفسه من سطحه واستتر عند امرأة ضعيفة ، وظهر الجند من الطرقات فقاوموا من لحقهم من جيشه،وامتنع أكثرهم منه وخرجوا سالمين الا نفرا منهم أصيبوا ، ووجه أبوطاهر الى شفيع اللؤلؤي فأمنه وأحضره ، فحضر اليه وقدم اليه طعاما يأكله ، وطلبت مائدة يأكل عليها ، فقيل ما يحضر الا مائدة نهبت من داره ، فقال أبو طاهر : قبيح أن يراها فافرشوها بالرقاق لكي لا يعرفها ، ففعلوا ذلك وقدمت اليه ، وكان يحمل الى أبي طاهر صفحة صفحة مما يقدم اليه ، فينظر اليها أولا وينفذها اليه وكان ذلك لدنائته ومهانته ، وتفرق أصحابه عنه وقلت طاعتهم له فاحتاج الى المداراة ، فوجه

الى شفيع من يخاطبه في أن يمضي الى السلطان ، ويعرفه أنهم صعاليك لا بد لهم من أموال ، وأنه ان أعطاهم مالا لم يفسدوا عليه شيئا وخدموه فيما يلتمسه ، وان أبى ذلك لم يجدوا بدا من أن يأكلوا بأسيافهم وسيره أبو طاهر ووصله ، وخرج شفيع الى السلطان فقدم الى القرمطي أبو بكر بن مقاتل من قبل السلطان يناظره ، ففت في عضده وملأ صدره من السلطان وأتباعه،فزاده ذلك انكسارا وذلة وسار عن الكوفة.

وفي سنة ست وعشرين وثلاثمائة فسدت رجال القرامطة وقتل بعضهم بعضا ، وسبب ذلك أنه كان منهم رجل يقال له ابن سنبر،وهو من خواص أبي سعيد الجنابي المطلعين على سره ، وكان له عدو من القرامطة اسمه أبو حفص الشريك ، فعمد ابن سنبر الى رجل من أصفهان ، وقال له : اذا ملكتك أمر القرامطة تقتل عدوي ، فأجابه الى ذلك وعاهده عليه،فأطلعه على أسرار أبي سعيد وعلامات كان يذكرها في صاحبهم الذي يدعو اليه ، فحضر اليه أولاد أبي سعيد فذكر لهم العلامات ، فقال أبو طاهر : هذا هو الذي ندعو اليه ، فأطاعوه ودانوا له حتى كان يأمر الرجل منهم بقتل أخيه فيقتله ، وكان اذا كره رجل منهم يقول، انه مريض — يعني قد شك في دينه ويأمر بقتله ، وبلغ أبو طاهر أن الاصفهاني يريد قتله لينفرد بالامر ، فقال لاخوته : قد أخطأنا في هذا الرجل وسأكشف حاله ، فقال له : ان لنا مريضا فانظر اليه ليبرأ ، وأضجعوا والدتهم وغطوها بازار ، فلما رآها قال : ان هذا المريض لا يبرأ فاقتلوه ، فقالوا : كذبت ، هذه والدتنا ثم قتلوه ، وذلك بعد أن أفنى أكثر أكابرهم بالقتل .

ذكر وفاة ابي طاهر بن ابي سعيد الجنابي واخيه وقيام اخويهما بعده

قال : وفي سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة هلك أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد وأخوه أبو منصور بجدري أصابهما ، وملك التدبير بعده أخواه أبو القاسم وهو أكبرهم ، وأبو العباس ، وكانا يتفقان معه على تدبير الامر ، وكان لهم أخ آخر لا يختلط بهم لاشتغاله بالشرب واللهو ، قال : وشركهما في تدبير الامر ابن سنبر .

ذكر إعادة القرامطة الحجر الاسود الى الكعبة شرفها الله تعالى

قال : وفي سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة أراد القرامطة أن يستميلوا أهل الاسلام، فحملوا الحجر الاسود وأتوا به الكوفة ، فنصبوه في المسجد الجامع على الاسطوانة السابعة في القبلة مما يلي صحن المسجد حتى يراه الناس ، ثم حملوه الى مكة شرفها الله تعالى ، وقالوا : أخذناه بأمر ورددناه بأمر .

قال ابن الاثير وكان بجكم الرائقي قد بذل لهم فيه خمسين ألف دينار ، فلم يردوه وردوه الآن بغير شيء ، وذلك في ذي القعدة من السنة ، فكان مكثه عندهم اثنتين وعشرين سنة الا أياما .

وحكى ابن الاثير في سبب رده : أن عبد الله المنعوت بالمهدي القائم ببلاد المغرب والمستولي عليها كتب الى القرمطي ينكر فعله ويلومه ويلعنه ، ويقول أخفقت علينا سعينا وأشهرت دولتنا بالكفر والالحاد بما فعلت ، ومتى لم ترد على أهل مكة ما أخذته وتعيد الحجر الاسود الى مكانه وتعيد كسوة الكعبة فأنا بريء منك في الدنيا والآخرة ، فلما وصل هذا الكتاب أعيد الحجر الى مكة شرفها الله تعالى[1] .

ذكر ملك القرامطة دمشق وسيرهم الى الديار المصرية ومحاصرة من بها ورجوعهم عنها

قال الشريف أبو الحسين رحمه الله تعالى : وفي سنة ستين وثلاثمائة سار الحسن بن أحمد بن سعيد الجنابي ، وهو الذي انتهى اليه أمر القرامطة ، من بلده الى الكوفة ، وعزم على قصد الشام وسبب ذلك أنه كان قد تقرر للقرامطة في الدولة الاخشيدية من مال دمشق في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار ، فلما ملك المعز لدين الله العبيدي الديار المصرية ، واستولى جعفر بن فلاح على الشام ، علموا أن ذلك يفوتهم ، فسار الحسن بن أحمد الى الكوفة ، وراسل بختيار الديلمي أحد ملوك الدولة البويهية ، في طلب السلاح والمساعدة ، فأنفذ اليه خزانة سلاح من بغداد وسبب له على أبي تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان بأربعمائة ألف درهم ، فرحل

---

(١) الكامل : ٢٠٤/٦ .

الحسن من الكوفة حتى أتى الرحبة وعليها أبو تغلب بن حمدان ، فحمل اليه المال المسبب له به عليه وحمل إليه الملوفة ، وأرسل اليه يقول : هذا شيء كنت أردت أن أسير أنا فيه بنفسي ، وأنت تقوم مقامي فيه ، وأنا مقيم في هذا الموضع الى أن يرد علي خبرك ، فان احتجت الي مسيري سرت اليك ، ونادي في عسكره: من أراد المسير من الجند الاخشيدية وغيرهم الى الشام مع الحسن بن أحمد فلا اعتراض عليه ، فقد أذنا له في المسير والعسكران واحد ، فخرج الى عسكر القرمطي جماعة من عسكر أبي تغلب ، وكان فيه كثير من الاخشيدية الذين كانوا بمصر وفلسطين ، صاروا اليه لما انهزموا من المغاربة عند ملكهم الديار المصرية بعد الدولة الاخشيدية .

قال : وسبب مظاهرة ابن حمدان للقرمطي أنه كان قد وقع بينه وبين جعفر بن فلاح مراسلات ، أغاظ جعفر فيها على أبي تغلب وتهدده بالمسير اليه ، فلما أرسل أبو تغلب الى الحسن بن أحمد هذه الرسالة ومكن الجند من المسير معه سره ذلك وزاد قوة ، وسار عن الرحبة وقرب من أرض دمشق ووصل الى ضياع المرج ، فظفرت خيله برجل مغربي يقال له علي بن مولاه ، فقتلوه وقتلوا معه جماعة من المغاربة فوقعت الذلة على المغاربة ، وكان ظالم بن موهوب العقيلي على مقدمة القرامطة في جمع من بني عُقيل وبني كلب،فلقي المغاربة في صحراء المزة وأقبل شبل بن معروف العقيلي معينا لظالم ، ولم يزل القتال بينهم الى أن أقبل الحسن بن أحمد القرمطي فقوي العقيليون ، وتشمرت المغاربة ولم يزل القتال الى العصر ، ثم حمل ظالم ومن معه فانهزمت المغاربة وأخذهم السيف وتفرقوا ، وقتل جعفر بن فلاح ولم يعرف ، واشتغلت العرب بنهب العسكر ، وكانت هذه الوقعة في يوم الخميس لست خلون من ذي القعدة سنة ستين وثلاثمائة .

فلما كان بعد الوقعة عثر بجعفر بن فلاح من عرفه وهو مقتول مطروح على الطريق ، فاشتهر خبره في الناس ، ثم نزل الحسن بن أحمد بعد الوقعة على ظاهر المزة فجبى مالا من البلد وسار يريد الرملة ، وكان جوهر القائد قد أنفذ من مصر رجلا من المغاربة يقال له سعادة بن حيان ذكر أنه في أحد عشر ألفا ، فلما بلغ ابن حيان أن ابن فلاح قد قتل ، وجاءه بعد ذلك قوم من المنهزمين فأخبروه بخبر الواقعة، تحير وتقطعت به الاسباب ، فلم تكن له جهة غير الدخول الى يافا ، ولم يكن له بها عدة ولا دار ، فلما دخل اليها جاءه الحسن بن أحمد فنزل عليها ، واجتمعت اليه عرب

الشام فنازلها وناصبها بالقتال ، حتى اشتد الحصار وقلّ ما بها جدا ، وكان يدخل اليها شيء سرا فجعل عليها حرسا ، فمن وجد معه شيء من الطعام يريد الدخول به الى يافا ضربت عنقه .

فلما طال بهم الامر أكلوا دوابهم وجميع ما عندهم من الحيوان ، ثم هلك أكثرهم من الجوع ، وكان الحسن بن أحمد قد سار عن يافا نحو مصر ، وخلف على حصارها أبا المنجا وظالما العقيلي ونزل على مصر يوم الجمعة مستهل شهر ربيع الاول سنة احدى وستين وثلاثمائة ، فقاتل المغاربة على الخندق الذي لمدينتهم ، وقتل كثيرا منهم خارج الخندق وحاصرهم شهورا ، ثم رحل عنها الى الاحساء ولم يعلم الناس ما كان السبب في ذلك .

فلما تيقنت المغاربة أنه قد رحل الى بلده أنفذ جوهر القائد ابن أخته نحو يافا ، وبلغ من عليها يحاصرها أن الحسن بن أحمد رحل عن مصر ، وأن ابراهيم ابن أخت جوهر خارج يريد يافا ، فسار القوم عنها وتوجهوا نحو دمشق ، فنزلوا بعسكرهم على ظاهرها ، فجرى بين ظالم وأبي المنجا كلام وخلاف ذكر أنه بسبب أخذ الخراج ، وكان كل واحد منهما يريد أخذه للنفقة في رجاله ، وكان أبو المنجا كبيرا عند القرمطي يستخلفه على تدبير أحواله .

قال : ولما رحل القوم عن يافا الى دمشق جاءها ابراهيم ابن أخت جوهر القائد ، فأخرج من كان بها وسار بهم الى مصر ، ورجع الحسن بن أحمد فنزل الرملة ، ولقيه أبو المنجا وظالم فذكر أبو المنجا للحسن بن أحمد ما جرى من ظالم وما تكلم به ، فقبض عليه ولم يزل محبوسا حتى ضمنه شبل بن معروف فخلى سبيله ، فهرب الى شط الفرات الى حصن كان له في منزل بني زياد .

ثم ان الحسن بن أحمد طرح مراكب في البحر وجعل فيها رجالا مقاتلة ، وجمع كل من قدر عليه من العرب وغيرهم وتأهب للمسير الى مصر ، وكان جوهر يكتب الى المعز لدين الله الى القيروان بما جرى على عسكره ، من القتل والحصار ، وأن الحسن بن أحمد يقاتلهم على خندق عسكرهم ، وقد أشرف على أخذ مصر فقلق من ذلك قلقا شديدا ، وجمع من يقدر عليه وسار الى مصر ، وهو يظن أنها تؤخذ قبل أن يصل اليها ، فدخلها في يوم الثلاثاء لخمس خلون من شهر رمضان سنة

اثنتين وستين وثلاثمائة وكان شديد الخوف من الحسن بن أحمد ، فلما نزل مصر عزم على أن يكتب الى الحسن بن أحمد كتابا يعرفه فيه أن المذهب واحد ، وأنهم منهم استمدوا ، وأنهم ساداتهم في هذا الامر ، وبهم وصلوا الى هذه المرتبة وترهّب عليه ، وكان غرض المعز لدين الله العبيدي في ذلك أن يعلم من جواب القرمطي ما في نفسه ، وهل خافه لما وافى مصر أم لا ؟ قال : والحسن بن أحمد يعرف أن المذهب واحد ، لأنه يعلم الظاهر من مذهبهم والباطن ، لأن الجميع اتفقوا على تعطيل الخالق واباحة الأنفس والأموال وبطلان النبوة ، فهم متفقون على المذهب ، وإذا تمكن بعضهم من بعض يرى قتله ولا يبقي عليه .

قال الشريف : وكان عنوان الكتاب :

من عبد الله ووليه وخيرته وصفيه معد أبي تميم بن اسماعيل المعز لدين الله أمير المؤمنين ، وسلالة خير النبيين ونجل علي أفضل الوصيين الى الحسن بن أحمد ، ونسخة الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم :

رسوم النطقاء ومذاهب الائمة والانبياء ومسالك الرسل والاوصياء ، السالف والآنف منا صلوات الله علينا وعلى آبائنا ، أولي الايدي والابصار في متقدم الدهور والاكوار وسالف الازمان والاعصار عند قيامهم بأحكام الله ، وانتصابهم لأمر الله ، بالابتداء بالاعذار والانتهاء بالانذار ، قبل انفاذ الاقدار في أهل الشقاق والاصرار ، لتكون الحجة على من خالف وعصى ، والعقوبة على من بان وغوى ، حسبما قال الله جل وعز (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)[1](وان من أمة الا خلا فيها نذير)[2] وقوله سبحانه (قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)[3] (فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق)[4] .

---

(١) سورة الاسراء : ١٥ .

(٢) سورة فاطر : ٢٤ .

(٣) سورة يوسف : ١٠٨ .

(٤) سورة البقرة : ١٣٧ .

أما بعد أيها الناس : فانا نحمد الله بجميع محامده ونمجده بأحسن مماجلة ، حمدا دائما أبدا ، ومجدا عاليا سرمدا ، على سبوغ نعمائه وحسن بلائه ، ونبتغي اليه الوسيلة بالتوفيق والمعونة ، على طاعته والتسديد في نصرته ، ونستكفيه ممايلة الهوى والزيغ عن قصد الهدى، ونستزيد منه اتمام الصلوات وافاضة البركات وطيب التحيات ، على أوليائه الماضين وخلفائه التالين ، منا ومن آبائنا الراشدين المهديين المنتخبين ، الذين قضوا « بالحق وكانوا به يعدلون »(١) .

أيها الناس (قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها)(٢) ليتذكر من تذكر وينذر من أبصر واعتبر ، أيها الناس : ان الله جل وعز اذا أراد أمرا قضاه ، واذا قضاه أمضاه ، وكان من قضائه فينا قبل التكوين أن خلقنا أشباحا ، وأبرز أرواحنا بالقدرة مالكين ، وبالقوة قادرين ، حين لا سماء مبنية ، ولا أرض مدحية ، ولا شمس تضيء ، ولا قمر يسري ، ولا كوكب يجري ، ولا ليل يجن ، ولا أفق يكن ، ولا لسان ينطق ولا جناح يخفق ، ولا ليل ، ولا نهار، ولا فلك دوار، ولا كوكب سيار ، فنحن أول الفكرة ، وآخر العمل بقدر ومقدور ، وأمر في القدم مبرور ، فعندما تكامل الامر وصح العزم ، أنشأ الله جل وعز المنشآت فأبدأ الامهات من هيولانا ، فطبعنا أنوارا وظلمة وحركة ، وسكونا ، فكان من حكمه السابق في عمله ما ترون من فلك دوار ، وكوكب سيار ، وليل ونهار ، وما في الآفاق من آثار معجزات ، وأقدار باهرات ، وما في الاقطار(٣) من الآثار ، وما في النفوس من الاجناس والصور والانواع ، من كثيف ولطيف ، وموجود ومعدوم وظاهر وباطن ، ومحسوس وملموس ، ودان وشاسع ، وهابط وطالع كل ذلك لنا ومن أجلنا ، دلالة علينا واشارة الينا ، يهدي الله من كان له لب سجيح ، ورأي صحيح ، قد سبقت له

---

(١) سورة الاعراف : ١٨١ .

(٢) سورة الانعام : ١٠٤ .

(٣) اصاب النص سقط ، وعلى العموم يلاحظ ان رواية المقريزي المقبلة لنص هذه الرسالة اكمل .

منا الحسنى[1] ، فدان بالمنى ، ثم انه جل وعلا أبرز من مكنون العلم ومخزون الحكم آدم وحواء أبوين ذكرا وأنثى ، سببا لانشاء البشرية ، ودلالة لاظهار القدرة القوية الكونية ، وزوج بينهما فتوالد الاولاد ، وتكاثرت الأعداد ، ونحن ننتقل في الاصلاب الزكية والارحام الطاهرة المرضية ، كلما ضمنا صلب ورحم أظهر منا قدرة وعلم وهلم جرا الى آخر الجد الاول والاب الافضل سيد المرسلين وامام النبيين أحمد ومحمد صلوات الله عليه وعلى آله في كل ناد ومشهد ، فحسن آلاؤه وبان غناؤه ، وأباد المشركين وقصم الظالمين ، وأظهر الحق واستعمل الصدق ، وبان بالاحدية ودان بالصمدية ، فعندها سقطت الاصنام وانعقد الاسلام ، وظهر الايمان وبطل السحر والقربان ، وارتفع الكفر والطغيان ، وخمدت بيوت النيران وهربت عبدة الاوثان ، وأتى بالقرآن شاهدا بالحق والبرهان فيه خير ما كان وما يكون الى يوم الوقت المعلوم ، مبنيا عن كتب تقدمت في صحف قد نزلت ، تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة ونورا « وسراجا منيرا »[2] .

وكل ذلك دلالات لنا ومقدمات بين أيدينا ؛ وأسباب لاظهار أمرنا ، هدايات وآيات وشهادات ، وسعادات قدسيات الهيات أوليات كائنات ، منشآت مبديات معيدات ، وما من ناطق نطق ، ولا نبي بعث ، ولا وصي ظهر الا قد أشار الينا ، ولوح بنا ودل علينا في كتابه وخطابه ، ومنار أعلامه ومرموز كلامه ، ما هو موجود غير معدوم وظاهر وباطن ، يعلمه من سمع النداء أو شاهد ورأى ، من الملأ الأعلى ، فمن أغفل منكم أو نسي أو ضل أو غوى فلينظر في الكتب الاولى والصحف المنزلة ، وليتأمل آي القرآن وما فيه من البيان ، وليسأل أهل الذكر ان كان لا يعلم ، فقد أمر الله عز وجل (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون)[3] .

قال : وهذا الكتاب طويل جدا لا طائل فيه ، قطعناه ههنا وسنذكر جملة من هذا الكتاب في أخبار المعز لدين الله غير ما في هذا الموضع ، على ما نقف عليه ان شاء الله تعالى في موضعه .

---

(١) انظر الآية ١٠١ من سورة الانبياء .
(٢) سورة الاحزاب : ٤٦ .
(٣) سورة النحل : ٤٣ .

قال[1] : والجواب من الحسن بن أحمد القرمطي الاعصم :

وصل الينا كتابك الذي كثر تفصيله وقل تحصيله ، ونحن سائرون على أثره والسلام •

وسار الحسن بن أحمد بعد ذلك الى مصر ، فنزل بعسكره عين شمس، وناشب المغاربة القتال ، وانبثت سراياه في أرض مصر وبعث عمالا الى الصعيد تجبي الاموال وضيق على المغاربة وداومهم القتال على خندق مدينتهم – يعني الشريف بمدينتهم – القاهرة المعزية •

قال : فذكر أنه هزمهم حتى عبر الخندق فامتنعوا منه بالسور ، وعظم ذلك على المعز لدين الله وتحير في أمره ، ولم يجسر أن يخرج بعسكره خارج الخندق •

قال : وكان ابن الجراح الطائي في جمع عظيم مع الحسن بن أحمد القرمطي ، وكان قوة لعسكره ومنعة ومقدمة ، فنظر القوم فاذا ليس لهم بالحسن بن أحمد طاقة ، ففكروا في أمره فلم يجدوا لهم حيلة غير فلّ عسكره، وعلموا أنه لا يقدر على فله الا بابن الجراح ، وأن ذلك لا يتم الا ببذل ما يطلبه من المال ، فراسلوا ابن الجراح وبذلوا له مائة ألف دينار، على أن يفل لهم عسكر القرمطي فأجابهم الى ذلك، ثم انهم فكروا في أمر المال فاستعظموه ، فعملوا دنانير من النحاس وطلوها بالذهب وجعلوها في أكياس ، وجعلوا على رأس كل كيس منها دنانير يسيرة من الذهب تغطي ما تحتها وشدوها وحملت لابن الجراح بعد أن استوثقوا منه ، وعاهدوه ألا يغدر بهم اذا وصل اليه المال ، فلما وصل اليه المال عمل على فل عسكره ، وتقدم الى كبراء أصحابه بأن يتبعوه اذا تواقف العسكران ، وقامت الحرب ، فلما اشتد القتال ولى ابن الجراح منهزما ، واتبعه أصحابه في جمع كثير ، فلما نظر اليه القرمطي قد انهزم بعد الاستظهار تحير ولزمه أن يقاتل هو ومن معه ، فاجتهد في القتال حتى تخلص ، ولم تكن له بهم طاقة وكانوا قد بادروه من كل جانب ، فخشي على نفسه وانهزم واتبعوه قومه ، ودخل المغاربة معسكره ، فظفروا باتباع وباعه[2] نحو من ألف

---

(١) كتب الى جانبها بالاصل بحرف أصغر مغاير « الشريف » .

(٢) في كنز الدرر للدواداري ص ١٦٠ : وانهزم وتبعوه قومه ، ودخل المغاربة عسكره فظفروا بتبع وباعة . . .

وخمسمائة رجل ، فأخذوهم أسرى وانتهبوا العسكر وضربوا أعناقهم ، وذلك في شهر رمضان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة .

ثم جردوا خلف الحسن بن أحمد ، أبا محمود ابراهيم بن جعفر في عشرة آلاف رجل من المغاربة ، فسار خلفه وتباطأ في السير خوفا من أن يعطف عليه، وسار الحسن فنزل أذرعات وأنفذ أبا المنجا في طائفة كثيرة من الجند الى دمشق ، وكان ابنه قبل ذلك واليا عليها ، ثم سار القرمطي في البرية الى بلده وفي نيته العود .

وكانت المغاربة ، لما سمعوا بقصة ظالم ، وقبض القرمطي عليه لما جرى بينه وبين أبي المنجا ما ذكرناه ، وهربه الى حصنه ، راسلوه ليأتي القرمطي من خلفه ، فسار يريد بعليك فلقيه الخبر بهزيمة القرمطي ونزول أبي المنجا على دمشق ، فسار ظالم نحو دمشق ونزل أبو محمود أذرعات ، وذكر أنه كان بينه وبين ظالم مراسلة واتفقا على أبي المنجا ، وبلغ أبي المنجا مسير ظالم اليه وكان في شرذمة يسيرة ، وأبو المنجا بدمشق في نحو ألفي رجل ، وكان قد ورد اليه الخبر في أن ظالما يصبح من غد في عقبة د مّر،وكان الجند قبل ذلك قد طلبوا منه الرزق، فقال : ما معي مال ، فلما ورد اليه خبرظالم أعطى الجند على السرج دينارين لكل رجل ، ثم ان ظالما أصبح من غد ذلك اليوم في عقبة دمر ، فخرج أبو المنجا وابنه بمن معهما الى الميدان للقتال ، فذكر أن ظالما أنفذ الى أبي المنجا رسولا يقول له : انما جئت مستأمنا اليكم ، وقد كان الجند حقدوا على أبي المنجا من جهة الرزق ، فلما صار ظالم في عقبة دمر مشرفا على دمشق ذهب قوم من الجند نحو العقبة ، فاستأمنوا الى ظالم وتبعهم قوم بعد قوم ، فقوي طمع ظالم بهم فانحدر من العقبة ، ثم سار بمن معه حتى قرب من أبي المنجا فأحاط به فلم يقدر على الهرب فأخذ هو وابنه من بعد أن وقعت فيه ضربة ، وانقلب عسكره الى ظالم ، وملك ظالم البلد ، وذلك في يوم السبت لعشر خلون من شهر رمضان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة .

فلما تمكن ظالم ونزل البلد أوثق أبا المنجا وابنه ثم حبسهما ، وقبض علـى جماعة من أصحابه فأخذ أموالهم ، ثم قدم أبو محمود بعد ذلك دمشق في يوم الثلاثاء لثمان بقين من شهر رمضان ، فلقيه ظالم وتقرب اليه بأبي المنجا وابنه ، فعمل لكل

واحد منهما قفصا من خشب وحملهما الى مصر فحبسا ، وكان بعد ذلك بين ظالم وأبي محمود وأخبار دمشق ما ليس ذكره في هذا الموضع من غرضنا ، فلنرجع الى أخبار القرامطة •

ذكر عود القرامطة الى الشام ووفاة الحسن بن احمد

قال : وفي سنة خمس وستين وثلاثمائة كاتب ألبتكين التركي وهو بالشام القرامطة ، وقد جرى بينه وبين المغاربة حروب ووقائع واستنصر بهم ، فكاتبوه بأنهم سائرون الى الشام ، فوافوا دمشق في هذه السنة ، وكان الذي وافى منهم اسحاق وكسرى وجعفر ، فنزلوا ظاهر دمشق نحو الشماسية ، ووافى معهم كثير من العجم ممن كان من أصحاب ألبتكين ، فلقي ألبتكين القرامطة وحمل معهم الاموال وأكرمهم وفرح بهم وأمن ، فأقاموا على دمشق أياما ثم رحلوا متوجهين الى الرملة ، وكان بها أبو محمود ابراهيم بن جعفر فتحصن منهم بيافا ، ونزلت القرامطة الرملة ونصبوا القتال على يافا ، حتى كلّ الفريقان من القتال وصار بعضهم يحدث بعضا ، وأقامت القرامطة بالرملة يجبون المال ، فندب العزيز بالله بن المعز لدين الله ــ وكان قد ولى الامر بعد وفاة أبيه ــ جوهر القائد الى الخروج الى الشام في سنة خمس وستين ، وحمل اليه خزائن السلاح والاموال ، فسار يريد الشام في عساكر لم تخرج المغاربة من مصر بمثلها ، وتواترت الاخبار الى ألبتكين بمسيره ، وهو على عكا وكان قد ملك صيدا ، فنزل عكا وسار فنزل طبرية ، وفارق القرامطة الرملة ونزلها جوهر ، وسار اسحاق وكسرى القرمطيان الى الاحساء ، وبقي جعفر لم يسر معهم وانضم الى ألبتكين بطبرية ، وسار جوهر في طلبهما فسارا الى دمشق وتبعهم جوهر حتى نزل بالشماسية بظاهر دمشق ، والمناوشة تقع بينهم تارة والموادعة أخرى ، فلم يزل الامر كذلك الى جمادى الاولى سنة ست وستين وثلاثمائة ، فوردت الاخبار وقويت بقرب الحسن بن أحمد القرمطي من دمشق ، وجاء من بشر ابن عمه جعفر بذلك ، فسار اليه وصح ذلك عند جوهر ، فنزل دمشق وسار نحو طبرية وجد في السير ، وكان قد هلك من عسكره خلق كثير ، فخاف أن يدركه الحسن بن أحمد القرمطي

فأسرع المسير من طبرية ، وخرج الحسن بن أحمد من البرية يريد طبرية فوجده قد سار عنها ، فأنفذ خلفه سرية فلحقته فرجع عليها أصحاب جوهر ، فقتلوا جماعة من العرب وسار جوهر حتى نزل ظاهر الرملة ، وأتاه الخبر عن الحسن فدخل جوهر زيتون الرملة وتحصن به ، وسار ألبتكين من دمشق في أثر الحسن بن أحمد فلحقه ، وتوفي الحسن بن أحمد بالرملة ، وتولى أمر القرامطة بعده ابن عمه جعفر ، واجتمع هو وألبتكين على قتال جوهر الى بلده ، وكان بين ألبتكين وجوهر من الحصار ما نذكره ان شاء الله تعالى في أخبار ملوك مصر .

ذكر استيلاء القرامطة على الكوفة وخروجهم عنها

قال ابن الاثير[1] رحمه الله تعالى : وفي سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ورد اسحاق وجعفر الهجريان ــ وهما من القرامطة الذين تلقبوا بالسادة ــ فملكا الكوفة.

قال : وكان للقرامطة من الهيبة ما ان عضد الدولة وبختيار أقطعاهم الكثير من الاقطاعات ، وكان نائبهم ببغداد وهو أبو بكر بن شاهويه يحكم حكم الوزراء ، فقبض عليه صمصام الدولة بن بويه ؛ فلما جاء القرامطة الى الكوفة كتب صمصام الدولة الى اسحاق وجعفر بالملاطفة ويسألهما عن سبب حركتهما ، فذكرا أن السبب في ذلك ما وقع منه من القبض على صاحبهما ، وبثا أصحابهما في جباية الاموال ، ووصل الحسن بن المنذر ــ وهو من أكابر القرامطة ــ الى الجامعين ، فأرسل صمصام الدولة العساكر والعرب فقاتلوه وأسروه وجماعة من القواد وانهزم من معه، ثم جهز القرامطة جيشا آخر في عدد كثير فهزمته عساكر صمصام الدولة ، وقتل مقدم القرامطة ، وكانت هذه الوقعة بالجامعين ، فلما بلغ المنهزمون الكوفة رحل القرامطة عنها، وتبعتهم العساكر الى القادسية وأخذ أمر القرامطة في الانتقاض ، ولم يكن لهم بعد ذلك بالعراق والشام وقعة بلغنا خبرها .

---

(١) الكامل : ١٢٦/٧ .

ذكر ظفر الاصفر بالقرامطة

قال[1] ابن الاثير : وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة جمع انسان يعرف بالاصفر من بني المنتفق جمعا كثيرا ، وكان بينه وبين جمع من القرامطة وقعة ، قتل فيها مقدم القرامطة وانهزم أصحابه وقتل منه ؛ فعدل الى القطيف فأخذ ما كان فيها من عبيدهم وأثقالهم ومواشيهم ، وسار بذلك الى البصرة وانتقض أمر القرامطة وضعفوا ، وكان مدة ظهور مذهبهم الى هذا التاريخ مائة سنة ، ومنذ ظهر أمرهم واستولوا على البلاد وتجهزت العساكر لقتالهم خمساً وتسعين سنة ، وكانت فتنتهم قد عمت أكثر البلاد والعباد ، ولم أقف لهم بعد واقعة الاصفر على واقعة أخرى فأذكرها .



(٢) الكامل : ١٣٩/٧ .

ذكر اخبار الدولة العبيدية

التي انتسب ملوكها الى الشرف، وألحقوا نسبهم بالحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما •

هذه الدولة من الدول التي امتدت أيامها ، واتسعت ممالكها ، واستولت ملوكها على كثير من الممالك المشهورة شرقا وغربا ، ببلاد المغرب والديار المصرية ، والبلاد الشامية ، والثغور والعواصم وغير ذلك ، وكان ابتداء ظهور هذه الدولة ببلاد الغرب ، وانما أوردناها في أخبار ملوك الديار المصرية ، وألحقنا ملوكها بملوك هذا الوادي ، لان الديار المصرية قاعدة ملكهم ، وبها قام أكثر ملوكهم •

ولنبدأ بذكر أخبار ملوك هذه الدولة ، وابتداء أمرهم ، وما قيل في نسبهم والى من ينسبون ، وكيف تنقلت بهم الحال الى أن ملكوا البلاد واستولوا على الاقاليم • ولهذه الدولة أسباب ولوازم وشيعة هم الذين مهدوا لهم البلاد ، ووطئوا الممالك ، وهزموا الجيوش وفتحوا الاقاليم ، وأبادوا الابطال حتى استقر الملك لملوك هذه الدولة وتسلموه عفوا صفوا •

لا بد لنا أن نبتدىء بذكر أخبارهم ، وما فتحوه واستولوا عليه قبل ظهور المهدي الذي هو أول ملوك هذه الدولة ، ثم نذكر عاقبة أمر من قرر لهم الملك معهم، ونذكر من ملك من ملوك هذه الدولة ، واحدا بعد واحد الى أن انقرضت دولتهم ، وبادت أيامهم فنقول وبالله التوفيق : أول من ملك منهم عبيد الله المنعوت بالمهدي، ونسب نفسه أنه عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[1]،وأهل العلم بالانساب من المحققين ينكرون ذلك ، وينفوه عن الشرف ، ويقولون اسم عبيد الله سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله القداح بن أبي شاكر ميمون بن ديصان بن سعيد الغضبان ، صاحب

(١) كذا ، وهو غير مسلم به ، وهناك خلاف كبير حول شجرة النسب ، خاصة في فترة الستر ، وقد سبق لنا ان نبهنا على ذلك .

كتاب الميدان في نصر الزندقة ، وهو من أهل رامهرمز ، كورة من كور الاهواز ، وكان من خرمية المجوس •

ومن المؤرخين من زعم أن الحسين بن أحمد زوج أم سعيد ، وأن أبا سعيد يهودي •

وقال القاضي أبو بكر بن الطيب[1] في كتابه المسمى بكشف الاسرار وهتك الاستار : أن سعيد هذا كان قد رباه عمه محمد بن أحمد ، المكنى بأبي الشلعلع[2] [٢١] وكانوا دعاة لمحمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، يأكلون البلاد باسمة ، ويدعون أنه حي يرزق الى زمانهم وفيه عمل ابن المنجم[3] قصيدته التي يقول فيها :

فانك في دعواك أنك منهم كمن يدعي أن النحاس من الذهب
متى كان مولى الباهليين ملحقا بآل رسول الله يوما اذا انتسب

ولما ملك بهاء الدولة[4] ، أبو نصر بن عضد الدولة فناخسرو بن بويه ، بعد أن جمع الطالبيين من آفاق العراق ، وسألهم عنهم فكلهم أنكرهم ، وتبرأ منهم ، فأخذ خطوطهم بذلك، وكان ممن شهد الشريفان الرضي والمرتضى، وأبو حامد الاسفرائيني وأبو الحسين القدوري وغيرهم ، وذلك في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة[5] بأمر القادر بالله العباسي •

---

(١) ابو بكر الباقلاني ـ ٣٣٨ هـ/٩٥٠ ـ ٤٠٣/١٠١٣ ، أعظم رجال علم الكلام في عصره ، انتهت اليه رئاسة مذهب الاشاعرة ، ولد في البصرة ، وسكن بغداد حيث طارت شهرته ، له عدة كتب بعضها في حكم المفقود ، منها كشف أسرار الباطنية المشار اليه في المتن .

(٢) انظر عمدة الطالب في أنساب آل ابي طالب . ط. بيروت : ١٩١ .

(٣) لعله علي بن هارون « ٢٧٦ هـ/٨٨٩ ـ ٣٥٢ هـ/٩٦٣ م » كان راوية للشعر من ندماء الخلفاء ، ولد ومات في بغداد .

(٤) هو بهاء الدولة فيروز « ٣٧٨ هـ/٩٨٩ م ـ ٤٠٣ هـ/١٠١٢ م » .

(٥) كذا في الاصل ، والمشهور أن ذلك كان سنة ٤٠٢ هـ . انظر المنتظم : ٧/٢٥٥ ـ ٢٥٦ . أصول الاسماعيلية : ١٤٣ .

هذا مع ما ينسب الى بني بويه من التشيع[1] . فلنذكر ابتداء أمرهم وأول من قام منهم .

ذكر ابتداء امرهم واول من قام منهم

قال أبو محمد عبد العزيز بن شداد بن الامير تميم بن المعز بن باديس في كتابه المترجم بالجمع والبيان في أخبار المغرب والقيروان[2] : أول من قام منهم أبو شاكر ميمون بن ديصان بن سعيد الغضبان ، وكان ممن صحب أبا الخطاب محمد بن أبي زينب[3] مولى بني أسد ، فألقوا الى كل من اختصوا به أن لكل شيء من العبادات باطنا ، وان الله تعالى ما أوجب على أوليائه صلاة ولا زكاة ، ولا صوما ولا حجا ، ولا حرم عليهم شيئامن المحرمات ، وأباح لهم نكاح البنات والاخوات ، وانما هذه العبادات عذاب على الامة ، وأهل الظاهر ، وهي ساقطة عن الخاصة ، يقولون ذلك لمن يثقون بـه ويسكنون اليه ، ويقولون في آدم وجميع الانبياء كذابون محتالون طلاب للرئاسة .

فاشتدت شوكة هؤلاء في الدولة العباسية ، وتفرقوا في البلاد شرقا وغربا ، يظهرون التقشف والزهد والتصوف وكثرة الصلاة والصيام يعرفون الناس بذلك ، وهم على خلافه ، ويذكرون أبا الخطاب الى أن قامت البينة بالكوفة أن أبا الخطاب ، أسقط العبادات وأحل المحارم فأخذه عيسى بن موسى الهاشمي مع سبعين من أصحابه ، فضرب أعناقهم فتفرق بقية أصحابه في البلاد ، فصار قوم مما كان على مذهبه الى نواحي خراسان ، وقوم الى الهند

وصار أبو شاكر ميمون بن سعيد الى بيت المقدس مع جماعة من أصحابـه وأخذوا في تعلم الشعبذة والنارنجيات والحيل ، ومعرفة الرزق من صنعة النجوم والكيمياء ، ويحتالون على كل قوم بما يتفق عندهم ، وعلى العامة باظهار الزهد

---

(1) كانوا شيعة لكن حسب المذهب الزيدي .

(2) عثر على قطعة منه وقد طبعت في الجزائر سنة ١٣٤٦ هـ ، لكن ليس فيها هذه النصوص .

(3) يقال في اسمه غير هذا ، وربما قتل سنة ١٣٨ هـ/٧٥٥ م ، خير ما كتب عنه ما أورده برنارد لويس في اطروحته اصول الاسماعيلية : ٩٨ ــ ١٠٦ .

والورع،ونشأ لابن شاكر ابن يقال له عبدالله القداح ، علمه الحيل وأطلعه علىأسرار هذه النحلة ، فتحذق وتقدم ، وكانوا يظهرون التشيع ، والبكاء على أهل البيت ، ويزيدون أكاذيبا اخترعوها ، يخدعون بها ضعفاء العقول ؛ وكان من كبار الشيعة رجل يسمى محمد بن الحسين بن جهار بختيار ، الملقب دندان[1] ، وهو بنواحي الكرخ والاصفهان له حال واسعة ، وضياع عظيمة ، وهو المتولي على تلك المواضع، وكان يبغض العرب ويذمهم ، ويجمع معايبهم ، وكان كل من طمع في نواله تقرب اليه بذم العرب ، فسمع به عبد الله بن ميمون القداح ، وما ينتحله من بغض العرب، وصنعة النجوم ، فسار اليه وكان عبد الله يتعاطى الطب وعلاج العين ؛ ويقدح الماء النازل فيها ، ويظهر أنه انما يفعل ذلك حسبة وتقربا الى الله عز وجل ، فطار له بهذا الاسم بنواحي أصفهان والجبل ؛ فأحضره دندان ، وفاتحه الحديث ، فوجده كما يحب ويهوى ، وأظهر له عبد الله من مساوىء العرب والطعن عليهم أكثر مما عنده ، فاشتد إعجابه به،وقال له:مثلك لاينبغي أن يطب، وان قدرك يرتفع ويجل عن ذلك ، فقال : انما جعلت هذا ذريعة لما وراءه مما ألقيه الى الناس ، والى من أسكن اليه على رفق ومهل من الطعن على الاسلام ، وأنا أشير عليك أن لا تظهر ما في نفسك الى العرب ، ومن يتعصب لهذا الدين ، فان هذا الدين قد غلب على الاديان كلها فما يطيقه ملوك الروم ولا الترك والفرس ، والهند مع بأسهم ونجدتهم ، وقد علمت شدة بابك صاحب الخرمية وكثرة عساكره ، وأنه لما أظهر ما في نفسه من بغض الاسلام ، وترك السير بالتشيع والبكاء [٢٢] كما تقول أولا ، قلع أصله ، فالله الله أن تظهر ما في نفسك ، والزم التشيع والبكاء على أهل البيت ، فانك تجد من يساعدك على ذلك من المسلمين، ويقول : هذا هو الاسلام، وادع عليهما عداوة الرسول، وتغيير القرآن وتبديل الاحكام فانك اذا سببتهما سببت صاحبهما،فاذا استوى لك الطعن عليهما،فقد اشتفيت من محمد ، ثم تعمل الحيلة بعد ذلك في استئصال دينه ومن ساعدك على هذا فقد خرج من الاسلام من حيث لا يشعر ، ويتم لك كما تريد .

فقال دندان : هذا هو الرأي، ثم قال له عبد الله القداح: ان لي أصحاب وأتباع أبثهم في البلاد ، فيظهرون التقشف والتصوف ، والتشيع ويدعون الى ما نريده بعد

---

(١) الخلاف بين الروايات حوله شديد ، انظر ما كتبه لويس في أصول الاسماعيلية : ١٣٣ — ١٤١ .

احكام الامر ، فاستصوب دندان ذلك وسر به وبذل لعبد الله القداح ألفي ألف دينار، فقبل المال وفرقه في كور الاهواز والبصرة وسواد الكوفة ، وبطالقان خراسان ، وسلمية من أرض حمص ، ثم مات دندان فخرج عبد الله القداح الى البصرة ، وسواد الكوفة وبث الدعاة وتقوى بالمال ودبر الامر .

وحكى الشريف أبو الحسين محمد بن علي الحسين المعروف بأخي محسن[١] في كتابه : أن عبد الله بن ميمون هذا كان قد نزل عسكر مكرم[٢]،فسكن بساباط[٣] أبي نوح وكان يتستر بالتشيع والعلم ، فلما ظهر عنه ما كان يضمره ويسره من التعطيل والاباحة ، والمكر والخديعة ، ثار الناس عليه ، فأول من جاءه الشيعة ، ثم المعتزلة ، وسائر الناس ، وكبسوا داره فهرب الى البصرة ، ومعه رجل من أصحابه يعرف بالحسين الاهوازي ، فنزل بباهله على موال لآل عقيل بن أبي طالب ، وقال لهم أنا من ولد عقيل داع الى محمد بن اسماعيل بن جعفر فلما انتشر خبره ، طلبه العسكريون ، فهرب وأخذ طريق الشام ومعه الحسين الاهوازي . فلما توسطا الشام عدلا الى سلمية ليخفى أمرهما ، فأقام بها عبد الله وخفي أمره .

نرجع الى قول ابن شداد ، قال : ثم مات عبد الله ، وكان له جماعة من الولد ، فخلفه منهم ابنه أحمد ، فقام مقام أبيه ، وجرى على قاعدته ، وبث الدعاة واستدعى رجلا من أهل الكوفة يقال له أبو القاسم الحسن بن فرح[٤] بن حوشب بن زاذان النجار ، وكان هذا الرجل من الامامية الذين يقولون بامامة موسى[٥] بن جعفر ، فنقله الى القول بإمامة اسماعيل بن جعفر ، وكانوا يرصدون من يرد من المشاهد ، وينظرون اليهم ، فمن كان فيه مطمع وجهاله استدعوه ، ولا يستدعون الا الجهال

---

(١) سبق التعريف به وانه توفي سنة ٣٩٨ هـ .

(٢) بلد مشهور في نواحي خوزستان ـ معجم البلدان .

(٣) الساباط عند العرب سقيفة بين دارين من تحتها طريق نافذ ، ولم يذكر ياقوت وغيره من الجغرافيين ساباط ابي نوح هذا، ويبدو انه كان قرية من قرى خوزستان.

(٤) في الاصل أبو الحسن رستم بن الكرخيين بن حوشب ، وهو خطأ صوابه ماأثبتناه وقد مر ذكره فيما سلف من نصوص كما سيرد مجددا خاصة عند الخزرجي ، وهو الذي سيعرف باسم « منصور اليمن » انظر رسالة افتتاح الدعوة : ٣٢ .

(٥) اي الكاظم الامام السابع عند الامامية الاثنا عشرية ، انظر الائمة الاثنا عشر لابن طولون . ط. بيروت : ٨٩ ـ ٩٣ .

ومن له بأس وجلد وعشيرة ومال وعز ، ويتجنبون الفقهاء والعلماء والادباء والعقلاء وكانوا يطلبون أطراف البلاد .

فقال لهم بعض من ورد عليهم : ان بجيشان والمذيخرة والجند من أرض اليمن رجلا جلد كثير المال والعشيرة يتشيع ، وبهذه الناحية شاعر يقال له ابن خيران يسب في شعره أبا بكر وعمر ، والمهاجرين ، والانصار على مثل سبيل الحميري الشاعر[1]، فورد ذلك الرجل المذكور وهو أبو الحي علي بن الفضل[2] من أهل جيشان من اليمن ، ودخل الى الحيرة فرأوه يبكي على الحسين بن علي ، فلما فرغ من زيارته أخذ الداعي يده وقال له : اني رأيت ما كان منك من البكاء والقلق على صاحب هذا القبر فلو أدركته ما كنت تصنع ؟ قال : كنت أجاهد بين يديه ، وأجعل خدي أرضا يطأ عليها ، وأبذل مالي ودمي دونه ، فقال له : أتظن أنه ما بقي لله حجة بعد صاحب هذا القبر ؟ قال : بلى ولكن لا أعرفه بعينه ، قال : فتريده ؟ قال : أي والله . فسكت عنه الداعي ، فقال له علي بن الفضل ما قلت لي هذا القول الا وأنت عارف به ؛ فسكت الداعي فقوي ظن ابن الفضل ان هذا الرجل يعرف الامام والحجة ، فألح عليه ، وقال : اللهالله في أمري اجمع بيني وبينه ، فاني خرجت الى الحج ، وجئت الى هذه الزيارة أريد الله تعالى ، فسكت الداعي وازدادت رغبة ابن الفضل ، فصار يتضرع اليه ويسأله ويقبل يده ، فقال له الداعي : اصبر ولا تعجل وأقم فهذا الامر لا يتم بسرعة ولا بد له من صبر ومهلة ، فقال ابن الفضل لاصحابه ، وكان معه من جيشان : انصرفوا فلي بالكوفة شغل ، فانصرفوا وأقام هو واجتمع بالداعي ، فقال له : ما عملت في حاجتي ؟ فقال انتظرني حتى أعود اليك ، فانصرف عنه ومضى الى أحمد بن القداح وعرفه حال ابن الفضل وحرصه على لقاء الحجة ، وامام الزمان ، وبقي الداعي يرمقه ويراه لا يكاد يبرح من المسجد ، من غير أن يعلم ابن الفضل به .

---

(١) ابن خيران لم اجده في المتوفر لدي من المصادر ، والحميري هو السيد الحميري « ١٠٥ – ١٧٣ هـ/٧٢٣ – ٧٨٩ م » اسمه اسماعيل بن محمد ، شاعر شيعي له شهرة كبيرة . الاعلام للزركلي .

(٢) في الاصل « محمد بن الفضل » وهو خطا صوابه ما اثبتنا ، وقد سلف ذكره كما سيأتي خاصة عند الخزرجي .

فلما كان بعد أربعين يوما أتاه الى المسجد ، وهو جالس ، فقال له : أنت بعد ههنا ؟ فقال : نعم ولولا تجيء لأقمت في هذا المسجد الى أن أموت فعلم الداعي أنه قد قصده ، فأخذه وجمع بينه وبين أحمد بن عبد الله بن ميمون [٢٣] •

وحكي الشريف أبو الحسين محمد بن علي الحسيني في كتابه الذي صرح فيه نفي هؤلاء[1] عن النسب الى الحسين بن علي رضي الله عنهما ، واستدل على ذلك بأدلة يطول شرحها • أن أحمد بن عبد الله بن ميمون لما قام الامر بعد أبيه عبد الله بعث الحسين الاهوازي من سلمية داعية الى العراق ، فلما انتهى الى سواد الكوفة لقي حمدان بن الاشعث ، وهو قرمط الذي اليه ينسب القرامطة فصحبه ، واتبعه قرمط ، وتابعه كثير من الناس ، فلما مات الاهوازي أسند الامر من بعده الى حمدان ابن الاشعث قرمط • وقد ذكرنا هذه القصة في أخبار[2] القرامطة •

نرجع الى قول ابن شداد ، قال : وكان أحمد يقول للحسن بن حوشب الكوفي النجار : يا أبا القاسم هل لك في غربه في الله ؟ فيقول الامر اليك يامولاي، فلما اجتمع بابن الفضل ، قال له : قد جاء ما كنت تريد أبا القاسم ، هذا رجل من أهل اليمن ، وهو عظيم الشأن ، كثير المال ، ومن الشيعة قد أمكنك ما تريد • وثم خلق من

---

(١) ينقل صاحب عمدة الطالب : ١٩٠ ـ ١٩٣ نصوصا اعتبرها قاطعة في تصحيح نسب الفاطميين الى اسماعيل بن جعفر الصادق ، ومما قاله في ذلك « قلت : وقد كثر الحديث في نسب الخلفاء الذين استولوا على المغرب ومصر ، ونفاهم العباسيون ، وكتبوا بذلك محضرا شهد فيه جل الاشراف ببغداد ، فانضم الى ذلك ما ينسب اليهم من الاحاديث ، وسوء الاعتقاد ، وقد تأملت بعض ما حكي من الطعن فيهم فوجدته لا يتمشى لكونه بناء على ان المهدي اولهم منسوب الى أبيه محمد بن اسماعيل بن الصادق لصلبه ، وزمانه لا يحتمل ذلك ، والشريف الرضي الموسوي مع جلالة قدره صحح في شعره نسبهم حيث يقول :

ما مقامي على الهوان وعندي | مقول صارم وأنف حمي
احمل الضيم في بلاد الاعادي | وبمصر الخليفة العلوي
من أبوه أبي ومن جده جدي | اذا ضامني البعيد القصي

(٢) في جزء آخر من الكتاب ، هو الذي سبق هذا النص . على مخطوطة باريس رقم « ١٥٧٦ » .

الشيعة ، فاخرج وعرفهم أنك رسول المهدي ، وأنه في هذا الزمان يظهر في اليمن ، واجمع المال والرجال ، والزم الصوم والصلاة والتقشف ، واعمل بالظاهر ولا تظهر الباطن ، وقل لكل شيء باطن ، وان ورد عليك شيء لا تعلمه فقل لهذا من يعلمه ، وليس هذا وقت ذكره .

وجمع بينه وبين ابن الفضل ، وخرجا جميعا الى أرض اليمن، ونزل ابن حوشب بعدن ، وكان فيها قوم من الشيعة يعرفون ببني موسى ، وخبرهم عند ابن ميمون ، فنزل ابن حوشب بالقرب منهم ، وأخذ في بيع ما معه من القماش ، ولزم الزهد والتقشف . فقصده بنو موسى ، وقالوا له : فيما جئت ؟ قال : للتجارة ، قالوا : لست بتاجر ، وانما أنت رسول المهدي ، وقد بلغنا خبرك ، وعرفوه بأنفسهم ، فأظهر أمره عليهم ، وسار الى عدن لاعة ، وسار ابن الفضل الى بلده .

ولما وصل ابن حوشب الى عدن لاعة قوى عزائمهم وقرب أمر المهدي عليهم ، وأنه من عندهم يخرج ، وأمرهم بالاستكثار من الخيل والسلاح ، ولم يزل أمر ابن حوشب يقوى وأخباره ترد على من بالكوفة من الامامية، وطبقات الشيعة، فيبادرون اليه ، ويقول بعضهم لبعض : دار الهجرة ، فكبر عددهم واشتد بأسهم ، وأغار على من جاوره ، ونهب وسبى ، وجبى الاموال وأنفذ الى من بالكوفة من ولد عبد الله القداح أموالا عظيمة ، وهدايا وطرفا ، وكذلك لابن الفضل .

وكانوا أنفذوا الى المغرب رجلان أحدهما يعرف بالحلواني والآخر بأبي سفيان[1] ، وتقدموا اليهما بالوصول الى أقاصي المغرب ، والبعد عن المدن والمنابر ، وقالوا لهما : ينزل كل واحد منكما بعيداً من الآخر ، وقولا لكل شيء باطن ، ونحن فقد قيل لنا : اذهبا فالمغرب أرض بور فاحرثاها واكرباها حتى يأتي صاحب البذر[1]، فنزل أحدهما بأرض كتامة بمدينة مرمجنة[2] ، والآخر سوف جمار[3]، فمالت قلوب أهل تلك النواحي اليهما ، وصارا يحملان التحف التي تحمل اليهما الى ابن القداح ، ثم ماتا على قرب بينهما ، بعد أن أقاما سنين كثيرة فقال ابن حوشب لأبي عبد الله

---

(١) انظر رسالة افتتاح الدعوة ٥٤ ـ ٥٨ .
(٢) اي أبو عبد الله الداعي . انظر رسالة افتتاح الدعوة ٥٨ .
(٣) من مدن تونس ، على ثلاث مراحل من القيروان ـ معجم البلدان .
(٤) في الجزائر معروفة على مقربة من الحدود الجزائرية التونسية .

الحسين بن أحمد بن زكريا الشيعي ـ وكان قد هاجر اليه ـ : يا أبا عبد الله أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبي سفيان وقد ماتا ، وليس لها غيرك ، وبادر اليها فانها موطأة ممهدة لك، فخرج أبو عبد الله وأخرج ابن حوشب معه عبد الله بن أبي الملاحف ، وأمده بمال ، وأوصاه بما يعمل وكيف يحتال ، وكان أبي عبد الله قد شاهد أفعال ابن حوشب ، وعرف تدبيره • فسار الى مكة وكان من أمره ما نذكره ان شاء الله تعالى •

وأما أحمد بن عبد الله بن ميمون ، فانه لما قوي أمره ، وكثرت أمواله ادعى أنه من ولد عقيل بن أبي طالب ، وهم مع هذا يسترون أمرهم ، ويخفون أشخاصهم، ويغيرون أسماءهم ، وأسماء دعامتهم ، ويتنقلون في الاماكن ، ثم مات أحمد فخلفه محمد ، وكان لمحمد ولدان : أحمد والحسين ، فمات أحمد ، وصار الحسين الـى سلمية ، وله بها أموال من ودائع جده عبد الله القداح ، ووكلاء وأتباع وغلمان وبقي ببغداد من أولاد القداح أبو الشلعلع ، وهو محمد بن عبد الله بن ميمون بن ديصان ، وهو مؤدب بآداب الملوك ، وكان الذي بسلمية يدعي أنه الوصي وصاحب الامر دون بني القداح ، ويكاتب الدعاة ويراسلونه من اليمن والمغرب والكوفة ، واتفق أنه جرى بحضرته بسلمية حديث النساء فوصفوا امرأة رجل يهودي حداد ، مات عنها زوجها ، وأنها في غاية الجمال ، فقال لبعض وكلائه : زوجني بها ، فقال انها فقيرة ، ولها ولد ، فقال : ما علينا من الفقر زوجني بها ورغبها ، وابذل لها ما شاءت، فتزوجها وأحبها وحسن موقعها عنده ، وكان ابنها يماثلها في الجمال ، فأحبه وأدبه [٢٤] وعلمه ، وأقام له الخدم والاصحاب ، فتعلم الغلام ، وصارت له نفس كبيرة وهمة عظيمة ، فمن العلماء من أهل هذه الدعوة من يقول ان الامام الذي كان بسلمية من ولد القداح مات ، ولم يكن له ولد فعهد الى ابن اليهودي الحداد ، وهو عبيد الله الذي نعت بالمهدي ، وأنه عرفه أسرار الدعوة من قول وفعل ، وأعطاه الاموال وتقدم الى أصحابه ووكلائه بطاعته ، وخدمته ومعونته ، وعرفهم أنه الامام والوصي وزوجه ابنة عمه أبي الشلعلع ، هذا قول ابن القاسم الابيض العلوي •

وغيره من العلماء بهذه الدعوة ، وبعض الناس وهم قليل يقولون : ان عبيد الله هذا المنعوت بالمهدي من ولد القداح ، ومنهم من يقول فيه قول آخر نذكره ان شاء الله عز وجل ، فهذا ما حكي في ابتداء أمرهم فلنذكر أخبار الشيعي ببلاد المغرب ، والله أعلـم •••

ذكر فتوح الشام [٤١]

قد ذكرنا أن القائد جوهر جهز جعفر بن فلاح الى الشام بالعساكر في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، فسار جعفر ولقي الحسن بن عبيد الله بن طغج بالرملة ، وهو يومئذ صاحب الشام ، فهزمه جعفر بن فلاح وأسره ، وبعث به الى مصر ، ثم سار الى دمشق فملكها في سنة تسع وخمسين بعد حرب شديد ، فكتب القائد جوهر بالفتح، واستأذنه في المسير الى غزو أنطاكية ، فأذن له القائد ، فسار نحوها في عشرين ألف فارس فأقام مدة وكثرت جموعه وعساكره، وانبسطت يده، ودانت له البلاد ،فحاصر أنطاكية مدة الى أن اتصل به مسير مدد الروم اليها ، فعاد عنها الى دمشق .

ذكر مقتل جعفر بن فلاح واستيلاء القرامطة على دمشق

وفي سنة ستين وثلاثمائة ، وصل الحسن الاعصم القرمطي الى دمشق وقيل انه انما قدم بأمر الخليفة المطيع ، فخرج اليه جعفر بن فلاح ، وقاتله وكان عليلا ، فقتل وانهزم أصحابه ، ونصب رأسه على [سور] دمشق ، وملك القرمطي دمشق والشام، وسار الى الرملة فانحاز عنه سعاده بن[1] حيان الى يافا ، وتحصن بها ، فسار اليه وحاربه ، ثم سار يريد مصر ، فتأهب القائد جوهر لذلك ، وحفر خندقا وبنى عليه بابا كبيرا ، وركب عليه الباب الحديد الذي كان على الميدان الاخشيدي ، وبنى عليه بابان آخران ، وبنى القنطرة على الخايج ، وجعل ممرا لمن يريد المقس[2] ، وكاد القرمطي يأخذ القاهرة ، ثم رجع عنها بغير سبب علم ، وكبس الفرما ، ثم قاطع أهلها على مال فحملوه اليه ، وأخذ عاملها عبد الله بن يوسف ، وقيل انه كان معه خمسة عشر ألف بغل تحمل صناديق الاموال وأواني الذهب والفضة والسلاح سوى ماتحمل من المضارب والخيام والاثقال .

---

(١) من غلمان المعز ، اي من قادة الفاطميين العسكريين .
(٢) مقس النيل معروف في القاهرة .

وفي سنة ستين وثلاثمائة أيضا بنى جوهر سورا على القصور التي بناها في سنة ثمان وخمسين وجعلها بلدا وسماها المنصورية[1]، ولما استقر المعز بها سماها القاهرة.

وفي سنة احدى وستين وثلاثمائة، في المحرم، كبس ياروق[2]، الفرما، وأخرج منها ابن العمر القرمطي، وأرسل الى مصر رؤوسا وأعلاما، وغير ذلك.

وفي هذا الشهر عصى أهل تنيس وغيروا الدعوة، ودعوا للمطيع والقرامطة وحاربوا ياروق، وفي صفر وصل ياروق منهزما من القرامطة وهم في أثره، وأقبلت عساكر القرامطة حتى بلغوا عين شمس.

واستعد القائد للقائهم، وأغلق الابواب التي بناها، وفي مستهل ربيع الاول جاءت مقدمة القرامطة، ووقعوا على الخندق، فقاتلهم القائد واشتد القتال، وقتل من الفريقين قتلى كثيرة، وأصبح الناس متكافئين للقتال، وسار الاعصم القرمطي بجميع عسكره، ووقع القتال على الخندق والباب مغلق، وعمل القائد جوهر الحيلة فانهزم عن القرمطي ودام القتال الى الزوال، ثم فتح القائد الباب وانتصب للقتال، وخرجت العبيد والمغاربة الى القرامطة واشتد القتال واضطرب الناس في المدينة، وكثرت القتلى من الفريقين، وانهزم الاعصم القرمطي، وأراد المغاربة أتباعه فمنعهم القائد جوهر لدخول الليل، وخشية من مكيدة، أو كمين. ونهبت صناديق القرمطي، ودفاتره.

وفارق القرمطي من كان معه من الاخشيدية والعرب، قيل: وهذه أول هزيمة كانت للقرامطة.

ثم وصل بعد الكسرة بيومين أبو محمد الحسن بن عمار بمدد معه من جهة المعز، وهرب القرمطي، الذي كان بتنيس، وعادت الدعوة المعزية بها.

وفي شهر ربيع الاخر، قبض على أربعمائة وأربعين رجلا من الاخشيدية والكافورية، وقيدهم وحبسهم، وفي شعبان منها ورد على القائد جوهر رسول ملك الروم برسالته وهديته.

---

(1) يلاحظ أن جوهر بعد فتحه لمصر لم يكن لديه مشروع بناء مدينة جديدة، بل كل ما فعله بناء عدة قصور، انما بعدما اجبر على احاطة هذه القصور بسور ظهر الى الوجود مشروع مدينة جديدة هي القاهرة.

(2) من امراء الجند الفاطمي.

وفي شهر رمضان لسبع خلون منه ، كمل بناء الجامع بالقاهرة ، وجمعت فيه الجمعة ، وفي شوال منها ابتدأ القائد جوهر بحفر الخندق الذي كان عبد الرحمن بن جحدم[1] خليفة عبد الله بن الزبير حفرة قبلي مصر ، ثم شق الخندق حتى بلغ قبر الامام الشافعي رحمه الله ، فعدل به عنه في شقه مشرقا الى الجبل ، على المقابر ، أراد بذلك أن يحفظ طريق الفج من ناحية القلزم .

وفي ذي القعدة منها خرج أبو محمد الحسن بن عمار الى تنيس ، فسار اليه اسطول القرامطة ، فواقعهم وأسر منهم سبع مراكب وسيرهم الى مصر ومعهم خمسمائة رجل منهم .

ذكر مكاتبة المعز لدين الله القرمطي وجواب القرمطي

قال بعض المؤرخين : لما استقر المعز بالقاهرة ، أهمه أمر الاعصم القرمطي ، فرأى أن يكتب اليه كتابا يعلمه فيه أن المذهب واحد ، وأن القرامطة استبدوا وهم سادتهم في هذا الامر ، وبهم وصلوا الى هذه الرتبة ، فكتب اليه المعز كتابا مشحونا بالمواعظ ، وضمنه من أنواع الكفر ما لا يصدر الا عن مارق من الدين[1] .

كان عنوان الكتاب :

من عبد الله ووليه وخيرته وصفيه معد أبي تميم بن اسماعيل المعز لدين الله أمير المؤمنين وسلالة خير النبيين ، ونجل أفضل الوصيين الى الحسن بن أحمد .

وأول الكتاب : رسوم النطقاء ومذاهب الائمة والاولياء ، ومسالك الرسل والانبياء السالف منهم والآنف ، صلى الله علينا وعلى آبائنا أولي الايدي والابصار في متقدم الدهور والاكوار ، وسالف الازمان والاحضار عند قيامهم بأحكام الله ، وانتصابهم لأمر الله .

---

(١) انظر كتاب الولاة والقضاة للكندي . ط. بيروت ١٩٠٨ ، ٤٠ – ٤١ .

(٢) انظر نصه الكامل فيما يلي في نص اتعاظ الحنفا للمقريزي ، مع التنبه الى ان النويري مصدر اساسي للمقريزي .

الابتداء بالاعذار ، والانتهاء الى الانذار ، قبل انفاذ الاقدار ، في أهل الشقاق والاصرار لتكون الحجة على من خالف وعصى ، والعقوبة على من باين وغوى ، حسبما قال الله تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا[1] » « وان من أمة الا خلا فيها نذير »[2]

وقد ذكرنا في أخبار القرامطة جملة من مواعظ هذا الكتاب على ما نقف عليه هناك ومن جملته ، ما لم نذكره هناك : أما علمت أني « نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة[3] » ، أعلم « خائنة الاعين وما تخفي الصدور[4] » ، وحشاه بأنواع من الكفر وحضه على اقتفاء آثار آبائه وعمومته في موالاتهم . فقال : « ان آباءك كانوا أتباع آبائي » ، ثم قال فيه بعد الاطالة : وكتابنا هذا من فسطاط مصر ، وقد جئناها على قدر مقدور ووقت مذكور ، لا نرفع قدما ولا نضع قدما ، الا بعلم موضوع ، وحكم مجموع وأجل معلوم .

ثم قال فيه : وأما أنت أيها الغادر الناكث المباين عن هدى آبائه وأجداده ، المنسلخ عن دين أسلافه وأنداده ، الموقد لنار الفتنة ، الخارج عن الجماعة والسنة ، لم أغفل أمرك ولا خفي علي خبرك ، وانك مني بمنظر وبمسمع ، قال الله تعالى : « اني معكما أسمع وأرى[5] » « ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا[6] » ، فعرفنا على أي أصل أصلت ، وأي طريق سلكت .

وقال في فصل منه : انا لسنا مهمليك ولا ممهليك الا ريثما يردنا كتابك والوقوف على مجرى جوابك ، فانظر لنفسك ما تبقي ليومك ومعادك ، قبل انغلاق باب التوبة ، وحلول وقت النوبة ، حينئذ « لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا »[7] .

ثم ختمه بأن قال : فما أنت وقومك إلا كمناخ نعم ، أو مراح غنم ، « وإما نرينك بعض الذي نعدهم[8] » « فإنا عليهم مقتدرون[9] » . هكذا وأنت في القفص

---

(١) سورة الاسراء : ١٥ .
(٢) سورة فاطر : ٢٤ .
(٣) سورة الهمزة : ٦ — ٧ .
(٤) سورة غافر : ١٩ .
(٥) سورة طه : ٤٦ .
(٦) سورة مريم : ٥٨ .
(٧) سورة الانعام : ١٥٨ .
(٨) سورة يونس : ٤٦ .
(٩) سورة الزخرف : ٤٢ .

مصفود[1] » « أو نتوفينك فإلينا مرجعهم[2] » عندهـا تخسر الدنيـا والآخرة « ذلك هو الخسران المبين[3] » • « فأنذرتكم ناراً تلظى لا يصلاها إلا الأشقى • الذي كذب وتولى[4] » « كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون[5] » فليتدبر من كان ذا تدبر ، وليتفكر مـن كان ذا فكر وليحذر يوم القيامة يوم الحسرة والندامة ، « أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله[6] » « ويا حسرتنا على ما فرطنا[7] » و « ياليتنا نـُـرد فنعمل غير الذي كنا نعمل[8] » •

والسلام على من اتبع الهدى ، وسلم من عواقب الردى[وحسبنا الله وكفى[9]] وهو حسبنا ونعم الوكيل •

قال : فلما وقف الحسن بن أحمد القرمطي على هذا الكتاب المطول ، كتب جوابه بعد البسملة : وصل كتابك الذي كثر تفصيله وقل تحصيله ونحن سائرون على اثره ، والسلام •

وقيل انه كتب : الجواب ما تراه دون ما تسمعه • وقيل : [٤٤] انه كتب اليه:

ظنت رجال الغرب أن مهولتي بمحالها وأخو المحـال ذليل
ان لم أروِ النيـل من دمهم فـلا نلت المراد ولا سقاني النيـل

وفي سنة ثلاث وثلاثمائة ، في شعبان بلغت مقدمة القرامطة الى أرباض مصر وأطراف المحلة ، فنهبوها وجبوا الخراج ، واستقر الاعصم القرمطي ببلبيس ، فتأهب المعز للقائه ، وعرض العساكر ، وفرق بينهم الاموال والسلاح ، وسير جيشا قدم عليه ولده عبد الله ، فالتقى مع الاعصم ، فانهزم القرمطي ، وأسر جماعة من رجاله ، وجهز جيشا آخر ، قدم عليه ريان الصقلبي في أربعة آلاف فارس ، فأزال القرامطة عن المحلة ونواحيها •

---

(1) في الاصـل « . . . نعدهـم او نتوفينك » « فانا عليهم مقتدرون » ،هكذا رايت والتلاوة في سورة القصص . وهو تصحيف صوابه ما اثبتنا من رواية المقريزي في اتعاظ الحنفا التي تلي هذه الرواية في كتابنا هذا .
(2) سورة يونس : ٤٦ . (3) سورة الحج : ١١ .
(4) سورة الليل : ١٤ ــ ١٦ . (5) سورة الاحقاف : ٣٥ .
(6) سورة الزمر : ٥٦ . (7) سورة الانعام : ٣١ .
(8) سورة الانعام : ٢٧ . (9) زيد من رواية المقريزي ، وبه يستقيم السياق .

كتـــاب

اتعاظ الحنفا باخبار الأئمة الفاطميين الخلفــا

ذكر طرف من اخبار القرامطة

وذلك أن الحسين الاهوازي لما خرج داعية الى العراق لقي حمدان بن الاشعث قرمط بسواد الكوفة ، ومعه ثور ينقل عايه ، فتماشيا ساعة فقال حمدان للحسين : « اني أراك جئت من سفر بعيد وأنت معي فاركب ثوري هذا » فقال الحسين : « لم أومر بذلك » فقال له حمدان : « كأنك تعمل بأمر أمر لك ؟ » قال : « نعم » قال : « ومن يأمرك وينهاك ؟ » قال : « مالكي ومالكك ، ومن له الدنيا والآخرة » . فبهت حمدان قرمط يفكر ، ثم قال له : « يا هذا : ما يملك ما ذكرته الا الله » قال : « صدقت ، والله يهب ملكه لمن يشاء » قال حمدان: « فما تريد في القرية التي سألتني عنها ؟ » وكان الحسين لما رأى قرمط في الطريق سأله : « وكيف الطريق الى قس بهرام[1] » . فعرفه قرمط أنه سائر اليه ، فسأله عن قرية تعرف « بيانبورا »[2] في السواد ، فذكر أنها قريبة من قريته ، وكان قرمط من قرية تعرف « بالدور » على نهر « هد » من رستاق « مهزود » من طسوج « فرات بادولي »[3] .

وانما قيل له قرمط لأنه كان قصيرا ورجلاه قصيرتين ، وخطوه متقاربا ، فسمي لذلك قرمطا .

فلما قال للحسين : « ما تريد في القرية التي سألتني عنها ؟ » قال له : « رفع الي جراب فيه علم وسر من أسرار الله ، وأمرت أن أشفي هذه القرية وأغني أهلها وأستنقذهم ، وأملكهم أملاك أصحابهم » .

[٢٤ ــ و] وابتدأ يدعوه ، فقال له حمدان قرمط : « يا هذا : نشدتك الله . ألا دفعت الي [شيئا] من هذا العلم الذي معك ، وأنقذتني ينقذك الله ؟ » .

---

(١) كذا في الاصل ، وفي مصادر اخرى « ساباط نوح » ولم اقف لهما على ذكر في المصادر المتوفرة من المكتبة الجغرافية .

(٢) لها ذكر في فتوحات خالد بن الوليد ، قريبا من الحيرة ــ معجم البلدان .

(٣) الطسوج : النواحي وجميع المواقع التي اتى على ذكرها هي من سواد بغداد . انظر معجم البلدان ــ مواد : مهزود . بادولي ، الدور .

قال له : « لا يجوز ذلك أو آخذ عليك عهدا وميثاقا أخذه الله على النبيين والمرسلين ، وألقي اليك ما ينفعك » •

فما زال يضرع اليه حتى جلسا في بعض الطريق ، وأخذ عليه العهد ، ثم قال له : ما اسمك ؟

قال له : قرمط [ثم قال له] : « قم معي الى منزلي حتى تجلس فيه ، فان لي اخوانا أصير بهم اليك لتأخذ عليهم العهد للمهدي » •

فصار معه الي منزله ، وأخذ على الناس العهد ، وأقام بمنزل حمدان قرمط ؛ فأعجبه أمره ، وعظمه ، وكان الحسين على غاية ما يكون من الخشوع صائما نهاره ، قائما ليله ، فكان المغبوط من أخذه الى منزله ليلة وكان يخيط لهم الثياب ، ويكتسب بذلك ، فكانوا يتبركون به وبخياطته •

وأدرك التمر ، فاحتاج أبو عبد الله محمد بن عمر بن شهاب العدوي ــ وكان أحد وجوه الكوفة ومن أهل العلم والفضل ــ الى عمل ثمره ، فوصف له الحسين الاهوازي ، فنصبه لحفظ ثمره ، والقيام في حظيرته ، فأحسن حفظها ، واحتاط في أداء الامانة ، وظهر منه من التشدد في ذلك ما خرج به عن أحوال الناس في تساهلهم في كثير من الامور ، وذلك في سنة أربع وستين ومائتين •

واستحكمت ثقة الناس به ، وثقته هو بحمدان قرمط ، وسكونه اليه فأظهر له أمره ، وكان قد دعا اليه أنه جاء بكتاب فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : يقول الفرج بن عثمان : انه داعية المسيح وهو عيسى ، وهو الكلمة ، وهو المهدي ، وهو أحمد بن محمد بن الحنفية ، وهو جبريل ، وأن المسيح تصور له في جسم انسان ، وقال : انك الداعية ، وانك الحجة ، وانك الناقة وانك الدابة ، وانك يحيى بن زكريا ، وانك روح القدس ، وعرفه أن الصلاة أربع ركعات : ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان قبل غروبها ، وأن الاذان في كل صلاة أن يقول المؤذن :

الله أكبر ثلاث مرات

أشهد ألا اله الا الله مرتين

أشهد أن آدم رسول الله

أشهد أن نوحا رسول الله

أشهد أن ابراهيم رسول الله

[أشهد أن موسى رسول الله][1] .

أشهد أن عيسى رسول الله

أشهد أن محمداً رسول الله

أشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفية [رسول الله][1] .

والقراءة في الصلاة :

« الحمد لله بكلمته ، وتعالى باسمه ، المنجد لأوليائه بأوليائه ، « قل ان الأهلة مواقيت للناس ظاهرها ليعلموا عدد السنين والحساب والشهور[2] والأيام ، وباطنها لأوليائي الذين عرفوا عبادتي وسبيلي ، فاتقوني يا أولي الالباب ، وأنا الذي لا أسأل عما أفعل وأنا العليم الحكيم ، وأنا الذي أبلو عبادي وأمتحن خلقي ، فمن صبر على بلائي ومحنتي واختباري أدخلته في جنتي ، وأخلدته في نعيمي ، ومن زال عن أمري، وكذب رسلي أخلدته مهانا في عذابي ، وأتممت أجلي ، وأظهرت أمري على ألسنة رسلي وأنا الذي لم يعل جبار الا وضعته ، ولا عزيز الا أذللته ، وليس الذي أصر على أمره ، ودام على جهالته ، وقال : « لن نبرح عليه عاكفين وبه موقنين ، أولئك هم الكافرون » . ثم يركع[3] .

ومن شرائعه : صيام يومين في السنة هما : المهرجان[4] ، والنوروز[5] وأن

(1) زيد ما بين الحاصرتين عن الكامل لابن الاثير : ١٧٩/٧ .

(2) انظر سورة البقرة : ١٨٩ ، فقد تم التصرف بها،ونال هذا عددا آخر من الآيات.

(3) في ابن الاثير ــ الكامل : ١٧٨/٧ بعد هذا اللفظ جملة تكميلية هذا نصها : « ويقول في ركوعه : سبحان ربي رب العزة وتعالى عما يصف الظالمون ، يقولها مرتين . فاذا سجد قال : « الله أعلى ، الله اعلى ، الله اعظم ، الله اعظم » .

(4) كان المهرجان من أعياد الفرس القديمة ، ويوافق موسم جمع المحاصيل والغلال.

(5) النوروز ــ ويقال النيروز ــ لفظ فارسي معرب ، ومعناه اليوم الجديد : وكان الفرس يتخذونه عيدا أيضا ، وكان يوافق عندهم يوم الاعتدال الربيعي ــ انظر المعرب للجواليقي .

الخمر حلال ولا غسل من جنابة ، ولكن الوضوء كوضوء الصلاة وأن لا يؤكل ما له ناب ولا مخلب ولا يشرب النبيذ ، وأن القبلة الى بيت المقدس ، والحج اليه ، وأن الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شغل •

ولما حضرته الوفاة جعل مكانه حمدان بن الاشعث قرمط ، وأخذ على أكثر أهل السواد ، وكان ذكيا داهية •

فكان ممن أجابه : مهرويه بن زكرويه السلماني ، وجلندي الرازي ، وعكرمة البابلي ، واسحاق البوراني ، وعطيف النيلي ، وغيرهم ، وبث دعاته في السواد يأخذون على الناس •

وكان أكبر دعاته عبدان ، وكان فطنا خبيثا ، خارجا عن طبقة نظرائه من أهل السواد ؛ ذا فهم وحذق ، وكان يعمل عند نفسه على نصب له ، من غير أن يتجاوز به الى غيره ، ولا يظهر غير التشيع والعلم ، ويدعو الى الامام من آل رسول الله ﷺ محمد بن اسماعيل بن جعفر •

فكان أحد من تبع عبدان زكرويه بن مهرويه ، وكان شابا ذكيا فطنا من قرية بسواد الكوفة على نهر هد ، فنصبه عبدان على اقليم نهر هد وما والاه ، ومن قبله دعاة جماعة متفرقون في عمله •

وكان [٢٤ ــ ظ] داعية عبدان على فرات بادولي : الحسن بن أيمن ، وداعيته على طسثوج تستر : المعروف بالبوراني ــ واليه نسب البورانية ــ وداعيته على جهة أخرى المعروف بوليد ، وفي أخرى أبو الفوارس • وهؤلاء رؤساء دعاة عبدان ، ولهم دعاة تحت أيديهم ، فكان كل داع يدور في عمله ويتعاهده في كل شهر مرة ، وكل ذلك بسواد الكوفة •

ودخل في دعوته من العرب طائفة ، فنصب فيهم دعاة ، فلم يتخلف عنه رفاعي ولا ضبعي ، ولم يبق من البطون المتصلة بسواد الكوفة بطن الا دخل في الدعوة منه ناس كثير أو قليل : من بني عابس ، وذهل وعنزة ، وتيم الله ، وبني ثعل ، وغيرهم من بني شيبان ، فقوي قرمط ، وزاد طمعه ، فأخذ في جمع الاموال من قومه •

فابتدأ يفرض عليهم أن يؤدوا درهما عن كل واحد ، وسمى ذلك : « الفطرة » ، على كل أحد من الرجال والنساء ؛ فسارعوا الى ذلك •

فتركهم مدة مديدة ، ثم فرض « الهجرة » ، وهو دينار على كل رأس أدرك ، وتلا قوله تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم والله سميع عليم »[1] وقال : « هذا تأويل هذا » فدفعوا ذلك اليه ، وتعاونوا عليه ، فمن كان فقيرا أسعفوه فتركهم مدة مديدة ، ثم فرض عليهم « البلغة » وهي سبعة دنانير ، وزعم أن ذلك هو « البرهان » الذي أراد الله بقوله : « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين »[2] وزعم أن ذلك بلاغ من يريد الايمان،والدخول في السابقين المذكورين في قوله تعالى:« والسابقون السابقون أولئك المقربون »[3].

وصنع طعاما طيبا حلوا لذيذا ، وجعله على قدر البنادق ، يطعم كل من أدى اليه سبعة دنانير منها واحدة ، وزعم أنه طعام أهل الجنة نزل الى الامام ، فكان ينفذ الى كل داع منها مائة بلغة ، ويطالبه بسبعمائة دينار ، لكل واحدة منها سبعة دنانير.

فلما توطأ له الامر فرض عليهم أخماس ما يملكون وما يتكسبون ، وتلا عليهم: « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه[4] ــ الآية » ــ ، فقوموا جميع ما يملكونه من ثوب وغيره وأدوا ذلك اليه ، فكانت المرأة تخرج خمس ما تغزل ، والرجل خمس ما يكسبه .

فلما تم ذلك فرض عليهم « الألفة » ، وهو أن يجمعوا أموالهم في موضع واحد ، وأن يكونوا فيه أسوة واحدة لا يفضل أحد منهم صاحبه وأخاه في ملك يملكه ، وتلا عليهم : « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا[5] » ــ الآية ــ ، وقوله تعالى : « لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم[6] » .

وعرفهم أنه لا حاجة بهم الى أموال تكون معهم ، لأن الارض بأسرها ستكون لهم دون غيرهم ، وقال : « هذه محنتكم التي امتحنتم بها ليعلم كيف تعملون » . وطالبهم بشراء السلاح واعداده .

---

(1) سورة التوبة : ١١٣ .
(2) سورة البقرة : ١١١ .
(3) سورة الواقعة : ١٠ .
(4) سورة الانفال : ٤١ .
(5) سورة آل عمران : ١٠٣ .
(6) سورة الانفال : ٦٣ .

وذلك كله في سنة ست وسبعين ومائتين .

وأقام الدعاة في كل قرية : رجلا مختاراً من ثقاتها يجمع عنده أموال أهل قريته من بقر وغنم ، وحلي ، ومتاع وغيره ، وكان يكسو عاريهم وينفق على سائرهم ما يكفيهم ، ولا يدع فقيرا بينهم ولا محتاجا ولا ضعيفا ، وأخذ كل رجل منهم بالانكماش في صناعته والكسب بجهده ، ليكون له الفضل في رتبته ، وجمعت المرأة كسبها من مغزلها ، والصبي أجرة نطارته للطير ، وأتوه به ، فلم يتملك أحد منهم الا سيفه وسلاحه .

فلما استقام له ذلك أمر الدعاة أن يجمعوا النساء ليلة معروفة ، ويختلطن بالرجال ، ويتراكبن ولا يتنافرن ، فان ذلك من صحة الود والالفة بينهم .

فلما تمكن من أمورهم ، ووثق بطاعتهم ، وتبين مقدار عقولهم ، أخذ في تدريجهم ، وأتاهم بحجج من مذهب الثنوية ، فسلكوا معه في ذلك حتى يقضي ماكان يأمرهم به في مبدأ أمرهم من الخشوع والورع والتقوى ، وظهر منهم بعد تدين كثير إباحة الاموال والفروج ، والغناء عن الصوم والصلاة والفرائض ، وأخبرهم أن ذلك كله موضوع عنهم ، وأن أموال المخالفين ودماءهم حلال لهم ، وأن معرفة صاحب الحق تغني [عن] كل شيء ، ولا يخاف معه اثم ولا عذاب — يعني إمامه الذي يدعو إليه ، وهو محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق — وأنه الامام المهدي الذي [٢٥ — و] يظهر في آخر الزمان ويقيم الحق ، وأن البيعة له ، وأن الداعي انما يأخذ على الناس له ، وأن ما يجمع من الاموال مخزون له الى أن يظهر ، وأنه حي لم يمت ، وأنه يظهر في آخر الزمان ، وأنه مهدي الامة .

فلما أظهر هذه الامور كلها بعد تعلقه بذكر الأئمة والرسل والحجة والامام ، وأنه المعول والمقصد والمراد ، وبه اتسقت هذه الامور ، ولولا هذه لهلك الخلق وعدم الهدى والعلم ، ظهر في كثير منهم الفجور ، وبسط بعضهم أيديهم بسفك الدماء ، وقتلوا جماعة ممن خالفهم ، فخافهم الناس واستوحشوا من ظهور السلاح بينهم ، فأظهر موافقتهم كثير من مجاوريهم — جزعا منهم — .

ثم ان الدعاة اجتمعوا ، واتفقوا على أن يجعلوا لهم موضعا يكون وطنا ودار هجرة يهاجرون اليها ، ويجتمعون بها ، فاختاروا من سواد الكوفة — في طسّوج

الفرات من ضياع السلطان المعروفة بالقاسميات ــ قرية تعرف « بمهتماباذ » ، فحاذوا صخرا عظيما ، ثم بنوا حولها سورا منيعا عرضه ثمانية أذرع ، ومن ورائه خندق عظيم ، وفرغوا من ذلك في أسرع وقت، وبنوا فيها البناء العظيم، وانتقل اليها الرجال والنساء من كل مكان ، وسميت « دار الهجرة » ، وذلك في سنة سبع وتسعين ومائتين ، فلم يبق حينئذ أحد الا خافهم ، ولا بقي أحد يخافونه وتمكنهم في البلاد .

وكان الذي أعانهم على ذلك تشاغل الخليفة بفتنة الخوارج ، وصاحب الزنج بالبصرة ، وقصر يد السلطان ، وخراب العراق ، وتركه لتدبيره ، وركوب الاعراب واللصوص بعد السبعين ومائتين بالقفر ، وتلاف الرجال ، وفساد البلدان ، فتمكن هؤلاء ، وبسطوا أيديهم في البلاد ، وعلت كلمتهم .

وكان منهم مهرويه أحد الدعاة في مبدأ أمره ينظر النخل ويأخذ أجرته تمرا فيفرغ منه النوى ويتصدق به ، ويبيع النوى ويتقوت به، فعظم في أعين الناس قدره، وصارت له مرتبة في التقية والدين[١] ، فصار الى صاحب الزنج لما ظهر على السلطان وقال له : « ورائي مائة ألف ضارب سيف أعينك بهم » .

فلم يلتفت الى قوله ، ولم يجد فيه مطمعاً ، فرجع وعظم بعد ذلك في السواد ، وانقاد اليه خلق كثير ، فادعى أنه من ولد عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر ، فقيل له : « لم يكن لمحمد بن اسماعيل ابن يقال له عبد الله[٢] » .

فكف عن هذه الدعوى ، وصار بعد ذلك في قبة على جمل ، ودعي بالسيد ، وظهر بسواد الكوفة ، وسيأتي ذكر ابنه زكرويه ، وابن ابنه الحسين بن زكرويه ان شاء الله .

وكان رجل من أهل قرية جنابة[٣] يعمل الفراء ، يقال له أبو سعيد الحسن بن

---

(١) هذه رواية ثانية عن أصل حركة القرامطة في العراق ، عرضها المقريزي دون أن ينبه على ذلك .

(٢) بانسياب سريع مزج المقريزي بين بداية حركة صاحب الجمل في الشام ومسألة نسبه ، وبين ما كان يجري في سواد العراق .

(٣) جنابة بلدة قائمة على ساحل فارس قبالة منطقة البصرة ــ معجم البلدان .

بهرام الجنابي[١] ، أصله من الفرس ، سافر الى سواد الكوفة وتزوج من قوم يقال لهم : « بنو القصار » كانوا من أصول هذه الدعوة فأخذ عن عبدان ، وقيل بل أخذ عن حمدان قرمط ، وسار داعية ، فنزل القطيف ـ وهي حينئذ مدينة عظيمة ـ فجلس بها يبيع الرقيق ، فلزم الوفاء والصدق ، وكان أول من أجابه الحسين بن سنبر ، وعلي بن سنبر وحمدان بن سنبر ، في قوم ضعفاء ، ما بين قصاب وحمال وأمثال ذلك ، فبلغه أن بناحيته داعيا يقال له أبو زكريا ، أنفذه عبدان قبل أبي سعيد وكان قد أخذ على بني سنبر من قبل ، فعظم أمره على أبي سعيد وقبض عليه وقتله ، فحقد عليه بنو سنبر قتلـه[٢] .

واتفق أن البلد كان واسعا ، ولأهله عادة بالحروب ، وهم رجال شداد جهال ، فظفر أبو سعيد باشتهار دعوته في تلك الديار ، فقاتل بمن أطاعه من عصاه ، حتـى اشتدت شوكته .

وكان لا يظفر بقرية الا قتل أهلها ونهبها ، فهابه الناس ، وأجابه كثير منهم ، وفر منه خلق كثير الى بلدان شتى خوفا من شره ، ولم يمتنع عليه الا هجر ـ وهي مدينة البحرين ومنزل سلطانها ، وبها التجار والوجوه ـ فنازلها شهورا يقاتل أهلها ، ثم وكل بها رجلا .

---

(١) في حاشية الاصل : « اختلف في أبي سعيد الجنابي ، فقال قوم : اسـمه الحسن ابن علي بن محمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، وانه ابن صـاحب الزنج القائم بالبصرة بعد سنة خمسين ومائتين ، وان علي بن محمد كان مقيما بهجر ، ويعرف انه شريف ويكرم ويعطى ، ثم انه خرج وجمع ، فقاتله العريان بن ابراهيم بأرض البحرين ، فانصرف الى القطيف وبنى بـام ابي سعيد على سبيل الاستحلال ، وخرج من القطيف الى الاحساء ، وظهـر الحمل بام ابي سعيد ، فلما ولدته سمته الحســن ، وكنته بابي سعيد ، وكتمته سنة خوفا عليه ، وتزوجت برجل من اهل جنابة ، فنسب أبو سعيد اليه ، ونشـا على انه رجل من اهل جنابة ، ينتسب الى من هو ربيب له ، وقيل ما ذكر في الاصـل » .

(٢) في هذا اشـارة الى قتل ابي سـعيد ـ او ابي طاهر ـ للداعي ابي زكريا الصمامي أو الطمامي. انظر ما سـبق قوله في نص القاضي عبد الجبار. اصول الاسـماعيلية : ١٦٩ ـ ١٧١ القرامطة لدى غوية ٢ : ١٠٢ ـ ١٠٨ .

وارتفع فنزل الاحساء ـ وبينها وبين هجر ميلان ـ فابتنى بها داراً وجعلها منزلاً، وتقدم في زراعة الارض وعمارتها [٢٥ ـ ظ] ، وكان يركب الى هجر ، ويحارب أهلها ، ويعقب قومه على حصارها .

ودعا العرب فأجابه بنو الأضبط من كلاب ، وساروا اليه بحرمهم وأموالهم ، فأنزلهم الاحساء ، وأطمعوه في بني كلاب ، وسائر من يقرب منه من العرب فضم اليهم رجالا ، وساروا فأكثروا من القتلى ، وأقبلوا بالحريم والاموال والامتعة الى الاحساء ، فدخل الناس في طاعته ، فوجه جيشا الى بني عقيل فظفر بهم ، ودخلوا في طاعته[1] .

فلما اجتمع اليه العرب مناهم ملك الارض كلها ، ورد الى من أجابه من العرب ما كان أخذ منهم من أهل وولد ، ولم يرد عبدا ولا أمة ولا أيما ولا صبيا الا أن يكون دون الاربع سنين .

وجمع الصبيان في دور ، وأقام عليهم ما يحتاجون اليه ، ووسمهم لئلا يختلطون بغيرهم ، ونصب لهم عرفاء ، وأخذ يعلمهم ركوب الخيل والطعان فنشأوا لا يعرفون غير الحرب ، وقد صارت دعوته طبعا لهم .

وقبض كل مال في البلد ، والثمار ، والحنطة ، والشعير . وأقام رعاة للابل والغنم ومعهم قوم لحفظها ، والتنقل معها على نوب معروفة ، وأجرى على أصحابه جرايات ، فلم يكن يصل لأحد غير ما يطعمه .

هذا وهو لا يغفل عن هجر ، وطال حصاره لهم على نيف وعشرين شهرا ، حتى أكلوا الكلاب ، فجمع أصحابه ، وعمل دبابات ، ومشى بها الرجال الى السور ، فاقتتلوا يومهم ، وكثر بينهم القتلى ، ثم انصرف عنهم الى الاحساء ، وباكرهم فناوشوه ، فانصرف الى قرب الاحساء ، ثم عاد في خيل ، فدار حول هجر يفكر فيما يكيدهم به فاذا لهجر عين عظيمة كثيرة الماء، تخرج من نشز من الارض غير بعيد منها، فيجتمع ماؤها في نهر يستقيم حتى يمر بجانب هجر ، ثم ينزل الى النخل فيسقيه ، فكانوا لا يفقدون الماء في حصارهم .

---

(١) في هذا اشارة الى اثر القرامطة في دفع القبائل من عامر بن صعصعة للهجرة شمالا . انظر كتابي تاريخ العرب والاسلام : ٣٦٩ ـ ٣٧٢ .

فلما تبين له أمر العين ، انصرف الى الاحساء ، ثم غدا فأوقف على باب المدينة رجالا كثيرا ، ورجع الى الاحساء ، وجمع الناس كلهم ، وسار في آخر الليل فورد العين بكرة بالمعاول والرمل وأوقار الثياب الخلقان ووبر وصوف ، وأمر بجمع الحجارة ونقلها الى العين ، وأعد الرمل والحصى والتراب ، ثم أمر بطرح الوبر والصوف وأوقار الثياب في العين ، وطرح فوقها الرمل والحصى والتراب والحجارة، فقذفته العين ، ولم يغن ما فعله شيئا ، فانصرف الى الاحساء بمن معه •

وغدا في خيل فضرب في البر حتى عرف أن منتهى العين بساحل البحر ، وأنها تنخفض كلما نزلت ، فرد جميع من كان معه ، وانحدر على النهر نحوا من ميلين ثم أمر بحفر نهر هناك ، وأقبل يركب هو وجمعه في كل يوم والعمال يعملون حتى حفره الى السباخ ، ومضى الماء كله فصب في البحر ثم سار فنزل على هجر وقد انقطع الماء عنهم ، ففر بعضهم فركب البحر ، ودخل بعضهم في دعوته ، وخرجوا اليه فنقلهم الى الاحساء ، وبقيت طائفة لم يفروا لعجزهم ، ولم يدخلوا في دعوته فقتلهم ، وأخذ ما في المدينة وأخربها فبقيت خرابا ، وصارت مدينة البحرين هي الاحساء •

ثم أنفذ سرية الى عمان في ستمائة ، وأردفهم بستمائة أخرى فقاتلهم أهل عمان حتى تفانوا ، وبقي من أهل عمان خمسة نفر ومن القرامطة ستة نفر ، فلحقوا بأبي سعيد ، فأمر بهم فقتلوا ، وقال: « هؤلاء خاسوا بعهدي ولم يواسوا أصحابهم الذين قتلوا » وتطير بهلاك السريتين ، وكف عن أهل عمان •

واتصل بالمعتضد بالله خبره ، فخاف منه على البصرة ، فأنفذ العباس بن عمرو الغنوي في ألفي رجل ، وولاه البحرين ، فخرج في سنة تسع ومائتين والتقى مع أبي سعيد فانهزم أصحابه وأسر العباس في نحو من سبعمائة رجل من أصحابه ، واحتووا على عسكره ، وقتل من غده جميع الاسرى ، ثم أحرقهم وترك العباس ، ومضى المنهزمون فتاه أكثرهم في البر ، وتلف كثير منهم عطشا وورد بعضهم الى البصرة فارتاع الناس وأخذوا في الرحيل عن البصرة •

ثم لما كان بعد الوقعة بأيام أحضر أبو سعيد العباس بن عمرو ، وقال له : « أتحب أن أطلقك ؟ » قال : « نعم » قال : « على أن تبلغ عني ما أقول صاحبك »، [٢٦] قال : « أفعل » قال : « تقول له : الذي أنزل بجيشك ما أنزل ، بغيك ، هذا بلد خارج عن يدك ، غلبت عليه ، وقمت به ، وكان بي من الفضل ما آخذ به غيره ،

فما عرضت لما كان في يدك ، ولا هممت به ، ولا أخفت لك سبيلا ولا نلت أحدا من رعيتك بسوء ، فتوجيهك الي الجيوش لأي سبب ؟ اعلم أني لا أخرج من هذا البلد ولا تصل اليه وفي هذه العصابة التي معي روح ، فاكفني نفسك ولا تتعرض لما ليس لك فيها فائدة ، ولا تصل الى مرادك [منه] الا ببلوغ القلوب الحناجر » .

وأطلقه ، وبعث معه من يرده الى مأمنه ، فوصل الى بغداد في شهر رمضان ، وقد كان الناس يعظمون أمره ويكثرون ذكره ، ويسمونه « قائد الشهداء » فلما وصل الى المعتضد عاتبه على تركه التحرز ، فاعتذر ولم يبرح حتى رضي عنه وسأله خبره ، فعرفه جميعه ، وبلغه ما قال القرمطي ، فقال : « صدق ما أخذ شيئا كان في أيدينا » وأطرق مفكرا ثم رفع رأسه وقال : « كذب عدو الله الكافر ، المسلمون رعيتي حيث كانوا من بلاد الله ، والله لئن طال بي عمري لأشخصن بنفسي الي البصرة وجميع غلماني ، ولأوجهن اليه جيشا كثيفا ، فان هزمه وجهت [بعده] جيشا ، فان هزمه خرجت في جميع قوادي وجيشي اليه حتى يحكم الله بيني وبينه » .

فشغل المعتضد عن القرمطي بأمر وصيف غلام أبي الساج[1] .

ثم توفي في ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين ، وما يزال يذكر أبا سعيد الجنابي في مرضه ، ويتلهف ويقول : « حسرة في نفسي كنت أحب أن أبلغها قبل موتي ، والله لقد كنت وضعت عند نفسي أن أركب ثم أخرج نحو البحرين ثم لا ألقى أحدا أطول من سيفي الا ضربت عنقه، واني أخاف أن يكون من هناك حوادث عظيمة» .

وأقبل أبو سعيد ـ بعد اطلاق العباس ـ على جمع الخيل ، واعداد السلاح ونسج الدروع والمغافر ، واتخاذ الابل ، واصلاح الرجال، وضرب السيوف والأسنة، واتخاذ الروايا والمزاود والقرب ، وتعليم الصبيان الفروسية ، وطرد الاعراب من قريته ، وسد الوجوه التي يتعرف منها أمر بلده وأحواله بالرجال واصلاح أراضي المزارع وأصول النخل ، واصلاح مثل هذه الامور وتفقدها ، ونصب الامناء على ذلك ، وأقام العرفاء على الرجال ، واحتاط على ذلك كله ، حتى بلغ من تفقده أن الشاة اذا ذبحت يتسلم العرفاء اللحم ليفرقوه على من ترسم لهم ، ويدفع الرأس والاكارع والبطن الى العبيد والاماء ، ويجز الصوف والشعر من الغنم ويفرقه على

(١) انظر خبر ذلك في الكامل لابن الاثير : ٦/٩٤ .

من يغزله ، ثم يدفعه الى من ينسجه عبيا وأكسية وغرائر وجوالقات ، ويفتل منه حبال ، ويسلم الجلد الى الدباغ ، ثم الى خرازي القرب والروايا ، والمزاود ، وماكان من الجلود يصلح نعالا وخفا عمل منه ، ثم يجمع ذلك كله الى خزائن .

فكان ذلك دأبه لا يغفله ، ويوجه كل قليل خيلا الى ناحية البصرة ، فتأخذ من وجدت ، وتصير بهم اليه ويستعبدهم ، فزادت بلاده ، وعظمت هيبته في صدور الناس .

وواقع بني ضبة وقائع مشهورة ، فظفر بهم ، وأخذ منهم خلقا ، وبنى لهم حبساً عظيما جمعهم فيه ، وسده عليهم ، ومنعهم الطعام والشراب ، فصاحوا فلم يغثهم ، فمكثوا على ذلك شهرا ، ثم فتح عليهم فوجد أكثرهم موتى ، ويسيراً بحال الموتى ، وقد تغذوا بلحوم الموتى ، فخصاهم وخلاهم فمات أكثرهم .

وكان قد أخذ من عسكر العباس خادما له جعله على طعامه وشرابه ، فمكث مدة طويلة لا يرى أبا سعيد فيها مصليا صلاة واحدة ، ولا يصوم في شهر رمضان ولا في غيره ، فأضمر الخادم قتله ، حتى اذا دخل الحمام معه ــ وكانت الحمام في داره ــ فأعد الخادم خنجرا ماضيا ــ والحمام خال ــ فلما تمكن منه ذبحه ، ثم خرج فقال : « يدعى فلان » لبعض بني سنبر فأحضر ، فلما دخل قبضه وذبحه ، فلم يزل ذلك دأبه حتى قتل جماعة من الرؤساء والوجوه ، فدخل آخرهم فاذا في البيت الاول دم جار ، فارتاب وخرج مبادرا ، وأعلم الناس ، فحصروا الخادم حتى دخلوه ، فوجدوا الجماعة صرعى [٢٦ ــ ظ] وذلك في سنة احدى وثلاثمائة ، وقيل اثنتين وثلاثمائة ، وكان قتله بأحساء من البحرين . وكانت سنه يوم قتله نيفا وستين سنة .

وترك أبو سعيد من الاولاد : أبا القاسم سعيدا ، وأبا طاهر سليمان ، وأبا منصور أحمد ، وأبا اسحاق ابراهيم ، وأبا العباس محمدا، وأبا يعقوب يوسف.

وكان أبو سعيد قد جمع رؤساء دولته ، وأوصى ان حدث به موت يكون القيم بأمرهم سعيد ابنه الى أن يكبر أبو طاهر ، وكان أبو طاهر أصغر سنا من سعيد فاذا كبر أبو طاهر كان المدبر ، فلما قتل جرى الامر على ذلك .

وكان قد قال لهم : ستكون الفتوح له ، فجلس سعيد يدبر الامر بعد قتل [أبيه] ، وأمر فشد الخادم بحبال ، وقرض لحمه بالمقاريض حتى مات .

فلما كان في سنة خمس وثلاثمائة سلم سعيد الى أخيه أبي طاهر سليمان الامر، فعظموا أمــره .

وكان ابتداء أمر أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي بالقطيف وما والاها في سنة ست وثمانين ومائتين ، فكانت مدته نحو خمس عشر سنة .

الصناديقــي

وفيها : استولى النجار أبو القاسم الحسن بن فرج الصناديقي على اليمن ، وكانت جيوشه بالمذيخرة وسهفنة[1] ، وكان ابن أبي الفوارس ــ أحد دعاة عبدان ــ أنفذه داعيا الى اليمن ؛ وكان من أهل النرس[2] ــ موضع يعمل فيه الثياب النرسية، وكان يعمل من الكتان ــ فصار الى اليمن ودخل في دعوته خلق كثير ، فأظهر العظائم وقتل الاطفال ، وسبى النساء ؛ وتسمى برب العزة ، وكان يكاتب بذلك ، وأعلن سب النبي ﷺ وسائر الانبياء ، واتخذ دارا خاصة سماها « دار الصفوة » يجتمع فيها النســاء ويأمر الرجال بمخالطتهن ووطئهن ، من تحبل منهن في تلك الليلة ومن تلد من ذلك ، ويتخذ تلك الاولاد لنفسه خولا ، ويسميهم « أولاد الصفوة » .

قال بعضهم :

« دخلت اليها لأنظر فسمعت امرأة تقول : « يا بني » ، فقال : يا أمة نريد أن نمضي أمر ولي الله فينا » . وكان يقول : « اذا فعلتم هذا لم يتميز مال من مال ، ولا ولد من ولد ، فتكونوا كنفس واحدة » . فعظمت فتنته باليمن ، وأجلى أكثر أهله عنه ، وأجلى السلطان ، وقاتل أبا القاسم محمدا بن يحيى بن الحسين بن القاسم ابن ابراهيم الحسني ، الهادي[3] ، وأزاله عن عمله من صعدة ففر منــه بعيانه الى الرس ، ثم أظفره الله به فهزمه بأمر الهي ، وهو أن الله جلت قدرته ألقى على عسكره وقد بايته بردا وثلجا قتل به أكثر أصحابه في ليلة واحدة ، وقلما عرف مثل ذلك في تلك الناحية .

---

(١) قرية قبلي الجند على ثلاث مراحل منها لدى سفال ، واسمها الآن سفنة ، انظر طبقات فقهاء اليمن لعمر بن علي بن سمرة الجعدي نشر فؤاد السيد : ٣١٨ .

(٢) نرس نهر يأخذ من الفرات عليه عــدة قرى ، واليه تنسب الثياب النرسيـــة . معجم البلدان .

(٣) المقصود بالهادي يحيى بن الحسين .

وسلط الله عليه الأكلة ، وذلك أن أبا القاسم أنفذ اليه طبيبا بمبضع مسموم فصده به فقتله ؟ وأنزل الله بالبلدان التي غلب عليها بثرا يخرج في كتف الرجل منهم بثرة فيموت سريعا ، فسمي ذلك البثر ــ بتلك البلاد ــ « حبة القرمطي » مدة من الزمان .

وأخرب الله أكثر تلك البلاد التي ملكها ، وأفنى أهلها بموت ذريع فاعتصم ابنه بجبال وأقام بها ، وكاتب أهل دعوتهم ، وعنون كتبه[1] :

« من ابن رب العزة » .

فأهلكه الله ، وبقي منهم بقية ، فاستأمنوا الى أبي القاسم بن يحيى الهادي ، ولم يبق للنجار ــ لعنه الله ــ ولا لمن كان على دعوته بقية .

وكان قرمط يكاتب من بسلمية ، فلما مات من كان في وقته[2] ، وخلفه ابنه من بعده كتب الى قرمط فأنكر منه أشياء ، فاستراب ، وبعث ابن مليح ــ أحد دعاته ــ ليعرف الخبر فامتنع ، فأنفذ عبدان ، وعرف موت الذي كانوا يكاتبونه ، فسأل ابنه عن الحجة ، ومن الامام الذي يدعو اليه ، فقال الابن : « ومن الامام ؟» . فقال عبدان : « محمد بن اسماعيل بن جعفر صاحب الزمان » . فأنكر ذلك وقال : « لم يكن امام غير أبي ، وأنا أقوم مقامه » .

فرجع عبدان الى قرمط ، وعرفه الخبر ، فجمع الدعاة وأمرهم بقطع الدعوة حنقاً من قول صاحب سلمية : « لا حق لمحمد بن اسماعيل في هذا الامر ولا إمامة » .

وكان قرمط انما يدعو الى إمامة محمد بن اسماعيل ، فلما قطعوها من ديارهم لم يمكنهم قطعها من غير ديارهم ، لأنها امتدت في سائر الاقطار ، ومن حينئذ قطع الدعاة مكاتبة الذين كانوا بسلمية .

وكان رجل منهم قد نفذ الى الطالقان يبث الدعوة فلما انقطعت المكاتبة طال [٢٧ ــ و] انتظاره ، فشخص يسأل عن قرمط ، فنزل على عبدان بسواد الكوفة ،

---

(١) المشكلة الاساسية مع المقريزي ــ أنه حاطب ليل ــ نادرا ما يذكر مصادره، وعلى هذا الاساس لا نستطيع تحديد مصادر الوهم الذي تسرب الى هذه الرواية . قارنها مع ما تقدم عند صاحب كشف أسرار الباطنية،وما سيأتي عند الخزرجي.

(٢) اي إماما متوليا لشؤون الدعوة .

فعتبه وعتب الدعاة في انقطاع كتبهم ، فعرفه عبدان قطعهم الدعوة ، وأنهم لا يعودون فيها ، وأنه تاب من هذه الدعوة حقيقة ، فانصرف عنه الى زكرويه بن مهرويه ليدعو كما كان أبوه ، ويجمع الرجال ، فقال زكرويه : « ان هذا لا يتم مع عبدان لأنه داعي البلد كله والدعاة من قبله ، والوجه أن نحتال على عبدان حتى نقتله » وباطن على ذلك جماعة من قرابته وثقاته ، وقال لهم : « ان عبدان قد نافق وعصى وخرج من الملة » فبيتوه ليلاً وقتلوه ، فشاع ذلك ، وطلب الدعاة وأصحاب قرمط زكرويه بن مهرويه ليقتلوه فاستتر ، وخالفه القوم كلهم الا أصل دعوته ، وتنقل في القرى ــ وذلك في سنة ست وثمانين ــ والقرامطة تطلبه الى سنة ثمان وثمانين ، فأنفذ ابنه الحسن الى الشام[1] ، ومعه من القرامطة رجل يقال له أبو الحسين القاسم بن أحمد ، وأمره أن يقصد بني كلب ، وينتسب الى محمد بن اسماعيل ، ويدعوهم الى الامام من ولده ، فاستجاب له فخذ من بني العليص ومواليهم وبايعوه ، فبعث الى زكرويه يخبره بمن استجاب له بالشام ، فضم اليه ابن أخيه ــ فتسمى بالمدثر لقباً ؛ وبعبدالله اسماً ، وتأول أنه المذكور في القرآن بالمدثر ويقال ان المدثر هذا اسمه عيسى بن مهدي ، وأنه تسمى عبد الله بن أحمد بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، وعهد اليه حاصب الخال من بعده ، وغلاما من بني مهرويه تلقب بالمطوق[2] ــ وكان سيافاً ــ .

وكتب الى ابنه الحسن يعرفه أنه ابن الحجة ، ويأمره بالسمع والطاعة لــه ، وابن الحجة هذا ادعى أنه محمد بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، وأنكر قوم هذا النسب ، وقالوا انما اسمه يحيى بن زكرويه بن مهرويه ، وكنيتــه أبو القاسم ، ويلقب بالشيخ ويعرف بصاحب الناقة ، وبصاحب الجمل ، وهو أخو صاحب الجمل ، وهو أخو صاحب الخال ، القائم من بعده ، فسار حتى نزل في بني كلب ، فلقيه الحسن بن زكرويه ، وسر به ، وجمع له الجموع ، وقال : « هذا صاحب الامام » ، فامتثلوا أمره ، وسروا به ، فأمرهم بالاستعداد للحرب ، وقال : « قــد أظلكم النصر » ففعلوا ذلك .

---

(١) شرع المقريزي هنا في تقديم رواية جديدة عن أصل صاحب الجمل زعيم قرامطة الشام الاول .

(٢) مما يثير الانتباه وجود مطوق مع زعيم قرامطة الشام ، ومثيله في اليمن ايضا .

واتصلت أخبارهم بشبل الديلمي ـ مولى المعتضد ـ في سنة تسع وثمانين فقصدهم، فحاربوه وقتلوه في عدة من أصحابه بالرصافة من غربي الفرات، ودخلوا فأحرقوا مسجدها ونهبوا .

وساروا نحو الشام يقتلون ويحرقون القرى وينهبونها الى أن وردوا أطراف دمشق، وكان عليها طغج بن جف من قبل هارون بن خمارويه بن أحمد بن طولون ـ فبرز اليهم فهزموه وقتل كثير من أصحابه، والتجأ الى دمشق فحصروه وقتلوه .

وكان القرمطي يحضر الحرب على ناقة، ويقول لأصحابه : ولا تسيروا من مصافكم حتى تنبعث بين أيديكم، فاذا سارت فاحملوا، فانه لا ترد لكم راية، اذ كانت مأمورة[1] » . فسمي بذلك : « صاحب الناقة » .

فأقام طغج سبعة أشهر محصورا بدمشق، فكتب الى مصر بأنه محصور وقد قتل أكثر أصحابه، وضرب البلد، فأنفذ اليه بدر الكبير ـ غلام ابن طولون المعروف بالحمامي ـ فسار حتى قرب من دمشق، فاجتمع هو وطغج على محاربة القرمطي بقرب دمشق، فقتل القرمطي واحتمى أصحابه وانحازوا، فمضوا، وكان [القرمطي] قد ضرب دارهم ودنانير وكتب عليها :

« قل جاء الحق وزهق الباطل »[2] .

وفي الوجه الآخر : « لا إله إلا الله »، « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى »[3] .

فلما انصرف القرامطة عن دمشق وقد قتل محمد بن عبد الله « صاحب الناقة » بايعوا الحسن بن زكرويه ـ وهو الذي يقال له أحمد بن عبد الله ويقال عبد الله بن أحمد بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق، ويعرف « بصاحب الخال » ـ فسار

---

(1) اهتم قرامطة الشام ـ اقصد الزعماء باظهار بان لكل واحد منهما علامة تدل عليه، واستعيرت افكار العلامات من السيرة النبوية، فهـذا صاحب الجمل استعار قصة ناقة الرسول ﷺ حين دخل المدينة مهاجراً اليها، وصاحب الخال استعار فكرة خاتم النبوة فجعله على وجهه .

(2) سورة الاسراء : ٨١ .

(3) سورة الشورى : ٢٣ .

بهم ، وافتتح عدة مدن من الشام ، وظهر على حمص ، وقتل خلقاً ، وتسمى بأمير المؤمنين المهدي على المنابر وفي كتبه،وذلك في سنة تسع وثمانين وبعض سنة تسعين •

ثم صاروا الى الرقة ، فخرج اليهم مولى المكتفي وواقعهم فهزموه وقتلوه ، واستباحوا عسكره ، ورجعوا الى [٢٧ ـ ظ] دمشق وهم ينهبون جميع ما يمرون به من القرى، ويقتلون ويسبون، فخرج اليهم جيش كثيف عليه بشير ـ غلام طغج ـ وقاتلهم حتى قتل في خلق من أصحابه •

واتصل ذلك بالمكتفي بالله فندب أبا الاغر السلمي ـ في عشرة آلاف ـ وخلع عليه لثلاث عشرة بقيت من ربيع الآخر سنة تسعين ، فسار حتى نزل حلب ، ثم خرج فوافاه جيش القرامطة غفلة يقدمهم المطوق ، فانهزم أبو الاغر ، وركبت القرامطة أكتاف الناس يقتلون ويأسرون حتى حجز بينهم الليل وقد أتوا على عامة العسكر ، ولحق أبو الاغر بطائفة من أصحابه ، فالتجؤوا بحلب ، وصار في نحو الألف ،فنازله القرامطة ، فلم يقدروا منه على شيء فانصرفوا • وجمع الحسن بن زكرويه بن مهرويه أصحابه ، وسار بهم الى حمص ، فخطب له على منابرها ثم سار الى حماة والمعرة ، فقتل الرجال والنساء والاطفال ، ورجع الى بعلبك فقتل عامة أهلها ثم سار الى سلمية فحارب أهلها وامتنعوا منه فأمنهم ، ودخلها فبدأ بمن فيها من بني هاشم ، ـ وكانوا جماعة ـ فقتلهم ثم كر على أهلها فقتلهم أجمعين ، وخربها ، وخرج عنها وما بها عين تطرف ، فلم يمر بقرية الا أخربها ، ولم يدع فيها أحدا ، فخرب البلاد وقتل الناس، ولم يقاومه أحد ، وفنيت رجال طغج ، وبقي في عدة يسيرة ، فكانت القرامطة تقصد دمشق فلا يقاتلهم الا العامة وقد أشرفوا على الهلكة ، فكثر الضجيج ببغداد واجتمعت العامة الى يوسف بن يعقوب القاضي ، وسألوه انهاء الخبر الى السلطان •

ووردت الكتب من مصر الى المكتفي بخبر قتل عسكرهم الذي خرج الى الشام بيد القرامطة ، وخراب الشام ، فأمر المكتفي الجيش بالاستعداد ، وخرج الى مضربه في القواد والجند لاثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان ، ومضى نحو الرقة بالجيوش حتى نزلها ، وانبثت الجيوش بين حلب وحمص وقلد محمد بن سليمان حرب الحسن بن زكرويه ، واختار له جيشاً كثيفاً ـ وكان صاحب ديوان العطاء ـ

وعرض الجيش فسار اليهم والتقاهم لست خلون من المحرم سنة احدى وتسعين ومائتين بموضع بينه وبين حماة اثنا عشر ميلا ، فاقتتلوا قتالا شديدا حتى حجز الليل بينهم ، وقتل عامة رجال القرامطة فولوا مدبرين .

وكان الحسن بن زكرويه لما أحس بالجيوش اصطفى مقاتلة ممن معه ، ورتب أحوالهم ، فلما انهزم أصحابه ، رحل من وقته ، وتلاحق به من أفلت ، فقال لهم : « أتيتم من قبل أنفسكم وذنوبكم وانكم لم تصدقوا الله » ، وحرضهم على المعاودة الى الحرب ، فاعتلوا بفناء الرجال وكثرة الجراح فيهم ، فقال لهم : « قد كاتبني خلق من أهل بغداد بالبيعة لي ودعاتي بها ينتظرون أمري ، وقد خلت من السلطان الآن ، وأنا شاخص نحوها لأظهر بها ، ومستخلف عليكم أبا الحسين القاسم بن أحمد — صاحبي — وكتبي ترد عليه بما يعمل ، فاسمعوا وأطيعوا » .

فضمنوا ذلك له، وشخص معه قريبه عيسى بن أخت مهرويه المسمى «بالمدثر»، وصاحبه المعروف « بالمطوق » ، وغلام له رومي ، وأخذ دليلا يرشدهم الى الطريق، فساروا يريدون سواد الكوفة ، وسلك في البرية وتجنب القرى والمدن حتى صار قريبا من الرحبة بموضع يقال له الدالية ، فأمر الدليل فسار بهم اليها ، ونزل بالقرب منها خلف رابية ، ووجه بعض من معه لابتياع ما يصلحه ، فدخل القرية فأنكر بعض أهلها زيه ، وسأله عن أمره وتلجلج ، فارتاب به وقبض عليه ، وأتي به واليها — ويقال له أبو خبزة وكان يخلف أحمد بن كشمرد صاحب الحرب بطريق الفرات — فسأله أبو خبزة ورهب عليه ، فعرفه أن القرمطي الذي خرج الخليفة المكتفي في طلبه خلف رابية أشار اليها ، فسار الوالي مع جماعة بالسلاح فأخذوهم وشدوهم وثاقا ، وتوجه بهم الى ابن كشمرد ، فصار بهم الى المكتفي — وهو بالرقة — فشهرهم بالرقة ، وعلى الحسن بن زكرويه دراعة ديباج وبرنس حرير ، وعلى المدثر دراعة وبرنس حرير ، وذلك لأربع بقين من المحرم .

وقدم محمد بن سليمان بجيوشه الى الرقة — ومعه الأسرى — فخلف المكتفي عساكره مع محمد بن سليمان بالرقة ، وشخص في خاصته وغلمانه وتبعه وزيره [٢٨ — و] القاسم بن عبيد الله الى بغداد ، ومعه القرمطي وأصحابه .

فلما صار الى بغداد عمل له كرسي سمكه ذراعان ونصف ، وركب على فيل وأركب عليه ، ودخل المكتفي وهو بين يديه مع أصحابه الاسرى ، وذلك ثالث ربيع الاول ، ثم سجنوا .

فلما وصل محمد بن سليمان ببقية القرامطة لاثنتي عشرة خلت منه، أمر المكتفي القواد بتلقيه والدخول معه ، فدخل في زي حسن وبين يديه نيف وسبعون أسيرا ، فخلع عليه ، وطوق بطوق من ذهب ، وسور سوارين من ذهب ، وخلع على جميع من كان معه من القواد وطوقوا وسوروا .

وأمر [المكتفي] ببناء دكة في الجانب الشرقي مربعة ، ذرعها عشرون ذراعا في مثلها وارتفاعها عشرة أذرع ، يصعد اليها بدرج ، فلما كان لأربع بقين منه خرج القواد والعامة ، وحمل القرامطة على الجمال الى الدكة ، وقتلوا جميعا وعدتهم ثلاثمائة وستون ، وقيل دون ذلك .

وقدم الحسن بن زكرويه ، وعيسى بن أخت مهرويه الى أعلى الدكة ، ومعهما أربعة وثلاثون انسانا من وجوه القرامطة ممن عرف بالنكاية ، وكان الواحد منهم يبطح على وجهه ، وتقطع يده اليمنى ، فيرمى بها الى أسفل ليراها الناس ، ثم تقطع رجله اليسرى ، ثم رجله اليمنى ويرمى بهما ، ثم يضرب عنقه ويرمى بها .

ثم قدم المدثر ففعل به كذلك بعدما كوي ليعذب ، وضربت عنقه ثم قدم الحسن ابن زكرويه فضرب مائتي سوط ، ثم قطعت يداه ورجلاه وكوي ، وضربت عنقه ، ورفع رأسه على خشبة ، وكبر من على الدكة فكبر الناس وانصرفوا .

وحملت الرؤوس فصلبت على الجسر وصلب بدن القرمطي فمكث نحو سنة .

ومن كتب الحسن بن زكرويه الى عماله ما هذه نسخته بعد البسملة :

« من عبد الله المهدي المنصور بالله ، الناصر لدين الله ، القائم بأمر الله [الحاكم بحكم الله] ، الداعي الى كتاب الله ، الذاب عن حرم الله المختار من ولد رسول الله ، أمير المؤمنين ، وامام المسلمين، ومذل المنافقين ، وخليفة الله على العالمين، وحاصد الظالمين، وقاصم المعتدين ، ومبيد الملحدين ، وقاتل القاسطين ، ومهلك المفسدين ، وسراج المستبصرين [وضياء المستضيئين] ، ومشتت المخالفين ، والقيم بسنة [سيد] المرسلين، وولد خير الوصيين ــ صلي [الله] عليه وعلى آله الطيبين وسلم [كثيرا][1].

(١) استعين بضبط هذه بالنصوص السالفة بمواد تاريخ الطبري .

كتاب الى فلان :

« سلام عليك ، فاني أحمد اليك الله لا إله إلا هو ، وأسأله أن يصلي على محمد جدي رسول الله » .

أمـا بعـد :

فقد أنهي الينا ما حدث قبلك من أخبار أعداء الله الكفرة ، وما فعلوه بناحيتك من الظلم والعيث والفساد في الارض ، فأعظمنا ذلك ، ورأينا أن تنفذ الى ما هنالك من جيوشنا من ينتقم الله به من أعدائه الظالمين الذين يسعون في الارض فسادا ، فأنفذنا عطيراً داعيتنا وجماعة من المؤمنين الى مدينة حمص [وأمددناهم بالعساكر]، ونحن في اثرهم ، وقد أوعزنا اليهم في المصير الى ناحيتك لطلب أعداء الله حيث كانوا، ونحن نرجو أن يجزينا الله فيهم على أحسن عوائده عندنا في أمثالهم .

فينبغي أن تشد قلبك وقلوب من اتبعك من أوليائنا ، وتثق بالله وبنصره الذي لم يزل يعودناه في كل من مرق عن الطاعة ، وانحرف عن الايمان ، وتبادر الينا بأخبار الناحية ، وما يتجدد فيها ، ولا تخف عنا شيئا من أمرها [ان شاء الله] .

« سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين »[1]، وصلى الله على جدي [محمد] رسوله ، وعلى أهل بيته وسلم كثيرا » .

وكانت عماله تكاتبه بمثل هذا الصدد .

وسلم القاسم بن أحمد أبو الحسين — خليفة الحسن بن زكرويه — فقدم سواد الكوفة الى زكرويه بن مهرويه ، فأخبره بخبر القوم الذين استخلفهم ابنه عليهم ، وأنهم اضطربوا فخافهم وتركهم ، فلامه زكرويه على قدومه لوماً شديداً ، وقال له : « ألا كاتبتني قبل انصرافك إلي ؟ » . ووجده مع ذلك على خوف شديد من طلب السلطان ومن طلب أصحاب عبدان .

ثم انه أعرض عن أبي الحسين ، وأنفذ الى القوم — في سنة ثلاث وتسعين — رجلاً من أصحابه — كان معلماً — يقال له محمد بن عبد الله بن سعيد ويكنى بأبي غانم، فتسمى نصراً ليعمي أمره ، وأمره أن يدور أحياء كلب ويدعوهم ، فدار ودعاهم ،

---

(1) سورة يونس : ١٠ .

فاستجاب له طوائف من الاصبغين ، ومن بني [٢٨ ـ ظ] العليص ، فسار بهم نحو الشام ، وعامل المكتفي بالله يومئذ على دمشق والاردن أحمد بن كيغلغ ، وهو بمصر في حرب ابن الخليج[١] ، فاغتنم ذلك محمد بن عبد الله المعلم ، وسار الى بصرى وأذرعات فحارب أهلها ، وسبى ذراريهم وأخذ جميع أموالهم ، وقتل مقاتلتهم، وسار يريد دمشق ، فخرج اليه جيش مع صالح بن الفضل خليفة أحمد بن كيغلغ ، فظهروا عليه ، وقتلوا عسكره ، وأسروه فقتلوه وهموا بدخول دمشق فدافعهم أهلها، فمضوا الى طبرية ، فكانت لهم وقعة على الاردن غلبوا فيها ، ونهبوا طبرية ، وقتلوا وسبوا النساء .

فبعث المكتفي بالحسين بن حمدان في طلبهم مع وجوه من القواد، فدخل دمشق وهم بطبرية ، فساروا نحو السماوة ، وتبعهم ابن حمدان في البرية، فأخذوا يغورون ما يرتحلون عنه من الماء ، فانقطع [ابن حمدان] عنهم لعدم الماء ، ومال نحو رحبة مالك بن طوق ، فأسرى القرامطة الى هيت ، وأغاروا عليها لتسع بقين من شعبان سنة ثلاث وتسعين ، ونهبوا الربض والسفن التي في الفرات ، وقتلوا نحو مائتي انسان .

ثم رحلوا بعد يومين بما غنموه ، فأنفذ المكتفي الى هيت محمد بن اسحاق بن كنداج في جماعة من القواد بجيش كثيف ، وأتبعه بمؤنس ، فاذا هم قد غوروا المياه، فأنفذ اليهم من بغداد بالروايا والزاد، وكتب الى ابن حمدان بالنفوذ اليهم من الرحبة.

فلما أحسوا بذلك ائتمروا بصاحبهم المعلم ، ووثب عليه رجل من أصحابه يقال له الذئب بن القائم فقتله ، وشخص الى بغداد متقرباً بذلك ، فأسنيت له الجائزة ، وكف عن طلب قومه ، وحمل رأس القائم المسمى بنصر المعلم الى بغداد .

ثم ان قوما من بني كلب أنكروا فعل الذئب وقتله المعلم ، ورضيه آخرون ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، وافترقوا فرقتين ، فصارت الفرقة التي رضيت قتل المعلم الى عين التمر ، وتخلفت الأخرى ؛ وبلغ ذلك زكرويه ـ وأحمد بن القاسم عنده ـ فرده اليهم ، فلما قدم عليهم جمعهم ووعظهم وقال : « وهو عاتب عليكم فيما أقدم عليه الذئب بن القائم ، وانكم قد ارتددتم عن الدين » فاعتذروا ، وحلفوا ما كان ذلك بمحبتهم ، وأعلموه بما كان بينهم من الخلف والحرب ، فقال لهم : « قد جئتكم الآن

(١) انظر خبر ثورة ابن الخليج في ولاة الكندي : ٢٥٨ ـ ٢٦٣ .

بما لم يأتكم به أحد تقدمني ، يقول لكم وليكم : قد حضر أمركم ، وقرب ظهوركم ، وقد بايع له من أهل الكوفة أربعون ألفا ، ومن أهل سوادها أكثر ، وموعدكم اليوم [الذي]ذكره الله [في شأن موسى ﷺ وعدوه فرعون إذ يقول : « موعدكم »][1] يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى[2] » فأجمعوا أمركم ، وسيروا الى الكوفة ، فانه لأ دافع لكم عنها ، ومنجز وعدي الذي جاءتكم به رسلي » .

فسروا بذلك ، وارتحلوا نحو الكوفة ، فنزلوا دونها بستة وثلاثين ميلا قبل يوم عرفة بيوم من سنة ثلاث وتسعين ، فخلفوا هناك الخدم والاموال ، وأمرهم أن يلحقوا به على ستة أميال من القادسية .

ثم شاور الوجوه من أصحابه في طروق الكوفة أي وقت ، فاتفقوا على أن يكمنوا في النجف ، فيريحوا الخيل والدواب ، ثم يركبوا عمود الصبح فيشنوها غارة والناس في صلاة العيد .

فركبوا وساروا ، ثم نزلوا فناموا ، فلم يوقظهم الا الشمس يوم العيد لطفاً من الله بالناس ، فلم يصلوا الى الكوفة الا وقد انقضت الصلاة ، وانصرف الناس وهم متبددون في ظاهر الكوفة ، ولأمير البلد طلائع تتفقد ، وكان قد أرجف في البلد بحدوث فتن فأقبلوا ودخلت خيل منهم الكوفة ، فوضعوا السيف وقتلوا كثيراً من الناس وأحرقوا، فارتجت الكوفة، وخرج الناس بالسلاح، وتكاثروا عليهم يقذفونهم بالحجارة ، فقتلوا منهم عدة ، وأقبل بقيتهم فخرج اليهم اسحق بن عمران[3] في يسير من الجند ، وتلاحق به الناس ، فاقتتلوا قتالا شديدا في يوم صائف شديد الحر فانصرف القرامطة مكدودين ، فنزلوا على ميلين من الكوفة ، ثم ارتحلوا عشاء نحو سوادهم ، واجتازوا بالقادسية وقد تأهبوا لحربهم ، فانصرفوا عنها ، وبعث أمير الكوفة بخبر ذلك الى بغداد .

وسار القرامطة الى سواد الكوفة ، فاجتمع [٢٩ ــ و] أحمد بن القاسم بزكرويه بن مهرويه ــ وكان مستترا ــ فقال للعسكر : « هذا صاحبكم وسيدكم ووليكم الذي تنتظرونه » فترجل الجميع وألصقوا خدودهم بالأرض ، وضربوا

(١) أضيف ما بين الحاصرتين مما تقدم في نص ثابت بن سنان ، وبه يستقيم السياق .
(٢) سورة طه : ٥٩ .
(٣) عامل الكوفة .

لزكرويه مضرباً عظيماً ، وطافوا به ، وسروا سرورا عظيما ، واجتمع اليهم أهل دعوته من السواد ، فعظم الجيش جدا .

وسير المكتفي جيشاً عظيماً ، فساروا بالاثقال والبنود والبزاة على غير تعبئة مستخفين بالقوم ، فوصلوا وقد تعب ظهرهم وقل نشاطهم، فلقيهم القرامطة وقاتلوهم وهزموهم ، ووضعوا فيهم السيوف،فقتل الأكثر ، ونجا الأقل الى القادسية، فأقاموا في جمع الغنائم ثلاثا ، فكان من قتل من الجيش نحو الالف وخمسمائة ، فقويت القرامطة بما غنموا ، وبلغ المكتفي فخاف على الحاج ، وبعث محمد بن اسحاق بن كنداج لحفظ الحاج ، وطلب القرامطة ، وضم اليه خلقا عظيما .

فسار القرامطة وأدركوا الحاج ، فأخذوا الخراسانية لاحدى عشرة خلت من المحرم سنة أربع وتسعين ، ووضعوا فيهم السيف وقتلوا خلقاً عظيماً ، واستولى زكرويه على الأموال وقدم ابن كنداج فأقام بالقادسية ـ وقد أدركه من هرب من حاج خراسان ــ وقال : « لا أغرر بجيش السلطان » وقدمت قافلة الحاج الثانية والثالثة ؛ فقاتلوا القرامطة قتالا شديدا حتى غلبوا ، وقتل كثير من الحاج، واستولوا على جميع ما في القافلة ، وأخذوا النساء ، ولم يطلقوا منهم الا من لا حاجة لهم فيها، ومات كثير من الحاج عطشاً ، ويقال انه هلك نحو من عشرين ألفا ، فارتجت بغداد لذلك .

وأخرج المكتفي الأموال لإنفاذ الجيوش من الكوفة ـ لاحدى عشرة بقيت من المحرم وخزائن السلاح ورحل زكرويه فلم يدع ماء الا طرح فيه جيف القتلى ، وبث الطلائع فوافته القافلة التي فيها القواد والشمسة[1] ــ وكان المعتضد جعل فيها جوهرا نفيسا ــ ومعهم الخزانة ووجوه الناس والرؤساء ومياسير التجار ، وفيها من أنواع المال ما يخرج عن الوصف ، فناهضهم زكرويه بالهبير[2] ، وقاتلهم يومه ، فأدركتهم قافلة العمرة، وكان المعتمرون يتخلفون للعمرة بعد خروج الحاج ويخرجون اذا دخل المحرم ، وينفردون قافلة ، وانقطع ذلك من تلك السنة ، فاجتمع الناس

---

(١) العائدية للكعبة .

(٢) محطة من محطات طريق الحج بين العراق والحجاز ـ انظرها في معجم البلدان .

وقاتلوا يومهم وقد نفد الماء ، فملك القافلة ، وقتل الناس ، وأخذ ما فيها من حريم ومال وغيره ، وأفلت ناس فمات أكثرهم عطشاً ، وسار فأخذ أهل فيد[1] .

وأما بغداد فانه حصل بها وبالكوفة وجميع العراق مصاب بحيث لم يبق دار الا وفيها مصيبة ، وعبرة سائلة ، وضجيج وعويل ، واعتزل المكتفي النساء همـاً وغماً ، وتقدم بالمسير خلف زكرويه ، وأنفذ الجيوش فالتقوا مع زكرويه لسبع بقين من ربيع الاول ، فاقتتلوا قتالا شديدا صبر فيه الفريقان حتى انهزم زكرويه ومن معه ، وأسر منهم خلق كثير وطرحت النار في قبته ، فخرج من ظهرها ، وأدركه رجل فضربه حتى سقط الى الارض ، فأدركه رجل يعرفه ، فأركبه نجيباً فارهاً ، وسار به الى نحو بغداد ، فمات من جراحات كانت به ، وصبر وأدخل به الى بغداد كذلك ، ومعه حرمـه وحرم أصحابه وأولادهم والاسرى ورؤوس مـن قتل بين يديـه في الجوالقات[2] ، ومات خبر القرمطة بموت زكرويه ودعوتهم ذكرها شائع .

فلما دخلت سنة خمس وتسعين ومائتين خرج رجل من السواد من الظط[3] يعرف بأبي حاتم الظطي فقصد أصحاب البوراني داعيا ــ وهم يعرفون بالبورانية ــ وحرم عليهم الثوم والبصل والكراث والفجل ، وحرم عليهم اراقة الدم من جميع الحيوان ، وأمرهم أن يتمسكوا بمذهب البوراني ، وأمرهم بما لا يقبله الا أحمق ، وأقام فيهم نحو سنة ، ثم زال ، فاختلفوا بعده ، فقالت طائفة : « زكرويه بن مهرويه حي ، وانما شبه على الناس به » . وقالت فرقة : « الحجة لله محمد بن اسماعيل » .

ثم خرج رجل من بني عجل قرمطي يقال له محمد بن قطبه ، فاجتمع عليه نحو مائة رجل ، فمضى بهم نحو واسط ، فنهب وأفسد فخرج اليه آمر الناحية ، فقتلهم وأسرهـم .

---

(1) بلدة كانت قائمة على منتصف طريق حجاج العراق من الكوفة الى مكة ــ معجم البلـدان .
(2) اي الاوعية ــ القاموس .
(3) الزنوج ذوي الاصل الهندي Jet : جلب المسلمون اعـدادا كبيرة منهم ايـام الفتوحات في العصر الاموي ، واسكنوهم في السواد للعمل في المزارع ، وقـد تحركوا في اكثر من ثورة في العصر العباسي .

ثم خمدت أحوال القرامطة الى أن تحرك أبو طاهر بن أبي سعيد الجنابي ، وعمل على أخذ البصرة سنة عشر [٢٩ ــ ظ] وثلاثمائة ، فعمل سلالم عراضا يصعد كل مرقاة اثنان بزرافين[1] ، اذا اجتمع اليها نصبت ، وتخلع اذا حملت ، فرحل يريد البصرة ، فلما قاربها فرق السلاح ، وحشى الغرائر بالرمل ، وحملها على الجمال ، فسار الى السور قبل الفجر ، فوضع السلالم ، وصعد عليها قوم ، ونزلوا فوضعوا السيف وكسروا الاقفال ، فدخل الجيش ، فأول ما عملوا أن طرحوا الرمل المحمول في الابواب ليمنع من غلقها ، وبدر لهم الناس ومعهم الامير ، فأقاموا النهار يقتتلون حتى حجز بينهم الظلام ، فخرجوا وقد قتل من الناس مقتلة عظيمة ، فباتوا ثم باكروا البلد فقتلوا ونهبوا .

ثم رحلوا الى الاحساء ، فأنفذ السلطان عسكرا ــ وكان أبو الهيجاء عبد الله ابن حمدان قد قلد أعمال الكوفة والسواد وطرق مكة ــ فدخل في أثرهم وأسر منهم وعاد .

فلما قدمت قوافل الحاج واعترضها أبو طاهر القرمطي فقتل منهم ، وأدركهم أبو الهيجاء بن حمدان بجيوش كثيرة ، فحملت القرامطة عليهم فهزموهم ، وأخذ أبو الهيجاء أسيرا ، فلما رآه أبو طاهر تضاحك وقال له : « جئناك عبد الله ، ولم نكلفك قصدنا » . فتلطف له أبو الهيجاء حتى استأمنه ، وأمر بتمييز الحاج ، وعزل الجمالين والصناع ناحية ، فأخذوا ما مع الحاج وخلوهم ، فردوا بشر حال في صورة الموتى ، ورحل من الغد من بعد أن أخذ من أبي الهيجاء وحده نحو عشرين ألف دينار مع أموال لا تحصى كثرة ، ثم أطلق أبا الهيجاء بعد أشهر ، فورد بغداد .

فلما كان في سنة اثنتي عشر وثلاثمائة خرج من بغداد جيش كثيف لحفظ الحاج ، فلقيهم لثلاث عشرة خلت من ذي القعدة فناوشه الناس وانكفأ راجعاً ، ثم باكرهم بالقتال وخرجت اليه جيوش السلطان ؛ فقاتلهم وهزمهم ، وقتل قوادهم وكثيرا من العامة ، ونهب البلد الى العشرين منه ، فرحل من البلد .

---

(١) الزرفين حلقة الباب ، وفي الحديث : كانت درع رسول الله ﷺ ذات زرافين ، اذا علقت بزرافينها سترت ــ اللسان .

فلما كان في سنة خمس عشرة وثلاثمائة خرج القرمطي من بلده لقتال ابن أبي الساج ، وقد كان السلطان أنزله في جيش كبير بواسط ليسير الى القرمطي ، فاستصعب مسيره لكثرة من معه ، وثقل عليه سيره في أرض قفر ، فاحتال على القرمطي ، وكاتبه باظهار المواطأة ، وأطمعه في أخذ بغداد ومعاضدته ، فاغتر بذلك ، ورحل بعيال وحشم وأتباع ، وجيشه على أقوى ما يمكنه ، وأقبل يريد الكوفة .

ورحل ابن أبي الساج بجيشه عن واسط الى الكوفة ، وقد سبقه القرمطي ، ودخلها لسبع خلون من شوال ، فاستولى عليها ، وأخذ منها الميرة ، وأعد ما يحتاج اليه ، وأقبل ابن أبي الساج على غير تعبئة ، وعبر مستهينا بأمر القرمطي مستحقرا له ، ثم واقعه وهو في جيش يضيق عنه موضعه ، ولا يملك تدبيره ، وقد تفرق عنه عسكره ، وركبوا — من نهب القرى وأذى الناس واظهار الفجور — شيئا كثيرا ، فأقبل اليه القرمطي وقاتله ، فانهزمت عساكر ابن أبي الساج بعدما كثرت بينهما القتلى والجراح ، فقتلوا الناس قتلا ذريعا حتى صاروا في بساط واحد نحو فرسخين أو أربع ، واحتوى على عسكره ، ونهب الأكرة من أهل السواد ما قدروا عليه ، وأقام أربعين يوما ، وخرج بعد أن يئس من مجيء عسكر اليه ، فقصد بغداد ، ونزل بسواد الانبار ، وعبر الفرات الى الجانب الغربي ، وتوجه بين الفرات ودجلة يريد بغداد فجيش الجيش اليه ، وسار مؤنس حتى نازله على نحو ثلاثة فراسخ من بغداد ، وقاتل القرامطة قتالا شديدا ، وورد كتاب المقتدر يأمر مؤنسا بمعاجلته القتال ، ويذكر ما لزم من صرف الأموال الى وقت وصوله .

فكتب اليه : « إن في مقدمنا — أطال الله بقاء مولانا — نفقة المال ، وفي لقائنا نفقة الرجال ، ونحن أحرياء باختيار نفقة المال على نفقة الرجال » .

ثم أنفذ الى القرمطي يقول له :

« ويلك ، ظننتني كمن لقيك أبرز لك رجالي ، والله ما يسرني أن اظفر بك بقتل رجل مسلم من أصحابي ، ولكني أطاولك وأمنعك مأكولا ومشروبا حتى آخذك أخذاً بيدي ان شاء الله » .

وأنفذ يلبق في جيش للايقاع بمن في قصر ابن هبيرة ، فعظم ذلك على القرمطي فاضطرب ، [٣٠ — و] وأخذ أصحابه يحتالون في الهرب ، وتركوا مضاربهم ،فنهب

مؤنس ما خلفوه ، وسار جيش القرمطي من غربي الفرات ، وسار مؤنس من شرقيه، الى أن وافى القرمطي الرحبة ، ومؤنس يحتال في ارسال زواريق فيها فاكهة مسمومة، فكان القرامطة يأخذونها ، فكثرت الميتة فيهم ، وكثر بهم الذرب ، وظهر جهدهم ، فكروا راجعين وقد قل الظهر معهم ، فقاتلوا أهل هيت وانصرفوا مفلولين ، فدخل الكوفة على حال ضعف وجراحات وعلل ـ لثلاث خلون من رمضان سنة ست عشرة وثلاثمائة ـ فأقام بها الى مستهل ذي الحجة ، ولم يقتل ولا نهب ، ثم رحل •

فلما كان في سنة سبع عشرة رحل بجيشه ، فوافى مكة لثمان خلون من ذي الحجة ، فقتل الناس في المسجد قتلا ذريعا ، ونهب الكعبة ، وأخذ كسوتها وحليها ، ونزع الباب وستائره ، وأظهر الاستخفاف به ، وقلع الحجر الاسود وأخذه معه ـ وظن أنه مغناطيس القلوب ـ وأخذ الميزاب أيضا •

وعاد الى بلده في المحرم سنة ثماني عشرة وقد أصابه كد شديد ، وقد أخذ ستة وعشرين حمل جمل ، وضرب آلاتهم وأثقالهم بالنار ، واستملك من النساء والغلمان والصبيان ما ضاق بهم الفضاء كثرة ، وحاصرته هذيل فأشرف على الهلكة حتى عدل به دليل الى غير الطريق المعروف الى بلده •

فلما كان في شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلاثمائة سار الى الكوفة ، فعاث عسكره في السواد ، وأسروا خلقاً ، واشتروا أمتعة ، ورجعوا ـ بعد خمسين ليلة أقاموا بها ـ الى بلدهم •

وبعث أبو طاهر سرية في البحر نحو أربعين مركبا فوضعوا السيف في الساحل، ولم يلقوا أحدا الا قتلوه ـ من رجل وامرأة وصبي ـ فما نجا منهم الا من لحق بالجبال ، وسبوا النساء ، واجتمع الناس ، فقتلوا منهم ـ في الحرب معهم ـ خلقاً كثيراً ، وأسروا جماعة ، ثم تحاملوا عليهم ، وتباروا بالشهادة ، وجدوا ، فقتلوا أكثرهم ، وأخذوا جميع من بقي أسرا بحيث لم يفلت منهم أحد ، وحملت الاسرى الى بغداد مع الرؤوس ـ وهم نحو المائة رجل ومائة رأس ـ فحبسوا ببغداد •

ثم خلصوا وصاروا الى أبي طاهر فكانوا يتحدثون بعد خلاصهم أن كثيرا من الكبراء وغيرهم كانوا يرسلون اليهم ، بما يتقربون به اليهم ، وكان سبب خلاصهم مكاتبة جرت بينهم بالمهادنة على أن يردوا الحجر الاسود ، ويطلقوا الاسرى ، ولا يعترضوا الحاج ، فجرى الامر على ذلك •

ودخل القرمطي ــ في سنة ثلاث وعشرين ــ الى الكوفة ، والحاج قد خرج في ذي القعدة ، وعاد الحاج الى الكوفة ، ولم يقدروا على مقاومته ، فظفر بمن ظفر منهم ، فلم يكثر القتل ، وأخذ ما وجد .

وبلغ القرمطي أن رجلا من أصحابه قال : « والله ما ندري ما عند سيدنا أبي طاهر من تمزيق هؤلاء الذين من شرق الارض وغربها ، واتخاذهم ومن وراءهم أعداء ، وما يفوز بأكثر أموالهم الا الأعراب والشذاذ من الناس ، فلو أنه حين ظفر بهم دعاهم الى أن يؤدي كل رجل منهم دينار ويطلقهم ويؤمنهم ، لم يكره ذلك منهم أحد ، وخف عليهم وسهل ، وحج الناس من كل بلد ، لأنهم ظمأى الى ذلك جدا ، ولم يبق ملك الا كاتبه وهاداه واحتاج اليه في حفظ أهل بلده وخاصته ، وجاء في كل سنة من المال ما لا يصير لسلطان مثله على الخراج ، واستولى على الارض وانقاد له الناس ، وان منع من ذلك سلطان اكتسب المذمة ، وصار عند الناس هو المانع من الحج .

فاستصوب القرمطي هذا الرأي ، ونادى من وقته في الناس بالامان وأحضر الخراسانية ، فوطأ أمرهم على أنهم يحجوا ويؤدوا اليه المال في كل سنة ، ويكونوا آمنين على أنفسهم وأموالهم ، وأخرج أهل مصر أيضا عن الحاج ضرائب من مال السلطان ، ثم ولي تدبير العراق من لم ير ذلك دناءة ولا منقصة ، فصار لهم على الحاج رسماً بالكوفة .

فلما كانت سنة خمس وعشرين كبس أبو طاهر الكوفة ، وقبض على شفيع اللؤلؤي ــ أميرها ــ بأمان ، فبعثه الى السلطان [٣٠ ــ ظ] يعرفه أنهم صعاليك لا بد لهم من أموال ، فان أعطاهم مالاً لم يفسدوا عليه ، وخدموه فيما يلتمسه، والا فلا يجدوا بدأ من أن يأكلوا بأسيافهم ، وبر [أبو طاهر] شفيعاً ووصله ، فوصل شفيع الى السلطان وعرفه ، فبعث اليهم رجلاً فناظر القرمطي ، وملأ صدره من السلطان وأتباعه ، فزاده انكساراً ، وسار عن البلد، فابتلاه الله بالجدري وقتله فملك التدبير بعده أخوته وابن سنبر .

فلما كان في سنة تسع وثلاثين أرادوا أن يستميلوا الناس ، فحملوا الحجر الاسود الى الكوفة ، ونصبوه فيها على الاسطوانة بالجامع .

وكان قد جاء عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ــ الملقب زين العابدين[1] ــ : « إن الحجر الأسود يعلق في مسجد بالجامع بالكوفة في آخر الزمان » .

ثم قدم به سنبر بن الحسين بن سنبر الى مكة ــ وأمير مكة معه ــ فلما صار بفناء البيت أظهر الحجر من سقط كان به مصونا ، وعلى الحجر ضباب فضة قد عملت عليه ، تأخذه طولا وعرضا ، تضبط شقوقا حدثت فيه بعد انقلاعه ، وكان قد أحضر له صانع معه جص يشد به الحجر ، وحضر جماعة من حجبة البيت ، فوضع سنبر بن الحسن بن سنبر الحجر بيده في موضعه ــ ومعه الحجبة ــ وشده الصانع بالجص ــ بعد وضعه ــ وقال لما رده : « أخذناه بقدرة الله ، ورددناه بمشيئته » ونظر الناس إليه وقبلوه ولمسوه ، وطاف سنبر بالبيت .

وكان قلع الحجر من ركن البيت يوم الاثنين لأربع عشرة خلت من ذي القعدة سنة سبع عشرة وثلاثمائة .

وكان رده يوم الثلاثاء لعشر خلون من ذي الحجة ــ يوم النحر ــ سنة تسع وثلاثين .

فكانت مدة كينونته عند الجنابي وأصحابه اثنتين وعشرين سنة الا أربعة أيام.

وكان في سنة ست عشرة وثلاثمائة قد تحركت القرامطة بسواد الكوفة عند انصراف أبي طاهر القرمطي عن بغداد الى نحو الشام ، وتداعوا الى الاجتماع في دار هجرتهم فكثروا ، وكبسوا نواحي واسط وقتلوا خلقا كثيرا ، وملكوا ما حواه العسكر هنالك من سلاح وغيره، فقوي أمرهم، وسار بهم عيسى بن موسى والحجازي ــ وهما داعيان ــ وكان الحجازي بالكوفة يبيع الخبز ، فصحب يزيد النقاش ، واجتمع عليهما غلمان، وساروا فنهبوا وأخافوا،والبلد ضعيف لاتصال الفتن وتخريب البوراني لسواده وضعف يد السلطان ، وطالبوا جميع أهل السواد بالرحيل اليهم ، فاجتمعوا نحو العشرة آلاف وفرقوا العمال ، ورحلوا الى الكوفة فدخلوها عنوة ، وهرب واليها ، وولوا على خرابها وعلى حربها ، وأحدثوا في الاذان ما لم يكن فيه ،

(١) كذا والمشهور بلقب زين العابدين هو علي بن الحسين ، لا محمد ابنه الذي شهر بلقب الباقر . انظر الائمة الاثنا عشر لابن طولون : ٧٥ ــ ٨١ .

فأنفذ السلطان اليهم جيشا فواقعهم فانهزموا ، وقتل منهم ما لا يحصى ، وغرق منهم وهرب الباقون ، وحملت الاسرى الى بغداد فقتلوا وصلبوا ، وحبس عيسى بن موسى مدة ثم تخلص بغفلة السلطان وحدوث الفتن آخر أيام المقتدر ، فأقام ببغداد يدعو الناس ووضع كتبا نسبها الى عبدان الداعي ، نسبه فيها الى الفلسفة ، وأنه يعلم ما يكون قبل كونه ، فصار له أتباع ؛ وأفسد فسادا عظيما ، وصار له خلفاء من بعده مسدة .

وأما خراسان فقدم اليها بالدعوة أبو عبد الله الخادم، فأول ما ظهرت بنيسابور، فاستخلف عند موته أبا سعيد الشعراني ، وصار منهم خلق كثير هناك من الرؤساء وأصحاب السلاح .

وانتشرت في الري من رجل يعرف بخلف الحلاج ، وكان يحلج القطن فعرفت بها طائفته بالخلفية ، وهم خلق كثير ، ومال اليهم قوم من الديلم وغيرهم ، وكان منهم أسفاراً[1] فلما قتل مرداويج أسفاراً عظمت شوكة القرامطة في أيامه بالري وأخذوا يقتلون الناس غيلة حتى أفنوا خلقاً كثيراً .

ثم خرج مرداويج الى جرجان لقتال نصر بن أحمد الساماني ، فنصر عليهم وقتلهم مع صبيانهم ونسائهم حتى لم يبق منهم أحد ، وصار بعضهم الى مفلح ــ غلام ابن أبي الساج ــ فاستجاب له ، ودخل في دعوته .

فلما كان في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ، استعد الحسن بن عبيد الله بن طغج بالرملة لقتال من يرد عليه من قبل جوهر القائد ، فورد عليه الخبر بأن [٣١ ــ و] القرامطة تقصده ، ووافت الرملة فهزموا الحسن بن عبيد الله ، ثم جرى بينهم صلح ، وصاهر اليهم في ذي الحجة منها ، فأقام القرمطي بظاهر الرملة ثلاثين يوما ورحل .

وسار جعفر بن فلاح من مصر فهزم الحسن بن عبيد الله بن طغج ، وقتل رجاله، وأخذه أسيرا ، فسار الى دمشق فنزل بظاهرها ، فمنعه أهل البلد وقاتلوه قتالا شديدا ، ثم اله دخلها بعد حروب ، وفر منه جماعة ــ منهم ظالم بن موهوب العقيلي، ومحمد بن عصودا ــ فلحقا بالاحساء الى القرامطة ، وحثوهم على المسير الى الشام،

---

(١) ابن شيرويه سبقت الاشارة اليه وانه مع مراداويج نرى في سيرتهما مقدمة قيام دولة آل بويه من الديلم . انظر كتابي تاريخ العرب والاسلام : ٣١٧ ــ ٣١٨ .

فوقع ذلك منهم بالموافقة،لأن الاخشيدية كانت تحمل اليهم في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار فلما صارت عساكر المعز الى مصر مع جوهر ، وزالت الدولة الاخشيدية انقطع المال عن القرامطة[1] بعد أن بعثوا عرفاءهم لجمع العرب،فنزلوا الكوفة وراسلوا السلطان ببغداد ، فأنفذ اليهم خزانة سلاح ، وكتب لهم بأربعمائة ألف درهم على أبي تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان ، ورحلوا الى الرحبة ــ وعليها أبو تغلب ــ فحمل اليهم العلوفة والمال الذي كتب به لهم •

وجمع جعفر بن فلاح أصحابه واستعد لحربهم،فتفرق الناس عنه الى مواضعهم، ولم يفكروا بالموكلين على الطرق ، وكان رئيس القرامطة الحسن بن أحمد بن أبي سعيد الجنابي ، فبعث اليه أبو تغلب يقول : « هذا شيء أردت أن أسير أنا فيه بنفسي وأنا مقيم في هذا الموضع الى أن يرد علي خبرك ، فان احتجت الى مسيري سرت اليك » ونادى في عسكره : « من أراد المسير من الجند الاخشيدية وغيرهم الى الشام مع الحسن بن أحمد فلا اعتراض لنا عليه ، فقد أذنا له في المسير ، والعسكران واحد » فخرج الى عسكر القرمطي جماعة من عسكر أبي تغلب ، وفيهم كثير من الاخشيدية الذين كانوا بمصر ، صاروا اليه ــ لما دخل جوهر ــ من مصر وفلسطين ، وكان سبب هذا الفعل من أبي تغلب أن جعفر بن فلاح كان قد أنفذ اليه من طبرية داعيا يقال له أبو طالب التنوخي ــ من أهل الرملة ــ يقول له : « انـي سائر اليك فتقيم الدعوة » ، فقال له أبو تغلب ــ وكان بالموصل ــ : « هذا ما لايتم لأنا في دهليز بغداد ، والعساكر قريبة منا ، ولكن اذا قربت عساكركم من هذه الديار أمكن ما ذكرتم » فانصرف من عنده على غير شيء وبلغ ذلك القرمطي فسره وزاده قوة ، وسار عن الرحبة ، فأشار أصحاب جعفر ــ لما قارب القرامطة دمشق ــ أن يقاتلهم بطرف البرية ، فخرج اليهم وواقعهم ، فانهزم ، وقتل لست خلون من ذي القعدة سنة ستين وثلاثمائة •

ونزل القرمطي ظاهر المزة فجبى مالاً ، وسار يريد الرملة ــ وعليها سعادة بن حيان ــ فالتجأ الى يافا ، ونزل عليه القرمطي ، وقد اجتمعت اليه عرب الشام وأتباع من الجند ، فناصبها القتال حتى أكل أهلها الميتة ، وهلك أكثرهم جوعاً ثم سار عنها،

(١) كان مكان عبارة القرامطة بياض بالأصل ، وقد اضيفت اعتمادا على ما اورده المقريزي في ترجمة الاعصم التالية .

وترك على حصارها ظالم العقيلي وأبا المنجا بن منجا(١) ، وأقام القرامطة الدعوة للمطيع لله العباسي في كل بلد فتحوه، وسودوا أعلامهم، ورجعوا عما كانوا يمخرقون به ، وأظهروا أنهم كأمراء النواحي الذين من قبل الخليفة العباسي .

ونزل على مصر أول ربيع الأول سنة احدى وستين وثلاثمائة ، فقاتله جوهر على الخندق وهزمه ، فرحل الى الاحساء .

وأنفذ جوهر جيشاً نحو يافا فملكها ، ورحل المحاصرون لها الى دمشق ونزلوا بظاهرها ، فاختلف ظالم العقيلي وأبو المنجا بسبب الخراج ، فكان كل منهما يريد أخذه للنفقة في رجاله ، وكان أبو المنجا أثيراً عند القرمطي يوافي اليه أموره ، ويستخلفه على تدبيره .

ورجع الحسن بن أحمد القرمطي من الاحساء فنزل الرملة ولقيه أبو المنجا وظالم، وبلغه ماجرى بينهما من الاختلاف، فقبض على ظالم واعتقله مدة ثم خلى عنه.

وطرح القرمطي مراكب في البحر ، وشحنها بالمقاتلة ، وسيرها الى تنيس وغيرها من سواحل مصر ، وجمع من قدر عليه من العرب وغيرهم وتأهب للمسير الى مصر ، هذا بعد أن كان القرامطة أولا يمخرقون بالمهدي ويوهمون أنه صاحب المغرب ، وأن دعوتهم اليه ، ويراسلون الامام المنصور [٣١ ـ ظ] اسماعيل بن محمد القائم بن عبد الله المهدي ، ويخرجون الى أكابر أصحابهم أنهم من أصحابه الى أن افتضح كذبهم بمحاربة القائد جوهر لهم ، وقتله كثيراً منهم ، وكسره القبة التي كانت لهم .

فلما نزل المعز لدين الله القاهرة عندما قدم من المغرب وقد تيقن أخبار القرامطة كتب الى الحسن بن أحمد القرمطي كتاباً عنوانه :

---

(١) جاء في حاشية الاصل طرة تعرف بابن منجا نصها ما يلي :
« أبو المنجا : هو عبد الله بن علي بن المنجا ، احد أصحاب أبي علي الحسين بن احمد بن الحسين بن بهرام القرمطي المنعوت بالاعصم ، وكان يرجع اليه لرأيه وسياسته ، واستخلفه على دمشق حين رحل الى الاحساء بعد انهزامه من ابي محمود ابراهيم بن جعفر الكتامي ، فقصده ظالم بن موهوب العقيلي من بعلبك بمراسلة ، فاستأمن الى ظالم عدة من أصحاب ابي المنجا لمنعه عنهم العطاء وقلة ماله ، فأسره ظالم يوم السبت لعشر خلون من رمضان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وجهزه أبو محمود هو وابنه في قفصين الى مصر فحبسا بها » .

« من عبد الله ووليه ، وخيرته وصفيه ، معد أبي تميم المعز لدين الله أمير المؤمنين ، وسلالة خير النبيين ، ونجل علي أفضل الوصيين الى الحسن بن أحمد » :

بسم الله الرحمن الرحيم

رسوم النطقاء ، ومذاهب الائمة والانبياء، ومسالك الرسل والاوصياء السالف والآنف منا ، صلوات الله علينا وعلى آبائنا، أولي الايدي والابصار في متقدم الدهور والاكوار ، وسالف الازمان والاعصار ، عند قيامهم بأحكام الله، وانتصابهم لأمر الله.

الابتداء بالإعذار والانتهاء بالإنذار ، قبل انفاذ الاقدار ، في أهل الشقاق والآصار ، لتكون الحجة على من خالف وعصى ، والعقوبة على من باين وغوى ، حسب ما قال الله جل وعز : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا »[1] و « إن من أمة الا خلا فيها نذير »[2] . وقوله سبحانه : « قل هذي سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين »[3] .

« فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم في شقاق »[4].

أما بعد ، أيها الناس فانا نحمد الله بجميع محامده ، ونمجده بأحسن مما جده، حمداً دائماً أبداً ، ومجداً عالياً سرمداً ، على سبوغ نعمائه ، وحسن بلائه ، ونبتغي اليه الوسيلة بالتوفيق ، والمعونة على طاعته ، والتسديد في نصرته ، ونستكفيه ممايلة الهوى والزيغ عن قصد الهدى ، ونستزيد منه اتمام الصلوات ، وافاضات البركات ، وطيب التحيات ، على أوليائه الماضين ، وخلفائه التالين ، منا ومن آبائنا الراشدين المهديين المنتجبين الذين قضوا « بالحق وكانوا به يعدلون »[5] .

أيها الناس : « قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها[6] » ليذكر من يذكر ، وينذر من أبصر واعتبر .

---

(١) سورة الاسراء : ١٥ .
(٢) سورة فاطر : ٢٤ .
(٣) سورة يوسف : ١٠٨ .
(٤) سورة البقرة : ١٣٧ .
(٥) سورة الاعراف : ١٨١ .
(٦) سورة الانعام : ١٠٤ .

أيها الناس : ان الله جل وعز اذا أراد أمرا قضاه ، واذا قضاه أمضاه ، وكان من قضائه فينا قبل التكوين أن خلقنا أشباحا، وأبرزنا أرواحا، بالقدرة مالكين، وبالقدرة قادرين ، حين لا سماء مبنية ، ولا أرض مدحية ، ولا شمس تضيء ، ولا قمر يسري، ولا كوكب يجري ، ولا ليل يجن ، ولا أفق يكن ، ولا لسان ينطق، ولا جناح يخفق، ولا ليل ولا نهار ولا فلك دوار ولا كوكب سيار •

فنحن أول الفكرة ، وآخر العمل ، بقدر مقدور ، وأمر في القدم مبرور، فعندما تكامل الامر وصح العزم ، أنشأ الله ـ جل وعز ـ المنشآت ، وأبدأ الامهات من الهيولات ، طبعنا أنوارا وظلما ، وحركة وسكونا •

وكان من حكمه السابق في علمه ما ترون من فلك دوار ، وكوكب سيار ، وليل ونهار ، وما في الآفاق من آثار معجزات ، وأقدار باهرات وما في الاقطار من الآثار ، وما في النفوس من الاجناس والصور والانواع من كثيف ولطيف، وموجود ومعدوم وظاهر وباطن ، ومحسوس وملموس ودان وشاسع ، وهابط وطالع •

كل ذلك لنا ومن أجلنا ، دلالة علينا ، واشارة الينا ، يهدي به الله من كان [له] لب سجيح ، ورأي صحيح ، قد سبقت له منا الحسنى[1] فدان بالمعنى •

ثم انه ـ جل وعلا ـ أبرز من مكنون العلم ومخزون الحكم ، آدم وحوا أبوين ذكرا وأنثى ، سببا لإنشاء البشرية ، ودلالة لإظهار القدرة القوية ، وزاوج بينهما فتوالد الاولاد ، وتكاثرت الاعداد ، ونحن نتنقل في الاصلاب الزكية ، والارحام الطاهرة المرضية ، كلما ضمنا صلب ورحم أظهر منا قدرة وعلم ، وهلم جرا الى آخر الجد الاول ، والاب الافضل سيد المرسلين ، وامام النبيين ، أحمد ومحمد صلوات الله عليه وعلى آله في كل ناد ومشهد ، فحسن آلاؤه ، وبان غناؤه ، وأباد المشركين ، وقصم الظالمين ، وأظهر الحق ، واستعمل الصدق ، وبان بالاحدية ، ودان بالصمدية ، فعندها سقطت الأصنام ، وانعقد الاسلام ، وانتشر الايمان ، وبطل السحر والقربان ، وهدمت الاوثان ، وأتي [٣٢ ـ و] بالقرآن ، شاهدا بالحق والبرهان ، فيه خبر ما كان وما يكون الى يوم الوقت المعلوم، منبئا عن كتب تقدمت، في صحف قد تنزلت ، تبيانا لكل شيء ، وهدى ورحمة ونورا « وسراجا منيرا »[2]•

---

(١) انظر الآية ١٠١ من سورة الانبياء .

(٢) سورة الاحزاب : ٤٦ .

وكل ذلك دلالات لنا ، ومقدمات بين أيدينا ، وأسباب لإظهار أمرنا هدايات وآيات وشهادات ، وسعادات قدسيات ، الهيات أزليات ، كائنات منشآت ، مبدئات معيدات ، فما من ناطق نطق ، ولا نبي بعث ، ولا وصي ظهر ، الا وقد أشار الينا ، ولوح بنا ، ودل علينا في كتابه وخطابه ومنار أعلامه ، ومرموز كلامه ، فيما هـو موجود غير معدوم ، وظاهر وباطن ، يعلمه من سمع الندا ، وشاهد ورأى ، مـن الملأ الأعلى ، فمن أغفل منكم أو نسي ، أو ضل أو غوى ، فلينظر في الكتب الاولى ، والصحف المنزلة ، وليتأمل آي القرآن ، وما فيه من البيان ، وليسأل أهل الذكر ان كان لا يعلم ، فقد أمر الله عز وجل بالسؤال ، فقال : « فاسئلو أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون »(١) .

وقال سبحانه وتعالى : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون »(٢) .

ألا تسمعون قـول الله حيث يقول : « وجعلها كلمـة باقية في عقبـه لعلهم يرجعون »(٣) .

وقوله تقدست أسماؤه : « ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم »(٤) .

وقوله له العزة : « شرع لكم من الدين ما وصي به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا بـه إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه »(٥) .

ومثل ذلك في كتاب الله تعالى جده كثير ، ولولا الإطالة لأتينا على كثير منه . ومما دل بـه علينا ، وأنبأنا به عنا ، قوله عز وجل :

«كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسـسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم»(٦).

---

(١) سورة النحل : ٤٣ .
(٢) سورة التوبـة : ١٢٢ .
(٣) سورة الزخرف : ٢٨ .
(٤) سورة آل عمران : ٣٤ .
(٥) سورة الشـورى : ١٣ .
(٦) سورة النور : ٣٥ .

وقوله في تفضيل الجد الفاضل والاب الكامل محمد ﷺ اعلاما بجليل قدرنا ، وعلو أمرنا : « ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم »[1] .

هذا مع ما أشار ولوح ، وأبان وأوضح ، في السر والاعلان ، من كل مثل مضروب ، وآية وخبر واشارة ودلالة ، حيث يقول : وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون »[2] . وقال سبحانه وتعالى :

« ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب »[3] .

وقوله جل وعز : « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »[4] .

فان اعتبر معتبر ، وقام وتدبر مافي الارض وما في الاقطار والاثار وما في النفس من الصور المختلفات ، والاعضاء المؤتلفات والآيات والعلامات ، والاتفاقات والاختراعات ، والاجناس والانواع ، وما في كون الابداع من الصور البشرية ، والآثار العلوية ، وما يشهد به حروف المعجم، والحساب المقوم، وما جمعته الفرائض والسنن ، وما جمعته السنون من فصل وشهر ويوم ، وتصنيف القرآن من تحزيبه وأسباعه ، ومعانيه وأرباعه وموضع الشرائع المتقدمة ، والسنن المحكمة ، وما جمعته كلمة الاخلاص في تقاطيعها وحروفها وفصولها ، وما في الارض من اقليم وجزيرة وبر وبحر ، وسهل وجبل ، وطول وعرض وفوق وتحت ، الى ما اتفق عليه في جميع الحروف من أسماء المدبرات السبعة النطقا ، والاوصيا والخلفا وما صدرت به الشرائع من فرض وسنة وحد وبينة وما في الحساب من آحاد وأفراد ، وأزواج وأعداد ، تثاليثه وترابيعه واثني عشريته وتسابيعه ، وأبواب العشرات والمئين والالوف ، وكيف تجتمع وتشتمل على ما اجتمع عليه ما تقدم من شاهد عدل وقول صدق ، وحكمة حكيم وترتيب عليم .

---

(1) سورة الحجر : ٨٧ .
(2) سورة العنكبوت : ٤٣ .
(3) سورة آل عمران : ١٩٠ .
(4) سورة فصلت : ٥٣ .

فـ « لا إله إلا هو له الاسماء الحسنى »[1] والأمثال العلى « وان تعـدوا نعمة الله لا تحصوها »[2] . « وفوق كل ذي علم عليم »[3] « ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام والبحر[٣٢ ـ ط]يمده من بعده سبعة أبحر ما نفذت كلمات الله»[4].

وليعلم من « كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيـد »[5] ، أنا كلمات الله الازليات ، وأسماؤه التامات ، وأنواره الشعشعانيات ، وأعلامه النيرات ،ومصابيحه البينات ، وبدائعه المنشآت ، وآياته الباهرات ، وأقداره النافذات لا يخرج منا أمر ، ولا يخلو منا عصر .

وانا لكما قال الله سبحانه وتعالى : « ما يكون مـن نجوى ثلاثة الا هـو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم »[6] .

فاستشعروا النظر فقد نقر في الناقور ، وفار التنور ، وأتى الذين بين يدي عذاب شديد ، فمن شاء فلينظر ، ومن شاء فليتدبر ، « وما على الرسول الا البلاغ المبـين »[7] .

وكتابنا هذا من فسطاط مصر ، وقد جئناها على قدر مقدور ، ووقت مذكور ، فلا نرفع قدما ولا نضع قدما الا بعلم موضوع ، وحكم مجموع وأجل معلوم ، وأمر قد سبق ، وقضاء قد تحقق .

فلما دخلنا وقد قدر المرجفون من أهلها أن الرجفة تنالهم ، والصعقة تحل بهم ، تبادروا وتعادوا شاردين ، وجلوا عن الاهل والحريم والاولاد والرسوم ، وانا « نار الله الموقدة . التي تطلع على الأفئدة[8] » ، فلم أكشف لهم خبرا ، ولا قصصت لهم أثرا ، ولكني أمرت بالنداء وأذنت بالامان ، لكل باد وحاضر ، ومنافق ومشاقق وعاص ومارق ، ومعاند ومسابق ، ومن أظهر صفحته وأبدى لي سوءه ، فاجتمع

---

(1) سـورة طـه : ٧ .
(2) سورة ابراهيم : ٣٤ .
(3) سورة يوسـف : ٧٦ .
(4) سورة لقمان : ٢٧ .
(5) سورة ق : ٣٧ .
(6) سورة المجادلـة : ٧ .
(7) سورة النور : ٥٤ .
(8) سورة الهمزة : ٦ ـ ٧ .

الموافق والمخالف والمباين والمنافق ، فقابلت الولي بالاحسان ، والمسيء بالغفران ، حتى رجع الباد والشارد ، وتساوى الفريقان ، واتفق الجمعان ، وانبسط القطوب وزال الشحوب ، جريا على العادة بالاحسان ، والصفح والامتنان، والرأفة والغفران، فتكاثرت الخيرات ، وانتشرت البركات .

كل ذلك بقدرة ربانية ، وأمرة برهانية ، فأقمت الحدود ، بالبينة والشهود ، في العرب والعبيد ، الخاص والعام ، والبادي والحاضر بأحكام الله — عز وجل — وآدابه ، وحقه وصوابه ، فالولي آمن جذل ، والعدو خائف وجل .

فأما أنت أيها الغادر الخائن ، الناكث المباين عن هدى آبائه وأجداده ، المنسلخ عن دين أسلافه وأنداده ، والموقد لنار الفتنة ، والخارج عن الجماعة والسنة فلم أغفل أمرك ، ولا خفي عني خبرك ، ولا استتر دوني أثرك ، وانك مني لمنظر ومسمع، كما قال الله جل وعز :

« انني معكما أسمع وأرى »[1] ، « وما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيـا »[2] .

فعرفنا على أي رأي أصلت ، وأي طريق سلكت : أما كان لك بجدك أبي سعيد أسوة وبعمل أبي طاهر قدوة ؟ أما نظرت في كتبهم وأخبارهم ولا قرأت وصاياهم وأشعارهم ؟ أكنت غائبا عن ديارهم وما كان من آثارهم ؟ ألم تعلم أنهم كانوا « عبادا لنا أولي بأس شديد »[3] ، وعزم سديد ، وأمر رشيد ، وفعل حميد ، تفيض اليهم موادنا ، تنشر عليهم بركاتنا ، حتى ظهروا على الاعمال ، ودان لهم كل أمير ووال ولقبوا بالسادة فسادوا منحة منا واسما من أسمائنا ، فعلت أسماؤهم ، واستعلت هممهم واشتد عزمهم فسارت اليهم وفود الافاق ، وامتدت نحوهم الاحـداق ، وخضعت لهيبتهم الاعناق ، وخيف منهم الفساد والعناد وأن يكونوا لبني العباس أضداد ، فعبئت الجيوش وسار اليهم كل خميس بالرجال المنتجبة ، والعدد المهذبة ، والعساكر الموكبة ، فلم يلقهم جيش الا كبسوه « ولا رئيس الا أسروه ولا عسكر الا كسروه ، وألحاظنا ترمقهم ونصرنا يلحقهم كما قال الله جل وعز :

---

(1) سورة طـه : ٤٦ .
(2) سورة مريـم : ٢٨ .
(3) سورة الاسراء : ٥ .

« إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا »[1] ، « وان جندنا لهم الغالبون »[2] ، وان حزبنا لهم المنصورون •

فلم يزل ذلك دأبهم ، وعين الله ترمقهم ، الى أن اختار لهم ما اختار من نقلهم من [٣٣ ــ و] دار الفناء ، الى دار البقاء ، ومن نعيم يزول الى نعيم لا يزول ، فعاشوا محمودين ، وانتقلوا مفقودين ، الى روح وريحان وجنات النعيم ، فطوبى لهم وحسن مآب •

ومع هذا فما من جزيرة في الارض ولا اقليم الا ولنا فيه حجج ودعاة يدعون الينا ، ويدلون علينا ويأخذون بيعتنا ، ويذكرون رجعتنا وينشرون علمنا ، وينذرون بأسنا ، ويبشرون بأيامنا ، بتصاريف اللغات واختلاف الالسن، وفي كل جزيرة واقليم رجال منهم يفقهون ، وعنهم يأخذون ، وهو قول الله عز وجل: «وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم »[3] وأنت عارف بذلك فيا أيها الناكث الحانث ما الذي أرداك وصدك؟أشيءشككتفيه،أم أمر استربت به،أم كنت خليا من الحكمة،وخارجاً عن الكلمة ، فأزالك وصدك ، وعن السبيل ردك ؟ ان هي الا « فتنة لكم ومتاع الى حين »[4] •

وأيم لله لقد كان الاعلى لجدك ، والارفع لقدرك ، والافضل لمجدك والاوسع لوفدك ، والانضر لعودك ، والاحسن لعذرك ، الكشف عن أحوال سلفك وان خفيت عليك ، والقفوا لآثارهم وان عميت لديك لتجري على سننهم ، وتدخل في زمرهم ، وتسلك في مذهبهم ، أخذا بأمورهم في وقتهم ، وزيهم في عصرهم ، فتكون خلفا قفا سلفا بجد وعزم مؤتلف ، وأمر غير مختلف •

لكن غلب الران على قلبك ، والصدأ على لبك ، فأزالك عن الهدى وأزاغك عن البصيرة والضيا، وأمالك عن مناهج الاوليا،وكنت من بعدهم كما قال اللهعزوجل.

« فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا »[5] •

---

(١) سورة غافر : ٤٠ .
(٢) سورة الصافات : ١٧٣ .
(٣) سورة ابراهيم : ٤ .
(٤) سورة الانبياء : ١١١ .
(٥) سورة مريم : ٥٩ .

ثم لم تقنع في انتكاسك ، وترديتك في ارتكاسك ، وارتباكك وانعكاسك من خلافك الآباء ومشيك القهقرى ، والنكوص على الاعقاب والتسمي بالالقاب « بئس الاسم الفسوق بعد الايمان »[1] ، وعصيانك مولاك ، وجحدك ولاءك ، حتى انقلبت على الادبار ، وتحملت عظيم الاوزار ، لتقيم[2] دعوة قد درست ، ودولة قد طمست، وانك لمن الغاوين ، وانك لفي ضلال مبين .

أم تريد أن ترد القرون السالفة ، والاشخاص الغابرة ؟ أما قرأت كتاب السفر ، وما فيه من نص وخبر ؟ فأين تذهبون ان هي الا حياتكم الدنيا ، تموتون وتظنون أنكم لستم بمبعوثين ، « قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير »[3] .

أما علمت أن المطيع آخر ولد العباس ، وآخر المترايس في الناس ؟ أما تراهم « كأنهم أعجاز نخل خاوية . فهل ترى لهم من باقية »[4] ؟ ختم ـ والله ـ الحساب ، وطوي الكتاب ، وعاد الامر الى أهله ، والزمان الى أوله ، « وأزفت الآزفة »[5] ، « ووقعت الواقعة »[6] وقرعت القارعة ، وطلعت الشمس من مغربها ؛ والآية من وطنها ، وجيء بالملائكة والنبيين ، وخسر هنالك المبطلون ، هنالك الولاية لله الحق ، والملك لله الواحد القهار ، « لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء »[7] ، « يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد »[8].

فقد ضل عملك ، وخاب سعيك ، وطلع نحسك ، وغاب سعدك ، حين آثرت الحياة الدنيا على الآخرة ، ومال بك الهوى ، فأزالك عن الهدى ، فـ « ان تكفروا أنتم ومن في الأرض[9] جميعاً » « وان الله لهو الغني الحميد »[10] .

---

(١) سورة الحجرات : ١١

(٢) في حاشية الاصل : « يعني انه يريد اقامة دولة بني العباس بكونه اخذ منهم السلاح والمال من ابي تغلب بن حمدان ، وقدم يقاتل المعز نصرة لهم » .

(٣) سورة التغابن : ٧

(٤) سورة النجم : ٥٧ .

(٥) سورة الروم : ٤ ـ ٥ .

(٦) سورة ابراهيم : ٨ .

(٧) سورة الحاقة : ٧ ـ ٨ .

(٨) سورة الواقعة : ١ .

(٩) سورة الحج : ٢

(١٠) سورة الحج : ٦٤ .

ثم لـم يكفك ذلـك ـ مع بلائك وطول شقائك ـ حتى جمعت أرجاسك وأنجاسك ، وحشدت أوباشك وأفلاسك ، وسرت قاصدا الى دمشق وبها جعفر بن فلاح في فئة قليلة من كتامة[1] وزويلة،فقتلته وقتلتهم، ـ جرأة على الله وردا لأمره ـ واستبحت أموالهم ، وسبيت نساءهم ، وليس بينك وبينهم ترة ولا ثأر ، ولا حقـد ولا إضرار ؛ فعل بني الاصفر[2] والترك والخزر، ثم سرت أمامك ولم ترجع، وأقمت على كفرك ولم تقلع ، حتى أتيت الرملة وفيها سعادة بن حيان في زمرة قليلة وفرقة [٣٣ ـ ظ] يسيرة ؛ فاعتزل عنك الى يافا ، مستكفيا شرك ، وتاركا حربك ، فلـم تزل ماكثاً على نكثك باكراً وصابحاً ، وغاديا ورائحا تقعد لهم بكل مقعد ، وتأخذ عليهم بكل مرصد ، وتقصدهم بكل مقصد كأنهم ترك وروم وخزر ، لا ينهاك عن سفك الدماء دين ، ولا يردعك عهد ولا يقين ، قد استوعب من الردى حيزومك ، وانقسم على الشقاء خرطومك .

أما كان لك مذكر ، وفي بعض أفعالك مزدجر ، أو ما كان لك في كتاب الله عز وجل معتبر حيث يقول :

« ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما »[3] ؟

فحسبك بها فعلة تلقاك يوم ورودك وحشرك حين لا مناص ، ولا لك من الله خلاص ، ولم تستقيلها ، وكيف تستقيلها وأني لك مقيلها ؟

هيهات ، هيهات ، هلك الضالون ، وخسر المبطلون ، وقـل النصير ، وزال المشير ، ومن بعد ذلك تماديك في غيك ، ومقامك في بغيك ، عداوة لله ولأوليائه ، وكفرا لهم وطغيانا ، وعمى وبهتانا .

أتراك تحسب أنك مخلد أم لأمر الله راد ؟

---

(١) من قبائل البربر .
(٢) بنو الاصفر : الروم البيزنطيون .
(٣) سورة النساء ٨٣ .

أم « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم و [يأبى] الله [الا أن] يتم نوره ولو كره الكافرون »[1] .

هيهات لا خلود لمذكور ، ولا مرد لمقدور ، ولا طافيء لنور ، ولا مقر لمولود ، ولا قرار لموعود ، لقد خاب منك الامل ، وحان لك الاجل ، فان شئت فاستعد للتوبة بابا ، وللنقلة جلبابا ، فقد بلغ الكتاب أجله ، والوالي أمله ، وقد رفع الله قبضته عن أفواه حكمته ، ونطق من كان بالامس صامتا ، ونهض من كان خائفا ، ونحن أشباح فوق الامر والنفس ، دون العقل وأرواح في القدس ، نسبة ذاتية ، وآيات لدنية نسمع ونرى ، ، « ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا »[2] ، « وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون »[3] .

ونحن معرضون عليك ثلاث خصال ـ والرابعة أردى لك ، وأشقى لبالك ، وما أحسبك تحصل الا عليها ـ فاختر :

اما قدت[4] نفسك لجعفر بن فلاح ، وأتباعك بأنفس المستشهدين معه بدمشق والرملة من رجاله ورجال سعادة بن حيان ، ورد جميع ما كان لهم من رجال وكراع ومتاع الى آخر حبة من عقال ناقة وخطام بعير ـ وهي أسهل ما يرد عليك ـ .

وإما أن تردهم أحياء في صورهم وأعيانهم وأموالهم وأحوالهم ـ ولا سبيل لك الى ذلك ولا اقتدار ـ .

واما سرت ومن معك بغير زمام ولا آمان فأحكم فيك وفيهم بما حكمت ، وأجريك على احدى ثلاث : إما قصاص ، « فإما منأ بعد واما[5] فداء » فعسى أن يكون تمحيصا لذنوبك ، واقالة لعثرتك .

وان أبيت إلا فعل اللعين[6] : « فاخرج منها فانك رجيم ، وان عليك اللعنة الى يوم الدين »[7] .

أخرج منها فما يكون لك أن تمكث فيها ، وقيل اخسئوا فيها ولا تكلمون ، فما أنت الا « كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار »[8] ، فلا سماء

(1) سورة التوبة : ٣٢ .
(2) سورة الشورى : ٥٢ .
(3) سورة الاعراف : ١٩٨ .
(4) اي جعلت من نفسك دية .
(5) سورة محمد : ٤ .
(6) اي ابليس .
(7) سورة الحجر : ٣٤ ـ ٣٥ .
(8) سورة ابراهيم : ٢٦ .

تظلك ولا أرض تقلك ، ولا ليل يجنك ، ولا نهار يكنك ، ولا [علم يسترك] ، ولا فئة تنصرك ، قد تقطعت بكم الاسباب ، وأعجزكم الذهاب ، فأنتم كما قال الله عز وجل : « مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء »[1] .

فلا ملجأ لكم من الله يومئذ ولا منجى منه ، وجنود الله في طلبك قافية ، لاتزال ذو أحقاد ، وثوار أهجاد ، ورجال أنجاد ، فلا تجد في السماء مصعدا، ولا في الارض مقعدا ، ولا في البر ولا في البحر منهجا ، ولا في الجبال مسلكا ، ولا الى الهواء سلما ، ولا الى مخلوق ملتجا .

حينئذ يفارقك أصحابك ، ويتخلى عنك أحبابك ، ويخذلك أترابك ، فتبقى وحيداً فريداً ، وخائفاً طريدا ، وهائماً شريداً ، قد ألجمك العرق وكظك القلق ، وأسلمتك ذنوبك ، وازدراك حزبك ، « كلا لا وزر . الى ربك يومئذ المستقر »[2]، « هذا يوم لا ينطقون . ولا يؤذن لهم فيعتذرون »[3] ، « وجوه يومئذ عليها غبرة. ترهقها قترة . أولئك هم الكفرة الفجرة »[4] .

واعلم أنا لسنا بممهليك ولا مهمليك الا ريثما يرد [١٣٤] كتابك ، ونقف على فحوى خطابك فانظر لنفسك ، ما تبقى ليومك ومعادك قبل انغلاق باب التوبة ، وحلول وقت النوبة ، حينئذ لا ينفع نفساً ايمانها ، لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيراً .

وان كنت على ثقة من أمرك . ومهل في أمر عصرك وعمرك ، فاستقر بمركزك، وأربع على ضلعك ، فلينالنك ما نال من كان قبلك من عـــاد وثمود ، « وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد »[5] ، فلنأتينكم بجنود لا قبل لكم بها ، ولنخرجنكم منها أذلة وأنتم صاغرون ، بأولي بأس شديد ، وعزم سديد ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، بقلوب نقية ، وأرواح تقية ، ونفوس أبية ، يقدمهم النصر ، ويشملهم الظفر ، تمدهم « ملائكة غلاظ شداد لا يعصمون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون »[6] .

---

(١) سورة النساء : ١٤٣ .
(٢) سورة القيامة : ١٠ ــ ١١ .
(٣) سورة المراسلات : ٣٥ ــ ٣٦ .
(٤) سورة عبس : ٤٠ ــ ٤٢ .
(٥) سورة ق : ١٤ .
(٦) سورة التحريم : ٦ .

فما أنت وقومك الا كمناخ نعم ، أو كمراح غنم ، « فاما نرينك بعض الذي نعدهم »[1] « فانا عليهم مقتدرون »[2] ، وأنت في القفص مصفودا ، « أو نتوفينك فإلينا مرجعهم »[3] ، فعندها تخسر الدنيا والآخرة ، « ذلك هو الخسران المبين »[4] ، « فأنذرتكم نارا تلظى . لا يصلاها الا الاشقى . الذي كذب وتولى »[5] ، « كأنهم يوم يرون ما يوعدون لـم يلبثوا الا ساعة من نهـار بلاغ فهـل يهلك الا القوم الفاسقون »[6] .

فليتدبر من كان ذا تدبير ، وليتفكر من كان ذا تفكر ، وليحذر يوم القيامـة من الحسرة والندامة ، « أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله »[7] ، « ويا حسرتنا على ما فرطنا »[8] ، « ويا ليتنا[9] نرد » « فنعمل غير الـذي كنـا نعمل »[10] ، هيهات غلبت عليكم شقاوتكم « وكنتم قوما بورا »[11] .

والسلام على من اتبع الهدى ، وسلم من عواقب الردى ، وانتمى الى المـلأ الأعلى ، وحسبنا الله وكفى ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ونعم المولى ونعم النصير .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا النبي [الأمي] والطيبين مـن عترته ، وسلم تسليما .

فأجابه الحسن الاعصم بما نصه : « من الحسن بن أحمد القرمطي الاعصم » :

بسم الله الرحمن الرحيم

وصل الينا كتابك الذي كثر تفصيله ، وقل تحصيله ، ونحن سائرون على اثره ، والسلام ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وسار الحسن بن أحمد القرمطي بعد ذلك الى مصر ، فنزل بعسكره بلبيس ، وبعث الى الصعيد بعبد الله بن عبيد الله أخي الشريف مسلم ، وانبثت سراياه في أرض

(1) سورة يونس : ٤٦ .
(2) سورة الزخرف : ٤٢ .
(3) سورة يونس : ٤٦ .
(4) سورة الحج : ١١ .
(5) سورة الليل : ١٤ ــ ١٦ .
(6) سورة الاحقاف : ٣٥ .
(7) سورة الزمر : ٥٦ .
(8) سورة الانعام : ٣١ .
(9) سورة الانعام : ٢٧ .
(10) سورة الاعراف : ٥٣ .
(11) سورة الفتح : ١٢ .

مصر ، فتأهب المعز وعرض عساكره في ثالث رجب سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وأمر بتفرقة السلاح على الرجال ، ووسع عليهم في الارزاق،وسير معهم الاشراف والعرب.

وسير معهم المعز ابنه الامير عبد الله ، فسار بمظلته وبين يديه الرجال والسلاح والكراع والبنود وصناديق الاموال والخلع ، وسير معه أولاده وجميع أهله ، وجمعا من جند المصريين خلا الشريف مسلم ، فانه أعفاه من ذلك .

وانبسطت سرية القرمطي في نواحي أسفل الارض[1] ، فأنفذ المعز عبده ريان الصقلبي في أربعة آلاف ، فأزال القرامطة عن المحلة ونواحيها وقتل وأسر .

ولثمان خلون منه قدمت سرية القرامطة الى الخندق ، فبرز اليها المغاربة فهزموهم ، ثم كروا على المغاربة فقتلوا منهم جماعة وأسروا ، وفر اليهم علي بن محمد الخازن فالتحق بالقرامطة .

وورد الخبر بأن عبد الله بن عبيد الله أخا مسلم أوغل في الصعيد ، وقتل ، واستخرج الاموال ، وأسرف في قتل المغاربة وأسرهم ، ثم كر راجعا الى خميم .

ولست عشرة خلت منه جمع المعز أولاد الاخشيدية وغيرهم من الجند واعتقلهم.

وفي سلخة طيف بتسعة من القرامطة على الابل بالبرانس ومعهم ثلاثة رؤوس ؟

وفيه سار عسكر المعز مع ابنه عبد الله فنزل جب عميرة ، ونزل عسكر القرمطي نصفين : نصف مع النعمان أخي الحسن بن أحمد الاعصم مواجهة لعبد الله بن المعز، ونصف مع الحسن بسطح الجب .

فبعث عبد الله العساكر، فأحاطت بالحسن بن أحمد، وعسكر زحف الى النعمان فقاتله فانهزم ، وقتل من أصحابه ، وواقع [٣٤ ـ ظ] الآخرون الحسن حتى كاد أن يؤخذ ، فانهم أحاطوا به ، وصار في وسطهم ، فاغتنم فرجه مضى منها على وجهه ،

---

(١) اي الوجه البحري .

ونهب سواده وأخذت قبته[1] ، وأسر رجاله ، وأخذ من عسكره وعسكر أخيه خلق كثير ، وأخذ جماعة ممن كان مع المصريين .

ووصل الكتاب مع الطائر الى عبد الله أخي مسلم بهزيمة القرامطة — وهو بالصعيد — فعدى الى جانب الشرقي لينقلب الى الشام ، فبلغه مسير عساكر المعز فعاد الى الجانب الغربي .

وورد كتاب الطائر الى المعز من الامير عبد الله ابنه بأن عبد الله أخا مسلم قد أخذ ، فأرسل المعز الى أخيه أبي جعفر مسلم يخبره ، فخلع على البشير .

---

(1) ورد في ورقة منفصلة بين الصفحتين في الاصل شرح للقبة هذا نصه : « في ورقة ملصوقة بهذا المحل بخطه ما مقاله » :

« كان من مخاريق القرامطة القبة ، وهي ان ابا طاهر بن ابي سعيد الجنابي كانت عادته في الحرب أن يفرد طائفة من عسكره — فرساناً ورجالة — عن القتال ، يقفون معه لا يقاتل ولا يقاتلون ، فاذا كل المقاتلة عن القتال حمل هو بنفسه في الطائفة المستريحة التي لم تحضر القتال ، فقاتل وقد كلوا منهزمين عنه ، فلما مات ضعفت هيبة القرامطة بعده عن رجالهم وترتيب وقوفهم — كما ذكرنا — ، فرجعوا الى المخرقة ، واقاموا قبة كالعمارية على جمل وقالوا : « ان النصر ينزل من هذه القبة في وقت معلوم ، واخذوا من حب الكحل ومن اللؤلؤ الكبار وجعلوه في صرة مع فحمة ومدخنة بداخل القبة ، واذا ارادوا الحمل على عسكر من يحاربوه صعد رجل منهم الى القبة ، وقدح النار في المجمرة ، واخذ حب الكحل، وارى القواد والناس بياضه (كذا) من بعيد وهم لا يعرفونه ، ثم يطرحه على النار ، فيفرقع فرقعة شديدة ، ويبعد من غير دخان ، فيظن القوم ذلك شيئا ، ويحملون على أعدائهم ومعهم القبة ، ولا . . منها شيء ، ولا يوقد ذلك الا عندما يقول صاحب العسكر : « قد نزل النصر » وذلك أنه يقف مع القبة قطعة من الجيش مستريحة لا تقاتل ، وهو مستخف معهم واكثر القوم يقاتلون وهم بالقبة من وراء المقاتلة ، فمن انهزم من مقاتلتهم حل دمه وقتل ، فاذا احس بانهم قد كلوا امر بعمل ما قلنا في القبة ، وحمل بها في الطائفة المستريحة فهزم من عساه يكون ، وما زالت مخرقتهم هذه يموهون بها الى ان كسرت هذه القبة في الرملة، ثم اخذها عبد الله بن المعز خارج القاهرة ، فقلت عند ذلك مهابة القرامطة بما ذهب من قيمتهم ، وبهذا قدروا على قتل جعفر بن فلاح ، وانهم كانوا لا يسيرون بالقبة الا كمن يسير الى أمر ممهد، فيقولون : نزل النصر ، وتشد قلوبهم وتقوى، فما سارت القبة من غير معارضة حتى يكون الظفر لهم » .

وكان في البرية سرية للمعز قد أخذوا الطريق على عبد الله أخي مسلم ، فوقع في أيديهم في الليل رجل بدوي ، فقال : « أنا عبد الله أخو مسلم » فجاء الى الامير عبد الله : فكتب الى الطائر بأخذ عبد الله ، فلما جيء بالبدوي من الغد الى الامير عبد الله وهو في معسكره ــ وكان في مجلسه عبد الله بن الشويخ ــ فقال للامير عبد الله : « ما هذا عمي عبد الله » • فبطل القول • وكان خبر هذا البدوي أنه كان مع عبد الله أخي مسلم بالصعيد ، وعبر معه يريد الشام ، فأراد أن يسقي دوابه ، فقال له البدوي : « ما تأمن أن يكون على الماء طاب ، فدعني أتقدمك ، فان لم أجد أحد جئتك ، وان أبطأت عليك فاعلم أني أخذت » فلما وافى البدوي البئر أخذ فقال لهم : « أنا عبد الله أخو مسلم ليشغلهم عن طلبه ، فلما أبطأ البدوي على عبدالله علم أن الطلب قد أخذوه ، فكر راجعا وعاد الى الجانب الغربي ، وركب البحر الى عينون[1] ، ومضى الى الحجاز •

وكان ياروق على عسكر للمعز ، فرأى أصحابه عبد الله ، فأفلت منهم على فرس دهماء عربية بعدما حط قبته وقطعها بسيفه ، فظفر ياروق بنوقه ، ووصل عبد الله الى المدينة النبوية ، وجلس يتحدث في المسجد ، فقيل له : « ان الكتب قد سبقتك ، وبذل فيك مال عظيم » فنهض لوقته ، وتوجه الى الاحساء ، فاستنهض القرامطة ، فلم يكن فيهم نهضة ، فوبخهم لما رأى من عجزهم ، وقال : « أروني ما عندكم من القوة التي تقاومون بها صاحب مصر » فأوقفوه على ما عندهم من المال والسلاح والكراع ، فاستقله وقال : « بهذا تقاومون صاحب مصر والشامات والمغرب ؟» •

وانصرف عنهم الى العراق ، فأتبعوه برجل يقال أنه من بني سنبر ، فسمه في لبن بموضع يقال له النصيرية ــ على ميلين من البصرة ــ فقام مائتي مجلس في ليلة ومات بموضعه ، فغسل وكفن وأدخل البصرة ، فصلي عليه ودفن بها الى أن جاء حسن بن طاهر بن أحمد فحمله الى المدينة •

وورد الخبر بذلك الى المعز ، فأخبر الناس بموته وموت المطيع ، فان ابنه سمه أيضا ، كما سمت القرامطة عبد الله أخا مسلم •

---

(١) قرية يطؤها طريق المصريين اذا حجوا ــ معجم البلدان .

وأما أخبار القرامطة ففي كتب المؤرخين مـن المشارقة المتعصبين على الدولـة الفاطمية أن سبب انهزام الحسن بن أحمد القرمطي من عساكر المعز أن العرب لما أنكت بمسير سراياها بأرض مصر ، رأى المعز أن يفل عساكر القرامطة وجموعهم بمخادعة حسان[1] بن الجراح الطائي ـ أمير العرب ببلاد الشام ـ، وكان قدم مع القرمطي في جمع عظيم قوي به عسكر القرمطي ، فبعث المعز الى ابن الجراح ، وبذل له مائة ألف دينار على أن يفل عسكر القرمطي ، فأجابه الى ذلك ، وأن المعز استكثر المال ، فعمل دنانير من نحاس وطلاها بالذهب ، وجعلها في آكياس ، ووضع على رأس كل كيس منها دنانير يسيرة من الذهب ليغطي ما تحتها ، وشدت الاكياس وحملت الى ثقة من ثقات ابن الجراح بعدما كانوا استوثقوا منه وعاهدوه أنه لا يغدر بهم ، فلما وصل اليه المال تقدم الى كبراء أصحابه بأن يتبعوه اذا توقف العسكران وقامت الحرب ، فلما اشتد القتال ولى ابن الجراح منهزما واتبعه أصحابه ـ وكان في جمع كبير ـ •

فلما رآه القرمطي ـ وقد انهزم ـ تحير ، فكان جهده أن قاتل بمن معه حتى تخلص ، وكانوا قد أحاطوا به من كل جانب ، فخشي على نفسه وانهزم ، وتبعوه ودخلوا عسكره ، فظفروا منه بنحو من [٣٥ ـ و] ألف وخمسمائة رجل، فأخذوهم أسرى ، وانتهبوا العسكر •

ولما كان لخمس بقين من شعبان أنفذ المعز أبا محمود ابراهيم بن جعفر الى الشام خلف القرمطي في عسكر يقال مبلغه عشرون ألفا ، فظفر في طريقه بجماعة من أصحاب القرمطي ، فبعث بهم الى مصر •

---

(١) ورد في حاشية الاصل تعريف به ، نصه :
« حسان بن علي بن مفرج بن دغفل بن حرام بن شبيب بن مسعود بن سعيد بن ...... بن ...... بن ...... بن علقي بن حوط بن عمرو بن خالد بن معدان بن ...... افلت ابن سلسلة بن عمرو بن سلسلة بن غانم بن ثور بن معن بن ...... بن عنين بن سلامان بن ...... بن عمرو بن الغوث بن طيء .

وسار الحسن بن أحمد القرمطي فنزل أذرعات[1] ، وأنفذ أبا المنجا في طائفة الى دمشق •

وبعث المعز الى ظالم بن موهوب العقيلي[2] لما بلغه ما وقع بينه وبين القرمطي ونزول أبي المنجا دمشق ، فسار القرمطي ودخل البرية يريد بلدة وفي نيته العود •

وكان للحسن بن أحمد القرمطي هذا شعر ، فمنه في أصحاب المعز لدين الله :

زعمت رجال الغرب أني هبتها فدمي إذاً ما بينهم مطلول
يا مصر إن لم أسق أرضك من دم يروي ثراك ، فلا سقاك النيل[3]

ولما كان في سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ورد اسحاق وجعفر الهجريان من القرامطة فملكا الكوفة ، وخطبا لشرف الدولة ، فانزعج الناس لذلك لما في النفوس من هيبتهم وبأسهم ، وكان من الهيبة ما أن عضد الدولة بن بويه وبختيار أقطعاهم الكثير ، وكان لهم ببغداد نائب يعرف بأبي بكر بن ماهويه يتحكم تحكم الوزراء ، فقبض عليه صمصام الدولة بن عضد الدولة ، فلما ورد القرامطة الكوفة كتب اليهما صمصام الدولة يتلطفهما ويسألهما عن سبب حركتهما ، فذكر أن قبض نائبهم هو السبب في قصدهم البلاد ، وبثا أصحابهما فجبوا المال ، فأرسل صمصام الدولة العساكر ومعهم العرب ، فعبروا الفرات اليه وقاتلوه وأسروا ، فانجلت الوقائع بينهم وبين العساكر عن هزيمة القرامطة ، وقتل مقدمتهم في جماعة ، وأسر عدة ، ونهب سوادهم ، فرحل من بقي منهم من الكوفة ، وتبعتهم العساكر الى القادسية فلم يدركوهم ، وزال من حينئذ بأسهم •

---

(1) درعا الحالية في سورية .

(2) جاء في حاشية الاصل طرة نصها :
« بخطه : فبعث عضد الدولة فناخسرو الديلمي من العراق عسكراً الى الاحساء، وبها يومئذ ابو يعقوب بن ابي سعيد الجنابي ، عم الحسن بن احمد الاعصم ، ففر ابو يعقوب ، وأخذ العسكر ما كان في الاحساء فقدم الاعصم منهزماً من الشام فيمن بقي معه ، فانضم اليه عمه ، وسار وأوقع بالعسكر ، واستباحه قتلا ونهبا، فقويت نفسه،وكاتب العرب فأتوه وبعث رسولا الى المعز يطلب الموادعة» .

(3) روايات هذا الشعر متباينة بعض الشيء ، انظر الروايات السابقة .

وفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة جمع شخص يعرف بالأصفر من بني المنتفق جمعا كبيرا [وكان] بينه وبين جمع من القرامطة وقعة شديدة قتل فيها مقدم القرامطة، وانهزم أصحابه وقد قتل منهم وأسر كثير ، فسار الأصفر الى الاحساء وقد تحصن منه القرامطة بها ، فعدى الى القطيف وأخذ ما كان فيها من مال وعبيد ومواشي ، وسار بها الى البصرة[1] ...



(١) يتلو هذا بياض في الاصل قدره حوالي نصف صفحة ، يبدو ان المصنف تركه ليضيف فيه معلومات اخرى .

كتـــاب

المقفى الكبير في تراجم أهل مصر والوافدين عليهـــا

بـدر الحمامـي*

كان من غلمان أحمد بن طولون ، وكان روميا حسن الخلق ، من حسن خلقه أنه اذا قبل أحد من الرجالة بخده باس هو رأسه ، وما يزال يترقى الى أن صار أكبر قواد مصر ، وتعين هو وصافي بعد قتل خمارويه ، فلما صار الامر الى هرون بـن خمارويه قبض كل من بدر وصافي على قطعة من الجيش حازها لنفسه ، وطالب عنها بأرزاقها ، وسأل أن يكون ما لهم محمولا اليه يتولى هو اعطاءهم في داره ، ففعل ذلك به ، وصارت عدة كل طائفة من الجند الى دار من صاروا في جملته يغدون اليه، ويروحون مـن عنده ، ويطالبونه بأرزاقهم ويقبضونها مـن يد كاتبه ، لا يخافون ولا يرجون سواه •

وخرج الى دمشق ومعه طغج والحسين بن أحمد الماذرائي في سنة ثلاث وثمانين ومائتين، فأصلح أمر الشام ، واستخلف على دمشق طغج بن جف الفرغاني، وعاد الى مصر فحج بزي حسن ، وآلة جميلة ، وأنفق نفقة كبيرة ، وبنى ميضأة بباب الجامع العتيق بمصر ، ووقف عليها قيسارية ملاصقة لها ، وجعل مع الميضأة ماء عزب في كيزان كبار ، فوضع في كل حلقة من حلق الجامع كوز ، وجعل أزيارا مملوءة ماء مطلقة لسائر الناس ؛ وكان على صدقاته الليث بن داود ، فتجيء المساكين زمرا زمرا الى بابه ، وهم ينادون في الطريق دار ليث ، فيأخذون الدراهـم الصحاح والخبز واللحم المطبوخ قدورا مملوءة ، وتفرق فيهم في الشتاء الجباب الصوف ، وفي يوم الاكسية ، وما زال ذلك معروفا قائما أيام حياة بدر كلها •

فلما انهزم طغج بن جف بدمشق من الحسن بن زكرويه القرمطي ، الذي يعرف بالمطوق وبصاحب الجمل ، وسمي علي بن عبد الله ، في سنة تسع وثمانين ومائتين خرج بدر وفائق بعساكر مصر ، وقاتلا القرمطي الى أن قتل ، وقام من بعده أحمد بن

---

* من مجلدة برتو باشا استانبول .

عبد الله بن أحمد صاحب الخال ، فقاتله بدر حتى هزمه ، وفيه يقول من أبيات :

سبقت يــدي يــده	هاشمـــي المحتــد
وأنــا ابن أحمد لم أقل	كــذبا ولـــم أتزيــد
مــن خوف بأسي قــال	بدر : ليتني لــم أولد

وأقاما بدمشق ، وحشا محمد بن سليمان الكاتب على أخذ مصر ، وسارا معه حتى أزال دولة بني طولون من مصر في ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، ثم أخرج بدرا من مصر واليا على دمشق ، فخرج قواد بني طولون ومواليهم .

* * *

الحسن الاعصم القرمطي

الحسن بن أحمد الحسن بن بهرام ، أبو علي ، وقيل أبو محمد ، بن أبـي منصور بن أبي سعيد الجنابي[١] ، ويعرف بالاعصم[٢] القرمطي وقيل فيه الحسن بن احمد بن أبي سعيد الجنابي ، واسمه الحسن بن بهرام ، ويقال الحسن بن أحمد بن الحسن بن يوسف بن كوذركار،ولد بالاحساء في رمضان سنة ثمان وسبعين ومائتين.

وهذه الطائفة التي تعرف بالقرامطة قد عظم في العالم أمرها ، وشنع بين الخليقة ذكرها ، ودوخوا الممالك والاقطار وأذلوا أعزة أهل البدو وسكان الأمصار،وسأتلو من أنبائهم جملة توقفك على كنه أحوالهم فأقول : ان ابتداء أمر هذه الطائفة كان من رجل من الشيعة،يعرف بحسين الأهوازي،سكن عسكر مكرم[٣] ، وتحول الى البصرة ، ثم صار الى سلمية من أرض حمص فأقام بها مدة ؛ وخرج داعية الى العراق فصادف بطريقه في سواد الكوفة رجلا يعرف بحمدان بن الاشعث ، ويقال له قرمط، من أجل أنه كان قصير القامة ، قصير الرجلين ، متقارب الخطا ، وهو ماش ومعه ثور، فسأله الحسين عن الطريق الى قرية يقال لها قس بهرام، فقال له حمدان: أنا قاصدها، فتماشيا ساعة وعرض حمدان على الحسين أن يركب ثوره ، فأبى ذلك ، وقال : لم

---

(١) وقع بالهامش الايمن بنفس الخط : جنابي بفتح الجيم وتشديد النون وبعد الالف ياء موحدة من اسفل ، وهي بلدة صغيرة من سواحل فارس بينها وبين سيراف اربعة وخمسون فرسخا .

(٢) وقع بالهامش الايسر بنفس الخط: الاعصم بهمزة وعين مهملة وصاد مهملة بعدها ميم . وجاء في الهامش الايمن بنفس الخط ايضا : الاعصم من الظباء الذي في ذراعه بياض ، وغراب اعصم في أحد جناحيه ريشة بيضاء . وقيل هو الابيض والاعسم الذي يبس رسغه او يبس مرفقه ، يقال له رجل اعسم ـ وامرأة عسماء ـ اذا تعوج منه اليدان . كذا في الاصل والذي في اللسان مادة عسم : تعوج منه اليد والقدم ، وانظر ايضا ـ في نفس المصدر ـ مادة عصم .

(٣) قال عنه ياقوت : بلد مشهور من نواحي خوزستان اختطه العرب أيام الحجاج بن يوسف الثقفي .

أومر بذلك فقال له حمدان : كأنك تعمل بأمر لك ؟ قال : نعم . قال : ومن يأمرك وينهاك ؟ قال : مالكي ومالكك ، ومن له الدنيا والآخرة ، فبهت حمدان أن يفكر ، ثم نظر اليه، وقال : يا هذا! ما يملك ما ذكرته الا الله . قال : صدقت ، والله يهب ملكه لمن يشاء . قال حمدان : فما تريد في القرية التي سألتني عنها ؟ قال : دفع الي جراب فيه علم وسر[1] من أسرار الله ، وأمرت أن أشفي هذه القرية ، وأغني أهلها ، وأستنقذهم وأملكهم أملاك أصحابهم ، وشرع يدعوه فقال له حمدان : يا هذا نشدتك الله الا دفعت الي من هذا العلم الذي معك ، وأنقذتني ينقذك الله ، فقال : لا يجوز ذلك ، أو آخذ عليك عهدا وميثاقا أخذه الله على النبيين والمرسلين ، وألقي اليك ما ينفعك ، فما زال حمدان يضرع اليه ، حتى جلسا ، وأخذ عليه العهد ، ثم قال له : ما اسمك ؟ قال له : حمدان بن الأشعث قرمط ، وأسألك أن تسير معي الى منزلي حتى تجلس فيه فان لي إخواناً أصير بهم اليك لتأخذ عليهم العهد للمهدي ، فصار معه الى منزله، وجمع عليه حمدان الناس ، فأخذ عليهم العهد للمهدي ، واغتبط به حمدان لكثرة ما شاهده من خشوعه ، وصيام نهاره ، وقيام ليله ، وشهر أمره في أصحابه حتى كان أغبط الناس به ، من أخذه الى منزله وكان يخيط لهم الثياب فيتبركون بخياطته ، ويرتزق من أجرتها ، الى أن أدرك التمر، فوصف لأبي عبدالله محمد بن عمر بن شهاب العدوي ــ أحد وجوه الكوفة وعلمائها وفضلائها ــ أمر الحسين الأهوازي، فنصبه لحفظ ثمره ، فأحسن القيام في حفظها ، وبالغ في أداء الامانة ، وخرج عن الحد في كثرة[2] التشدد وذلك في سنة أربع وستين ومائتين ، فاستحكمت ثقة الناس بالحسين ، الى أن حضرته الوفاة ، فعهد لحمدان بن الأشعث قرمط ، وأقامه مقامه ، وقضى نحبه .

وكان قد استجاب له مهرويه بن زكرويه السلماني الصواني، وجلندي الرازي، وعكرمة البابلي ، واسحاق البوراني، وعطيف النيلي في آخرين وبث دعاته في السواد يأخذون على الناس العهود ، وكان أكبر دعاته عبدان الاهوازي ختن قرمط ، فقام في الدعوة ، وبث الدعاة في أعمال السواد بالكوفة ، فدخل [٣٤٥ ظ] في دعوة قرمط

---

(١) في الاصل سر والزيادة من اتعاظ الحنفا . ط القاهرة ١٩٦٧ وجاء هناك : رفع الي كتاب ، وما اثبتناه هنا اقوم .

(٢) في الاصل : (كثر) . وما اثبتناه اقوم .

بنو ضبيعة بن عجل من ربيعة ، وبنو يشكر من بكر بن وائل ، حتى لم يتخلف عنه رفاعي ولا ضبعي الا ودخل في دعوته ، ودان بها ، ولم يبق من بطون العرب المتصلة بواسط بطن الا استجاب له ، فدخل في دعوته كثير من بني عابس ومن ذهل ، وعنزة، وتيم الله ، وبني ثعل ، وهم معظم سواد الكوفة .

فقوي قرمط ، وأخذ يجمع أموالهم ، فكان أول مافرض عليهم الفطرة وهي[1]: درهم يأخذ من كل واحد من الرجال والنساء والصبيان فسارعوا الى ذلك وحملوه اليه ، ثم فرض عليهم الهجرة ، وهي : دينار عن كل رأس أدرك الحنث ، وتلا قول الله تعالى : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم »[2] ، وقال لهم : هذا تأويل هذا ، فدفعوا ذلك اليه ، وتعاونوا عليه ، حتى أن من كان منهم فقيرا أسعفوه ، ثم فرض عليهم البلغة ، وهي : سبعة دنانير ، وقال : هذا هو البرهان الذي أراده الله تعالى بقوله : « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين »[3] . وقال : هذا بلاغ من يريد الايمان والدخول في السابقين « أولئك المقربون »[4] ، فكان من أدى سبعة دنانير عن البلغة ، أطعمه شيئا حلوا لذيذا في قدر البندقة ، وقال له : هذا طعام أهل الجنة نزل الى الامام ، وصار يبعث الى كل داع منها مائة بلغة ، ويطالبه بسبعمائة دينار ، عن كل واحدة سبعة دنانير ثم فرض عليهم الخمس من كل ما يملكونه وما يكتسبونه ، وتلا عليهم قول الله تعالى : « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه »[5] الآية ، فبادروا الى ذلك وقوموا سائر ما يملكونه من ثوب وغيره ، وأدوا منه الخمس ، حتى أن المرأة كانت تخرج من غزلها خمسه ، والرجل يخرج الخمس مما يكسبه ، ثم فرض عليهم الالفة ، وهي أنهم يجمعون أموالهم في موضع واحد ، وأن يكونوا فيه كلهم أسوة واحدة ، لا يفضل أحد من أصحابه على صاحبه ، ولا أخيه في ملك يملكه بشيء البتة ، وتلا عليهم قول الله تعالى : « واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء

---

(1) في الاصل : (وهم) . وما اثبتناه اقوم .
(2) سورة الانفال : ١٠٣ .
(3) سورة البقرة : ١١١ .
(4) سورة الواقعة : ١٠ .
(5) سورة الانفال : ٤١ .

فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا »[1] الآية • وقوله تعالى : « لو أنفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم »[2] ، وقال لهم لا حاجة بكم الى الاموال فان الارض بأسرها ستكون لكم دون غيركم ، وقال لهم : هذه محنتكم التي امتحنتم بها ، ليعلم كيف تعملون ، وألزمهم بشراء السلاح في سنة وسبعين ومائتين •

وأقام في كل قرية رجلا مختارا من الثقات ، فجمع عنده أموال قريته من : غنم وبقر ، وحلي ، ومتاع ، وغير ذلك ، فكان يكسو عاريهم وينفق عليهم ما يكفيهم ، حتى لم يبق بينهم فقير ولا محتاج ، وأخذ كل رجل منهم بالانكماش في صناعته والكسب بجهده ، ليكون له الفضل في رتبته : وجمعت اليه المرأة كسبها من مغزلها ، وأدى اليه الصبي أجرة نطارته وحراسته للطير ونحوه ، ولم يبق في ملك أحد منهم غير سيفه وسلاحه لا غير •

ثم لما استقام له ذلك كله ، أمر الدعاة أن تجمع النساء في ليلة بينها ويختلطن بالرجال ، حتى يتراكبن ، وقال : هذا من صحة الود والالف ففعلوا ذلك • ثم انه أفشى فيهم اباحة الاموال والفروج ، والغناء عن الصوم والصلاة وجميع الفرائض ، وقال : هذا كله موضوع عنكم ، ودماء المخالفين وأموالهم حلال لكم ، ومعرفة صاحب الحق تغنيكم عن كل شيء ، ولا تخافون معه اثما ولا عذابا ، وعني بصاحب الحق الامام محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، وقال : بهذا الامام اتسقت هذه الامور ولولاه لهلك الخلق ، وعدم الهدي والعلم ، فبسطوا أيديهم بسفك الدماء وقتلوا جماعة ممن خالفهم ، فخافهم الناس ، ووافقهم كثير من مجاوريهم •

ثم ان الدعاة اتفقوا على بناء دار هجرة ، فأقاموا سورا في قرية يقال لها مهتماباذ ، من سواد الكوفة ، وجعلوا عرضه ثمانية أذرع ، ومن ورائه [٣٤٦ ــ و] خندق عظيم ، وبنوا من داخل السور المباني ، وتحول اليها الرجال والنساء ، وذلك في سبع وتسعين ومائتين ، كل ذلك والخليفة ببغداد مشغول بصاحب الزنج ، وكثرة الفتن ، فلم يبق أحد الا خافهم لقوتهم ، وتمكنهم في البلاد ، ومات عبدان •

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٣ .
(٢) سورة الانفال : ٦٣ .

وكان منهم رجل يقال له مهرويه ، قد عرف بالثقة والدين[1] ، فانقاد اليه خلق كثير ، وقال : أنا من ولد عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق[2] . وصار يركب في قبة على جمل ، ويدعى بالسيد وكان له ابن يقال له زكرويه أحد الدعاة . ومن الناس من يسميه الحسين بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق .

فاتهم زكرويه بقتل عبدان ، فخاف ، ثم تحول من سواد الكوفة ، وأنفذ ابنه الحسين بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، ونزل سلمية فوجد بها بني أبي الملاحف ، وهم أبو عبد الله الحسين بن أحمد وأخواه[3] أبو العباس أحمد ، وحسن فاستمالوه الى القرامطة ، وحسنوا له أن يدعو الى أبيه محمد بن اسماعيل ، فأجابهم الى ذلك[4] . وكان معه من أولاده أربعة ، هم : أبو القاسم أحمد بن الحسين صاحب الجمل ، وأبو الحسن علي صاحب الخال وأبو محمد عبيد الله[5] الذي ملك افريقية، والقاسم الذي خرج مع أبيه الحسين بالهبير .

فخرج أبو القاسم أحمد في أول المحرم سنة تسعين ومائتين في ألف رجل ، وتوجه الى الرقة ، وقاتل عاملها شبل الديلمي وقتله وأخذ جميع ما في عسكره ،وسار الى دمشق فخرج اليه طغج بن جف ، عاملها من قبل أبي موسى بن أبـي الجيش خمارويه بن أحمد بن طولون ، فهزمه أقبح هزيمة ، وقتل أكثر من معه ، وأخـذ أموالهم ، ونجا طغج الى دمشق ، فنزل أبو القاسم على دمشق بين داريا الى المزة ، وحصرها سبعة أشهر حتى قدم بدر الحمامي بجيوش مصر ، فزحف اليهم وقد ركب جملا أحمر ، قدام عسكره ، وحوله مائة أسود بسيوف وحجف فكان اذا أشار

---

(١) في الاصل : (والديون) ، وهو تصحيف ظاهر .

(٢) زاد مؤلفنا المقريزي في كتابه اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء فقيل له : لم يكن لمحمد بن اسماعيل ابن يقال له عبد الله ، فكف عن هذه الدعوى

(٣) في الاصل : واخويـه .

(٤) في هذا اضطراب ولعل الصواب : فاستمالهم الى القرمطة وحسن لهم ان يدعو الى ابيه محمد بن اسماعيل فأجابوه الى ذلك .

(٥) كذا في الاصل ، وسبق التنبيه الى ان الصحيح « عبد الله » ويلاحظ ان معلومات المقريزي فيها اضطراب شديد ، ومرد هذا الى ان المقريزي جمع مواد مسودة كتابه المقفى وتوفي قبل ان يكمله او يعيد النظر فيه .

بكمه الى ناحية من عسكره ، حملوا على عساكر مصر وهزموهم ، الى أن انتدب له فارس من أهل مصر طعنه برمح أرداه به عن الجمل ، ومات ، فقتل الفارس .

وقام من بعد أبي القاسم أخوه أبو الحسن علي صاحب الخال ، فمضى بمن معه عن دمشق ، فبعث المكتفي بالله أبا الأغر السلمي فلقيه على حلب وهزمه ، فسير اليه محمد بن سليمان الكاتب فواقعه بناحية سلمية وقتل من أصحابه ستة آلاف رجل ، وفر فقبض عليه وحمل الى بغداد على فيل في ثاني ربيع الأول سنة احدى وتسعين ، فصار يقول : ألستم يا فسقة بقايا قتلة الحسين بن علي ، وضربت عنقه وعنق المدثر ، ابن أخيه ، واسمه عبد الله[1] بن الحسين بن محمد بن اسماعيل، وبقية أصحابه وعمره يومئذ سبع وعشرون سنة ، وقيل انه قتل هو وأخوه من أهل الشام والبوادي وأصحاب السلطان وأهل المدن ومن جند مصر ومن جند العراق نحو ستمائة ألف انسان .

ولما قتل المكتفي من ذكرنا ، غضب لذلك الحسين بن محمد وجمع وسار الى الكوفة وقتل جماعة ونهب ثم سار وأخذ الحاج بأسرهم،فخرج اليهم جيش من بغداد وقاتلهم وقتلهم في ربيع الاول سنة خمس وتسعين وقتل الحسين بن محمد وابنه القاسم ، وقتل معه زكرويه وسائر دعاته . فهذه جملة أخبار القرامطة الخارجين ببلاد الشام .

وأما قرامطة البحرين ، فكان مبدأ أمرهم أن رجلا من أهل جنابة يعرف بأبي سعيد الجنابي ، واختلف في اسمه فقيل الحسن بن بهرام ، وأنه من الفرس ، وقيل الحسن بن علي بن محمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وأنه كان يعمل الفراء ، ويسافر من البحرين الى سواد الكوفة ، فنكح امرأة من قوم كانوا يدينون بالقرمطة وصحب عبدان ، وقيل بل صحب قرمط وأخذ عنه ، وعاد الى القطيف فدعا الناس ، وكان أول من استجاب له بنو سنبر ، وهم : الحسين وعلي وحمدان ، وما زالت دعوته تنتشر وأمره يقوى ، حتى جمع وقاتل من خالفه بمن أطاعه ، وهدم مدينة هجر [٣٤٦ ــ ظ] بعد محاربة أهلها عدة أشهر وبنى دار هجرة

---

(١) كذا وهو عنده قبل بضعة أسطر اسمه « علي » ، ومرد هذا كما سبقت الاشارة الى ان المقريزي جمع بسرعة دون تحري ومراجعة .

بمدينة الاحساء • وقاتل جيوش المعتضد في سنة سبع وثمانين ومائتين، وقتل أكثرهم وأسر معظمهم • ولم يزل أمره يشتد حتى قتله غلامه في الحمام بمدينة الاحساء في سنة اثنتين وثلاثمائة ، وكانت أيامه[1] نحو ست عشرة سنة :

وقام من بعده ابنه أبو طاهر سليمان ، فأكثر من الغزو ، وسار الى البصرة ، وأخذها في ربيع الاخر سنة احدى عشرة وثلاثمائة ، وقتل منها خلقا كثيرا ، ثم أوقع بالحاج في ذي الحجة منها وأخذ لهم من المال ما لا يقدر قدره ، وأخذ الكوفة في ذي القعدة سنة اثنتي عشرة ، وقتل منها وأسر كثيرا ، ثم سار يريد بغداد في سنة خمس عشرة ، ونزل الكوفة في شوال منها ، وقاتل يوسف بن أبي الساج ، وأسره ودمر عساكره ، وسار الى الانبار فهم أهل بغداد بالهرب ، وكانت هناك معارك مع جيوش العراق ، وسار الى الرحبة ووضع السيف في أهلها ونهب الجزيرة ، وقاتل أهل الرقة ورأس العين وسنجار ، وفرض الأموال على الناس ، وعاد الى الأحساء ، ثم قدم مكة في ذي الحجة سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، وردم زمزم بالقتلى ، وانتهك حرمة الكعبة ، وأخذ كسوتها وأموالها ، وقلع الحجر الاسود من موضعه ، وعاد الى بلاده ، ثم سار الى الكوفة في سنة تسع عشرة ، فأفسد وعاد •

ثم خرج في سنة ثلاث وعشرين الى الكوفة ونادى بالامان ، وفرض على أهل خراسان وبغداد والشام ومصر الاموال العظيمة ، فكانت تحمل اليه في كل سنة اتقاء شره •

ثم سار أيضا الى الكوفة سنة خمس وعشرين ، وعاد فأهلكه الله بالجدري ، بعدما تقطع جسده ، وذلك في رمضان سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة •

فقام من بعده أخواه : أبو قاسم سعيد ، وأبو العباس أحمد ، واستقر الرأي والتدبير منوط بستة نفر ، وردوا الحجر الاسود مع سنبر بن الحسين بن سنبر في سنة تسع وثلاثين ووضع في مكانه يوم النحر فكانت مدة غيبته اثنتين وعشرين سنة تنقص أيام •

وغلب الحسن بن أحمد على الشام في ذي الحجة سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، وولى على دمشق وشاحا السلمي ، ثم رجع الى الاحساء في صفر سنة ثمان وخمسين،

---

(١) في الاصل : يامه ، وهو تصحيف .

وفي سنة تسع وخمسين خطب لهم بمكة ، وساروا الى دمشق في سنة ستين وثلاثمائة، وقتلوا جعفر بن فلاح في ذي القعدة ، وكبيرهم يومئذ الحسن بن أحمد صاحب الترجمة ؛ وكان سبب حركته هذه أن ظالم بن مرهوب العقيلي، لما انهزم من جعفر بن فلاح عن بلاد حوران والبثنية ؛ لحق بالاحساء وحث القرامطة ، فإن المال الذي كان يحمل اليهم من مصر انقطع عند دخول القائد جوهر بعساكر المعز لدين الله الى مصر، فبعثوا العرفاء لجميع العرب ، وسار الحسن بن أحمد الى الكوفة فوافاه من استجاب له من العربان ، وأنفذ الى بغداد يطلب المال ، فجهز اليه خزانة سلاح ، وأربعمائة ألف درهم أحيل بها على أبي تغلب فضل الله بن ناصر الدولة الحسن[1] بن حمدان وهو على الرحبة ، فسار الحسن الى الرحبة ، وحمل اليه أبو تغلب العلوفة والمال المرسوم به ، وتوجه الى دمشق ، وقد صحبه كثير من عسكر أبي تغلب ومن انهزم من الاخشيدية ، فخرج اليه أبو الفضل جعفر بن فلاح وقاتله ، فقتل جعفر ، ونزل الحسن يوم الخميس سادس ذي القعدة على المزة خارج دمشق ، وجبى من المدينة مالا كثيرا ، وسار الى الرملة من دمشق يوم الثلاثاء لاحدى عشرة [ليلة] خلت من ذي القعدة ، وقد استخلف عليها ظالم بن موهوب ، واجتمع عليه عرب الشام ، وكثير من الاتباع والاجناد ، ونازل يافا وبها سعادة بن حيان وقاتله ، ثم رحل عنها ، وترك على حصارها أبا المنجا عبد الله بن علي بن منجا القرمطي ، وظالم بن مرهوب العقيلي، ونزل خارج القاهرة بعين شمس لعشر بقين من صفر سنة احدى [٣٤٧ ــ ظ] وستين، ومعه خمسة عشر ألف جمل وبغل تحمل صناديق الاموال ، وأواني الذهب والفضة ، سوى التي تحمل الخيم والمضارب والبنود ، وغير ذلك من الاثقال ، وقد استعد جوهر القائد لحربه ، فالتحم القتال في يوم الجمعة أول ربيع الاول على باب القاهرة، وقتل من الفريقين وأسر جماعة ، وباتوا ليلة السبت وأصبحوا متكافين ، وغدوا يوم الاحد للقتال على باب الخندق فكانت وقائع شديدة قتل فيها من الفريقين عدد كبير، وانهزم الحسن ، ونهب سواده ببركة الحاج ، وأخذت صناديقه وكتبه ، ومضى في الليل على طريق القلزم ، ونهبت بنو عقيل وبنو طيء كثيرا من سواده ؛ وهو مشغول بالقتال ، فسار الى الاحساء ، ثم عاد من الاحساء ونزل الرملة في سابع رمضان ،

---

(١) في الاصل : الحسين ، وهو خطأ ظاهر .

وطرح مراكب في البحر ، وملأها بالمقاتلة ، وأكثر من جمع العربان معه للسير الى القاهرة ، فقدم المعز لدين الله أبو تميم معد من بلاد ، ونزل بالقاهرة في رمضان سنة اثنتين وستين ، فكتب الى الحسن بن أحمد كتابا عظيما ، فكتب جوابه • بعد البسملة : وصل الينا كتابك الذي كثر تفصيله ، وقل تحصيله ، ونحن سائرون على اثره ، والسلام •

فلما كان شهر ربيع الاخر سنة ثلاث وستين ، كثر انتشار القرامطة في أعمال[1] الشام ، وكثر الإرجاف بهم في القاهرة ومصر ، وبلغت مقدمتهم أرياف مصر ،وأطراف المحلة لعشر بقين من جمادى الآخرة ، ووصلت منهم سرية الى أطراف الحوف أول يوم من رجب ، وبعث الحسن بن أحمد ، عبد الله بن عبيد الله أخا الشريف مسلم الى الصعيد ، فنزل في نواحي أسيوط وأخميم ، وجبى الاموال ، وحارب أصحاب المعز، ونزل الحسن بلبيس ، فتأهب المعز لقتاله ، وندب ابنه ولي العهد الامير عبد الله بالعساكر ، وقد انتشر القرامطة في نواحي أسفل الارض ، يجبون الاموال ، وخرج ريان الصقلبي في أربعة آلاف الى المحلة ، فقتل وأسر كثيرا من القرامطة ، فاشتعلت أرض مصر أعلاها وأسفلها بنار الحرب من القرامطة ، ونزل الامير عبد الله بركة الحاج ، في سلخ رجب، وقد نزل النعمان بن أحمد ، أخو الحسن بن أحمد تجاهه • ونزل الحسن بسطح البركة ووقع القتال بين الفريقين واشتد ، فولى حسان بن علي ابن الجراح الطائي منهزما عن الحسن بمن معه، وكانوا جمعا كبيرا فلم يثبت الحسن، ومضى على وجهه ونهب سواده ، وأخذت قبته ، وأسر من عساكره خلق كثير ، فنزل أذرعات ، وتوجه منها الى الاحساء وقد تمزقت عساكره ، فبلغ ذلك عضد الدولة فناخسره بن ركن الدولة علي بن بويه ، فطمع أن يظفر ببقية القرامطة في الاحساء ، وبها يومئذ أبو يعقوب عم الحسن بن أحمد ، فبعث اليه عسكرا كثيفا ، ففر عن الاحساء ، فاحتوى العسكر على الاحساء وما فيها ، ووافى الحسن بن أحمد فيمن بقي معه فانضم اليه عمه ، وبقية أصحابه ، وحارب العسكر ، وكانت بينهم وقعة عظيمة قتل فيها رجال العسكر ، وأخذت أموالهم ، فقويت نفس الحسن بن أحمد ، وعادت دولته ، وكتب يستدعي العرب فأجابوه ، ثم بعث رسوله الى المعز يطلب

(١) في الاصل : واعماد ، وهو تصحيف .

موادعته ويوصيه بكاتبه أبي المنجا ، وقد قبض عليه وحمل الى القاهرة ليسجن بها ، فأفرج[1] عنه في خامس محرم سنة أربع وستين .

فلما قدم ألبتكين الشرابي الى دمشق وملكها ، وسار القائد جوهر من القاهرة الى دمشق وحصر البتكين ، وبعث الى الحسن بن أحمد يستدعيه، فسار من الاحساء يريد دمشق ، فسار جوهر بعد مصالحة ألبتكين الى طبرية ، وقد قرب منه الحسن بن أحمد ، فأسرع في الرحيل ، وخرج الحسن من البريـة يريد طبرية ، ففاته جوهر ، فبعث سرية تلحقه ، فواقعهم أصحاب جوهر ، وجلوا الى الرملة . فلما [٣٤٧ ـ ظ] بلغ ذلك الحسن سار من طبرية وسار ألبتكين في اثره ، حتى نزلا الرملة ، فمات الحسن بها في يوم الاربعاء لسبع بقين من شهر رجب سنة ست وستين وثلاثمائة .

فقام من بعده ابن عمه جعفر بن أبي سعيد الجنابي، وقاتل جوهرا هو وألبتكين بقية السنة ، ثم فسد ما بينه وبين ألبتكين فسار الى الاحساء ، وحمل معه الحسن حتى دفنه هناك .

وكان الحسن بن أحمد قصيرا له كرسي من خشب يصعد عليه حتى يركب ، وكان لا يركب من الخيل الا أقواها ، وقال يرد على من عيره بالقصر :

زعمـوا أنني قصـير لعمري ... ما تكـال الرجـال بالقفزان
انمـا المـرء باللسان وبالقلـ ... ـب وهـذا قلبي وهذا لساني

ووقع في[2] آخر يوم من أيام حياته توقيعا[3] بخطه لم يفهم من ضعف يده ، فاستثبت فيه ، فتنبه وقال :

رأوا خطـي نحيـلا فاستدلوا ... بـه أنـي[4] علـى جسم نحيـل
وقـد قرئت سطورهـم بحمـدي ... ولكـن ما اسحـدم والـذبول[5]

(١) في الاصل : فاخرج ، وهو تصحيف ظاهر .
(٢) في الاصل : لسي .
(٣) في الاصل : مرقعا .
(٤) في الاصل : ينبي .
(٥) في الاصل : وقد قريت اسطر بحمدي : ولكن ما اسحدم والذبول . وفي حين كان بالامكان تقويم الشطر الاول من هذا البيت لم استطع الاهتداء الى وجه او مصدر لتقويم الشطر الثاني .

فمات من يومه ومن شعر الحسن :

زعموا أنني ضئيل لعمري ... ما تكال الرجال بالقفزان
انما المرء باللسان والقلـ ... ـب وهذا قلبي وهذا لساني[1]

وقال يرثي[2] :

أعزز علي بقتله ... لشبابه وأبوته
قد كنت ذا خوف عليـ ... ـه لبطشه وجراءته
وجماله وكماله ... وحيائه ومروءته
وعطائه ووفائه ... وبهائه ورئاسته
وحبائه لعداته ... وجميل وصف سياسته
حاو خصال الخير لم ... يمتن قط ولم يته
فاق المغارب جوده ... فصلا تعالى همته
جاد الإله في عليه في ... الأخرى بسكنى جنته

والقرمطي نسبة[3] الى قرمط ، وهو حمدان بن الاشعث ، وانما سمي قرمطا، لأنه كان قصير القامة قصير الرجلين ، وكان خطوه متقاربا فقيل له من ذلك قرمط . وقيل بل هو نسبة الى مذهب يقال له القرمطة خارج من مذاهب الاسلام . وقيل لأن صاحب الجمل وصاحب الخال القائمين ببلاد الشام كانا من قيس من بني عبادة ابن عقيل من بني عامر ثم من بني قرمطي بن جعفر بن عثمان بن المهيأ بن يزيد بن عبد الله بن يزيد بن قيس بن جوثة بن طهفة بن حزن بن عبادة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان[4] .

---

(١) انظر سر الفصاحة للامير ابي‌محمد عبد الله بن‌محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي. ط القاهرة ١٩٣٢ . ص ٥٨ .

(٢) في الاصل : يرثي وهو تصحيف .

(٣) في الاصل : نسبك ، وهو تصحيف ظاهر .

(٤) واضح ان المقريزي ينقل هنا من كتاب بغية الطلب لابن العديم ، دون الاشارة اليه ، ذلك انه نادرا ما يشير الى مصادره ، وثبت لدي أن المقريزي قد تملك بعض مجلدات بغية الطلب ، واعتمده في مشروع كتابه المقفى .

ولما نزل الحسن بن أحمد الى الرملة أحضر اليه الفراشون في بعض الليالي الشموع ، فقال لأبي نصر بن كشاجم ــ وكان كاتبه ــ : يا أبا نصر ما يحضرك في صفة هذه الشموع ، فقال : انما نحن في مجلس السيد ، لنسمع من كلامه ، ونستفيد من أدبه ، فقال الحسن بن أحمد في الحال بديها :

ومجدولة مثل صدر القناة تعرت وباطنها مكتسي
لها مقلة هي روح لها وتاج على هيئة البرنس
اذا غازلتها الصبا حركت لسانا من الذهب الأملس
وان رنقت لنعاس عرا رقطت من الرأس لم تنعس
وننتج في وقت تلقيحها ضياء يجلي دجى الحندس
فنحن من[1] النور في أسعد وتلك من النار في أنحس

فقام أبو نصر ، وقبل الارض وسأله أن يأذن له في اجازة الابيات فأذن له فقال:

وليلتنا هذه ليلة تشاكل أشكال اقليدس [٣٤٨ و]
فيا ربة العود حثي الغنا ويا حامل الكاس لا تحبس

فتقدم بأن يخلع عليه ، وحمل اليه صلة سنية والى كل واحد من الحاضرين •
وكتب الحسن بن أحمد الى جعفر بن فلاح :

الكتب معذرة والرسل مخبرة والحق متبع والخير موجود
والحرب ساكنة والخيل صافنة والسلم مبتذل والظل ممدود
فان أبنتم فمقبول إنابتكم وان أبيتم فهذا الكور مشدود
على ظهور المطايا أو يردن بنا دمشق والباب مهدوم ومردود
اني امرؤ ليس من شأني ولا أربي طبل يرن ولا ناي ولا عود
ولا اعتكاف على خمر ومجمرة وذات دل لها دل وتفنيد
ولا أبيت بطين البطن من شبع ولي رفيق خميص البطن مجهود
ولا تسامت بي الدنيا الى طمع يوما ولا غرني فيها المواعيد

---

(١) في الاصل : « في » وهو تصحيف .

ومن مختار شعره :

ولــه مقلــة صحت ولكن جفونها ... بهــا مرض يسبي القلوب ويتلف
وخــد كورد الروض يجنى بأعــين ... وقــد عــز حتى انــه ليس يقطف
وعطفــه صدغ لــو يعلــم عطفها ... لكــان على عشاقــه يتعطف

وقولــه :

يا ساكن البلــد المنيف تعززا ... بقلاعــه وحصونــه وكهوفــه
لا عــز إلا للعزيــز بنفســه ... وبخيلــه وبرجلــه وسيوفــه
وبقبــة بيضــاء قــد ضربت علــى ... شرف الخيــام لجــاره وحليفــه
قرم اذا اشتد الوغى أردى العدى ... وشفى النفوس بضربــه ووقوفــه

وقولــه :

لــم يرض بالشرف التليــد لنفسه ... حتــى أشاد تليــده بطريف
انــي وقومي في أحساب قومهــم ... كمسجد الخيف في بحبوحة الخيف
ما علق السيف منــا بابن عاشــرة ... الا وهمته أمضى من السيف

وكان الحسن بن أحمد يعشق أبا الدواد المفرج بن دغفل بن الجراح فدخل عليه يوما وفي وجهه أثر ، فسأله عنه فقال : قبلتني الحمى . فأنشد :

قبلتــه الحمى ولي أتمنى ... قبلــة منــه من زمان طويــل
حاجــة طالمــا ترددت فيــها ... قضيت للغريب قبــل الخليــل

وفيــه يقول :

هــل لنــا فرجــة إليــك ... أيــا ابن[1] مفــرج
لامــني فيــك[2] معشــر ... هــم الــى اللوم أحــوج
كيف لــم يسبهم[3] ... عذارك [وهو][4] المدرج

---

(١) في الاصل : يا بن ، وهو تصحيف .
(٢) في الاصل : منك ، وهو تصحيف .
(٣) في الاصل : سهم ، وهو تصحيف .
(٤) اضيف ما بين الحاصرتين لتقويم الوزن .

وفي شعر علتـــه :

ولو أني ملكت زمــام أمري   لمــا قصرت عن طلب النجــاح
ولكني ملكت فصار حالــي   كحــال البدن في يــوم الاضاحــي
يقــدن الى الــردى فيمتن كرهــا   ولــو يستطعن طرن مــع الريــاح



طفـج ـ ومعناه عبد الرحمن ـ بن جف*

ابن بلتكين بن قوران بن قوردي بن خاقان ، صاحب سرير الذهب ، الامـير أبو محمد الفرغاني ، كان أحد قواد الطولونية ، وولي لخمارويه بن أحمد بن طولون دمشق .

وفي امارته ظهر ببلاد الشام رجل زعم أنه علوي ، وأنه المهدي بالله عبد الله بن أحمد بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ، وكثير من الناس ينكر هذا النسب ويقول انه ليس بعلوي ، وانه الحسن بن زكرويه بن مهرويه أحد دعاة قرمط ، وكان زكرويه من أهل سواد الكوفة وهو الذي قتل عبدان داعية قرمط ، فلما طلبه الدعاة ليقتلوه بعبدان استتر وتنقل في القرى بالسواد مدة سنة ست وسنة سبع وثمانين ومائتين .

ثم بعث ابنه الحسين في سنة ثمان وثمانين ومائتين الى الشام ومعه أبو الحسين الحسن بن أحمد من القرامطة ، فنزل في بني كلب ، وانتسب الى محمد بن اسماعيل ابن جعفر وادعى أنه الامام ، فاستجاب له فخذ من بني العُلَيص وطائفة من بني الاصبع من كلب ، وبايعوه ، فبعث اليه زكرويه رجلا تلقب بالمدثر ، وتسمى بعبد الله ، وتأول أنه المذكور في القرآن بقوله تعالى : « يا أيها المدثر قم فأنذر » ، ويقال ان هذا الرجل ابن أخت عيسى بن مهرويه ، وضم معه أيضا غلاما من بني مهرويه تلقب بالمطوق ، فكان سيافا ، وكتب معه الى ابنه الحسين بن زكرويه يعرفه أنه ابن الحجة ، ويأمره بالسمع والطاعة له ، فتلقاه الحسن بن زكرويه وسر به ، وجمع له الجمع ، وقال : هذا صاحب الامامة فامتثلوا أمره وقالوا له : مرنا بما أحببت ، فقال استعدوا للحرب فقد أظلكم النصر ففعلوا ، وخرج اليهم سبك مولى المتضد في سنة تسع وثمانين ؛ فقاتلوه وقتلوه بالرصافة غربي الفرات ، وأخذوا الرصافة ونهبوها وتوجهوا

---

* من مجلدة باريس من المقفى .

نحو الشام ينهبون القرى ، فتهاون طغج بهم حتى قدموا أطراف دمشق فخرج اليهم بغير أهبة ولا عدة لاستخفافه بشأنهم ، فلقيوه وهزموه أقبح هزيمة ، وقتلوا كثيرا من رجاله ونزلوا على دمشق، فبعث الى مصر يطلب النجدة، فخرج اليه بدر الحمامي وفائق في جيش كبير ، وسار الى دمشق فخرج اليهم طغج بعدما أقام محصورا من القرامطة سبعة أشهر ، وفني أكثر الناس ، وخرب البلد ، وكان المطوق يحضر الحرب على ناقة ويقول لأصحابه لا تسيروا من مصافكم حتى تنبعث بين أيديكم ، فاذا سارت فاحملوا فانه لا ترد لكم راية ، اذ كانت مأمورة ، فسمي صاحب الناقة ، فلما وصلت جيوش مصر اجتمعوا مع طغج على محاربة صاحب الناقة ، وقاتلوه خارج دمشق فقتل بسهم ، ويقال محرقة ، فجالد أصحابه عسكر بدر وطغج حتى انحازوا عنهم ، وساروا عن دمشق فبايعوا الحسن بن زكرويه ، ويقال بل اسمه أحمد بن عبد الله ويقال عبد الله بن أحمد بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق فيما يزعم ، ويعرف بصاحب الخال من أجل خال كان في وجهه ، فسار بهم حتى افتتح عدة من مدائن الشام ، وظهر على جند حمص وقتل خلقا من قواد المصريين وأجنادهم وتسمى بأمير المؤمنين ، وزعم أنه المهدي ، وخطب له على المنابر ، وسار نحو الرقة في سنة تسعين ومائتين وقتل عاملها ، ثم عاد الى دمشق ، وجعل ينهب ما مر به من القرى ، ويسبي ويحرق ، فلما قارب دمشق أخرج اليه طغج جيشا كثيفا فهزمه القرمطي ، وقتل أكثر من خرج اليه .

فبلغ ذلك أمير المؤمنين المكتفي بالله ، فندب أبا الأغر السلمي وضم اليه عشرة آلاف من الجند والموالي والاعراب ، وخلع عليه لثلاث عشرة بقيت من شهر ربيع الآخر سنة تسعين ومائتين ، فسار حتى نزل حلب فوافاهم جيش القرمطي فهزموهم ، وأتوا على عامتهم ، فلم يسلم منهم الا القليل ، ولحق أبو الأغر بحلب ومعه من أصحابه نحو الالف ، فتحصن بها ، فنازله القرامطة ثم رحلوا عنه ولم يظفروا به ، وساروا وقد عظم جمعهم الى حمص ، فخطب له بها وبحماة والمعرة وبعلبك وسلمية بعدما أثخن في القتل ، وأسرف في النهب والسبي والتحريق بعامة البلاد .

فضعف أمر طغج وقلت رجاله وتتابعت الكتب الى بغداد بأن دمشق قد أشفت على الاخذ ، وأشرف أهلها على الهلاك ، فكثر الضجيج ببغداد ومصر ، فأخرج

المكتفي المضارب ورحل من بغداد لاثنتي عشرة خلت من شهر رمضان سنة تسعين ومائتين ، وسار حتى نزل الرقة ، فانبثت جيوشه بين حلب وحمص .

وقلد محمد بن سليمان كاتب لؤلؤ الطولوني حرب الحسن بن زكرويه ، وهو يومئذ صاحب ديوان العطاء وعارض الجيش بمدينة السلام ، واختار له جيشا كثيفا، فنفذ نحوه بمن معه، وسار اليهم ولقيهم في سادس المحرم سنة احدى وتسعين ومائتين بالقرب من حماه ، فقتل عامتهم ، وانهزم الحسن بن زكرويه فقبض عليه كما ذكر في ترجمة محمد بن سليمان الكاتب .

ثم سار محمد بن سليمان الى العراق ، وأقام لؤلؤ بدمشق ومعه فائق، فكتبا الى محمد بن سليمان يحثاه على الشام ومصر ، ويعداه القيام معه ، فسار من بغداد في رجب منها حتى أخذ دمشق ، ومضى منها الى مصر ومعه طغج ، فبعثه واليا على قنسرين وضم اليه جمعا من جند بني طولون ، ثم صرف طغج عن قنسرين ومضى الى العراق ، فأقام بها حتى مات سنة عشر وثلاثمائة .

وترك من الاولاد : أبا بكر محمد بن طغج الاخشيد ، وولي مصر وغيرها ، وترك أبا القاسم علي بن طغج ، وأبا المظفر الحسين بن طغج ، وأبا الحسن عبيد الله ابن طغج ، وولي الشام ، وحمل الى المغرب مأسورا .



عبد الله بن علي بن المنجا ابو المنجا القرمطي*

قدم مع الحسن بن أحمد الاعصم القرمطي من الاحساء الى دمشق في ذي القعدة سنة ستين وثلاثمائة ، وتركه على حصار سعادة بن حيان بيافا ومعه ظالم بن مرهوب العقيلي ، وسار الى مصر ، فقابله جوهر القائد وهزمه ، فرحل أبو المنجا وظالم عن يافا ، ونزلا على دمشق ، فاختلف أبو المنجا مع ظالم بسبب أخذ الخراج ، وأراد كل منهما أخذه لينفقه في رجاله ، فقدم الحسن بن أحمد بعد هزيمته من ظاهر القاهرة الى بلده ، ونزل على الرملة ، فلقيه أبو المنجا وعرفه ما جرى بينه وبين ظالم من الاختلاف ، وكان أبو المنجا أثيرا عند الحسن بن أحمد القرمطي ، يولج اليه أموره ويستخلفه على تدبيره ، فقبض على ظالم وحبسه ، فلما انهزم الحسن بن المعز نزل أذرعات ، وأنفذ أبا المنجا في طائفة من الجند الى دمشق ، وكان ابنه واليا عليها ، فوصل دمشق ، واستولى عليها ، وكان ظالم قد تفلت ونزل بعلبك .

فلما رجع الحسن بن أحمد الى الاحساء اتفق ظالم مع أبي محمود إبراهيم بن جعفر بن فلاح على قتال أبي المنجا ، وسار ظالم من بعلبك حتى وافى عقبة دمر ، فخرج اليه أبو المنجا في ألفين من الجند ، فتركه كثير منهم ، ولحقوا بظالم ، فطرق ظالم أبا المنجا بالميدان ، وقبض عليه وعلى ولده بعد أن وقعت فيه ضربة ، وصار جميع من معه الى ظالم ، وملك دمشق في يوم السبت العاشر من شهر رمضان سنة ثلاث وستين ، وسجنه وابنه في عدة من أصحابه ، وأخذ أموالهم .

فنزل أبو محمود على دمشق يوم الثلاثاء ثاني عشر منه ، فسلم اليه ظالم أبا المنجا وابنه ، ومحمد بن أحمد بن سهل النابلسي ، فعمل لكل منهم قفصا من خشب ، وحملهم الى المعز لدين الله ، فقدموا القاهرة لأربع خلون من ذي القعدة ، فطيف بهم على الابل بالبرانس والقيود في نيف وعشرين رجلا من القرامطة خلفهم على الابل ، ثم سجن الجماعة وقتل ابن النابلسي ، فلم يزل أبو المنجا في الاعتقال الى أن أطلق لخمس بقين من المحرم سنة أربع وستين ، هو وابنه ، وخلع عليه وحمل ، وأطلق معه بضعة عشر من القرامطة .

---

* من مجلدة باريس من المقفى .

محمد بن احمد بن سهل بن نصر ابو بكر الرملي المعروف بابن النابلسي*

كان بمصر أيام كافور الاخشيدي ، فلما قدم جوهر خرج منها الى الرملة خوفاً على نفسه لما بدا منه في حق الشيعة من الانكار لمذهبهم .

قال ابن الطحان : حدثونا عنه ، حدث عن أبي جعفر محمد بن شيبان الرملي ، وسعيد بن هاشم بن مَرْثد الطبراني ، وعمر بن محمد بن سليمان العطار ، وعثمان ابن محمد بن علي بن جعفر ، وأبي سعيد بن الاعرابي .

روى عنه تمام الرازي ، وعبد الرحمن الميداني ، وقال : الرجل الصالح الثقة الصدوق ، وأبو الحسن الدارقطني .

وقال أبو ذر الهروي : أبو بكر النابلسي سجنه بنو عبيد وصلبوه على السنة، وسمعت الدار قطني يذكيه ويبكي ويقول : كان يقول وهو يسلخ : كان ذلك في الكتاب مسطورا .

وقال أبو محمد الاكفاني : وفيها ــ يعني سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ــ توفي العبد الصالح الزاهد أبو بكر محمد بن أحمد المعروف بابن النابلسي ، وكان يرى قتال المغاربة وبغضهم واجبا ، وكان قد هرب من الرملة الى دمشق فقبض عليه الوالي بها أبو محمد الكتامي صاحب العزيز بدمشق،وأخذه وحبسه في شهر رمضان، وجعله في قفص خشب ، وحمله الى مصر ، فلما حصل بمصر قيل له : أنت الذي قلت : لو أن معي عشرة أسهم لرميت تسعة في وجه المغاربة وواحدا في الروم ، فاعترف بذلك ، وقال : قد قلته ، فأمر أبو تميم ــ يعني المعز لدين الله ــ بسلخه ، فسلخ وحشي تبنا ، وصلب ، انتهى .

---

* من المقفى مجلدات ليدن ، وجمعت هذه الترجمة من بين اوراق الكتاب المبعثرة، حيث يبدو أن المقريزي كتبها في اكثر من مرحلة .

وكان من خبر أبي بكر النابلسي أن جوهر القائد لما قدم الى مصر وبنى القاهرة جهز القائد جعفر بن فلاح لأخذ الشام ، فقاتل الحسن بن عبيد الله بن طغج بالرملة وأخذه ، وعاثت عساكره فيما هنالك ، وتوجه الى دمشق ، فقابله أهلها كما ذكر في خبره .

وقدم الحسن بن أحمد القرمطي باستدعاء أهل دمشق له ، وصاروا في جملته، فمضى الى مصر ، وكان من خبره ما ذكر في ترجمته ، فلما انهزم مضى القائد أبو محمود ابراهيم بن جعفر بن فلاح من قبل المعز لدين الله لأخذ دمشق وبها ظالم ابن مرهوب العقيلي ، وقد غلب أبا المنجا خليفة القرمطي وأخذ منه دمشق ، وسجنه هو وابنه وعدة من أصحابه القرامطة ، وصار النابلسي الى دمشق فراراً من القائد أبي محمود عندما استولى عليها ، وقد كان النابلسي قام بالرملة عند ورود القرمطي، ودعا الى قتال المعز .

فلما نزل أبو محمود على دمشق لثمان بقين من شهر رمضان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، قبض ظالم بن مرهوب على النابلسي ، وخرج به ومعه أبو المنجا نائب القرمطي على دمشق وولده الى أبي محمود ، فجعل كل واحد منهم في قفص من خشب وحملهم الى المعز .

قال ابن زولاق في كتاب سيرة المعز لدين الله ، أبي تميم معد : ولأربع خلون من ذي القعدة ـ يعني سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ـ وصل ابن النابلسي وأبي المنجا وابنه ونيف وعشرين رجلا من القرامطة ، فطيف بهم على الابل ، بالبرانس والقيود، وكان ابن النابلسي ببرنس مقيد على جمل خلفه رجل يمسكه والناس يسبونه ويشتمونه ويجرون برجله من فوق الجمل ، واشتغلوا بسببه عن الذين كانوا معه ، فلما فرغ التطواف وردوا الى القصر عدل بأبي المنجا وابنه ومن معهما من القرامطة الى الاعتقال ، وعدل بابن النابلسي الى المنظر ليسلخ ، فلما علم بذلك رمى نفسه على حجارة ليموت ، فرد وحمل على الجمل ، فعاد ورمى نفسه فرد وشد ، وأسرع به الى المنظر فسلخ ، وحشي جلده تبنا ، ونصبت جثته وجلده على الخشب عند المنظر .

وروى الحافظ السلفي عن محمد بن علي الانطاكي قال : سمعت ابن الشعشاع المصري يقول : رأيت أبا بكر النابلسي بعد ما قتل في المنام وهو في أحسن هيئة،فقلت ما فعل الله بك ؟ فقال :

حباني مالكي بـدوام عـز وواعـدني بقـرب الانتصار
وقربنـي وأدنانـي اليـه وقـال أنعـم بعيش في جوار

وقال القراب عن المالبني : وكان ـ يعني النابلسي ـ نبيـلا جليلا ، رئيس الرملة كثير الحديث ، هرب الى دمشق ، فأخذ وسلخ وصلب بمصر .



محمد بن سليمان الكاتب

أبو علي بن المُنْفِق ، كاتب لؤلؤ غلام أحمد بن طولون* .

ولما قام صاحب الجمل بدمشق ، وهو أحمد بن الحسين بن محمد بن اسماعيل ابن جعفر الصادق ، وقيل اسمه غير ذلك ، وجمع الناس ، وحارب طغج بن جف أمير دمشق الى أن قتل ، وقام من بعد صاحب الخال ، وهو علي بن الحسين بن محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وقيل في اسمه ونسبه غير ذلك ، وبايعه القرامطة بعد قتل صاحب الجمل ، وأخذ عدة من مدائن الشام ، وتلقب بأمير المؤمنين المهدي ، وأخذ عامل الرقة ، ثم هزم أبا الأغر السلمي قائد عساكر المكتفي بالله، أبي محمد علي بن المعتضد بالله ، وأخذ حمص وأكثر من القتل ، وأسرف في النهب ، وكثر الضجيج ببغداد ، واجتمع الناس بسبب ذلك .

فأمر المكتفي بالاستعداد ، وأخرج القواد والجند ، ثم خرج وسار من بغداد لاثنتي عشرة خلت من رمضان سنة تسعين ومائتين ، حتى نزل الرقة ، وقلد محمد بن سليمان حرب القرمطي ، وهو يومئذ عارض الجيش ، وصاحب ديوان العطاء، واختار له جيشا كثيفا ضمه اليه ، فنفذ بالجيوش نحوه ، فلما دخلت سنة احدى وتسعين كتب الوزير أبو الحسن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب بن سعيد الى محمد بن سليمان الكاتب بمناهضة القرامطة ، فسار اليهم ، والتقى الجمعان يوم الثلاثاء لست خلون من المحرم على اثني عشر ميلا من حماه ، فاقتتلوا قتالا شديدا حتى حجز الليل بينهم ، وقتل عامة رجالهم .

وبات محمد بن سليمان خارج العسكر متيقظا حتى أصبح خوفا من حيلة تقع، وكان القرمطي قد تخلف في السواد ، فلما انهزم أصحابه ارتاع لذلك ، ورحل من وقته خوفا من الطلب ، ولحق به من أفلت ، فاستخلف عليهم بعض ثقاته ، وأوهمهم أنه يسير الى بغداد ليأخذوها فانها خالية من العساكر ، وأهلها قد بعثوا اليهم كتبهم

* من المقفى مجلدات ليدن .

يطلبونه ، وسار عنهم في طائفة ، وسلك البر حتى نزل بالدالية ، وهي قرية من عمل الفرات ، فقبض عليه ، وحمل الى المكتفي بالرقة ، وقدم محمد بن سليمان بالجيوش الى الرقة بعد أن تتبع القرامطة ، وقتل وأسر منهم بشرا كثيرا ، فخلفه المكتفي على العساكر وعاد في خاصته وغلمانه من الرقة الى بغداد ، وتبعه وزيره القاسم بن عبيد الله ، وحمل القرمطي ومن أسر في الوقعة أول يوم من صفر ، فدخل بغداد وشهرهم.

ثم وصل محمد بن سليمان في الجيش ، وقد تلقط بقايا القرامطة من كل وجه ، فنزل خارج بغداد ليلة الخميس ثاني عشر ربيع الأول،وأمر المكتفي القواد وأصحاب الشرط بتلقيه والدخول معه ، فدخل في زي حسن ومعه وبين يديه نيف وسبعون أسيرا ، واتته الخلع فلبسها ، وطوق بطوق من ذهب ، وسور سوارين من ذهب ، وخلع على جميع من كان معه من القواد وطوقوا وسوروا ، فلما كان يوم الاثنين لأربع بقين من ربيع الاول المذكور أمر المكتفي القواد وجميع الغلمان ، وصاحب جيشه محمد بن سليمان ، وصاحب شرطته ، أن يحضروا قتل القرامطة فقتلوا ...



العسجد المسبوك

فيمن

ولي اليمن من الملوك

الفصـــل السادس[1]

فـــي

ذكر القرامطة باليمن وذكر علي بن الفضل وبدو أمره[2]

المقالة في اصل هذه الدعوة الملعونة ومبدئها

قال علماء السير والتواريخ : كان علي بن الفضل شيعيا ، على مذهب الاثني عشرية ، فاتفق أنه حج مكة في بعض السنين ، ثم خرج يريد العراق ، قاصدا زيارة قبر الحسين بن علي ، عليهما السلام ، فلما وصل الى العراق ، وزار قبر الحسين عليه السلام ، بكى بكاء شديدا عنده وترحم عليه ، واستغفر له ، وأظهر مـــن التأسف والكآبة عليه ما أطمع ميمون القداح[3] في اصطياده ، وكان ميمون القداح يخدم

---

(1) من ص ٣٥ ــ ٤٣ من نسخة الجامع الكبير ومن ص ٣٦ ــ ٤٨ من نسخة مكتبة الحرم المكي .

(2) تحسن مقارنة رواية الخزرجي مع ما ذكره القاضي النعمان في رسالة افتتاح الدعوة ٣٢ــ٥٤، والحمادي في كشف اسرار الباطنية ٣٥٩ ــ ٣٧٩ . ويلاحظ ان هناك فوارق بين روايـــة الخزرجي من جهـــة ورواية كل من القاضي النعمـــان والحمادي من جهة ثانية، فرواية الخزرجي تمثل وجهةنظر يمانيةغير اسماعيلية، بينما رواية القاضي النعمان اسماعيلية فاطمية، ورواية الحمادي نهلت منمصادر اسماعيلية صليحية يمانية ، كما انه من الملاحظ ان القاضي النعمان مر بذكر علي ابن الفضل مرور الكرام ، على حين اولته الروايات اليمانية عظيم الاهتمام .

(3) هو الامام الاسماعيلي لوقته كما جاء في رسالة افتتاح الدعوة : ٣٣ ــ ٣٧ ، ولعله تظاهر باسم ميمون تمويها وتسترا ، مما جعل الامر يلتبس على الرواة وسواهم، علما بأن بعض المصادر الاسماعيلية تجعل ميمون وأولاده مـــن بعده حججـــا أو حجابا للأئمـــة .

الضريح ، هو وولده عبيد الله ، ولا يكاد يفارقانه ليلا ولا نهارا ، وولده عبيد الله[1] هو جد العبيديين، الذين ملكوا مصر ــ وقد تقدم ذكرهم في القسم الاول في الكتاب في الباب الرابع منه ...

فلما رأى ميمون ما ظهر من علي بن الفضل من التأسف ، والبكاء ، طمع في اصطياده ، فخلا به وحادثه ، فوجده مائلا الى مذهبهم ، مع ما تبين له فيه من النجابة والشهامة ، وكان ميمون منجما له معرفة بعلوم الفلك ، فرأى أنه سيكون له أمر عظيم ، وكان قد شهر له علمه ، أنه سيكون لابنه عبيد الله شأن عظيم ، يفضي به الى الملك،وأن عقبة يتوارثون ملكه بعده ، دهراً طويلاً،وبعد عليه وجه اتصاله بالملك .

وكان على ما حكاه بعض العلماء يهوديا ، فركبه الاسلام ، فلم ير بدا من الدخول فيه ، فتظاهر بالاسلام ، فقدم مشهد الحسين ، وادعى أنه من ولده ، والعلماء من العلويين وغيرهم ينكر نسبه الى أهل البيت ، وقد تقدم في صدر كتابنا هذا ، في القسم الاول ، من الباب الرابع منه ، ذكره مستوفى ، واختلاف القائلين فيه ، والله أعلم .

---

(1) مؤسس الدولة الفاطمية ، كان اسمه بعد إعلانه اول خليفة فاطمي عبد الله، وقد لقب بالمهدي « والمهدي عند الاسماعيلية على عكس ما لدى العباسيين ، اسمه مثل اسم ابي النبي ﷺ » ومعروف ان اسم عبيد الله هو مصغر عبد الله ، ومن المعلوم ان في التصغير تحقير ، فالسلطات العباسية لم تكتف بالطعن في نسب المهدي بل سعت الى تحقيره بتصغير اسمه ومؤكد ان اسم المهدي في المصادر الاسماعيلية ، وفي الكتابات التاريخية المعاصرة له ثم على الصنوج والنقود هو عبد الله ، وقد رايت في القيروان دينارين ذهبيين من دنانير المهدي ، ضربا فيهما الاول سنة ٣٠٢ هـ/والثاني سنة ٣٠٤ هـ/٩١٦ م ونقشهما :

الامام	عبد الله
لا إله إلا الله	محمد رسول الله
وحده لا شريك	
لــه	
المهدي بالله	امير المؤمنين

وكان قد قدم عليه رجل من ولد عقيل بن أبي طالب ، يقال له « منصور بن حسن »[1] ، وكان اثني عشري المذهب أيضا ، وفيه من العقل ، والفطنة ، والذكاء ، والدهاء ما لا مزيد عليه ، فلما قدم علي بن الفضل ، ورأى فيه [ما رأى] من النجابة، جمعهما ميمون القداح ، وباح لهما ما عنده من المذهب ، وأخبرهما أن ابنه امـام الزمان ، وأنه لا بد له من دعاة ، وذلك بعد أن أخذ عليهما العهود والمواثيق .

فأجاباه الى ما يريد ، ثم قال لهما : اعلما أن الايمان يمان ، والحكمة يمانية[2]، وكل أمر يكون مبدأه من اليمن - أو من قبل اليمن - فهو ثابت لثبوت نجمه ، وكان منصور قد عرف من ميمون اجابات كثيرة، وأجابه الى ذلك ، ووافقهما علي بن الفضل ، فعاهد بينهما ، وأوصى كل واحد منهما بصاحبه ، ثم قال المنصور : الله ، الله في صاحبك ، احفظه وأحسن اليه ، وامره بحسن السيرة ، فانه شاب ، ولا آمن عليه، وقال لعلي بن الفضل : الله ، الله في صاحبك ، وقره ، واعرف حقه ، ولا تخرج عن أمره ، فانه أعرف منك بي ، فان عصيته لم ترشد .

فسارا الى اليمن ، وكان دخولهما اليمن عقيب قتل محمد بن يعفر[3]،واختلاف آل يعفر ، فافترقا من[4] غلافقه ، فقدم منصور لاعة[5] عدن ، وبذلك أمره ميمون

---

(١) هو عند القاضي النعمان : ٣٢ : « أبو القاسم الحسن بن فرح بن حوشب بن زادان الكوفي ، وسمي بالمنصور باليمن ، لما اتيح له من النصر ، وكان اذا قيل له ذلك ، قال لهم : المنصور امام من ائمة آل محمد ﷺ » .

(٢) في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي - ط. بيروت ١٩٦٧ : ١٠/٥٥ « بينما النبي ﷺ في المدينة اذ قال : الله اكبر اذا جاء نصر الله والفتح ، وجاء أهل اليمن ، قوم نقية قلوبهم ، حسنة طاعتهم - أو كلمة نحوها - الإيمان يمان ، والفقه يمان ، والحكمة يمانية » . هذا ويمكن ادراج هذا الحديث ضمن احاديث فضائل البلدان ، وجلها موضوع .

(٣) عند القاضي النعمان في رسالة افتتاح الدعوة : ٤٤ « فدخلا اليمن اول سنة ثمان وستين ومائتين » انظر غاية الاماني في اخبار القطر اليماني - ط. القاهرة ١٩٦٨ : ١٦٤/١ - ١٦٥ . الاعلام للزركلي .

(٤) بلد على ساحل اليمن مقابل زبيد ، وهي مرسى زبيد ، بينها وبين زبيد خمسة عشر ميلا ، كانت ترفأ اليها سفن البحر القاصدة لزبيـد - معجم البلـدان - وتعرف الآن بغليفقة .

(٥) هي اليوم اطلال وخرائب ، تقع في الشمال الغربي من صنعاء على مسافة ثلاثـة ايام منها . انظر تاريخ اليمن لعمارة بن علي - ط ثالثة ١٩٧٨ : ٦١ - ٦٢ .

القداح ، وقصد علي بن الفضل شرف يافع[1]، وأقام كل واحد منهما في ناحيته التي هو فيها ، يظهر الزهد ، والتقشف والورع ، والصلاح ، حتى صار كل واحد منهما مسموع القول في ناحيته لما ظهر من ظاهر أمره ، ثم أمر كل واحد منهما من حوله من أهل ناحيته بجمع زكواتهم ، فاجتمع من ذلك لكل واحد منهما مال عظيم ، فقال منصور بن حسن لمن حوله : أريد موضعا يكون بيت مال المسلمين ، فسارعوا الى قوله ، وبنوا له موضعا يسمى عثر محرم ، وهو حصن كان لقوم يقال لهم بنو العرجاء[2] ، تحت مسور[3] ، فلما حصنه ، نقل ما كان عنده من دراهم وطعام ، وجمع من رجال الحرب نحوا من خمسمائة رجل ، فعاهدهم على القيام بدعوة الامام المهدي ، الذي بشر به النبي ﷺ ، وانتقلوا اليه بأموالهم وأولادهم ، واستوطنوا الحصن .

وأنكر الناس ذلك، فقال لهم: انما تحصنت من السلطان، فلم يقبلوا قوله وقاتلوه ، فهزمهم هزيمة شديدة فعظم شأنه ، وشاع ذكره ، وعمل لنفسه طبولا ورايات ، وأظهر مذهبه ودعا الى المهدي وقال : ما أخذت هذا بحالي ولا برجالي ، وانما أنا داعي المهدي ، فانهمك اليه عامة الناس ، فدخلوا في مذهبه .

ثم سمت همته الى ارتكاب جبل مسور ، فأعد له الرجال والعدد ، ثم عامل عشرين رجلاً في المرتبين في حصن مسور[4] ، فجمع جموعه ، وطلع الجبل في وقت

---

(1) الشرف هو ما يشرف منه على غيره . انظر صفة الجزيرة : ١١٣ ــ ١١٤ . تاريخ اليمن لعمارة بن علي : ٦٣ .

(2) كان عند الحمادي : ٣٦٣ « عبر محرم ، وهو جبل تحت مسور ، وهو موضع بني العرجاء قوم من سلاطين المغرب وهمدان » غاية الاماني : ١/٢٢٠ « عين ولم أجد اي منهما في المصادر ، فذهبت الى انه تصحيف لعل صوابه ما اثبت . انظر صفة الجزيرة : ٢٤٨ . معجم البلدان ــ مادة عثر ــ تاريخ المستبصر لابن المجاور : ١٨٤ . سيرة الهادي الى الحق : ٣٩٤ ــ ٣٩٨ .

(3) انظر صفة الجزيرة . ط. بيروت : ٢٤٩ ــ معجم البلدان . تاريخ اليمن لعمارة ابن علي ٢٣٤ ــ ٢٣٥ .

(4) كان اسم حصن جبل مسور « قايز » وهو من امنع حصون اليمن ، كشف اسرار الباطنية ٣٦٣ . وقد ورد اسمه عند الهمداني في الاكليل ٨٢/٢ . صفة الجزيرة ٢٦٧ « فائس » بالسين المهملة، ولا فرق فمخرج السين والزاي فيه تقارب كبير .

معلوم ، ففتح له أولئك العشرون ، وقال : « ادخلوها بسلام آمنين » ، وكان طلوعه في ثلاثة آلاف رجل ، وكانت طبوله ثلاثين طبلا ، اذا ضربت سمعت من المواضع البعيدة ، وآمن مستحفظ الحصن ، ومن معه وكان معه مال عظيم للحواليين[1] ، فلم يعرض له ، وعمر بيت ريب[2] ، وجعله دار الامارة ، وحصنه وحصن سائر الجبل ودربه من كل ناحية ، وجعل له بابين ، ولم تزل عساكره تغير على القبائل التي حوله، حتى أبادهم،وأخذ أموالهم،وملك جميع تلك المخاليف،وسار الى بلد بني شاور،فافتتحها ثم خرج الى ناحية شبام[3] ، فحارب الحواليين ، فكسروه وقتلوا طائفة من عسكره، ثم عامل رجلا من مواليهم ، كان مستحفظا على حصن الضلع ، وسار نحو الحواليين فهزمهم ، وغنم جميع ما كان لهم بشبام ، فنقله الى مسور ثم خالف عليه ذلك المولى الذي عامله على الحصن ، وندم على ما فعل واستدعى العساكر من صنعاء ، فكبسوه الى شبام ، فخرج منهزما الى مسور ، وترك كل ما كان له هنالك ، وكتب الى ميمون القداح ، وولده عبيد الله ، يخبرهما بالفتح الذي فتح الله عليه من البلاد ، وبعث هدايا من طرف اليمن ، وذلك في سنة تسعين ومائتين ، والله أعلم .

وأما علي بن الفضل ، فهو رجل من أهل اليمن ، خنفري النسب ، من ولد خنفر بن سبأ بن صيفي بن زرعة بن سبأ الاصغر ، وكان ساقطا في أول عمره ، مغمورا لا شهرة له[4] ، الا أنه كان أديباً ذكياً شجاعاً ، جريئا لسنا فصيحا ، ورحل من اليمن الى الكوفة كما ذكرنا ، وتعلم مذهب الاسماعيلية ، ورجع الى اليمن داعية ، هو ومنصور بن حسن ، فافترقا من غلافقة ، فطلع علي بن الفضل الى الجند[5]، ثم خرج

---

(١) اي آل يعفر انظر غاية الاماني ١/١٦٤ ــ ١٦٥ .

(٢) انظر وصفه في صفة الجزيرة ٣٤٥ ، معجم البلدان .

(٣) اي شبام حمير . انظر كشف أسرار الباطنية ٣٦٤ . تاريخ اليمن لعمارة بن علي ٦٥ . حيث وصفه بقوله : منيع جدا وفيه قرى ومزارع وجامع كبير ، وهو عمل مستقل بنفسه . انظر أيضا تاريخ المستبصر لابن المجاور ١٨٤ .

(٤) وصفه القاضي النعمان ــ رسالة افتتاح الدعوة ٣٨ ــ ٣٩ : « شاب جميل من اهل بيت تشيع ونعمة ويسار » . هذا وهناك خلاف حول أصله ونسبه ، انظر الحمادي ٣٥٩ ، مع رسالة افتتاح الدعوة،وتاريخ اليمن لعمارة بن علي ٥٨ــ٦٥.

(٥) كانت احدى مدن اليمن الكبرى ، وفيها اسس الصحابي معاذ بن جبل اول مسجد اسلامي في اليمن . انظر صفة الجزيرة ١٤٤ . تاريخ ابن المجاور ١٦١ . تاريخ اليمن لعمارة ٥٠ .

منها الى أبين ، ثم خرج الى يافع ، فوجدهم رعاعا ، فجعل يتعبد في بطون الأودية ، ويأتونه بالطعام ، فلا يأكل منه شيئا ، وان أكل منه أكل شيئا يسيرا ، وكان قد أقام في رأس جبل متخلياً بزعمه للعبادة ، وكان يريهم أنه يصوم النهار ، ويقوم الليل فأحبوه وافتتنوا به ، وجعلوا أمرهم بيده ، وسألوه أن ينزل من ذلك الجبل ويمكن معهم ، فقال : لا أفعل ذلك ، الا أن تأتمروا بالمعروف ، وتنتهوا عن المنكر ، وتتوبوا الى الله من سائر المعاصي ، وتقبلوا على طاعة الله ، فأجابوه الى ذلك ، فأخذ عليهم العهود والمواثيق ، بالسمع والطاعة له ثم أمرهم بعمارة حصن في ناحية الشرف ، ففعلوا فأنهبهم أطراف البلاد ، وأراهم أن ذلك جهاد في سبيل الله للعاصين ، حتى يدخلوا في دين الله طوعا وكرها،وكان يومئذ فيلحج وأبين رجل يعرف بابن أبي العلاء، من الاصابح ، مالكا لهما ، فقصده ابن الفضل بمن سمعه من يافع وغيرهم ، فهزمه ابن أبي العلاء ، وقتل من أصحابه خلقاً كثيراً ، وانهزم علي بن الفضل الى صهيب[1]، واجتمع أصحابه المنهزمون جميعا ، فقال لهم : انني أرى رأيا صائبا ، فقالوا : وماهو؟ قال : اعلموا أن القوم قد أمنوا منا ، وأرى أن نهجم عليهم . فانا نظفر بهم ، فوافقوه الى ما يريد ، فلم يشعر ابن أبي العلاء الا وهو معه بخنفر على حين غفلة ، وافتراق من أصحابه ، فقتل ابن أبي العلاء ، وطائفة كثيرة من أصحابه واستباح ما كان لهم ، ووجد في الخزانة التي لابن أبي العلاء ، سبعين بدرة ، والبدرة عشرة آلاف درهم ، الجملة سبعمائة ألف درهم ، وعاد الى بلد يافع ، فعظم شأنه ، وشاع ذكره[2] .

ثم قصد المذيخرة[3] في سنة احدى وتسعين ومائتين ، وبها جعفر بن محمد المناخي ، وهو الذي ينسب اليه مخلاف جعفر ، وكان قد كتب اليه : بلغني ما أنت عليه من ظلم المسلمين ، وأخذ أموالهم ، وانما قمت لاقامة الحق ، واماتة الباطل ، فادفع لأهل دلال[4] دية ما قطعت من أموالهم ، وكان جعفر قد قطع منهم على حجر في المذيخرة ثلاثمائة يد ، ولم يزل أثر الدم على تلك الحجر زمانا طويلا .

---

(١) انظر صفة الجزيرة ٧٩ .
(٢) انظر الحمادي ٣٦٤ ــ ٣٦٥ .
(٣) انظر صفة الجزيرة ١٠٢ ــ ١٠٣ . الحمادي ٢٩ . تاريخ اليمن لعمارة ٦٤ . تاريخ المستبصر لابن المجاور ١٨٣ ــ ١٨٤ .
(٤) انظر صفة الجزيرة ١٣٣ . الحمادي ٣٦٥ .

ثم ان علي بن الفضل جمع جموعه ، وسار نحو المعافر[1] ، وهي ما بين ذبحان وجبأ[2] ، وجمع المناخي جموعه ، وسار نحوه ، فلزم هو وأصحابه نقيل البودان[3]، وقاتلوه هنالك ، فانهزم علي بن الفضل وأصحابه : وعادوا الى بلد يافع ، وكانت الوقعة يوم الخميس لثمان خلون من شهر رمضان من السنة المذكورة ، ثم قصدوا بجموعهم مرة أخرى المذيخرة يوم الاربعاء ، لأربع عشرة ليلة خلت من صفر سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، فأخذها وأخذ حصن التَعْكَر ، وانهزم جعفر بن ابراهيم المناخي الى تهامة ، فيقال انه بلغ لقريب من وادي زبيد ، فأمده صاحب زبيد بجيش كثيف .

فخرج جعفر بن ابراهيم يريد المذيخرة ، فلقيه علي بن الفضل في جموعه ، فكان بينهما وقعة مشهورة بوادي نخلة ، وفيها قتل جعفر بن إبراهيم بأكمة جوالة[4] ، هو وابن عمه أبو الفتوح ، وكانت الوقعة يوم الجمعة آخر جمعة من رجب من السنة المذكورة ، ودخلت رؤوسهم المذيخرة ، يوم السبت أول يوم من شعبان ، فقويت شوكة القرامطة ، واستولى علي بن الفضل على بلاد المناخي ، وجعلها مستقر ملكه ، وكانت دولة جعفر بن ابراهيم المناخي من سنة تسع وأربعين الى سنة اثنتين وتسعين ، ثلاث وأربعون سنة[5] .

ثم سار علي بن الفضل الى بلد يحصب[6] فدخل منكث[7] فأخربها فلما صار بذمار وجد جيشا عظيماً بهران[8] من أصحاب الحوالي ، فكتب الى والي هران يستميله ، فأجابه ، ودخل في ملته ، ثم قصد صنعاء ، فهرب منه أسعد بن أبي يعفر ، فلما صار علي بن الفضل في صنعاء ، أظهر مذهبه الخبيث ، ودينه المشؤوم، وارتكبت

---

(1) انظر صفة الجزيرة ٢٠٧ . تاريخ اليمن لعمارة بن علي ٥٠ .
(2) انظر صفة الجزيرة ٢٠٧ – ٢١٠ .
(3) انظر صفة الجزيرة ١٠٢ – ١٠٤ ، ١١٩ .
(4) انظر صفة الجزيرة ١٣١ حيث أورد الهمداني ان جوالة من حصون المنطقة .
(5) انظر الحمادي ٣٦٦ – ٣٦٧ .
(6) انظر معجم البلدان – مادة يحصب .
(7) انظر صفة الجزيرة ٧٩ . معجم البلدان .
(8) من حصون ذمار : صفة الجزيرة ١٤٩ . معجم البلدان .

محظورات الشرع ، وادعى النبوة ، وكان المؤذن يؤذن في مجلسه : أشهد أن علي بن الفضل رسول الله ، وأباح لأصحابه شرب الخمر ، ونكاح البنات والأخوات ، وسائر المحرمات ، وأنشد :

خذي الدف يا هذي والعبي وغني هزاريك ثم اطربي
تولى نبي بني هاشم وهذا نبي بني يعرب
لكل نبي مضى شرعه وهاتا شريعة هذا النبي
فقد حط عنا فروض الصلاة وحط الصيام ولم يتعب
اذا الناس صلوا فلا تنهضي وان صوموا فكلي واشربي[1]
ولا تمنعني نفسك المعرسين من الأقربين أو الأجنبي
فلم ذا حللت لهذا الغريب وصرت محرمة للأب
أليس الغراس لمن ربه وسقاه في الزمن المجدب
وما الخمر الا كماء السما حلال فقدست من مذهب[2]

★ ★ ★

وصلي الهي على أحمد وأخزي الفويسق من يعرب
وحرم عليه جنان النعيم فقد باح بالكفر لم يرقب[3]

ولما علم المنصور بن الحسن ، بدخول علي بن الفضل صنعاء ، سره ذلك ، وتجهز بالمسير اليه ، والتقيا ، أقاما أياما ، وابن الفضل يوجه منصورا ، ويقول : انما أنا سيف من سيوفك ، وكان منصور بن حسن يهاب علي بن الفضل ، ويخافه لما يرى من شهامته وصرامته .

---

(١) زاد الحمادي بعد هذا البيت ، البيت التالي :

ولا تطلبي السعي عند الصفا ولا زورة القبر في يثرب

(٢) انظر الحمادي ٣٦٩ . وما صنعه علي بن الفضل يمكن اعتباره اعلان للقيامة ، وهو أمر عرفته العقيدة الاسماعيلية، انظر الدعوة الاسماعيلية الجديدة ٨٧ــ٨٨.

(٣) لا ندري ناظم هذين البيتين اهو الخزرجي ام احد النساخ ؟

ثم عزم علي بن الفضل على نزول تهامة ، فنهاه صاحبه منصور ، وقال له : الصواب أن تتأنى وتقف بصنعاء ، وأنا بشبام سنة حتى نصلح جميع ما استفتحناه ، فلم يقبل منه ، فجمع ثلاثين ألفاً ما بين فارس وراجل ، وسار على الطريق اللجب[1]، فلما توسط مضائق البلاد ، ثاروا عليه ، ولزموا الطريق ، فلم يقدر على التخلص ، فلما علم منصور بن حسن ، جمع جموعه ، وسار نحوه ، فاستنفذه وعاد الى صنعاء ، ورتب بها ، وسار الي حراز[2] ، وملحان[3] ، ونزل المهجم[4]فقتل صاحبها ، ثم سار الى الكدراء ، فأخذها ، وسار الى زبيد ، فهرب صاحبها اسحق بن ابراهيم بن محمد ابن زياد ، فهجم على من فيها ، فقتلهم واستباحهم ، وسبى من زبيد أربعة آلاف عذراء ثم خرج منها ، فلما صار في موضع يسمى المشاحيط ، جمع جنده ، وقال : ان هؤلاء النسوان يشغلنكم عن الجهاد ، ونساء الحصيب فتنة، فاذبحوا مافي أيديكم منهن ، وتجردوا للجهاد ، فذبحوا أربعة آلاف عذراء في ساعة واحدة، فسمي الموضع المشاحيط[5] ، ثم رجع الى المذيخرة ، وقد جعلها دار مملكته ، وأمر بقطع الحج .

ثم ان أهل صنعاء استدعوا الامام الهادي[6] ، وكان مقيما بصعدة فسار اليهم ووجه ابنه أبا القاسم، المرتضى محمد بن الامام الهادي الى ذمار ومخاليفها ،فاستعمل العمال ، ثم تعاظم أمر القرامطة ، وقصدوا أبا القاسم المرتضى الى ذمار ، فخرج من ذمار الى أبيه ، وكان بصنعاء وذلك في سنة أربع وتسعين ومائتين .

ثم ان موالي بني يعفر : الحسن بن كيالة ، وابن جراح جمعوا جموعهم لحرب الامام الهادي ، فندب أهل صنعاء لحربهم ، فتخاذلوا عنه ، فخرج من صنعاء الى صعدة ، فدخل أسعد بن يعفر صنعاء ، فملكها[7] .

---

(1) اللحب الطريق الواضح ــ القاموس .
(2) مخلاف قرب زبيد ــ معجم البلدان .
(3) انظر صفة الجزيرة ١٤٤ ــ ١٤٥ ــ معجم البلدان .
(4) انظر صفة الجزيرة ٢٥٨ ــ ٢٠٩ ــ معجم البلدان .
(5) انظر الحمادي ٢٧٠ـ٢٧١ حيث ذكر بأن المكان كان اسمه قبل المذبحة : الملاحيط ثم تحول بعدها الى المشاحيط .
(6) لقد سبق لي أن نشرت سيرة الهادي الى الحق ــ بيروت ١٩٧٢ : ٢٢٥ .
(7) انظر سيرة الهادي ٢٩٠ . غاية الاماني ١٩٨/١ .

ثم ان ذا الطوق[1] اليافعي ، أحد قواد علي بن الفضل ، قصد ابن الروية المذحجي الى ذمار ، فهرب منه الى رداع[2] ، وجمع عشيرته فقصده ذو الطوق الى رداع ، فقتله ثم سار ذو الطوق نحو صنعاء ، فلقيه أسعد بن أبي يعفر في جمع من أصحابه وغيرهم فقاتله ذو الطوق فهزمه ، وقتل من أصحابه نحوا من ثلاثمائة رجل ، ومن سائر جمعه عدة ودخل ذو الطوق صنعاء فملكها .

واستدعى أهل صنعاء الامام الهادي أيضا ، فنهض نحوهم ، وبعث مقدمة من عسكره عليها علي بن أبي جعفر العلوي ، والدعام بن ابراهيم وسار بعدهم ولده المرتضى في جيش آخر ، فخرجت القرامطة من صنعاء ، ودخلها المرتضى محمد بن الامام الهادي ، فأقام فيها زمانا ، حتى جاءته القرامطة ، بما لا قبل له به ، فخرج من صنعاء ، وخرج معه جيش عظيم ، فلقيهم الهادي بورور[3] ، وقد انتشر ذكر القرامطة في البلاد ، فعادوا جميعا الى صعدة ، ولم يلبث الامام الهادي أن توفي ، وكانت وفاته في سنة ثمان وتسعين ومائتين[4] .

ولما انتشرت القرامطة باليمن[5] ، وعظم أمرهم ، جمع آل يعفر مواليهم ، ومن قدروا عليه ، وقصدوا القرامطة الى صنعاء ، فقتلوا بعضهم وهرب الباقون ، ودخل أسعد بن أبي يعفر صنعاء ، وملكها .

ثم قصد علي بن الفضل صنعاء ، سنة تسع وتسعين ومائتين ، فدخلها يوم الخميس لثلاث مضين من رمضان المعظم ، من السنة المذكورة ، وخرج أسعد منها هاربا ، فرتب عليها ابن الفضل من يحفظها .

ولما رأى علي بن الفضل أنه قد أستحكم له أمر اليمن ، خلع طاعة عبيد الله المهدي ، ثم كاتب صاحبه منصور بن حسن بذلك ، فعاد جوابه يعاتبه ، ويقول :

---

(١) مما يثير الانتباه أن أحد القريبين من صاحب الخال ، امام قرامطة الشام عرف باسم المطوق .

(٢) انظر صفة الجزيرة ٨٠ ــ ٨١ .

(٣) انظر صفة الجزيرة ٢٤١ .

(٤) انظر سيرة الهادي ٣٩٤ ــ ٣٩٧ .

(٥) في نسخة الحرم : البلاد .

كيف تخلع من لم تنل خيرا الا به ، وببركة الدعاء اليه ، أما تذكر ما بينك وبينه من العهود والمواثيق ، وما أخذ علينا جميعا من الوصية بالاتفاق ، وعدم الافتراق ، فلم يلتفت اليه فكتب اليه علي بن الفضل كتاباً ، يقول فيه : ان لي بأبي سعيد الجنابي[1] أسوة ، وقد دعا الي نفسه ، وأنت ان لم تدخل في طاعتي نابذتك بالحرب .

فلما ورد كتابه على منصور بذلك غلب على ظنه صحته ، فطلع جبل مسور ، وحصنه من كل ناحية ، وقال : انما أحصن هذا الجبل من أجل هذا الطاغية وأمثاله، ولقد عرفت الشر في وجهه يوم اجتمعنا بصنعاء ، ثم ان علي بن الفضل سار لحرب منصور بن حسن ، وانتدب لقتاله عشرة آلاف رجل من المعروفين بالشجاعة والاقدام في عسكره ، وحصره ثمانية أشهر ، فلم يظفر منه بطائل ، وشق به الوقوف ، فراسله منصور بالصلح ، فقال لا أفعل الا أن يرسل لي بعض ولده ، يقف مني على الطاعة ، ويشيع عند العالم أني إنما تركته تفضلاً لا عجزاً،فأرسل منصور بعض أولاده،فطوقه علي بن الفضل طوقا من ذهب ، وسار به معه الى صنعاء ، فأقام بها أياما .

وكان أسعد بن أبي يعفر ، ومولاهم الحسن بن كيالة بذمار ، فلما توجه علي ابن الفضل نحو المذيخرة ، وثب أسعد بن أبي يعفر على الحسن بن كيالة ، فقتله ، فاصطلح هو وعلي بن الفضل ، فولاه صنعاء ، وخطب له ، ولبس البياض[2] ، وقطع ذكر بني العباس ، وتراجع أهل صنعاء ، وأمن الناس .

وكان أسعد بن أبي يعفر حذرا من غدره ، ولا يكاد يستقر بصنعاء خوفا من غارة تهجم عليه ، وكان عنوان كتابه ، اذا كتب : من باسط الارض وداحيها ، ومزلزل الجبال ومرسيها ، علي بن الفضل ، الى عبده فلان ــ وكفى بهذا دليلا على كفره .

وفي مدة نيابة أسعد بن أبي يعفر ، لعلي بن الفضل ، قدم رجل غريب من أهل بغداد ، يذكر أنه شريف ، فصحبه أسعد بن أبي يعفر واختص عنده مدة ، وكان جرائحيا ماهرا في عمل الادوية ، بصيرا بفتح العروق ، ومداواة الجرحى ، فلما رأى شدة خوف أسعد من علي بن الفضل ، قال له : قد عزمت على أن أهب نفسي لله

---

(١) مؤسس دولة قرامطة البحرين تقدم ذكره. انظر تاريخ أخبار القرامطة ١٥ــ١٧. كشف أسرار الباطنية ٣٥٩ . تاريخ العرب والاسلام ٣٠٦ .
(٢) شعار الشيعة من كل الطوائف والبياض ضد السواد شعار الدولة العباسية .

وللمسلمين ، وأريح الناس من هذا الرجل الطاغي ، فقال له أسعد : لئن فعلت ، ثم عدت الي لأقاسمنك فيما أنا فيه من الملك ، فأخذ عهدا وميثاقا ، وخرج من صنعاء يريد المذيخرة ؛ فلما قدمها خالط وجوه الدولة وكبراءها وسقاهم الأدوية النافعة ؛ وفصد من احتاج الى الفصد ، وانتفع به أناس كثير ، فرفع ذكره الى علي بن الفضل، وأثني عليه في حضرته ، وقيل له : انه لا يصلح الا لمثلك .

فلما كان ذات يوم أحب الفصاد ، فطلبه ، فلما حضر بين يديه ، جرده من ثيابه، وغسل المبضع وهو ينظر ، وكان قد دهن أطراف شعر لحيته بسم قاتل ، فلما دنا منه ليفصده مص المبضع تنزيها لنفسه ، ثم مسحه بأطراف شعره ، كالمجفف له ، فعلق فيه ما علق من السم ، ثم فصد الأكحل وربطه ، وخرج من فوره هاربا من المذيخرة، متوجها الى أسعد بن يعفر ، فلما كان بعد ساعة ، أحس علي بن الفضل بالموت ، فطلب الحكيم الغريب ، فلم يجد له خبرا ، فأيقن بالموت ، فأمر أن يلحق حيث كان ، فخرج العسكر في طلبه في كل وجه ، فأدركه بعضهم في وادي السحول عند المسجد المعروف بقينان[1] فأرادوا لزمه ، فامتنع وقاتل عن نفسه ، حتى قتل في ذلك الموضع، وقبره في ذلك الموضع ، وتوفي علي بن الفضل عقيب ذلك ، وكانت وفاته ليلة الخميس النصف من ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثمائة ، وكانت مدة محنته ، وملكه سبع عشرة سنة[2] ــ فلا رحم الله مثواه ، ولا بل بشيء من الرحمة ثراه .

ولما علم أسعد بن يعفر بوفاته ، فرح فرحا شديدا ، وخرج يريد المذيخرة ، وكتب الى أهل الجند ، والمعافر ، فالتف العسكر اليه وكان لعلي بن الفضل ولد قد انضم اليه أهل مذهبه وتحصنوا بالمذيخرة فأحاطت بهم العساكر مع أسعد بن أبي يعفر ، فنصب لهم المنجنيقات ، ولم يزل مصابرا لهم مدة سنة كاملة ، حتى أخربها المنجنيق ، ودخلها قهرا بالسيف ، وقتل ولد علي بن الفضل ، وسبا بناته ، وكن ثلاثا، فرقهن في رؤساء العرب ، ووهب واحدة منهن لابن أخيه ، قحطان بن عبد الله بن أبي يعفر ، فولدت له عبد الله بن قحطان ، وكان اسمها معاذة ، وانقطعت دولة

---

(1) انظر صفة الجزيرة ١٠١ ــ ١٠٤ . الاكليل ٢/٢٣٤ ــ ٢٤٤ . تاريخ اليمن لعمارة بن علي ٨٨ .

(2) انظر الحمادي ٣٧٥ ــ ٣٧٧ .

القرامطة من مخلاف جعفر ، ولم تزل المذيخرة خرابا الى يومنا[1] هذا ، فهذه أخبار علي بن الفضل بأسرها .

واستولى الامير أسعد بن أبي يعفر على البلاد في رجب سنة أربع وثلاثمائة ، وفي أيام أسعد بن أبي يعفر المذكور ، قدم اليمن الوزير علي بن عيسى بن الجراح من العراق ، فأقام بصنعاء على أوفى كرامة ، وقدم له مالاً كثيرا ، ورجع الوزير الى بغداد ، وهو من الشاكرين لأسعد بن أبي يعفر الحوالي المذكور ، فعمل في رفع الخراج عن اليمن فجزاه الله خيرا ، وكانت وفاته في شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة[2] .

وولي البلاد بعده أبو يعفر سبعة أشهر ، ثم ولي البلاد عبد الله بن قحطان بن عبد الله بن أبي يعفر ، وهو الذي أمه معاذة بنت علي بن الفضل ، وكانت وفاته في الثامن عشر من ربيع الاول سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة[3] ، وكانت له وقعات مشهورة منها : أن أبا يعقوب المحابي،وازر الحسين بن سلامة على قتال بني الحوالي، فالتقوا للحرب في اليوم السادس عشر من شوال سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة ، فقتل منهم مقتلة عظيمة ، نحوا من ألفي رجل ، وكانت الدائرة على أبي يعقوب المحابي ، وهو من جهة الحسين بن سلامة[4] ، والله أعلم .

وأما منصور بن حسن ، فكان رجلا عاقلا لبيبا كاملا ، وكان موادعا يحب المباقاة ، ولم يبرح في جهة لاعة الى أن توفي سنة اثنتين وثلاثمائة ولما حضرته الوفاة أوصى الى ابنه الحسن بن منصور،والى رجل من أصحابه،يقال له عبد الله الشاوري، وكان خصيصاً به ، فأمرهما بالمحافظة على مذهبه ، وأن لا يقطعا أمراً دون عبيد الله المهدي ، وأمرهما بمكاتبة المهدي ، فاذا ورد أمره[5] بولاية أحدهما ، سمع الآخر

---

(١) في نسخة الجامع الكبير : عصرنا .
(٢) في غاية الاماني ١/٢١٩ ، كانت وفاته سنة ٣٣١ هـ .
(٣) في غاية الاماني ١/٢٢٧ ، كانت وفاته سنة ٣٨٧ هـ .
(٤) في هذا خلاف ، انظر تاريخ اليمن لعمارة ٦٨ ـ ٧٣ . تاريخ ثغر عدن ٢/٥٩-٦٣
(٥) في نسخة الجامع الكبير : كتابه

وأطاع ، فكتب الشاوري الى المهدي برسالة وهدية ، وعرفه بموت منصور ، وكان منصور بن حسن ، قد أرسل الشاوري الى المهدي ، وقدم عليه ، وهو في المهدية ، فدفع اليه الكتاب ، فلما قرأه ، أقر الشاوري بالاستقلال ، وبعث اليه تسع رايات ، وعاد الحسن بن منصور خائبا .

فلما وصلت كتب المهدي بولاية الشاوري ، وعزل أولاد المنصور ووصل الحسن بن منصور خائبا ، عمل على قتل الشاوري ، فنهاه أخوته فلم ينته ، فكان أولاد المنصور يواصلون الشاوري ، وهو يكرمهم ويبجلهم ولا يحجب منهم أحدا، ثم ان الحسن بن منصور دخل يوما على الشاوري في بعض الغفلات ، فلم يجد عنده أحدا فقتله واستولى على البلاد ، فلما استوثق له الامر جمع الرعايا من أقاصي البلاد ودانيها ، وأشهدهم على نفسه ، أنه قد خرج من مذهب القرامطة ، الى مذهب أهل السنة ، فأحبه الناس ، ودانوا له ، فدخل عليه أخ له ، يسمى جعفر فنهاه عما فعل ، وقبحه عليه ، فلم يلتفت اليه ، وقتل القرامطة الذين حوله وشردهم في كل وجه .

ثم انه خرج يوما من مسور الى عثر محرم ، وفيها رجل من قبله يقال له ابن أبي العرجاء ، واستخلف على مسور ابراهيم بن عبد الحميد السباعي ، وهو جد بني المنتاب ، فلما دخل عليه حسن بن منصور عثر محرم ، وثب عليه نائبه ابن أبي العرجاء ، فقتله واستولى على ما تحت يده وبلغ الخبر الى ابراهيم بن عبد الحميد، فلزم مسورا ، وادعى الامر لنفسه ، وخرج أولاد منصور بن حسن وحريمهم الى جبل ذي عسب فوثب عليهم المسلمون وقتلوهم ، ولم يبقوا منهم وسبوا حريمهم ، ثم اتفق ابن أبي العرجاء ، وابراهيم بن عبد الحميد ، فاقتسما البلاد نصفين ، ورجع ابراهيم الى مذهب أهل السنة[1] ، وخطب للخليفة العباسي ، وكاتب الامير ابراهيم ابن زياد صاحب زبيد ، ودخل في طاعته ، وسأله أن يرسل اليه رجلا[2] من قبله ، فبعث ابن زياد برجل يعرف بالسراج ، وقال له ابن زياد : اذا أمكنتك الفرصة من ابراهيم فثب عليه ، فتلقاه ابراهيم وأنصفه وأكرمه ، فعامل عليه السراج من يقتله ، فبلغ العلم الى ابراهيم بن عبد الحميد فقبض على السراج ، وحلق رأسه ولحيته ، ونفاه[3] .

---

(1) انظر الحمادي ٣٨١ . (2) في نسخة الجامع الكبير : برجل .
(3) انظر الحمادي ٣٧٩ – ٣٨٢ .

وقطع مواصلة ابن زياد ، وتتبع القرامطة بالقتل والسبي حتى أفناهم ولم يبق منهم الا طائفة قليلة بناحية مسور صائنين[1] أمرهم مقيمين ناموسهم برجل يقال له ابن الطفيل ، فقتله ابراهيم بن عبد الحميد ، فانتقلت الدعوة الى رجل يعرف بابن قحيم[2] ، وذلك في أيام المنتاب بعد موت أبيه ابراهيم بن عبد الحميد ، فخاف ابن قحيم على نفسه ، فكان لا يستقر في موضع واحد خوفا من المنتاب ، وكان يكاتب المعز الى مصر بعد خروجه من القيروان ، فلما حضرته الوفاة ، استخلف رجلا من شبام ، يقال له الاسد ، فأقام دعوته حياته ، فلما حضرته الوفاة استخلف عند موته سليمان بن عبد الله الزواخي[3] ، وهو رجل من حمير ــ والزواخي قرية من أعمال حراز ، ينسب اليها المذكور ، والزواخي أيضا قرية من أعمال حدد ، والزواخي أيضا قرية من أعمال حيس بتهامة .

فكان سليمان داعيا في أيام الحاكم والظاهر ، وأول أيام المستنصر ، وكان كثير المال والجاه ، فاستمال الرعاع والطغام الى مذهبه ، وكلما هم به المسلمون دافعهم بالجميل ، ويقول أنا رجل مسلم ، أشهد أن لا إله إلا الله ، فيمسكون عنه ، وكان فيه كرم نفس ، وأفضال على الناس ، فلما حضرته الوفاة استخلف علي بن محمد الصليحي[4] ، الذي سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى ...



---

(١) في نسخة الجامع الكبير : كاتمين .

(٢) عند الحمادي ٣٨٢ ابن رحيم .

(٣) ضبطها ياقوت في معجم البلدان بالخاء المعجمة وكذلك فعل البكري في معجم ما استعجم ، بينما ضبطها الاكوع في صفة الجزيرة ١٠٣ ــ ١٠٤ . تاريخ اليمن لعمارة : ٩٥ « بالحاء المهملة » .

(٤) انظر الحمادي ٣٨٢ ــ ٣٨٥ .

المصادر والمراجع

الاباضي (أبو عمار عبد الكافي)

الموجـز ، الجزائر ١٩٧٨

ابن الأثير (علـي)

الكامل في التاريخ ، القاهرة ١٣٤٨ هـ

الاربلي (عبد الرحمن بن سنبط)

خلاصة الذهب المسبوك ، بغداد (مكتبة المثنى)

الاربلي (علي بن عيسى)

كشف الغمة في معرفة الأئمـة ، بيروت ١٩٨١

أرنولـد (توماس)

الخلافـة ــ دمشق (دار اليقظة)

الدعوة الى الاسلام ، القاهرة ١٩٥٧

تراث الاسلام ، بيروت (دار الطليعـة)

الأزدي (أبـو زكريـا)

تاريـخ الموصل ، القاهرة ١٩٦٧

الأزرقـي (أبو الوليـد محمد)

أخبار مكة ، بيروت (مكتبة خياط)

ابن اسحق (محمـد)

السير والمغازي ، بيروت ١٩٧٨

الأسدي (الكميت بن زيد)

شرح القصائد الهاشميات • بيروت ١٩٧٢

اسماعيــل (محمود)

الحركات السرية في الاسلام • فاس ١٩٧٧

الأشعري (علــي)

مقالات الاسلاميين • القاهرة ١٩٥٠

الاصطخري (أبو اسحق ابراهيم)

المسالك والممالك • ليدن ١٩٢٧

الأصفهاني (حمــزة)

تاريخ سني ملوك الأرض • بيروت ١٩٦١

الأصفهاني (أبو الفرج)

الأغاني • القاهرة (دار الكتب)

مقاتل الطالبيين • القاهرة ١٩٤٩

الأصفهاني (محمد بن محمد ـ العماد الكاتب)

خريدة القصر وجريدة العصر • دمشق ١٩٥٥

الأصفهاني (أبو نعيم أحمــد)

دلائل النبوة • حيدر أباد ١٩٥٠

حلية الأولياء • القاهرة ١٩٣٢ ــ ١٩٣٨

ابن الأعثم الكوفي (أحمد)

كتاب الفتوح • بيروت ١٩٨٨

الأفغاني (سعيد)

أسواق العرب • دمشق ١٩٣٧

عائشة والسياسة • بيروت ١٩٧١

اليـاد (ميرسيا)
تاريخ المعتقدات والافكار الدينية • دمشق ١٩٨٧
رمزية الطقس والاسطورة • دمشق ١٩٨٧

أمـير (علـي)
مختصر تاريخ العرب • القاهرة ١٩٣٨

الآملي (جيدر بن علي)
الكشكول فيما جري على آل الرسول • قم ــ منشورات الرضي

أمـين (أحمـد)
ظهر الاسلام ــ فجر الاسلام ــ ضحى الاسلام • بيروت (بدون تاريخ)

أمـين (أحمد وزكي نجيب محمود)
قصة الفلسفة اليونانية • القاهرة

أمـين (حسـين)
تاريخ العراق في العصر السلجوقي • بغداد ١٩٦٥

الأمـين (محسن)
أعيـان الشيعـة • بيروت ١٩٨٣

ابن أنس (الامام مالك)
الموطـأ • بيروت ١٩٧١

الأنطاكـي (يحيى بن سعيد)
تاريخ يحيى بن سعيد • بيروت ١٩٠٩

ابن أيبك الدواداري (عبد الله)
الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية • القاهرة ١٩٦١

ايماني (مهدي الفقيـه)
الامام المهدي عند أهل السنة • أصبهان ١٤٠٢ هـ

الباروني (سليمان الطرابلسي)
مختصر تاريخ الاباضية • تونس ١٩٣٨

الباشا (حسن)
الألقاب الاسلامية • القاهرة ١٩٥٧

الباقلاني (أبو بكر بن الطيب)
الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به • بيروت ١٩٨٠

بحر العلوم (محمد المهدي)
رجال السيد بحر العلم • طهران ١٣٦٣ هـ

البحراني (هاشم)
المحجة فيما نزل في القائم الحجة • بيروت ١٩٨٣

البخاري (محمد بن اسماعيل)
صحيح البخاري • بيروت (دار الفكر)
التاريخ الكبير • حيدر أباد الدكن

بدج (ولس)
الديانة الفرعونية • دمشق ١٩٨٧

بدوي (عبد الرحمن)
مذاهب الاسلاميين • بيروت
خريف الفكر اليوناني • القاهرة
ربيع الفكر اليوناني • القاهرة
أفلوطين عند العرب • بيروت
دور العرب في تكوين الفكر الاوربي • الكويت
التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية • القاهرة ١٩٤٦

برستد (جيمس هنري)
انتصار الحضارة ، القاهرة

بروكلمان (كارل)
تاريخ الادب العربي ، القاهرة
تاريخ الشعوب الاسلامية ، بيروت ١٩٤٨

بشور (وديــع)
الميثولوجيــا السورية ، دمشق ١٩٨١

ابن بطوطة (محمد بن عبد الله)
الرحلة ــ تحفة الانظار في غرائب الاسفار ، القاهرة ١٩٥٨

البغدادي (الخطيب ــ أحمد)
تاريخ بغداد ، بيروت (دار الكتاب العربي)

البغدادي (اسماعيــل)
هديــة العارفين ، بيروت (دار الفكر)

البغدادي (أبو منصور عبد القاهر)
الفرق بين الفرق ، القاهرة ١٩٤٨

البلخي (أبو القاسم)
فضل الاعتزال ، تونس ١٩٧٤

ابن بكار (الزبير)
جمهرة نسب قريش ، القاهرة (دار العروبة)
الاخبار الموفقيات ، بغداد ١٩٧٢

البكري (أبو عبيــد)
جغرافية الاندلس وأوربة ، بيروت ١٩٦٨
كتاب المغرب ، الجزائر ١٩١١
معجم ما استعجم ، القاهرة ١٩٦٥

البلاذري (أحمــد بن يحيى)
فتوح البلدان • القاهرة ١٩٣٢
أنساب الاشراف (نسختان خطيتان لدي)
القدس ١٩٣٨ ــ ١٩٧٠ ــ القاهرة ١٩٥٩ ــ بيروت ١٩٧٣

البلخي (أبو زيد أحمد)
البدء والتاريخ • باريس ١٩١٦

البلوى (أبو محمد عبد الله)
سيرة أحمد بن طولون • دمشق ١٣٥٨ هـ

بوكاي (موريس)
دراسة الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة • القاهرة

البيذق (أبو بكر الصنهاجي)
أخبار المهدي بن تومرت وكتاب الانساب • الرباط (المطبعة الملكية)

البيروني (أبو الريحان محمد)
الآثار الباقية من القرون الخالية • لايبزغ ١٩٢٣
الجماهر في معرفة الجواهر • دمشق عالم الكتب
تحقيق ما للهند من مقولة • بغداد (مكتبة المثنى)

بيضون (ابراهيم)
سليمان بن صرد الخزاعي • بيروت ١٩٧٤

البيهقي (ظهير الدين)
تاريخ الحكماء • دمشق ــ مجمع اللغة العربية

تامر (عارف)
ثلاث رسائل اسماعيلية • بيروت ١٩٨٣
أربع رسائل اسماعيلية • بيروت ١٩٧٨

التجاني (عبـد الله)
رحلـة التجاني • تونس ١٩٥٨

ابن تغري بردي (أبو المحاسن)
النجوم الزاهرة • القاهرة ١٩٤٢

التوحيدي (أبو حيان)
روايـة السقيفة في المقابسات • القاهرة ١٩٢٩

الثعالبي (عبـد الملك)
لطائف المعارف • بيروت ١٩٨٠
كتاب الوزراء • بغداد ١٩٧٢
يتيمـة الدهر • القاهرة ١٩٥٦

الجاحظ (أبو عثمان عمرو)
البيان والتبيين • القاهرة ١٣١١
التاج في أخلاق الملوك • القاهرة ١٣٥٧
الحيوان • القاهرة ١٣٥٧
العثمانيـة • القاهرة ١٩٥٥
مجموعة من رسائل الجاحظ • القاهرة ١٣٦٥
رسائل الجاحظ • القاهرة ١٩٧٩
الرد على النصارى • القاهرة ١٩٨٤

الجارم (محمد)
أديان العرب في الجاهلية • القاهرة ١٩٢٣

جب (هاملتون)
دراسات في حضارة الاسلام • بيروت ١٩٦٤

ابن جبير (محمد بن أحمد)
الرحلـة • بيروت ١٩٥٩

الجرهمي (عبيد بن شريـه)
أخبـار عبيـد • حيدر أباد ١٣٤٧

الجعفي (المفضل بن عمر)
الهفت الشريف • بيروت ١٩٦٤

الجندي (علي ورفاقـه)
سجع الحمام في حكم الامام • القاهرة ١٩٦٧

الجهشياري (ابن عبدوس)
الوزراء والكتاب • القاهرة ١٩٣٨
نصوص ضائعة من كتاب الوزراء والكتاب • بيروت

الجواليقي (أبو منصور موهوب)
المعرب • القاهرة ١٣٦١

ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن)
عمر بن الخطاب • القاهرة
مناقب عمر بن عبد العزيز • لايبزغ ١٨٨٩
المنتظم • حيدر أباد ١٣٥٩

جوزي (بندلـي)
من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام • بيروت (دار الروائع)

الجوزية (ابن القيم)
اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية • القاهرة مطبعة الامام

حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله)
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون • بيروت (دار الفكر)

الحامدي (ابراهيم بن الحسين)
كنز الولـد • بيروت ١٩٧١

الحائري (علي اليزدي)
الزام الناصب في اثبات الحجة الغائب • بيروت ١٩٧١

ابن حبيب (محمـد)
كتاب المحبر • حيدر أباد ١٩٤٢
المنمق في أخبار قريش • بيروت ١٩٨٥
المؤتلف والمختلف • الرياض ١٩٨٠

حتى (فيليب)
تاريخ العرب • بيروت
تاريخ سورية ولبنان • بيروت

ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي)
الاصابة في تمييز الصحابـة • القاهرة ١٩٣٩

ابن حجر الهيتمي (أحمـد)
الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة • القاهرة ١٩٦٥

ابن أبي الحديد
شرح نهج البلاغـة • بيروت ١٩٦٧

الحراني (أبو محمد الحسن بن علي)
تحف العقول عن آل الرسول • بيروت ١٩٦٩

ابن حزم الاندلسي (محمد بن علي)
جمهرة أنساب العرب • القاهرة ١٩٦٢
المحلـى • القاهرة
الفصل في الملل والنحل • القاهرة ١٣١٧
نقط العروس ـ مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة (فؤاد الاول) ١٩٥١

حسن (ابراهيم حسن)

تاريخ الاسلام السياسي • القاهرة ١٩٥٩

النظم الاسلامية • القاهرة ١٩٦٢

المعز لدين الله • القاهرة ١٩٦٤

حسن (سعد محمد)

المهدية في الاسلام • القاهرة ١٩٥٣

حسن (علي ابراهيم)

تاريخ جوهر الصقلبي • القاهرة

الحسني (عبد الرزاق)

الصابئون • بغداد ١٩٨٣

اليزيديون • صيدا ١٩٦٨

حسين (طـه)باشرافـه

تعريف القدماء بأبي العلاء • القاهرة ١٩٦٥

الحسيني (أبو الحسن علي)

زبدة التواريخ • لاهور ١٩٣٣

الحسني (هاشم معروف)

سيرة الائمة الاثني عشر • بيروت ١٩٨١

الحلي (الحسن بن يوسف)

الالفين في امامة أمير المؤمنين • النجف ١٩٥٣

الحمادي (محمد بن مالك)

كشف أسرار الباطنية • القاهرة ١٩٣٩

الحميري (عبد المنعم السبتي)

الروض المعطار • بيروت ١٩٧٢

الحموي (محمد)
التاريخ المنصوري • موسكو ١٩٦٠
الحموي (ياقوت الرومي)
معجم البلدان • بيروت ١٩٦٨
معجم الأدباء • القاهرة ١٩٢٧
حميد الله (محمد)
مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي • بيروت
ابن حنبل (الامام أحمد)
الرد على الزنادقة والجهمية • حماه ١٩٦٧
الحوت (محمد سليم)
الميثولوجيا عند العرب • بيروت ١٩٨٣
ابن حوقل (أبو القاسم محمد)
صورة الارض • بيروت (دار الحياة)
حيدر (أسعد)
الامام الصادق والمذاهب الاربعة • بيروت ١٩٨٣
خالد (غسان)
أفلوطين رائد الوحدانية • بيروت ١٩٨٣
خان (محمد عبد المعيد)
الاساطير والخرافات عند العرب • بيروت ١٩٨١
الخربوطلي (علي حسني)
المختار الثقفي • القاهرة ١٩٦٢
خرطبيل (سامي)
اسطورة الحلاج • بيروت ١٩٧٩

الخزرجي (علي بن الحسن)

العسجد المسبوك (مصورة عن مخطوطة الجامع الكبير في صنعاء مع قطعة من نسخة الحرم المكي) .

ابن خزيمة (محمد بن اسحق)

كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل . القاهرة ١٤٠٠

خسرو (ناصر)

سفر نامه . بيروت ١٩٧٢

جامع الحكمتين . القاهرة ١٩٧٧

الخشاب (يحيى)

كتاب تنسر . القاهرة ١٩٥٤

الخضري (محمد)

محاضرات في تاريخ الامم الاسلامية . القاهرة ١٩٦٦

ابن خلدون (عبد الرحمن)

العبر وديوان المبتدأ والخبر . بيروت ١٩٥٨

ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس)

وفيات الاعيان . القاهرة ١٩٥٠

الخليفة (عبد الله بن خالد)

البحرين عبر التاريخ . بيروت ١٩٦٩

خليل (خليل)

مضمون الاسطورة في الفكر العربي . بيروت ١٩٧٣

خليل (عماد الدين)

معالم الانقلاب الاسلامي في حياة عمر بن عبد العزيز . بيروت الدار العلمية

الخوارزمي (أبو عبد الله محمد)

مفاتيح العلوم • القاهرة

ابن خياط (خليفة)

تاريخ خليفة بن خياط • دمشق ١٩٦٨

طبقات خليفة بن خياط • دمشق ١٩٦٧

الدارمي (عثمان بن سعيد)

الرد على الجهمية • ليدن ١٩٦٠

داود (جرجس داود)

أديان العرب قبل الاسلام • بيروت ١٩٨١

أبو داود (سليمان)

السنن • بيروت (دار الفكر)

داود (عبد الأحد)

محمد في الكتاب المقدس • قطر ١٩٨٥

الدباغ (عبد الرحمن بن محمد وابن ناجي)

معالم الايمان في معرفة أهل القيروان • تونس ١٣٢٥

دراوور (الليدي)

الصابئة المندائيون • بغداد ١٩٦٩

أساطير وحكايات شعبية صابئية • بغداد

ابن أبي الدم (ابراهيم)

تاريخ ابن أبي الدم ــ نسخة مصورة عن مخطوطة البودليان

الدوري (عبد العزيز)
العصر العباسي الاول • بغداد
دراسات في العصور العباسية المتأخرة • بغداد
مقدمة في تاريخ صدر الاسلام • بيروت
الجذور التاريخية للشعوبية • بيروت ١٩٦٢
مقدمـــة في التاريخ الاقتصادي العربي • بيروت ١٩٦٨

دي غويـــه (مايكل)
القرامطـــة • بيروت ١٩٧٨

الديلمي (محمد بن الحسن)
بيان مذهب الباطنية وبطلانه • استانبول ١٩٣٨

ديليتس (فردريك)
بابل والكتاب المقدس • دمشق ١٩٨٧

الدينوري (أبو حنيفة أحمد بن داود)
الأخبار الطوال • القاهرة ١٩٦٠

الرازي (أحمـــد)
تاريخ مدينة صنعاء • دمشق ١٩٧٤

الرازي (أحمد بن حمدان)
كتاب الزينة • القاهرة ١٩٥٧

الرازي (محمد بن أبي بكر)
الأمثال والحكم • دمشق ١٩٨٧

رايلي (كافـــين)
الغرب والعالم • الكويت سلسلة عالم المعرفة (٩٠ ، ٩٧) ١٩٨٤

ابن رستة (أحمد بن عمر)
الأعلاق النفيسة • ليدن ١٨٩١

رضا (محمد رشيد)
السنة والشيعة • القاهرة

الرضي (الشريف محمد بن الحسين)
المجازات النبويــة • دمشق ١٩٨٧

الرقيق القيرواني (ابراهيم)
تاريخ افريقية والمغرب • تونس ١٩٦٨

درولف (فلهلم)
صلة القرآن باليهودية والمسيحية • بيروت ١٩٧٤

ابن الزبير (القاضي الرشيد)
الذخائر والتحف • الكويت ١٩٥٩

ابن أبي زرع (أو ابن عبد الحليم)
الأنيس المطرب بروض القرطاس • الرباط ـ المطبعة الملكية

الزركلي (خير الدين)
الأعــلام • بيروت ١٩٦٩

زكــار (سهيــل)
تاريخ العرب والاسلام • بيروت ١٩٧٤
مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية • دمشق ١٩٧٢
تاريخ أخبار القرامطة • بيروت ١٩٧١
التأريخ عند العرب • دمشق ١٩٧٤
ماني والمانويــة • دمشق ١٩٨٥
يهود في الحياة الاقتصادية والسياسية للاسلام في العصور الوسطى •
بيروت ١٩٨٨
يهود الخزر • بيروت ١٩٨٧

الزهيري (عبد الفتاح)
تاريخ الصابئة المندائيين • بغداد ١٩٨٣

زيـد (علي محمـد)
معتزلة اليمن (دولة الهادي وفكره) • بيروت ١٩٨١

ابن أبي زينب (محمد بن ابراهيم)
كتاب الغيبة • بيروت ١٩٨٣

سارتون (جورج)
تاريـخ العلم • القاهرة

سبانو (أحمـد غسان)
هرمس الحكيم • دمشق ١٩٨٢

السبيتي (عبـد الله)
عمار بن ياسر • بيروت ١٩٨٤
سلمان الفارسي • بيروت ١٩٨٤

السجستاني (أبو يعقوب)
الافتخار • بيروت ١٩٨٠
كتاب اثبات النبوءات • بيروت ١٩٨٢

ابن سيرين (حامـد)
مصادر العقيدة الدرزية • لبنان ـ ديار عقل ١٩٨٥

السيوطي (جلال الدين)
تاريخ الخلفاء • القاهرة ١٩٦٤
حسن المحاضرة • القاهرة ١٨٨١

ابن شاذان (الفضل)
الايضاح • بيروت ١٩٨٢

ابن أبي شبة (عمر)
تاريخ المدينة • المدينة ١٢٩٣ هـ

شلبي (أحمـــد)
مقارنة الأديان • القاهرة ١٩٦٤

شرف (محمد جـــلال)
نشأة الفكر السياسي وتطوره في الاسلام • بيروت ١٩٨٢

الشيبي (مصطفى)
الصلة بين التصوف والتشيع • القاهرة (دار المعارف)

شمس الدين (محمد مهدي)
أنصار الحسين • بيروت ١٩٧٥

الشهرستاني (محمـــد)
الملل والنحل • القاهرة ١٩٤٨

الصابىء (هلال بن المحسن)
تحفة الأمراء • القاهرة ١٩٥٨

صالح (أحمد عباس)
اليمين واليسار في الاسلام • بيروت ١٩٧٠

صبحي (أحمـــد محمود)
في علم الكلام (المعتزلة والاشاعرة) • الاسكندرية ١٩٨٢
نظرية الامامة لدى الشيعة الاثني عشرية • القاهرة (دار المعارف)

الصولي (أبو بكر محمد)
الأوراق • القاهرة ١٩٣٥

الصيرفي (علي بن منجب)
الاشارة الى من نال الوزارة • القاهرة ١٩٢٣

ابن طاووس (أحمد بن موسى)
بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية • عمان ١٩٨٥

ابن طاووس (علي بن موسى)
الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر • بيروت ١٩٧٨

ابن طباطبا (ابن الطقطقي محمد بن علي)
الفخري في الآداب السلطانية • بيروت ١٩٦٦

الطباطبائي (محمد حسين)
الشيعة في الاسلام • بيروت (دار المعارف)

الطبرسي (أبو منصور أحمد بن علي)
الاحتجاج • بيروت ١٩٨٣

الطبري (محب الدين أحمد بن عبد الله)
ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى • بيروت ١٩٨١

الطبري (علي بن ربن)
الدين والدولــة • بيروت ١٩٧٩

الطبري (أبو الفضل علي)
مشكاة الأنوار في غرر الأخبار • النجف ١٩٦٥

الطبري (محمد بن جرير)
تاريخ الرسل والملوك • القاهرة (دار المعارف)
تفسير الطبري • بيروت (دار الفكر)

الطبري (محمد بن جرير بن رستم)
دلائل الامامــة • النجف ١٩٦٣

الطهراني (اغابزرك)
طبقات أعلام الشيعة • بيروت ١٩٧٥
الذريعة الى تصانيف الشيعة • بيروت ١٩٨٣

الطوسي (أبو جعفر محمد بن الحسن)
الفهرست • بيروت ١٩٨٣
رجال الطوسي • النجف ١٩٦١
أمالي الطوسي • بيروت ١٩٨١

الطوفي (نجم الدين البغدادي)
الانتصارات الاسلامية • القاهرة ١٩٨٣

ابن طولون (محمد)
الأئمة الاثنى عشر • بيروت ١٩٥٨

ابن عباد (الصاحب اسماعيل)
نصرة مذاهب الزيدية • بغداد ١٩٧٧

عباس (احسان)
عهد أردشير • بيروت (دار صادر)

العباسي العلوي (علي بن محمد)
سيرة الهادي الى الحق • بيروت ١٩٧٢

ابن عبد الحق (صفي الدين عبد المؤمن)
مراصد الاطلاع • القاهرة ١٩٥٥

ابن عبد الحكم (أبو القاسم عبد الرحمن)
فتوح مصر وأخبارها • ليدن ١٩٢٠

عبد الحميد (سعد زغلول)
تاريخ المغرب العربي • القاهرة ١٩٥٦

ابن عبد ربه (أحمد بن محمد)
العقد الفريد • القاهرة ١٩٥٣

عبد الوهاب (حسن حسني)
خلاصة تاريخ تونس ١٣٧٣
ابن العبري (أبو الفرج غريغوريوس)
تاريخ مختصر الدول ، بيروت ١٩٥٨
ابن العديم (كمال الدين عمر)
بغية الطلب في تاريخ حلب ، دمشق قيد الطباعة محققا من قبلي
زبدة الحلب من تاريخ حلب ، دمشق ١٩٥٨
ابن عذارى (أبو العباس أحمد)
البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ، بيروت ـ الرباط
ابن العربي (أبو بكر)
العواصم من القواصم ، الجزائر ١٩٧٢
العروضي (النظامي)
جهار مقاله ، القاهرة ١٩٤٩
العزيز (حسين قاسم)
البابكية ، بيروت ١٩٦٦
العزيزي (أبو علي منصور)
سيرة الاستاذ جؤذر ، القاهرة ١٩٥٤
ابن عساكر (علي بن الحسن)
تاريخ دمشق (المجلدة الأولى) ، دمشق ١٩٥١
تبيين كذب المفتري ، دمشق ١٣٩٩
العسكري (جعفر بن محمد)
المهدي الموعود المنتظر عند علماء أهل السنة والامامية ، بيروت ١٩٧٧
العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله)
الأوائل ، دمشق ١٩٧٥

عطوان (حسين)
الفرق الاسلامية في بلاد الشام في العصر الاموي • بيروت ١٩٨٦
الجغرافية التاريخية لبلاد الشام • بيروت ١٩٨٧

العظيمي (محمد بن علي)
تاريخ العظيمي (نشر بعنوان تاريخ حلب) • دمشق ١٩٨٥

العلوي (يحيى بن حمزة)
الافحام لأفئدة الباطنية الطغام • الاسكندرية (منشأة المعارف)

علي (جواد)
المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام • بغداد ١٩٥٠

العلي (صالح)
التنظيمات الاجتماعية في البصرة • بيروت (دار الطليعة)
تنظيمات الرسول الادارية • بغداد ١٩٦٩

ابن علي (القاسم بن محمد)
كتاب الأساس لعقائد الأكياس • بيروت ١٩٨٠

عليان (محمد عبد الفتاح)
قرامطة العراق • القاهرة ١٩٧٠

ابن العماد (عبد الحي)
شذرات الذهب • القاهرة ١٩٣٢

عمر (فاروق)
طبيعة الدعوة العباسية • بيروت ١٩٧٠
العباسيون الاوائل • بيروت — دمشق

ابن العميد (جرجس)
تاريخ المسلمين • ليدن ١٦٢٥

عنان (عبد الله)

الحاكم بأمر الله ، القاهرة ١٩٥٩

عياض (أبو الفضل بن موسى)

المدارك ، بيروت ـ الرباط

العيني (البدر محمد)

عقد الجمان ـ مخطوطة بيازيد رقم ٢٣١٧

غالب (مصطفى)

تاريخ الدعوة الاسماعيلية ، دمشق (دار اليقظة)

أربع كتب حقانية ، بيروت ١٩٨٣

الامامة وقائم القيامة ، بيروت ١٩٨١

سنان راشد الدين ، بيروت ١٩٦٧

الغزالي (أبو حامد)

فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ، القاهرة ١٩٦١

فضائح الباطنية ، القاهرة ١٩٦٤

قواصم الباطنية ، استانبول ١٩٥٤

التبر المسبوك ، القاهرة ١٩٦٨

احياء علوم الدين ، بيروت (دار الفكر)

مشكاة الأنوار ، القاهرة

تهافت الفلاسفة ، القاهرة

ابن فاتك (المبشر)

مختار الحكم ومحاسن الكلم ، بيروت ١٩٨٠

الفارقي (ابن الأزرق)

تاريخ الفارقي ، القاهرة ١٩٥٩

فازلييف

العرب والروم • القاهرة ـ الألف كتاب

أبو الفـداء (اسماعيل بن محمد)

تقويم البلدان • باريس ١٧٤٠

المختصر في أخبار البشر • استانبول ١٨٦٩

الفردوسي (أبو القاسم)

الشاهنامـه • القاهرة ١٩٣٢

فلهوزن (يوليوس)

الدولة العربية • القاهرة ١٩٥٨

الخوارج والشيعة • القاهرة ١٩٥٣

فلوتن (فـان)

السيادة العربية والشيعة • القاهرة ١٩٦٥ ـ بيروت ١٩٧٩

القاسمي (ظافر)

نظام الحكم في الشريعة والتاريخ • بيروت ١٩٧٤

القاضي (وداد)

الكيسانية في التاريخ والأدب • بيروت ١٩٧٤

ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله)

المعارف • القاهرة ١٣٠٠

عيون الأخبار • القاهرة ١٩٦٣

الامامة والسياسة (ينسب له) • القاهرة ١٩٦٣

القرشي (الداعي ادريس)

عيون الأخبار وفنون الآثار • بيروت ١٩٧٣

القرشي (يحيى بن آدم)

كتاب الخراج • القاهرة ١٣٤٧ هـ

القرمطي (الداعي عبدان)
كتاب شجرة اليقين • بيروت ١٩٨٢

القزويني (زكريا بن محمد)
آثار البلاد وأخبار العباد • بيروت ١٩٦٠

القزويني (أبو جعفر عمر)
مختصر شعب الايمان • القاهرة ــ مطبعة الامام

ابن القلانسي (حمزة)
تاريخ دمشق • دمشق ١٩٨٥

القلقشندي (أحمد بن علي)
صبح الأعشى • القاهرة ١٣٣٨
مآثر الانافة • الكويت ١٩٦٤

القمي (سعد)
المقالات والفرق • طهران ١٩٦٣

القمي (محمد بن علي بن بابويه)
الخصال • قم ١٤٠٣
من لا يحضره الفقيه • قم ١٤٠٤ هـ
عيون أخبار الرضا • بيروت ١٩٨٤
كمال الدين وتمام النعمة • قم ١٤٠٥
معاني الاخبار • قم ١٣٤١

القيرواني (أبو العرب محمد)
طبقات علماء افريقية وتونس • تونس ١٩٦٨
المحن • بيروت (دار الغرب)

آل كاشف الغطاء (محمد الحسين)
أصل الشيعة وأصولها • بيروت

كاهن (كلود)

تاريخ العرب والشعوب الاسلامية • بيروت ١٩٧٢

ابن كثير (اسماعيل)

البداية والنهاية • القاهرة ١٩٣٢

الكرماني (أحمد حميد الدين)

راحة العقل • بيروت ١٩٦٧

مجموعة رسائل الكرماني • بيروت ١٩٨٣

الاقوال الذهبية • بيروت ١٩٧٧

المصابيح في اثبات الامامة • بيروت ١٩٦٩

الكشي (محمد بن عمرو)

رجال الكشي • كربلاء

الكليني (محمد بن يعقوب)

الأصول من الكافي • بيروت ١٤٠١ هـ

لويس (برنارد)

أصول الاسماعيلية • بغداد ١٩٤٧

الدعوة الاسماعيلية الجديدة • بيروت ١٩٧٢

ماجد (عبد المنعم)

الحاكم بأمر الله • القاهرة ١٩٥٩

السجلات المستنصرية • القاهرة ١٩٥٤

ابن ماكولا (أبو نصر علي)

الاكمال • حيدر أباد ١٩٦٢

المالكي (أبو بكر عبد الله)

رياض النفوس • القاهرة ١٩٥١

الماوردي (أبو الحسن علي)
الأحكام السلطانية • القاهرة ١٩٦٠
المبرد (أبو العباس)
الكامل في الأدب • القاهرة ١٩٢٧
المتنبي (أبو الطيب أحمد)
الديوان • القاهرة ١٩٤٤
المجلسي (محمد باقر)
بحار الأنوار • بيروت ١٩٨٣
مرآة العقول • طهران ١٤٠٢ هـ
مجهول (دي غويه)
العيون والحدائق • ليدن ١٨٦٩ ـ دمشق ١٩٧٤
مجهول
أخبار الدولة العباسية • بيروت ١٩٧١
مجهول (من القرن الحادي عشر)
تاريخ الخلفاء • موسكو ١٩٦٦
ابن محمد (القاضي النعمان)
اختلاف أصول المذاهب • بيروت ١٩٧٣
الأرجوزة المختارة • مونتريال ١٩٧٠
دعائم الاسلام مع التأويل • القاهرة ـ دار المعارف
رسالة افتتاح الدعوة • بيروت ١٩٧٠
الرسالة المذهبة ـ نسخ خطية في مكتبتي
المجالس والمسايرات • تونس ١٩٧٨
الاقتصاد • دمشق ١٩٥٧

ابن محمد الوليد (علي)
تاج العقائد ومعدن الفوائد ، بيروت ١٩٦٧
الذخيرة في الحقيقة ، بيروت ١٩٧١
المراكشي (عبد الواحـد)
المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، القاهرة ١٩٦١
ابن المرتضى (أحمد بن يحيى)
المنية والامل في شرح الملل والنحل ، بيروت ١٩٧٩
مرحبا (محمد عبد الرحمن)
من الفلسفة اليونانية الى الفلسفة العربية ، بيروت
ابن مرزوق (أبو عبد الله محمد)
مقدمـة المسند الصحيح الحسن ، دمشق ١٩٨٠
ابن مسافر (عـدي)
اعتقاد أهل السنة والجماعة ، بغداد ١٩٧٥
المسبحي (محمد بن عبيد الله)
أخبار مصر (قطعة منه) ، القاهرة ١٩٨٠
المسعودي (أبو الحسن علي)
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، القاهرة
التنبيه والاشراف ، القاهرة ١٩٣٨
مسكويـه (أحمد بن محمد)
تجارب الامم وذيلـه ، القاهرة ١٩١٤
مصطفى (شاكر)
دولـة بني العباس ، الكويت ١٩٧٤

مظهر (سليمان)
قصة الديانات • بيروت ١٩٨٤

المعاضيدي (خاشع)
دولـة بني عقيل بالموصل • بغداد ١٩٦٨

معروف (نايف)
الخوارج في العصر الاموي • بيروت ١٩٧٧

المعري (أبو العلاء أحمد)
رسالـة الغفران • بيروت (دار صادر)

ابن المعمار (أبو عبد الله محمد)
كتاب الفتوة • بغداد ١٩٦٠

المقدسي (محمد بن أحمد)
أحسن التقاسيم • ليدن ١٩٠٦

المقدسي (يوسف بن يحيى)
عقد الدرر في أخبار المنتظر • القاهرة ١٩٧٩

المقريزي (أحمد بن علي)
اتعاظ الحنفا (نسخة مصورة لدي)
المقفى (نسخة مصورة لدي)
الخطط • القاهرة ١٩٠٨

ابن المقفع (ساويرس)
تاريخ بطارقة الكنيسة المصرية • القاهرة ١٩٥٩

مكارم (سامي نسيب)
أضواء على مسلك التوحيد • بيروت ١٩٦٦

الملطي (محمد بن أحمد)
التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع • بغداد ١٩٦٨
ابن منبه (وهب)
التيجان في ملوك حمير • حيدر أباد ١٣٤٧ هـ
الميداني (أحمد بن محمد)
مجمع الأمثال • القاهرة ١٩٥٩
ابن منصور (جعفر)
الكشف • بيروت ١٩٨٤
سرائر وأسرار النطقاء • بيروت ١٩٨٤
المنقري (نصر بن مزاحم)
وقعة صفين • القاهرة ١٣٦٥
مورتكات (أنطون)
تموز عقيدة الخلود والتقمص في فن الشرق القديم • بيروت ١٩٨٥
المؤيد في الدين (هبة الله بن موسى)
سيرة المؤيد في الدين • القاهرة ١٩٤٩
المجالس المؤيدية • القاهرة ١٩٧٦
ديوان المؤيد في الدين • القاهرة ١٩٤٩
ميديكو (هـ • اه ديل)
التوراة الكنعانية • دمشق ١٩٨٨
ابن ميسر (محمد بن علي)
أخبار مصر • القاهرة ١٩١٩
ناجي (عبد الجبار)
الامارة المزيدية • البصرة ١٩٧٠

الناشىء الأكبـر
مسائل الامامــة • بيروت ١٩٧١
الناشي (غضبان رومي عكله)
الصابئــة • بغداد ١٩٨٣
النجفي (محمد حسن)
جواهر الكلام • بيروت ١٩٨١
النديم (أبو الفرج محمد)
الفهرس • طهران ١٩٧١
ابن النعمان (الشيخ المفيد محمد بن محمد)
أوائل المقالات في المذاهب والمختارات • بيروت ١٩٨٣
الارشاد • بيروت ١٩٧٩
نعناعــة (رمزي)
الاسرائيليات • بيروت ١٩٧٠
النوبختي (الحسن بن موسى)
كتاب فرق الشيعة • استانبول ١٩٣١
النويري (شهاب الدين أحمد)
نهاية الأرب في فنون الأدب • القاهرة ١٩٢٣ (مصورة مخطوطة لدي)
النيسابوري (أحمد بن ابراهيم)
كتاب اثبات الامامــة • بيروت ١٩٨٤
نيلسن (ديتلف ورفاقــه)
التاريخ العربي القديم • القاهرة ١٩٥٨
ابن هانيء الأندلسي (محمــد)
الديوان • بيروت ١٩٥٢

ابن هشام (عبد الملك)
السيرة النبوية • القاهرة ١٩٥٥

الهمداني (القاضي عبد الجبار بن أحمد)
تثبيت دلائل النبوة • بيروت ١٩٦٦ (نسخة مخطوطة لدي)
فرق وطبقات المعتزلة • الاسكندرية ١٩٧٢
المغني في أبواب التوحيد والعدل • القاهرة ـ
المؤسسة العامة للتأليف والنشر

هوك (س• هـ)
ديانة بابل وآشور • دمشق ١٩٨٧

ابن واصل الحموي (محمد بن سالم)
مفرج الكروب في أخبار بني أيوب • القاهرة ١٩٥٣

الواقدي (محمد بن محمد)
كتاب المغازي • اكسفورد ١٩٦٧

ابن الوليـد (علي)
كتاب الذخيرة في الحقيقة • بيروت ١٩٧١

ياسين (أنور ورفاقـه)
بين العقل والنبي • باريس ١٩٨٤

ابن يحيى (أبو مخنف لوط)
مقتل الحسين • بيروت ١٩٨٣

اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب)
تاريخ اليعقوبي • بيروت ١٩٦٠

أبو يوسف القاضي (يعقوب)
كتاب الخراج • القاهرة ١٣٨٢
اليوسي (أبو الحسن علي)
المحاضرات • الرباط ١٩٧٦
رسائل أبي علي اليوسي • الدار البيضاء ١٩٨١

بعض المصادر غير العربية

1 - Anonymous Geographer
Hudud Al-Alam, English Translation
London 1937

2 - Atiya (Aziz)
The crusade,Historiography and Bibliography
Oxford 1962

3 - Belyaev (E.A.)
Arabs, Islam and the Arab Caliphate
Jerusalem 1969

4 - Bar Hebreaue (Abu'l-Faraj son of Aron)
Hisory of the wold. English translation by Ernest A. wallis Budge
Oxford 1932

5 - Bosworth (clifford Edmend)
A — The Ghaznavid .
Edinburgh 1963
B — The Islamic Dynasties
Edinburgh 1967

6 - Cahen (Claude)
A - Mouvements populaise et Atuonomisme urbains dans L'Asie Muslmane du Moyen Age, l,Arabica vol. v.
Paris 1958
B - pre Ottoman Turkey (Eng. trans.)
London 1969

7 - Cohn (Norman)
The pursuit of the Millenium
London 1970

8 - The cambridge History of Iran vol. v.
Cambridge 1968

9 - Cambridge History of Islam
Cambridge 1970

10- Cambridge Medieval History, vol. IV, Ed. Joan M. Hussey
Cambridge 1966 - 67

11- Dunlop (D.M.)
The History of the Jewish Khazars.
New York 1967

12- Elisseef (Nikitce) Nur-Ad-Din
Damas 1967

13- Encyclopedia of Islam, New Eden
London 1960

14- Gabricli (Francesco)
A - Muhammad and the Conquests of Islam
London 1968
B - Ashort History of the Arab
London 1965

15- Gibb (H.A.R.)
Mohemmedanism.
Oxford 1969

16- El-Hajji (Abdul-Ralhman)
Andalusian Diplomatic Relations with western Europe, During the umayyad period
Beirut 1960

17- KABIR (Mafizullah)
The Buwayhid Dynasty of Baghdad
Calcuta 1964

18- Lambton (A.K.S.)
Land-lord and peasant in persia
Oxford 1969

19- Lewis (Bernard)
A - The Arab in History
London 1968
B - Race an color in Islam
London 1971

20- Mcweill (w) and scdlar (J)
The clas ical Medi-terranean world
London 1969

21- Nibam Al-Mulk
The Book of Government
English translation by
Herbert Drabe
London 1960

22- Omar (F.)
The Abbasid caliphate
Baghdad 1969

23- Ostrayosky (D.)
History of the Byzantine state, Engl. trans. J. Hussey
Oxford 1968

24- Partington (J.R)
A History of Greek Fire and Gunpouder
Cambridge, 1960

25- Pearson (J.D)
Index Islamicus
Cambridge 1961, 1962, 1967.

26- Psellus (Michael)
Fourteen Bybantine Rulers
(Eng. trans. Penguin Ed. London 1966)

27- Rice (Tamara Tabot)
The Saljuks
London 1968

28- Rosenthal (E.I.J.)
Political Thought in Medieval Islam
Cambridge 1962

29- Rosenthal (F.)
A History of the Muslim Histography
Leiden 1968

30- Segal (J.B.)
Edessa, the blessed city
Oxford 1970

31- Shaban (M.A.)
The Abbasid Revolution
Cambridge 1970

32- SEVIM (Ali)
Suriye selcuklulari
Ankara 1965

33- Le Strange (Guy)
1 - The Land af the Eastern Calipthae
London 1966
2 - Palestine Under the Muslim.
Beirut 1965

34- Vasiliev (A.)
History of the Byzantine Empire.
Wisconsin 1964

35- Watt (M.)
1 - Muhammad Prophet and Statesman
Oxford 1961

36- ZAKKAR (suhayl)
The Emirate of Aleppo, 1004 - 1094
Beirut 1971

37- Zaehneav (R.C.)
The Dawn and twilight of Zoroastrianism
London 1961

«الآيات القرآنية الكريمة»

« الشعــر »

الفهرس العــام

ـ خ ـ

ـ س ـ

ـ ش ـ

ـ ص ـ

ـ ض ـ

ـ ط ـ

ـ ظ ـ

ـ ع ـ

ـ ك ـ

ـ ل ـ

ـ م ـ

ـ ن ـ

ـ هـ ـ

* * *

المحتوى

* * *